

شَرَح

نَقْضُ الْمُنْطَوِّمِ

المِسْمِيُّ: الْإِنْتِصَارُ لِأَهْلِ الْإِثْرِ

تَصَنَّفُ سَيِّحُ الْإِسْلَامِ

أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ

الْمُرْتَفَى سَنَةِ (٧٢٨) عَمَّةُ اللَّهِ تَعَالَى



شَرَّحُ فَضِيلَةَ الشَّيْخِ الذَّكْوَرِ

مُحَمَّدُ مُحَمَّدِي بْنُ مُحَمَّدِ جَمِيلِ النُّورِ سَيِّدَانِي

حَفِظَهُ اللَّهُ

الشَّيْخُ لَمْرُاجِعُ التَّفْرِيعِ

السَّنَةِ الْأُولَى



شرح
نقض المنطق

٢١

شَرَحُ

نِقْضُ الْمُنْطَوِي

المُسَمَّى: الْأَنْتِصَارُ لِأَهْلِ الْأَثَرِ

تَصْنِيفُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ

أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ

المتوفى سنة (٧٢٨) حجة الله تعالى



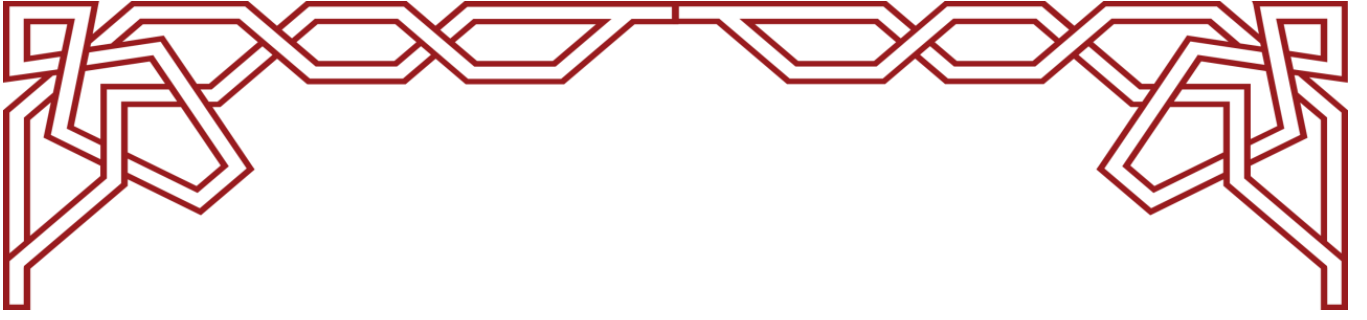
شَرَحُ فَضِيلَةَ الشَّيْخِ الذَّكْوَرِ

مُحَمَّدَ مُحَمَّدِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ جَمِيلِ النُّورِ سَيِّدَانِي

حَفَظَهُ اللهُ

الشَّيْخُ لَمْرِيًّا جَعِ التَّفْرِيعُ

النُّسخة الأولى



مقدمة المشرفين على التصريح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا

وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إن من نعم الله تعالى على أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن جعل فيها علماء ربانيين وأئمة في الدين، ورثوا من علم النبوة على قدر ما قسم الله لهم من ذلك الميراث العظيم الذي لا يعادله شيء من متاع الدنيا الفاني.

ومن رحمة الله بعباده: أنه كلما اشتدت حاجتهم إلى أمر من الأمور كلما يسر الله سبل تحصيله، ونوع لهم الطرائق الموصلة إلى نيله وبلوغه، ولما كان العلم أعظم ما يحتاجه العباد وليس لهم عنه غنى طرفة عين، ولا سيما علم العقيدة والتوحيد الذي هو أشرف العلوم وأزكاها، وأجلها قدرًا وأسانها، والذي قد زادت الحاجة إليه في هذه الأزمنة المتأخرة، بسبب انتشار الأهواء والبدع، وكثرة المخالفين

للتوحيد والمعتقد، والمجانين للسنة والأثر.

ولما كان الأمر كذلك رأينا منة الله علينا في هذه الأعصر بوسائل كثيرة لحفظ العلم ونشره لم تكن متيسرة لمن قبلنا، وإن من تلك الوسائل حفظ الدروس في تسجيلات صوتية ومقاطع مرئية، تنقل العلم لفظاً ومعنى.

وكان من تمام نعمة الله علينا أن هيا وسائل حديثة لحفظ هذا العلم، وهو ما يعرف بـ "التفريغات" والتي تنقل علم الشيوع من مسموع إلى مقروء، فتعين الطالب على توفير وقته وجهده، وتدعوه لجمع قلبه وعقله على حفظ العلم وضبطه، وتساعد على انتشاره عبر وسائل التواصل والتقنيات الحديثة، مما يهيئ السبل للانتفاع به، وتداوله بيسر وسهولة من قبل الدارسين والمتعلمين، بل والأساتذة والمدرسين في أحيان كثيرة.

ومن هنا جاءت فكرة المساهمة في تفرغ دروس فضيلة الشيخ الدكتور محمد محمدي بن محمد جميل النورستاني حفظه الله تعالى.

وقد يسر الله تعالى الخطوة الأولى لهذه المرحلة وهي إنشاء قناة للشيخ علي الشبكة، وكذا إنشاء حساب لدروسه في اليوتيوب، والتليجرام، كل ذلك حرصاً على الحفاظ على ما تيسر الحصول عليه من مجالس ودروس فضيلة الشيخ حفظه الله تعالى، وكان الذي فات منها وضاع إن لم يفق الموجود كثيرة فلا يقل عنه عددًا، وعزاًؤنا فيه أن الله يعلمه، وأن الملائكة كتبه، ونسأل الله ﷻ أن يتقبل ذلك من الشيخ وأن يجعله في موازين حسناته، ومن تلك الكتب التي لم نقف على تسجيلاتها:

- خلق أفعال العباد للبخاري.
- الرد على الجهمية للدرامي.
- نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد، للدرامي.
- القاعدة المراكشية.

وغيرها كثير^(١).

وجاءت المرحلة الثانية هذه، وهي سلسلة التفریغات الصوتية للدروس العلمية للشيخ محمد محمدي النورستاني حفظه الله تعالى، وستكون شاملة لجميع دروسه المسجلة، وهي على الترتيب التالي:

- ١- الأصول الثلاثة (الشرح الأول ٨ مجالسًا).
- ٢- الأصول الثلاثة (الشرح الثاني ١١ مجالسًا).
- ٣- الأصول الثلاثة (الشرح الثالث ١٧ مجالسًا).
- ٤- القواعد الأربع (الشرح الأول مجلس واحدًا).
- ٥- القواعد الأربع (الشرح الثاني مجلسان).
- ٦- القواعد الأربع (الشرح الثالث مجلسان).
- ٧- نواقض الإسلام.
- ٨- كشف الشبهات.
- ٩- كتاب التوحيد (ولا زال مستمرًا).
- ١٠- العقيدة الواسطية (الشرح الأول).
- ١١- العقيدة الواسطية (الشرح الثاني).
- ١٢- العقيدة الواسطية (الشرح الثالث).
- ١٣- لمعة الاعتقاد.
- ١٤- العقيدة الطحاوية (أربعون مجالسًا).
- ١٥- القصيدة الحائية لابن أبي داود (ثلاث مجالس).
- ١٦- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى.

(١) ونجد هذا الموضوع فرصة لحث الإخوة من طلاب الشيخ ممن قد تبلغهم هذه التفریغات، ممن حضروا للشيخ مجالس في السابق وسجلوا شيئاً منها أن يتواصلوا معنا، فحفظهم لعلم الشيخ أقل ما يجب للشيخ علينا وعليهم، وهو من بر التلاميذ بمعلميهم والذي لا يقل أهمية عن بر الأبناء بأبائهم متى اقترن بالنية الصالحة.

- ١٧- الفتوى الحموية (٢٣ مجلسًا).
- ١٨- الجواب على الاعتراضات المصرية.
- ١٩- العقيدة التدمرية (الشرح الأول).
- ٢٠- العقيدة التدمرية (الشرح الثاني، ولا زال مستمرًا).
- ٢١- نقض المنطق "الانتصار لأهل الأثر"، لابن تيمية (٢٣ مجلسًا).
- ٢٢- الإبانة الصغرى "الشرح والإبانة على أصول أهل السنة والديانة" لابن بطة (٣٨ مجلسًا).
- ٢٣- مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة، لابن القيم. (ولا زال مستمرًا).
- ٢٤- شرح ابن أبي العز الحنفي على الطحاوية (ولا زال مستمرًا).
- ٢٥- شرح القصيدة النونية "الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية" لابن القيم الجوزية (ولا زال مستمرًا).
- ٢٦- شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية (لم يكتمل).
- ٢٧- رسالة القضاء والقدر لابن عثيمين (مجلسان).
- ٢٨- رسالة قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات، لابن تيمية.
- ٢٩- رسالة الأفعال الاختيارية من العباد لابن تيمية.
- ٣٠- فصل في الكلام على الاتحادية، لابن تيمية.
- ٣١- مسألة في حياة الخضر وادعاء لقائه، لابن تيمية.
- ٣٢- فصل في معنى الحي القيوم، لابن تيمية.
- ٣٣- الإخنائية، لابن تيمية (ولا زال مستمرًا).
- ٣٤- محاضرات في العقيدة والتوحيد.
- ٣٥- مجالس تفسير سورة العنكبوت.
- ٣٦- مجالس تفسير سورة الأحزاب.
- ٣٧- مجالس تفسير سورة الزمر.
- ٣٨- المنظومة البيقونية (٤ مجالس).
- ٣٩- نزهة النظر (الشرح الأول ١٦ مجلسًا).

٤٠- نزهة النظر (الشرح الثاني، لازال مستمراً).

٤١- المداخل إلى كتب السنة.

٤٢- التعليق على كتاب المدخل إلى صحيح البخاري (٥ مجالس).

٤٣- عقيدة الرازيين.

٤٤- صريح السنة للطبري.

٤٥- السنة للمزني.

٤٦- الأصول الستة.

٤٧- سلسلة الحوار العلمي عن علم الكلام (لازال مستمراً).

٤٨- الصفات المعنوية.

٤٩- قضية التفويض.

ونبه هنا إلى أن هذه التفريغات معينة ومساعدة، إلا أنها لا تغني عن الدروس الصوتية والمرئية، ولا تكفي عن الاستماع إليها.

وما هذه التفريغات إلا جهد من بعض طلاب الشيخ حفظه الله تعالى، رغبوا في المشاركة في الخير، والمساهمة في خدمة العلم وأهله، فكتب الله أجورهم وشكر سعيهم، والشيخ حفظه الله تعالى لم يراجع هذه التفريغات.

وفي الختام: فإننا ندعو الله ﷻ أن يبارك للشيخ في علمه وعمله، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يبارك له في إتمام ما بقى، ونسأل الله له المزيد من فضله، وأن يمتعنا بعلمه، وأن يطيل عمره على طاعته، وأن يتقبل ذلك منه، وأن يكون ذخراً له ورفعة وشرفاً يوم لقاء مولاه، ورؤيته سبحانه وحلول رضاه.

وشكر الله للإخوة القائمين على هذا المشروع وكتب أجرهم، وجعله من العلم الذي ينتفع به، وتجري لهم به الحسنات، وتضاعف بسببه الدرجات.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه

أجمعين.

للتواصل وإرسال الملاحظات والتصويبات

t.Shoroh.dr.alnorstany@tmail.com

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

مسألة: ما قولكم في مذهب السلف في الاعتقاد ومذهب غيرهم من المتأخرين؟ ما الصواب منهما؟ وما تتحلونه أنتم من المذهبين؟ وفي أهل الحديث: هل هم أولى بالصواب من غيرهم؟ وهل هم المرادون بالفرقة الناجية؟ وهل حدث بعدهم علومٌ جهلوا وعلمها غيرهم؟ ووما تقولون في المنطق؟ وهل من قال: إنه فرض كفاية، مُصِيبٌ أو مخطئٌ؟

الجواب: الحمد لله، هذه المسائل بسطها يحتمل مجلدات، لكن نُشير فيها إلى المهم منها، والله الموفق.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور مُحدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم أما بعد...

فهذا الكتاب من كتب شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وُلِدَ سنة ستمائة وواحد وستين، وتوفي سنة سبعمائة وثمان وعشرين، ألفه جواباً على سؤال استمعنا إليه، هذا السؤال الذي هو فيه خمسة أسطر ويتضمن ثمانية فقرات هذا السؤال، جواباً على هذا السؤال ألف هذا الكتاب العظيم الذي طُبِعَ باسم «الانتصار لأهل الأثر».

أهل الأثر هم أهل الحديث، وهم أهل السنة والجماعة، يُلقَّبون بأهل الأثر؛ لأنهم يهتمون بآثار النبي ﷺ ويهتمون بأحاديثه، وكذلك بآثار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد عُرفوا بالاهتمام بسنة النبي ﷺ؛ ولذلك يُلقَّبون بأهل السنة ويُلقَّبون بأهل الأثر ويُلقَّبون بأهل الحديث، وأهل الشيء - كما تعرفون - أخصُّ

فَهُمْ أَوْلَى النَّاسِ اهْتِمَامًا بِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَمَلًا بِهَا.

وَسُنَّةُ النَّبِيِّ ﷺ هِيَ الْمَصْدَرُ الثَّانِي مِنْ مَصَادِرِ التَّشْرِيحِ، مَصَادِرِ الدِّينِ هِيَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَقَدْ حَصَلَتْ بَعْضُ الْبِدَعِ وَالانْحِرَافَاتِ فِي تَارِيخِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَصَارَتْ بَعْضُ الْمَصَادِرِ تُنَافِسُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ فِي الْأَخْذِ بِهَا فِي مَسَائِلِ الْإِعْتِقَادِ، وَخَاصَّةً سُنَّةَ النَّبِيِّ ﷺ.

وَمِنَ الْمَسَائِلِ وَمِنَ الْأُمُورِ أَوْ مِنَ الْأَصُولِ الَّتِي اعْتَقَدَهَا بَعْضُ أَهْلِ الْبَاطِلِ وَزَعَمُوهَا وَظَنُّوهَا مَفِيدَةً لِلْيَقِينِ أَكْثَرَ مِنْ إِفَادَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: المنطق اليوناني، المنطق اليوناني الذي وضعه أرسطو؛ لأنه لا يؤمن بوحى، واجتمعوا ووضعوا لهم بعض الأمور، وزعموا أن هذه الأمور ستعصمهم من الخطأ. وليس بعيداً من قوم لم ينعموا بالوحى، ولم يؤمنوا بالرُّسُل أن يضعوا لهم بعض ما يعصمهم مما هم عليه من الضلال! والذي حصل في هذا الذي وضعه أرسطو وتلاميذه أن أفتتن به المسلمون، لما تُرجمت كتب الفلاسفة أفتتن بها بعض المسلمين، وجعلوها نداءً للكتاب والسُّنة في إفادة اليقين، وكان هذا من بعض المُبتدعة، ثم تطورت الأمور حتى تأثر بهذه المقولة بعض من ينتسب إلى السُّنة، وبدأ يعتمد على المنطق أكثر من اعتماده على الكتاب والسُّنة، وقد كثر ردُّ أئمة الإسلام على هؤلاء، وفتاواهم معروفة بعدم جواز دراسة المنطق؛ لما فيه من هذه الأضرار.

ثم جاء شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ وكان له موقفٌ لم يكن مثله لأحدٍ إلى الآن، شيخ الإسلام لم يكتفِ بالفتاوى، ولم يكتفِ بالتحذير، إنما أخذ المنطق ودرسه دراسةً وفحصه فحصاً، ونقده من جميع النواحي، سواءً ما يزعمونه في الحدود أو ما يزعمونه في الأقيسة، درسها دراسةً بالنظر إلى موادها وبالنظر إلى ترتيبها وبالنظر إلى نتائجها، درسها دراسةً لا زال يستفيد من دراسته الكفار والمسلمون، قدّمت الكفار؛ لأن تنبيههم بنقد المنطق أكثر للأسف من تنبيه المسلمين؛ لأن هذا العلم علمهم، وهم أدري بهذا، لأن هذه بضاعتهم ولم يجدوا من ينقد هذه البضاعة أكثر من شيخ الإسلام ابن تيمية، وبالتالي يذكرونه كعلمٍ من الأعلام كما يقولون في الفكر البشري.

ولا يهمننا موقفهم ولا تهمننا مواقفهم، ولكن يهمننا ما يقرره شيخ الإسلام هنا في مصادر التلقّي:

الكتاب والسنة والاعتماد عليهم، ورفض كل ما سواهما وخاصةً هذا الذي أضل كثيراً من الناس (المنطق اليوناني).

بسبب المنطق حصل ما حصل من الانحراف في كثيرٍ من المسائل، وهذا واضح في هذا السؤال، في هذا السؤال أولاً: **(ما قولكم في مذهب السلف في الاعتقاد ومذهب غيرهم من المتأخرين؟)** السؤال في نفسه غريب، **(ما قولكم في مذهب السلف في الاعتقاد؟)** السؤال غريب جداً، ولكنه بدأ يُستمرأ وبدأ يُذكر بلا نكير؛ لما حصل من الانحراف.

ما دامَ عرفتَ أن هذا مذهب السلف في الاعتقاد فلماذا تسأل: **(ما قولكم في مذهب السلف في الاعتقاد؟)**؟ مثل هذه الأسئلة صارت عادية، وليس هذا فقط؛ بل الجواب: أن مذهب السلف له السلامة فقط أو مذهب الخلف أعلم وأحكم.

ثم **(ما الصواب منهما؟)** مذهب السلف أو مذهب الخلف؟ هذه المقارنة تكفي لبيان الصواب منهما، مُجرّد المقارنة كافية لبيان الصواب منهما، إلا أن ما حصل وما حصلت من التراكمات جعلت القضية عكس.

(وما تنتحلونه أنتم من المذهبيين؟ وعن أهل الحديث: هل هم أولى بالصواب من غيرهم؟) من هم أهل الحديث؟ الذين يهتمون بسنة النبي ﷺ روايةً ودرايةً **(هل هم أولى بالصواب من غيرهم؟)** سؤال غريب! تلامذة النبي ﷺ والذين ينهلون من معينه والذين يُلازمون قوله والذين لا يأخذون عن غيره - لا يأخذون عن الفلاسفة وغيرهم - هل هم أولى بالصواب؟ ألا ترون أن السؤال غريب جداً؟! مثل هذه الأسئلة وللأسف والأجوبة عليها صارت عادية جداً.

(وهل هم المرادون بالفرقة الناجية) أو المراد بهم غيرهم؟ (وهل حدث بعدهم علومٌ جهلوا بها وعلمها غيرهم؟) يبدو هذا السؤال الإشكال عنده فعلاً متمق، مما يدل على أنه متأثرٌ جداً بتراثات القوم، هذا السؤال **(هل حدث بعدهم علومٌ جهلوا بها وعلمها غيرهم؟)**؛ لأن القول بأن (مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم) مبنيٌّ على هذا، نعم السلف على الرأس والعين، السلف هم سلفنا

الصالح - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - ولكنهم آثروا السلامة ولم يدخلوا في مثل هذه المعارك، وأيضاً حدث بعدهم علوم كانوا يجهلون بها وعلمها غيرهم، وبالتالي صاروا أولى بالإحكام.. بالعلم والإحكام.

(وعن من تقولون في المنطق؟ وهل من قال إنه فرض كفاية مصيبٌ أم مخطئ؟) طبعاً هناك من يقول إنه فرض عين، ولكن السائل هنا يسأل عمَّن يقول إنه فرض كفاية، الذين يقولون إنه فرض كفاية كثر، بل وُجِدَ مَنْ أَلْفَ في الأصول وذكر أن من يجهله لا يوثق بعلمه أصلاً، مما يدل على أنه فرض كفاية على الأعيان.. على العلماء.

هذه الأسئلة الثمانية كلها مترتبة بعضها على بعض، ويجب عليها شيخ الإسلام في هذه الرسالة، وجوابه عليها مثل أجوبته التي نراها في كتبه الأخرى من ترجيح مذهب السلف وبيان أن مذهب السلف هو الأسلم والأعلم والأحكم، وأن السلامة كلها والإحكام والعلم كله في مذهبهم، ولكن تركيزه في هذا الكتاب على ما ورد في هذا السؤال عن أهل الحديث، (وعن أهل الحديث: هل هم أولى بالصواب من غيرهم؟) ركّز هنا على إبراز مزاياهم في هذه الرسالة، وعلى رأسهم -على رأس أهل الحديث- مَنْ؟ الصحابة، صحابة رسول الله ﷺ والتابعون وأئمة السُنَّة أمثال البخاري ومشايقه وتلاميذه.

ذكر -وكما يقول شيخ الإسلام هنا أنه سيذكر بالأدلة العقلية قبل أن يستدل بالأدلة النقلية- ذكر بالسرد التاريخي وبالنظر إلى ما عند الفِرَق وبلاستقراء، ذكر بهذا كله أن أهل الحديث هم أولى بالصواب وكل ما تراه عند أهل الحديث فهو الحق، لماذا؟ لأن إيمانهم بالحديث.. إيمانهم بالسُنَّة يعصمهم من الخطأ، وليس كما تزعمون أن إيمان فلان بمنطق أرسطو يعصمك من الخطأ، أبداً، فالعصمة هنا عن الخطأ نابعاً من العصمة في مصادر التلقّي، وما دام هم أهل الحديث فمعهم الحق دائماً. وشيء آخر ركّز عليه شيخ الإسلام هنا: أن كل طائفة مدحها بعض المادحون فلشيء من موافقتها لأهل الحديث، المعتزلة إن مدحهم أحد فلما عندهم من الموافقة لأهل الحديث، الأشاعرة إن مدحهم أحد -ولا زالوا يُمدحون- فلموافقتهم لما عند أهل الحديث، وهكذا بقية الطوائف، كل مَنْ مُدِح مُدِحٍ فيما وافق فيه أهل الحديث وأهل الأثر والقدر الذي تجد عندهم من الموافقة.

ولذلك تجد أن مُدح الأشاعرة.. مُدح الأشاعرة وامتدحوا وأستحمدوا أكثر من المعتزلة، لماذا؟ لأن موافقتهم لأهل الحديث أكثر، بل أوائل الأشاعرة يُمدحون أكثر من أواسطهم، وأواسطهم يُمدحون أكثر من مُتأخريهم، لماذا؟ بالنظر إلى هذا الأصل.

إذاً أهل الأحاديث وأهل الأثر هم المعيار، كل من وافقهم هو على الحق فيما وافقهم، هذا يدل على أن الحق الذي نجده عن الفِرَق هو قد توزع عليهم بسبب أهل الحديث، هم الذين حفظوا السُنَّة، ومنهم أخذ من أخذ الحق وتابعهم عليه، وحُمدوا واستحمدوا بما عندهم من موافقةٍ.

هذا الكتاب طُبِع باسم "نقض المنطق" أولاً، وكان هذا اجتهاداً ممن طبعوه، الكتاب لم يسميه شيخ الإسلام باسم خاص، حتى هذا العنوان "الانتصار لأهل الأثر" هذا العنوان آثره المحقق لما وجدته في نسخة الشيخ ابن سحمان، وجد في نسخته أنه عنونه بهذا العنوان فاستحسنه، وأما الذين طبعوه قديماً ولما وجدوا أن الربع الأخير من الكتاب في "نقض المنطق" وكانوا قد سمعوا أن شيخ الإسلام له كتابان في "نقض المنطق"، "الرد على المنطقيين"، وكتاب آخر صغير، ظنُّوا أن الكتاب الصغير هو هذا الكتاب.

وذكر المحقق الذي حقَّق هذا الكتاب ذكر أن الكتاب الآخر في نقض المنطق وفي نقضه لم نعثر عليه إلى الآن، وبالتالي الموجود هنا الآن عندنا "الرد على المنطقيين" الذي طُبِع بتحقيق الشيخ عبد الصمد شرف الدين، النسخة فريدة وُجدت في الهند في حيدر أباد، والذي نجد في هذا الكتاب أنه خصَّص الربع الأخير لنقض المنطق.

وشيخ الإسلام في ذلك الكتاب في "الرد على المنطقيين" نقض المنطق بالتفصيل، هنا بدأ بالإجمال ولم يدخل في التفصيل في هذه الرسالة، مع أن ما ذكره هنا يكفي، ما ذكره هنا - كما سنعرف - يكفي في هدم بُنيان هذا الكابوس، الذي لا زلنا نعتقد أنه يعصمنا من الخطأ، مع أن صاحبه كافر ووثني ومُشرك ولم يعصمه من الخطأ، ونحن نعتقد أنه سيعصمنا من الخطأ!

المقدِّمة هذه التي ذكرها شيخ الإسلام هنا إلى صفحة (١٣) أكثرها من "ذم التأويل" لابن قدامة،

وكتب ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ كُتُبَ جَمِيلَةٍ جَدًّا، إِلَّا أَنْ مَا عِنْدَهُ مِنْ شَيْءٍ مِنَ التَّفْوِيضِ أحيانًا يُوَثِّرُ فِي كَلَامِهِ، وَخَاصَّةً فِي رِسَالَتِهِ "ذَمُّ التَّأْوِيلِ"، فِي تِلْكَ الرِّسَالَةِ تَفْوِيضُهُ أَظْهَرَ، وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ لَمَّا يَنْقُلُ مِنَ النَّادِرِ أَنْ يُعْتَبَرُ، سَنَجِدُ أَنَّهُ يَنْقُلُ مِنَ الْعَزِّ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ كَلَامًا خَطِيرًا وَلَا يُعْتَبَرُ عَلَيْهِ؛ لَهُ يَنْقُلُ لِإِثْبَاتِ شَيْءٍ مَعِينٍ. وَأَيْنَ يُعْتَبَرُ؟ فِي الْكُتُبِ الْكَبِيرَةِ، أَمَا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْكُتُبِ فَهُوَ يَنْقُلُ وَيَنْقُلُهَا بِأَمَانَةٍ، حَتَّى مَا كَانَ فِيهِ خِلَافٌ لَمَّا يُعْتَقَدُهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ يَنْقُلُهُ هَكَذَا.

فَأَكْثَرُ مَا وَرَدَ فِي هَذِهِ الْمَقْدَمَةِ - وَخَاصَّةً فِيْمَا يَتَعَلَّقُ بِتَفْسِيرِ النُّصُوصِ كَمَا سَنَجِدُ فِيهَا مَا فِيهَا مِنْ رَائِحَةِ التَّفْوِيضِ كَمَا سَنَرَى.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الجواب: هذه المسائل بسطها يحتمل مجلدات، لكن نشير فيها إلى المهم منها والله الموفق، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وقد شهد الله لأصحاب نبيه ﷺ ومن تبعهم بإحسان بالإيمان. فعلم قطعاً أنهم المراد بالآية الكريمة.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

في العطف في قوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ﴾ العطف هنا العطف بين المتلازمين؛ لأن بين المشاققة للرسول ﷺ ومخالفة سبيل المؤمنين بينهما تلازماً، مَنْ خالف سبيل المؤمنين فقد شاق، وقع في مشاققة الرسول، ومن وقع في مشاققة الرسول في مشاققته فقد خرج عن سبيل المؤمنين، فعلم قطعاً أنهم المراد بهذه الآية الكريمة مَنْ؟ أهل الأثر.

أهل الحديث هنا في الفقرة الأولى من هنا إلى نهاية المقدمة يبيّن أن مذهبهم هو المذهب الصحيح، حسب ما ورد في السؤال: (ما قولكم في مذهب السلف في الاعتقاد أو مذهب غيرهم من المتأخرين؟ وما الصواب منهما؟) السؤال كما تلاحظون عام (ما قولكم في مذهب السلف في الاعتقاد؟) السؤال عام، ولكن الجواب عند شيخ الإسلام أخص، الجواب خاص بالأسماء والصفات؛ وذلك لأن خلاف المبتدعة في ذلك من أبرز الخلافات.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، فحيث تقرر أن من اتبع غير سبيلهم ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

في البداية قرَّر أن من اتبع غير سبيل المؤمنين فهو على خطر، يولِّيه الله ﷻ ما تولى ويصليه جهنم، فحيث تقرر فمن سبيلهم في الاعتقاد كيت وكيت، من هنا يبدأ كلام ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ (فمن سبيلهم).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فمن سبيلهم في الاعتقاد: الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه وسمى بها نفسه في كتابه وتنزيله أو على لسان رسوله من غير زيادةٍ عليها ولا نقصٍ منها، ولا تجاوزٍ لها ولا تفسيرٍ لها ولا تأويلٍ لها بما يخالف ظاهرها، ولا تشبيه لها بصفات المخلوقين، ولا سمات المحدثين.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

وهذا كما قلت كلام الإمام ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ، وشيخ الإسلام عموماً في التدمرية والحموية والواسطية وغيرها عبارته أننا نثبت ما أثبتته الله ﷻ لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ ولا تكييفٍ ولا تمثيلٍ، هذه عبارته.

أما عبارة ابن قدامة هنا لا تصل لعبارة شيخ الإسلام في الدقة، وقوله: (ولا تجاوزٍ لها ولا تفسيرٍ) هذا قيده بقوله: (ولا تأويلٍ لها بما يخالف ظاهرها) هنا واضح معناها، ولكنه سيتكرر هنا عدم التفسير عدم التفسير، وهذا خطأ، عدم التفسير لماذا يركِّز عليه أهل السنة؟ حتى الذين لم يقعوا في التفويض وهم يركِّزون على عدم التفسير بما يخالف ظاهرها لماذا؟ لأن كتب المبتدعة مليئة بالتفسير، كتب مُشكل

الأحاديث؛ كـ "مُشكل الحديث" لابن فورك، الكتب التي أُلِّفت في الأسماء والصفات خصوصًا؛ ككتاب ابن جماعة وكتاب الرازي، كلها مليئة بالتفسير، تورد الآيات التي يظنونها مخالفة للعقل ويفسروا لها، ثم يوردون الأحاديث التي يظنونها فيها تشبيه ويُفسِّرونها.

ومن هنا جاء تأكيد السلف على أننا لا نفسِّرها بما يُخالف ظاهرها، وظاهرها معروف، ظاهرها حسب القواعد التي يُقررها أهل السُنَّة معروف، ظاهرها هو الذي يليق بالله ﷻ، في قوله سبحانه: ﴿يَدُ اللَّهِ

فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] اليد الأولى غير اليد الثانية، لماذا؟ هكذا ظاهر السياق، اليد الأولى مضافة إلى مَنْ؟ إذا لها معنى خاص، واليد الثانية مضافة إلى مَنْ؟ إذا لها معنى خاص، وهكذا، هذا هو الظاهر الذي يفسِّر الكلام، بالإضافة والتقييد يتضح الظاهر.

مع ذلك نفي التفسير - وخاصةً إذا لم يرد معه هذا القيد بما يخالف ظاهرها - يستغله هؤلاء الذين بدأوا ينشرون التفويض، ويقولون: الحنابلة مفوِّضة ونحن مفوِّضة، على كل حال.. لا يُنظر إلى فلان وعلان في تقرير المسائل، يُنظر فيها إلى الحق، عبارة الإمام أحمد وعبارات تلاميذه واضحة جدًا في نفي هذا الذي يذكره، وفي إثبات المعاني واضحة جدًا.

أما متأخروهم؛ فبعضهم وقع في مواقع، أما ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ فِي أَغْلَبِ كُتُبِهِ يُثَبِتُ، إِلَّا أَنْ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ عِنْدَهُ بَعْضُ الْكَلِمَاتِ وَخَاصَّةً فِي ذِمِّ التَّأْوِيلِ، يُوْخِذُ مِنْهَا أَنَّهُ كَانَ يَمِيلُ إِلَى التَّفْوِيضِ فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ.

إِذَا (وَلَا تَفْسِيرَ لَهَا) هذا التفسير كما قلت قيده هنا، فسِّره بما يخالف ظاهرها؛ لأن هناك أمران -

وهذا سيتكرر معنا-: المعنى، وحقيقة المعنى، الأول نُثَبِتَهُ، والثاني نُفَوِّضُهُ إِلَى عِلْمِ اللَّهِ ﷻ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

بل أمرؤها كما جاءت وردوا علمها إلى قائلها؛ ومعناها إلى المتكلم بها.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

(أمرؤها كما جاءت)، (أمرؤها) هنا بل أمرؤها، (أمرؤها كما جاءت) هذا قد تكرر من الأئمة (أمرؤها كما جاءت)، وهي كيف جاءت؟ جاءت ألفاظ تدل على معاني، إذا أخذت اللفظ فقط دون المعنى ما أمرتها كما جاءت، ليس معنى (أمرؤها كما جاءت) لا تفهم منها شيء، ما أمرتها كما جاءت، هي جاءت ألفاظ تدل على معاني، هكذا جاءت، ولكن لماذا يقولون (أمرؤها كما جاءت)؟ هذه المعاني التي تؤخذ من ظواهرها حرّفها أولئك المبتدعة، إذا هم لم يمرّوها كما جاءت؛ إما عطّلوها بحجة التفويض وإما أخرجوها إلى معاني أخرى ليست هي المتبادر وليست هي ظواهر هذه النصوص.

(وقال بعضهم ويروى عن الشافعي: «أمنت بما جاء...»).

هنا (وردّوا علمها إلى قائلها، ومعناها) حيث ورد في كلام السلف نفي المعنى، وخاصة ممن ليست عنده لفظ التفويض، يقصد بالمعنى: حقيقة المعنى، ونحن ذكرنا أن هناك معنى وهناك حقيقة المعنى.

حقائق المعاني.. نحن نؤمن بما سيكون يوم القيامة، نؤمن بكل ما ورد عمّا سيكون هناك من النعيم، ولكن هل شاهدنا لبن الجنة عسل الجنة؟ نحن المعنى نفهمه، ولكن هل حقائقها شاهدناها؟ ما شاهدناها، والحقائق هذه علمها إلى الله ﷻ، إذا هناك فرق بين المعنى وحقيقة المعنى، حقيقة المعنى: هو الوجود، وهو كالفرق بين علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين.

علم اليقين: يحصل بمعرفة المعنى.

وعين اليقين: يحصل بالمشاهدة.

مثل: العسل.. تسمع عن العسل؛ هذا علم اليقين، شاهدته؛ هذا عين اليقين، تذوّقته؛ هذا حق اليقين،

وهكذا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وقال بعضهم ويروى عن الشافعي: «آمنت بما جاء عن الله على مراد الله، وبما جاء عن رسول الله ﷺ»

على مراد رسول الله.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

طبعاً هذه الألفاظ للأسف يستغلها ﴿لمفوضة ومع أنها صريحة في الرد عليهم، (آمنت بما جاء عن

الله على مراد الله)، مراد الله ﷻ هل يريد منا شيئاً أو لا؟ هل عرفناه أو لم نعرفه؟ لما خوطبنا بما يدل على

شيء معين على معنى معين عرفنا أن هذا هو مراد الله ﷻ، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) الرَّحْمَنِ

الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿[الفاتحة: ٢-٤] عرفنا أن الله ﷻ يُريد أن يثبت لنفسه أن هذه الأسماء

وهذه الصفات التي تتضمنها هذه الأسماء، عرفنا هذا المراد، عرفنا مراد الله ﷻ، كيف عرفنا؟ بالإلهام؟

بالذوق؟ بالمكاشفة؟ لا، بهذه الألفاظ.

إذاً مراد الله ﷻ واضح ومعروف، ما الذي يتحاشى منه الإمام الشافعي ويرد عليه؟ تلك التفسيرات

التي لا تمت إلى مراد الله ﷻ بصلة، إذاً (آمنت بما جاء عن الله على مراد الله)، مراد الله واضح من اللفظ

والجملة والسياق، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَعَلِمُوا أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ بِهَا صَادِقٌ لَا شَكَّ فِي صِدْقِهِ فَصَدَّقُوهُ وَلَمْ يَعْلَمُوا حَقِيقَةَ مَعْنَاهَا فَسَكَّتُوا عَمَّا لَمْ يَعْلَمُوهُ. وَأَخَذَ ذَلِكَ الْآخِرُ عَنِ الْأَوَّلِ وَوَصَّى بَعْضُهُمْ

بَعْضًا بِحُسْنِ الْإِتِّبَاعِ وَالْوُقُوفِ حَيْثُ وَقَفَ أَوْلَاهُمْ وَحَدَّرُوا مِنَ التَّجَاوُزِ لَهُمْ وَالْعُدُولِ عَنِ طَرِيقَتِهِمْ وَبَيَّنَّا لَنَا سَبِيلَهُمْ وَمَذْهَبَهُمْ وَنَزَّجُوا أَنْ يَجْعَلَنَا اللهُ تَعَالَى مِمَّنْ اقْتَدَى بِهِمْ فِي بَيَانِ مَا بَيَّنَّوهُ؛ وَسَأَلُوا الطَّرِيقَ الَّذِي سَلَكَوهُ. وَالِدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ مَذْهَبَهُمْ مَا ذَكَرْنَاهُ: أَنَّهُمْ نَقَلُوا إِلَيْنَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ وَأَخْبَارَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَقَلَ مُصَدِّقٌ لَهَا مُؤْمِنٌ بِهَا قَابِلٌ لَهَا؛ غَيْرِ مُرْتَابٍ فِيهَا؛ وَلَا شَاكَّ فِي صِدْقِ قَائِلِهَا وَلَمْ يُفَسِّرُوا مَا يَتَعَلَّقُ بِالصِّفَاتِ مِنْهَا وَلَا تَأَوَّلُوهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لا ننسى القيد الذي سبق (تفسيرها بما يخالف ظاهرها)، كل ما ورد هذا ولم يفسروا ما يتعلق بالصفات منها، لماذا لم يفسروا؟ لأنها واضحة، التفسير هو تفسير الجهمية وتفسير المبتدعة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا تَأَوَّلُوهُ وَلَا شَبَّهُوهُ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ إِذْ لَوْ فَعَلُوا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لَنُقِلَ عَنْهُمْ، وَلَمْ يَجْزُ أَنْ يُكْتَمَ بِالْكُلِّيَّةِ. إِذْ لَا يَجُوزُ التَّوَاتُؤُ عَلَى كِتْمَانِ مَا يُحْتَاجُ إِلَى نَقْلِهِ وَمَعْرِفَتِهِ لِجَرَيَانِ ذَلِكَ فِي الْقُبْحِ مَجْرَى التَّوَاتُؤِ عَلَى نَقْلِ الْكُذْبِ وَفِعْلٍ مَا لَا يَحِلُّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا كله في بيان أن الصحابة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - قد عرفوا الحق ونقلوه كما عرفوه، وشيخ الإسلام يركّز على هذه المسألة، ومن الكتب التي ركّز على هذه المسألة فيها الحموية، والترتيب الذي ذكره هناك بديع جداً! وذكر هناك خطأ.. قرّر هناك خطأ من يظن أن الصحابة والسلف عموماً قصروا في مسائل الأسماء والصفات، أفاض في هذه المسألة؛ لأن حال الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مع نبيهم يأبى هذا، يستحيل أن يأخذوا منه ما يتعلّق بالأحكام وما يتعلّق بالحلال والحرام ولم يأخذوا منه ما يتعلّق برهيم! هو يدعي -

وهو صادقٌ في دعواه- أنه مُرسلٌ من ربه، مستحيل أن لا يسألوه عن ربه، عن أسمائه وعن صفاته.

ومثاله: شخص يأتي إلى الطبيب ويسأله عن كل شيء إلا ما يتعلّق بالطب، أنت الآن أمام طبيب! شخص يأتي إلى المهندس ويسأله عن الطب وعن العلوم الشرعية وما يسأله عن شيء يتعلّق بالهندسة، أنت الآن أمام مهندس! فحالك مع أستاذك.. إذا كنت تريد تعرف ما عند هذا الشخص تأبى أن تأخذ منه كل شيء إلا الهندسة، وهكذا الصحابة؛ إذا لم يأخذوا هذا الباب فماذا أخذوا؟! إذا لم يعلمهم النبي ﷺ هذا الباب فماذا علمهم؟! هذا هو الأساس.

فذكر شيخ الإسلام أن الذين يظنون أن الصحابة قصّروا في هذا الباب، هذا خطأ واضح، وحالهم مع النبي ﷺ تأبى هذا؛ لأن تشوّفهم في هذا الباب واستغلالهم للنبي ﷺ ووجوده معهم، هذا كله يستحيل معه أن يقصّروا في هذا الباب، أضف إلى ذلك فضل الصحابة؛ الله ﷻ اختارهم لصحبة نبيه. لو شخص بليد ذهب إلى مجلس أحد الحكماء ولم يستفيد منه، قلنا: هذا حاله... الصحابة الذين أُختيروا لصحبة نبي الله هل يأخذون منه كل شيء إلا ما يتعلّق برهيم؟! مستحيل.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

بَلْ بَلَغَ مِنْ مُبَالَغَتِهِمْ فِي السُّكُوتِ عَنْ هَذَا: أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا رَأَوْا مَنْ يَسْأَلُ عَنِ الْمُتَشَابِهِ، بِالْغُفَا فِي كَفِّهِ تَارَةً بِالنُّقُولِ الْعَنِيفِ؛ وَتَارَةً بِالضَّرْبِ وَتَارَةً بِالْإِعْرَاضِ الدَّالِّ عَلَى شِدَّةِ الْكِرَاهَةِ لِمَسْأَلَتِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً بالنسبة للمتشابه؛ المراد بالمتشابه هنا: ما كان كذلك من حيث اللغة، وهذا الذي يظهر بالنظر إلى المثال ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾ ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ [الذاريات: ١-٢] هذا متشابه من حيث اللغة ومن حيث المعنى، وليس متشابهاً بالمعنى الذي نأخذه في علوم القرآن، المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، ليس هذا المعنى هنا، (بَلَغَ مِنْ مُبَالَغَتِهِمْ فِي السُّكُوتِ عَنْ هَذَا: أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا رَأَوْا مَنْ يَسْأَلُ عَنِ الْمُتَشَابِهِ) يركّز على المسائل الصعبة وحاله تدل على أنه من المبتدئين ويركّز على المسائل الصعبة (بِالْغُفَا فِي كَفِّهِ تَارَةً بِالنُّقُولِ الْعَنِيفِ؛ وَتَارَةً بِالضَّرْبِ وَتَارَةً بِالْإِعْرَاضِ الدَّالِّ عَلَى شِدَّةِ الْكِرَاهَةِ لِمَسْأَلَتِهِ) وهكذا يُتَعَامَلُ مَعَ أَهْلِ الْبِدْعِ.

والتعامل مع أهل البدع - كما ذكره شيخ الإسلام نفسه في عددٍ من كتبه - هو من باب العقوبات، وأنت في باب العقوبات لا بد أن تكون حَكِيمًا وَرَحِيمًا بِمَنْ تُعَاقِبُهُ، لَيْسَ حَالُ السُّنَّةِ الْآنَ مِثْلَمَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي زَمَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَوْ قَبْلَهُ، فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ إِذَا هُجِرَ وَنُقِلَ أَنَّ أَحْمَدَ أَسَاءَ الْقَوْلِ فِي فُلَانٍ، هَذَا يُهَجَرُ، تَضِيقُ عَلَيْهِ الدُّنْيَا بِمَا رُحِبَتْ، أَمَا الْآنَ فَقَدْ يَتَلَقَّفُهُ شَيْطَانٌ آخَرَ وَيَزِيدُهُ ضَلَالًا وَزِيغًا، فَقَدْ تَكُونُ مَعِينًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَحْيَاك، فَانظُرْ إِلَى مَنْ تَهْجُرُهُ وَإِلَى مَنْ تَعَاقِبُهُ، وَيُنظَرُ فِيهِ - كَمَا ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ نَفْسَهُ - إِلَى قُوَّةِ السُّنَّةِ وَخَفَائِهَا وَكَثْرَةِ الْبِدْعِ وَظُهُورِهَا، كُلُّ هَذِهِ الْأُمُورِ يُنظَرُ إِلَيْهَا فِي مَسْأَلَةِ مَعَاقِبَةِ الْمُبْتَدِعَةِ، فِي مَسْأَلَةِ التَّعَامُلِ مَعَ الْمُبْتَدِعَةِ، أَمَا السَّلَفُ فَهَكَذَا كَانُوا عَامِلُوهُمْ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى الْجَادَةِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

وَلِذَلِكَ لَمَّا بَلَغَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ صَبِيغًا يَسْأَلُ عَنِ الْمُتَشَابِهِ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ فَبَيْنَمَا عُمَرُ يَخْطُبُ قَامَ فَسَأَلَهُ عَنْ: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴿، وَمَا بَعْدَهَا. فَزَلَّ عُمَرُ فَقَالَ: «لَوْ وَجَدْتُكَ مَحْلُوقًا لَضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاكَ بِالسَّيْفِ» ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ ضَرْبًا شَدِيدًا وَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْبَصْرَةِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يُجَالِسُوهُ فَكَانَ بِهَا كَالْبَعِيرِ الْأَجْرَبِ لَا يَأْتِي مَجْلِسًا إِلَّا قَالُوا: «عَزْمَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ» فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ حَتَّى تَابَ وَحَلَفَ بِاللَّهِ مَا بَقِيَ يَحِدُّ مِمَّا كَانَ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا فَأَذِنَ عُمَرُ فِي مُجَالَسَتِهِ، فَلَمَّا خَرَجَتْ الْخَوَارِجُ أُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: هَذَا وَقْتُكَ فَقَالَ: لَا نَفَعَتْنِي مَوْعِظَةُ الْعَبْدِ الصَّالِحِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

قوله: (أَنَّ صَبِيغًا يَسْأَلُ عَنِ الْمُتَشَابِهِ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ فَبَيْنَمَا عُمَرُ يَخْطُبُ قَامَ فَسَأَلَهُ).

هنا التشابه من حيث اللغة، ليس التشابه التشابه الذي بمعنى الله أعلم به: (والذاريات) هي الرياح التي تحمل الأتربة والغبار.

(فَالْحَامِلَاتِ) هي السحب التي تحمل الماء، وهو ثقيل وقرًا.

طبعًا شاف (اكشف رأسك، فكشفه، فرأى عليه شعرًا) (لَوْ وَجَدْتُكَ مَحْلُوقًا لَضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاكَ

بِالسَّيْفِ) لأن هذه كانت علامة الخوارج؛ لذلك يقول: (لَضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاكَ بِالسَّيْفِ)

قوله: (عَزْمَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) يعني أمره.

هنا سؤال ما دام المتشابه هنا ليس ذلك المتشابه، ما دام السؤال هنا عن معنى هذه الآيات فلماذا

ضربه؟ ذكر يقول الآجري في الشريعة: فإن قال قائل فمن يسأل عن تفسير ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾

(١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴿ [الذاريات: ١-٢] يُسْتَحَقُّ الضَّرْبُ وَالتَّنْكِيلُ بِهِ وَالهَجْرُ؟

سؤال قيل له: لم يكن ضرب عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ له بسبب هذه المسألة، ولكن لما تأدى إلى عمر ما

كان يسأل عنه المتشابه القرآن من قبل أن يراه، كان يسأل عن ذلك المتشابه، أما هذا فليس منه، عَلِمَ أَنَّهُ

مفتونٌ، قد شغَلَ نفسه بما لا يعود عليه نفعه، وَعَلِمَ أَنَّهُ اشْتَغَالَهُ بِطَلْبِ عِلْمِ الْوَأَجِبَاتِ مِنْ عِلْمِ الْحَلَالِ

والحرام أولى به وتطلب علم سنن رسول الله ﷺ أولى به، فلما علم أنه مُقبلٌ على ما لا ينفعه، سأل عمر الله -تعالى- أن يُمكنه منه حتى يُنكل به وحتى يحذر غيره؛ لأنه راعٍ يجب عليه تفقد رعيته في هذا وفي غيره، فأمكنه الله منه.

وهكذا؛ مَنْ كان يُشغل نفسه بالأمر الصعبة وهو من المبتدئين أمثالنا؛ هذا أقل شيء يُوجّه، إن لم يؤدّب يُوجّه، يقال له: لا تركّز على هذه المسائل، وركّز على ما ينفعك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَمَّا سُئِلَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ [تَعَالَى فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَأَطْرَقَ مَالِكٌ وَعَلَاهُ الرَّحَضَاءُ - يَعْنِي الْعَرَقَ - وَانْتَظَرَ الْقَوْمُ مَا يَجِيءُ مِنْهُ فِيهِ. فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّائِلِ وَقَالَ: «الْإِسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ وَالْكَيفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَالْإِيْمَانُ بِهِ وَاجِبٌ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بَدْعَةٌ وَأَحْسَبُكَ رَجُلٌ سَوْءٌ». وَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ.

قال الشارح وفقه الله:

هذا من نماذج تعامل السلف مع المبتدعة، وطبعاً إذا كانت السنّة ظاهرة فهذه هي الطريقة، إذا كانت السنّة ظاهرة وعرفت أن الرجل سيتأدب، وأن هذا سيكون سبباً لرجوعه إلى الحق، أما في غير هذه الحال فكما ذكرت: يُنظر فيه إلى المصلحة.

السائل هنا يسأل: كيف استوى؟ هذا السؤال لم يُطقه.. لم يتحمّله الإمام مالك، كيف استوى؟ هو السؤال له، للإمام مالك، لم يسأل مبتدعاً، إنما اختار هذا الإمام للإجابة عن هذا السؤال، ومع ذلك لم يتحمّله؛ لما فيه من الجرأة، كيف استوى؟! لم يسأل أحدٌ من الصحابة النبي ﷺ عن كيفية صفة من الصفات، هذا أولاً، ثانياً: بماذا عساه أن يجيب؟ كيف استوى؟! بماذا عساه أن يجيب؟ شيء لا يمكن الإجابة عليه!

وبالتالي هذا الذي كان منه (فَأَطْرَقَ مَالِكٌ وَعَلَاهُ الرَّحَضَاءُ - يَعْنِي الْعَرَقَ - وَانْتَظَرَ الْقَوْمُ مَا يَجِيءُ مِنْهُ فِيهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّائِلِ وَقَالَ: «الْإِسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ») معناه واضح: العلو والارتفاع، (وَالْكَيفُ

غَيْرُ مَعْقُولٍ») بالنسبة لنا («وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ وَأَحْسَبُكَ رَجُلٌ سَوْءٌ». وَأَمْرٌ بِهِ فَأُخْرِجُ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَنْ أَوَّلَ الْإِسْتِوَاءِ بِالْإِسْتِيْلَاءِ فَقَدْ أَجَابَ بِغَيْرِ مَا أَجَابَ بِهِ مَالِكٌ وَسَلَكَ غَيْرَ سَبِيلِهِ. وَهَذَا الْجَوَابُ مِنْ مَالِكٍ [فِي الْإِسْتِوَاءِ شَافٍ كَافٍ فِي جَمِيعِ الصِّفَاتِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا مقولة مالك غدت قاعدةً من أهم القواعد في توحيد الأسماء والصفات.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

مِثْلَ النَّزُولِ وَالْمَجِيءِ وَالْيَدِ وَالْوَجْهِ وَغَيْرِهَا. فَيُقَالُ فِي مِثْلِ النَّزُولِ: النَّزُولُ مَعْلُومٌ وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ. وَهَكَذَا يُقَالُ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ إِذْ هِيَ بِمِثَابَةِ الْإِسْتِوَاءِ الْوَارِدِ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هو شيخ الإسلام عمومًا لما يذكر الأقوال ينوع، كما سلك هذا في «الحموية» ينوع لما ذكر الأقوال، هذا القول الأول من الإمام مالك، وهذا القول من محمد بن الحسن الشيباني صاحب الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ وزميل الإمام الشافعي في دراسته مع الإمام مالك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَبُتَّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ - صَاحِبِ أَبِي حَنِيفَةَ - أَنَّهُ قَالَ: «اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ كُلُّهُمْ مِنَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ: عَلَى الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الثَّقَاتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صِفَةِ الرَّبِّ ﷻ مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ وَلَا وَضْفٍ وَلَا تَشْبِيهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ كُلُّهُمْ) كلمة قوية هذه وخاصةً من الإمام محمد بن الحسن، والإمام محمد بن الحسن وكذلك أبو يوسف هؤلاء كانوا من أئمة السلف، لم يكن عندهم ما عُرف عن متأخريهم من الماتريديّة وغيرهم.

قوله: (مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ) هنا ذكر المحقق ما قاله شيخ الإسلام في «الحموية» أراد به تفسير الجهمية المعطّلة الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الإثبات، طبعًا التفسير قلت لكم لماذا يركّز أهل السنّة على هذه القضية؟ لأن التفسيرات هذه معروفة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَمَنْ فَسَّرَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ خَرَجَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَصِفُوا وَلَمْ يُفَسِّرُوا وَلَكِنْ آمَنُوا بِمَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ثُمَّ سَكَتُوا. فَمَنْ قَالَ بِقَوْلِ جَهْمٍ فَقَدْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ).
 نَتَهَى. فَانظُرْ - رَحِمَكَ اللهُ - إِلَى هَذَا الْإِمَامِ كَيْفَ حَكَى الْإِجْمَاعَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَلَا خَيْرَ فِيمَا خَرَجَ
 عَنِ إِجْمَاعِهِمْ. وَلَوْ لَزِمَ التَّجْسِيمُ مِنَ السُّكُوتِ عَنْ تَأْوِيلِهَا لَفَرَّوْا مِنْهُ. وَأَوْلُوا ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُمْ أَعْرَفُوا الْأُمَّةَ بِمَا
 يَجُوزُ عَلَى اللهِ وَمَا يَمْتَنَعُ عَلَيْهِ.

وَتَبَّتْ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الصَّابُونِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِالْكِتَابِ
 وَالسُّنَّةِ يَعْرِفُونَ رَبَّهُمْ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بِصِفَاتِهِ الَّتِي نَطَقَ بِهَا كِتَابُهُ وَتَنْزِيلُهُ وَشَهِدَ لَهُ بِهَا رَسُولُهُ؛ عَلَى مَا
 وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ الصَّحَاحُ وَنَقَلَهُ الْعُدُولُ الثَّقَاتُ. وَلَا يَعْتَقِدُونَ تَشْبِيهَا لِصِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ وَلَا يُكَيِّفُونَهَا
 تَكْيِيفَ الْمُشَبَّهِ، وَلَا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ تَحْرِيفَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني مثلاً: الاستواء تفسيره: استولى، اليد تفسيره: النعمة أو القدرة، وهكذا.

هذا التعليق من الإمام ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ تعليقٌ جميل، يقول: (وَلَوْ لَزِمَ التَّجْسِيمُ مِنَ السُّكُوتِ عَنْ
 تَأْوِيلِهَا لَفَرَّوْا مِنْهُ) هم يقولون: لماذا فسّرنا؟ لماذا أولّنا؟ فراراً من التجسيم والتشبيه؛ لذلك يقولون:
 مذهب الحلف أعلم وأحكم؛ لما فيه من الفرار من التجسيم والتشبيه.

يقول ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ: (وَلَوْ لَزِمَ التَّجْسِيمُ مِنَ السُّكُوتِ عَنْ تَأْوِيلِهَا لَفَرَّوْا مِنْهُ)، هم كانوا يفرون من
 التمثيل، وأشد الناس إنكاراً على المشبهة؛ فإنهم أعرَفُ الأمة بما يجوز على الله وما يمتنع عليه، وبما
 أنهم لم يفسّروا كما تفسرون هذا يدل على أن صنعهم ليس فيه تجسيمٌ ولا فيه تشبيه.

وقوله: (وَتَبَّتْ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الصَّابُونِيِّ)

صاحب عقيدة أصحاب الحديث، الصابوني رَحِمَهُ اللهُ من أئمة أهل السنة في وقته، وكتابه الذي ألفه في
 عقيدة أصحاب الحديث كتابٌ جميل وهو مطبوع، يقول: (يَعْرِفُونَ رَبَّهُمْ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بِصِفَاتِهِ الَّتِي

نَطَقَ بِهَا كِتَابُهُ وَتَنْزِيلُهُ وَشَهِدَ لَهُ بِهَا رَسُولُهُ)، نحن نتعرّف إلى الله ﷻ بصفاته، وإلا كيف تعرف أنه يرحم وأنه يسمع وأنه يخلق وأنه يرزق؟ كل هذا بالنظر إلى صفاته على ما وردت به الأخبار الصحاح ونقله العدول الثقات، (وَلَا يَعْتَقِدُونَ تَشْبِيهًا لِصِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ وَلَا يُكَيِّفُونَهَا تَكْيِيفَ الْمُشَبَّهِ).

طبعاً التشبيه الذي يرد ذكره هنا بكثرة، يرى شيخ الإسلام أن اشتغال التمثيل أدق؛ لوروده في القرآن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] هذا الذي نفاه القرآن، ولما في التشبيه من الإجمال الذي لأجله وقع ما وقع في التشبيه، ومن وقع في التشبيه هو وقع في التعطيل، ومن وقع في التعطيل لأجل الفرار من التشبيه، التشبيه فيه إجمال، أهل السنة لما يذكرون نفي التشبيه يقصدون نفي التمثيل.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ أَعَاذَ اللهُ أَهْلَ السُّنَّةِ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّكْيِيفِ وَمَنْ عَلَيْهِمُ بِالتَّفْهِيمِ وَالتَّعْرِيفِ حَتَّى سَلَكَوا سَبِيلَ التَّوْحِيدِ وَالتَّنْزِيهِ وَتَرَكَوا الْقَوْلَ بِالتَّعْطِيلِ وَالتَّشْبِيهِ، وَاکْتَفَوْا بِنَفْيِ النَّقَائِصِ بِقَوْلِهِ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني النفي.. نفي النقائص عند أهل السنة هو من حيث العموم يكون بالإجمال، إلا في المواضع التي ورد فيها التفصيل في النفي كما في هذه الآية: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] نفي مجمل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] هذا فيه نفي مجمل، وهذه هي القاعدة العامة عند أهل السنة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: «مَا لَمْ يَعْرِفْهُ الْبَدْرِيُّونَ فَلَيْسَ مِنَ الدِّينِ». وَثَبَّتَ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ أَنَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ الشَّافِعِيَّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى عَنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى؟ فَقَالَ: «حَرَامٌ عَلَى الْعُقُولِ أَنْ تُمَثَلَ اللهُ تَعَالَى؛ وَعَلَى الْأَوْهَامِ أَنْ تُحَدَّهُ وَعَلَى الظُّنُونِ أَنْ تَقْطَعَ؛ وَعَلَى النُّفُوسِ أَنْ تُفَكَّرَ؛ وَعَلَى الضَّمَائِرِ أَنْ تُعَمَّقَ وَعَلَى الْخَوَاطِرِ أَنْ تُحِيطَ وَعَلَى الْعُقُولِ أَنْ تَعْقِلَ إِلَّا مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ أَوْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني الإمام الشافعي يقول: ليس هناك سبيل لمعرفة الله ﷻ ولمعرفة أسمائه وصفاته إلا ما ورد في الكتاب والسنة، أما إذا أردت أن تحدّه وتكيّفه وتعرف حقائق معاني أسمائه وصفاته وتعرف هذا بالتفصيل، فلا يمكن، كل هذا تأكيد لنفي هذا، كيف لا يعلمه إلا الله ﷻ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَتَبَّتْ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «لَقَدْ تَكَلَّمْتُ مُطَرِّفٌ عَلَى هَذِهِ الْأَعْوَادِ بِكَلَامٍ مَا قِيلَ قَبْلَهُ وَلَا يُقَالُ بَعْدَهُ. قَالُوا: وَمَا هُوَ يَا أَبَا سَعِيدٍ؟ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ: الْجَهْلُ بِغَيْرِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(مُطَرِّفٌ) من كبار التابعين، والحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ من أوساطهم، تلميذه، يقول: («الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ: الْجَهْلُ بِغَيْرِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ») كلامٌ جميل! من الإيمان بالله رَحِمَهُ اللهُ الجهل بغير ما وصف به نفسه! ما يذكره المتكلمون من أنه كذا وكذا كله جهل، عدم العلم به هو الإيمان.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَالَ سَحْنُونُ «مِنَ الْعِلْمِ بِاللَّهِ السُّكُوتُ عَنْ غَيْرِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ». وَتَبَّتْ عَنِ الْحَمِيدِيِّ أَبِي بَكْرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ - أَنَّهُ قَالَ: «أُصُولُ السُّنَّةِ» - فَذَكَرَ أَشْيَاءَ - ثُمَّ قَالَ: وَمَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ مِثْلَ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ وَمِثْلَ: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ وَمَا أَشْبَهَ هَذَا مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ لَا زَيْدٌ فِيهِ وَلَا نَفْسٌ فِيهِ وَلَا نَفْسٌ عَلَيْهِ وَلَا نَفْسٌ عَلَيْهِ وَالسُّنَّةُ وَنَقُولُ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ وَمَنْ زَعَمَ غَيْرَ هَذَا فَهُوَ جَهْمِي. فَمَذَهَبُ السَّلَفِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِبْتِثَاتُ الصِّفَاتِ وَإِجْرَاؤُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا وَنَفْيُ الْكَيْفِيَّةِ عَنْهَا. لِأَنَّ الْكَلَامَ فِي الصِّفَاتِ فَرَعٌ عَنِ الْكَلَامِ فِي الذَّاتِ وَإِبْتِثَاتُ الذَّاتِ إِبْتِثَاتٌ وَجُودٍ؛ لَا إِبْتِثَاتٌ كَيْفِيَّةٌ فَكَذَلِكَ إِبْتِثَاتُ الصِّفَاتِ، هَذَا مَضَى السَّلَفُ كُلُّهُمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

قوله: (الحميدي) شيخ الإمام البخاري، أول شيخ له في صحيحه.

الأصلان اللذان ذكرهما شيخ الإسلام في "التدمرية": الأصل الثاني في الكيفية، الأصل الأول في الإثبات، الأصل الثاني في الكيفية.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَوْ ذَهَبْنَا نَذْكُرُ مَا أَطَّلَعْنَا عَلَيْهِ مِنْ كَلَامِ السَّلَفِ فِي ذَلِكَ لَخَرَجْنَا عَنْ الْمَقْصُودِ فِي هَذَا الْجَوَابِ. فَمَنْ كَانَ قَصْدُهُ الْحَقَّ وَإِظْهَارَ الصَّوَابِ اِكْتَفَى بِمَا قَدَّمْنَاهُ، وَمَنْ كَانَ قَصْدُهُ الْجِدَالَ وَالْقِيلَ وَالْقَالَ وَالْمُكَابَرَةَ لَمْ يَزِدْهُ التَّطْوِيلُ إِلَّا خُرُوجًا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَاللَّهُ الْمُؤَفَّقُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(وَمَنْ كَانَ قَصْدُهُ الْجِدَالَ وَالْقِيلَ وَالْقَالَ وَالْمُكَابَرَةَ) هذه الجملة من شيخ الإسلام، ما قبله وما بعده لابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ، هذه الجملة (فَمَنْ كَانَ قَصْدُهُ الْحَقَّ وَإِظْهَارَ الصَّوَابِ اِكْتَفَى بِمَا قَدَّمْنَاهُ) هذه الجملة لشيخ الإسلام.

(وَمَنْ كَانَ قَصْدُهُ الْجِدَالَ وَالْقِيلَ وَالْقَالَ وَالْمُكَابَرَةَ لَمْ يَزِدْهُ التَّطْوِيلُ إِلَّا خُرُوجًا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) يعني هذه النقول تدل على ما كان عليه السلف من الإثبات، وهذه النقول بعضها أقوال للأئمة، وبعضها نقل إجمالي كما نقل محمد بن الحسن إجماع الفقهاء، وكما ذكره الإمام مالك بالنسبة للنفي من كلام مطرف وغيره، وهذه النقول فيها الكفاية أن مذهب السلف هو الإثبات، أما من يجادل لا تكفيه هذه النقول وغيرها.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ ثَبَتَ مَا ادَّعَيْنَاهُ مِنْ مَذْهَبِ السَّلَفِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ بِمَا نَقَلْنَاهُ جُمْلَةً عَنْهُمْ وَتَفْصِيلاً، وَاعْتِرَافِ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَهْلِ النَّقْلِ كُلِّهِمْ بِذَلِكَ. وَلَمْ أَعْلَمْ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ خِلَافًا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يقول: (ثَبَتَ مَا ادَّعَيْنَاهُ مِنْ مَذْهَبِ السَّلَفِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ بِمَا نَقَلْنَاهُ جُمْلَةً عَنْهُمْ وَتَفْصِيلاً) وهذا هو المقصود في البداية: أن مذهب السلف هو الإثبات.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

بَلْ لَقَدْ بَلَغَنِي عَمَّنْ ذَهَبَ إِلَى التَّأْوِيلِ لِهَذِهِ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ مِنْ أَكْبَرِهِمْ: الْإِعْتِرَافُ بِأَنَّ مَذَهَبَ السَّلَفِ فِيهَا مَا قُلْنَا. وَرَأَيْتَهُ لِبَعْضِ شُيُوخِهِمْ فِي كِتَابِهِ قَالَ: «اِخْتَلَفَ أَصْحَابُنَا فِي أَخْبَارِ الصِّفَاتِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَمَرَهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ وَلَا تَأْوِيلٍ مَعَ نَفْيِ التَّشْبِيهِ عَنْهَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هم إذا اعترفوا، يقول: (بَلَغَنِي عَمَّنْ ذَهَبَ إِلَى التَّأْوِيلِ) عن أكابرهم أنهم اعترفوا أن مذهب السلف (مَذَهَبَ السَّلَفِ فِيهَا مَا قُلْنَا).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَرَأَيْتَهُ لِبَعْضِ شُيُوخِهِمْ فِي كِتَابِهِ قَالَ: «اِخْتَلَفَ أَصْحَابُنَا فِي أَخْبَارِ الصِّفَاتِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَمَرَهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ وَلَا تَأْوِيلٍ مَعَ نَفْيِ التَّشْبِيهِ عَنْهَا. وَهُوَ مَذَهَبُ السَّلَفِ» فَحَصَلَ الْإِجْمَاعُ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَكَرْنَاهُ بِقَوْلِ الْمُتَنَازِعِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ. وَمَا أَحْسَنَ مَا جَاءَ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّهُ قَالَ: «عَلَيْكَ بِالزُّومِ السُّنَّةِ فَإِنَّهَا لَكَ بِإِذْنِ اللَّهِ عِصْمَةٌ. فَإِنَّ السُّنَّةَ إِنَّمَا جُعِلَتْ لِيُسْتَنَّ بِهَا وَيُقْتَصَرَ عَلَيْهَا وَإِنَّمَا سَنَّهَا مَنْ قَدْ عَلِمَ مَا فِي خِلَافِهَا مِنَ الزَّلَلِ وَالْخَطَا وَالْحُمَقِ وَالتَّعَمُّقِ. فَارْضَ لِنَفْسِكَ بِمَا رَضُوا بِهِ لِأَنفُسِهِمْ. فَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا وَبَبَصَرَ نَافِدٍ كَفُّوا. وَلَهُمْ كَانُوا عَلَى كَشْفِهَا أَقْوَى. وَبِتَفْصِيلِهَا لَوْ كَانَ فِيهَا أُخْرَى وَإِنَّهُمْ لَهُمُ السَّابِقُونَ وَقَدْ بَلَغَهُمْ عَنْ نَبِيِّهِمْ مَا يَجْرِي مِنَ الْإِخْتِلَافِ بَعْدَ الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ؛ فَلَيْتَ كَانَ الْهُدَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَقَدْ سَبَقْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ وَلَيْتَ قُلْتُمْ حَدَّثَ حَدَّثَ بَعْدَهُمْ فَمَا أَحَدْتُهُ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ وَرَغِبَ بِنَفْسِهِ عَنْهُمْ وَاخْتَارَ مَا نَحْتَهُ فِكْرُهُ عَلَى مَا تَلَقَّوهُ عَنْ نَبِيِّهِمْ؛ وَتَلَقَّاهُ عَنْهُمْ مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ. وَلَقَدْ وَصَفُوا مِنْهُ مَا يَكْفِي؛ وَتَكَلَّمُوا مِنْهُ بِمَا يَشْفِي. فَمَنْ دُونَهُمْ مُقَصِّرٌ؛ وَمَنْ فَوْقَهُمْ مُفَرِّطٌ. لَقَدْ قَصَرَ دُونَهُمْ أَنْاسٌ فَجَفَوْا؛ وَطَمَحَ آخَرُونَ فَغَلَوْا؛ وَإِنَّهُمْ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدَى مُسْتَقِيمٍ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

قوله: (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ)، كلام ابن قدامة انتهى إلى هنا. (وما أحسن) من هنا شيخ الإسلام.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

أَمَّا كَوْنُهُمْ أَعْلَمَ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ وَأَحْكَمَ وَأَنْ مُخَالَفَهُمْ أَحَقُّ بِالْجَهْلِ وَالْحَشْوِ. فَنُبِّئُ ذَلِكَ بِالْفِيَّاسِ الْمَعْقُولِ؛ مِنْ غَيْرِ احْتِجَاجِ بِنَفْسِ الْإِيمَانِ بِالرَّسُولِ كَمَا قَالَ اللهُ: ﴿سَرِّبَهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ الْحَقَّ﴾ فَأَخْبَرَ: أَنَّهُ سَرِّبَهُمُ الْآيَاتِ الْمَرْتَبِيَّةَ الْمَشْهُودَةَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ. ثُمَّ قَالَ: ﴿أَوْلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أَيُّ بِإِخْبَارِ اللهِ رَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَشَهَادَتِهِ بِذَلِكَ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

لا زلنا مع كتاب "الانتصار لأهل الأثر" لشيخ الإسلام ابن تيمية، وذكر شيخ الإسلام في بداية هذا الكتاب أن السلف هم أولى بالصواب في باب الاعتقاد.

ثم ذكر من هم السلف؛ وأنهم الصحابة والتابعون ومن تبعهم، ثم ذكر مذهبهم في الاعتقاد وخاصة في توحيد الأسماء الصفات، وذكر أقوالهم وأقوال من حكى أقوالهم؛ أثبت بذلك أن مذهب السلف - الصحابة ومن تبعهم مذهبهم في الاعتقاد في باب الأسماء والصفات - الإثبات، وليس التأويل الذي نجده عند المبتدعة، أثبت هذا فيما قرأناه إلى الآن.

الآن يجيب على السؤال الذي ورد في قول السائل، مما يؤخذ منه أن غيرهم - غير السلف - قد يؤخذ منهم؛ لأن عندهم الأحكام والعلم، وأنه قد استجدت بعض الأمور لم تكن موجودة قبل، وسيطيل في هذه الفقرة.

في هذه الفقرة يُبيِّن أن أهل الأثر أعلم وأحكم، في نفس الوقت يُجيب في هذه الفقرة على ما يُتَّهم به أهل الحديث - أهل الأثر - وأنهم حشوية، هذا من أشهر التُّهم التي توجَّه إلى أهل السُّنَّة وأنهم حشوية، في نفس الوقت يذكر الأمرين هذه:

الأمر الأول: أنهم أعلم وأحكم، وكما أنهم أسلم وأنهم هم أعلم وحكم ممن بعدهم.

والأمر الثاني: غيرهم أحق بالجهل والحشر.

لما تقرأ في كتب المتكلمين تجد أنهم يتحدثون عن فرقة يُسمونها حشوية، هم أهل الحديث، هم

يقصدون بهم أهل الحديث.. أهل الأثر.

والحشوية نسبةً إلى الحشري، والحشري هو الزائد من الكلام الذي لا معنى له.

لماذا يتَّهمون -الأشاعرة والماتريدية- لماذا يتَّهمون أهل السُّنة بالحشوية؟

لأنهم يرونهم من حشري الناس ممن لا يُقضوا بهم ولا يُأبه بهم، وليسوا ممن يُهتَم بهم ويؤخذ

برأيهم، من هذا الباب يقولون أنهم حشوية.

والغريب أن هذا اللقب نفس اللقب يُلقَّب به المعتزلة الأشاعرة! الأشاعرة عند المعتزلة: حشوية.

والحشوية عندهم كثر؛ نحن منهم، والأشاعرة بالذات عندهم حشوية.

والأغرب من ذلك: أن المعتزلة أنفسهم عند المتفلسفة حشويّة! والأغرب من هذا: أن المتفلسفة

عند القرامطة حشريّة!

لماذا هذا التسلسل؟ كل من خرج عن الحق في شيء اتَّهم الباقيين الذين هم على الحق اتَّهموهم

بأنهم ليسوا أصحاب تعقُّق، ليسوا أصحاب تحقيق وفهم وتمعُّن؛ ولذلك بقوا على ما ظنُّوه حقًّا، وإنما

التحقيق فيما ذهبنا إليه.

فلذلك هذا التسلسل في التلقيب بالحشوية التسلسل هكذا: الذين يتَّهموننا بالحشوية هم مُتَّهمون،

وأولئك مُتَّهمون وأولئك مُتَّهمون، ولا تنتهي السلسلة إلا بالزناقة.

فبيِّن شيخ الإسلام هنا أنكم تتَّهمون أهل الأثر وأهل الحديث بالحشوية وأنتم أحق الناس بذلك،

ومن يتَّهمونكم بهذا هم أحق الناس بذلك، ومن يتَّهمونهم بهذا هم أحق الناس بذلك، وبالتالي أبعد

الناس عن الحشر أهل السُّنة وأهل الأثر.

يقول هنا: سأذكر الأدلة العقلية -يقول شيخ الإسلام- يقول: **(فَبَيِّنْ ذَلِكَ بِالْقِيَاسِ الْمَعْقُولِ)** أي

بالأدلة العقلية **(مِنْ غَيْرِ اِحْتِجَاجٍ بِنَفْسِ الْإِيمَانِ بِالرُّسُولِ)**؛ أي بغير احتجاج بالأدلة النقلية؛ لأن الأدلة

النقلية هم يقولون أن النصوص معهم، يعترفون بذلك، ولذلك هم يتعبون في تأويلها ويتفنَّون في إبرازها

وإبراز مدلولاتها.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَقَوْلُ: مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ يُشَارِكُونَ كُلَّ طَائِفَةٍ فِيَمَا يَتَحَلَّلُونَ بِهِ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ
وَيَمْتَازُونَ عَنْهُمْ بِمَا لَيْسَ عِنْدَهُمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

من هنا ينطلق شيخ الإسلام، من هذا ينطلق: أن أهل الحديث يشاركون كل طائفة فيما عندهم من
الحق ويمتازون ويتميزون بما بقي عندهم من الحق، هذا الحق الذي بقي عندهم والحق الذي تفرق في
غيرهم، هذا الحق فيهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّ الْمُنَازِعَ لَهُمْ لَا بُدَّ أَنْ يَذْكَرَ فِيَمَا يُخَالِفُهُمْ فِيهِ طَرِيقًا أُخْرَى؛ مِثْلَ الْمَعْقُولِ وَالْقِيَاسِ وَالرَّأْيِ وَالْكَلَامِ
وَالنَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالَ وَالْمُحَاجَّةَ وَالْمُجَادَلَةَ وَالْمُكَاشَفَةَ وَالْمُخَاطَبَةَ وَالْوَجْدَ وَالذُّوقَ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هنا ذكر شيخ الإسلام أكثر ما يعارض به الدليل النقلي، وأكثر ما يُتَّهَمُ به أهل السنة أنهم ليسوا من
أصحاب المعقول، ليسوا من أصحاب القياس، ليسوا من أصحاب الذوق.

وَمُلْخَصُهَا ثَلَاثَةٌ:

مَا يُزْعَمُ أَنَّهُ دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ.

وَمَا يُزْعَمُ أَنَّهُ قِيَاسٌ، هَذَا قَرِيبٌ مِنْهُ.

وَمَا يُزْعَمُ أَنَّهُ ذُوقٌ وَوَجْدٌ.

ويقول شيخ الإسلام: من يخالفهم يحتج بشيء من هذا، بشيء من هذه الأدلة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكُلُّ هَذِهِ الطُّرُقِ لِأَهْلِ الْحَدِيثِ صَفْوَتُهَا وَخُلَاصَتُهَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

سبحان الله! يعني كلام شيخ الإسلام عموماً يعني عليه نور النبوة!

كل هذه الطرق - سواء كان المعقول والقياس والرأي السديد والكلام الذي ليس فيه تعقيد - بمعنى الأدلة العقلية، والنظر في آيات الله ﷻ الكونية والآيات المتلوّة والاستدلال والمحاجّة والمجادلة والمكاشفة التي هي بالحق والمخاطبة والوجد والذوق الذي يوافق السنّة، يقول: (وَكُلُّ هَذِهِ الطُّرُقِ لِأَهْلِ الْحَدِيثِ صَفْوَتُهَا وَخُلَاصَتُهَا)، ليس هناك تعارضاً بين العقل السليم وبين النقل، وكذلك الوجد، وكذلك الذوق؛ فليس عندهم من هذه الأمور إلا ما خالف الحق عند المخالفين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَهُمْ أَكْمَلُ النَّاسِ عَقْلاً؛ وَأَعْدَلُهُمْ قِيَاسًا وَأَصْوَبُهُمْ رَأْيًا وَأَسَدُّهُمْ كَلَامًا وَأَصَحُّهُمْ نَظْرًا وَأَهْدَاهُمْ

اسْتِدْلَالًا وَأَفْوَمُهُمْ جَدَلًا وَأَتَمُّهُمْ فِرَاسَةً وَأَصْدَقُهُمْ إِهَامًا وَأَحَدُّهُمْ بَصْرًا وَمُكَاشَفَةً وَأَصْوَبُهُمْ سَمْعًا،

وَمُخَاطَبَةً وَأَعْظَمُهُمْ وَأَحْسَنُهُمْ وَجَدًّا وَذَوْقًا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

إي، لأنهم على الأصل الدليل من الكتاب والسنّة، وهذا يؤيّد ما لديهم من القياس ويتأيّد به قياسهم وعقلهم

ونظرهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا هُوَ لِلْمُسْلِمِينَ بِالنُّسْبَةِ إِلَى سَائِرِ الْأُمَمِ وَإِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ بِالنُّسْبَةِ إِلَى سَائِرِ الْمَلَلِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني أن يقول نسبة أهل السنة إلى غيرهم كنسبة المسلمين إلى غيرهم، هذا سيذكره فيما سيأتي أيضاً، النسبة بين أهل السنة وغيرهم كنسبة الملل والنحل إلى المسلمين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَكُلُّ مَنْ اسْتَقْرَأَ أَحْوَالَ الْعَالَمِ وَجَدَ الْمُسْلِمِينَ أَحَدًا وَأَسَدًا عَقْلًا وَأَنَّهُمْ يَنَالُونَ فِي الْمُدَّةِ الْيَسِيرَةِ مِنْ حَقَائِقِ الْعُلُومِ وَالْأَعْمَالِ أَضْعَافَ مَا يَنَالُهُ غَيْرُهُمْ فِي قُرُونٍ وَأَجْيَالٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً هذه النقطة يذكرها شيخ الإسلام كثيراً، وأن (الْمُسْلِمِينَ أَحَدًا وَأَسَدًا عَقْلًا) حتى في العلوم النظرية، ويقول: أن من اشتهر ممن ينتسب إلى المسلمين في هذه الأمور هم حُثالة المسلمين، ومع ذلك هم مشهورون في الطب وفي غير الطب.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ تَجِدُهُمْ كَذَلِكَ مُتَمَتِّعِينَ. وَذَلِكَ لِأَنَّ اعْتِقَادَ الْحَقِّ الثَّابِتِ يُقَوِّي الْإِدْرَاكَ وَيُبْصِحُّهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ وَقَالَ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾ وَإِذَا لَا تَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هنا ذكر الله ﷻ لمن ﴿فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ أي لمن امتثلوا، ذكر لهم أربعة أمور:

أولاً: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾.

ثانياً: ﴿أَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾.

ثالثاً: ﴿وَإِذَا لَا تَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

رابعاً: ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾، وليس لغيرهم هذه الأمور.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا يُعَلِّمُ تَارَةً بِمَوَارِدِ النَّزَاعِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هنا ذكر خمسة أمور، يقول شيخ الإسلام: بهذه الأمور تعرف صدق ما أقول.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَلَا تَجِدُ مَسْأَلَةً حُوفِلُوا فِيهَا إِلَّا وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْحَقَّ مَعَهُمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أولاً: تعرف هذا بالنظر، إذا أردت أن تعرف صدق ما أقول خذ مسألة وانظر إلى أدلة الفريقين،

سيظهر لك صدق ما أقول.

هذا أولاً: (تارة بموارد النزاع بينهم وبين غيرهم).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَتَارَةً بِإِقْرَارِ مُخَالَفِيهِمْ وَرُجُوعِهِمْ إِلَيْهِمْ دُونَ رُجُوعِهِمْ إِلَى غَيْرِهِمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

المخالفون ما أكثر اعترافهم وما أكثر رجوعهم إلى ما عليه أهل السنة، ولا تجد محدثاً إماماً في

السنة يعلن رجوعه عن السنة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

أَوْ بِشَهَادَتِهِمْ عَلَى مُخَالَفِيهِمْ بِالضَّلَالِ وَالْجَهْلِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هم (شهادتهم على مخالفيهم بالضللال والجهل) بالأدلة، هذا إذا تعرف أنت لما تستقرئ الأدلة،

تنظر إلى أدلة المعتزلي مثلاً يرمي أهل السنة بالضللال والجهل، طيب.. ما الدليل؟ ما عنده، انظر إلى ما

يذكره السني وانظر إلى أدلته تعرف صدق ما أقول.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَتَارَةً بِشَهَادَةِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ هُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ.

وَتَارَةً بِأَنَّ كُلَّ طَائِفَةٍ تَعْتَصِمُ بِهِمْ فِيمَا خَالَفَتْ فِيهِ الْأُخْرَى وَتَشْهَدُ بِالضَّلَالِ عَلَى كُلِّ مَنْ خَالَفَهَا أَعْظَمُ

مِمَّا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني أنت لما تنظر في مسألة القدر والخلاف بين القدرية وبين الجبرية، تأخذ الجبرية بعض الأدلة

التي عند أهل السنة، تأخذ القدرية بعض الأدلة التي عند أهل السنة، ولم تجتمع إلا عند أهل السنة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَأَمَّا شَهَادَةُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ هُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ: فَهَذَا أَمْرٌ ظَاهِرٌ مَعْلُومٌ بِالْحِسِّ وَالتَّوَاتُرِ لِكُلِّ مَنْ

سَمِعَ كَلَامَ الْمُسْلِمِينَ لَا تَجِدُ فِي الْأُمَّةِ عَظْمًا أَحَدٌ تَعْظِيمًا أَعْظَمَ مِمَّا عَظَّمُوا بِهِ وَلَا تَجِدُ غَيْرَهُمْ يُعَظِّمُ إِلَّا

بِقَدْرِ مَا وَافَقَهُمْ فِيهِ كَمَا لَا يُنْقِضُ إِلَّا بِقَدْرِ مَا خَالَفَهُمْ.

حَتَّى إِنَّكَ تَجِدُ الْمُخَالَفِينَ لَهُمْ كُلَّهُمْ وَقَتَ الْحَقِيقَةِ يُقَرُّ بِذَلِكَ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: «آيَةُ مَا بَيْنَنَا

وَبَيْنَهُمْ يَوْمَ الْجَنَائِزِ» فَإِنَّ الْحَيَاةَ بِسَبَبِ اشْتِرَاكِ النَّاسِ فِي الْمَعَاشِ يُعَظِّمُ الرَّجُلُ طَائِفَتَهُ فَأَمَّا وَقَتَ الْمَوْتِ

فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِعْتِرَافِ بِالْحَقِّ مِنْ عُمُومِ الْخَلْقِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني ليست هناك مصلحة تلحقه في اتباع جنازته، لا يذهب إليه إلا ليرى أنه كان على الحق.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلِهَذَا لَمْ يُعْرَفْ فِي الْإِسْلَامِ مِثْلُ جِنَازَتِهِ: مَسَحَ الْمُتَوَكَّلُ مَوْضِعَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ فَوَجَدَ أَلْفَ أَلْفٍ

وَسِتِّمِائَةَ أَلْفٍ؛ سِوَى مَنْ صَلَّى فِي الْخَانَاتِ وَالْبُيُوتِ وَأَسْلَمَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى عِشْرُونَ أَلْفًا.

وَهُوَ إِنَّمَا نَبَلَ عِنْدَ الْأُمَّةِ بِاتِّبَاعِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

الإمام الذهبي يُشكِّك فيما ذكره شيخه شيخ الإسلام في هذه القصة، يقول: هي حكاية مُنكرة، لا

أعلمُ أحدًا رواها إلا هذا الوركاني، والعقل يُحيل أن يقع مثل الحال في بغداد، ولا يرويه جماعةٌ تتوافر هممهم ودواعيهم على نقل ما هو دون ذلك بكثير.

يعني هذا العدد الكثير - عشرون ألف من اليهود - يبدو أن فيه كثير من المبالغة، ولكن شيخ الإسلام نقل ما نقل.

المهم هنا.. الإمام أحمد الذي كان ينتقل من سجنٍ إلى سجنٍ ومن نوعٍ إلى نوعٍ آخر من التعذيب، ما الذي جمع هذا الكم الهائل هذا العدد الغفير؟ ما الذي جمعهم على جنازته؟ حبُّهم له لا تبعاعه للسنة؛ ولأنه كان إمام أهل السنة في وقته بدون مُنازعٍ، فاتبعه للسنة، موقفه من السنة؛ هذا الذي جعل له هذه المكانة.

قال المصنف رحمه الله:

وَكَذَلِكَ الشَّافِعِيُّ وَإِسْحَاقُ وَغَيْرُهُمَا إِنَّمَا نَبَلُوا فِي الْإِسْلَامِ بِاتِّبَاعِ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

الشافعي شيخه، وإسحاق زميله، الشافعي من شيوخ الإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه بن زملائه، توفي قبله بثلاث سنوات، إسحاق سنة مائتين ثمانية وثلاثين.

قال المصنف رحمه الله:

وَكَذَلِكَ الْبُخَارِيُّ وَأَمْثَالُهُ إِنَّمَا نَبَلُوا بِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ مَالِكٌ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَالثَّوْرِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَغَيْرُهُمْ إِنَّمَا نَبَلُوا فِي عُمُومِ الْأُمَّةِ، وَقَبْلَ قَوْلِهِمْ لَمَّا وَافَقُوا فِيهِ الْحَدِيثَ وَالسُّنَّةَ، وَمَا تَكَلَّمَ فِيهِ مِنْهُمْ إِلَّا بِسَبَبِ الْمَوَاضِعِ الَّتِي لَمْ يَتَّفِقْ لَهُ مُتَابِعَتُهَا مِنَ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ إِذَا لَعَدَمَ بِلَاغَهَا إِيَّاهُ، أَوْ لِإِعْتِقَادِهِ ضَعْفَ دَلَالَتِهَا، أَوْ رُجْحَانِ غَيْرِهَا عَلَيْهَا.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

طبعاً هذه الثلاثة التي ذكرها شيخ الإسلام هي أكثر الأعدار التي يذكرها شيخ الإسلام عن الأئمة فعلاً، يقول: هم يثنون ويمدحون بما عندهم من السنة، وإن تكلم في أحدٍ منهم فإنما تكلم لأجل ما

كانت عنده بعض ما لم تكن من السُّنة.

لماذا هذا الإمام.. مثلاً الإمام أبو حنيفة مثلاً لماذا تُكلم فيه في هذه المسائل، وفي تلك المسائل؟

ولماذا لم يتبع السُّنة؟ هل عمداً؟ لا، لهذه الأمور الثلاثة:

إما لعدم بلاغه إياه، السُّنة لم تبلغه.

أو لاعتقاده ضعف دلالتها.

أو رجحان غيرها عليه.

هذه أعدار، وشيخ الإسلام له رسالة جميلة جداً "رفع الملام عن الأئمة الأعلام"، مع أنه يُتهم من

جميع المذاهب، الذي دافع عن الأئمة كلهم هو شيخ الإسلام.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ الْمَسَائِلُ الْإِعْتِقَادِيَّةُ الْخَبَرِيَّةُ؛ لَمْ يَنْبُلْ أَحَدٌ مِنَ الطَّوَائِفِ وَرُءُوسِهِمْ عِنْدَ الْأُمَّةِ إِلَّا بِمَا مَعَهُ مِنَ

الْإِبْتَاتِ وَالسُّنَّةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا كلامٌ مجمل، وقد فصله شيخ الإسلام من هنا، فصل بذكر بعض الفرق وفصل بذكر الاستقراء

وذكر التواريخ، وكان عجيباً في هذه الأمور، هو عجيبٌ في جميع الأمور، فاستقراؤه في مثل هذه الأمور

وفي غيرها لا تكاد تجده عند غيره!

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَالْمُعْتَزِلَةُ أَوْلَى - وَهُمْ فُرْسَانُ الْكَلَامِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

قوله: (وَهُمْ فُرْسَانُ الْكَلَامِ) المعتزلة في الحقيقة هم أئمة الكلام، سَبِقُوا إِلَى هَذَا الْمَنْهَجِ وَسَبَقَهُمُ

الجهمية، ولكن الجهمية تجد عندهم البدع ولكن لا تجد عندهم تلك القواعد التي أصلها المعتزلة

للتعامل مع النصوص التي خالفوها، المعتزلة هم الذين وضعوا الإطار العام لعلم الكلام، هم أئمتهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَالْمُعْتَزِلَةُ أَوْلَى - وَهُمْ فُرْسَانُ الْكَلَامِ - إِنَّمَا يُحْمَدُونَ وَيُعَظَّمُونَ عِنْدَ أَتْبَاعِهِمْ وَعِنْدَ مَنْ يُغْضِي عَنْ مَسَاوِيهِمْ لِأَجْلِ مَحَاسِنِهِمْ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(وَعِنْدَ مَنْ يُغْضِي عَنْ مَسَاوِيهِمْ) الذي يُغضون عن مساوئهم كثر، منهم تلاميذهم في علم الكلام، الذين تتلمذوا عليهم في علم الكلام ماذا عسى أن يقولوا فيهم الأشاعرة والماتريدية؟! ولكن أوائل الأشاعرة والماتريدية كانوا شديدين عليهم، أما المتأخرون فهم معهم كالصديق مع صديقه كما يذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في النونية.

يقول شيخ الإسلام الذي يُثني عليهم.. ولماذا سيثني عليهم؟ لما عندهم من شيء من الحق إذا قوبلوا بالروافض مثلاً.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

بِمَا وَافَقُوا فِيهِ مَذْهَبَ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ وَالسُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ وَرَدَّهُمْ عَلَى الرَّافِضَةِ بَعْضَ مَا خَرَجُوا فِيهِ عَنْ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ: مِنْ إِمَامَةِ الْخُلَفَاءِ

وَعَدَالَةِ الصَّحَابَةِ وَقَبُولِ الْأَخْبَارِ وَتَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَالْغُلُوفِ فِي عَلِيٍّ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً هكذا كانوا المعتزلة الأوائل، ولكن حصل هناك تناكر بينهم وبين الروافض واختلطت بعض هذه الأمور، ومع ذلك هم في مجموعهم أحسن من أولئك لا شك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ الشَّيْعَةُ الْمُتَقَدِّمُونَ كَانُوا يُرَجِّحُونَ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ بِمَا خَالَفُوهُمْ فِيهِ مِنْ إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ وَالْقَدْرِ وَالشَّفَاعَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(يرجحون) أو (يرجحون)، (يرجحون): يفضلون، أو (يرجحون): يفضلون.

هكذا كان أوائلهم، حتى وقع بعضهم في التجسيم كهشام بن الحكم، ولكن متأخريهم كما ذكرت بعد ما حصل التناكر بينهم وبين المعتزلة صاروا معطلة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ كَانُوا يَسْتَحْمِدُونَ بِمَا خَالَفُوا فِيهِ الْخَوَارِجَ مِنْ تَكْفِيرِ عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ وَغَيْرِهِمَا، وَمَا كَفَرُوا بِهِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الذُّنُوبِ وَيَسْتَحْمِدُونَ بِمَا خَالَفُوا فِيهِ الْمُرْجئةَ مِنْ إِدْخَالِ الْوَأَجِبَاتِ فِي الْإِيمَانِ. وَلِهَذَا قَالُوا بِالْمَنْزِلَةِ وَإِنْ لَمْ يَهْتَدُوا إِلَى السُّنَّةِ الْمَحْضَةِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

طبعاً هم الخوارج في الإيمان ولكنهم لا يكفرون علياً وعثمان، الخوارج أجمعوا كلهم على اختلاف طوائفهم أجمعوا على تكفير عليٍّ وعثمان، وهذا من المسائل المُجمعة بين الخوارج؛ الأمور التي أجمعوا عليها تكفير عليٍّ وعثمان.

وأوائل المعتزلة كانوا يخطئون، كانوا يقولون بأن إحدى الطائفتين من أهل الحكمين على الخطأ، كانوا هكذا يقولون ولكن لا يكفرون، لم يصلوا إلى ما وصل إليه أولئك من التكفير، وكذلك هم مثلهم في الإيمان ولكنهم في مسائل التكفير أخف منهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ مُتَكَلِّمَةُ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ مِثْلَ الْكُلَّابِيَّةِ وَالْكَرَّامِيَّةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ إِنَّمَا قُبِلُوا وَاتَّبِعُوا وَاسْتَحْمَدُوا إِلَى عُمُومِ الْأُمَّةِ بِمَا أَثْبَتُوهُ مِنْ أُصُولِ الْإِيمَانِ مِنْ إِثْبَاتِ الصَّانِعِ وَصِفَاتِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً الكلابية جاؤوا للرد على المعتزلة، وعبد الله بن سعيد بن كلاب من أقران الإمام أحمد، والكرامية أيضاً في طبقتهم كانوا في خراسان، محمد بن كرام السجستاني، كان في سجستان وتوفي في بيت المقدس، وكان هذا الكرامي كان يغلب عليه الجهل، ومع ذلك كان أقرب إلى أهل السنة من الأشاعرة؛ كان يثبت الصفات، وكان عدواً لدوداً للمتكلمين، غيرهم، وكذلك الأشاعرة؛ (إِنَّمَا قُبِلُوا وَاتَّبِعُوا

واستحمدوا إلى عموم الأمة بما أثبتوه من أصول الإيمان).

قال المصنف رحمه الله:

بما أثبتوه من أصول الإيمان وإثبات النبوة والرد على الكفار من المشركين.

قال الشارح وفقه الله:

إثبات الصانع وصفاته، وطبعاً المقام ليس مقام تفصيل، فهم يثبتون، الكرامية يثبتون أكثر الصفات،

أما الكلابية والأشعرية فيثبتون بعض الصفات.

قال المصنف رحمه الله:

والرد على الكفار من المشركين وأهل الكتاب وبيان تناقض حججهم وكذلك استحمدوا بما ردوه على الجهمية والمعتزلة؛ والرافضة والقدرية من أنواع المقالات التي يخالفون فيها أهل السنة والجماعة.

قال الشارح وفقه الله:

بالنسبة للكلابية والكرامية والأشاعرة، أكثر أئمتهم لهم كتب في الرد على المعتزلة، وخاصة أوائهم

والماتريدية أيضاً الذين لا يذكرهم شيخ الإسلام إلا نادراً؛ لأنهم كانوا فيما أرى أن مركزهم هناك، لا

يذكر إلا الأشاعرة، والأشاعرة والماتريدية قرييين، أئمتهم أكثرهم لهم أكثر من كتاب في الرد على

المعتزلة، هم كانوا مغرمين بالرد على أولئك، وإنما سقطوا فيما سقطوا لموافقتهم في بعض أصولهم،

يعني وافقوهم على بعض أصولهم، وإلا لهم ردود جميلة، ولكن لما يأتون إلى تقرير الحق هنا

يسقطون.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَحَسَنَاتُهُمْ نَوْعَانِ:

إِمَّا مُوَافَقَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ.

وَإِمَّا الرَّدُّ عَلَى مَنْ خَالَفَ السُّنَّةَ وَالْحَدِيثَ بِيَبَازٍ تَنَاقُضٍ حُجَجِهِمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا المعتزل مثلاً لما يرد على الرافضة مثلاً سيرد بما عند أهل السنة من الحق، وهكذا هذا الكلابي لما يرد على المعتزل بالحق الذي عند أهل السنة، وسيذكر الأدلة التي عند أهل السنة، وإذا لم يوافقهم في المسائل أو في الدلائل يكون مثلهم، ويحمد بما لديه من الحق، ويُرد عليه هو أيضاً بما عنده من الباطل.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَمْ يَتَّبِعْ أَحَدٌ مَذْهَبَ الْأَشْعَرِيِّ وَنَحْوَهُ إِلَّا لِأَحَدٍ هَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ أَوْ كِلَيْهِمَا، وَكُلُّ مَنْ أَحَبَّهُ وَانْتَصَرَ لَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَعُلَمَائِهِمْ فَإِنَّمَا يُحِبُّهُ وَيَنْتَصِرُ لَهُ بِذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هو شيخ الإسلام على هذه يذكر أمثلة فيما يتعلّق بالأشعري، ذكر كلاماً مجملاً عن الجميع، ثم خصّ الأشعري، ثم سيذكر الآن أمثلة ممن دافع عن الأشعري، ولكن بماذا دافع؟ بالسنة التي هي عند أهل السنة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَالْمُصَنِّفُ فِي مَنَاقِبِهِ الدَّافِعُ لِلطَّعْنِ وَاللَّعْنِ عَنْهُ - كَالْبِيهَقِيِّ؛ وَالْقَشِيرِيِّ أَبِي الْقَاسِمِ؛ وَابْنِ عَسَاكِرِ الدَّمَشَقِيِّ - إِنَّمَا يَحْتَجُّونَ لِذَلِكَ بِمَا يَقُولُهُ مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

ابن عساكر رَحِمَهُ اللهُ من المحدثين المعروفين، توفي سنة خمس مائة وفوق سبعين.. أربعة وسبعين...، ألف كتابه "تبيين كذب المفتري" ردّاً على أبي علي الأهوازي الذي ألف في مثالب أبي الحسن

الأشعري، ردّ عليه، ودافع عن الأشعري، دافع عنه بماذا؟ بكتابه "الإبانة" أو أودع كتاب "الإبانة" لأبي الحسن الأشعري أودعه في كتابه "تبيين كذب المفتري"؛ للتدليل على أن أبا الحسن الأشعري عقيدته مثل عقيدة الإمام أحمد، ويصرّح في مقدمة "الإبانة" أنه على مذهب الإمام أحمد، فيقول: أنت لما ترد عليه ترد عليه في ماذا؟ مذهبه هو مذهب أهل السنة وهو مذهب الإمام أحمد، يخاطب من؟ أبو علي الأهوازي وغيره ممن يطعن في أبي الحسن الأشعري. ودافع عنه بماذا؟ بموافقه للسنة، هذا فيما يتعلق بابن عساكر.

أما القشيري؛ فألف رسالة أسماها "شكاية أهل السنة"، هذه الرسالة ألّفها قبل فتنة البساسيري، تقريباً سنة أربعمائة... نسيت كم! هذه الرسالة وجّهها إلى الوزير عميد الدين -أظن- الكندري، -هناك منطقة اسمها قندر في إيران، أظن هذا كندري إذاً قد يكون، كندري- هذا كان وزيراً للسلطان طغرل بك السلجوقي، السلطان طغرل بك السلجوقي له منّة على الأمة الإسلامية عموماً؛ لأنه هو الذي أنهى الدولة الفاطمية التي كانت استولت على بغداد، سنة كاملة استولوا على بغداد بواسطة البساسيري.

طغرل بك أصدر فرماناً بلعن الأشاعرة، وكان وزيره هذا العميد كان معتزلياً، صور له مذهب الأشاعرة أنهم يقولون كذا وأنهم يقولون كذا، فأمر بلعنهم على المنابر، وهذا المعتزلي شوّه صورته ولمع صورته هو، على كل حال أمر بلعنهم، فأرسل له البيهقي رسالة ودافع فيها عن الأشعري، كيف تلعن الأشعري؟ لماذا تلعن الأشعري؟ وهذه الرسالة لم تنل ما كان يؤمّله البيهقي. المهم.. هو أمرهم، فلما كثرت الشكاوى جمعهم -جمع الأشاعرة- قالوا: ورد في مرسومك أن الأشاعرة يقولون كذا كذا ونحن لا نقول. فقال لهم: إذا كنتم تتبرّؤون من هذه الأقوال فأنا أمرت بلعن الذين يقولون بهذه الأقوال، الأشاعرة الذين يقولون. لم يرفع اللعن.

الذي رفع اللعن هو الوزير الذي جاء بعده، نظام الملك، سيذكره شيخ الإسلام هنا، رفع اللعن عن الأشاعرة؛ بل مكّنههم وألّف لهم جامعات التي سُمّيت بنظام النظامية، وأوكل إليهم الدفاع عن السنة والرد على الفاطميين، إليه يشير شيخ الإسلام هنا: **(فَالْمُصَنَّفُ فِي مَنَاقِبِهِ الدَّفْعُ لِلطَّعْنِ وَاللَّعْنِ عَنْهُ)؛**

لأنهم قد أمروا باللعن على المنابر بالاسم؛ كالبیهقي والقشيري وابن عساكر، إنما يحتجّون لذلك - أي لدفع اللعن - يحتجّون لذلك بما يقوله من أقوال أهل السنة والحديث.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

أَوْ بِمَا رَدَّهُ مِنْ أَقْوَالٍ مُخَالَفِيهِمْ لَا يَحْتَجُّونَ لَهُ عِنْدَ الْأُمَّةِ وَعُلَمَائِهَا وَأَمْرَائِهَا إِلَّا بِهَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ وَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَقْرَبِ بَنِي جِنْسِهِ إِلَى ذَلِكَ لَأَلْحَقُوهُ بِطَبَقَتِهِ الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا كَذَلِكَ كَشَيْخِهِ الْأَوَّلِ " أَبِي عَلِيٍّ ؛ وَوَلَدِهِ أَبِي هَاشِمٍ .

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يقول: (وَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَقْرَبِ بَنِي جِنْسِهِ)؛ أي من أقرب المتكلمين إلى السنة (لَأَلْحَقُوهُ بِطَبَقَتِهِ)؛ لأنه شيخه معتزلي ورفيق شيخه معتزلي، لم يلحقوهم بأولئك المعتزلة، وإنما دافعوا عنه وذكروا أنه يرد على أولئك، ولم يلحقوه بأولئك بالمعتزلة؛ بل دافعوا عن الأشعري.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

لَكِنَّ كَانَ لَهُ مِنْ مُوَافَقَةِ مَذْهَبِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ فِي الصِّفَاتِ؛ وَالْقَدْرِ وَالْإِمَامَةِ؛ وَالْفَضَائِلِ وَالشَّفَاعَةِ وَالْحَوْضِ وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ .

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

كل هذا ذكره في كتابه "الإبانة" وفي غيره.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَهُ مِنَ الرُّدُودِ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ وَالْقَدْرِيَّةِ؛ وَالرَّافِضَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَبَيَانِ تَنَاقُضِهِمْ: مَا أَوْجَبَ أَنْ يَمْتَارَ بِذَلِكَ عَنْ أَوْلِيَّكَ؛ وَيُعْرَفَ لَهُ حَقُّهُ وَقَدْرُهُ ﴿قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ وَبِمَا وَافَقَ فِيهِ السُّنَّةُ وَالْحَدِيثَ صَارَ لَهُ مِنَ الْقَبُولِ وَالْإِتِّبَاعِ مَا صَارَ. لَكِنَّ الْمُوَافَقَةَ الَّتِي فِيهَا قَهْرُ الْمُخَالَفِ وَإِظْهَارُ فَسَادِ قَوْلِهِ: هِيَ مِنْ جِنْسِ الْمُجَاهِدِ الْمُتَنَصِّرِ .

فَالرَّادُّ عَلَى أَهْلِ الْبِدْعِ مُجَاهِدٌ حَتَّى كَانَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى يَقُولُ: «الدَّبُّ عَنِ السُّنَّةِ أَفْضَلُ مِنَ الْجِهَادِ» .

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(يحيى بن يحيى) كثيرون، وكلهم مُحدِّثون، والمحقِّق هنا يقول: (هو التميمي النيسابوري)، هو من رواية «الموطأ»، من كبار رواة «الموطأ»، وعن طريقه يروي كثيرًا الإمام البخاري، يحيى بن يحيى النيسابوري، وهناك أيضًا يحيى بن يحيى إمام؛ وهو أيضًا من أشهر رواة الموطأ الليثي، الذي بروايته الآن موطأ الإمام مالك على الرواية الأشهر، هي رواية يحيى بن يحيى الليثي، قد يكون هذا أو ذاك، وكلاهما من الأئمة.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْمُجَاهِدُ قَدْ يَكُونُ عَدْلًا فِي سِيَاسَتِهِ وَقَدْ لَا يَكُونُ وَقَدْ يَكُونُ فِيهِ فُجُورٌ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ وَبِأَقْوَامٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هما حديثان، الأول أخرجه البخاري ومسلم، والثاني أخرجه النسائي في الكبرى، وهو حديث صحيح.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلِهَذَا مَضَتْ السُّنَّةُ بِأَنْ يُغْزَى مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذه الفقرة ذكرها شيخ الإسلام لما ذكر جهاد أبي الحسن الأشعري، ذكر أن الذي يرد على المبتدعة مثل المجاهد، والوسائل التي يستخدمها المجاهد قد يكون فيها مخالفة للشرع، والأدلة التي يذكرها أبو الحسن قد لا تكون كلها موافقة للسنة، ولكنه في جهاد، سبيله الجهاد، أما الأدلة فقد تكون موافقة، وقد لا تكون موافقة إذا قهر المخالف فمعناها أن أكثر الأدلة على السنة، وإلا المعتزلة سيقولون له: بماذا ترد عليه؟ إذا لم يرد عليه بالسنة، هو سيحتج عليهم.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْجِهَادُ عَمَلٌ مَشْكُورٌ لِصَاحِبِهِ فِي الظَّاهِرِ لَا مَحَالَةَ، وَهُوَ مَعَ النِّيَّةِ الْحَسَنَةِ مَشْكُورٌ بَاطِنًا وَظَاهِرًا

وَوَجْهٌ شُكْرُهُ: نَصْرُهُ لِلسُّنَّةِ وَالِدِّينِ فَهَكَذَا الْمُتَّصِرُ لِلِإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ يُشْكِرُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. فَحَمْدُ الرَّجَالِ عِنْدَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِحَسَبِ مَا وَاَفَّقُوا فِيهِ دِينَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ وَشَرَعَهُ مِنْ جَمِيعِ الْأَصْنَافِ؛ إِذِ الْحَمْدُ إِنَّمَا يَكُونُ عَلَى الْحَسَنَاتِ، وَالْحَسَنَاتُ: هِيَ مَا وَاَفَّقَ طَاعَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنَ التَّصَدِيقِ بِخَبَرِ اللَّهِ وَالطَّاعَةِ لِأَمْرِهِ، وَهَذَا هُوَ السُّنَّةُ. فَالْخَيْرُ كُلُّهُ - بِاتِّفَاقِ الْأُمَّةِ - هُوَ فِيمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

فَرَّقَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ هُنَا وَحَتَّى بَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ، الْمُجَاهِدِ، وَالْمَوْضُوعِ هُنَا: الرَّدَ عَلَى الْمُبْتَدِعَةِ، الَّذِينَ يَرُدُّونَ عَلَى الْمُبْتَدِعَةِ وَكَذَلِكَ الْمُجَاهِدُونَ لَيْسُوا كُلُّهُمْ سَوَاءً؛ فبَعْضُهُمْ عَلَى السُّنَّةِ فِي جَمِيعِ الْمَسَائِلِ، وَلِذَلِكَ لَهُمْ مِنَ الْحَمْدِ أَكْثَرُ، وَبَعْضُهُمْ بِحَسَبِهِ، فَلَهُ مِنَ الْحَمْدِ مَا يُنَاسِبُهُ، وَلَكِنْهُمْ كُلُّهُمْ مُشْكُورُونَ عَلَى قِيَامِهِمْ بِهَذَا الْوَاجِبِ، فَلَيْسَ دَخُولُهُمْ لِهَذَا الْمِيدَانِ يَجْعَلُهُمْ مُتَسَاوِينَ فِيهِ، لَا يُحْمَدُونَ حَتَّى فِي هَذَا الْمِيدَانِ إِلَّا بِمَا وَاَفَّقُوا فِيهِ السُّنَّةَ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَكَذَلِكَ مَا يُذَمُّ مَنْ يُذَمُّ مِنَ الْمُنْحَرِفِينَ عَنِ السُّنَّةِ وَالشَّرِيعَةِ وَطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَّا بِمُخَالَفَةِ ذَلِكَ، وَمَنْ تَكَلَّمَ فِيهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأَمْرَاءِ وَغَيْرِهِمْ إِنَّمَا تَكَلَّمَ فِيهِ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِمُخَالَفَتِهِ السُّنَّةَ وَالشَّرِيعَةَ، وَبِهَذَا ذَمَّ السَّلَفُ وَالْأئِمَّةُ أَهْلَ الْكَلَامِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ الصِّفَاتِيَّةَ كَابْنِ كَرَّامٍ، وَابْنِ كُلابٍ وَالْأشْعَرِيَّ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

نَفْسُهُمْ هُوَ لَاءَ الَّذِينَ ذُكِرُوا هُنَا فِي مَعْرُضِ الْمَدْحِ هُنَا يُذَكَّرُونَ فِي مَعْرُضِ الذَّمِّ، هُنَا ذُكِرُوا فِي مَعْرُضِ الْمَدْحِ؛ لَمَّا عِنْدَهُمْ مِنَ الْحَقِّ، وَلِرُدُودِهِمْ عَلَى مَنْ هُوَ أَبْعَدُ عَنِ السُّنَّةِ مِنْهُمْ، أَمَا هُنَا يُذَمُّونَ عَلَى مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْبَاطِلِ، وَخَاصَّةً إِذَا كَانُوا يُقَابِلُونَ أَهْلَ الْحَقِّ، يَنَاطِحُونَهُمْ، يَرُدُّونَ عَلَيْهِمْ، فَهَلْ سَيُمدحون؟! وَلِذَلِكَ يُذَمُّونَ.

الصِّفَاتِيَّةَ عَمُومًا لِقَبِّ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَنْ يَثْبِتُ شَيْئًا مِنَ الصِّفَاتِ، وَيَشْمَلُ أَهْلَ السُّنَّةِ وَغَيْرِهِمْ، بِمَا فِيهِمُ الْكَلَابِيَّةُ وَالشَّعْرِيَّةُ وَالْمَاتَرِيدِيَّةُ وَالْكَرَّامِيَّةُ وَأَهْلُ السُّنَّةِ كُلُّهُمْ يَدْخُلُونَ فِي هَذَا اللَّقْبِ، وَهَذَا اللَّقْبُ

يُذكر في مقابل المعطّلة، والصفاتية: كل مَنْ أثبت شيئاً من الصفات.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَا تَكَلَّمَ فِيهِ مَنْ تَكَلَّمَ مِنْ أَعْيَانِ الْأُمَّةِ وَأَيْمَتِهَا الْمَقْبُولِينَ فِيهَا مِنْ جَمِيعِ طَوَائِفِ الْفُقَهَاءِ؛ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ وَالصُّوفِيَّةِ إِلَّا بِمَا يَقُولُونَ إِنَّهُمْ خَالَفُوا فِيهِ السُّنَّةَ وَالْحَدِيثَ.

قال الشّارح وفقه الله:

لماذا ردّوا عليهم؟ لمخالفتهم السُّنَّةَ والحديث.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

لِخَفَائِهِ عَلَيْهِمْ أَوْ إِعْرَاضِهِمْ عَنْهُ أَوْ لِاقْتِضَاءِ أَصْلِ قِيَاسٍ - مَهْدُوهُ - رُدَّ ذَلِكَ كَمَا يَقَعُ نَحْوُ ذَلِكَ فِي الْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ.

قال الشّارح وفقه الله:

طبعاً هنا يذكر أسباب رفضهم، لماذا لم يكونوا على السُّنَّةِ؟ هنا ليس حديثه عن الأئمة، الأعذار التي ذكرها للأئمة كلها أعذار تُعذرهم بها، أما هنا بعض الأعذار هي ليست... لا تورّيهم مثلاً، لخفائه عليهم أو إعراضهم عنه، السُّنَّةُ واضحة ليست خفية ومع ذلك تُعرض عنها، أو لاقتداء أصل قياسي مهْدوه ردّ ذلك.. أي ردّ تلك السُّنَّةِ، ردّ ذلك الأصل الذي هو مثل السُّنَّةِ، حتى هذا ليس... عندك أصل يقتضي إبطال نص، إذاً هو باطل، لا بد أن ترجى إليه بالإبطال وليس إلى السُّنَّةِ، وهذا منهج أهل البدع، وهذه مناهج أهل البدع؛ ولذلك أعذارهم يعني هي أسباب وليست أعذار.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّ مُخَالَفَةَ الْمُسْلِمِ الصَّحِيحِ الْإِيمَانِ النَّصَّ إِنَّمَا يَكُونُ لِعَدَمِ عِلْمِهِ بِهِ أَوْ لِاعْتِقَادِهِ صِحَّةَ مَا عَارَضَهُ لَكِنْ هُوَ فِيمَا ظَهَرَ مِنَ السُّنَّةِ وَعَظْمِ أَمْرِهِ يَقَعُ بِتَفْرِيطٍ مِنَ الْمُخَالَفِ وَعُدْوَانٍ.

قال الشّارح وفقه الله:

يشير إلى هذا السبب، يعني هذه أعذار، ولكن -يعني فيما خفي من السُّنَّةِ نعم هذه الأعذار- ولكن

هو فيما ظهر من السُّنَّةِ -السُّنَّةُ واضحة وظاهرة- وعظم أمره لا يقع إلا بتفريطٍ من المخالفين وعدوان.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَيَسْتَحِقُّ مِنَ الدَّمِّ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ فِي النَّصِّ الْخَفِيِّ وَكَذَلِكَ فِيمَا يُوقِعُ الْفُرْقَةَ وَالْإِخْتِلَافَ؛ يَعْظُمُ فِيهِ أَمْرُ الْمُخَالَفَةِ لِلسُّنَّةِ.

وَلِهَذَا اهْتَمَّ كَثِيرٌ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْعُلَمَاءِ بِأَمْرِ الْإِسْلَامِ وَجِهَادِ أَعْدَائِهِ حَتَّى صَارُوا يَلْعَنُونَ الرَّافِضَةَ وَالْجَهْمِيَّةَ وَغَيْرَهُمْ عَلَى الْمَنَابِرِ؛ حَتَّى لَعَنُوا كُلَّ طَائِفَةٍ رَأَوْا فِيهَا بِدْعَةً. فَلَعَنُوا الْكُلَّابِيَّةَ وَالْأَشْعَرِيَّةَ: كَمَا كَانَ فِي مَمْلَكَةِ الْأَمِيرِ مَحْمُودِ بْنِ سَبِكْتِكِينَ فِي دَوْلَةِ السَّلَاجِقَةِ ابْتِدَاءً.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا معروف بـ(محمود الغزنوي) توفي سنة أربعمائة وواحد وعشرين، هو الذي فتح الهند، وهو من غزنة، غزنة هذه مدينة في وسط أفغانستان، وكانوا من هناك، ثم جاء الغوريون فأنها مملكتهم، وهم أيضاً قريبين من الغزليين.

محمود بن سبكتكين هذا كان من الملوك الذين على السُّنَّةِ، وهو الذي في مجلسه حصلت تلك المناظرة المعروفة وفيها ابن فورك رَحِمَهُ اللهُ، ابن فورك صاحب «مُشْكَلِ الْحَدِيثِ» توفي سنة أربعمائة وستة، ابن فورك ذكر أن إثبات العلو يستلزم منه كذا وكذا، فقال له محمود الأمير: إذا كان يستلزم شيئاً يلزم قائله لا يلزمنا شيء. فاغتمَّ بهذه الواقعة وخرج بما يليق بأمثاله، ويقولون: مات غمًّا وكمداً من...، فهو من الأمراء المعروفين بالسُّنَّةِ.

(وفي دولة السلاجقة ابتداءً) في دولة السلاجقة أيضاً كما ذكرت لكم عند الأمير طغرل بك قبل أن يأتي إلى بغداد أمر بلعن الأشاعرة والكُلابِيَّةِ، وهذا رُفِعَ بعد أن استوزر نظام الملك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ الْخَلِيفَةُ الْقَادِرُ؛ رَبَّمَا اهْتَمَّ بِذَلِكَ وَاسْتَشَارَ الْمُعْتَزِلَةَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَرَفَعُوا إِلَيْهِ أَمْرَ الْقَاضِي «أَبِي بَكْرٍ» وَنَحْوَهُ وَهَمُّوا بِهِ حَتَّى كَانَ يَخْتَفِي وَإِنَّمَا تَسْتَرَّ بِمَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَمُؤَافَقَتِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

الخليفة القادر رَحِمَهُ اللهُ من أحسن ملوك بني العباس، وفي وقته صارت فتنة البساسيري، أظن شيخ

الإسلام سيذكرها، قد نذكر قصة الفتنة هناك باختصار.

فالقادر كان شديداً على السُّنة؛ لأنه رأى بأم عينيه أن السُّنة كلها تُختطف، فأمر بلعنهم واستتاب المعتزلة، ورفعوا إليه أمر القاضي أبي بكر وهو الباقلاني، الباقلاني من أوائل الأشاعرة ومن أحسنهم، وممن كان يُدافع عن السُّنة في كتبه، ولكنه عنده هذه البليّة - علم الكلام -، فرفعوا إليه أمره وأنه يُستتاب ويُمنع من التدريس، وهمّوا به حتى كان يخفي، وإما تَسَّرَ بمذهب الإمام أحمد وموفقتة، وكان يكتب في رسائله وكتبه: محمد أبو بكر الحنبلي. هكذا كان يكتب.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ثُمَّ وَلَّى النَّظَامُ وَسَعَوْا فِي رَفْعِ اللَّعْنَةِ وَاسْتَفْتَوْا مَنْ اسْتَفْتَوْهُ مِنْ فُقَهَاءِ الْعِرَاقِ كَالدَّامَغَانِيِّ الْحَنْفِيِّ وَأَبِي إِسْحَاقِ الشَّيرَازِيِّ وَفَتَوَاهُمَا حُجَّةٌ عَلَى مَنْ بَخَّرَ اسَانَ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

طبعاً المحقق عندنا - جزاه الله خير - خدم الكتاب خدمة جليّة، يكتب هنا: نظام المُلْك توفى سنة خمسمائة وخمسة وثمانين، وهذا خطأ، هو يبدو الخمسة الأخيرة هذه أربعة، هذا الذي أنسب؛ لأن نظام المُلْك صار وزيراً سنة أربعمائة وواحد وخمسين أو سنة أربعمائة وخمسين، فهل عاش بعدها أكثر من مائة و...؟! هذا خطأ هذا الذي كتبه.

ولي الوزارة بعد الكُندري صاحب الفتنة، وكان معظماً للأشعرية وبنى لهم المدارس النظامية، فعلاً هو رفع اللعنة، وبنى هذه المدارس التي سميت بالمدارس النظامية، وفعلاً هي الجامعات، وكانت بمعنى الكلمة جامعات، وفوضها للأشاعرة، سلّمها للأشاعرة، وكانت من الأسباب التي مكّنت لانتشار... نظام المُلْك يريد أن يرد على الفاطميين، وظنّ أنهم هم أولى الناس وسلّم لهم.

-أنا تأكدت من تاريخ وفاته: أربعمائة وخمسة وثمانين - وساروا في رفع اللعنة واستفتوا مَنْ استفتوا من فقهاء العراق؛ كالدَّامَغَانِيِّ الْحَنْفِيِّ، الدَّامَغَانِيِّ توفى سنة أربعمائة وثمانية وسبعين، وأبو إسحاق الشرازي الفقيه المعروف، استفتوه في رفع اللعنة، لماذا استفتوه؟ كما يقول شيخ الإسلام: **(وفتواهما**

حجة على من بخراسان من الحنفية والشافعية). ما الذي حصل؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ أَبَا إِسْحَاقَ اسْتَعْفَى مِنْ ذَلِكَ فَأَلْزَمُوهُ وَأَفْتَوْا بِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِعُنْتِهِمْ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

هكذا أفتوا، ولكن الدليل:

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَيُعَزَّرُ مَنْ يُلْعَنُهُمْ وَعَلَّلَ الدَامِغَانِي: بِأَنَّهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَعَلَّلَ أَبُو إِسْحَاقَ - مَعَ ذَلِكَ - بِأَنَّ لَهُمْ ذَبًّا وَرَدًّا عَلَى أَهْلِ الْبِدْعِ الْمُخَالِفِينَ لِلسُّنَّةِ ^(٢). فَلَمْ يُمْكِنِ الْمُفْتِيَّ أَنْ يُعَلَّلَ رَفْعَ الدَّمِّ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ. وَكَذَلِكَ رَأَيْتُ فِي فَتَاوَى الْفَقِيهِ أَبِي مُحَمَّدٍ ^(٣) فَتَوَى طَوِيلَةً فِيهَا أَشْيَاءُ حَسَنَةٌ قَدْ سُئِلَ بِهَا عَنْ مَسَائِلَ مُتَعَدِّدَةٍ قَالَ فِيهَا، وَلَا يَجُوزُ شَغْلُ الْمَسَاجِدِ بِالْغِنَاءِ وَالرَّقْصِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

طبعًا كلامه الذي فيه الشاهد سيأتي، ولكن شيخ الإسلام ذكر من كلامه وفيه فوائد، يعني بهذه

المناسبة ذكر ما ليس فيه شاهد أيضًا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا يَجُوزُ شَغْلُ الْمَسَاجِدِ بِالْغِنَاءِ وَالرَّقْصِ وَمُخَالَطَةِ الْمُرْدَانِ وَيُعَزَّرُ فَاعِلُهُ تَعْزِيرًا بَلِيغًا رَادِعًا.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

هذا كان عند الصوفية.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمَّا لُبْسُ الْحَلَقِ وَالذَّمَالِجِ، وَالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ وَالتَّخْتُمِ بِالْحَدِيدِ وَالنُّحَاسِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

(٢) هذا هو الشاهد.

(٣) العز ابن عبد السلام.

(الدمالج) جمع الدملوج: الحلية التي تُحيط بالعضد.

(وَالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ وَالتَّخْتُمِ بِالْحَدِيدِ وَالنَّحَاسِ) كما يفعله الصوفية، هذا كله عند الصوفية.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَبِدْعَةٍ وَشُهْرَةٍ. وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَهِيَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ لِبَاسِ أَهْلِ النَّارِ وَهِيَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
إِنْ مَاتُوا عَلَى ذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لا زال الكلام له.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا يَجُوزُ السُّجُودُ لِغَيْرِ اللَّهِ مِنَ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ وَلَا تَقْبِيلُ الْقُبُورِ وَيُعَزَّرُ فَاعِلُهُ. وَمَنْ لَعَنَ أَحَدًا مِنْ
الْمُسْلِمِينَ عَزَّرَ عَلَى ذَلِكَ تَعْزِيرًا بَلِيغًا. وَالْمُؤْمِنُ لَا يَكُونُ لَعَانًا وَمَا أَقْرَبَ بِهِ مِنْ عَوْدِ اللَّعْنَةِ عَلَيْهِ قَالَ: وَلَا
تَحِلُّ الصَّلَاةُ عِنْدَ الْقُبُورِ وَلَا الْمَشْيُ عَلَيْهَا مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَلَا تُعْمَلُ مَسَاجِدَ لِلصَّلَاةِ فَإِنَّهُ اشْتَدَّ غَضَبُ
اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هنا ذكر النص، اقتبس، فهذا اقتباس من النص؛ (فإنه اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم
مساجد).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

قَالَ: وَأَمَّا لَعْنُ الْعُلَمَاءِ لِأَيِّمَةِ الْأَشْعَرِيَّةِ فَمَنْ لَعَنَهُمْ عَزَّرَ. وَعَادَتْ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ فَمَنْ لَعَنَ مَنْ لَيْسَ أَهْلًا
لِللَّعْنَةِ وَقَعَتْ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ. وَالْعُلَمَاءُ أَنْصَارُ فُرُوعِ الدِّينِ وَالْأَشْعَرِيَّةُ أَنْصَارُ أَصُولِ الدِّينِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أي هكذا قال، وهو من الأشاعرة المتعصبين العز ابن عبد السلام، يعني ذكر في فتاويه أشياء تستغريها
من عالم، وليس غريباً منه أن يقول: (وَالْعُلَمَاءُ أَنْصَارُ فُرُوعِ الدِّينِ وَالْأَشْعَرِيَّةُ أَنْصَارُ أَصُولِ الدِّينِ) قلب
القضية تماماً، يعني هم عنده أهل الأعذار، وهذا ليس دفاعاً وإنما قلباً للحقائق، ومع ذلك ذكره شيخ

الإسلام؛ ليستخلص من كلامه أنه يفتخر بأن عندهم السُّنة، سواءً هذا كان على ما يريده العز أو لا، العلماء كلهم أنصار فروع الدين والأشعرية أنصار أصول الدين.

يرد على الصوفية:

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

. قَالَ: وَأَمَّا دُخُولُهُمُ النَّيْرَانَ فَمَنْ لَا يَتَمَسَّكُ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّهُ فِتْنَةٌ لَهُمْ وَمَضَلَّةٌ لِمَنْ يَرَاهُمْ كَمَا يَفْتَتِنُ النَّاسَ بِمَا يَظْهَرُ عَلَى يَدَيْ الدَّجَالِ فَإِنَّهُ مَنْ ظَهَرَ عَلَى يَدَيْهِ حَارِقٌ، فَإِنَّهُ يُوزَنُ بِمِيزَانِ الشَّرْعِ.
فَإِنْ كَانَ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ كَانَ مَا ظَهَرَ عَلَى يَدَيْهِ كَرَامَةً وَمَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ كَانَ ذَلِكَ فِتْنَةً كَمَا يَظْهَرُ عَلَى يَدَيْ الدَّجَالِ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَيِّتِ وَمَا يَظْهَرُ مِنْ جَنَّتِهِ وَنَارِهِ. فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ لَا خَلْقَ لَهُ بِمَا يَظْهَرُ عَلَى يَدَيْ هَؤُلَاءِ. وَأَمَّا مَنْ تَمَسَّكَ بِالشَّرْعِ الشَّرِيفِ: فَإِنَّهُ لَوْ رَأَى مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ أَوْ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ؛ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ فِتْنَةٌ لِلْعِبَادِ. انْتَهَى.

فَالْفَقِيهُ أَبُو مُحَمَّدٍ أَيْضًا إِنَّمَا مَنَعَ اللَّعْنَ وَأَمَرَ بِتَعْزِيرِ اللَّاعِنِ لِأَجْلِ مَا نَصَرُوهُ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ وَهُوَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ مُوَافَقَةِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فِي كُتُبِهِمْ وَمُصَنَّفَاتِهِمْ قَبْلَ وُقُوعِ الْفِتْنَةِ الْقَشِيرِيَّةِ بِبَغْدَادَ .

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

نعم، لا زلنا مع الانتصار لأهل الأثر، وبعد أن ذكر شيخ الإسلام كلام العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللهُ ذكر كلام الشيخ أبي إسحاق، أبي إسحاق هو الشرازي، يقول: (إنما نفقت الأشعرية) يعني مشيت واستحمدت، (عند الناس بانتسابهم إلى الحنابلة) لو لم ينتسبوا إلى الحنابلة لم يكن لهم ذلك الذيوع والانتشار، (وهذا ظاهرٌ عليه وعلى أئمة أصحابه في كتبهم ومصنفاتهم قبل وقوع الفتنه القشيرية ببغداد): الفتنه القشيرية هي هذه الفتنه التي حصلت بعد الأمر بلعن الأشاعرة والتي كتب فيها أبو القاسم القشيري كتابه "شكاية أهل السنة" وفي هذه الفتنه خرج الجويني أبو المعالي إمام الحرمين، خرج من هناك وذهب إلى الحجاز واستوطنها تقريباً أربع سنوات؛ وبذلك لقب إمام الحرمين وإلا هو ليس إماماً لأي من الحرمين، سكن هناك أربع سنوات فلُقب بإمام الحرمين، ليس هو من أئمة الحرمين. قبل هذه الفتنه كان هناك نوع من التقارب بين هؤلاء وهؤلاء.

(ولهذا قال أبو القاسم بن عساكر في مناقبه) يقصد كتابه "تبيين كذب المفتري" الذي ألفه في مناقب

أبي الحسن الأشعري.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلِهَذَا قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ عَسَاكِرٍ فِي مَنَاقِبِهِ: «مَا زَالَتْ الْحَنَابِلَةُ وَالْأَشَاعِرَةُ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ مُتَّفِقِينَ غَيْرَ

مُفْتَرِقِينَ حَتَّى حَدَثَتْ فِتْنَةُ ابْنِ الْقَشِيرِيِّ، ثُمَّ بَعْدَ حُدُوثِ الْفِتْنَةِ وَقَبْلَهَا لَا تَحْدُ مِنْ يَمْدَحِ الْأَشْعَرِيِّ بِمَدْحَةٍ؛

إِلَّا إِذَا وَافَقَ السُّنَّةَ وَالْحَدِيثَ وَلَا يَذْمُهُ مَنْ يَذْمُهُ إِلَّا بِمُخَالَفَةِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

قبل الفتنه وبعد الفتنه، من يمدحه بموافقة السنة والحديث، والذي يذمه ويرد عليه يذمه بمخالفته

للسنة والحديث، فالسنة والحديث والأدب هي المعيار للمدح.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا إِجْمَاعٌ مِنْ جَمِيعِ هَذِهِ الطَّوَائِفِ عَلَى تَعْظِيمِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ وَاتِّفَاقِ شَهَادَاتِهِمْ عَلَى أَنَّ الْحَقَّ فِي ذَلِكَ، وَلِهَذَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ مُوَافِقَةً لِأَيُّمَةِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِهِمْ مِمَّنْ هُوَ دُونَهُ. فَالْأَشْعَرِيُّ نَفْسُهُ لَمَّا كَانَ أَقْرَبَ إِلَى قَوْلِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَمَنْ قَبْلَهُ مِنْ أَيْمَةِ السُّنَّةِ كَانَ عِنْدَهُمْ أَكْثَرَ مِنْ أَتْبَاعِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

بهذا العرض عرفنا، علمنا: أن من كان على السنة يُمدح وله من المدح نظير ما لديه من السنة، إذا كان على السنة تماماً فله من المدح أكثر، وإذا كانت عنده شيء من السنة فله من المدح نظيره، وإذا كانت السنة عنده قليلة فله من المدح ما يقابله. وكذلك الذم بموافقة السنة ومخالفة السنة: إذا كان يُخالِفُ السنة أكثر؛ فله من الذم ما يُمَاتِلُهُ، وإذا كانت مُخَالَفَتُهُ لِلسُّنَّةِ أَقَلَّ فَلَهُ مِنَ الذَّمِّ مَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ.

يقول: (وَلِهَذَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ مُوَافِقَةً لِأَيُّمَةِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِهِمْ مِمَّنْ هُوَ دُونَهُ).

نعم هذا الآن يُمَثَلُ لَهُ.

(فَالْأَشْعَرِيُّ نَفْسُهُ لَمَّا كَانَ أَقْرَبَ إِلَى قَوْلِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَمَنْ قَبْلَهُ مِنْ أَيْمَةِ السُّنَّةِ كَانَ عِنْدَهُمْ أَكْثَرَ مِنْ أَتْبَاعِهِ)

وَأَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ يُمدح ويمدحه أهل السنة ويمدحه من يزعم أنه على طريقته، أهل السنة يمدحونه بما عنده من السنة وهو فعلاً أقرب الناس إلى أهل السنة والجماعة، ولم تبق عندهم إلا بعض الرواسب وإلا الرجل كان بعد ما ترك الاعتزال كان شديد الانتماء للسنة حريصاً عليها جداً وكان مُسْتَمِرّاً فِي تَحْسِنِهِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْبَاقِلَانِيِّ لَمَّا كَانَ أَقْرَبَهُمْ إِلَى ذَلِكَ كَانَ أَعْظَمَ عِنْدَهُمْ مِنْ غَيْرِهِ.
وَأَمَّا مِثْلُ الْأُسْتَاذِ أَبِي الْمَعَالِيِّ، وَأَبِي حَامِدٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

الباقلاني يُمثل مرحلة، ذكره هنا ليس لوحده هو يُمثل مرحلة، وهذه المرحلة هي الطبقة الأولى من الأشاعرة، والطبقة الأولى من الأشاعرة هي كانت على المرحلة الثانية من مراحل الأشعري نفسه، الأشعري أبو الحسن رَحِمَهُ اللهُ كان من سيء إلى أحسن، والأشاعرة بالعكس.

فالطبقة الثانية من مراحل أبي الحسن هي الطبقة الكلابية، وعليها الباقلاني وغيره، وهذه الطبقة لا شك أنها أقرب إلى السنة ممن بعدها، وعند هؤلاء تنتهي هذه الطبقة - الطبقة الثانية -، الطبقة الأولى من طبقات الأشعرية، ليس الأشعري؛ الأشعري طبقاته غير والأشاعرة طبقاتهم غير.

(وَأَمَّا مِثْلُ الْأُسْتَاذِ أَبِي الْمَعَالِيِّ) الأستاذ أبو المعالي هو الجويني - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - توفي سنة أربع مائة وثمانية وسبعين، أمَّا (أبو حامد) فهو الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - توفي سنة خمس مائة وخمسة.

والجويني شيخ الغزالي، وعدهم طبقة واحدة - شيخ الإسلام -، وهذا هو الصحيح ولكن الأشهر أن الطبقة الثانية من طبقات الأشاعرة يُمثلها الجويني - هذا هو الأشهر -.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَنَحْوِهِمَا مِمَّنْ خَالَفُوا أُصُولَهُ فِي مَوَاضِعَ، فَلَا تَجِدُهُمْ يُعْظَمُونَ إِلَّا بِمَا وَافَقُوا فِيهِ السُّنَّةَ وَالْحَدِيثَ،
وَأَكْثَرُ ذَلِكَ تَقَلُّدُهُ مِنْ مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ فِي الْفِقْهِ الْمُوَافِقِ لِلْسُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ وَمِمَّا ذَكَرُوهُ فِي الْأُصُولِ مِمَّا
يُؤَافِقُ السُّنَّةَ وَالْحَدِيثَ وَمَا رَدُّهُ مِمَّا يُخَالِفُ السُّنَّةَ وَالْحَدِيثَ، وَبِهَذَا الْقَدْرِ يَنْتَحِلُونَ السُّنَّةَ وَيَنْحَلُونَهَا وَإِلَّا
لَمْ يَصِحَّ ذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

كما قلت: هؤلاء يُمثلون الطبقة الثانية من طبقات الأشاعرة، ولم يذكر شيخ الإسلام الطبقة الأخيرة التي يُمثلها الرازي ومن بعده وهي الأشعرية التي فيها كثير من التفلسف.

فهؤلاء يُعظَّمون ويُمدَّحون ويُستحمدون، والأمة تُعظَّمهم وتحمدهم بماذا؟ بما عندهم من الحق وما عندهم من السنة، ويزمون بمخالفتهم للسنة.

إذن ما الذي جعل أبو الحسن أكثر مدحًا؟ يستحق من المدح أكثر ويليه الباقلاني يليه هؤلاء - الجويني وتلميذه-؟ موافقة السنة ومخالفتها، هذه هي المعيار.

(وكانت الرفضة والقرامطة علماؤها وأمرؤها قد استظهرت في أوائل الدولة السلجوقية) هذا لا

يصح، يبدو أن هناك خطأ، هي البويهية وليست السلجوقية؛ لأن السلجوقية ستأتي، يبدو هناك خطأ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

قَدْ اسْتَظْهَرَتْ فِي أَوَائِلِ الدَّوْلَةِ السَّلْجُوقِيَّةِ حَتَّى غَلَبَتْ عَلَى الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَأَخْرَجَتْ الْخَلِيفَةَ الْقَائِمَ بِبَعْدَادَ إِلَى تَكْرِيتٍ وَحَبَسُوهُ بِهَا فِي فِتْنَةِ البَسَاسِيرِيِّ الْمَشْهُورَةِ، فَجَاءَتْ بَعْدَ ذَلِكَ السَّلْجُوقِيَّةُ حَتَّى هَزَمُوهُمْ وَفَتَحُوا الشَّامَ وَالْعِرَاقَ وَقَهَرُوهُمْ بِخُرَاسَانَ وَحَجَرُوهُمْ بِمِصْرٍ. وَكَانَ فِي وَقْتِهِمْ مِنَ الْوُزَرَاءِ مِثْلُ: (نِظَامِ الْمَلِكِ) وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مِثْلُ: (أَبِي الْمَعَالِيِّ الْجُوَيْنِيِّ) فَصَارُوا بِمَا يُقِيمُونَهُ مِنَ السُّنَّةِ وَيُرُدُّونَهُ مِنْ بَدْعَةٍ هَؤُلَاءِ وَنَحْوِهِمْ لَهُمْ مِنَ الْمَكَانَةِ عِنْدَ الْأُمَّةِ بِحَسَبِ ذَلِكَ. وَكَذَلِكَ الْمُتَأَخَّرُونَ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكِ الَّذِينَ وَافَقُوهُ: كَأَبِي الْوَلِيدِ الْبَاجِي وَالْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْعَرَبِيِّ وَنَحْوِهِمَا لَا يُعْظَمُونَ إِلَّا بِمُؤَافَقَةِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ، وَأَمَّا الْأَكَابِرُ: مِثْلُ ابْنِ حَبِيبٍ وَابْنِ سَحْنُونَ وَنَحْوِهِمَا؛ فَلَوْنُ آخَرُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

ذكر شيخ الإسلام هنا أن -أشار- إلى فتنة البساسيري وذكرت لكم أن هذه كانت أربعمئة وخمسين، والبساسيري كان قائد البويهيين قائد السلطان، لأن الدولة كانت بيد البويهيين، استمرت دورتهم تقريباً مائة وسبعة وعشرين سنة، وجاء السلاجقة وأمحو دولتهم، واستمرت دولتهم دهرًا - السلاجقة-، ثم جاء العثمانيون.

المهم أن البساسيري قد أخرج الخليفة القائم القادر وذهبوا به إلى الموصل، وكان هناك تقريباً سنة كاملة ثم تغلب السلاجقة "طغرل بك" تغلب على الأمور وتعقب البساسيري وقتله سنة أربعمئة وواحد

وخمسين، وأرجع الخليفة بعد سنة كاملة أرجعه إلى بغداد.

ويُريد شيخ الإسلام ذكر هذه الوقائع أن من يُذكر بالمدح ويُحمد إنمَّا هذا لمَّا له من المواقف المُشرفة في السُّنة، السَّلاجقة هؤلاء هم الذين سلَّطوا الأشاعرة على الأمة، ولكن مع ذلك هذه الحسنة لهم في الأمة كلها، وإلَّا كانت دولة بني العباس قد انتهت سنة أربعمئة وخمسين، وكانت الخطب باسم العبيدين، وكان يُريد أن يأتي بالعبيدين إلى بغداد حتى يُبايع له على أنه أمير المؤمنين وعلى أنه خليفة المسلمين، فجهودهم أخرت بقاء الخلافة تقريباً مائتي سنة - السلاجقة -، وكانوا يُعظِّمون السُّنة، طبعاً هم عوام، ولكنهم يُعظِّمون السُّنة جدًّا، وظنَّوا أن هؤلاء الأشاعرة هم الذين سيُدافعون عن السُّنة؛ ولذلك مكنوهم من الجامعات التي أنشئوها، أول جامعة أنشئت في نيسابور سنة أربعمئة وسبعة وخمسين، جامعة ضخمة، وكان كبير مدرسيها الجويني، وكان الغزالي يحلِّم أن يُدرِّس فيها أو يكون كبير المُدرسين فيها، فلم يُكتب له؛ لوجود شيخه؛ فذهب إلى بيت المقدس، ورجع من هناك بعد سنوات، وعلى كل حال هو درس في المدارس النظامية.

المدارس النظامية كما قلت هي الجامعات.

السلاجقة - رحمهم الله - لهم هذه الحسنة على الأمة لا تُنسى، ومن ملوكهم أرسلان، الذي هزم الروم في مواقع متتالية، وكان الإسلام عزيزاً أيام دولته - السلاجقة -.

أمَّا المتأخرون هؤلاء من أصحاب مالك الذين وافقوه؟ وافقوا من؟ الأشعري، وافقوا مالك كأبي الوليد الباجي.

أبو الوليد الباجي توفي سنة أربعمئة وأربعة وسبعين عنده من السُّنة كثير.

وكذلك القاضي أبو بكر بن العربي مع أنهما يميلان إلى التمشعر، أبو بكر بن العربي أشعري، أمَّا الثاني أقل منه، ابن العربي توفي سنة خمسماية وثلاثة وأربعين، هؤلاء لا يُعظِّمون إلَّا بموافقة السُّنة والحديث.

كتاب ابن العربي الذي ألفه في الدفاع عن الصحابة، كتاب ابن العربي: "العواصم والقواصم" كتاب

جميل، أمّا الأكاير مثل ابن حبيب، ابن حبيب - من تلاميذ مالك نفسه - وابن سحنون، ابن حبيب تُوفي سنة مائتين وثمانية وثلاثين وابن سحنون أيضًا قريب منه.

هؤلاء يقول شيخ الإسلام: (فلونٌ آخر) أولئك أئمة في السنة، لم يدخلوا في شيء مما دخل فيه هؤلاء المتأخرون، أمّا المتأخرون فيهم وفيهم؛ ولذلك يُمدحون ويُذمون، أمّا أولئك فلونٌ آخر، شأنهم يختلف عن شأن هؤلاء.

(وَكذلك أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ) ابن حزم كلام شيخ الإسلام فيه في هذا الموضوع كأنه يُلخص ما له وما عليه، ولذلك كلامه هنا عن ابن حزم مهم، وابن حزم الذي لم يترك أحدًا لم يتركه أحد، ما ترك أحد؛ ولذلك لم يتركه أحد، ولا زالوا يبحثون في أصول الفقه هل خلاف ابن حزم من خوارج الإجماع أو لا؟ سبحان الله فقيه من أكابر الفقهاء ولكنّه لأجل حبه للمنطق اندخلت في عقيدته أمور تستغربها، وهذه بلية المنطق، بلية الفلسفة، وإلا الرجل دفاعه عن السنة حتى شيخه ابن عبد البر كلامه في الدفاع عن السنة ليس مثل ابن حزم أبدًا، في القرن الذي هو فيه الذي دافع عن السنة وعن خبرٍ واحد لا تجد مثله أحدًا، أنا أتحدث حسب عصره؛ ولذلك ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - لما جاء إلى الطاغوت الرابع من طواغيت المُبتدعة: القول بظنية أخبار الآحاد، وأراد أن يُقرر هذه المسألة نقل كلام ابن حزم بحذافيره، نقله بأمانة، بغاية من الأمانة، وتعرف هذه الأمانة؛ لأنّه نقل في كلامه ما لا يقول به ابن القيم - النفي بالقياس - فإذن نقله بهذه الأمانة وهكذا أهل السنة عندهم أمانة، ليس عندهم غدر وتأليف من عندهم.

المهم نقل كلامه؛ لأن كلامه فعلاً كلامٌ قوي جدًّا، فمواقف الناس في هذا الرجل لا تكاد تجد فيها عدل وإنصاف.

لاحظوا ماذا يقول فيه شيخ الإسلام - طبعًا توفي سنة أربعمئة وستة وخمسين، وولِدَ هو بالكاد يعترف لابن أبا البر وما أذكر من يعترف له غيره - ابن عبد البر هو قرينه وتوفي بعده، وولِدَ قبله وتوفي بعده.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فِيمَا صَنَّفَهُ مِنَ الْمِلَالِ وَالنَّحْلِ إِنَّمَا يُسْتَحَمَدُ بِمُؤَافَقَةٍ

السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ مِثْلَ مَا ذَكَرَهُ فِي مَسَائِلِ الْقَدْرِ وَالْإِزْجَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ بِخِلَافِ مَا أَنْفَرَدَ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ فِي

التَّفْضِيلِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

النبي ﷺ أفضل الصحابة جميعاً، له كتاب "الدرة فيما يجب اعتقاده" تمنيت أن هذا الكتاب لم يصدر قط، سبحان الله، وله كتاب أسوأ منه والحمد لله للآن لم يتتشر، كتاب في المنطق يرى فيه أنه يجب تعلم المنطق، اطلعت عليه في النوادر في مكتبة الجامعة الإسلامية، في النوادر التي طبعت قديماً، والتي ليست لها أيضاً نسخة - نسختين؛ يضعونها في النوادر.

ولكنه كتاب "الممل والنحل" قدم له بمقدمة في الاعتقاد وما ذكره هنا أحسن مما ذكره في "الدرة"، ما ذكره هنا لا تكاد تجد شيئاً خالف السنة، أمّا هناك كثير.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَنَحْوِ ذَلِكَ بِخِلَافِ مَا أَنْفَرَدَ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ فِي التَّفْضِيلِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ. وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ فِي بَابِ الصِّفَاتِ فَإِنَّهُ يُسْتَحْمَدُ فِيهِ بِمُوَافَقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ لِكَوْنِهِ يَنْبُتُ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ وَيُعَظَّمُ السَّلْفَ وَأَيْمَةَ الْحَدِيثِ، وَيَقُولُ إِنَّهُ مُوَافِقٌ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي «مَسْأَلَةِ الْقُرْآنِ» وَغَيْرِهَا، وَلَا رَيْبَ أَنََّّهُ مُوَافِقٌ لَهُ وَلَهُمْ فِي بَعْضِ ذَلِكَ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

هكذا يقول ولكن شيخ الإسلام يُعلق ويقول؟

(وَلَا رَيْبَ أَنََّّهُ مُوَافِقٌ لَهُ وَلَهُمْ فِي بَعْضِ ذَلِكَ)، حسب زعمه هو موافق هذا الذي يعترف به وهذا

الذي يُريده، ولكن بعض التقسيمات التي ذكرها ابن القيم في "النونية".

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

لَكِنَّ الْأَشْعَرِيَّ وَنَحْوَهُ أَعْظَمُ مُوَافَقَةً لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأَيْمَةِ فِي الْقُرْآنِ وَالصِّفَاتِ، وَإِنْ كَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ فِي مَسَائِلِ الْإِيمَانِ وَالْقَدْرِ أَقْوَمَ مِنْ غَيْرِهِ، وَأَعْلَمَ بِالْحَدِيثِ وَأَكْثَرَ تَعْظِيمًا لَهُ وَلَا أَهْلِهِ مِنْ غَيْرِهِ، لَكِنَّ قَدْ كَانَ خَالَطَ مِنْ أَقْوَالِ الْفَلَسَفَةِ وَالْمُعْتَزَلَةِ فِي مَسَائِلِ الصِّفَاتِ مَا صَرَفَهُ عَنِ مُوَافَقَةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي مَعَانِي مَذْهَبِهِمْ فِي ذَلِكَ، فَوَافَقَ هُوَ لَاءِ فِي اللَّفْظِ وَهُوَ لَاءِ فِي الْمَعْنَى.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هُوَ أَعْلَمُ بِالْحَدِيثِ وَأَكْثَرَ تَعْظِيمًا لِلْحَدِيثِ وَلَا أَهْلِهِ مِنْ غَيْرِهِ، مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ لَا مُقَارَنَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيَّ، وَلَكِنَّهُ فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ اشْتَقَّ وَأَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيَّ يُوَافِقُ السُّنَّةَ فِيهَا وَابْنُ حَزْمٍ أَبْعَدَ عَنِ السُّنَّةِ فِيهَا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَبِمِثْلِ هَذَا صَارَ يَذْمُهُ مَنْ يَذْمُهُ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَعُلَمَاءِ الْحَدِيثِ بِاتِّبَاعِهِ لِظَاهِرِ لَا بَاطِنَ لَهُ كَمَا نَفَى الْمَعَانِي فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالِاشْتِقَاقِ وَكَمَا نَفَى خَرَقَ الْعَادَاتِ وَنَحْوَهُ مِنْ عِبَادَاتِ الْقُلُوبِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يَعْنِي هُنَا يُوَافِقُ الْمُعْتَزَلَةَ؛ لِأَنَّ الْمُعْتَزَلَةَ نَفَوْا كِرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ قَالُوا: إِذَا أُثْبِتْنَا كِرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ فَيَخْتَلَطُ هَذَا بِالْمُعْجَزَاتِ -مُعْجَزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ- لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْخَوَارِقَ كُلَّهَا بَابٌ وَاحِدٌ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُمَيِّزُونَ بَيْنَ خَوَارِقِ الْكِرَامَاتِ وَخَوَارِقِ الْمُعْجَزَاتِ، وَالْخَوَارِقُ تَخْتَلَفُ:

فَهُنَاكَ خَوَارِقُ لِلزَّمَنِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ، قَدْ يَأْتِي زَمَنٌ تَكُونُ هَذِهِ الْأُمُورُ عَادِيَّةً، لَوْ قِيلَ لِلنَّاسِ فِي الزَّمَنِ الْغَابِرِ: (أَنْ بَيْتًا عَظِيمًا سَيَطِيرُ بِكَذَا....)؛ لِاسْتِغْرَبُوا، الْآنَ شَيْءٌ عَادِيٌّ، فَقَدْ تَكُونُ هُنَاكَ خَوَارِقُ لِبَنِي الْجِنْسِ، وَقَدْ تَكُونُ هُنَاكَ خَوَارِقُ لِلْعَصْرِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ، وَقَدْ يَأْتِي عَصْرٌ تَكُونُ هَذِهِ الْأُمُورُ عَادِيَّةً، وَلَكِنَّ الْمُعْجَزَاتِ تَكُونُ خَارِقٌ لِلْبَشَرِ بَلْ وَلِجَمِيعِ....، لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَأْتِيَ إِلَّا مِنْ اللَّهِ ﷻ.

فَالْمُعْجَزَاتُ: مُعْجَزَةٌ مِثْلًا الْقُرْآنَ إِلَى الْآنَ الْبَابُ مَفْتُوحٌ، وَكَذَلِكَ مُعْجَزَاتُ عِيسَى ﷺ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ

يأتي عصر تكون هذه الخوارق قد تمهدت لغيرها، أبداً ما يُمكن.

أما الكرامات فالخوارق تختلف، وهم جعلوا الباب واحداً؛ ولذلك قالوا: "إذا قلنا بالكرامات هذا يلتبس بالمُعجزات؛ فأنكروها، ومعهم الأشاعرة ولكنهم يُثبتون الكرامة، ولكن الخوارق كلها باب واحد عندهم كلها.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

مَضْمُومًا إِلَى مَا فِي كَلَامِهِ مِنَ الْوَقِيعَةِ فِي الْأَكَابِرِ وَالْإِسْرَافِ فِي نَفْيِ الْمَعَانِي وَدَعْوَى مُتَابَعَةِ الظُّوَاهِرِ. وَإِنْ كَانَ لَهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالِدِّينِ وَالْعُلُومِ الْوَاسِعَةِ الْكَثِيرَةِ مَا لَا يَدْفَعُهُ إِلَّا مُكَابِرٌ؛ وَيُوجَدُ فِي كُتُبِهِ مِنْ كَثْرَةِ الْإِطْلَاعِ عَلَى الْأَقْوَالِ وَالْمَعْرِفَةِ بِالْأَحْوَالِ؛ وَالتَّعْظِيمِ لِدَعَائِمِ الْإِسْلَامِ وَلِجَانِبِ الرِّسَالَةِ مَا لَا يَجْتَمِعُ مِثْلُهُ لِغَيْرِهِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

نعم هذه شهادة من (وَيُوجَدُ فِي كُتُبِهِ مِنْ كَثْرَةِ الْإِطْلَاعِ عَلَى الْأَقْوَالِ وَالْمَعْرِفَةِ بِالْأَحْوَالِ وَالتَّعْظِيمِ لِدَعَائِمِ الْإِسْلَامِ وَلِجَانِبِ الرِّسَالَةِ مَا لَا يَجْتَمِعُ مِثْلُهُ لِغَيْرِهِ) فعلاً علمه أمّا تقرأ في "المحلى" وهو مُلخص من "المجلى" الذي لم يُطبع إلى الآن، هذا مُلخص، خلاصة "المجلى": "المحلى" تكون أمام بحر، لا يُكدر وضعك إلا ألفاظه التي ينبو فيها وخاصةً في حق الأئمة.

أمّا تعظيمه للسنة: فشيء لا تكاد تجده، ابن عبد البر - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - في وقته يقول: "بأنَّ خبر الواحد إذا صح فيجبُ العمل بهش ولا يُفيد اليقين" ابن عبد البر إمام أهل السنة في ذلك الوقت، ابن حزم يقول: "لا، يجب العمل بهش وهو يُفيد العمل، لماذا لا يُفيد العمل" هل لأنَّ فلاناً شكك فيها؟ فقوله فيها أحسن بكثير من أقول أمثال ابن عبد البر.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَالْمَسْأَلَةُ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا حَدِيثٌ يَكُونُ جَانِبُهُ فِيهَا ظَاهِرُ التَّرْجِيحِ. وَلَهُ مِنَ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالضَّعِيفِ وَالْمَعْرِفَةِ بِأَقْوَالِ السَّلَفِ مَا لَا يَكَادُ يَقَعُ مِثْلُهُ لِغَيْرِهِ مِنَ الْفُقَهَاءِ. وَتَعْظِيمِ أُمَّةِ الْأُمَّةِ وَعَوَامِّهَا لِلسُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ فِي الْأَصُولِ وَالْفُرُوعِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ: أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُذَكَرَ هُنَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذه أمثلة ذكر فيها شيخ الإسلام أن هؤلاء المذكورين وغيرهم يُمدحون فقط لموافقتهم للمعتزلة لولا عندهم من هذه السنة التي يُخالفون بها أحياناً الخوارج وأحياناً الرافضة لم يكن لمدحهم موقع، أليس كذلك؟

وكذلك الخوارج لما يكونون في مقابلة الباطنية مثلاً، وهكذا، فالذي يُمدح؛ يُمدح لموافقته للسنة ويُذم؛ لمُخالفته للسنة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَتَجِدُ الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ كُلَّمَا ظَهَرَ وَقَوِيَ كَانَتْ السُّنَّةُ وَأَهْلُهَا أَظْهَرَ وَأَقْوَى وَإِنْ ظَهَرَ شَيْءٌ مِنَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ ظَهَرَتْ الْبِدْعُ بِحَسَبِ ذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

شيخ الإسلام في عموم كتبه يربط بين عز الإسلام وأهله وبين ظهور السنة، من النادر أن تجد هذا لمن يكتب، دائماً يربط بين هذا وهذا، يربط بين عز الإسلام وأهله وبين ظهور السنة وخفائها، ويربط الوقائع، وله في ذلك.... -يعني لما جاءت الجهمية حصل كذا، ولما جاءت الفتنة كذا حصل كذا- يُركز على هذا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

مِثْلُ: دَوْلَةِ الْمَهْدِيِّ وَالرَّشِيدِ وَنَحْوِهِمَا مِمَّنْ كَانَ يُعَظَّمُ الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ وَيَغْزُو أَعْدَاءَهُ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

نعم، الرشيد هو أول من طبق الشروط العمرية بعد ما صارَ فيها من التهاون، الشروط العمرية التي تلزم النصارى وغيرهم من الكفار، تلزمهم بلباسٍ معين و....، طبقها، ومن بعده جاء المتوكل.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

كَانَ أَهْلُ السُّنَّةِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ أَقْوَى وَأَكْثَرَ وَأَهْلُ الْبِدْعِ أَذَلُّ وَأَقَلُّ. فَإِنَّ الْمَهْدِيَّ قَتَلَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الزَّنَادِقَةَ مَنْ لَا يُحْصِي عَدَدَهُ إِلَّا اللهُ، وَالرَّشِيدُ كَانَ كَثِيرَ الْغَزْوِ وَالْحَجِّ. وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا انْتَشَرَتِ الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ وَكَانَ فِي أَنْصَارِهَا مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَالْأَعَاجِمِ طَوَائِفُ مِنَ الَّذِينَ نَعَتَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ حَيْثُ قَالَ: «الْفِتْنَةُ هَاهُنَا»؛ ظَهَرَ حَيْثُئِذٍ كَثِيرٌ مِنَ الْبِدْعِ وَعَرَبَتْ أَيْضًا إِذْ ذَاكَ طَائِفَةٌ مِنْ كُتُبِ الْأَعَاجِمِ - مِنَ الْمَجُوسِ الْفُرسِ وَالصَّابِئِينَ الرُّومِ وَالْمُشْرِكِينَ الْهِنْدِ - وَكَانَ الْمَهْدِيُّ مِنْ خِيَارِ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَأَحْسَنِهِمْ إِيْمَانًا وَعَدْلًا وَجُودًا فَصَارَ يَتَّبَعُ الْمُنَافِقِينَ الزَّنَادِقَةَ كَذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

في الدولة العباسية فعلاً أنصارها الذين كانوا من غير العرب كان لهم دورٌ، وهذا الدور تفاوت قوةً وضعفًا في طبقاتهم في العموم كان لهم دور في نشر البدع، وهذا لم يكن في الأمويين، في هذه الناحية الأمويون أحسن، ولكن هناك شيء ذكره شيخ الإسلام هنا من باب المفاضلة بين العباسيين والأمويين، لكن نشأت البدع ونشر البدع بسبب هذه الترجمة التي اهتم بها العباسيون: هذا لم يكن في الأمويين، كما ذكر شيخ الإسلام هنا: عربوا هذه الكتب، جلبوها من الهند ومن الفرس، وعُنوا عناية خاصة بفلسفة اليونان وعربوها، وأنشؤوا ما سُميت بدار الحكمة، وهذه الدار كانت مركزاً لنقل الفلسفة، وصرخوا على نقل الفلسفة وتعريبها أموالاً طائلة، هذه كانت أسباب نشأة كثير من البدع وانتشارها.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَانَ خُلَفَاءُ بَنِي الْعَبَّاسِ أَحْسَنَ تَعَاهُدًا لِلصَّلَوَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، فَإِنَّ أَوْلَيْكَ كَانُوا كَثِيرَ
الإِضَاعَةِ لِمَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ كَمَا جَاءَتْ فِيهِمْ الْأَحَادِيثُ: «سَيَكُونُ بَعْدِي أَمْرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَن وَقْتِهَا
فَصَلُّوا الصَّلَاةَ لِقَوْتِهَا وَاجْعَلُوا صَلَاتِكُمْ مَعَهُمْ نَافِلَةً».

لَكِنْ كَانَتْ الْبِدْعُ فِي الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ الْفَاضِلَةِ مَقْمُوعَةً وَكَانَتِ الشَّرِيعَةُ أَعَزَّ وَأَظْهَرَ وَكَانَ الْقِيَامُ بِجِهَادِ
أَعْدَاءِ الدِّينِ مِنَ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ أَعْظَمَ.

وَفِي دَوْلَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمَأْمُونِ ظَهَرَ الْخَرْمِيَّةُ، وَنَحْوُهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَعَرَبَ مَنْ كُتِبَ الْأَوَائِلِ
الْمَجْلُوبَةِ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ مَا انْتَشَرَ بِسَبَبِهِ مَقَالَاتُ الصَّابِئِينَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

قوله: (الخرمية): طائفة من طوائف الباطنية.

(الصابئين): الفلاسفة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَرَأْسَلْ مُلُوكَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْهِنْدِ وَنَحْوِهِمْ حَتَّى صَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مَوَدَّةٌ. فَلَمَّا ظَهَرَ مَا ظَهَرَ مِنَ الْكُفْرِ
وَالنَّفَاقِ فِي الْمُسْلِمِينَ وَقَوِيَ مَا قَوِيَ مِنْ حَالِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ؛ كَانَ مِنْ أَثَرِ ذَلِكَ: مَا ظَهَرَ مِنْ
اسْتِيْلَاءِ الْجَهْمِيَّةِ؛ وَالرَّافِضَةِ؛ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ وَتَقْرِيْبِ الصَّابِئَةِ وَنَحْوِهِمْ مِنَ الْمُتَفَلِّسِفَةِ. وَذَلِكَ
بِنَوْعِ رَأْيٍ يَحْسَبُهُ صَاحِبُهُ عَقْلًا وَعَدْلًا، وَإِنَّمَا هُوَ جَهْلٌ وَظُلْمٌ إِذِ التَّسْوِيَةُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْمُنَافِقِ؛ وَالْمُسْلِمِ
وَالْكَافِرِ أَعْظَمُ الظُّلْمِ وَطَلَبُ الْهُدَى عِنْدَ أَهْلِ الضَّلَالِ أَعْظَمُ الْجَهْلِ فَتَوَلَّدَ مِنْ ذَلِكَ مِحْنَةُ الْجَهْمِيَّةِ حَتَّى
أُمْتُحِنَتِ الْأُمَّةُ بِنَفْيِ الصِّفَاتِ وَالتَّكْذِيبِ بِكَلَامِ اللهِ وَرُؤْيِيَّتِهِ وَجَرَى مِنْ مِحْنَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ مَا جَرَى
مِمَّا يَطُولُ وَصْفُهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا كله في ربط تلك المحن بموقف الأمة من السنة، أين كانت الأمة من السنة؟ إن كانت قريبة؛

فالمحن أقل، إن كانت بعيدة؛ فالمحن أكثر.

وهذه الفتنة التي أشار إليها شيخ الإسلام استمرت أكثر من عشر سنوات، بدأت أواخر أيام المأمون، المأمون توفي سنة مائتين وثمانين عشر، بدأت أواخر خلافته ثم استمرت في خلافة أخيه المعتصم كلها، ثم بعده الواثق، ثم لما جاء المتوكل رفع هذه المحنة - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -، المتوكل توفي سنة مائتين - وأظن - اثنان وثلاثين قريبا من هذا، رُفِعَتْ في زمنه، ومن فضل الله ﷺ أَنَّ أكثر خفاء بني العباس بعد المتوكل من ذريته، من ذرية المتوكل - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -.

يعني هنا تعبير شيخ الإسلام - سبحان الله - تعبير دقيق جداً: (حَتَّى أُمْتُحِنَتْ الْأُمَّةُ بِنَفْيِ الصِّفَاتِ وَالتَّكْذِيبِ بِكَلَامِ اللَّهِ وَرُؤْيِيهِ) هذا هو التوصيف الصحيح لتلك المحنة - فتنة خلق القرآن - بعض الناس يرون أنها في قضية فرعية ليست في قضية فرعية.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَانَ فِي أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ قَدْ عَزَّ الْإِسْلَامُ حَتَّى أُلْزِمَ أَهْلُ الذِّمَّةِ بِالشُّرُوطِ الْعُمَرِيَّةِ؛ وَالرِّمُوا الصَّغَارَ فَعَزَّتْ السُّنَّةُ وَالْجَمَاعَةُ وَقُمِعَتِ الْجَهْمِيَّةُ وَالرَّافِضَةُ وَنَحْوُهُمْ.

وَكَذَلِكَ فِي أَيَّامِ الْمُعْتَصِدِ وَالْمُهَدِيِّ وَالْقَادِرِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْخُلَفَاءِ الَّذِينَ كَانُوا أَحْمَدَ سِيرَةً وَأَحْسَنَ طَرِيقَةً مِنْ غَيْرِهِمْ. وَكَانَ الْإِسْلَامُ فِي زَمَانِهِمْ أَعَزَّ وَكَانَتِ السُّنَّةُ بِحَسَبِ ذَلِكَ. وَفِي دَوْلَةِ بَنِي بُوَيْهٍ وَنَحْوِهِمْ: الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(بنو بويه) في الأصل من الدَّيْلَمِ، الدَّيْلَمِ في شمال غرب إيران، هُم في الأصل من هناك وتسلطوا على الدولة واستمرت دولتهم مائة وسبع وعشرين سنة، وانتهت سنة أربعمائة واحد وخمسين مع دخول السلاجقة بغداد.

وكانوا يتمنون أن يأتي العبيديون ويُسلموا لهم خلافة أمر المسلمين، ولكن الله ﷻ قمعهم بالسلاجقة.

وبما أنهم كانوا ضمن الروافض مكنوهم حتى في بغداد.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

. وَفِي دَوْلَةِ بَنِي بُوَيْهٍ وَنَحْوِهِمْ: الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا فِيهِمْ أَصْنَافُ الْمَذَاهِبِ الْمَذْمُومَةِ. قَوْمٌ مِنْهُمْ زَنَادِقَةٌ وَفِيهِمْ قَرَامِطَةٌ كَثِيرَةٌ وَمُتَفَلِسِفَةٌ وَمُعْتَزِلَةٌ وَرَافِضَةٌ وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ فِيهِمْ غَالِبَةٌ عَلَيْهِمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

كل هؤلاء معهم؛ لأنهم قريبين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ فِيهِمْ غَالِبَةٌ عَلَيْهِمْ. فَحَصَلَ فِي أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ فِي أَيَّامِهِمْ مِنَ الْوَهْنِ مَا لَمْ يُعْرِفْ حَتَّى اسْتَوْلَى النَّصَارَى عَلَى نُغُورِ الْإِسْلَامِ وَأَنْتَشَرَتْ الْقَرَامِطَةُ فِي أَرْضِ مِصْرَ وَالْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَجَرَتْ حَوَادِثُ كَثِيرَةٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

قارن بين هذه المدة الطويلة -مائة وسبع وعشرين- وبين مدة وجيزة من أيام السلاجقة وعز المسلمين والجهاد وكسر الروم: لا مقارنة بينهم. في أيامهم لا تكاد الفتن، ما كانت تكاد تهدأ في بغداد أيام بني بويه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَمَّا كَانَتْ مَمْلَكَةُ مُحَمَّدِ بْنِ سَبِكْتِكِينَ مِنْ أَحْسَنِ مَمَالِكِ بَنِي جَنْسِهِ: كَانَ الْإِسْلَامُ وَالسُّنَّةُ فِي مَمْلَكَتِهِ أَعَزَّ فَإِنَّهُ غَزَا الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ الْهِنْدِ وَنَشَرَ مِنَ الْعَدْلِ مَا لَمْ يَنْشُرْهُ مِثْلُهُ. فَكَانَتْ السُّنَّةُ فِي أَيَّامِهِ ظَاهِرَةً وَالْبِدْعُ فِي أَيَّامِهِ مَقْمُوعَةً، وَكَذَلِكَ السُّلْطَانُ نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ^(٤) الَّذِي كَانَ بِالشَّامِ؛ عَزَّ أَهْلُ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ فِي زَمَانِهِ وَذَلَّ الْكُفَّارُ وَأَهْلُ الْبِدْعِ مِمَّنْ كَانَ بِالشَّامِ وَمِصْرَ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الرَّافِضَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ. وَكَذَلِكَ مَا كَانَ فِي زَمَانِهِ مِنْ خِلَافَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(٤) نور محمود زنكي الذي كان مقدمة لصلاح الدين.

(ابن هبيرة) - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - من أحسن وزراء بني العباس، توفي سنة خمسمائة وفوق الأربعين؛ لأنه استُوزر سنة خمسمائة وأربعين واستمر إلى وفاته، وهو من تلاميذ أبي يعلى - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -، من أشهر تلاميذ القاضي أبي يعلى: ابن هبيرة وكان عالمًا وزيرًا ومُحبًا للعلماء جدًّا، كما قال أظن الذهبي أو غيره كان سلفيًا أثريًا، وهو صاحبُ كتاب "الإفصاح" طُبِعَ في أظن عشر مجلدات.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَمْثَلِ وُزَرَائِ الإِسْلَامِ. وَلِهَذَا كَانَ لَهُ مِنَ العِنَايَةِ بِالإِسْلَامِ وَالحَدِيثِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِ. وَمَا يُوجَدُ مِنْ إِقْرَارِ أئِمَّةِ الكَلَامِ وَالفَلَسَفَةِ وَشَهَادَتِهِمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَعَلَى بَنِي جِنْسِهِمْ بِالضَّلَالِ وَمِنْ شَهَادَةِ أئِمَّةِ الكَلَامِ وَالفَلَسَفَةِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ؛ فَأَكْثَرُ مَنْ أَنْ يَحْتَمِلَهُ هَذَا المَوْضِعُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفقَهُ اللهُ:

فيما سبق من صفحة (١٥): ذكر شيخ الإسلام هناك أن كون أهل الحديث والأثر كونهم أولى بالصواب تعرفه بخمسة أمور:

الأمر الأول: النظر في المسائل موارد النزاع.

ومن الأمور: شهادة المؤمنين، وشهادة المؤمنين تعرفها بالثناء والذم أليس كذلك؟ هذا أطال فيه، بعد ما انتهى ذكر المسألة الأخرى، هناك ذكر أيضًا هذا يُعرَفُ برجوع بعضهم، ذكرها هنا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَا يُوجَدُ مِنْ إِقْرَارِ أئِمَّةِ الكَلَامِ وَالفَلَسَفَةِ وَشَهَادَتِهِمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَعَلَى بَنِي جِنْسِهِمْ بِالضَّلَالِ وَمِنْ شَهَادَةِ أئِمَّةِ الكَلَامِ وَالفَلَسَفَةِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ؛ فَأَكْثَرُ مَنْ أَنْ يَحْتَمِلَهُ هَذَا المَوْضِعُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفقَهُ اللهُ:

أشار إشارة؛ لأنَّ بابُ طويل.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ مَا يُوجَدُ مِنْ رُجُوعِ أَيْمَتِهِمْ إِلَى مَذْهَبِ عُمُومِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَعَجَائِزِهِمْ كَثِيرٌ وَأَيْمَةُ السُّنَّةِ
وَالْحَدِيثِ لَا يُرْجَعُ مِنْهُمْ أَحَدٌ لِأَنَّ الْإِيمَانَ حِينَ تُخَالِطُ بِشَاشَتِهِ الْقُلُوبَ لَا يَسْخَطُهُ أَحَدٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا إذن ذكره بالإجمال.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ مَا يُوجَدُ مِنْ شَهَادَتِهِمْ لِأَهْلِ الْحَدِيثِ بِالسَّلَامَةِ وَالْخَلَاصِ مِنْ أَنْوَاعِ الضَّلَالِ وَهُمْ لَا يَشْهَدُونَ
لِأَهْلِ الْبِدْعِ إِلَّا بِالضَّلَالِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذه الأمور ذكرها بالإجمال: وأمَّا شهادة المؤمنين ومدحهم وثنائهم وذمهم وعلى ماذا
المدح، وعلى ماذا الذم؟ هذا أطال فيه.

وهذا الذي تميّز بهش هذا الموضوع؛ لأنَّ هذا الموضوع لم يُفصّل فيه في كتبه الأخرى؛ فصّل فيه، أمَّا
الأمور الأخرى فصّل فيها في كتبه الأخرى، مثلاً في قضية رجوعهم، حتى في الحموية ذكر كم منهم
رجعوا، وأمَّا الشهادات أيضاً يذكر يُفصّل، أما هنا أجمل.

نكتفي بهذا القدر.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَجَمِيعُ الطَّوَائِفِ الْمُتَقَابِلَةِ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ تَشْهَدُ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ أَصْلَحُ مِنَ الْأَخْرَيْنِ وَأَقْرَبُ إِلَى الْحَقِّ،
فَنَحْدُ كَلَامَ أَهْلِ النَّحْلِ فِيهِمْ وَحَالَهُمْ مَعَهُمْ بِمَنْزِلَةِ كَلَامِ أَهْلِ الْمِلَالِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَحَالَهُمْ مَعَهُمْ.
وَإِذَا قَابَلْنَا بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ - أَهْلِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِ الْكَلَامِ - فَالَّذِي يَعِيبُ بَعْضَ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِ
الْجَمَاعَةِ بِحُشْوِ الْقَوْلِ: إِنَّمَا يَعِيبُهُمْ بِقِلَّةِ الْمَعْرِفَةِ؛ أَوْ بِقِلَّةِ الْفَهْمِ. أَمَّا الْأَوَّلُ: فَبِأَنَّ يَحْتَجُّوا بِأَحَادِيثَ ضَعِيفَةٍ
أَوْ مَوْضُوعَةٍ؛ أَوْ بِأَثَارٍ لَا تَصْلُحُ لِلِاحْتِجَاجِ. وَأَمَّا الثَّانِي: فَبِأَنَّ لَا يَفْهَمُوا مَعْنَى الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ بَلْ قَدْ
يَقُولُونَ الْقَوْلَيْنِ الْمُتَنَاقِضَيْنِ وَلَا يَهْتَدُونَ لِلْخُرُوجِ مِنْ ذَلِكَ.

وَالْأَمْرُ رَاجِعٌ إِلَى شَيْئَيْنِ:

إِمَّا زِيَادَةَ أَقْوَالٍ غَيْرِ مُفِيدَةٍ يُظَنَّ أَنَّهَا مُفِيدَةٌ كَالْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ.

وَإِمَّا أَقْوَالَ مُفِيدَةٍ لَكِنَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَهَا إِذْ كَانَ اتِّبَاعُ الْحَدِيثِ يَحْتَاجُ أَوْ لَا إِلَى صِحَّةِ الْحَدِيثِ.

وَتَانِيًا: إِلَى فَهْمِ مَعْنَاهُ كَاتِبِ الْقُرْآنِ. فَالْخَلَلُ يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ مِنْ تَرْكِ إِحْدَى الْمُقَدِّمَتَيْنِ. وَمَنْ عَابَهُمْ مِنَ
النَّاسِ فَإِنَّمَا يَعِيبُهُمْ بِهَذَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لا زال شيخ الإسلام في كتابه "الانتصار لأهل الأثر" يذكر ما يتمييز به أهل الأثر - وهم أهل

الحديث -.

وفي هذا السياق ذكر شيخ الإسلام أن كل من يُحمد من الطوائف فإنما لبعض ما عنده مما هو عند

أهل الحديث، وإلا لا يستحق أن يُمدح، فما عند أهل الحديث هو المعيار وهو السبب للمدح وما

عندهم ما تفرق في غيرهم اجتمع فيهم مما يستلزم أن يُمدحوا أكثر.

ثمَّ قارن ذلك بالطوائف والأفراد وفي آخرها يقول: (وَجَمِيعُ الطَّوَائِفِ الْمُتَقَابِلَةِ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ
تَشْهَدُ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ أَصْلَحُ مِنَ الْأَخْرَيْنِ وَأَقْرَبُ إِلَى الْحَقِّ).

بعد ذلك ذكر شيخ الإسلام أن هناك بعض العيوب في أهل الأثر، موجودة في أهل الأثر، وما هي

أسباب هذه العيوب؟ أهل السنة أو من يدعي هذا المنهج فيهم بعض العيوب، وجماع ما عندهم يرجع إلى أمرين، وهذان الأمران إذا قرنا بما عند غيرهم لا مقارنة.

والسبب في هذين الأمرين لا يرجع إلى التنكر لأصل من الأصول أو إلى جحد لأصل من الأصول أبداً، هو خطأ في الفهم أو خطأ في ظن هذا الدليل أو ذلك الدليل صحيحاً، هذا الذي عنده.

ما ذكره شيخ الإسلام عن أهل الأثر هنا، هذا يدل على غاية الإنصاف والعدل، وما ذكره هنا فعلاً موجود عند بعض أهل الأثر، وكان سبباً لكثيراً مما نسب إلى أهل الحديث والأثر، الناس زادوا في هذا وألصقوا به ما ليس فيه.

يقول: **(فَالَّذِي يَعِيبُ بَعْضَ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِ الْجَمَاعَةِ بِحَشْوِ الْقَوْلِ: إِنَّمَا يَعِيبُهُمْ) بأمرين:**
أولاً: **(بِقِلَّةِ الْمَعْرِفَةِ؛ أَوْ بِقِلَّةِ الْفَهْمِ).**

قلة المعرفة يرجع إلى احتجاجهم بأحاديث ضعيفة أو موضوعة، وهذا فعلاً وقع فيه بعض أهل الحديث ممن ليسوا أئمة في هذا الباب، قلة الفهم يرجع إلى الخطأ في الاستدلال، وهذا موجود عند بعض أهل الحديث، بل هذا قد لا يخلو منه أحد قليلاً كان أو كثيراً، والأول الذي هو قلة المعرفة: هذا الذي العيب فيه أكثر.

يقول: **(وَالْأَمْرُ رَاجِعٌ إِلَى شَيْئَيْنِ:**

إِمَّا زِيَادَةَ أَقْوَالٍ غَيْرِ مُفِيدَةٍ يُظَنُّ أَنَّهَا مُفِيدَةٌ كَالْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ.

وَإِمَّا أَقْوَالَ مُفِيدَةً لَكِنَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَهَا) وهذا الخطأ في الاستدلال، ولا شك أن هذا موجود في

بعضهم، ولكن الآن نقارن هذا الذي عندهم، بعد شيخ الإسلام يقول: نحن نعترف أن هذا موجود، بس قارنهم بما عندكم من البلايا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا مَوْجُودٌ فِي بَعْضِهِمْ يَحْتَجُّونَ بِأَحَادِيثَ مَوْضُوعَةٍ فِي مَسَائِلِ "الأُصُولِ وَالْفُرُوعِ" وَبِأَثَارٍ مُفْتَعَلَةٍ وَحِكَايَاتٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ، وَيَذْكُرُونَ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ مَا لَا يَفْهَمُونَ مَعْنَاهُ وَرُبَّمَا تَأَوَّلُوهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ؛ وَوَضَعُوهُ عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا موجود، موجود بكثرة في بعضهم لا تنسى هذا التعبير.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ثُمَّ إِنَّهُمْ بِهِذَا الْمَنْقُولِ الضَّعِيفِ وَالْمَعْقُولِ السَّخِيفِ قَدْ يُكْفَرُونَ وَيُضَلُّونَ وَيُبَدِّعُونَ أَقْوَامًا مِنْ أَعْيَانِ الأُمَّةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

المنقول الضعيف؛ لأن الحديث ضعيف وموضوع، والمعقول السخيف؛ لأن ما فهمته ليس هو الفهم الصحيح، ظننت أن هذا هو الدليل وليس دليلاً، ظننت أن هذا الدليل يدل على كذا وكذا وهو لا يدل عليه، هذه الأمور قد يُكْفَرُونَ، هذا موجود، ويُضَلُّونَ وَيُبَدِّعُونَ. طبعاً هذا لا يوجد في الأئمة أبداً، هذا يوجد في بعضهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَيُبَدِّعُونَ أَقْوَامًا مِنْ أَعْيَانِ الأُمَّةِ وَيَجْهَلُونَهُمْ فَنَفِي بَعْضِهِمْ مِنَ التَّفْرِيطِ فِي الْحَقِّ وَالتَّعَدِّي عَلَى الْخَلْقِ مَا قَدْ يَكُونُ بَعْضُهُ خَطَأً مَغْفُورًا، وَقَدْ يَكُونُ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا، وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْبِدْعِ وَالضَّلَالَاتِ الَّتِي تُوجِبُ غَلِيظَ الْعُقُوبَاتِ، فَهَذَا لَا يُنْكَرُهُ إِلَّا جَاهِلٌ أَوْ ظَالِمٌ، وَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ هَذَا عَجَائِبَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إلى هنا الحديث عن أهل الحديث.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

لَكِنْ هُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهِمْ فِي ذَلِكَ كَالْمُسْلِمِينَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَقِيَّةِ الْمَلَلِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الظُّلْمِ وَالْجَهْلِ وَالْبِدْعِ وَالْفُجُورِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا مَنْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، لَكِنْ كُلُّ شَرٍّ يَكُونُ فِي بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ فِي غَيْرِهِمْ أَكْثَرَ وَكُلُّ خَيْرٍ يَكُونُ فِي غَيْرِهِمْ فَهُوَ فِيهِمْ أَعْلَى وَأَعْظَمُ وَهَكَذَا أَهْلُ الْحَدِيثِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهِمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا تلخيصٌ هذا الموضوع، ما وُجِدَ فيهم من العيب فعندكم أضعافٌ هذا العيب، ما يوجد فيكم من الشر إن وُجِدَ فيهم يوجد منه قليل، ولكن لا يوجد فيهم من الشر ما يرجع إلى أصلِ المصادر أبدًا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَبَيَانُ ذَلِكَ: أَنَّ مَا ذُكِرَ مِنْ فُضُولِ الْكَلَامِ الَّذِي لَا يُفِيدُ مَعَ اعْتِقَادِهِ أَنَّهُ طَرِيقٌ إِلَى التَّصَوُّرِ وَالتَّصَدِيقِ - هُوَ فِي أَهْلِ الْكَلَامِ وَالْمَنْطِقِ أَضْعَافٌ أَضْعَافٍ مَا هُوَ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ أَضْعَافٌ مُضَاعَفَةٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني وقع بعض أهل الأثر في بعض مسائل الكلام، ولكن هذه البلية فيكم مع اعتقادكم أنه طريقٌ من التصور والتصديق فيكم أكثر.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فِي إِزَاءِ احْتِجَاجِ أَوْلِيَاكَ بِالْحَدِيثِ الضَّعِيفِ كَاخْتِجَاجِ هَؤُلَاءِ بِالْحُدُودِ وَالْأَقْسَةِ الْكَثِيرَةِ الْعَقِيمَةِ؛ الَّتِي لَا تُفِيدُ مَعْرِفَةً بَلْ تُفِيدُ جَهْلًا وَضَلَالًا

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا بالنسبة للدليل، ظنَّ دليلًا ما ليس بدليل، حديث ضعيف ظنَّه دليل، طيب أنت حدودك، أقيستك؟ هذا دليل؟ أنت تعيبه على هذا وعندك أقطع.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَبِإِزَاءِ تَكَلُّمِ أَوْلِيكَ بِأَحَادِيثَ لَا يَفْهَمُونَ مَعْنَاهَا تَكَلَّفُ هُوَ لِأَنَّ مِنَ الْقَوْلِ بغيرِ عِلْمٍ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَكْثَرُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

عنده عبارات أصلاً هم كثير منهم لا يفهمونها.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ: «ضَعِيفُ الْحَدِيثِ خَيْرٌ مِنْ رَأْيِ فُلَانٍ». ثُمَّ لِأَهْلِ الْحَدِيثِ مِنَ الْمَزِيَّةِ: أَنَّ مَا يَقُولُونَهُ مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي لَا يَفْهَمُهُ بَعْضُهُمْ هُوَ كَلَامٌ فِي نَفْسِهِ حَقٌّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هب أنه لا يفهم إذا عندك خير افهم؛ لأن الكلام هو في أصله حق، هو لم يفهم، أنت افهم.

أما أن ترك هذا الكلام؛ لأنه لم يفهمه هذا وتذهب إلى قياس فلان وعلان!

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

هُوَ كَلَامٌ فِي نَفْسِهِ حَقٌّ، وَقَدْ آمَنُوا بِذَلِكَ وَأَمَّا الْمُتَكَلِّمَةُ: فَيَتَكَلَّفُونَ مِنَ الْقَوْلِ مَا لَا يَفْهَمُونَهُ وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ حَقٌّ، وَأَهْلُ الْحَدِيثِ لَا يَسْتَدِلُّونَ بِحَدِيثِ ضَعِيفٍ فِي نَقْضِ أَصْلِ عَظِيمٍ مِنْ أُصُولِ الشَّرِيعَةِ

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا الوجه الأول، هو عنده هذا الحديث الضعيف واستدل به؛ فهذا خطأ، وعندك من هذه الترهات

ما تستند إليها هذا بهذا، عنده من الكلام الحق ما لا يفهمه: أنت المفروض تفهم بما تدعيه من النظر،

ليس هذا، بل عندك من الكلام والتكلف فيما لا تفهمه شيء كثير، هذا أولاً.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَهْلُ الْحَدِيثِ لَا يَسْتَدِلُّونَ بِحَدِيثٍ ضَعِيفٍ فِي نَقْضِ أَصْلِ عَظِيمٍ مِنْ أَصُولِ الشَّرِيعَةِ بَلْ إِمَّا فِي تَأْيِيدِهِ؛ وَإِمَّا فِي فَرْعٍ مِنَ الْفُرُوعِ وَأُولَئِكَ يَحْتَجُّونَ بِالْحُدُودِ وَالْمَقَائِيسِ الْفَاسِدَةِ فِي نَقْضِ الْأَصُولِ الْحَقَّةِ الثَّابِتَةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللهُ:

هذه النقطة الأخيرة مهمة جداً، حتى الأول مُفيد ومهم وهذا أهم، هو يستدل بالحديث الضعيف على شيء ثابت أصلاً بأدلة أخرى، من الخطأ أن يترسل ويستدل أيضاً بالأحاديث الضعيفة هذا قد يحصد، وقد يكون هذا في بعض المسائل الفردية وليس في أصول الدين، أما أنت فتستدل بتلك الحدود والأقيسة في أصول الدين.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

إِذَا عُرِفَ هَذَا فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى عَنْ أَتْبَاعِ الْأَيِّمَةِ مِنْ أَهْلِ الْمَلِكِ الْمُخَالِفِينَ لِلرُّسُلِ: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللهُ:

الذي عندهم ظنوه علماً، وفرحوا به، ولم يكثرثوا بما جاءهم من العلم والهدى.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ وَمِثْلُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ. وَإِذَا كَانَتْ سَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ هِيَ بِاتِّبَاعِ الْمُرْسَلِينَ. فَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِذَلِكَ: هُمْ أَعْلَمُهُمْ بِأَنْبَاءِ الْمُرْسَلِينَ وَاتَّبَعُهُمْ لِذَلِكَ فَالْعَالِمُونَ بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ الْمُتَّبِعُونَ لَهَا هُمْ أَهْلُ السَّعَادَةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَهُمْ الطَّائِفَةُ النَّاجِيَةُ مِنْ أَهْلِ كُلِّ مِلَّةٍ وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ. فَإِنَّهُمْ يُشَارِكُونَ سَائِرَ الْأُمَّةِ فِي مَا عِنْدَهُمْ مِنْ أُمُورِ الرِّسَالَةِ وَيَمْتَارُونَ عَنْهُمْ بِمَا اخْتَصُّوا بِهِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنِ الرَّسُولِ؛ مِمَّا يَجْهَلُهُ غَيْرُهُمْ أَوْ يُكَذِّبُ بِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللهُ:

هذا محور الحديث، أن ما عندهم من الحق تفرّق في غيرهم واجتمع فيهم، والخطأ الذي عندهم في هذين الأمرين ولا يُقَارَن بالخطأ الفطيع الذي عندكم في هذين الأمرين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالرُّسُلُ - صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، عَلَيْهِمُ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ وَقَدْ بَلَّغُوا الْبَلَاغَ الْمُبِينُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

قوله: (والرُّسُل) هنا شرطية (وسلامه) هنا شرطية، لأن عليهم الثاني هو متصل بما بعده، والرسول هنا شرطية وسلامه هنا شرطية،

(عَلَيْهِمُ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ وَقَدْ بَلَّغُوا الْبَلَاغَ الْمُبِينُ)، هذا الذي عليه البلاغ الواضح، هل حصل هذا

منهم؟ نعم، حصل.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَخَاتَمَ الرُّسُلِ مُحَمَّدٌ ﷺ أَنْزَلَ اللهُ كِتَابَهُ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ؛ فَهُوَ الْأَمِينُ عَلَى جَمِيعِ الْكُتُبِ، وَقَدْ بَلَّغَ أَبْيَنَ الْبَلَاغِ وَأَتَمَّهُ وَأَكْمَلَهُ، وَكَانَ أَنْصَحَ الْخَلْقِ لِعِبَادِ اللهِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْوْفًا رَحِيمًا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذه الأمور الثلاثة يُكرِّرها شيخ الإسلام في كتبه، أن النبي ﷺ اجتمع فيه كمال العلم وكمال الفصاحة وكمال النصح للأئمة، وهذه هي موجبات القبول - موجبات قبول الخبر -: أن يكون عالمًا، وأن يكون فصيحًا، وأن يكون ناصحًا.

قد يكون شخص ينصح لك وفصيح ولكن ما عنده علم، ما الذي يُعطيك؟ وقد يكون عالمًا وفصيحًا ولكن لا يُريد النصح لك، وقد يكون عالمًا وناصحًا، ولكن ما يستطيع أن يُوصل ما في قلبه إليك، ليس قادرًا على التعبير بما ينبغي، والنبي ﷺ اجتمعت فيه هذه الأمور الثلاثة.

قد بلغ أبين البلاغ وأتمه وأكمله، وكان أنصح الخلق وكان بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

بَلَغَ الرَّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَعَبَدَ اللَّهَ حَتَّى آتَاهُ الْيَقِينُ، فَأَسْعَدَ الْخَلْقَ وَأَعْظَمَهُمْ نَعِيمًا وَأَعْلَاهُمْ دَرَجَةً: أَعْظَمُهُمْ اتِّبَاعًا وَمُؤَافَقَةً لَهُ عِلْمًا وَعَمَلًا، وَأَمَّا غَيْرُ اتِّبَاعِهِ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ؛ فَالْكَلامِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

يعني عموماً شيخ الإسلام يُقارن النبي ﷺ وحاله مع أصحابه، هو أفضل الرُّسل وصحابته أفضل الصحابة بالنظر إلى صحابة الرُّسل عموماً، فعنده الكمال في هذه الأمور والصحابة هم أفضل الأمة بعده، فهل يبقى غموض مع هذا وهذا في هذه الأمور التي هي رأس الدين؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمَّا غَيْرُ اتِّبَاعِهِ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ؛ فَالْكَلامِ فِي أَقْيَسَتِهِمُ الَّتِي هِيَ حُجَجُهُمْ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

وَأَمَّا غَيْرُ اتِّبَاعِهِ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ فَالْكَلامِ - أي فحديثنا معهم - في أقيستهم التي هي حُجَجُهُمْ وبراهينهم على معارفهم وعلومهم، نحن نتحدث عن أقيستهم، وأقيستهم هي حُجَجُهُمْ على معارفهم، علومهم عجيبة وأدلتهم عجيبة، علومهم ضعيفة كثيرٌ منه باطل وأدلتهم أضعف التي هي أقيستهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا يَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ مَنْ خَالَفَ شَيْئًا مِنَ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ؛ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَالْفَلَاسِفَةَ. فَالْكَلامِ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَاسِعٌ لَا يَنْضَبُطُ هُنَا لَكِنَّ الْمَعْلُومَ مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةِ: أَنَّ الْفَلَاسِفَةَ وَالْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ أَعْظَمِ بَنِي آدَمَ حَشَوًا وَقَوْلًا لِلْبَاطِلِ وَتَكْذِيبًا لِلْحَقِّ فِي مَسَائِلِهِمْ وَدَلَائِلِهِمْ؛ لَا يَكَادُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - تَخْلُو لَهُمْ مَسْأَلَةٌ وَاحِدَةٌ عَنِ ذَلِكَ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

أنا ذكرت أمس أن الحشوية الفلاسفة يتهمون حتى الجهمية بأنهم حشوية، والمعتزلة عند حشوية،

والأشعار عندهم حشوية، ونحن طبعاً - من باب الأولى - عندهم حشوية، وشيخ الإسلام في بعض المواضع يُقارن بين الفلاسفة واليهود والنصارى، ويُقرر أن ما عند اليهود والنصارى مما يُكمل النفس على ما فيه من الباطل أفضل بكثير مما عند الفلاسفة، يقول: نهاية علومهم بداية ما عند اليهود والنصارى، هذه المُقارنة، ودع عنك مُقارنتك بالمسلمين حتى بمبتدئة المسلمين، حتى بجهمية المسلمين، هذه بذائة من؟ بذائة الفلاسفة.

والمتكلمون للأسف الشديد يأخذون منهم هذه البذائة، فتكون لهم مشاركة معهم فيما أخذوه منهم؛ إذن هم من أعظم بني آدم حشواً وقولاً للباطل وتكذيباً للحق في مسائلهم ودلائلهم على هذه المسائل.

يقول: (لا يكاد والله أعلم تخلو لهم مسألة واحدة عن ذلك) إذن الترتيب الصحيح هو بالعكس: أهل السنة ما عندهم حشو، كل من خرج عنهم فهو بالحشو أولى، ولما نصل إلى الفلاسفة نكون أمامنا أكوام من الحشو.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَذْكَرُ أَنِّي قُلْتُ مَرَّةً لِبَعْضِ مَنْ كَانَ يَنْتَصِرُ لَهُمْ مِنَ الْمَشْغُوفِينَ بِهِمْ - وَأَنَا إِذْ ذَاكَ صَغِيرٌ قَرِيبُ الْعَهْدِ مِنَ الْإِحْتِلَامِ - كُلُّ مَا يَقُولُهُ هُوَ لَاءٍ فِيهِ بَاطِلٌ إِمَّا فِي الدَّلَائِلِ، وَإِمَّا فِي الْمَسَائِلِ إِمَّا أَنْ يَقُولُوا مَسْأَلَةٌ تَكُونُ حَقًّا لَكِنْ يُقِيمُونَ عَلَيْهَا أُدْلَةً ضَعِيفَةً وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ الْمَسْأَلَةُ بَاطِلًا.

وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ الْمَسْأَلَةُ بَاطِلًا. فَأَخَذَ ذَلِكَ الْمَشْغُوفُ بِهِمْ يُعْظِمُ هَذَا وَذَكَرَ مَسْأَلَةَ التَّوْحِيدِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

المسألة صحيحة، ولكن الدليل ضعيف مثل ما ذكر شيخ الإسلام عن المتكلمين في نفي الظلم عن الله ﷻ في آخر التدمرية، المتكلمون - الماتريديّة والأشاعرة - هم مع أهل السنة في نفي الظلم عن الله ﷻ، ولكن أسألهم عن الدليل، لماذا تنفي الظلم عن الله ﷻ؟ يقول لك: أنه مستحيل عليه، يعني لا يستطيع، لا يستطيع أن يكون؛ لأنه لا يُحب الظلم، هذا هو الدليل.

(وَمَا أَنْ تَكُونَ الْمَسْأَلَةُ بَاطِلًا. فَأَخَذَ ذَلِكَ الْمَشْغُوفُ بِهِمْ يُعْظَمُ هَذَا) يستشنع هذا ويستغربه.

(وَذَكَرَ مَسْأَلَةَ التَّوْحِيدِ.) يقول: كيف تقول هذا وهم عندهم مسألة التوحيد وعليها عندهم أدلة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَقُلْتُ: التَّوْحِيدُ حَقٌّ. لَكِنْ أَذْكَرُ مَا شِئْتُ مِنْ أَدْلِيَّتِهِمُ الَّتِي تَعْرِفُهَا حَتَّى أَذْكَرَ لَكَ مَا فِيهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

سُبْحَانَ اللهِ! كَانَ قَدْ غَرِبَ لِعُلُومِهِمْ وَهُوَ قَرِيبُ الْاِحْتِلَامِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَذَكَرَ بَعْضَهَا بِحُرُوفِهِ حَتَّى فَهَمَ الْغَلَطَ

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

حتى فهم الخطأ الذي في أدلته، أنا - سبحان الله - فكّرت من يكون هذا؟ قلت: لعلّه - والله أعلم -

السُّبْكَى الكبير، لعلّه التقى السُّبْكَى؛ لأنَّ ابْنَهُ أَيْضًا مَعْرُوفٌ: التَّاجُ السُّبْكَى، وَذَهَبَ إِلَى ابْنِهِ، وَكَانَ أَيْضًا

مِنَ الْمُتَعَصِّبِينَ لَهُمْ، قَدْ يَكُونُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ؛ لِأَنَّهَمْ أَشْهَرُ مِنْ كَانُوا يُدَافِعُونَ عَنِ الْأَشْعَرِيَّةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ،

والتقى السُّبْكَى الوالد رجل عنده فضل وعنده علم، أمّا ابْنُهُ فعنده من التعصّب - سبحان الله - صاحب

الطبقات.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَذَهَبَ إِلَى ابْنِهِ - وَكَانَ أَيْضًا مِنَ الْمُتَعَصِّبِينَ لَهُمْ - فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ قَالَ فَأَخَذَ يُعْظَمُ ذَلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتُ:

أَنَا لَا أَشْكُ فِي التَّوْحِيدِ، وَلَكِنْ أَشْكُ فِي هَذَا الدَّلِيلِ الْمُعَيَّنِ.

وَيَدُلُّكَ عَلَى ذَلِكَ أُمُورٌ: - أَحَدُهَا: أَنَّكَ تَجِدُهُمْ أَعْظَمَ النَّاسِ شَكًّا وَاضْطِرَابًا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

نعم، هذا الذي ذكره شيخ الإسلام الوجه الثاني سيكون في صفحة (٧٢)، يعني من هنا إلى هناك هذا

كله الوجه الأول، وفي هذا الوجه يُبَيِّنُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ لِمَاذَا عَنْدهم الشك؟ لِمَاذَا حُرِّمُوا مِنَ الْيَقِينِ؟ مَا هِيَ

الأسباب؟ وكيف يحصل العلم؟ أنه كما تعرفون شيخ الإسلام يستطرد كثيرًا، سيذكر أنهم ينفون العلم عن أهل السنة، هم واقعون في الشك وينفون العلم واليقين عن أهل السنة؛ فسيدخل معهم في جدال كيف يحصل العلم وكيف تتأكد من أنك عالم وكيف تستدل؟ أطلال في الوجه الأول إلى تلك الصفحة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

أَحَدَهَا: أَنْكَ تَجِدُهُمْ أَعْظَمَ النَّاسِ شَكًّا وَاضْطِرَابًا وَأَضْعَفَ النَّاسِ عِلْمًا وَيَقِينًا وَهَذَا أَمْرٌ يَجِدُونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ وَيَشْهَدُهُ النَّاسُ مِنْهُمْ، وَشَوَاهِدُ ذَلِكَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تُذَكَّرَ هُنَا، وَإِنَّمَا فَضِيلَةُ أَحَدِهِمْ بِاقْتِدَارِهِ عَلَى الْإِعْتِرَاضِ وَالْقَدْحِ وَالْجَدَلِ الْبَاطِلِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا الوجه الأول، جميع المسائل التي ذكرها إلى ذلك الوجه، لا ننسى هذا الذي ذكره، هم أعظم الناس شكًا واضطرابًا وأضعف الناس علمًا ويقينًا، الذي ينبغي أن يقل كثير عندهم: الشك والاضطراب، والذي ينبغي أن يزيد وهو العلم واليقين: هذا عندهم قليل فما هي الأسباب؟

والأدلة على وجود هذا؟ ذكر ثلاثة:

(هذا أمرٌ يجدونه في أنفسهم): هذا أولاً، هم بأنفسهم يعترفون بهذا، أن عندي شك في هذه المسائل، وأنا لست على يقين في هذه المسائل، هذا تجده ماثلاً في كتبهم - كتب المتكلمين - هذا أولاً: (أمرٌ يجدونه في أنفسهم ويعترفون به ويشهده الناس منهم).

أنت لما تدرس الجويني وتدرس على الرازي تجده مُجسماً للشك والاضطراب باعتداله وبحاله، (وشواهده ذلك أعظم من أن تُذكَرَ هُنَا).

(وَإِنَّمَا فَضِيلَةُ أَحَدِهِمْ بِاقْتِدَارِهِ عَلَى الْإِعْتِرَاضِ وَالْقَدْحِ وَالْجَدَلِ الْبَاطِلِ) أمّا هذه الظاهرة التي أشار إليها شيخ الإسلام هنا إشارة موجزة فهي فعلاً ظاهرة تبعث على الاستغراب، يفتخرون بأنه أورد على ذلك الدليل الذي لم يعترض عليه أحد استطاع أن يُورد عليه كذا وكذا وجهًا من الشكوك، هذا كثير في كتبهم، يفتخرون بهذا.

مثلاً: أدلة أهل السنة - أدلتهم هم - على إثبات القدرة لله ﷻ، هم يثبتون من الصفات التي يثبتونها صفة القدرة، الإيرادات على هذه الأدلة كثيرة، في النهاية قد يُعلن كما أذكره من الآمدي - على ما أذكر - قد يُعلن عن تكافؤ الأدلة مع إيمانه بأنه مُتصِفُ بصفة القدرة، وقد يُحيل إلى غيرك في الانفكاك عن هذه الاعتراضات هذا الذي عندهم، (وإنما فضيلة أحدهم باقتداره على الاعتراض والجدل الباطل).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمِنَ الْمَعْلُومِ: أَنَّ الْإِعْتِرَاضَ وَالْقَدْحَ لَيْسَ بِعِلْمٍ وَلَا فِيهِ مَنَفَعَةٌ، وَأَحْسَنُ أَحْوَالِ صَاحِبِهِ: أَنْ يَكُونَ بِمَنْزِلَةِ الْعَامِّيِّ وَإِنَّمَا الْعِلْمُ فِي جَوَابِ السُّؤَالِ، وَلِهَذَا تَجِدُ غَالِبَ حُجَجِهِمْ تَتَكَافَأُ إِذْ كُلُّ مِنْهُمْ يَقْدَحُ فِي أُدْلَةٍ الْآخِرِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْأَشْعَرِيَّ - مَعَ أَنَّهُ مِنْ أَقْرَبِهِمْ إِلَى السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ وَأَعْلَمِهِمْ بِذَلِكَ - صَنَّفَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ كِتَابًا فِي تَكَافُؤِ الْأَدْلَةِ يَعْنِي أُدْلَةَ عِلْمِ الْكَلَامِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً هو يقول: (وقد قيل) ليس متأكداً من هذا؛ ولذلك لم ينقل عن هذا الكتاب شيئاً، يقول: (وقد قيل) ليس متأكداً والله أعلم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

يَعْنِي أُدْلَةَ عِلْمِ الْكَلَامِ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ صِنَاعَتُهُ الَّتِي يُحْسِنُ الْكَلَامَ فِيهَا

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

تكافؤ الأدلة هذه المدرسة تُدرَسُ في أصول الفقه، ويُدْرَسون هناك: هل المُصِيبُ واحد أو أكثر من واحد؟ وذهب إلى أن تكافؤ الأدلة بمعنى: أن الجميع على حق، وأن الصواب ليس محصوراً في واحد: ذهب إليه عدد، منهم الغزالي ويُنسب هذا إلى الأشعري، وذكر شيخ الإسلام أن التكافؤ في الأدلة هذا يكون عند الجاهل في أحسن الأحوال فيمن نظر ولم يصل إلى نتيجة.

شخص نظر في مسألة، ولم يصل إلى نتيجة: ليس معناه أن الأمر هكذا في نفس الأمر، لا، لا بُدَّ أن يكون هناك دليل شرعي يُبيِّن أن هذه المسألة أو هذا حق، هذا فيما إذا لم يكن الخلافُ خلافَ تنوع،

والتكافؤ إذن يكون لدى الناظر وليس في نفس الأمر.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَا زَالَ أَيْمَنُهُمْ يُخْبِرُونَ بِعَدَمِ الْأَدِلَّةِ وَالْهَدْيِ فِي طَرِيقِهِمْ كَمَا ذَكَرْنَاهُ عَنْ أَبِي حَامِدٍ وَغَيْرِهِ حَتَّى قَالَ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ «أَكْثَرُ النَّاسِ شَكًّا عِنْدَ الْمَوْتِ أَهْلُ الْكَلَامِ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أيضاً قال: «عقيدة المتكلم كالخيط المرسل في الهواء» هذا أبو حامد الغزالي صاحب "الاقتصاد في الاعتقاد"، طبعاً هذه العبارة غير موجودة في المنقذ من الضلال، ولكن ما يدل وأصرح من هذه العبارة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِي مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ فِي هَذَا الْبَابِ - بَابِ الْحَيْرَةِ وَالشَّكِّ وَالِاضْطِرَابِ - لَكِنْ هُوَ مُسْرِفٌ فِي هَذَا الْبَابِ؛ بِحَيْثُ لَهُ نَهْمَةٌ فِي التَّشْكِيكِ دُونَ التَّحْقِيقِ بِخِلَافِ غَيْرِهِ؛ فَإِنَّهُ يُحَقِّقُ شَيْئًا وَيَنْبُتُ عَلَى نَوْعٍ مِنَ الْحَقِّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً الرازي معروف في هذا، هو أتى بموافقيه ومُخالفيه في هذا، والذي راهن فيما يتعلق بعقيدته أحد الأشاعرة - الدكتور محمد صالح الزرقان - أَلَّفَ كتاباً في آرائه الفلسفية والكلامية ورتبها وقرَّبها، رتبها بالنظر إلى كُتبه القديمة والكتب التي أَلَّفها في وسط عمره والكتب الأخيرة؛ قرر المسألة، وإلا هو ذكر شيخ الإسلام من اضطرابه وتناقضه مع نفسه أمثلة حتى يقول: «حتى في الكتاب الواحد يقع له هذا كثيراً».

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

لَكِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ يَثْبُتُ عَلَى بَاطِلٍ مَحْضٍ بَلْ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ نَوْعٍ مِنَ الْحَقِّ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

وهذه تكون شُبْهة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَانَ مِنْ فَضْلَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ وَأَبْرَعِهِمْ فِي الْفَلَسَفَةِ وَالْكَلامِ: ابْنُ وَاصِلِ الْحَمَوِيِّ كَانَ يَقُولُ: «أَسْتَلْقِي عَلَى قَفَائِي وَأَضَعُ الْمِلْحَفَةَ عَلَى نِصْفِ وَجْهِي، ثُمَّ أَذْكَرُ الْمَقَالَاتِ وَحُجَجَ هُوَلاءِ وَهُوَلاءِ وَاعْتِرَاضَ هُوَلاءِ وَهُوَلاءِ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ وَلَمْ يَتَرَجَّحْ عِنْدِي شَيْءٌ».

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

سبحان الله! على هذه المعاناة، أسأل الله السلامة وهذا الجُهد، مما يدل على أن التوفيق بيد الله ﷻ؛ لذلك سيذكر شيخ الإسلام أنه لا بُدَّ لك مع الاجتهاد من الانطراح بين يدي الله ﷻ، تسأله الهداية دائماً مع توفر الأسباب أيضاً لا بُدَّ أن تفتخر وأن تطلب من الله ﷻ دائماً التوفيق، سبحان الله!

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلِهَذَا أَنَشَدَ الْخَطَّابِيُّ:

حُجَجٌ تَهَافَتْ كَالزُّجَاجِ تَخَالُهَا حَقًّا وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورٌ

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

نعم، الخطاب له كتاب من أجمل كتبه ولم يصل إلينا: "الغنية عن الكلام وأهله"، الخطَّابي تلميذ

ابن حَبَّان، وكلاهما بُسْتِيان، يقول في هذا الكتاب:

(حُجَجٌ تَهَافَتْ) أي تهافت، (كَالزُّجَاجِ تَخَالُهَا وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورٌ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ حَالٌ حُجِّجَهُمْ فَأَيُّ لَعْوٍ بَاطِلٍ وَحَشْوٍ يَكُونُ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا؟
وَكَيْفَ يَلِيقُ بِمِثْلِ هَؤُلَاءِ أَنْ يَنْسُبُوا إِلَى الْحَشْوِ أَهْلَ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ؟ الَّذِينَ هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ عِلْمًا
وَيَقِينًا وَطَمَآنِينَةً وَسَكِينَةً؛ يَعْلَمُونَ؛ وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ، وَهُمْ بِالْحَقِّ يُوقِنُونَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعلمون ويعلمون أنهم يعلمون، هذا في مقابل الجهل المركب، هناك جهل وهناك جهل مُركب:
الجهل المُركب: الجاهل ما يدري وما يدري أنه ما يدري، هذا في مُقابله: (أَعْظَمُ النَّاسِ عِلْمًا)؛ لِأَنَّ
مادتهم الكتاب والسنة (وَيَقِينًا وَطَمَآنِينَةً وَسَكِينَةً؛ يَعْلَمُونَ؛ وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ وَهُمْ بِالْحَقِّ يُوقِنُونَ)
وهم بالحق يوقنون.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

يَعْلَمُونَ؛ وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ؛ وَهُمْ بِالْحَقِّ يُوقِنُونَ لَا يَشْكُونَ وَلَا يَمْتَرُونَ، فَأَمَّا مَا أُوتِيَهُ عُلَمَاءُ أَهْلِ
الْحَدِيثِ وَخَوَاصُّهُمْ مِنَ الْيَقِينِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْهُدَى: فَأَمْرٌ يَجِلُّ عَنِ الْوَصْفِ، وَلَكِنْ عِنْدَ عَوَامِّهِمْ مِنَ الْيَقِينِ
وَالْعِلْمِ النَّافِعِ مَا لَمْ يَحْضَلْ مِنْهُ شَيْءٌ لِأَيِّمَةِ الْمُتَفَلِّسَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَهَذَا ظَاهِرٌ مَشْهُودٌ لِكُلِّ أَحَدٍ.
غَايَةُ مَا يَقُولُهُ أَحَدُهُمْ: أَنَّهُمْ جَزَمُوا بِغَيْرِ دَلِيلٍ وَصَمَّمُوا بِغَيْرِ حُجَّةٍ وَإِنَّمَا مَعَهُمُ التَّقْلِيدُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا ما يحتاج إلى تدليل، ولكن يحتاج إلى غرلة والنظر فيه ما يذكرونه مما ذكره شيخ الإسلام في
قوله: (غَايَةُ مَا يَقُولُهُ أَحَدُهُمْ) عندهم من هذا الشك والاضطراب ومع ذلك يتهمون أهل السنة بأنهم
حشوية، وأنهم جزموا بغير دليل، طيب أنت ما جزمت أصلاً، أنت أصلاً ما جزمت؛ ولذلك يبحثون عن
التقليد ومشاغله.

(غَايَةُ مَا يَقُولُهُ أَحَدُهُمْ: أَنَّهُمْ جَزَمُوا بِغَيْرِ دَلِيلٍ وَصَمَّمُوا بِغَيْرِ حُجَّةٍ وَإِنَّمَا مَعَهُمُ التَّقْلِيدُ) هكذا
يقولون: أن هؤلاء الحشوية الذين آمنوا أو العوام، العواد عندهم من لم يكن مُتَكَلِّمًا، وأما من ترقى في

علم الكلام يُخلف المُتكلِّمين إذن، يظنه يحشرهم مع العوام، مثل ما حصل للغزالي نفسه "إلجام العوام عن علم الكلام" كتابه. جمهور المتكلمين عنده عوام، أمّا أهل الحديث كالْبُخاري وشيوخه وتلاميذه هؤلاء عنده عوام، من البديهيات عنده كلهم عوام، ولكنَّ الغريب أن جمهور المُتكلِّمين أيضًا عنده عوام، يقولون: "أنَّ الذي لم يؤمن بوجود الله ﷻ وبصفاته بالنظر إلى الدليل؛ فهو مُقلِّد" هذا مُصطلح، هكذا يجمعون؛ إذن لا بأس، لكن ما هو الدليل الذي بالنظر إليه تنفك عن التقليد؟ النظر في أدلتهم، وأهم أدلتهم دليلُ حدوث الأجسام، من أثبت وجود الله ﷻ بغير هذا الدليل أو بدليل التركيب أو بغيره أو بدليل الإمكان وبغيره من الأدلة؛ فهو مُقلِّد.

طيب ما وضع الكتاب والسنة؟ الكتاب والسنة ليسا دليلين في هذا الباب، هكذا يقولون، بل لا يجوز الاعتماد على الكتاب والسنة في هذا الباب عندهم.

إذاً من لم يؤمن عن طريق النظر الكلامي يبقى مُقلِّداً عندهم، غايةً ما يقول أحدهم: "إنهم -أي أهل السنة- جزموا بغير دليل، وصمموا بغير حجة، وإنما معهم التقليد".

طيب هذه الشبهة ناقشها شيخ الإسلام ووقف معها كثيراً، ولكنَّ مناقشته مُتداخلة هنا، ولا يزال في الوجه الأول، الموضوع هو إثبات أنَّ ما عندهم ليس هو العلم الصحيح، وبالتالي مُبتلون بهذا الشك والاضطراب، سيرجع إلى هذه النقطة بعد صفحاتٍ عديدة، ويُذكرنا بهذه النقطة؛ مما يدل على أنَّ المحور هو هذا الموضوع، ولننظر ما يقول.

إذن عندنا دعوة: المُتكلِّم يقول أنك أيها الحشوي إمّا أنت غير عالم أصلاً، وإمّا أنت جازم بغير

دليل.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا الْقَدْرُ قَدْ يَكُونُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْعَامَّةِ، لَكِنَّ جَزْمَ الْعِلْمِ غَيْرِ جَزْمِ الْهَوَى، فَالْجَازِمُ بِنَيْبٍ عِلْمٍ يَجِدُ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ غَيْرُ عَالِمٍ بِمَا جَزَمَ بِهِ وَالْجَازِمُ بِعِلْمٍ يَجِدُ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ عَالِمٌ؛ إِذْ كَوْنُ الْإِنْسَانِ عَالِمًا وَغَيْرِ عَالِمٍ مِثْلَ كَوْنِهِ سَامِعًا وَمُبْصِرًا وَغَيْرِ سَامِعٍ وَمُبْصِرٍ، فَهُوَ يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ: مِثْلَ مَا يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ كَوْنَهُ مُجِبًّا وَمُبْغِضًا وَمُرِيدًا وَكَارِهًا وَمَسْرُورًا وَمَحْزُونًا وَمُنْعَمًا وَمُعَذَّبًا وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَمَنْ شَكَّ فِي كَوْنِهِ يَعْلَمُ مَعَ كَوْنِهِ يَعْلَمُ - فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ جَزَمَ بِأَنَّهُ عَالِمٌ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، وَذَلِكَ نَظِيرٌ مَنْ شَكَّ فِي كَوْنِهِ سَمِعَ وَرَأَى أَوْ جَزَمَ بِأَنَّهُ سَمِعَ وَرَأَى مَا لَمْ يَسْمَعِهِ وَيَرَهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يقول شيخ الإسلام: أولاً: دعواك أن هذا لم يعلم العلم الصحيح ولم يجزم ولم يحصل له اليقين، يقول: هذه دعوى غريبة، مثلها تماماً أن تقول لي: (هكذا تدعي أنك ما ترى هذا) أو أنك تقول لي: أنك ما تسمع كلامي، مع أنني أسمع وأرى.

طيب، هذا الذي يدعي أنني ما أرى هذا ولا أسمع كيف يدفع؟ الدعوى عنده هذه الدعوى عريضة، هل أقيم دليل على الأمور الضرورية التي لا تحتاج إلى دليل، كيف أنك منه؟ هو واقع في الشك والاضطراب، هذه النعمة مسلوقة عنه، وينفيها عني أيضاً، يقبل: مثله مثل من ينفي عنك ما تراه بالحواس الخمسة، ما تدركه بالحواس الخمسة، يقول: لا ترى، هو أنا أرى.

يقول: (مِثْلَ كَوْنِهِ سَامِعًا وَمُبْصِرًا وَغَيْرِ سَامِعٍ وَمُبْصِرٍ، فَهُوَ يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ: مِثْلَ مَا يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ كَوْنَهُ مُجِبًّا) أنا أحب شيئاً وهو يقول له: "أنت ما تحبه"، أبغض شيئاً وهو يقول: "أنت ما تبغضه" وهكذا دائماً.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْغَلَطُ أَوْ الْكَذِبُ يَعْرِضُ لِلْإِنْسَانِ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ طَرَفَيْ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ لَكِنَّ هَذَا الْغَلَطَ أَوْ الْكَذِبَ الْعَارِضَ لَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ جَازِمًا بِمَا لَا يَشُكُّ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ كَمَا يَجْزِمُ بِمَا يَحِدُّهُ مِنَ الطُّعْمِ وَالْأَرِيحِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ يَعْرِضُ لَهُ مِنَ الْإِنْجِرَافِ مَا يَحِدُّ بِهِ الْحُلُو مُرًّا، فَالْأَسْبَابُ الْعَارِضَةُ لِغَلَطِ الْحِسِّ الْبَاطِنِ أَوْ الظَّاهِرِ وَالْعَقْلِ: بِمَنْزِلَةِ الْمَرَضِ الْعَارِضِ لِحَرَكَةِ الْبَدَنِ وَالنَّفْسِ، وَالْأَصْلُ هُوَ الصِّحَّةُ فِي الْإِدْرَاكِ وَفِي الْحَرَكَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ عِبَادَهُ عَلَى الْفِطْرَةِ. وَهَذِهِ الْأُمُورُ يُعْلَمُ الْغَلَطُ فِيهَا بِأَسْبَابِهَا الْخَاصَّةِ كَالْمُرَّةِ الصَّفْرَاءِ الْعَارِضَةِ لِلطَّعْمِ وَكَالْحَوْلِ فِي الْعَيْنِ وَنَحْوِ ذَلِكَ

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

قوله: (والأرييح) جمع أرييح.

يقول: لا شك أن هناك أسباب تؤثر في الإدراك، حتى في الأمور المحسوسة، لا شك، ولكن نحن نتحدث عن من يجزم عن نفسه أنه على علم وجزم ويقين مع انتفاء هذه الأعراض، الرجل ليس بأحول ويرى أمامه وأنت تقول: «لا لا، أنت ما ترى».

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِلَّا فَمَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ عَلَى مَا يَجْزِمُ بِهِ وَجَدَ أَكْثَرَ النَّاسِ الَّذِينَ يَجْزِمُونَ بِمَا لَا يُجْزِمُ بِهِ إِنَّمَا جَزَمُهُمْ لِنَوْعٍ مِنَ الْهَوَى كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وَقَالَ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾. وَلِهَذَا تَجِدُ الْيَهُودَ يُصَمِّمُونَ وَيُصِرُّونَ عَلَى بَاطِلِهِمْ لِمَا فِي نَفْسِهِمْ مِنَ الْكِبْرِ وَالْحَسَدِ وَالْقَسْوَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَهْوَاءِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(وَإِلَّا فَمَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ عَلَى مَا يَجْزِمُ بِهِ) أحدنا يقول: "أنا أجزم بهذا الحق"، طيب لماذا الناس لا يشاركونني في هذا الجزم؟ يفكر مع نفسه، يقول: (وَجَدَ أَكْثَرَ النَّاسِ الَّذِينَ يَجْزِمُونَ بِمَا لَا يُجْزِمُ بِهِ إِنَّمَا جَزَمُهُمْ لِنَوْعٍ مِنَ الْهَوَى) والعكس، كل هذا يعني السبب في عدم الجزم بما ينبغي أن يجزم به أو بالعكس أنه من الهوى.

إذن الذين خالفوك لأجل الهوى، وليس لأن الحق ليس معك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلِهَذَا تَجِدُ الْيَهُودَ يُصَمِّمُونَ وَيُصِرُّونَ عَلَى بَاطِلِهِمْ لِمَا فِي نَفْسِهِمْ مِنَ الْكِبْرِ وَالْحَسَدِ وَالْقَسْوَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَهْوَاءِ.

وَأَمَّا النَّصَارَى فَأَعْظَمُ ضَلَالًا مِنْهُمْ وَإِنْ كَانُوا فِي الْعَادَةِ وَالْأَخْلَاقِ أَقَلَّ مِنْهُمْ شَرًّا فَلَيْسُوا جَازِمِينَ بِغَالِبِ ضَلَالِهِمْ بَلْ عِنْدَ الْإِعْتِبَارِ تَجِدُ مَنْ تَرَكَ الْهَوَى مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ وَنَظَرَ نَوْعَ نَظَرٍ تَبَيَّنَ لَهُ الْإِسْلَامُ حَقًّا. وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ مَعْرِفَةَ الْإِنْسَانِ بِكُونِهِ يَعْلَمُ أَوْ لَا يَعْلَمُ مَرْجِعُهُ إِلَى وُجُودِ نَفْسِهِ عَالِمَةً، وَلِهَذَا لَا نَحْتَجُّ عَلَى مُنْكَرِ الْعِلْمِ إِلَّا بِوُجُودِنَا نَفُوسِنَا عَالِمَةً.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أي (إلا بوجودنا نفوسنا): الوجود هنا بمعنى الرؤية، نرى أنفسنا عالمة، شخص يقول لي: أنت تدعي أنك تعلم، ما هو الدليل؟ تعلم بأن واحد زائد واحد اثنان، ايش الدليل؟

يقول: (معرفة الإنسان بكونه يعلم أو لا يعلم مرجعه إلى وجود نفسه عالمة) يا أخي، هذه علوم ضرورية، ما دام أنا موجود وعندي عقل وكذا، فوجودي عبارة عن هذه الأمور، الذي ليس عنده هذه الأمور هو يُعتبر غير موجود، يقصد شيخ الإسلام أن وجودك مُستلزم لها، وجودك عاقلًا مُكلفًا مُستلزم لهذه الأمور؛ لذلك يقول: (ولهذا لا نحتج على منكر العلم إلا بوجودنا نفوسنا عالمة): أي برؤيتنا لأنفسنا عالمة.

أنت ترى أن عندي جهل وأنني لا أدري، وجودي يدل على أنني أعلم بهذه الأمور، هكذا يكون الاستدلال لمن يُنكر الأمور الضرورية التي يشترك فيها الجميع، طبعًا الأمور الضرورية يتفاوت فيها الناس، هذا الضروي قد يكون نظريًا عندك، والضروري عندك قد يكون نظري عندي، ولكن هناك أمور بديهية يشترك فيها الجميع، نحن نتحدث عن هذه الأمور.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلِهَذَا لَا نَحْتَجُّ عَلَى مُنْكَرِ الْعِلْمِ إِلَّا بِوُجُودِنَا نَفُوسَنَا عَالِمَةً، كَمَا اخْتَبَجُوا عَلَى مُنْكَرِي الْأَخْبَارِ
الْمُتَوَاتِرَةِ بِأَنَّ نَحْدُ نَفُوسَنَا عَالِمَةً بِذَلِكَ وَجَازِمَةٌ بِهِ كَعِلْمِنَا وَجَزْمِنَا بِمَا أَحْسَنَاهُ، وَجَعَلَ الْمُحَقِّقُونَ وَجُودَ
الْعِلْمِ بِمَخْبَرِ الْأَخْبَارِ هُوَ الضَّابِطُ فِي حُصُولِ التَّوَاتُرِ، إِذْ لَمْ يَحْدُوهُ بَعْدَدٌ وَلَا صِفَةٌ، بَلْ مَتَى حَصَلَ الْعِلْمُ
كَانَ هُوَ الْمُعْتَبَرُ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

طبعًا شيخ الإسلام هنا أشار إلى مسألة مهمة جدًا وهي: هل المتواتر يُفيد العلم؟ نعم، يُفيد العلم.

وما هو المرجع في حصول العلم هل هو العدد أو صفة معينة أو حصول العلم؟

يقول: حصول العلم.

تعرفون الخلاف في هذه المسألة، جمهور الأصوليين على أن المرجع هو العدد، ثمَّ اختلفوا في
العدد، وبالتالي يعني هذا المصطلح لا يستقيم على ... إذا كان العدد هو المرجع لا يستقيم وجود
التواتر، ولكن إذا قلت: (الضابط هو حصول العلم) فإذا حصل العلم علمت أنه متواتر هذا يستقيم كما
يقول شيخ الإسلام، هذا هو الصحيح.

(وَجَعَلَ الْمُحَقِّقُونَ وَجُودَ الْعِلْمِ بِمَخْبَرِ الْأَخْبَارِ) أي بمقتضى الإخبار، كحديث النبي ﷺ، إذا حصل

لك العلم بمقتضاه (هُوَ الضَّابِطُ فِي حُصُولِ التَّوَاتُرِ، إِذْ لَمْ يَحْدُوهُ بَعْدَدٌ وَلَا صِفَةٌ، بَلْ مَتَى حَصَلَ الْعِلْمُ

كَانَ هُوَ الْمُعْتَبَرُ) هذا هو الصحيح في المرجع في حصول العلم في المتواتر.

نرجع إلى موضوع المرجع في حصول العلم في المتواتر:

المتواتر له شروط أربعة:

- منها العدد، وهذا العدد إذا توفر فهذا الحديث متواتر، معناه: ينبغي أن يحصل لك العلم بموجبه

وأنه قد ثبت عن النبي ﷺ، كيف حصل لك العلم؟ بهذا العدد.

كم العدد؟ قالوا: "أربع، قالوا: ستة عشر، قالوا: سبعين، وهذا المذهب مع أنه مذهب جمهور

الأصوليين لا يستقيم، لا تستقيم معه القول بالمتواتر، لماذا؟ لأنَّ العدد قد يحصل لي العلم واليقين

بواحد، وقد لا يحصل لي بمليون، كلما زاد العدد زاد عندي الشك.

مثلاً: لو كان من رواية الحديث هؤلاء المتكلمين - هكذا يُذكرون - القاضي عبد الجبار ذكر حديثاً عن محمد بن يزداد عن فلان عن فلان، هؤلاء لو مليون عن مليون يزيد شك، إذا العدد ليس معياراً لحصول العلم.

طيب، هل معنى هذا أن المتواتر غير موجود؟ لا، المتواتر موجود، ولكن يُنظر فيه إلى حصول العلم، ليس العدد هو الذي يحصل به العلم، نعم، هو من موجبات العلم، من أسباب حصول العلم، ولكن حصول العلم ليس محصوراً على العدد، العلم قد يحصل بالعدد وقد يحصل بغيره، ولكن إذا حصل العلم؟ علمت أن هذا الحديث مُتواتر، بكون حكمه حُكم المتواتر.

أول حديث في «صحيح البخاري»: هذا الحديث عندي مُتواتر، لماذا؟ لأنه قد حصل العلم عندي بهذا العدد، قد يحصل العلم باثنين، قد يحصل العلم بثلاثة، ولكن في الأغلب يحصل بالعدد الكثير؛ لذلك سُمي مُتواتراً والتواتر هو التتابع، عدد بعد عدد، فحصر العلم بالعدد خطأ، بل إذا حصل العلم واليقين نقول: «هذا الحديث مُتواتر» وبالتالي أكثر أحاديث الصحيحين مُتواترة عند أهل السنة، بل أحاديث «الصحيحين» كلها عند أهل السنة مُتواترة.

أمّا إذا قلت: "ربطته بالعدد وهذا الشرط منهم" وبالتالي المتكلمون لا يعترفون بأي حديث أنه مُتواتر، ليس عندهم حديث مُتواتر، لماذا؟ لأننا وافقناهم على شرطهم بالشروط التي ذكروها هم. نكتفي بهذا القدر.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْإِنْسَانُ يَجِدُ نَفْسَهُ عَالِمَةً، وَهَذَا حَقٌّ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَسْتَدِلَّ الْإِنْسَانُ عَلَى كَوْنِهِ عَالِمًا بِدَلِيلٍ، فَإِنَّ عِلْمَهُ بِمُقَدِّمَاتِ ذَلِكَ الدَّلِيلِ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَجِدَ نَفْسَهُ عَالِمَةً بِهَا فَلَوْ احتَاجَ عِلْمُهُ بِكَوْنِهِ عَالِمًا إِلَى دَلِيلٍ أَفْضَى إِلَى الدَّوْرِ أَوْ التَّسْلُسِ، وَلِهَذَا لَا يُحْسِنُ الْإِنْسَانُ بِوُجُودِ الْعِلْمِ عِنْدَ وُجُودِ سَبَبِهِ إِنْ كَانَ بِدِيهِيًّا؛ أَوْ إِنْ كَانَ نَظْرِيًّا إِذَا عَلِمَ الْمُقَدِّمَتَيْنِ، وَبِهَذَا أُسْتَدِلَّ عَلَى مُنْكَرِي إِفَادَةِ النَّظَرِ الْعِلْمِ وَإِنْ كَانَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ تَفْصِيلٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

نعم، الإنسان يجد نفسه عالمةً وهذا حق، أنت تعلم وتجزم أنك عالمٌ بهذا الشيء، من الأمور الضرورية البديهية، ولكن هل تستدل؟ لا يجوز أن يستدل الإنسان على كونه عالماً بدليل، لماذا؟ لأنَّ علمه بمُقَدِّماتِ ذلك الدليل يحتاج إلى أن يجد نفسه عالمةً بها، تُريد أن تستدل على أنك عالمٌ وهذا الدليل يحتاج إلى ترتيب المقدمتين وإخراج كما يقولون الحد الأوسط والنتيجة. كل هذه الأمور كيف تمشي فيها؟ إذا كنت عالماً، كونك عالماً أثبتته بالدليل، وكونك عالماً بالدليل ومقدماته ونتائجه وترتيبه أثبتته بالعلم، وهذا هو الدَّور الذي يُسمى الدَّور القبلي: توقُّفُ شيءٍ على شيءٍ وتوقف ذلك الشيء على هذا الشيء.

تقول: لا يثبت هذا إلا بعد أن يثبت هذا، وهذا إلا أن يثبت هذا، توقُّفُ هذا على هذا وهذا على هذا. هذا هو الدور.

إذا أنت لمَّا تستدل يدُّ على أنك عالم، نفس الاستدلال يدل على أنك عالمٌ ولو لم تكن عالماً ما استطعت أن تستدل، مما يدل على أنَّ الاستدلال على أنك عالمٌ خطأ، ولكن هذا في الأمور الضرورية والبديهية.

أمَّا في الأمور النظرية فلا بُدَّ أن تُخبر الخصم بأنك عالمٌ بهذا الدليل، وبالتالي وصلت إليه عن طريق هذا الدليل، لأنَّ هذه المعلومة لا يُوصل إليها إلا بعد النَّظَرِ وبعد الاستدلال.

أمّا الأمور الضرورية والبديهية التي عليها تنبني الأدلة ما تحتاج إلى

يقول شيخ الإسلام: دعواك أي لست بعالم كيف أدفعها؟ كيف أدفعك عن.. أنا جازم وأنا على يقين

وأنت تقول: أنك لست عالمًا؟

وبهذا استدل على مُنكري إفادة النظر لعلمه، قيل لهم: أنتم تقولون أن النظر لا يُفيد العلم، وواقعنا

يدل على أن النظر يُفيد العلم، نظرت في المسألة الفلانية وتوصّلت فيها إلى نتيجة، والمسألة الفلانية

توصلت....، الواقع يدل على أن هذا يُفيد العلم.

يقول: (وإن كان في هذه المسألة) أي في إفادة النظر للعلم (تفصيل ليس هذا موضعه) وهذا سيأتي،

سيأتي في هذا الوجه.

قال المصنّف رحمه الله:

فَالْغَرَضُ: أَنَّ مَنْ نَظَرَ فِي دَلِيلٍ يُفِيدُ الْعِلْمَ وَجَدَ نَفْسَهُ عَالِمَةً عِنْدَ عِلْمِهِ بِذَلِكَ الدَّلِيلِ، كَمَا يَجِدُ نَفْسَهُ

سَامِعَةً رَائِيَةً عِنْدَ الْإِسْتِمَاعِ لِلصَّوْتِ وَالتَّرَائِي لِلشَّمْسِ أَوْ الْهَلَالِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَالْعِلْمُ يَحْصُلُ فِي النَّفْسِ

كَمَا تَحْصُلُ سَائِرُ الْإِدْرَاكَاتِ وَالْحَرَكَاتِ بِمَا يَجْعَلُهُ اللهُ مِنَ الْأَسْبَابِ وَعَامَّةً ذَلِكَ بِمَلَائِكَةِ اللهِ تَعَالَى.

قال الشّارح وفقه الله:

هنا بعد أن تحدث شيخ الإسلام عن حصول العلم، وأن من كان عنده هذا العلم الضروري لا يجوز

لك أن تدعي نفيه عنه لا يجوز.

وهنا الآن يُبين كيف تحصل العلوم؟ حتى العلوم الضرورية والعلوم النظرية كيف تحصل؟ ما هي

الأسباب؟

ذكر أن من أسبابها: ما كان بسبب الملك، هذا السبب الذي تحدث عنه شيخ الإسلام من النادر أن

نجدّه في الكتب؛ ولذلك فصل فيه، طبعًا سيذكر أن من الأسباب النظر، من أسباب العلم النظر، سيذكر،

وقدّم هذا السبب؛ لأنّه قد يخفى على الكثيرين الذي يحصل بسبب الملائكة الذي يخلقه الله ﷻ، العلم

الذي يُحدّثه الله ﷻ ويخلقه بسبب الملائكة، بواسطة الملائكة هذا قد يخفى على الكثيرين؛ لذلك قدّمه

وفصل فيه.

إذن العلمُ يحصلُ في النفس كما تحصلُ سائر الإدراكات والحركات، كيف يحصل؟ بما يجعله الله من الأسباب، والأسباب كثيرة، بدأ بالسبب الأول: **(وعامة ذلك)** نعم هذا السبب سيستمر فيه إلى صفحة (٥٢).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُنْزِلُ بِهَا عَلَى قُلُوبِ عِبَادِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْقُوَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ. وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِحَسَّانٍ: «اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» وَقَالَ تَعَالَى: «كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ» وَقَالَ ﷺ مَنْ طَلَبَ الْقَضَاءَ وَاسْتَعَانَ عَلَيْهِ وَكُلَّ إِلَيْهِ وَمَنْ لَمْ يَطْلُبْ الْقَضَاءَ وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَيْهِ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَلَكًا يُسَدِّدُهُ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً هذا الحديث ضعيف، وكما سبق من شيخ الإسلام في حديثه عن الاستدلال بالضعيف أنه يكون مُندرجاً تحت أصل، وهذا الحديث يعني ليس ضعفه شديد في مثل هذه الأحوال يختلف العلماء في الحكم على الحديث، قد يكون عنده حسناً ويستدل به، أمّا إذا كان الضعف شديداً فهنا يُقال: أن الرجح ما رجحه غيره من كونه ضعيفاً، على كل حال هذا الحديث ضعيف، سنده ضعيف، وقد يكون عند شيخ الإسلام حسن، الله أعلم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: «كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ السَّكِينَةَ تَنْطِقُ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا أثر والسند ضعيف، ومثل هذا الضعف يُحتمل في الآثار، هناك خلطٌ عند بعض من يتعاطى هذه الصنعة يستعمل في الآثار نفس القواعد والضوابط الشديدة الصارمة التي تكون في العديد من، ويتعلق بالآثار وما يتعلق بالسيرة أيضاً في ما ليس له حكم، حوادث السيرة إذا لم يكن فيها حكم؛ لأن بقاء السيرة

فيها بعضها أن النبي ﷺ قال كذا وكذا، فيما ليس فيه حُكم لا تكون الصَّرامة فيها مثل ما يكون في الحديث المرفوع.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَيْضًا: «إِنَّ لِلْمَلِكِ لَمَّةً وَلِلشَّيْطَانِ لَمَّةً فَلَمَّةُ الْمَلِكِ: إِيْعَادُ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقُ بِالْحَقِّ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

اللَّمَّةُ الْهَمُّ وَالْخَطَرُ، كَأَنَّهُ يَقُولُ لَكَ شَيْءٌ، يَقْذِفُ شَيْئًا فِي الْقَلْبِ، كَأَنَّهُ صَوْتٌ خَافَتْ، كَأَنَّهُ وَحْيٌ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَلَمَّةُ الْمَلِكِ إِيْرَادُ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ..

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أَنَّهُ يَقُولُ لَكَ: إِذَا عَمَلْتَ بِهَذَا؛ فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ، لَنْ يَحْصَلَ لَكَ إِلاَّ الْخَيْرُ "تَصْدِيقٌ لِلْحَقِّ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَمَّةُ الشَّيْطَانِ إِيْعَادُ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

تَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَى فِي الْأَخْبَارِ، وَإِيْرَادُ بِالْخَيْرِ فِي الْمَطَالِبِ الْعَمَلِيَّةِ، الْأَعْمَالِ، (وَلَمَّةُ

الشَّيْطَانِ إِيْعَادُ بِالشَّرِّ) فِي الطَّلَبِ فِي الْعَمَلِ، (وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ) فِي الْأَخْبَارِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا الْكَلَامُ الَّذِي قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ هُوَ مَحْفُوظٌ عَنْهُ، وَرُبَّمَا رَفَعَهُ بَعْضُهُمْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ كَلَامٌ جَامِعٌ لِأَصُولِ مَا يَكُونُ مِنَ الْعَبْدِ مِنْ عِلْمٍ وَعَمَلٍ مِنْ شُعُورٍ وَإِرَادَةٍ، وَذَلِكَ: أَنَّ الْعَبْدَ لَهُ قُوَّةُ الشُّعُورِ وَالْإِحْسَاسِ وَالْإِدْرَاكِ وَقُوَّةُ الْإِرَادَةِ وَالْحَرَكَةِ، وَإِحْدَاهُمَا أَصْلُ الثَّانِيَةِ مُسْتَلْزِمَةٌ لَهَا. وَالثَّانِيَةُ مُسْتَلْزِمَةٌ لِلأُولَى وَمُكَمَّلَةٌ لَهَا، فَهُوَ بِالأُولَى يُصَدَّقُ بِالْحَقِّ وَيُكَذَّبُ بِالْبَاطِلِ وَبِالثَّانِيَةِ يُحِبُّ النَّافِعَ الْمُتْلَائِمَ لَهُ؛ وَيُبْغِضُ الضَّارَّ الْمُنَافِيَّ لَهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

نعم، هذا ما ذكره شيخ الإسلام هنا أيضًا ذكره في عدد من كتبه، أن الإنسان له قوتان:

قوة الشعور والإحساس والإدراك، وهذه يُسميها دائماً القوة العلمية، وقوة الإرادة والحركة والحكم والطلب وهذه يُسميها القوة العملية.

إذن الإنسان عنده قوتان: القوة العلمية والقوة العملية، وصلاح النفس بصلاح وكمال تلك القوتين، القوة العلمية التي ترجع إلى الاعتقاد والقوة العملية التي ترجع إلى صحة العمل، يقول شيخ الإسلام هنا: (وَإِحْدَاهُمَا أَصْلُ الثَّانِيَةِ مُسْتَلْزِمَةٌ لَهَا) صلاح وكمال القوة العلمية إذا كان اعتقادك صحيحًا، إذا كنت تعتقد بأن الله ﷻ واحد لا شريك له في ربوبيته وأسمائه وصفاته؛ هذا يستلزم أنك تعبد وهي القوة العملية، إذا هذه القوة مُستلزمة لهذه القوة، وتلك القوَّة -كمال النَّفس في العمل- تقتضي ومُتضمنة للكمال في القوة العلمية، إذا كنت لا تعبد إلا الله ﷻ وموحداً في أعمالك وطلبك وقصدك هذا يدل على أن قوتك العلمية كاملة، والتلازم بينهما والنسبة بينهما مثل النسبة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية:

توحيد الربوبية يرجع إلى الاعتقاد، وتوحيد الألوهية يرجع إلى العمل.

إذا كان اعتقادك صحيحًا، هذا يقتضي أن يكون عملك صحيحًا، إذا كان عملك صحيحًا؛ يدل على أن اعتقادك صحيح.

عبارة شيخ الإسلام هنا: (والثانية مستلزمة للأولى ومكملة لها) الاستلزام هنا بمعنى التضمن، وإلا

هذا ذكره شيخ الإسلام في عدد من المواضع، إذن هناك تلازم بينهما، العلاقة بينهما علاقة تلازم وتضمن.

وكمال القوة العلمية في الهدى، وكمال القوة العملية في الرّشاد والعمل الصالح، وهذا الذي أريد بقوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [الفتح: ٢٨]، دين الحق هو العمل الصالح، ويكون عملاً صالحاً إذا كان مبنيّاً على الهدى، وهو الكمال في القوة العلمية.

إذن الشريعة فيها: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [الفتح: ٢٨]، تُريد الكمال في الاعتقاد وفي القوة العلمية: هنا، تُريد الكمال في القوة العملية؟ هنا، وسيُبين شيخ الإسلام - فيما سيأتي - أنّ المتكلمين يهتمون بالقوة العلمية، يهتمون بالعلم والنظر ولا يهتمون بالقوة الثانية، الصوفية يهتمون بالجانب الثاني ولا يهتمون بهذا، وأنّ أهل السنة عندهم صفوة الطريقين وكمال الطريقتين في القوة العلمية وفي القوة العملية.

يقول هنا: (فَهُوَ بِالْأُولَىٰ يُصَدِّقُ بِالْحَقِّ وَيُكَذِّبُ بِالْبَاطِلِ) لأنّه يتعلق بالاعتقاد، (وَبِالثَّانِيَةِ يُحِبُّ): إذن يُريد (النَّافِعِ الْمَلَائِمِ لَهُ؛ وَيُبْغِضُ)، إذا لا يُريد، "يُريد أو لا يُريد بالنظر إلى اعتقاده".

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَ عِبَادَهُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ الَّتِي فِيهَا مَعْرِفَةُ الْحَقِّ وَالتَّصَدِيقُ بِهِ وَمَعْرِفَةُ الْبَاطِلِ وَالتَّكْذِيبُ بِهِ، وَمَعْرِفَةُ النَّافِعِ الْمَلَائِمِ وَالْمَحَبَّةُ لَهُ وَمَعْرِفَةُ الضَّارِّ الْمُنَافِي وَالْبُغْضُ لَهُ بِالْفِطْرَةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

إذن الفطرة من فوائدها أنّ فيها تسديدٌ في الجانبين، أنّ فيها تصويبٌ في الجانبين، أنّها تنفعك في الجانبين: في القوة العلمية وفي القوة العملية.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَمَا كَانَ حَقًّا مَوْجُودًا صَدَقَتْ بِهِ الْفِطْرَةُ وَمَا كَانَ حَقًّا نَافِعًا عَرَفْتَهُ الْفِطْرَةُ فَأَحَبَّتَهُ وَاطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ. وَذَلِكَ هُوَ الْمَعْرُوفُ وَمَا كَانَ بَاطِلًا مَعْدُومًا كَذَبَتْ بِهِ الْفِطْرَةُ فَأَبْغَضَتْهُ الْفِطْرَةُ فَأَنْكَرَتْهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ .

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا هنا في كلام شيخ الإسلام: (فَمَا كَانَ حَقًّا مَوْجُودًا)، (وَمَا كَانَ حَقًّا نَافِعًا) هذا يدل على أن الحق نوعان، أو يُطلق على أمرين:

الأمر الأول: الثابت الموجود، نقول: هذا حق أي هو ثابت وموجود.

فما الذي يجب عليه في الثابت والموجود؟ أن تُصدِّق به، هذا موجود، هل يليق بالعاقل أن يقول غير موجود؟! فإذا نُصدِّق به إذا أُخبرت عنه، هذا المعنى الأول للحق.

والمعنى الثاني للحق: النافع الذي ينبغي أن يُقصد، النافع هذا هو الحق، والمطلوب هنا أن تطلبه، أن تطلب هذا الحق، ولكن بماذا تطلب؟ بالوسيلة الصحيحة؛ لذلك يقول: (فَمَا كَانَ حَقًّا مَوْجُودًا صَدَقَتْ بِهِ الْفِطْرَةُ وَمَا كَانَ حَقًّا نَافِعًا عَرَفْتَهُ الْفِطْرَةُ فَأَحَبَّتَهُ وَاطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ)

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْإِنْسَانُ كَمَا سَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ حَيْثُ قَالَ: «أَصْدَقُ الْأَسْمَاءِ حَارِثٌ وَهَمَّامٌ». فَهُوَ دَائِمًا يَهُمُّ وَيَعْمَلُ، لَكِنَّهُ لَا يَعْمَلُ إِلَّا مَا يَرْجُو نَفْعَهُ أَوْ دَفَعَ مَضْرَرَّتَهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا هذا الحديث أكثر ما روي من قبيل المراسيل، هذا الحديث ويذكره شيخ الإسلام كثيرًا. أكثر ما روي في السُّنن عن طريق المراسيل، وبعضهم رفعه، والرفع لا يصح، ولا أدري لماذا لم أدرس الحديث جيدًا، سند الحديث، شيخ الإسلام يذكره كثيرًا، ماذا يرى؟ الله أعلم.

وقوله: (فَهُوَ دَائِمًا يَهُمُّ وَيَعْمَلُ) الإنسان طبعًا الحارث بمعنى الكاسب، وهمَّام أي بمعنى المُريد،

(فَهُوَ دَائِمًا يَهُمُّ) الهم أول الإرادة، هو دائماً يُريد ودائماً يعمل، طبعاً حتى ولو لم يكن عاملاً هذا عمل، إذا لم يتقدم فيقابلهُ أنه يتأخر، ليس هناك وسط، هذا أيضاً عمل.

شخصٌ يذهب يُصلي وهذا لا يُصلي، هذا عمل يُحسب عليه، إذن دائماً يهتم ويعمل لكنه؟
قوله: (لَكِنَّهُ لَا يَعْمَلُ إِلَّا مَا يَرْجُو نَفْعَهُ أَوْ دَفَعَ مَضْرَتَهُ).: هكذا عموماً لا يعمل إلا ما يرجو منفعةً أو دفع مضرته عموماً.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَكِنْ قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ الرَّجَاءُ مَبْنِيًّا عَلَى اعْتِقَادٍ بَاطِلٍ إِمَّا فِي نَفْسِ الْمَقْصُودِ: فَلَا يَكُونُ نَافِعًا وَلَا ضَارًّا وَإِمَّا فِي الْوَسِيلَةِ فَلَا تَكُونُ طَرِيقًا إِلَيْهِ، وَهَذَا جَهْلٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

معنى أن الإنسان يُريد ولا يُريد إلا مصلحته ولا يُريد إلا ما ينفعه ومع ذلك يُخطأ، لماذا؟ لهذين الأمرين: قد يكون هذا الرجاء مبنياً على اعتقادٍ باطل، لماذا؟
إمّا في نفس المقصود ما ظنه حقاً لم يكن حق، فلا يكون نافعاً ولا ضاراً.
وإمّا في الوسيلة، الوسيلة التي يظنها توصل إليها، فلا تكون طريقاً إليه؛ وهذا جهل.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَدْ يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الشَّيْءَ يَضُرُّهُ وَيَنْفَعُهُ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ يَنْفَعُهُ وَيَتْرُكُهُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ الْعِلْمَ عَارِضُهُ مَا فِي نَفْسِهِ مِنْ طَلَبِ لَذَّةٍ أُخْرَى أَوْ دَفْعِ أَلَمٍ آخَرَ جَاهِلًا ظَالِمًا حَيْثُ قَدَّمَ هَذَا عَلَى ذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

نعم، قد يعلم أن هذا الشيء يضره مع ذلك يفعله، وقد يعلم أن هذا الشيء ينفعه ومع ذلك يتركه، يحصل كثيراً، لماذا؟ (لِأَنَّ ذَلِكَ الْعِلْمَ عَارِضُهُ مَا فِي نَفْسِهِ مِنْ طَلَبِ لَذَّةٍ أُخْرَى، أَوْ دَفْعِ أَلَمٍ آخَرَ جَاهِلًا ظَالِمًا حَيْثُ قَدَّمَ هَذَا عَلَى ذَلِكَ) يعني قدم اللذة العاجلة على اللذة الآجلة، ولكن هل هو عاصي أو جاهل هنا؟ لماذا هو جاهل؟ هل يجهل أنه لا يجوز أو يجوز؟ هل يجهل هذا؟ أو من ناحية أخرى.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلِهَذَا قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: «سَأَلْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾؟

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ هل يجهلون أنه سيء؟ ليس هذا المراد كما يقول أبو العالية، أبو العالية من كبار التابعين توفي سنة ثلاث وتسعين، يقول: (سَأَلْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَقَالُوا: كُلُّ مَنْ عَصَى اللَّهَ فَهُوَ جَاهِلٌ وَكُلُّ مَنْ تَابَ قَبْلَ الْمَوْتِ فَقَدْ تَابَ مِنْ قَرِيبٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

نعم، هو عنده علم أن بفعل هذا تفوته اللذة الدائمة، اللذة الآجلة، عنده علم وعنده علم أن هذه معصية، ولكن عارضت هذه لذة عاجلة أخرى، فقدمها، تقديمه لهذه على هذه جهل، ليس معناه أنه يغيب عليه الحكم، لا، ليس هذا هو الجهل هنا، جهله هو الجهل الذي يُنافي العلم الصحيح التام الذي يستلزم العمل، هذا هو الجهل، لو لم يكن عنده جهل ما قدّم هذا على هذا، واضح؟
ليس المراد بالجهل هنا عدم معرفة الحكم، وإنما الجهل هنا تقديم هذه اللذة العاجلة على اللذة الدائمة الآجلة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ لَا يَتَحَرَّكُ إِلَّا رَاجِعًا، وَإِنْ كَانَ رَاهِبًا^(٥) خَائِفًا لَمْ يَسْعَ إِلَّا فِي النَّجَاةِ وَلَمْ يَهْرُبْ إِلَّا مِنَ الْخَوْفِ: فَالرَّجَاءُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَا يُلْقَى فِي نَفْسِهِ مِنَ الْإِبْعَادِ بِالْخَيْرِ الَّذِي هُوَ طَلَبُ الْمَحْبُوبِ أَوْ فَوَاتِ الْمَكْرُوهِ، فَكُلُّ بَنِي آدَمَ لَهُ اعْتِقَادٌ؛ فِيهِ تَصَدِيقٌ بِشَيْءٍ وَتَكْذِيبٌ بِشَيْءٍ وَلَهُ قَصْدٌ وَإِرَادَةٌ لِمَا يَرْجُوهُ مِمَّا هُوَ عِنْدَهُ مَحْبُوبٌ مُمَكِّنُ الْوُصُولِ إِلَيْهِ أَوْ لَوْجُودِ الْمَحْبُوبِ عِنْدَهُ أَوْ لِدَفْعِ الْمَكْرُوهِ عَنْهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

من الذي يُلقى في نفسه الإيعاد بالخير؟ المَلِكُ، لا زال في الموضوع، يقول: إذا كان الإنسان لا يتحرك إلا لرجاء، وإذا كان في خوفه ورهبتِه يسعى في الهرب من الخوف أو يُوقره في المخوف يدل على أن هذا مَوْفِقٌ، وهذا التوفيق من الله ﷻ عن طريق الملائكة.

لاحظوا: (وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ لَا يَتَحَرَّكُ إِلَّا رَاجِعًا، وَإِنْ كَانَ رَاهِبًا^(٥) خَائِفًا لَمْ يَسْعَ إِلَّا فِي النَّجَاةِ وَلَمْ يَهْرُبْ إِلَّا مِنَ الْخَوْفِ: فَالرَّجَاءُ لَا يَكُونُ) هذا الرجاء بهذه الصفة: (لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَا يُلْقَى فِي نَفْسِهِ مِنَ الْإِبْعَادِ بِالْخَيْرِ الَّذِي هُوَ طَلَبُ الْمَحْبُوبِ أَوْ فَوَاتِ الْمَكْرُوهِ) المعنى أَنَّهُ مَوْفِقٌ.

(٥) في بعض النسخ هنا زادوا: (وإن كان راهبًا) نسخة الدكتور عبد العزيز خال عبد اللطيف.

هنا زاد: (إلا) ويبدو أن لي زيادته صحيحة، (وإن كان راهبًا خائفًا لم يسع إلا في النجاة، ولم يهرب إلا من الخوف). هنا نقطتين بعدها: (فالرجاء).

(٦) في بعض النسخ هنا زادوا: (وإن كان راهبًا) نسخة الدكتور عبد العزيز خال عبد اللطيف.

هنا زاد: (إلا) ويبدو أن لي زيادته صحيحة، (وإن كان راهبًا خائفًا لم يسع إلا في النجاة، ولم يهرب إلا من الخوف). هنا نقطتين بعدها: (فالرجاء).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَكُلُّ بَنِي آدَمَ لَهُ اِعْتِقَادٌ؛ فِيهِ تَصَدِيقٌ بِشَيْءٍ وَتَكْذِيبٌ بِشَيْءٍ وَلَهُ قَصْدٌ وَإِرَادَةٌ لِمَا يَرْجُوهُ مِمَّا هُوَ عِنْدَهُ مَحْبُوبٌ مُمَكِّنُ الْوُصُولِ إِلَيْهِ أَوْ لَوْجُودِ الْمَحْبُوبِ عِنْدَهُ؛ أَوْ لِدَفْعِ الْمَكْرُوهِ عَنْهُ. وَاللَّهُ خَلَقَ الْعَبْدَ يَقْضُدُ الْخَيْرَ فَيَرْجُوهُ بِعَمَلِهِ فَإِذَا كَذَّبَ بِالْحَقِّ فَلَمْ يُصَدِّقْ بِهِ وَلَمْ يَرْجُ الْخَيْرَ فَيَقْضُدْهُ وَيَعْمَلْ لَهُ: كَانَ خَاسِرًا بَتْرَكِ تَصَدِيقِ الْحَقِّ وَطَلَبِ الْخَيْرِ فَكَيْفَ إِذَا كَذَّبَ بِالْحَقِّ وَكَرِهَ إِرَادَةَ الْخَيْرِ؟ فَكَيْفَ إِذَا صَدَّقَ بِالْبَاطِلِ وَأَرَادَ الشَّرَّ؟

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هنا يذكر شيخ الإسلام بعد هذا التمهيد وأنَّ الإنسانَ عموماً يريد ما فيه الخير عموماً، وكل واحد يظن أنه يسلك ما يوصله إلى المقصود عموماً، وكل بني آدم عنده اعتقاد بشيء وتصديق بشيء وتكذيبٌ لشيء، وله قصدٌ وإرادة لشيء، لما يظنه من إدراك المحبوب أو الفرار من المكروه، والله عَزَّ وَجَلَّ خلق العبد ليصدق بالحق ويقصد الخير فيرجوه بعمله.

نعم، تريد الخير؛ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَهُ لَكَ. تريد الوصول إليه اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَ لَكَ سبيل الوصول إليه.

تصدق بالحق وتطلب الحق النافع، هذا هو المطلوب، والسبيل مُتيسر، إذاً مع هذا كله فإذا كذب بالحق فلم يُصدق به، ولم يرجو الخير فيقصدّه ويعمل له كان خاسراً بترك تصديق الحق وطلب الخير، أي إنسان إذا سألته وقلت له: تريد الخير؟ يقول نعم، تريد الوصول إليه؟ يقول: نعم، تريد حصول المصلحة؟ يقول: نعم، هذا لا يختلف فيه أحد، ولكن الخطأ الذي وقع فيه أنه وجد الخير ووجد الحق ولم يُصدق به، إذا لم يُصدق به ولم يعمل له كان خاسراً بترك تصديق الحق وطلب الخير.

هذه خطوة في البعد عن الحق، فكيف إذا كذب بالحق وكره إرادة الخير، هذه خطوة أخرى أبعد عن الأولى، لم يكتف بعدم التصديق بل زاد خطوةً أخرى: كذب بالحق وكره إرادة الخير، بل كيف إذا صدق بالباطل وأراد الشر؟! هذه الخطوة الأخيرة، فهذا أبعد عن الوصول إلى العلم الصحيح والحق النافع، وهذا حال كثير من المتكلمين، لا يكتفي ببعد عن الحق وبعدم تصديقه بالحق، لا يكتفي به، يتجاوزة

إلى الخطوة الثانية، يُكذَّب بالحق ويكره إرادة الخير، طبعًا في هذين الأمرين دائمًا نتذكر الفتيتين المتقابلتين - المتكلمين والصوفية -.

(وكره إرادة الخير) لم يكتف بهذا بعضهم؛ (بل صدق بالباطل وأراد الشر) يقول شيخ الإسلام: هذا الذي وصل إلى هذا الحد جمع مجامع الشر، هذا يتجه إلى أهل السنة وأهل الأثر وأهل الحديث، ويقول له: "جزمك بهذا ليس بصحيح؛ لأنك لست على دليل، مع أنه جمع ما أمكنه من الشر".

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ أَنَّ لِقَلْبِ ابْنِ آدَمَ لَمَّةً مِنَ الْمَلِكِ وَلَمَّةً مِنَ الشَّيْطَانِ فَلَمَّةُ الْمَلِكِ تَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ وَهُوَ مَا كَانَ مِنْ غَيْرِ جِنْسِ الْإِعْتِقَادِ الْفَاسِدِ وَلَمَّةُ الشَّيْطَانِ هُوَ تَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ وَإِعَادٌ بِالشَّرِّ، وَهُوَ مَا كَانَ مِنْ جِنْسِ إِرَادَةِ الشَّرِّ وَظَنُّ وَجُودِهِ: إِمَّا مَعَ رَجَائِهِ إِنْ كَانَ مَعَ هَوَى نَفْسٍ وَإِمَّا مَعَ خَوْفِهِ إِنْ كَانَ غَيْرَ مَحْبُوبٍ لَهَا. وَكُلُّ مِنَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ مُسْتَلْزِمٌ لِلْآخِرِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

الرجاء والخوف الصحيحان كل منهما مُستلزمٌ للآخر، إذا كان الرجاء صحيحًا فهو الرجاء الذي يستلزم الخوف، وإذا كان الخوف صحيحًا فهو الذي يستلزم الرجاء.

الرجاء الذي لا يستلزم الخوف هو الأمن من مكر الله ﷻ، والخوف الذي لا يستلزم الرجاء فهو قنوطٌ من رحمة الله ﷻ، وكلاهما كُفر؛ ولذلك رجاء المؤمن وخوف المؤمن كلاهما مُتلازمان، قد يغلب هذا على هذا وهذا على هذا، ولكن يبقى خوفه لا يوصله إلى القنوط ورجائه لا يوصله إلى الأمن من مكر الله ﷻ، أمَّا غلبة هذا على هذا؛ هذا لا يملكه.

في مثل هذه الأمور ينبغي أن يتجه إلى النصوص حتى يكون بينها، أمَّا إذا خلا هذا عن هذا وهذا عن هذا؛ فهذا الذي يقصده شيخ الإسلام: (وكلٌّ من الرجاء والخوف) أي الصحيحين (مُستلزمٌ للآخر).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَمَبْدَأُ الْعِلْمِ الْحَقِّ وَالْإِرَادَةِ الصَّالِحَةِ: مِنْ لَمَّةِ الْمَلِكِ. وَمَبْدَأُ الْإِعْتِقَادِ الْبَاطِلِ وَالْإِرَادَةِ الْفَاسِدَةِ: مِنْ لَمَّةِ الشَّيْطَانِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

طبعاً شيخ الإسلام يُشير هنا إلى ما يُرَجِّحُه من تفسير هذه الآية، يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ من معاني هذه الآية أَنَّهُ يُخَوِّفُهُمْ أَكْثَرَ، ومن معانيه أَنَّهُ: (يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ) يوقعكم في الخوف، ومن هُم الذين بهم يُخَوِّفُكُمْ؟ أَوْلِيَاءَهُ.

وذكر في بعض المواضع أن هذا وهذا كلاهما صحيح، ولكن هذا الذي يُرَجِّحُه هنا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

أَيُّ: يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

هذا كله من لمتِه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالشَّيْطَانُ وَسْوَاسٌ خَنَاسٌ إِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ خَنَسَ، فَإِذَا غَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ وَسْوَاسٌ، فَلِهَذَا كَانَ تَرْكُ ذِكْرِ اللهِ سَبَبًا وَمَبْدَأً لِنُزُولِ الْإِعْتِقَادِ الْبَاطِلِ وَالْإِرَادَةِ الْفَاسِدَةِ فِي الْقَلْبِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

تريد أن تتخلص من لمة الشيطان؛ ذكر الله ﷻ يُنجيك من لمتِه ومن وسوستِه، لأنَّه وسواسٌ خناس:

(إذا ذكر العبد ربه خنس فإذا غفل عن ذكره وسوس).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمِنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى: تِلَاوَةُ كِتَابِهِ وَفَهْمُهُ وَمُذَاكَرَةُ الْعِلْمِ كَمَا قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: وَمُذَاكَرَتُهُ تَسْبِيحٌ.

وَقَدْ تَنَازَعَ أَهْلُ الْكَلَامِ فِي حُصُولِ الْعِلْمِ فِي الْقَلْبِ عَقِبَ النَّظْرِ فِي الدَّلِيلِ

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طَبَعًا هَذِهِ الْجُمْلَةُ مُعْتَرِضَةٌ فِيهَا فَائِدَةٌ نَفِيسَةٌ جَدًّا، وَهِيَ أَنَّ الذِّكْرَ أَهَمَّ مِنْ قَصْرِهِ عَلَى الذِّكْرِ بِاللِّسَانِ، لَيْسَ مَعْنَى ذِكْرِ اللهِ ﷻ الذِّكْرَ بِاللِّسَانِ فَقَطْ، بَلْ كُلُّ مَا فِيهِ دَعْوَةٌ إِلَى اللهِ ﷻ فَهُوَ مِنَ الذِّكْرِ: فَمَجَالِسُ الْعِلْمِ ذِكْرٌ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ ذِكْرٌ؛ لِأَنَّ هَذَا كُلَّهُ يُذَكِّرُ بِاللَّهِ ﷻ.

(وَقَدْ تَنَازَعَ أَهْلُ الْكَلَامِ فِي حُصُولِ الْعِلْمِ فِي الْقَلْبِ عَقِبَ النَّظْرِ فِي الدَّلِيلِ) إِلَى هُنَا ذِكْرُ السَّبَبِ

الْأَوَّلِ، الَّذِي هُوَ لِمَّةُ الْمَلِكِ، إِلهَامُهُ، تَثْبِيتهُ، وَحِيهٌ، وَهَذَا سَبَبٌ مِنَ الْأَسْبَابِ، وَكَمَا قُلْتُ هَذَا يَغْفُلُ عَنْهُ كَثِيرُونَ.

الآن يذكر السبب الثاني: وهو النظر.

النَّظَرُ مِنْ أَسْبَابِ الْعِلْمِ، وَلَكِنْ مَا هُوَ ذَلِكَ النَّظَرُ الَّذِي يُفْضِي إِلَى الْعِلْمِ؟ بِمَجْرَدِ النَّظَرِ سَيَأْتِي الْمُتَكَلِّمُ لِيَسْتَوْلِيَ عَلَى الْمَجْلِسِ وَيَقُولُ: "أَنَا صَاحِبُ النَّظَرِ"؛ لِأَنَّهُ يَتَشَدَّقُ بِالنَّظَرِ دَائِمًا، وَسَيُنَاقِشُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ هُنَا مَا عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ مِنَ النَّظَرِ وَسَيُبَيِّنُ أَنَّ النَّظَرَ -طَبَعًا سَيَأْتِي هَذَا أَيْضًا فِي مَوْضِعٍ لَاحِقٍ- فِيهِ إِجْمَالٌ، فَالنَّظَرُ:

مِنْهُ مَا هُوَ شَرْعِيٌّ: وَهُوَ النَّظَرُ فِي آيَاتِ اللهِ ﷻ الْمُتَلَوَّةِ وَالْمَشَاهِدَةِ -الْمَرْتِيَةِ-، هَذَا هُوَ النَّظَرُ الصَّحِيحُ، النَّظَرُ فِي الْأَدْلَةِ الصَّحِيحَةِ سِوَاءَ كَانَتْ مَرْتِيَةً أَوْ مُتَلَوَّةً.

وَمِنْهُ مَا هُوَ نَظَرٌ فَاسِدٌ: وَهُوَ النَّظَرُ فِي أَدْلَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ، لِأَنَّ هَذَا النَّظَرَ لَا يَزِيدُ بِكَ إِلَّا بُعْدًا عَنِ الْحَقِّ، لَا يُوصلُكَ إِلَى الْيَقِينِ.

وَمِنْهُ مَا هُوَ نَظَرٌ غَيْرٌ مُقَيَّدٌ بِهَذَا وَهَذَا: وَهَذَا يُنظَرُ وَيُعْرَفُ وَيُحَدَّدُ بِوَسَائِلِهِ وَبِالنَّظَرِ فِيهِ.

إِذْنِ النَّظَرِ يُفِيدُ الْعِلْمَ، وَلَكِنْ كَيْفَ يُفِيدُ الْعِلْمَ؟ يَذَكِّرُ الْاِخْتِلَافَ:

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ تَنَازَعَ أَهْلُ الْكَلَامِ فِي حُصُولِ الْعِلْمِ فِي الْقَلْبِ عَقِبَ النَّظْرِ فِي الدَّلِيلِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ التَّوَلُّدِ. وَقَالَ الْمُتَكَلِّمُونَ لِلتَّوَلُّدِ: بَلْ ذَلِكَ بِفِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى. وَالنَّظْرُ إِذَا مُتَّصِمٌ لِلْعِلْمِ وَإِنَّمَا مُوجِبٌ لَهُ. وَهَذَا يَنْصُرُهُ الْمُتَنَسِّبُونَ لِلسَّنَةِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنَ الْفُقَهَاءِ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِمْ، وَقَالَتِ الْمُتَفَلِّسَةُ: بَلْ ذَلِكَ يَحْصُلُ بِطَرِيقِ الْفَيْضِ مِنَ الْعَقْلِ الْفَعَّالِ عِنْدَ اسْتِعْدَادِ النَّفْسِ لِقَبُولِ الْفَيْضِ. وَقَدْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْعَقْلَ الْفَعَّالَ هُوَ جَبْرِيْلٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

ذكر شيخ الإسلام هنا ثلاثة أقوال:

طبعاً الخلاف في هذه المسألة تابعٌ للخلاف في القدرَ وخاصةً في أفعال العباد، فالخلاف هنا مبني على الخلاف هناك، واضح؟ لأنَّ الحديث عن التولد وعن المتولدات تابعاً عن الحديث في أفعال العباد، وسيوضح هذا بالتفصيل.

يقول: (وقد تنازع أهل الكلام في حصول العلم في القلب عقب النظر) وهل تنازعوا في حصوله؟ لم يتنازعوا في حصوله، يحصل العلم، هذا الأمر مُتَّفَقٌ عليه بيننا وبينهم، وبينهم هم أيضاً، لا خلاف في هذا: أَنَّ الْعِلْمَ يَحْصُلُ عَقِبَ النَّظْرِ، وَأَنَّ النَّظْرَ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ الْعِلْمِ، لَا خِلَافَ فِيهِ، وَلَكِنْ كَيْفَ يَحْصُلُ؟ (فقال بعضهم) هذا القول الأول: (ذلك على سبيل التولد) هذا قول القدرية وهم المعتزلة، وقولهم

تابع كما قلت لمذهبهم في الأمور المباشرة، الأمور أو الأفعال تنقسم إلى قسمين:

قسم تُطَلَّقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ فِعْلٌ مُبَاشِرٌ: "أنا وضعت هذا هنا" هذا فعلي المباشر، وهذا زيت وضعته هنا وكان مخفياً ووضعته هنا، جاء شخصٌ وشربه، هل أنا جعلته يشرب هل أمرته بالشرب؟ لا، ولكنني تسببتُ في شربه، وتولد من فعلي فعلٌ آخر وهو الشرب، واضح؟

شخصٌ حفرَ بئراً للفائدة الناس لنعفهم، جاء شخصٌ أعمى وهو شخصٌ في الليل فوق فيه، هذا الفعل الثاني تولد عن الفعل الأول، هل صاحب البئر قاتله أو لا؟ فعلي المباشر هو حفر البئر، والمتولد

عن فعله حصول ذلك القتل.

المُعْتزلة كما تعلمون هم يقولون: أن الإنسان خالق لأفعاله؛ فيقال لهم: "هناك أفعال لم يفعلها،

من الذي فعلها؟

من الصَّعب عليه أن يقول: فعلها الله ﷻ، قدرى هو، إمَّا أن يقول: فعلها الله ﷻ أو ينسبها إلى نفسه

أيضًا، هذا الذي رجحوه، قال: بما أنني فعلتُ الفعل الأول؛ فالذي تولد منه أيضًا من فعلي أنا.

فَعندهم حصول العلم الذي يتولد من النظر: هذا يحصلُ بفعل العبد وليس لله ﷻ دخلٌ في حصول

العلم، هو الذي نظر وبفعله حصل العلم، واضح يا مشايخ؟

سؤال: (٤٥:٥٤).

طبعًا هم من عجيب أمرهم -المعتزلة- في الحدود يعني كلامهم سليم، عمومًا في الأوامر والنواهي

حتى في الأصول أصولهم في كثير من الأحيان -كما يقول شيخ الإسلام- أحسن من أصول الأشاعرة؛

لأنَّ الأشاعرة تأثروا بالجهم، فهم جبرية، وهذا أثر في أصولهم أيضًا، هم من ناحية جبرية ومن ناحية

مُرَجَّة.

والمُعْتزلة: من ناحية قدرية: الإنسان هو الذي خلق فعله وهو المسئول عن فعله من إله، ويُشددون

عليه.

ومن ناحية هم خوارج في الإيمان، ليسوا مُرَجَّة، وهذا أثر عليهم في الأصول أيضًا، انظر كيف أثر

هذا على هؤلاء؟ فعندهم تمييع في جانب الأفعال وأيضًا في جانب المسئولية وأولئك شددوا، ودائمًا

أهل السنة وسطٌ بين الفريقين، الحق الذي مع هؤلاء هو من أهل السنة والحق الذي مع هؤلاء هو من

أهل السنة وعندهم صفوة الحق.

المهم: فهمنا لماذا قال بعضهم ذلك على سبيل التوُّد، وبالتالي هو فعل من؟ فعل الإنسان، هو

الذي نظر وهو الذي خلق العلم في نفسه.

(وقال المنكرون للتولد): وهم الأشاعرة والمعتزلية وغيرهم ومنهم أهل السنة أيضًا: ("بل ذلك

بفعل الله تعالى) وقالوا: (وَالنَّظْرُ إِذَا مُتَضَمَّنٌ لِلْعِلْمِ وَإِذَا مُوجِبٌ لَهُ) ولكنه كيف؟ بفعل الله ﷻ.

(وَهَذَا يَنْصُرُهُ الْمُتَسَبِّبُونَ لِلسَّنَةِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنَ الْفُقَهَاءِ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ

وَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِمْ): عموماً هذا مذهب جهم وهو مذهب الأشاعرة وهو مذهب من كانوا معهم من هؤلاء

المذكورين، واضح؟

وسيبين شيخ الإسلام ما فيه من الحق والباطل، هذا أقرب إلى الحق ولكن فيه باطل.

والمذهب الثالث: مذهب المتفلسفة وهم كفار، الذين يقولون: أن العالم خلقه العقل العاشر، بل

ذلك يحصل بطريق الفيض من العقل الفعال وهو العقل العاشر، كيف يفيض؟ عد استعداد النفس لقبول

الفيض، وقد يزعمون أن العقل الفعال هو جبريل: هذا من باب التدليس، ما يدرون عن جبريل ولا

يؤمنون به.

هذه كم قول؟ ثلاثة أقوال:

القول الأول: قول القدرية.

القول الثاني: قول الجبرية؛ لأن الجهم جبري، ومن تأثر بهم.

القول الثالث: قول هؤلاء المتفلسفة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَأَمَّا قَوْلُ الْقَائِلِينَ إِنَّ ذَلِكَ بِفِعْلِ اللهِ فَهُوَ صَحِيحٌ بِنَاءً عَلَى أَنَّ اللهَ هُوَ مُعَلِّمُ كُلِّ عِلْمٍ وَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ؛

لَكِنَّ هَذَا كَلَامٌ مُجْمَلٌ لَيْسَ فِيهِ بَيَانٌ لِنَفْسِ السَّبَبِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا القول الثاني، الذين يقولون: "إن ذلك بفعل الله" صحيح، إنه بفعل الله ﷻ، فهو صحيح بناءً على

أن الله هو معلم كل علمٍ وخالق كل شيء، صحيح، خلقاً، هذا مخلوق لله ﷻ، (لَكِنَّ هَذَا كَلَامٌ مُجْمَلٌ)

هنا الباطل، (ليس فيه بيانٌ لنفس السبب الخاص) الأسباب تُؤثر، والأسباب كثيرة، والسبب هنا ما هو؟

النظر، فالأشعرى الآن والجهمي قبله يُريد أن يلغي أن هذا السبب، يقول: "هذت بفعل الله ﷻ" نعم،

بفعل الله ﷻ.

ولكن هل فعل العبد له أثر؟ ليس له أثر عندهم، لاحظ في عبارة شيخ الإسلام: **(لكن هذا كلامٌ**

مجمل ليس فيه بيانٌ لنفس السبب الخاص وأثره في حصول العلم).

السبب الخاص ما هو هنا؟

النظر، والنظر له أثر، وبالتالي أفعال العباد - كما هو مذهب أهل السنة - تُنسب إلى العبادِ فعلاً ولهم

كسبٌ ولهم أثر، وتُنسب إلى الله ﷻ خلقاً، واضح؟ فهم ألغوا تأثير الأسباب، وهذا هو الباطل في

مذهبهم.

وكما ترون مذهبهم أيضاً منسجم مع مذهبهم في أفعال العباد:

- أفعال العباد عندهم تُنسب إلى الله ﷻ خلقاً وفعلاً، هو الذي خلقها وهو الذي فعلها.

- وعند القدرية تُنسب إلى العبد فعلاً وخلقاً.

- وعند أهل السنة تُنسب إلى الله ﷻ خلقاً وإلى العبادِ فعلاً وكسباً واكتساباً.

هذا مذهبٌ من هو أقرب إلى الحق؛ ولذلك قدم التعليق عليه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمَّا قَوْلُ الْقَائِلِينَ بِالتَّوَلَّدِ: فَبَعْضُهُ حَقٌّ وَبَعْضُهُ بَاطِلٌ، فَإِنْ كَانَ دَعْوَاهُمْ أَنَّ الْعِلْمَ الْمُتَوَلَّدَ هُوَ حَاصِلٌ

بِمُجَرَّدِ قُدْرَةِ الْعَبْدِ؛ فَذَلِكَ بَاطِلٌ قَطْعًا وَلَكِنْ هُوَ حَاصِلٌ بِأَمْرَيْنِ: قُدْرَةُ الْعَبْدِ وَالسَّبَبُ الْآخِرُ كَالْقُوَّةِ الَّتِي فِي

السَّهْمِ وَالْقَبُولِ الَّذِي فِي الْمَحَلِّ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ النَّظَرَ هُوَ بِسَبَبٍ وَلَكِنَّ الشَّأْنَ فِيمَا بِهِ يَتِمُّ حُصُولُ الْعِلْمِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يقول شيخ الإسلام هنا - لاحظوا في التعبير -: **(وَأَمَّا قَوْلُ الْقَائِلِينَ بِالتَّوَلَّدِ: فَبَعْضُهُ حَقٌّ وَبَعْضُهُ بَاطِلٌ)**

وهناك ماذا قال؟ **(هو صحيحٌ إجمالاً ولكن هُناك غموض)** إذا هو أقرب إلى الحق، أمّا هذا القول فنصفه

باطل ونصفه حق، بعضه حق وبعضه باطل، هم يدعون أن الفعل المتولد حاصلٌ بمجرد قدرة العبد أي

هو فعل العبد تماماً وبالتالي خلقه بفعله وخلقهِ حصل، حتى الفعل الذي ما يدري عنه - انظر التناقض في

مذاهب أهل البدع:-

الفعل المباشر الإنسان قصدهُ وفعلهُ، لما تقول: "هو خلقه، هو فعله" يعني هو باطل، شرك، ولكن الفعل الذي لم يقصدهُ ولم يدري عنه كيف يكون فعله وخلقهُ؟ كيف؟! رأيت التناقض؟

لأنه إذا رجع إلى الحق في المتولدات سيرجع إلى الحق في الأصل، وإذا لم يرجع سيراكم الباطل عنده هكذا، فعل لم يخطر بباله، يجعلونه فعله بل وخلقهُ.

يقول شيخ الإسلام: **(هو حاصلٌ بأمرين)** عنده حاصل بقدره العبد فقط، هو حاصلٌ بأمرين: قدرة العبد وبقدرته، فعل هذا الفعل الذي تسبب في فعلٍ آخر، وسببٌ آخر: وهذا السبب الآخر يختلف، مثلاً: **(القوة التي في السهم):** سبب، وكذلك: **(والقبول الذي في المحلّ).**

أنت أخذ السهم هذا واضرب به الجدار: يحصل هذا؟ لا يحصل إلا إذا كان المحل يقبل، **(ولا ريب أن النظر هو بسبب ولكن الشأن فيما به يتم حصول العلم).**

إذا العلم حاصلٌ بأمرين: قدرة العبد أولاً، وما خلقه الله ﷻ من الأسباب، والله ﷻ خالقٌ للعبد وخالقٌ لتلك الأسباب، الخلق يُنسب لله ﷻ كله أمّا الفعل فينسب إلى الإنسان.

قال المصنف رحمه الله:

وَأَمَّا زَعْمُ الْمُتَفَلِّسَةِ أَنَّهُ بِالْعَقْلِ الْفَعَالِ: فَمِنْ الْخُرَافَاتِ الَّتِي لَا دَلِيلَ عَلَيْهَا، وَأَبْطُلَ مِنْ ذَلِكَ زَعْمُهُمْ: أَنَّ ذَلِكَ هُوَ جَبْرِيٌّ وَزَعْمُهُمْ: أَنَّ كُلَّ مَا يَحْصُلُ فِي عَالَمِ الْعَنَاصِرِ مِنَ الصُّورِ الْجُسْمَانِيَّةِ وَكَمَا لَا تَهَا فَهُوَ مِنْ فَيْضِهِ وَبِسَبَبِهِ فَهُوَ مِنْ أَبْطُلِ الْبَاطِلِ.

قال الشارح وفقه الله:

طبعاً كلامهم كما تعرفون يُمرض، كلام هؤلاء، إذا كان كلام المتكلمين يُمرض، فكيف بكلام هؤلاء المُتفلسفة؟! يقولون: **(كُلُّ مَا يَحْصُلُ فِي عَالَمِ الْعَنَاصِرِ مِنَ الصُّورِ الْجُسْمَانِيَّةِ وَكَمَا لَا تَهَا فَهُوَ مِنْ فَيْضِهِ)** ماذا؟ العقل العاشر، ما هو العقل العاشر؟ ما هو العقل الفعال؟!

كما يقول شيخ الإسلام: **(مِنْ الْخُرَافَاتِ الَّتِي لَا دَلِيلَ عَلَيْهَا).**

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَهُوَ مِنْ فَيْضِهِ وَبِسَبَبِهِ فَهُوَ مِنْ أَبْطَلِ الْبَاطِلِ. وَلَكِنَّ إِضَافَتَهُمْ ذَلِكَ إِلَى أُمُورٍ رُوحَانِيَّةٍ: صَحِيحٌ فِي الْجُمْلَةِ. فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُدَبِّرُ أَمْرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِمَلَائِكَتِهِ الَّتِي هِيَ السُّفْرَاءُ فِي أَمْرِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا على قول من يقول: "إنَّه جبريل" وكما قلت لكم: هذا من باب التدليس.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الَّتِي هِيَ السُّفْرَاءُ فِي أَمْرِهِ وَلَفْظُ الْمَلِكِ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ. وَبِذَلِكَ أَخْبَرَتِ الْأَنْبِيَاءُ وَقَدْ شَهِدَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

الْمَلِكُ أَصْلُهُ مَالِكٌ، وَالْمَالِكُ هُوَ الْمُرْسَلُ، يَقُولُ أَحَدُهُمْ: "أَلْكُنِي إِلَيْهَا وَخَيْرَ الرَّسُولِ" خَيْرَ الرَّسُولِ مَنْ قَامَ بِنَوَاهِي الْخَبَرِ) أَصْلُهُ مَالِكٌ، إِذَنْ مَالِكٌ بِمَعْنَى مُرْسَلٍ، فَلَفْظُ الْمَلِكِ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءَ مَرْسَلُونَ بِأَوْامِرِ اللَّهِ ﷻ الشَّرِيَّةِ وَالْقَدْرِيَّةِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَفْظُ الْمَلِكِ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ. وَبِذَلِكَ أَخْبَرَتِ الْأَنْبِيَاءُ، وَقَدْ شَهِدَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِنْ ذَلِكَ بِمَا لَا يَسْعُ هَذَا الْمَوْضِعُ لِذِكْرِهِ كَمَا ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَلَائِكَةِ تَخْلِيْقِ الْجَنِينِ وَغَيْرِهِ. وَأَمَّا تَخْصِيصُ رُوحٍ وَاحِدٍ مُتَّصِلٍ بِفَلَكَ الْقَمَرِ يَكُونُ هُوَ رَبُّ هَذَا الْعَالَمِ فَهَذَا بَاطِلٌ. وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ اسْتِقْصَاءِ ذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

كلامهم باطل جملة وتفصيلاً، ليس فيهم شيء من الحق، كلام الفلاسفة، ما يذكرونه من العقل الفعّال ليس له أصل وما يُرجعون إليه أصول العلم ليس له أصل، ولكن شيخ الإسلام صوّب ما في مذهبهم من إرجاع شيء من حصول العلم إلى شيء من الروحانيات، وهذا إذا بطل الأصل ما يصح شيء، والله أعلم، مذهبهم كما قلنا باطل جملة وتفصيلاً.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَكِنْ لَا بُدَّ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الْمَبْدَأَ فِي شُعُورِ النَّفْسِ وَحَرَكَتَيْهَا: هُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ الشَّيَاطِينُ فَالْمَلَكُ يُلْقِي التَّصْدِيقَ بِالْحَقِّ وَالْأَمْرَ بِالْخَيْرِ وَالشَّيْطَانُ يُلْقِي التَّكْذِيبَ بِالْحَقِّ وَالْأَمْرَ بِالشَّرِّ. وَالتَّصْدِيقُ وَالتَّكْذِيبُ مَقْرُونَانِ بِنَظَرِ الْإِنْسَانِ؛ كَمَا أَنَّ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ مَقْرُونَانِ بِإِرَادَتِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

التصديق والتكذيب من باب الخبر، والأمر والنهي من باب الطلب والإرادة؛ لذلك يقول شيخ الإسلام: (والتصديق والتكذيب مقرونان بنظر الإنسان) ينظر ليُصدق أو ليُكذب، والأمر والنهي مقرونان بإرادته: يُريد ليعمل ويمتثل إمَّا يَأْتَمِرُ وَإِمَّا يَنْزَجِرُ؛ لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ الطَّلَبِ وَالْإِرَادَةِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِذَا كَانَ النَّظَرُ فِي دَلِيلٍ هَادٍ - كَالْقُرْآنِ - وَسَلِمَ مِنْ مُعَارَضَاتِ الشَّيْطَانِ. تَضَمَّنَ ذَلِكَ النَّظَرُ الْعِلْمَ وَالْهُدَى. وَلِهَذَا أَمَرَ الْعَبْدُ بِالْإِسْتِعَادَةِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

انتهى شيخ الإسلام من بيان أن النظر سبب من أسباب العلم، وبين أيضاً أن النظر حصول العلم به مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ جَمِيعِ الْفِرَقِ مُسْلِمِهِمْ وَكَافِرِهِمْ، وَلَكِنَّ الْاِخْتِلَافَ كَيْفَ يَحْصُلُ الْعِلْمُ؟ بعد هذا يُرْشِدُنَا إِلَى النَّظَرِ الصَّحِيحِ وَكَيْفَ يَكُونُ النَّظَرُ الصَّحِيحَ، وَمتى يُوصِلُكَ إِلَى الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ، وَمتى يَنْحَرِفُ بِكَ عَنِ الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ.

لا زال شيخ الإسلام يتحدث عن النظر وأن العلم يحسن بالنظر، وأن النظر سبب من أسباب حصول العلم، ولكن كيف يكون النظر؟ وفي ماذا يكون النظر؟

لأن النذر كما سبق أن أشرنا من كلام شيخ الإسلام أن: منه ما هو شرعي، ومنه ما هو بدعي، ومنه ما هو يتحدد بحسب التقييد.

فكيف يكون شرعياً؟ ومتى يكون شرعياً؟ وفي ماذا يكون صحيحاً وموصلاً إلى المقصود؟

فإذا كان النظر في دليل هادٍ كالقرآن، القرآن سماه هنا دليلاً ولا شك أن القرآن دليل كما أن النبي ﷺ دليل، وسيأتي أيضاً في كلام شيخ الإسلام أنه هنا سمى القرآن دليل وسيأتي في كلامه أنه يُسمى النبي ﷺ دليل.

(وَسَلِمَ مِنْ مُعَارَضَاتِ الشَّيْطَانِ): هذا القيد مهم جداً، إذا لم تكن هناك مُعارضات تمنع قبول هذا النظر **(تَضَمَّنَ ذَلِكَ النَّظْرُ الْعِلْمَ وَالْهُدَى، وَلِهَذَا أَمَرَ الْعَبْدُ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ)** هذا إذا كان النظر في دليل صحيح، إذا كان العكس الناظر يعتقد صحته، هل يفيد النظر؟ لا يفيد. إذا اختلف النظر بالنظر إلى الدليل، بأن تكون مقدماته أو إحداهما مُتضمنةً للباطل أو تكون المقدمتان صحيحة لكن التأليف ليس بمستقيم، فإنه يصير في القلب بذلك اعتقاداً فاسداً... إلى آخر ما ذكر.

وإذا كان الناظر لا بُدَّ له من منظورٍ في الذي يُريد النظر: لا بُدَّ أن ينظر إمَّا في دليل صحيح أو في دليل خطأ، لا بُدَّ أن ينظر في شيء حتى يصل إلى المقصود، فلا بُدَّ له من منظورٍ فيه.

هل يكفي بالنظر إلى نفس المسألة أو لا بُدَّ له أن ينظر في الدليل، وفي الدليل أيضاً إلى ما يخص المسألة؟

هذا الذي يتحدث هنا، عندك مسألة: والمنظور فيه قد يكون دليلاً صحيحاً، وقد يكون دليلاً فاسداً، وبين الأمرين:

- إذا كان الدليل فاسداً، فالنتيجة لا بُدَّ أن تكون...، إذا كان الدليل صحيحاً، أيضاً لا بُدَّ من النظر فيما يخص المسألة.

عندك مسألة تتعلق مثلاً بالنظر والاعتبار أو تتعلق بالطلاق مثلاً أو تتعلق بالأهله مثلاً، وأنت تريد أن تقرأ القرآن كله حتى يحصل لك العلم في هذه المسألة؛ هذا خطأ، لا بُدَّ أن تبحث الدليل الذي يخص هذه المسألة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِذَا كَانَ النَّازِرُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَنْظُورٍ فِيهِ. وَالنَّظْرُ فِي نَفْسِ الْمُتَصَوِّرِ الْمَطْلُوبِ حُكْمُهُ لَا يُفِيدُ عِلْمًا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

المسألة تُفَكِّرُ فِيهَا دُونَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى الدَّلِيلِ، لَا يُفِيدُكَ شَيْءٌ بَلْ رُبَّمَا خَطَرَ لَهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ النِّظَرِ الَّذِي لَا يَكُونُ فِي الدَّلِيلِ - إِنَّهُ فِي الْمَسْأَلَةِ فَقَطْ - أَنْوَاعٌ مِنَ الشُّبُهَاتِ يَحْسِبُهَا أَدْلَةً؛ لِفِرَاطِ تَعَطُّشِ الْقَلْبِ إِلَى مَعْرِفَةِ حُكْمِ تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ وَتَصَدِيقِ ذَلِكَ التَّصَوُّرِ، لَمْ يَنْظُرْ إِلَى دَلِيلٍ صَحِيحٍ؛ نَظَرَ فِي الْمَسْأَلَةِ فَقَطْ، قَدْ هَذَا يُوصلُهُ إِلَى نَتِيجَةِ خَاطِئَةٍ؛ لِأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْحُكْمِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يُصَوِّبِ الطَّرِيقَةَ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمَّا النَّظْرُ الْمُفِيدُ لِلْعِلْمِ: فَهُوَ مَا كَانَ فِي دَلِيلٍ هَادٍ. وَالِدَّلِيلُ الْهَادِي - عَلَى الْعُمُومِ وَالْإِطْلَاقِ - هُوَ كِتَابُ اللهِ وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ، فَإِنَّ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ مِنْ نَوْعِي النَّظْرِ: هُوَ مَا يُفِيدُ وَيَنْفَعُ وَيُحَصِّلُ الْهُدَى وَهُوَ بِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إِذَا أَشَارَ إِلَى مَا أَشَارَ إِلَيْهِ فِيمَا سَبَقَ أَظُنُّ وَاللهُ أَعْلَمُ أَنَّ النَّظْرَ يَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ، وَالثَّلَاثُ يَتَّحَدُّدُ بِالنَّظْرِ إِلَى مَا يُقِيدُهُ بِهِ: نَظْرٌ شَرْعِيٌّ وَنَظْرٌ بَدْعِيٌّ:

النَّظْرُ الشَّرْعِيُّ يَكُونُ فِي الدَّلِيلِ الصَّحِيحِ، وَالدَّلِيلُ الصَّحِيحُ هِيَ الْآيَاتُ الْمَتْلُوءَةُ أَوْ الْآيَاتُ الْمَشَاهِدَةُ يَنْظُرُ فِيهَا.

وَالنَّظْرُ الْبَدْعِيُّ وَهَذَا النَّظْرُ يَدْعُو إِلَيْهِ الْقُرْآنُ دَائِمًا: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]، الدَّعْوَةُ: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١] إِذَا الْقُرْآنُ يَدْعُو إِلَى هَذَا النَّوْعِ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ نَظْرٌ صَحِيحٌ وَيُوصِلُ إِلَى الْمَقْصُودِ الْمَطْلُوبِ.

القِسْمُ الثَّانِي: النَّظْرُ الْبَدْعِيُّ وَهُوَ نَظْرُ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَهُوَ النَّظْرُ فِي مَا ابْتَدَعَ مِنَ الْأَدْلَةِ، وَهَذَا النَّظْرُ لَا يُوصِلُ إِلَّا إِلَى النَّتِيجَةِ الْخَطَأِ.

والثالث: مُطلق النظر.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِذَا أَرَادَ النَّظَرَ وَالْإِعْتِبَارَ فِي الْأَدَلَّةِ الْمُطْلَقَةِ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينِ مَطْلُوبٍ، فَذَلِكَ النَّظَرُ فِي كِتَابِ اللهِ وَتَدَبُّرُهُ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

النظر والاعتبار ينقسم إلى قسمين:

تريد أن تصل إلى حكم مسألة لا بد أن تنظر إلى أدلة المسألة أدلة خاصة بها، تريد أن تعتبر عمومًا

وتزيد الإيمان، اقرأ في كلام الله ﷻ، هذا لا يكون إلا في كتاب الله ﷻ: **(فَذَلِكَ النَّظَرُ فِي كِتَابِ اللهِ وَتَدَبُّرُهُ)**

هذا النظر والاعتبار في الأدلة المطلقة من غير تعيين مطلوب، أنت الآن لست تبحث في حكم مسألة

معينة، تريد أن يزيد إيمانك تريد أن تعتبر، تريد اقرأ القرآن.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ [المائدة: ١٥-١٦]،

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ﴾ [الشورى: ٥٣-٥٢].

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

نعم، هذا في النظر عمومًا، الظر الذي يكون معه الاعتبار.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمَّا النَّظْرُ فِي مَسْأَلَةٍ مُعَيَّنَةٍ وَقَضِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ؛ لِطَلْبِ حَكْمِهَا وَالتَّصَدِيقِ بِالْحَقِّ فِيهَا؛ وَالْعَبْدُ لَا يَعْرِفُ مَا يَدُلُّهُ عَلَى هَذَا أَوْ هَذَا: فَمَجْرَدُ هَذَا النَّظْرِ لَا يُفِيدُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(فبمجرد هذا النظر) أي نظر؟ القراءة العامة في كتاب الله ﷻ وأنت تريد حكم مسألة معينة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

بَلْ قَدْ يَقَعُ لَهُ تَصَدِيقَاتٌ يَحْسَبُهَا حَقًّا وَهِيَ بَاطِلٌ. وَذَلِكَ مِنْ إِقَاءِ الشَّيْطَانِ. وَقَدْ يَقَعُ لَهُ تَصَدِيقَاتٌ تَكُونُ حَقًّا وَذَلِكَ مِنْ إِقَاءِ الْمَلِكِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وهو يقرأ في القرآن قد يُخَيَّلُ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ أَنَّ مَا تُرِيدُهُ مِنْ حُكْمِ مَسْأَلَةٍ مُعَيَّنَةٍ هَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَيْهَا، وبذلك يضل في الوصول إلى المطلوب مع أن الدليل صحيح، ولكنه أخطأ في الطريق.

إذا لا بُدَّ لَهُ مِنَ النَّظْرِ فِي الدَّلِيلِ الْخَاصِّ بِتِلْكَ الْمَسْأَلَةِ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ بِحَاجَةٍ إِلَى أَمْرَيْنِ سَيَذْكُرُهُمَا

شيخ الإسلام:

أولاً: ينظر في الأدلة الخاصة بتلك المسألة، ثم ه بحاجة إلى أمرين سيذكرهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ النَّظْرُ فِي الدَّلِيلِ الْهَادِي وَهُوَ الْقُرْآنُ، فَقَدْ يَضَعُ الْكَلِمَ مَوَاضِعَهُ، وَيَفْهَمُ مَقْصُودَ الدَّلِيلِ، فَيَهْتَدِي بِالْقُرْآنِ، وَقَدْ لَا يَفْهَمُهُ أَوْ يُحَرِّفُ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ فَيَضِلُّ بِهِ وَيَكُونُ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ وَقَالَ: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ وَقَالَ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَزَدْتُهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَزَدْتُهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ وَقَالَ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ وَقَالَ: {هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ

لِلْمُتَّقِينَ ﴿١١٧﴾ . فَالْناظِرُ فِي الدَّلِيلِ بِمَنْزِلَةِ الْمُتَرَائِي لِلْهَلَالِ قَدْ يَرَاهُ وَقَدْ لَا يَرَاهُ لِعَشَى فِي بَصَرِهِ وَكَذَلِكَ أَعْمَى الْقَلْبِ .

أَمَّا النَّاظِرُ فِي الْمَسْأَلَةِ: فَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى أَمْرَيْنِ .:

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

الذي ينظر في الدليل الصحيح في القرآن، في الأدلة الصحيحة في مسألة معينة، هذا يحتاج إلى أمرين .

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

إِلَى أَنْ يَظْفَرَ بِالِدَّلِيلِ الْهَادِي، وَإِلَى أَنْ يَهْتَدِيَ بِهِ وَيَنْتَفِعَ .

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

لا يكون ينظر في مسألة تتعلق بالزكاة وهو ينظر في الآيات التي تتعلق بالحج، لا، إلى أن يظفر بالدليل الهادي في تلك المسألة، وإلى أن يهتدي بهذا الدليل وينتفع .

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

فَأَمْرُهُ الشَّرْعُ بِمَا يُوجِبُ أَنْ يُنْزَلَ عَلَى قَلْبِهِ الْأَسْبَابَ الْهَادِيَةَ، وَيَصْرِفَ عَنْهُ الْأَسْبَابَ الْمُعْوَقَّةَ: وَهُوَ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَالْغَفْلَةُ عَنْهُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ وَسْوَاسَ خَنَاسٍ فَإِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ حُنَّسَ وَإِذَا غَفَلَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَسُوسَ، وَذَكَرَ اللَّهُ " يُعْطِي الْإِيمَانَ وَهُوَ أَصْلُ الْإِيمَانِ . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ .

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

هذا كله لبيان النظر الصحيح وكيف تُصَوَّبُ هذا النظر .

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَذَكَرَ اللَّهُ يُعْطِي الْإِيمَانَ وَهُوَ أَصْلُ الْإِيمَانِ . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، وَهُوَ مُعَلِّمُ كُلِّ عِلْمٍ وَوَاهِبُهُ فَكَمَا أَنَّ نَفْسَهُ أَصْلُ لِكُلِّ شَيْءٍ مَوْجُودٍ فَذِكْرُهُ وَالْعِلْمُ بِهِ أَصْلُ لِكُلِّ عِلْمٍ وَذِكْرُهُ فِي الْقَلْبِ .

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

كما أن نفسه أصلاً لله ﷻ هو الذي خلق المخلوقات، فنفسه أصلاً لكل شيء موجود، (فذكره

والعلم به أصل لكل علمٍ وذكرٍ في القلب).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْقُرْآنُ يُعْطِي الْعِلْمَ الْمُفْصَّلَ فَيَزِيدُ الْإِيمَانَ كَمَا قَالَ جُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ:
" تَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا إِيْمَانًا."

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

المُرَادُ بِالْإِيمَانِ فِي قَوْلِهِ: (تَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ) الْمُرَادُ بِهِ مَسَائِلُ الْإِيمَانِ، أَرْكَانُ الْإِيمَانِ، تَعَلَّمْنَاهَا.
أَيْضًا الْمُرَادُ بِالْإِيمَانِ هُنَا: أَنْ تُنْظِفَ الْقَلْبَ، تَجْعَلُهُ مُسْتَعِدًّا لِلْأَدْلَةِ، وَتُنْظِفُهُ مِنَ الْمَعْوَقَاتِ، وَهَذَا كُلُّهُ
يَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، تَعَلَّمْنَا هَذِهِ الْمَسَائِلَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ؛
فَازْدَدْنَا إِيْمَانًا.

أَمَّا الَّذِي قَلْبُهُ لَا يَكُونُ مُسْتَعِدًّا هَذَا لَا تَنْفَعُهُ الْأَدْلَةُ وَلَا يَزِدَادُ إِيْمَانًا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلِهَذَا كَانَ أَوَّلُ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ فَأَمَرَهُ أَنْ يَقْرَأَ بِاسْمِ اللهِ؛ فَتَضَمَّنَ
هَذَا الْأَمْرَ بِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَقَالَ: ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ. ﴿فَذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ خَلَقَ الْأَعْيَانَ
الْمَوْجُودَةَ عُمُومًا وَخُصُوصًا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ هَذَا عُمُومًا، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ هَذَا خُصُوصًا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَخُصُوصًا وَهُوَ الْإِنْسَانُ، وَأَنَّهُ الْمُعَلَّمُ لِلْعِلْمِ عُمُومًا وَخُصُوصًا لِلْإِنْسَانِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ ثُمَّ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ﴾.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَنَّ الْمُعَلِّمَ لِلْعِلْمِ عُمُومًا وَخُصُوصًا لِلْإِنْسَانِ، وَذَكَرَ التَّعْلِيمَ بِالْقَلَمِ الَّذِي هُوَ آخِرُ الْمَرَاتِبِ لِيَسْتَلْزِمَ
تَعْلِيمَ الْقَوْلِ وَتَعْلِيمَ الْعِلْمِ الَّذِي فِي الْقَلْبِ.

وَحَقِيقَةُ الْأَمْرِ: أَنَّ الْعَبْدَ مُفْتَقِرًا إِلَى مَا يَسْأَلُهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْهُدَى طَالِبٌ سَائِلٌ فَيَذْكُرُ اللَّهَ وَالْإِفْتِقَارَ إِلَيْهِ
يَهْدِيهِ اللَّهُ وَيُدُلُّهُ كَمَا قَالَ: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتَهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ» وَكَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ
يَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ
بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفُ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

تلميذ شيخ الإسلام - الإمام ابن القيم - يذكر أن شيخ الإسلام كان دائماً يقرأ هذا الدعاء، وشيخ
الإسلام يركز على هذه المسألة أن النظر للوصول إلى العلم مثل أي جهد لتصل إلى شيء معين، ولا بُدَّ
من بذل الأسباب، وبذل الأسباب يكون هكذا: النظر في دليل صحيح وبطريقة صحيحة، هذه كلها
أسباب.

بعد ذلك لا تعتقد - كما سبق - في مذاهب المتكلمين أن النظر سيحصل بجهدك أنت لا، أنت بذلت
الأسباب بعد ذلك لا بُدَّ أن تلتجئ إلى الله ﷻ، تدعوه دائماً، وتدعوه بهذه الأدعية؛ حتى تستفيد من تلك
الوسائل التي استخدمتها.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمِمَّا يُوضِّحُ ذَلِكَ: أَنَّ الطَّالِبَ لِلْعِلْمِ بِالنَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ وَالتَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ لَا يَحْصُلُ لَهُ ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي دَلِيلٍ يُفِيدُهُ الْعِلْمُ بِالْمَدْلُولِ عَلَيْهِ، وَمَتَى كَانَ الْعِلْمُ مُسْتَفَادًا بِالنَّظَرِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ النَّاطِرِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَذْكُورِ الثَّابِتِ فِي قَلْبِهِ مَا لَا يَحْتَاجُ حُصُولَهُ إِلَى نَظَرٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أي وبالنظر يحصل العلم النظري والاستدلالي، هذا لا بُدَّ له من علمٍ ينطلق منه هذا النظر وهو العلم الضروري، البديهيات لا بُدَّ أن يتيقن بها، لا يشك فيها ومنها ينطلق.

يقول: (فلا بد أن يكون عند الناظر من العلم المذكور الثابت في قلبه) وهو علمه بالضروريات والبديهيات (ما لا يحتاج حصوله إلى نظر)؛ حتى ينطلق منها.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَيَكُونُ ذَلِكَ الْمَعْلُومُ أَصْلًا وَسَبَبًا لِلتَّفَكُّرِ الَّذِي يَطْلُبُ بِهِ مَعْلُومًا آخَرَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

ذكرت أنا أمس أظن أن الضروريات والنظريات الناس يتفاوتون فيها، فقد تكون بعض الأمور عندك ضرورية، بل هي ضرورية عندك وفي محيطك عمومًا، كل الناس عندهم هذه من البديهيات، ولا تكون هكذا عند بعض الناس والعكس، ولكن هناك أمورًا يشترك فيها جميع العقلاء، هذه بديهيات عند الجميع.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلِهَذَا كَانَ الذِّكْرُ مُتَعَلِّقًا بِاللَّهِ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْحَقُّ الْمَعْلُومُ وَكَانَ التَّفَكُّرُ فِي مَخْلُوقَاتِهِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا نظر: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، لاحظ كيف قدّم ذلك بالذكر الذين يذكرون

الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم.

هذا يُعينك على التفكير والنظر الذي ذكره: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ذكر الله ﷻ
يُعينك على هذا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ جَاءَ الْأَثَرُ: «تَفَكَّرُوا فِي الْمَخْلُوقِ وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي الْخَالِقِ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

الأثر لما يقول شيخ الإسلام: جاء في الأثر، قد يكون حديثاً مرفوعاً وقد يمون موقوفاً على الصحابة، وقد يكون مقطوعاً من آثار التابعين، وهذا يُعرف بالتخريج، وهذا الذي ذكره ورد من حديث ابن عباس مرفوعاً بإسنادٍ شديد الضعف.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

**لِأَنَّ التَّفَكِيرَ وَالتَّقْدِيرَ يَكُونُ فِي الْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ وَالمَقَائِسِ وَذَلِكَ يَكُونُ فِي الْأُمُورِ الْمُتَشَابِهَةِ وَهِيَ
الْمَخْلُوقَاتُ.**

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(لِأَنَّ التَّفَكِيرَ) ويتفكرون، التفكير يكون في ماذا؟ التَّفَكِيرُ والتقدير يكون في الأمثال المضروبة والمقاييس التي في القرآن.

القياس هو تقدير شيءٍ بشيءٍ، والأمثال التي بها الله ﷻ أن هذا مثل هذا، وهذا يكون في الأمور المُتَشَابِهَةِ وهي المخلوقات.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

**وَأَمَّا الْخَالِقُ - جَلَّ جَلَالُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فَلَيْسَ لَهُ شَبِيهٌ وَلَا نَظِيرٌ فَالتَّفَكُّرُ الَّذِي مَبْنَاهُ عَلَى الْقِيَاسِ
مُمتنعٌ فِي حَقِّهِ وَإِنَّمَا هُوَ مَعْلُومٌ بِالْفِطْرَةِ فَيَذْكُرُهُ الْعَبْدُ.**

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

القياس الذي هو قياس التمثيل وهو قياس الفقهاء وقياس الشمول وهو قياس المناطقة، كلا القياسين فيهما إلحاق فرعٍ بأصلٍ في حُكْمٍ لعلَّه جامعٌ بينهما، وهذا لا يوجد بين الخالق والمخلوق،

وبالتالي هذان القياسان لا يجريان ولا يجوز استخدامهما فيما يتعلق بالله ﷻ.

أما قياس الأولى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧] هذا

يُسمى قياساً من باب الأولى، وإلا هو ليس قياساً، وهو: ﴿الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [الروم: ٢٧].

قال المصنف رحمه الله:

وإنما هو معلوم بالفطرة فيذكره العبد. وبالذكر وبما أخبر به عن نفسه: يحصل للعبد من العلم به أمور عظيمة لا تنال بمجرد التفكير والتقدير - أعني من العلم به نفسه، فإنه الذي لا تفكير فيه. فأما العلم بمعاني ما أخبر به ونحو ذلك: فيدخل فيها التفكير والتقدير كما جاء به الكتاب والسنة.

قال الشارح وفقه الله:

يعني ما يتعلق بالكيف، كفياته وأسمائه وصفاته وكيفية ذاته هذه لا تفكر فيه، أما ما يتعلق بالمعاني:

تفكر فيها وتتدبر فيها؛ لأن التعبد بها مطلوب.

قال المصنف رحمه الله:

ولهذا كان كثير من أرباب العبادة والتصوف يأمرُونَ بِمُلَازِمَةِ الذِّكْرِ وَيَجْعَلُونَ ذَلِكَ هُوَ بَابُ الْوُصُولِ إِلَى الْحَقِّ، وَهَذَا حَسَنٌ إِذَا ضَمُّوا إِلَيْهِ تَدَبُّرَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَاتِّبَاعَ ذَلِكَ.

قال الشارح وفقه الله:

يعني سبحانه الله في كلام شيخ الإسلام من بيان التقابل بين الفرق ما لا تكاد تجده في غيره، مثل

السابق يُقابل بين من يُركِز على التفكير والنظر دون أن يُركِز على العبادة، وبين من يُركِز على العبادة دون

أن يكون عنده نظر شرعي يعني المتكلمون والمتصوفة.

يقول: (كثير من أرباب العبادة والتصوف يأمرُونَ بِمُلَازِمَةِ الذِّكْرِ وَيَجْعَلُونَ ذَلِكَ هُوَ بَابُ الْوُصُولِ إِلَى

الْحَقِّ، وَهَذَا حَسَنٌ) مطلوب (إِذَا ضَمُّوا إِلَيْهِ تَدَبُّرَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَاتِّبَاعَ ذَلِكَ) هذا مطلوب.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَثِيرٌ مِنْ أَرْبَابِ النَّظَرِ وَالْكَلَامِ يَأْمُرُونَ بِالتَّفَكُّرِ وَالنَّظَرِ وَيَجْعَلُونَ ذَلِكَ هُوَ الطَّرِيقَ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ
وَالنَّظَرَ صَحِيحٌ إِذَا كَانَ فِي حَقِّ وَدَلِيلٍ كَمَا تَقَدَّمَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

ولكن يستدرك على الاثنين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَكُلُّ مَنْ الطَّرِيقَيْنِ فِيهَا حَقٌّ لَكِنْ يَحْتَاجُ إِلَى الْحَقِّ الَّذِي فِي الْأُخْرَى وَيَجِبُ تَنْزِيهِهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

كل فريق له حق وفاته شيء من الحق الذي عند الفريق الآخر، كل فريق عنده حق وباطل، الباطل الذي عنده يكتمل بالحق الذي عند الآخر، أو يزول بالحق الذي عند الآخر.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَيَجِبُ تَنْزِيهِهُ كُلُّ مِنْهُمَا عَمَّا دَخَلَ فِيهَا مِنَ الْبَاطِلِ وَذَلِكَ كُفْلُهُ بِاتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ، وَقَدْ بَسَطْنَا
الْكَلَامَ فِي هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَبَيَّنَّا طُرُقَ أَهْلِ الْعِبَادَةِ وَالرِّيَاضَةِ وَالذِّكْرِ، وَطَرِيقَ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالنَّظَرِ
وَالِاسْتِدْلَالِ، وَمَا فِي كُلِّ مِنْهُمَا مِنْ مَقْبُولٍ وَمَرْدُودٍ؛ وَبَيَّنَّا مَا جَاءَتْ بِهِ الرَّسَالَةُ مِنَ الطَّرِيقِ الْكَامِلَةِ الْجَامِعَةِ
لِكُلِّ حَقٍّ. وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ بَسْطِ ذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني مجرد النظر وحصول العلم بلا عبادة لا ينفع، بلا عبادة وتركية للنفس ودين، طريق الرياضة
أيضاً لا تنفع في تحصيل المعارف بلا تعلم.

هذا الصوفي الذي لا يتدبر في القرآن لن يصل إلى شيء، ولكنه إذا كان هذا الذكر وطريقة هذا الذكر
يكون شرعياً ويطلب العلم الشرعي به يكتمل، لا يطلب العلم الشرعي ويذكر عنده ذكر، أي ذكر هذا؟!
والمتكلم هذا الذي يفني عمره في النظر والاعتبار والاستدلال ولكنه ينظر في دليل خطأ؛ لن يصل
إلى المقصود، وحتى لو حصل له العلم لا يهتم بالعبادة إذاً لأن يحصل له الكمال، لا بُدَّ مع النظر الذي

يُوصِلُ إِلَى الْعِلْمِ لَا بُدَّ مَعَهُ مِنْ عِبَادَةٍ، إِذَا كَلَّ فَرِيقٌ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ الْحَقِّ، وَالَّذِينَ عِنْدَهُمْ هَذَا الْحَقُّ كَامِلٌ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ فَذَكَرَهُمْ شَرَعِيًّا، يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ مِنْهُ، يَتَعَلَّمُونَ الذِّكْرَ، وَيُكَمِّلُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْعِبَادَةِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَبَيْنَا مَا جَاءَتْ بِهِ الرَّسَالَةُ مِنَ الطَّرِيقِ الْكَامِلَةِ الْجَامِعَةِ لِكُلِّ حَقٍّ. وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ بَسْطِ ذَلِكَ. وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ الْإِنْسَانَ مُحَسِّسٌ بِأَنَّهُ عَالِمٌ: يَجِدُ ذَلِكَ وَيَعْرِفُهُ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ أَحَدٍ؛ كَمَا يُحَسُّ بِغَيْرِ ذَلِكَ. وَحُصُولُ الْعِلْمِ فِي الْقَلْبِ كَحُصُولِ الطَّعَامِ فِي الْجِسْمِ فَالْجِسْمُ يُحَسُّ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ؛ وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ تُحَسُّ بِمَا يَنْزِلُ إِلَيْهَا مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي هِيَ طَعَامُهَا وَشَرَابُهَا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ كُلَّ آدِبٍ يُحِبُّ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

الآدِبُ هُوَ الْمُضَيِّفُ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إِنَّ كُلَّ آدِبٍ يُحِبُّ أَنْ تَوْتِيَ مَأْدُبَتَهُ، وَإِنْ مَأْدُبَةُ اللَّهِ هِيَ الْقُرْآنُ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

مَأْدُبَةٌ وَهِيَ الضِّيَافَةُ، وَالْحَدِيثُ ضَعِيفٌ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ بَخْلٍ﴾ وفي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مِثْلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ: كَمِثْلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا وَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَسَقَى النَّاسُ وَزَرَعُوا وَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا فَذَلِكَ مِثْلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ وَمِثْلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».

فَضَرَبَ مِثْلَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَى الْقُلُوبِ بِالْمَاءِ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَى الْأَرْضِ. وَكَمَا أَنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً مُوَكَّلَةً بِالسَّحَابِ وَالْمَطَرِ فَلَهُ مَلَائِكَةٌ مُوَكَّلَةٌ بِالْهُدَى وَالْعِلْمِ. هَذَا رِزْقُ الْقُلُوبِ وَقُوَّتُهَا وَهَذَا رِزْقُ الْأَجْسَادِ وَقُوَّتُهَا قَالَ الْحَسَنُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

في الحديث وفي الآية مثل الوحي بالمطر في الاثنين، وفي الآية بين أن نفعه سيختلف باختلاف الأودية، وفي الحديث بين أن الماء سيختلف أثره باختلاف الأرض التي ينزل عليها، ففي الآية: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الرعد: ١٧]، وفي الحديث: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيِّثٍ» وهو الماء الكثير، المطر الغزير فسالت أودية بقدرها، الأودية هي القلوب بقدرها، فقلبٌ واسع يسع العلم الغزير وقلبٌ ضيق لا يسع من العلم شيئاً أو قليلاً، ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾، وهذه هي الشبهات والشهوات.

الهدف هنا أن هذا المطر لا ينقص قدره باختلاف القلوب وباختلاف الأرض، ولكن الأثر يختلف باختلافه هو هو المطر، وهو الذي أنزله الله ﷻ، ولكنك إذا أردت أن يكون انتفاعك أكثر؛ تتعلم فيكون قلبك مثل الوادي الواسع وتكون أيضاً مثل ما ذكر في الحديث، في الحديث ثلاث طوائف:

طائفتان جمعهما في الأخير وطائفة أفردها - الطائفة الأخيرة -: «ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم

يقبل هدى الله الذي أرسلت به».

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

قال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ النَّفَقَةِ نَفَقَةَ الْعِلْمِ»
أَوْ نَحْوَ هَذَا الْكَلَامِ وَفِي آثَرٍ آخَرَ: «نِعْمَتُ الْعَطِيَّةِ وَنِعْمَتُ الْهَدْيَةِ: الْكَلِمَةُ مِنَ الْخَيْرِ يَسْمَعُهَا الرَّجُلُ فَيَهْدِيهَا
إِلَى أَخٍ لَهُ مُسْلِمٍ»، وَفِي آثَرٍ آخَرَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ: «مَا تَصَدَّقَ عَبْدٌ بِصَدَقَةٍ أَفْضَلَ مِنْ مَوْعِظَةٍ يَعْطُ بِهَا إِخْوَانًا
لَهُ مُؤْمِنِينَ فَيَتَفَرَّقُونَ وَقَدْ نَفَعَهُمُ اللهُ بِهَا» أَوْ مَا يُشْبِهُ هَذَا الْكَلَامَ.

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قَالَ: «أَلَا أَهْدِي لَكَ هَدْيَةً؟ فَذَكَرَ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ».

وَرَوَى ابْنُ مَاجَهَ فِي سُنَنِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الرَّجُلُ عِلْمًا ثُمَّ
يُعَلِّمَهُ أَحَاهُ الْمُسْلِمِ». وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: «عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ فَإِنَّ طَلَبَهُ عِبَادَةٌ وَتَعَلُّمُهُ لِلَّهِ حَسَنَةٌ وَبَدَلُهُ لِأَهْلِهِ
قُرْبَةٌ وَتَعَلِيمُهُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ وَمُذَاكَرَتُهُ تَسْبِيحٌ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ :

ولهذا سبق أن ذكره، وهو أسانيدُه كلها ضعيفة، شديدة الضعف، ولكن سيأتي في كلام شيخ الإسلام
أنه يقول: "أن هذا الأثر محفوظ عن مُعَاذٍ مما يدل على أن هناك طرقَ أخرى، سيأتي في كلامه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَلِهَذَا كَانَ مُعَلِّمُ الْخَيْرِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحَيَاتَانِ فِي الْبَحْرِ وَاللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ
النَّاسِ الْخَيْرِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ عُمُومِ النَّفْعِ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَعَكْسُهُ كَاتِمُوا الْعِلْمِ فَإِنَّهُمْ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ
الْأَعْنُونَ قَالَ طَائِفَةٌ مِنَ السَّلَفِ: «إِذَا كَتَمَ النَّاسُ الْعِلْمَ. فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي اِحْتَبَسَ الْقَطْرُ فَتَقُولُ الْبَهَائِمُ:
اللَّهُمَّ الْعَنُ عَصَاةَ بَنِي آدَمَ، فَإِنَّا مُنِعْنَا الْقَطْرَ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ».

وَإِذَا كَانَ عِلْمُ الْإِنْسَانِ بِكُونِهِ عَالِمًا مَرَجَعَهُ إِلَى وُجُودِهِ ذَلِكَ وَإِحْسَاسِهِ فِي نَفْسِهِ بِذَلِكَ - وَهَذَا أَمْرٌ
مَوْجُودٌ بِالضَّرُورَةِ - لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنْ يُخْبِرُوا عَمَّا فِي نَفُوسِ النَّاسِ: بِأَنَّهُ لَيْسَ بِعِلْمٍ بِغَيْرِ حُجَّةٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ :

لا زال يُشير إلى ما سبق من كلام المتكلمين أن ما يُخبر به الحشويون بأنهم جازمون وموقنون في

الإيمان: هذا لا ينفعهم، ليس هذا يقين ولا علم، حتى لو كان علمًا و يقينًا فإنه ليس مَبِينًا على دليل، فهم مُقلدون.

يقول شيخ الإسلام: **(وإذا كان علم الإنسان بكونه عالمًا مرجعه إلى وجوده ذلك، وإحساسه في نفسه بذلك وهذا أمرٌ موجودٌ بالضرورة، لم يكن لهم) أي للمتكلمين (أن يُخبروا عما في نفوس الناس، بأنه ليس بعلم بغير حجة).** لهم أن يُخبروا عما في أنفسهم، ودائمًا يُخبرون عما في أنفسهم أننا في شك، أمّا أنك تُخبر عما في نفس غيره.

وذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ ولعلّه من كلام شيخه في «الصواعق»: أنه لما يقولون: أن خبر الواعظ لا يُفيد العلم يُخبرون عن أنفسهم وهم صادقون في هذا، لا يُفيدهم العلم ولن يُفيدهم العلم؛ لأنّه ما يدري عن البخاري ولا يدري عن شيوخه ولا عن تلاميذه، فكيف سيحصل له العلم؟!

إنّما الخطأ أن يقول: **(لا يحصل العلم للبخاري أيضًا) لا يحصل العلم لك ولتلاميذك ولجماعتك، أمّا المُحدّثون فعلومهم تختلف، فلهم أن يُخبروا بما في نفوسهم، ولكن ليس لهم أن يُخبروا عن غيرهم.**

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّ عَدَمَ وُجُودِهِمْ مِنْ نَفُوسِهِمْ ذَلِكَ لَا يَقْتَضِي أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَجِدُوا ذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

نعم، أنا استعجلت: هذا موجود في كلام شيخ الإسلام هنا، **(فإنّ عَدَمَ وُجُودِهِمْ مِنْ نَفُوسِهِمْ)** المُراد بالوجود هنا الرؤية، رؤية هذا اليقين من أنفسهم **(لا يَقْتَضِي أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَجِدُوا ذَلِكَ)**. إذا ليس عندكم علم؛ فلا تُخبروا عما في نفوس الناس.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الْمُخْبِرُونَ يُخْبِرُونَ عَنِ الْيَقِينِ الَّذِي فِي أَنْفُسِهِمْ؛ عَمَّنْ لَا يَشْكُونَ فِي عِلْمِهِ وَصِدْقِهِ وَمَعْرِفَتِهِ بِمَا يَقُولُ. وَهَذَا حَالُ أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَسَلَفِ الْأُمَّةِ وَحَمَلَةِ الْحُجَّةِ فَإِنَّهُمْ يُخْبِرُونَ بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْيَقِينِ وَالطَّمَأْنِينَةِ وَالْعِلْمِ الضَّرُورِيِّ كَمَا فِي الْحِكَايَةِ الْمَحْفُوظَةِ عَنْ نَجْمِ الدِّينِ الْكُبْرِيِّ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ مُتَكَلِّمَانِ: أَحَدُهُمَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِي.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا أحد المتسبين إلى التصوف وأثنى عليه عدد من الأئمة أنه كان من الملتزمين بالسنة، هذا الرجل، ولم تأثر عنه البدع المعروفة عن التصوف -عن المتصوفة-، مع إن التصوف لا يخلو من شيء من البدع، ولكن نتحدث عن بدع الاتحادية والحلولية وما شابهها.

نجم الدين الكبرى من خوارزم، توفي سنة ست مائة وثمانية عشر على أيدي التتار، في هذه السنة في سنة (٦١٧-٦١٨) اجتاحت التتار تلك المناطق، مناطق آسيا الصغرى كلها -بخارى إلى الشرق منها، إلى الغرب منها ووصلوا إلى فارس.

يقول: (لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ مُتَكَلِّمَانِ أَحَدُهُمَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِي) أبو عبد الله الرازي هو أصله من الري، فخر الدين الرازي، الري التي هي طهران الآن، أصله من هناك واستوطن مدينة هراة، وخوارزم في ما وراء النهر إلى الشمال، والثاني الذي دخل عليه من متكلمي المعتزلة، وخوارزم هي مدينة صاحب التفسير المعروف / الزمخشري، الزمخشري من خوارزم، ولكن الزمخشري وفاته سنة خمسمائة وثمانية وثلاثين، فهو متقدم، من البعيد أن يكون هذا؛ قد يكون بعض تلاميذه، أمّا الرازي توفي سنة ست مائة وستة، فقد يكون أحد تلاميذ الزمخشري هذا المعتزلي.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَالَا: يَا شَيْخُ بَلَّغْنَا أَنَّكَ تَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ. فَقَالَ: نَعَمْ أَنَا أَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

سبحان الله، هذا السفر إلى خوارزم في شمال أوزباكستان، ما وراء النهر، وهراة التي هي أقرب هي في وسط أفغانستان، يعني سافر من أين إلى هناك حتى يسأل هذا السؤال.

والله، إنَّ حالهم سبحان الله، (بَلَّغْنَا: أَنَّكَ تَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ) يعني أنت مُتَيْقِنٌ بِمَا تُؤْمِنُ بِهِ، صحيح

هذا؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَقَالَا: كَيْفَ يُمْكِنُ ذَلِكَ وَنَحْنُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى السَّاعَةِ نَتَنَاظَرُ فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدُنَا أَنْ يُقِيمَ عَلَى الْآخِرِ

دَلِيلًا؟

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى السَّاعَةِ) ما أدري لعَظْمُومٍ دخلوا آخر اليوم، لا هنا: (ونحن من أول النهار إلى

الساعة نتناظر) هذا مُعْتَزَلِيٌّ والثاني أشعري.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَنَحْنُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى السَّاعَةِ نَتَنَاظَرُ فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدُنَا أَنْ يُقِيمَ عَلَى الْآخِرِ دَلِيلًا؟ - وَأُظِنُّ الْحِكَايَةَ

فِي تَثْبِيْتِ الْإِسْلَامِ - فَقَالَ: مَا أَدْرِي مَا تَقُولَانِ. وَلَكِنْ أَنَا أَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً علم اليقين يكون بالأدلة، وعين اليقين يكون بالمشاهدة، وحق اليقين يكون بالتلبس، مثل:

العسل بما يُقال لك، يحصل لك علم اليقين أنه شيء لذيذ، كذا وكذا، ولما تُشاهدُه يكون عين اليقين،

ولما تذوقه يكون حق اليقين.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَقَالَا: صِفْ لَنَا عِلْمَ الْيَقِينِ فَقَالَ: عِلْمُ الْيَقِينِ - عِنْدَنَا - وَارِدَاتٌ تَرُدُّ عَلَى النَّفْسِ تَعْجِزُ النَّفْسُ عَنْ رَدِّهَا فَجَعَلَا يَقُولَانِ: وَارِدَاتٌ تَرُدُّ عَلَى النَّفْسِ تَعْجِزُ النَّفْسُ عَنْ رَدِّهَا وَيَسْتَحْسِنَانِ هَذَا الْجَوَابَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طَبَعًا بَعْضُ الْأُمُورِ مَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُعْبِرَ عَنْهَا؛ لِذَلِكَ يَقُولُ هَذَا: (وَارِدَاتٌ تَرُدُّ عَلَى النَّفْسِ تَعْجِزُ النَّفْسُ عَنْ رَدِّهَا) هَذِهِ الْعُلُومُ الضَّرُورِيَّةُ، الْيَقِينُ الَّذِي لَا يُمَكِّنُكَ أَنْ تَدْفَعَهُ، إِذَا حَصَلَ لَكَ الْيَقِينُ لَا يُمَكِّنُكَ أَنْ تَدْفَعَهُ إِلَّا بِالتَّشْكِيكِ الَّذِي هُوَ بَضَاعَةُ أَوْلَئِكَ الْمُتَكَلِّمِينَ، (فَجَعَلَا يَقُولَانِ: وَارِدَاتٌ تَرُدُّ عَلَى النَّفْسِ تَعْجِزُ النَّفْسُ عَنْ رَدِّهَا وَيَسْتَحْسِنَانِ هَذَا الْجَوَابَ).

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَذَلِكَ لِأَنَّ طَرِيقَ أَهْلِ الْكَلَامِ تَقْسِيمُ الْعُلُومِ إِلَى ضَرُورِيٍّ وَكَسْبِيٍّ أَوْ بَدِيهِيٍّ وَنَظَرِيٍّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

الضروري والبدهي بمعنى واحد، والكسب والنظري بمعنى واحد.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَالنَّظَرِيُّ الْكَسْبِيُّ: لَا بُدَّ أَنْ يُرَدَّ إِلَى مُقَدِّمَاتٍ ضَرُورِيَّةٍ أَوْ بَدِيهِيَّةٍ فَبِنَاكَ لَا تَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ وَإِلَّا لَزِمَ الدَّوْرُ أَوْ التَّسْلُسُ. وَالْعِلْمُ الضَّرُورِيُّ: هُوَ الَّذِي يَلْزِمُ نَفْسَ الْمَخْلُوقِ لُزُومًا لَا يُمَكِّنُهُ الْإِنْفِكَاءُ عَنْهُ فَالْمَرْجِعُ فِي كَوْنِهِ ضَرُورِيًّا إِلَى أَنَّهُ يَعْجِزُ عَنْ دَفْعِهِ عَنْ نَفْسِهِ. فَأَخْبَرَ الشَّيْخُ: أَنَّ عُلُومَهُمْ ضَرُورِيَّةٌ وَأَنَّهَا تَرُدُّ عَلَى النَّفْسِ عَلَى وَجْهِ تَعْجِزٍ عَنْ دَفْعِهِ فَقَالَا لَهُ: مَا الطَّرِيقُ إِلَى ذَلِكَ؟ فَقَالَ: تَتْرَكَانِ مَا أَتَمَّ فِيهِ وَتَسْلُكَانِ مَا أَمَرَ كَمَا اللهُ بِهِ مِنَ الذِّكْرِ وَالْعِبَادَةِ.

فَقَالَ الرَّازِيُّ: أَنَا مَشْغُولٌ عَنْ هَذَا. وَقَالَ الْمُعْتَزَلِيُّ: أَنَا قَدْ احْتَرَقَ قَلْبِي بِالشُّبُهَاتِ وَأُحِبُّ هَذِهِ الْوَارِدَاتِ فَلَزِمَ الشَّيْخَ مَدَّةً ثُمَّ خَرَجَ مِنْ مَحَلِّ عِبَادَتِهِ وَهُوَ يَقُولُهُ: وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي مَا الْحَقُّ إِلَّا فِيمَا تَقُولُهُ هَؤُلَاءِ الْمُشَبَّهَةُ، يَعْنِي: الْمُثْبِتِينَ لِلصِّفَاتِ، فَإِنَّ الْمُعْتَزِلَةَ يُسَمُّونَ الصِّفَاتِيَّةَ مُشَبَّهَةً - وَذَلِكَ أَنَّهُ عِلْمٌ عِلْمًا

ضُرُورِيًّا لَا يُمَكِّنُهُ دَفْعُهُ عَنْ قَلْبِهِ أَنَّ رَبَّ الْعَالَمِ لَا بُدَّ أَنْ يَتَمَيَّزَ عَنِ الْعَالَمِ، وَأَنْ يَكُونَ بَائِنًا مِنْهُ لَهُ صِفَاتٌ تَخْتَصُّ بِهِ، وَأَنَّ هَذَا الرَّبَّ الَّذِي تَصِفُهُ الْجَهْمِيَّةُ إِنَّمَا هُوَ عَدَمٌ مَحْضٌ.

وَهَذَا مَوْضِعُ الْحِكَايَةِ الْمَشْهُورَةِ عَنِ الشَّيْخِ الْعَارِفِ أَبِي جَعْفَرِ الْهَمْدَانِيِّ: لِأَبِي الْمَعَالِيِّ الْجُوَيْنِيِّ لَمَّا أَخَذَ يَقُولُ عَلَى الْمُنْبَرِ، كَانَ اللَّهُ وَلَا عَرْشٌ فَقَالَ: يَا أَسْتَاذُ.

قال الشارح وفقه الله:

يعني من أخطر الأسباب التي بها تصرف النفوس عن الحق تشويهه صاحب الحق، هذا المعتزلي قد يبحث عن الحق عند المتفلسف، عند المتكلم، عند الصوفي، ولا يمكن أن يبحث عنه عند المشبه؛ لأنَّ هناك خطير وهابي، لا يمكن أن يبحث، لا يفكر أن يكون الحق عنده.

ولذلك أهل البدع -عمومًا- يركزون على تشويه الحق بألقابٍ شنيعة وعلى التركيز في التشنيع وتشويه صاحب الحق أكثر من غيرهم - وهابي وهو كذا وهو كذا - يعني هذه بضاعتهم.

(وَهَذَا مَوْضِعُ الْحِكَايَةِ الْمَشْهُورَةِ عَنِ الشَّيْخِ الْعَارِفِ أَبِي جَعْفَرِ الْهَمْدَانِيِّ) سيأتي في كلام شيخ الإسلام أنَّ هذه الحكاية حكاها محمد بن طاهر المقدسي، هو الذي حكاها كما سيأتي في كلام شيخ الإسلام.

(لِأَبِي الْمَعَالِيِّ الْجُوَيْنِيِّ لَمَّا أَخَذَ يَقُولُ عَلَى الْمُنْبَرِ) طبعًا هذا لما كان في المدينة، قلت لكم: هو مكث أربع سنوات في المدينة ومكة، وبذلك لُقِبَ بإمام الحرمين، لم يكن يومًا ما إمامًا للحرمين ولكنه مكث هناك فلُقِبَ بهذا اللقب"، فلمَّا فروا في فتنة القشيري كان يُلقى الدرس فحصلت هذه القصة.

وقوله: (كَانَ اللَّهُ وَلَا عَرْشٌ فَقَالَ: يَا أَسْتَاذُ) طبعًا هكذا يقولون هم: كان الله قبل أن يكون المكان وهو على ما كان، ليس في مكان وليس كذا وليس كذا، نفس.. يقول: (كان الله ولا عرش) وهو الآن على ما

كان، فقال؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

يَا أَسْتَاذَ دَعْنَا مِنْ ذِكْرِ الْعَرْشِ - يَعْنِي: لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا جَاءَ فِي السَّمْعِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

استوائه على العرش ما كنا ندري لو لم يكن هناك نص؛ لأن هذه صفة خبرية، استوائه على العرش،

أما العلو: فأدلتها كثيرة منها الدليل الفطرة - هذا الذي يُشير إليه -.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

أَخْبَرْنَا عَنْ هَذِهِ الضَّرُورَةِ الَّتِي نَحْدُهَا فِي قُلُوبِنَا فَإِنَّهُ مَا قَالَ عَارِفٌ قَطُّ يَا اللهُ إِلَّا وَجَدَ مِنْ قَلْبِهِ ضَرُورَةً

تَطْلُبُ الْعُلُوَّ لَا تَلْتَمِثُ يَمَنَةً وَلَا يَسْرَةً فَكَيْفَ نَدْفَعُ هَذِهِ الضَّرُورَةَ عَنْ قُلُوبِنَا؟ قَالَ: فَلَطَمَ أَبُو الْمَعَالِي عَلَى

رَأْسِهِ وَقَالَ: حَيْرَنِي الهمداني حَيْرَنِي الهمداني وَنَزَلَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

القصة معروفة، السبكي في "الطبقات" يعني حاول أن يُبطل هذه القصة أو أن هذه القصة مكذوبة

على أبي المعالي وأنه ليس بهذه السهولة، يقول: "حَيْرَنِي" والسبكي معروف، يعني سبحان الله عنده من

التعصب، هذا السبكي هو التاج، ووالده من فضلاء الأشاعرة الذي هو تقي الدين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَذَلِكَ لِأَنَّ نَفْسَ اسْتِوَائِهِ عَلَى الْعَرْشِ بَعْدَ أَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ عِلْمٌ بِالسَّمْعِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي الْقُرْآنِ وَالتَّوْرَةِ، وَأَمَّا كَوْنُهُ عَالِيًا عَلَى مَخْلُوقَاتِهِ بَائِنًا مِنْهُمْ فَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ بِالْفِطْرَةِ الضَّرُورِيَّةِ الَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا جَمِيعُ بَنِي آدَمَ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ بِاللهِ أَعْرَفَ وَلَهُ أَعْبَدَ وَدَعَاؤُهُ لَهُ أَكْثَرَ وَقَلْبُهُ لَهُ أَذْكَرَ كَانَ عِلْمُهُ الضَّرُورِيُّ بِذَلِكَ أَقْوَى وَأَكْمَلَ فَالْفِطْرَةُ مُكَمَّلَةٌ بِالْفِطْرَةِ الْمُنَزَّلَةِ، فَإِنَّ الْفِطْرَةَ تُعَلِّمُ الْأَمْرَ مُجْمَلًا وَالشَّرِيعَةَ تُفَصِّلُهُ وَتُبَيِّنُهُ وَتَشْهَدُ بِمَا لَا تَسْتَقِلُّ الْفِطْرَةُ بِهِ. فَهَذَا هَذَا. وَاللهُ أَعْلَمُ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

الطالب:

الشيخ: لا، لأن هذه يتطلب أن يجلس عندهم، الشيخ نجم الدِّحِين يُطالبه أن يجلس عنده، يقول: أنا مشغول، عندي تعليم وعندي تأليف وعندي كذا، ولا يُمكنني أن أجلس عندك كما تُريد وما أدري إلى متى أجلس، وأنا مشغول.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْحَاصِلُ: أَنَّ كُلَّ مَنْ اسْتَحْكَمَ فِي بَدْعَتِهِ يَرَى أَنَّ قِيَاسَهُ يَطْرُدُ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّسْوِيَةِ بَيْنَ الْمُتَمَاثِلِينَ عِنْدَهُ، وَإِنْ اسْتَلْزَمَ ذَلِكَ كَثْرَةَ مُخَالَفَةِ النَّصُوصِ - وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي الْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ وَالْمَسَائِلِ الْعَمَلِيَّةِ الْإِرَادِيَّةِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

هنا يذكر شيخ الإسلام فائدة مهمة جداً: وهي أن كثيراً من انحرافات هؤلاء ترجع إلى أقيستهم، فمثلاً: كل ما يُشار إليه جسم عند المتكلمين، وإذا قلنا: أن الله ﷻ في جهة العلو، يعني هو عالٍ على عرشه - إذا قلنا -؛ هذا يستلزم أن نُشير إليه، وعندنا قاعدة: (أن كل ما يُشار إليه جسم)، هذه القاعدة يُطردها ويظن أن في طردها تسوية بين المتماثلين، وإذا استثنى شيئاً لا يُمكنه يثبت على هذا القياس، ثم يضرب مثلاً في الفقه، مثال جميل يقول؟

(وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي الْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ وَالْمَسَائِلِ الْعَمَلِيَّةِ الْإِرَادِيَّةِ).

(المسائل العلمية الخبرية) مسائل الاعتقاد، (والمسائل العملية الإرادية) مسائل الفقه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

تَجِدُ الْمُتَكَلِّمَ قَدْ يَطْرُدُ قِيَاسَهُ طَرْدًا مُسْتَمِرًّا فَيَكُونُ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ أَجُودَ مِمَّنْ نَقَضَهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هناك قياس، وهذا القياس كُلمًا طردته تكون أجمل، قياس وهذا القياس يُطْرَدُ هُنَا وَهُنَا وَهُنَا؛ لِأَنَّ

القياس إذا كان صحيحًا فلا تستثن فيه.

ما معنى القياس؟ القياس في اللغة التقدير، وما دام هذا مثل هذا فلماذا تفرّق بين المُتماثلين؟!

فيكون في الظاهر أجود ممن نقض هذا القياس.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَتَجِدُ الْمُسْتَنَّ الَّذِي شَارَكَهُ فِي ذَلِكَ الْقِيَاسِ قَدْ يَقُولُ مَا يَنَاقِضُ ذَلِكَ الْقِيَاسَ فِي مَوَاضِعٍ مَعَ

اسْتِشْعَارِ التَّنَاقُضِ تَارَةً وَبِدُونِ اسْتِشْعَارِهِ تَارَةً وَهُوَ الْأَغْلَبُ، وَرُبَّمَا يُخَيَّلُ بِفُرُوقٍ ضَعِيفَةٍ فَهُوَ فِي نَقْضِ

عَلْتِهِ وَالتَّفْرِيقِ بَيْنَ الْمُتَمَاثِلِينَ فِيهَا يَظْهَرُ أَنَّهُ دُونَ الْأَوَّلِ فِي الْعِلْمِ وَالْخَبَرَةِ وَطَرْدِ الْقَوْلِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ

هُوَ خَيْرٌ مِنَ الْأَوَّلِ، فَإِنَّ ذَلِكَ الْقِيَاسَ الَّذِي اشْتَرَكَ فِيهِ كَانَ فَاسِدًا فِي أَصْلِهِ: لِمُخَالَفَةِ النَّصِّ وَالْقِيَاسِ

الصَّحِيحِ فَالَّذِي طَرَدَهُ أَكْثَرُ فَسَادًا وَتَنَاقُضًا مِنْ هَذَا الَّذِي نَقَضَهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

قد يكون هناك قياس وهذا كثير، وخاصة في الفقه، قد يكون هناك قياس، وهذا القياس في أصله لا

يُسَلِّمُ عَلَى أَنَّهُ قِيَاسٌ صَحِيحٌ، لِأَنَّهُ يُخَالِفُ النَّصَّ وَهُوَ فَاسِدٌ الْإِعْتِبَارِ، وَعِنْدَ هَذَا الْفَقِيهِ هُوَ قِيَاسٌ صَحِيحٌ،

وهناك فقيه آخر يُوافقه على أصل القياس، هنا مشوا القياس.

في موضع آخر: يرى ذلك الفقيه الذي وافقه في الأصل أن هناك نصًّا أوضح؛ فيترك القياس، مع أنه

هنا يوافقه وهناك يُخالفه، لذلك يقول شيخ الإسلام هنا: (وتجد المُستن) هنا لما يُخالفه؟ لأنَّ السُّنة هنا

أوضح وهو بين أمرين - متأرجح بين أمرين - : بين أن يُوافقه فيترك السنة وبين أن يُخالفه فينقض القياس الذي يقول به.

فماذا يفعل؟ يقول: حتى هو أحياناً يستشعر أن هناك تناقض بين ما كان يقول به ولين ما يقول به هنا في هذا الموضوع، وأحياناً لا يستشعر التناقض، والتناقض يكون موجوداً.

فالناس يظنون أن الذي طرد قياسه هو الأصح، لكن شيخ الإسلام يقول: لا، الذي خرج على هذا القياس ولو في بعض المواضع هذا هو الأولى.

يقول: (وَتَجِدُ الْمُسْتَنَنَّ الَّذِي شَارَكَهُ فِي ذَلِكَ الْقِيَاسِ قَدْ يَقُولُ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ الْقِيَاسَ فِي مَوَاضِعٍ مَعَ اسْتِشْعَارِ التَّنَاقُضِ تَارَةً وَبِدُونِ اسْتِشْعَارِهِ تَارَةً وَهُوَ الْأَغْلَبُ، وَرُبَّمَا يُحَيِّلُ بِفُرُوقٍ ضَعِيفَةٍ) يريد يفتك من هذا القياس، لماذا تفتك من هذا القياس؟ فيأتي بفروق ليست مؤثرة، والصحيح أنه يترك هذا القياس لدليل، وهذا الدليل بموجبه ترك هذا القياس، فهو في نقض علقته والتفريق بين المُتمثالين فيما يظهر أنه دون الأول في العلم والخبرة وطرد القول.

الناس يقولون أن هذا من ضعفه لم يستطع أن يطرد القياس، أمّا هناك من قوته طرد القياس هنا أيضاً، الناس هكذا يقولون، وليس كذلك، بل هو خيرٌ من الأول، فإن ذلك القياس الذي اشتركا فيه كان فاسداً في أصله.

نحن نقول له: أنت أخطأت في الأول لما وافقته على أصل القياس، فلا تخطئ مرة ثانية، فالذي طرده أكثر فساداً وتناقضاً من هذا الذي نقضه؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا شَأْنٌ كُلٌّ مِنْ وَافَقَ غَيْرَهُ عَلَى قِيَاسٍ لَيْسَ هُوَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ بِحَقٍّ وَكَانَ أَحَدُهُمَا مِنَ النَّصُوصِ فِي مَوَاضِعٍ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ الْقِيَاسَ وَهَذَا يُسَمِّيهِ الْفُقَهَاءُ فِي مَوَاضِعٍ كَثِيرَةٍ: الْإِسْتِحْسَانَ. فَتَجِدُ الْقَائِلِينَ بِالْإِسْتِحْسَانِ الَّذِي تَرَكُوا فِيهِ الْقِيَاسَ لِنَصِّ خَيْرٍ مِنَ الَّذِينَ طَرَدُوا الْقِيَاسَ وَتَرَكُوا النَّصَّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يُسميه استحسان لَمَا يُريد أن يخرج من هذا القياس؛ لأنَّهُ يُريد أن يستند إلى شيء للخروج من هذا القياس وإلا الاستحسان في الأصول ليس هذا، وأحياناً يُسميه استحساناً.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَتَجِدُ الْقَائِلِينَ بِالِاسْتِحْسَانِ الَّذِي تَرَكَوا فِيهِ الْقِيَاسَ لِنَصِّ خَيْرًا مِنَ الَّذِينَ طَرَدُوا الْقِيَاسَ وَتَرَكَوا النَّصَّ. وَلِهَذَا يُرَوَى عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَأْخُذُوا بِمَقَائِسِ زُفَرٍ فَإِنَّكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ بِمَقَائِسِهِ حَرَّمْتُمْ الْحَلَالَ وَحَلَلْتُمْ الْحَرَامَ». قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

المحقق هنا يستبعد أن يكون هذا من قول أبي حنيفة -والله أعلم- مع أن شيخ الإسلام نقل في كلامٍ آخر في موضع آخر ما هو أشنع مما ذكره هنا، قياس زُفر أقبح من كذا وكذا في المسجد. فعلى كل حال: سواءً ثبت عن أبي حنيفة أو لا، الزُفر معروف بكثرة القياس من الأحناف. نقف هنا ونستأنف غداً إن شاء الله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّ زُفَرَ كَانَ كَثِيرَ الطَّرْدِ لِمَا يَظُنُّهُ مِنَ الْقِيَاسِ مَعَ قِلَّةِ عِلْمِهِ بِالنُّصُوصِ. وَكَانَ أَبُو يُوسُفَ نَظْرَهُ بِالْعَكْسِ، كَانَ أَعْلَمَ بِالْحَدِيثِ مِنْهُ وَلِهَذَا تُوْجَدُ الْمَسَائِلُ الَّتِي يُخَالِفُ فِيهَا زُفَرٌ أَصْحَابَهُ عَامَّتُهَا قِيَاسِيَّةٌ وَلَا يَكُونُ إِلَّا قِيَاسًا ضَعِيفًا عِنْدَ التَّأَمُّلِ وَتُوْجَدُ الْمَسَائِلُ الَّتِي يُخَالِفُ فِيهَا أَبُو يُوسُفَ أَبَا حَنِيفَةَ وَاتَّبَعَهُ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِمَا؛ عَلَيْهِمَا؛ عَامَّتُهَا اتَّبَعَ فِيهَا النُّصُوصَ وَالْأَقْيَسَةَ الصَّحِيحَةَ لِأَنَّ أَبَا يُوسُفَ رَحَلَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِي حَنِيفَةَ إِلَى الْحِجَازِ وَاسْتَفَادَ مِنْ عِلْمِ السُّنَنِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُمْ مَا لَمْ تَكُنْ مَشْهُورَةً بِالْكُوفَةِ وَكَانَ يَقُولُ: لَوْ رَأَى صَاحِبِي مَا رَأَيْتَ لَرَجَعَ كَمَا رَجَعْتَ لِعِلْمِهِ بِأَنَّ صَاحِبَهُ مَا كَانَ يَقْصِدُ إِلَّا اتِّبَاعَ الشَّرِيعَةِ لَكِنْ قَدْ يَكُونُ عِنْدَ غَيْرِهِ مِنْ عِلْمِ السُّنَنِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

كان شيخ الإسلام يتحدث عن من يتبع الأقيسة في العقيدة وفي الفقه، يتبع الأقيسة، ويظن أن هذه الأقيسة يجب أن تُطرد في جميع المواضع، ويظن أن هذه الأقيسة مبناها هي أقيسة صحيحة، وأن مبناها على دليل، والصحيح: أن الأقيسة هذه ليست مبناها على دليل وكل من وافقهم على هذه الأقيسة مُخطئ ومن طردها في جميع المواضع خطأ أكثر، ومن وافقهم عليها، ثم خالفهم في بعض مواضعها فهذا أقرب إلى السنة؛ لأن الأقيسة في أصلها ليست ثابتة بالأدلة.

في هذا السياق ذكر فائدة تتعلق بالمذهب الحنفي، وهذه فائدة عزيزة جداً، ومثل هذه الفوائد تفك كثيراً من الألغاز التي تجدها في المذهب، فذكر في هذه الفائدة سبب خلاف زفر وسبب خلاف أبي يوسف ومحمد بن حسن، لماذا كانا يُخالفان الإمام أبو حنيفة بكثرة، والسبب: اتباعهما للسُنن وأنهما رحلا واطلعا على أدلة قد لا يكون اطلع عليها إمام المذهب، وقولهما - قول أبو يوسف ومحمد -: "لو رأى صاحبي ما رأيت لرجع كما رجعت" هذا الذي ينبغي، إذا اطلع على الدليل ينبغي أن يتبع الدليل لعلمه بأن صاحبهما كان يقصد إلا اتباع الشريعة.

لا زال في هذا السياق.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا أَيْضًا حَالٌ كَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ فِيمَا وَافَقُوا عَلَيْهِ مِنْ قِيَاسٍ لَمْ تَثْبُتْ صِحَّتُهُ بِالْأَدِلَّةِ الْمُعْتَمَدَةِ، فَإِنَّ الْمُوَافَقَةَ فِيهِ تُوَجِّبُ طَرْدَهُ، ثُمَّ أَهْلُ النَّصُوصِ قَدْ يَنْقُضُونَهُ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ النَّصُوصَ يَطْرُدُونَهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إِذَا لَيْسَ الْحَقُّ فِيْمَنْ يَطْرُدُ هَذَا الْقِيَاسَ؛ لِأَنَّهُمْ مِنْ أَصْلِهِ خَطَأً، وَالْحَاقِدُ فِيْمَنْ يَنْقُضُ هَذَا الْقِيَاسَ وَلَوْ فِي مَوَاضِعٍ.

(وَكَذَلِكَ هَذِهِ حَالٌ أَكْثَرُ مُتَكَلِّمَةِ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ) هَذَا كَانَ فِي الْفِقْهِ، هَذَا الْمِثَالُ كَانَ فِي الْفِقْهِ، الْمَهْمُ وَالْأَهْمُ هُنَا هَذَا الَّذِي يَذْكُرُهُ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ هَذِهِ حَالٌ أَكْثَرُ مُتَكَلِّمَةِ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ مَعَ مُتَكَلِّمَةِ الْإِنْفَاءِ؛ فِي مَسَائِلِ الصِّفَاتِ وَالْقَدَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ قَدْ يُوَافِقُونَهُمْ عَلَى قِيَاسٍ فِيهِ نَفْيٌ ثُمَّ يَطْرُدُهُ أَوْلِيَاكَ فَيَنْفُونَ بِهِ مَا أَثْبَتَهُ النَّصُوصُ وَالْمُثَبِّتَةُ لَا تَفْعَلُ ذَلِكَ، بَلْ لَا بُدَّ مِنَ الْقَوْلِ بِمُوجِبِ النَّصِّ فَرُبَّمَا قَالُوا بِيَعْضِ مَعْنَاهَا وَرُبَّمَا فَرَّقُوا بِفَرْقٍ ضَعِيفٍ، وَأَصْلُ ذَلِكَ: مُوَافَقَةُ أَوْلِيَاكَ عَلَى الْقِيَاسِ الضَّعِيفِ وَذَلِكَ فِي مِثْلِ مَسَائِلِ الْجِسْمِ وَالْجَوْهَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

كُلُّ مَا يُشَارُ إِلَى جِسْمٍ، هَذِهِ قَاعِدَةٌ عَامَةٌ، وَالْمَوْصُوفُ فِي الْمُشَاهِدِ لَا يَكُونُ إِلَّا جِسْمًا: هَذِهِ قَوَاعِدُ عَامَةٌ وَهَذِهِ الْقَوَاعِدُ لِأَجْلِهَا نَفَتْ الْجَهْمِيَّةُ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ.

جَاءَتِ الْمُعْتَزَلَةُ فَخَالَفَتْهُمْ وَقَالَتْ: نَعَمْ، هَذِهِ الْقَاعِدَةُ صَحِيحَةٌ وَلَكِنَّ الْأَسْمَاءَ تُثَبِّتُهَا وَنَقَدَ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ فِي الْأَسْمَاءِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ لَا تَشْمَلُهَا، تَأْتِي الْكَلَابِيَّةُ وَتَنْقُضُ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ وَهَكَذَا.

إِذَا تَالَلَمُوا عَلَيْهِمْ فِي مُوَافَقَتِهِمْ عَلَى أَصْلِ الْقَاعِدَةِ هُوَ لَيْسَ فِي النِّقْضِ، وَالنِّقْضُ هَذَا فِيهِ تَنَاقُضٌ وَفِيهِ

اضطراب، وهذا الاضطراب إذا كان مبنياً على دليل هو أقرب إلى السنة، نعم هو اضطراب لا شك، والصحيح أن تنسجم مع نفسك من البداية لا توافقه أصلاً، ولكن ما دام وافقت وخالفتم في بعض المواضع؛ فأنت أقرب إلى الحق.

ولا شك أن كل من كان إلى الحق أقرب سيكون تناقضه أكثر، مع ذلك القاعدة والأقيسة هذه مضرتها هكذا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَكَذَا تَجِدُ هَذَا حَالَ مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا فِي الْأَفْعَالِ، فَإِنَّ الْأَفْعَالَ لَا تَقَعُ إِلَّا عَنِ إِرَادَةٍ، فَالظَّالِمُ يَطْرُدُ إِرَادَتَهُ فَيُصِيبُ مَنْ أَعَانَهُ.

قال الشَّارح وفقه الله:

نعم، يعني الذي يُعين الظالم سيأتي يوم أن هذا الظالم سيظلمه أيضًا - هذا الذي يُعينه - لماذا؟ لأنه يطرد إرادته، إرادته للظلم، لن تتوقف لما يأتي دور هذا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

أَوْ يُصِيبُ ظُلْمًا لَا يَخْتَارُهُ هَذَا، فَيُرِيدُ الْمُعِينُ أَنْ يَنْقُضَ الطَّرْدَ وَيُخْصَّ عَلَيْهِ وَلِهَذَا يُقَالُ: مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا بُلِيَ بِهِ، وَهَذَا عَامٌّ فِي جَمِيعِ الظُّلْمَةِ مِنْ أَهْلِ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ، وَأَهْلِ الْبِدَعِ وَالْفُجُورِ، وَكُلُّ مَنْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ مِنْ خَبَرَ أَوْ أَمَرَ أَوْ عَمَلَ فَهُوَ ظَالِمٌ، فَإِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ رَسُولَهُ لِيُقِيمَ النَّاسَ بِالْقِسْطِ وَمُحَمَّدٌ ﷺ أَفْضَلُهُمْ، وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ مِنَ الْقِسْطِ مَا لَمْ يَبَيِّنْهُ لِغَيْرِهِ وَأَقْدَرَهُ عَلَى مَا لَمْ يُقْدِرْ عَلَيْهِ غَيْرُهُ فَصَارَ يَفْعَلُ وَيَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْمُرُ بِهِ غَيْرُهُ وَيَفْعَلُهُ، وَذَلِكَ أَنَّ بَنِي آدَمَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ قَدْ لَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ الْقِسْطِ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى فِعْلِهِ، بَلْ مَا كَانَ إِلَيْهِ أَقْرَبَ وَبِهِ أَشْبَهَ كَانَ أَمْثَلًا، وَهِيَ الطَّرِيقَةُ الْمُثَلَّى، وَقَدْ بَسَطْنَا هَذَا فِي مَوَاضِعَ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوِزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ وَقَالَ: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ وَقَالَ:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ وَقَالَ ﷺ: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»

قال الشَّارح وفقه الله:

إذا لم يكن على السنة مائة في المائة فألاً يكون مثل الجهمي، وألاً يكون مثل القرمطي: هذا يجعله أقرب إلى الحق، أما أن ينظر إلى هذه الأقيسة، ويتبعه فيها على جميع الأقيسة، فهذا يجعله أبعد من السنة.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ مَا عِنْدَ عَوَامِّ الْمُؤْمِنِينَ وَعُلَمَائِهِمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْيَقِينِ وَالطَّمَأْنِينَةِ وَالْجَزْمِ الْحَقِّ وَالْقَوْلِ الثَّابِتِ وَالْقَطْعِ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ أَمْرٌ لَا يُنَازَعُ فِيهِ إِلَّا مَنْ سَلَبَهُ اللهُ الْعَقْلَ وَالْدِّينَ.

قال الشارح وفقه الله:

لا شك هذا التعبير: (لا يُنَازَعُ فِيهِ إِلَّا مَنْ سَلَبَهُ اللهُ الْعَقْلَ وَالْدِّينَ) فهو لاء الذين يُنَازَعُونَ عندهم من النقص في العقل والدين بحسب مُنَازَعَتِهِمْ، وإلا أنت مسلوب اليقين والعلم، وتكون أهل السنة أيضاً ما عندهم علم ويقين، أي عقل وأي دين هذا؟!

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَبْ أَنَّ الْمُخَالَفَ لَا يُسَلِّمُ ذَلِكَ فَلَا رَيْبَ أَنَّهُمْ يُخْبِرُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ بِذَلِكَ وَيَقُولُونَ: إِنَّهُمْ يَحْدُونَ ذَلِكَ. وَهُوَ وَطَائِفَتُهُ يُخْبِرُونَ بِضِدِّ ذَلِكَ وَلَا يَحْدُونَ عِنْدَهُمْ إِلَّا الرَّيْبَ. فَأَيُّ الطَّائِفَتَيْنِ أَحَقُّ بِأَنْ يَكُونَ كَلَامُهَا مَوْصُوفًا بِالْحَشْوِ؟ أَوْ يَكُونَ أَوْلَى بِالْجَهْلِ وَالضَّلَالِ وَالْإِفْكِ وَالْمِحَالِ؟ . وَكَلَامُ الْمَشَايخِ وَالْأئِمَّةِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْفِئَةِ وَالْمَعْرِفَةِ فِي هَذَا الْبَابِ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ نُطِيلَ بِهِ الْخِطَابَ.

قال الشارح وفقه الله:

الوجه الأول: أَنَّهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ شَكًّا، وَهَذَا الْوَجْهَ تَابِعٌ لَهُ، هَذِهِ الْوَجْهَ لِيَبَيِّنَ أَنَّ مَا يَتَهَمُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ بِالتَّقْلِيدِ هَذَا خَطَأً، وَأَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ هُمْ عِنْدَهُمْ مِنَ الْيَقِينِ وَالْإِيمَانِ مَا يَلِيْقُ اتِّبَاعَهُمْ بِالْدَّلِيلِ، هَذَا الْوَجْهَ الثَّانِي:

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

الوجه الثاني: أَنَّكَ تَحِدُّ أَهْلَ الْكَلَامِ أَكْثَرَ النَّاسِ انْتِقَالًا مِنْ قَوْلٍ إِلَى قَوْلٍ وَجَزْمًا بِالْقَوْلِ فِي مَوْضِعِ

وَجَزْمًا بِنَقِيضِهِ وَتَكْفِيرٍ قَائِلِهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ

قال الشارح وفقه الله:

هذا مبني على الوجه الأول، هذا الانتقال وهذا الاضطراب سببه الشك، لست متيقناً مما أنت عليه؛

وبالتالي سيكون كلامك حشو وستكون مواقفك هكذا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا دَلِيلٌ عَدَمِ الْيَقِينِ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ كَمَا قَالَ فِيهِ قَيْصَرٌ لَمَّا سَأَلَ أَبَا سُفْيَانَ عَمَّنْ أَسْلَمَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ هَلْ يَرْجِعُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ سَخَطَةً لَهُ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ إِذَا خَالَطَ بِشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ لَا يَسْخَطُهُ أَحَدٌ.

وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ - عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَوْ غَيْرُهُ - : «مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ النَّقْلِ». وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ فَمَا يُعْلَمُ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَائِهِمْ وَلَا صَالِحِ عَامَّتِهِمْ رَجَعَ قَطُّ عَنْ قَوْلِهِ وَاعْتِقَادِهِ، بَلْ هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ صَبْرًا عَلَى ذَلِكَ، وَإِنْ أُمْتُحِنُوا بِأَنْوَاعِ الْمِحْنِ وَفُتِنُوا بِأَنْوَاعِ الْفِتَنِ، وَهَذِهِ حَالُ الْأَنْبِيَاءِ وَاتَّبَاعِهِمْ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ كَأَهْلِ الْأَخْدُودِ وَنَحْوِهِمْ وَكَسَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَيْمَّةِ حَتَّى كَانَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: «لَا تَغْبِطُوا أَحَدًا لَمْ يُصِبْهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ بَلَاءٌ». يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَا بُدَّ أَنْ يَبْتَلِيَ الْمُؤْمِنَ فَإِنْ صَبَرَ رَفَعَ دَرَجَتَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الْم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾.

قال الشارح وفقه الله:

يعني لا بد من الفتنة بعد دعوى الإيمان، وهذا ليس خاصاً بمن يدعي الإيمان وليس خاصاً بهذه

الأمّة: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ والهدف من هذا: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾.

المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ وَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا

بِالصَّبْرِ. وَمَنْ صَبَرَ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ عَلَى قَوْلِهِ فَذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

قد يقول قائل: هذا الصبر موجود أيضًا في أهل البدع، أهل البدع فيهم أيضًا من الصبر، هذا الصوفي الذي كان على... تحمّل القتل بسبب الاتحاد والحلول، ابن الفارض على ما أذكر، فلماذا يصبرون؟ أنت تقول: "الصبر عند أهل السنة" عندهم أيضًا موجود، يُجيب شيخ الإسلام يقول؟ **(لما فيه من الحق إذ لا بُدَّ؟)**

قال المصنّف رَحِمَهُ اللهُ:

إِذْ لَا بُدَّ فِي كُلِّ بَدْعَةٍ - عَلَيْهَا طَائِفَةٌ كَبِيرَةٌ - مِنَ الْحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَيُؤَافِقُ عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ: مَا يُوجِبُ قَبُولَهَا إِذْ الْبَاطِلُ الْمَحْضُ لَا يُقْبَلُ بِحَالٍ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

الآن ما عليه المتكلمون وخاصة الكلاية - الأشاعرة والماتريدية - ما عليه هؤلاء من التّعطيل باسم التنزيه والتسبيح من الصّعب أن يفهم، أمّا إذا فهم مثل هذا المعتبر لي سيقول: الحق ما عليه من يسميه المشبهة هم يسمونه، وإلا هم يظنون أنهم يُنزهون الله ﷻ، وأن ما عليه أهل السنة من الإثبات يُخالف التنزيه ويُخالف التسبيح، وهذا حق، التنزيه والتسبيح حق، وهذا الحق الذي يجعله يثبت على باطله، والباطل أن هذا التسبيح والتنزيه يجعله سببًا للتّعطيل، لا يتبته لهذا، يُركز على هذا الحق الذي فهمه خطأ ويظن أن هذا هو الحق، فما فيه من الحق يجعله يظن أنه على الحق كله، وهو التسبيح والتنزيه، وأنّ العلو يُخالف التنزيه، وأنّ هذه النصوص تُؤوّل ونُحافظ على التسبيح ونُحافظ على التنزيه، هكذا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَبِالْجُمْلَةِ: فَالْثَبَاتُ وَالِاسْتِقْرَارُ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ أَضْعَافُ أَضْعَافٍ مَا هُوَ عِنْدَ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالْفَلَسَفَةِ؛ بَلْ الْمُتَفَلِّسُ أَعْظَمُ اضْطِرَابًا وَحَيْرَةً فِي أَمْرِهِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يقول شيخ الإسلام: حتى وُجِدَ فِيهِمْ مَنْ ثَبَتَ عَلَى بَدَايَتِهِ وَاسْتَقَرَّ عَلَيْهَا - يقول: (في أهل الحديث والسنة أضعاف أضعاف أضعاف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة).

هنا يُقَارَن، يُقَارَن شيخ الإسلام وفي النهاية يُبَيِّن سبب الثبات، لماذا أهدنا يستقر ويثبت على شيء ولا يتزعزع؟ لماذا؟ سيئين، والآن يُقَارَن هنا بين المتكلمين أنفسهم وبين المتكلمين والفلاسفة. (لأنَّ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي تَلَقَّاهُ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

لَأنَّ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي تَلَقَّاهُ، عَنِ الْأَنْبِيَاءِ مَا لَيْسَ عِنْدَ الْمُتَفَلِّسِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لأنَّ الْمُتَفَلِّسَ مِنَ الْبَدَايَةِ يَقُول: مَا أُرِيدُ التَّقْلِيدَ، أَمَّا الَّذِي يَأْخُذُ هَذِهِ الْأُصُولَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْبَدَايَةِ عِنْدَهُ مُقَلِّدٌ، مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ الْمُتَكَلِّمُونَ مُسْلِمُونَ، أَخَذُوا هَذِهِ الْأُصُولَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَاضْطَرَّابُهُ أَقْلٌ مِنْ أَوْلِيَّكَ الَّذِينَ مِنَ الْبَدَايَةِ لَا يَأْخُذُونَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلِهَذَا تَجِدُ مِثْلَ أَبِي الْحُسَيْنِ الْبَصْرِيِّ وَأَمثَالِهِ أَثْبَتَ مِنْ مِثْلِ ابْنِ سِينَا وَأَمثَالِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أبي الحسين البصري ذكره هنا؛ لأنَّه مُعَاَصِرٌ لابن سينا - صاحب المُعْتَمَدِ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ - أَبُو الْحُسَيْنِ الْبَصْرِيِّ مُعَاَصِرٌ لابن سينا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَيْضًا تَجِدُ أَهْلَ الْفَلَسَفَةِ وَالْكَلامِ أَعْظَمَ النَّاسِ افْتِرَاقًا وَاخْتِلَافًا مَعَ دَعْوَى كُلِّ مِنْهُمْ أَنَّ الَّذِي يَقُولُهُ حَقٌّ مَقْطُوعٌ بِهِ قَامَ عَلَيْهِ الْبُرْهَانُ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

(مَقْطُوعٌ بِهِ) أهل الفلسفة والكلام عموماً (مَعَ دَعْوَى كُلِّ مِنْهُمْ أَنَّ الَّذِي يَقُولُهُ حَقٌّ مَقْطُوعٌ بِهِ قَامَ عَلَيْهِ الْبُرْهَانُ) هكذا يدعون.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ أَعْظَمُ النَّاسِ اتِّفَاقًا وَاتِّتِلَافًا، وَكُلُّ مَنْ كَانَ مِنَ الطَّوَائِفِ إِلَيْهِمْ أَقْرَبَ كَانَ إِلَى الْإِتِّفَاقِ وَالِاتِّتِلَافِ أَقْرَبَ، فَالْمُعْتَزِلَةُ أَكْثَرُ اتِّفَاقًا وَاتِّتِلَافًا مِنَ الْمُتَفَلِّسِفَةِ إِذْ لِلْفَلَسَفَةِ فِي الْإِلَهِيَّاتِ وَالْمَعَادِ وَالنَّبَوَاتِ، بَلْ وَفِي الطَّبِيعِيَّاتِ وَالرِّيَاضِيَّاتِ وَصِفَاتِ الْأَفْلاكِ مِنَ الْأَقْوَالِ مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا ذُو الْجَلَالِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

طبعاً هذا من استقراء شيخ الإسلام، نحن لا نستطيع أن نخوض في مثل هذه الأمور: (بَلْ وَفِي الطَّبِيعِيَّاتِ وَالرِّيَاضِيَّاتِ وَصِفَاتِ الْأَفْلاكِ) شيخ الإسلام يغوص معهم في هذه الأمور.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ ذَكَرَ مَنْ جَمَعَ مَقَالَاتِ الْأَوَائِلِ مِثْلُ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ فِي كِتَابِ الْمَقَالَاتِ وَمِثْلُ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ فِي كِتَابِ الدَّقَائِقِ مِنْ مَقَالَاتِهِمْ بِقَدْرِ مَا يَذْكُرُهُ الْفَارَابِيُّ وَابْنُ سِينَا؛ وَأَمثالُهُمَا أضعافاً مُضَاعَفَةً.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

طبعاً هذه اللفتة أنا ما فهمتها، وقد ذكر من جمع مقالات الأوائل مثل أبي الحسن الأشعري في كتاب "المقالات" ومثل القاضي أبي بكر في كتاب "الدقائق" من مقالاتهم بقدر ما يذكره فلان أضعافاً مُضَاعَفَةً، نتداولها بعد الدرس.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَهْلُ الْإِبْنَاتِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ - مِثْلُ الْكَلَابِيَّةِ وَالْكَرَّامِيَّةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ - أَكْثَرُ اتِّفَاقًا وَاتِّلَافًا مِنَ الْمُعْتَرِلَةِ
فَإِنَّ فِي الْمُعْتَرِلَةِ مِنَ الْإِخْتِلَافَاتِ، وَتَكْفِيرِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا حَتَّى لِيُكْفِرَ التَّلْمِيذُ أُسْتَاذَهُ

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

حتى يكاد يكفر الولد أباه والعكس، يكاد أقول.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

مَنْ جِنْسٍ مَا بَيْنَ الْخَوَارِجِ، وَقَدْ ذَكَرَ مَنْ صَنَّفَ فِي فَصَائِحِ الْمُعْتَرِلَةِ مِنْ ذَلِكَ مَا يَطُولُ وَصْفُهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

نعم، هذا السبب، السبب الذي يجعل هؤلاء أكث اضطرابًا وهؤلاء أكثر اتئلافًا واتفاقًا، ها هو
السبب، ولماذا الاضطراب ولماذا الاتئلاف؟ ولست تجد اتفاقًا واتئلافًا إلا؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَسْتُ تَجِدُ اتِّفَاقًا وَاتِّلَافًا إِلَّا بِسَبَبِ اتِّبَاعِ آثَارِ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، وَمَا يُتَّبَعُ ذَلِكَ وَلَا تَجِدُ
افْتِرَاقًا وَإِخْتِلَافًا إِلَّا عِنْدَ مَنْ تَرَكَ ذَلِكَ، وَقَدَّمَ غَيْرَهُ عَلَيْهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

كُلُّ مَنْ ابْتَعَدَ عَنِ الدَّلِيلِ كَثُرَ اضْطِرَابُهُ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ مُتَمَسِّكًا بِالدَّلِيلِ قَلَّ خِلَافُهُ مَعَ مَنْ كَانَ مِثْلَهُ فِي
الاستمساك والاعتصام.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

قوله: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ وهذه هي الإرادة الكونية، وقول الله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ
وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] هذه إرادة شرعية، والله ﷻ خلقهم وأراد منهم أن يعبدوه، والإرادة
الشرعية - كما تعرفون - قد تتخلف، الله ﷻ أراد منهم شرعًا أن يعبدوه، أما الإرادة الكونية التي لا

تتخلف فهي تُبين الواقع: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ والله ﷻ لم يُرد كوناً أن يكون كلهم مؤمنون، أمرهم وبين لهم: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَأَخْبَرَ أَنَّ أَهْلَ الرَّحْمَةِ لَا يَخْتَلِفُونَ، وَأَهْلَ الرَّحْمَةِ هُمْ أَتْبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ قَوْلًا وَفِعْلًا، وَهُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَمَنْ خَالَفَهُمْ فِي شَيْءٍ فَاتَهُ مِنَ الرَّحْمَةِ بِقَدْرِ ذَلِكَ، وَلِهَذَا لَمَّا كَانَتْ الْفَلَاسِفَةُ أَبْعَدَ عَنْ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ كَانُوا أَعْظَمَ اخْتِلَافًا وَالْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ وَالرَّوَافِضُ لَمَّا كَانُوا أَيْضًا أَبْعَدَ عَنِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ كَانُوا أَعْظَمَ افْتِرَاقًا فِي هَذِهِ لَا سِيَّمَا الرَّافِضَةَ فَإِنَّهُ يُقَالُ: إِنَّهُمْ أَعْظَمُ الطَّوَائِفِ اخْتِلَافًا وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَبْعَدُ الطَّوَائِفِ عَنِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِخِلَافِ الْمُعْتَزِلَةِ، فَإِنَّهُمْ أَقْرَبُ إِلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ. وَأَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ قُتَيْبَةَ - فِي أَوَّلِ كِتَابِ مُخْتَلَفِ الْحَدِيثِ - لَمَّا ذَكَرَ أَهْلَ الْحَدِيثِ وَأَتَمَّتْهُمْ وَأَهْلَ الْكَلَامِ وَأَتَمَّتْهُمْ: كَفَى بِذِكْرِ أُمَّةٍ هَؤُلَاءِ وَوَصَفِ أَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ؛ وَوَصَفِ أُمَّةٍ هَؤُلَاءِ وَأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ بِمَا يُبَيِّنُ لِكُلِّ أَحَدٍ: أَنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ هُمْ أَهْلُ الْحَقِّ وَالْهُدَى، وَأَنَّ غَيْرَهُمْ أَوْلَى بِالضَّلَالِ وَالْجَهْلِ وَالْحَشْوِ وَالْبَاطِلِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً الذي ينظر في كتب المقالات، ويقرأ فيها يعرف صدق ما يقوله شيخ الإسلام، أمّا نحن فنُصدّق من شيخ الإسلام ولكن من يقرأ في كتب المقالات يستغرب هذا الكم الهائل من الخلاف بين هذه الفرق.

خذ مثلاً المعتزلة: الخلاف الذي بينهم في أتفه الأمور، شيء مُزعج، لا يكادون يتفقون. أمّا الخوارج وغيرهم فأمرهم أعظم، لأنّ دينهم أصلاً مبني على الاختلاف والافتراق. إذّاهم أولى الناس بالدلال والجهل وكذلك الحشو الباطل.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَيْضًا فَالْمُخَالَفُونَ لِأَهْلِ الْحَدِيثِ هُمْ مَظِنَّةٌ فَسَادِ الْأَعْمَالِ: إِمَّا عَنْ سُوءِ عَقِيدَةٍ وَنِفَاقٍ وَإِمَّا عَنْ مَرَضٍ فِي الْقَلْبِ وَضَعْفِ إِيْمَانٍ.

قال الشَّارح وفقه الله :

هنا الاضطراب والاختلاف في العقائد في أقوالهم، هنا يتحدث عن الأعمال التي تكون مبنية على

الاعتقاد، يقول: (هُم مَظِنَّةٌ فَسَادِ الْأَعْمَالِ) لماذا؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

إِمَّا عَنْ سَوْءِ عَقِيدَةٍ وَنَفَاقٍ وَإِمَّا عَنْ مَرَضٍ فِي الْقَلْبِ وَضَعْفِ إِيْمَانٍ، فَفِيهِمْ مِنْ تَرَكَ الْوَاجِبَاتِ وَاعْتَدَاءِ

الْحُدُودِ وَالِاسْتِخْفَافِ بِالْحُقُوقِ وَقَسْوَةِ الْقَلْبِ مَا هُوَ ظَاهِرٌ لِكُلِّ أَحَدٍ وَعَامَّةٌ شُبُوخِهِمْ يُرْمَوْنَ بِالْعِظَائِمِ.

قال الشَّارح وفقه الله :

حتى المعتزلة الذين هم خوارج في الحقيقة، ومع ذلك ما ذكره ابن قتيبة في كتابه "مختلف

الحديث" عن أئمتهم ومن شربهم للخمر تستغرب، هذا مذهبه ويُخرج بالكبيرة وهو لا يتحاشى حتى شرب الخمر.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ مَعْرُوفٌ بِزُهْدٍ وَعِبَادَةٍ فَفِي زُهْدِ بَعْضِ الْعَامَّةِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَعِبَادَتِهِ مَا هُوَ أَرْجَحُ

مِمَّا هُوَ فِيهِ.

قال الشَّارح وفقه الله :

طبعاً هذا من أشهر من اشتهر بذلك عمرو بن عبّيد، وعمرو بن عبّيد زهده استغلّه المعتزلة ولا زالوا

يستغلونه إلى الآن ما يُكْتَب عن المعتزلة أنهم اعتزلوا الفتن، فلذلك كانوا مُعْتَرِلة حتى الآن هم معروفون بالزهد.

هذا عمرو بن عبّيد الذي عُرف بالزهد، يقول شيخ الإسلام عنه: (فَفِي زُهْدِ بَعْضِ الْعَامَّةِ مِنْ أَهْلِ

السُّنَّةِ وَعِبَادَتِهِ مَا هُوَ أَرْجَحُ مِمَّا هُوَ فِيهِ) الواحد أو الاثنان الذين وُجِدَ فيكم من الزُّهَادِ ففِي زُهْدِ بَعْضِ

العامّة - العوام من أهل السنة - وعبادته ما هو أرحح مما هو فيه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْعِلْمَ أَصْلُ الْعَمَلِ وَصِحَّةُ الْأُصُولِ تُوجِبُ صِحَّةَ الْفُرُوعِ وَالرَّجُلُ لَا يَصْدُرُ عَنْهُ فَسَادُ الْعَمَلِ إِلَّا لِشَيْئَيْنِ: إِمَّا الْحَاجَةُ؛ وَإِمَّا الْجَهْلُ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

طبعًا الحاجة هي الشهوة، والشهوة كيف يمكن أن تتجنبها؟ بالصبر، والجهل هو الشبهة، الشبهة تجعلك تقع في الجهل ويقابلها العلم واليقين.

يقول: (لَا يَصْدُرُ عَنْهُ فَسَادُ الْعَمَلِ إِلَّا لِشَيْئَيْنِ: إِمَّا الْحَاجَةُ؛ وَإِمَّا الْجَهْلُ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

، فَأَمَّا الْعَالِمُ بِقُبْحِ الشَّيْءِ الْغَنِيِّ عَنْهُ فَلَا يَفْعَلُهُ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

(الغني عنه) لأن الشهوة تستغني عنها، تتركها.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

اللَّهُمَّ إِلَّا مَنْ غَلَبَ عَقْلُهُ هَوَاهُ وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ الْمَعَاصِي فَذَلِكَ لَوْنٌ آخَرٌ وَضَرْبٌ ثَانٍ.

وَأَيْضًا فَإِنَّهُ لَا يُعْرَفُ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ أَحَدٌ إِلَّا وَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ مَقَالَةٌ يُكْفَرُ قَائِلُهَا عُمُومَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى

أَصْحَابِهِ، وَفِي التَّعْمِيمِ مَا يُغْنِي عَنْ التَّعْيِينِ فَأَيُّ فَرِيقٍ أَحَقُّ بِالْحَشْوِ وَالضَّلَالِ مِنْ هَؤُلَاءِ؟

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

هذا الذي يُشير إليه شَيْخُ الْإِسْلَامِ ظاهرة غريبة، أنت لما تنظر في أهل الكلام المعروفين: له في

الإسلام مقالة يُكْفَرُ قَائِلُهَا عُمُومَ الْمُسْلِمِينَ، طبعًا هناك فرق بين التكفير العام والتكفير المعين - لا تنس

هذا الأمر -، بعضهم ينسى هذا الأمر فيتحدّث عن مثل هذه المواضع، يقول ورأي شَيْخِ الْإِسْلَامِ كَذَا،

ورأي شَيْخِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ كَذَا، هذه المسألة يُتحدّث عنها هكذا في الإجمال، أمّا لما

تأت إلى هذه المسألة بخصوصها تذكر هناك الشروط والموانع، وما هي الموانع وما هي الشروط؟

والفرق بين تكفير العام وتكفير المعين، الفرق بين التكفير المطلق، المهم يتحدث هنا شيخ الإسلام كثيرٌ منهم له في الإسلام مقالة يُكفر قائلها عموم المسلمين، الآن إنكار العلو مع هذه الأدلة المتضاربة كُفر، لكن لماذا لا يُكفر هذا وذاك؟ للموانع، للشروط، للضوابط هذه التي يذكرها أهل السنة، ولكن نحن نتحدث عن المقالات هذه، هناك مقالات كُفرية وهناك مقالات لا تصل إلى الكفر.

(يُكفره عوام المسلمين) هذا معروف، يقول: بعضهم، يُكفر بعضهم في بعضهم، مثلاً: في قضية الجوهر الفرد، كُفروا النظام عليها، على هذه المسألة، طوام النظام أشياء يندى لها الجبين، تأتي فقط إلى الجوهر الفرد وتُكفره لأجلها؟! لأجل الجوهر الفرد كفروا النظام، من كُفره؟ أصحابه المعتزلة، يقول: (حتى أصحابه).

وقوله: (وَفِي التَّعْمِيمِ مَا يُغْنِي عَنِ التَّعْيِينِ) يقول شيخ الإسلام: لماذا تسترسلون معي أكثر، أنا أعطيتكم العموم؟ لا تقل لي: "مثل"، يقول: (وَفِي التَّعْمِيمِ) لو لا معرفتي بهم بالتفصيل ما كنت أعمم هذا التعميم، صعب ترى مثل هذا التعميم، (وَفِي التَّعْمِيمِ مَا يُغْنِي عَنِ التَّعْيِينِ).

(فَأَيُّ فَرِيقٍ أَحَقُّ بِالْحَشْوِ وَالضَّلَالِ مِنْ هَؤُلَاءِ؟) من هم الحشوية بالله عليكم؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَذَلِكَ يَقْتَضِي وُجُودَ الرَّدِّ فِيهِمْ كَمَا يُوجَدُ النِّفَاقُ فِيهِمْ كَثِيرًا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يقول هذا الأمر أحياناً يُوصِل إلى الردية، يقتضي وجود الردة، وُجِدَت الردة أم لم تُوجد هذا شيء آخر، ولكن مثل هذه الأمور تقتضي وجود الردة فيهم، يعني الأسباب موجودة، أسباب الهلاك موجودة ومع ذلك سيُسير إلى بعض ما حصل.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا إِذَا كَانَ فِي الْمَقَالَاتِ الْخَفِيَّةِ فَقَدْ يُقَالُ: إِنَّهُ فِيهَا مُخْطِئٌ ضَالٌّ لَمْ تَقُمْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ الَّتِي يَكْفُرُ

صَاحِبُهَا.

قال الشَّارح وفقه الله:

نعم، لا زلت أقول: أنَّ كلامَ شَيْخِ الإِسْلَامِ هنا ليس تفصيلاً في مسألة تكفير المُخالف وتقسيم المسائل إلى مسائل ظاهرة ومساائل خفية أبداً، يعني كلامَ شَيْخِ الإِسْلَامِ في تكفير المُعَيَّن واحتياطه فيه، وحتى تقسيم المسائل إلى مسائل ظاهرة وخفية، واختلافها باختلاف البيئات وباختلاف الأشخاص وباختلاف الأزمان: هذا يقول به شيخ الإسلام وذكره جملةً من الأعدار منها: "الجهل، وعدم قيام الحُجَّة"، ولكنه يتحدث هنا عموماً.

قال المصنَّف رَحِمَهُ اللهُ:

لَكِنَّ ذَلِكَ يَقَعُ فِي طَوَائِفَ مِنْهُمْ فِي الْأُمُورِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي تَعَلَّمَ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهَا مِنْ دِينِ الْمُسْلِمِينَ، بَلِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يَعْلَمُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ بُعِثَ بِهَا وَكَفَّرَ مُخَالَفَهَا.

قال الشَّارح وفقه الله:

يعني أمور تكون معروفة حتى عند اليهود والنصارى، اليهود والنصارى يعلمون أن هذا دين المسلمين، فيخفى عليك أنت مع أنك مُسْلِمٌ؟ لا ينبغي هذا. اليهود والنصارى يعلمون أن هذا من دين الله وأنت ما تعلم؟! هل هناك ظهور أكثر من هذا.

قال المصنَّف رَحِمَهُ اللهُ:

مِثْلُ أَمْرِهِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَنَهْيِهِ عَنِ عِبَادَةِ أَحَدٍ سِوَى اللَّهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ وَالْأَصْنَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ هَذَا أَظْهَرَ شَعَائِرِ الإِسْلَامِ وَمِثْلُ أَمْرِهِ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَإِيجَابِهِ لَهَا، وَتَعْظِيمِ شَأْنِهَا، وَمِثْلُ مُعَادَاتِهِ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ وَالصَّابِئِينَ وَالْمَجُوسِ، وَمِثْلُ تَحْرِيمِ الْفَوَاحِشِ وَالرِّبَا وَالْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. ثُمَّ تَحَدُّ كَثِيرًا مِنْ رُؤَسَائِهِمْ وَقَعُوا فِي هَذِهِ الْأُمُورِ فَكَانُوا مُرْتَدِّينَ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ يَتُوبُونَ مِنْ ذَلِكَ وَيَعُودُونَ إِلَى الإِسْلَامِ فَقَدْ حُكِيَ عَنِ الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ: أَنَّهُ تَرَكَ الصَّلَاةَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا لَا يَرَى وَجُوبَهَا؛ كَرُؤَسَاءِ الْعَشَائِرِ مِثْلِ الْأَفْرَعِ بْنِ حَابِسٍ وَعُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ ارْتَدَّ عَنِ الإِسْلَامِ وَدَخَلَ فِيهِ، فَفِيهِمْ مَنْ كَانَ يَتَّهَمُ بِالنِّفَاقِ وَمَرَضِ الْقَلْبِ، وَفِيهِمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ

كَذَلِكَ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

يقول شيخ الإسلام: لماذا وُجد هذا فيهم ما هي الأسباب؟ أنتم يا مَنْ تتهمون أهل السنة بأنهم حشوية، لماذا فيكم هذه الأمور، إذا الأسباب موجودة ولا زالت موجودة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

أَوْ يُقَالُ: هُمْ لِمَا فِيهِمْ مِنَ الْعِلْمِ يُشَبَّهُونَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ الَّذِي كَانَ كَاتِبَ الْوَحْيِ فَازْتَدَّ وَلَحِقَ بِالْمُشْرِكِينَ فَأَهْدَرَ النَّبِيُّ ﷺ دَمَهُ عَامَ الْفَتْحِ، ثُمَّ أَتَى بِهِ عُثْمَانُ إِلَيْهِ فَبَايَعَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَمَنْ صَنَّفَ فِي مَذْهَبِ الْمُشْرِكِينَ وَنَحْوِهِمْ أَحْسَنُ أَحْوَالِهِ أَنْ يَكُونَ أَسْلَمَ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

يقول: حتى هذا أيضًا يصح أن يُقال، الذي عنده علم ومع ذلك يضل في مثل هذه الأمور: هذا يُشبهه بذلك، لماذا؟ جهل أمرًا لا يجهله اليهود ولا النصارى في دين المسلمين.

قوله: (فَمَنْ صَنَّفَ فِي مَذْهَبِ الْمُشْرِكِينَ وَنَحْوِهِمْ أَحْسَنُ أَحْوَالِهِ أَنْ يَكُونَ أَسْلَمَ) طبعًا هو هنا يُشير إلى الرازي، وسيأتي له كلامٌ أكثر في الرازي، وهذه الإشارة إلى الرازي: (فَمَنْ صَنَّفَ فِي مَذْهَبِ الْمُشْرِكِينَ وَنَحْوِهِمْ أَحْسَنُ أَحْوَالِهِ أَنْ يَكُونَ أَسْلَمَ) يقصد كتابه في السَّحَرِ وَالنُّجُومِ، سيأتي كلامه أكثر هناك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

فَكَثِيرٌ مِنْ رُءُوسِ هَؤُلَاءِ هَكَذَا تَجِدُهُ تَارَةً يَزْتَدُّ عَنِ الْإِسْلَامِ رِدَّةً صَرِيحَةً وَتَارَةً يَعُودُ إِلَيْهِ مَعَ مَرَضٍ فِي قَلْبِهِ وَنِفَاقٍ، وَقَدْ يَكُونُ لَهُ حَالٌ ثَالِثَةٌ يَغْلِبُ الْإِيمَانُ فِيهَا النَّفَاقَ لَكِنْ قَلَّ أَنْ يَسْلَمُوا مِنْ نَوْعِ نِفَاقٍ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

(من نوع نفاق) لماذا؟ لوجود هذه الأسباب.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْحِكَايَاتُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ مَشْهُورَةٌ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ قُتَيْبَةَ مِنْ ذَلِكَ طَرَفًا فِي أَوَّلِ مُخْتَلَفِ الْحَدِيثِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(ابن قُتَيْبَةَ) يُلقب بخطيب أهل السنة، وهو مُحدِّث، مُحدِّث إمام في الحديث وإمام في اللغة في نفس

الوقت، تُوفي سنة مائتين - أظن - وستة وسبعين، قريب من هذا، ستة وسبعين أو حول هذا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فقد حُكي عن الجهم بن صفوان أنه ترك الصلاة أربعين يومًا لا يرى وجوبها.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

الذي هو نبيهم، (الجهم) هذا نبيهم، وعنه أخذتم هذه ...

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَحَكَى أَهْلُ الْمَقَالَاتِ لِبَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ مِنْ ذَلِكَ طَرَفًا كَمَا ذَكَرَهُ أَبُو عِيْسَى الْوَرَّاقُ وَالنُّوْبَخْتِيُّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

النُّوْبَخْتِيُّ مِنَ الرَّافِضَةِ، وَالْأَوَّلُ مِنَ الْمَعْتَزَلَةِ، هُم مِمَّنْ صَنَفُوا فِي الْمَقَالَاتِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ وَالْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْبَاقِلَانِيِّ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّهْرَسْتَانِيُّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

كتاب الباقلاني - كما ذكرنا - ليس مطبوعًا، الذي في الفرق، وله كُتُب كثيرة مطبوعة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وغيرهم ممن يذكُرُ مقالاتِ أهلِ الكلامِ. وأبلُغُ مِنْ ذَلِكَ: أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يُصَنِّفُ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ وَالرَّدَّةِ عَنِ الْإِسْلَامِ كَمَا صَنَّفَ الرَّازِي كِتَابَهُ فِي عِبَادَةِ الْكُوكِبِ وَالْأَصْنَامِ، وَأَقَامَ الْأَدِلَّةَ عَلَى حُسْنِ ذَلِكَ وَمَنْفَعَتِهِ وَرَغَبِ فِيهِ، وَهَذِهِ رَدَّةٌ عَنِ الْإِسْلَامِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنْ كَانَ قَدْ يَكُونُ تَابَ مِنْهُ وَعَادَ إِلَى الْإِسْلَامِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هناك موضع اضطلعت عليه في بيان التلبيس من المواضع التي يُرَجَّحُ فيها شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَنَّ الرَّازِي بهذا الكتاب وقع في ما ذكره هنا، مع ذلك هو دائماً يُعامِلُهُ على أَنَّهُ مُسْلِمٌ، لذلك يقول: (وإن كان قد يكون عاد إلى الإسلام) وكتاب الرازي، شَيْخُ الْإِسْلَامِ يجزم على أَنَّهُ لَهُ: "السر المكتوم في مخاطبة النجوم"، وهذا الكتاب فعلاً له، مما يدل على أَنَّهُ له كتابه الذي طُبِعَ قريباً "المطالب العالية" لخصه في هذا الكتاب، لخص ذلك الكتاب في هذا الكتاب، والكتاب ألفه قبل وفاته بخمس سنوات، لأنَّه أحياناً يكتب: "كتبته في كذا"، الكتاب عندي "المطالب العالية في العلم الإلهي" لخص فيه ذلك الكتاب. وذكر فيه أَنَّهُ أَلَّفَهُ؛ لتلبية طلب فلان، وذكر فيه كيف تُرضي هذه النجوم في السحر، وكيف تذبح لها، كيف تُقرب لها القرابين؟ والشرك أنواع وهذا أشنعها، هذا يجمع بين شرك الربوبية وشرك الألوهية. إلى الآن الأشاعرة يُنازعون في هذا أَنَّهُ لم يُؤلفه، طبعاً سبقهم السبكي وإلى الآن يقولون: "أنه لم يُؤلف هذا الكتاب ويتهمون شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَنَّهُ يكذب على الرازي.

محمد صالح الزركان أيضاً أثبت - وهو أشعري - أثبت أن الكتاب من تأليف هذا الرازي.

ومحمد سعيد فودة المعروف بالكذب والتدليس والدجل ذكر في مقدمة تحقيقه - هكذا كتب -

«نهاية العقول» للرازي، في المقدمة أطال في هذه القضية وأن ابن تيمية اتهم فلان، طيب إذا لم تكن أعمى ماذا تقول فيما لخصه في "المطالب العالية"، فيما يذكره هو بنفسه في "المطالب العالية"، وهذا الكتاب موجود مطبوع - طبع - قبل أن يُطبع هذا الكتاب كنتم هكذا تكذبون، طبع الكتاب فأعطيني

رأيك في هذا الكتاب: إمّا أن تقول أن هذا الكتاب ليس للرازي، أو تُفكنا من كذبك وتدليسك.

والرازي هناك يكتب التواريخ، يُكثر من هذا في كتابه "المطالب العالية"؛ لأنّه يبدو أنّه كتب الفصول

-فصول الكتاب- في أوقاتٍ مُختلفة، هكذا يبدو، فيذكر لمّا ينتهي من فصل يذكر.

أحد الفصول أذكر أنّه ألفه -كتبه- سنة ستمائة وواحد، يعني قبل موته بخمس سنوات، في هذا

الكتاب الذي هو من أواخر ما ألفه لخص كتابه "السر المكتوب في مخاطبة النجوم".

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ: أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يُصَنِّفُ فِي دِينِ الْمُشْرِكِينَ وَالرَّدَّةِ عَنِ الْإِسْلَامِ كَمَا صَنَّفَ الرَّازِي كِتَابَهُ

فِي عِبَادَةِ الْكُؤَاكِبِ وَالْأَصْنَامِ، وَأَقَامَ الْأَدِلَّةَ عَلَى حُسْنِ ذَلِكَ وَمَنْفَعَتِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أي نعم، كيف أنّه ينفع؟ وكيف أنّه تستفيد.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَرَغَبَ فِيهِ وَهَذِهِ رِدَّةٌ عَنِ الْإِسْلَامِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ كَانَ قَدْ يَكُونُ تَابَ مِنْهُ وَعَادَ إِلَى الْإِسْلَامِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

على كل حال: مع هذا الكلام الذي ذكره شيخ الإسلام هذا ليس صريحًا في تكفيره، نحنُ أمام أخطر

ما كتبه شيخ الإسلام في الرازي، ليس صريحًا في تكفيره، في تكفيره هو بنفسه.

نعم، يذكر احتمالًا أنّه يكون قد ارتد وعاد إلى الإسلام، وممّا يدل على أنّه ليس صريحًا في تكفيره

يقول: (وهذه الردّة عن الإسلام) لم يقول: "وهو قد ارتد" مثل هذه الأمور شيخ الإسلام دقيق فيها،

ويُعَلِّمنا الدقة أيضًا في مثل هذه الأمور، قد يكون ارتد وقد لا يكون ارتد، حتى ولو ارتد قد يكون عاد إلى

الإسلام، وكتابه "بيان التلبس" من أوله إلى آخره باستثناء موضع أو موضعين على أنّه من المسلمين،

دائمًا لمّا يُقابل المتكلمين بالفلاسفة هو صريحٌ في هذا أنّهم مسلمون.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ أَهْلَ الْكَلَامِ يَزْعُمُونَ أَنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ أَهْلُ تَقْلِيدٍ لَيْسُوا أَهْلَ نَظَرٍ وَاسْتِدْلَالٍ
وَأَنَّهُمْ يُنْكِرُونَ حُجَّةَ الْعَقْلِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يقول بعد هذا كله، بعد هذه المتاهات التي أنتم عليها، مع هذا كله (وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ أَهْلَ الْكَلَامِ
يَزْعُمُونَ أَنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ أَهْلُ تَقْلِيدٍ) سبحان الله!

يعني هذه ثلاثة أمور مهمة جداً: (ليسوا أهل نظر) وذكرنا فيما يتعلق بالنظر أن النظر ينقسم إلى ثلاثة
أقسام:

ليسوا أهل استدلال، ويُنكرون حجة العقل، إذا قيل في شخص: أَنَّهُ يُنْكِرُ حُجَّةَ الْعَقْلِ هَكَذَا إِجْمَالًا
يدل على أَنَّهُ مجنون، إذا لم يكن يستعمل عقله؛ فإمَّا لفقده للعقل، وإمَّا لِأَنَّهُ قريب ممن فقد العقل، وإلَّا
لماذا اللهُ رَحِمَهُ وشرفه بالعقل وهو لا يستخدمه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَرُبَّمَا حُكِيَ إِنْكَارُ النَّظَرِ عَنْ بَعْضِ أُمَّةِ السُّنَّةِ وَهَذَا مِمَّا يُنْكِرُونَهُ عَلَيْهِمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وَأَنَّهُمْ يَرُونَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ النَّظَرُ، سبحان الله! لَا يَجُوزُ النَّظَرُ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ، ليسوا أهل نظر، وذكرنا
أَنَّهُمْ فعلاً ليسوا أهل نظر، ذلك النظر الذي أوصلك إلى هذا الشك والريب، ليسوا أهل هذا النظر، والله
الحمد.

أَمَّا الاستدلال فذكر شيخ الإسلام أَنَّهُ يَأْتِي بِمَعْنَيْنِ:

المعنى الأول: ترتيبُ المُقدمات على نحوٍ خاصٍ والوصول إلى نتيجة على نحوٍ خاصٍ، وهذه
الصَّنَاعَةُ تُسَمَّى صناعة الجدل، هذه الصَّنَاعَةُ تُعَلِّمُكَ كَيْفَ تُرْتَبُ المُقَدِّمَاتُ، هذه الصَّنَاعَةُ أَصْلًا تتلاقى
مع المنطق - صناعة الجل - كَيْفَ تُرْتَبُ المُقَدِّمَاتُ وكَيْفَ تُصَلُّ إلى النتيجة؟ وإذا وجدت حجة كيف

تُورد عليها الممانعات والمعارضات؟ كيف تبني وكيف تهدم ما بناه غيرك؟ هذه صناعة الجدل، هذه الصناعة أهل السنة - الحمد لله - في سلامةٍ منها، لا يتعلّمون من أرسطو ولا يتعلّمون من غير أرسطو كيف يُرتبون الحجج، الحجج عندهم مُرتبة وتحتاج إلى إعمال الفهم فيها.

نعم، هم ليسوا أهل استدلال على هذا.

أما الاستدلال الذي فيه الوصول إلى الدليل ليُوصلك إلى المدلول: هم أهل الاستدلال؛ لأنّهم قد أوصلهم، الدليل وصلهم، والدليل هو كتاب الله ﷻ والدليل هو النبي ﷺ أوصلهم إلى المدلول، أليس كذلك؟ وأنت إلى الآن لم تصل وتقول: "هم ليسوا أهل الاستدلال" إذا أنت تنفي عنهم شيئاً هو أصلاً ليس مما يُحمد به الشخص ولكن هذا الإجمال فيه الإشكال، ليسوا أهل استدلال، الذي ليس أهل الاستدلال هذا لا يصلح أن تتحدث معه في هذه الأمور.

كل هذه العمومات ومثل هذا التعميم يُؤثر، أهل السنة أو أولئك الحشوية ليسوا أهل نظر وليسوا أهل استدلال وليسوا ممن يستخدمون العقل.

تحدّثنا عن النظر والاستدلال وأن الاستدلال عامٌّ في بني آدم وأحق الناس بالوصول إلى المدلول مكن كان دليلاً صحيحاً والنظر في الدليل صحيحاً.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَيَقَالُ لَهُمْ: لَيْسَ هَذَا بِحَقٍّ، فَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ لَا يُنْكِرُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ هَذَا أَصْلٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَهُمْ، وَاللَّهُ قَدْ أَمَرَ بِالنَّظَرِ وَالْإِعْتِبَارِ وَالتَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ فِي غَيْرِ آيَةٍ وَلَا يُعْرَفُ عَنْ أَحَدٍ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَلَا أئِمَّةِ السُّنَّةِ وَعُلَمَائِهَا أَنَّهُ أَنْكَرَ ذَلِكَ، بَلْ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى الْأَمْرِ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ مِنَ النَّظَرِ وَالتَّفَكُّرِ وَالْإِعْتِبَارِ وَالتَّدَبُّرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَكِنْ وَقَعَ اشْتِرَاكٌ فِي لَفْظِ النَّظَرِ وَالْإِسْتِدْلَالِ وَلَفْظِ الْكَلَامِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

ذكرنا بعضها وهذا أمرٌ يعرفه صغار طلاب العلم، ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

[يونس: ١٠١]، ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]، كثير.

(وَلَكِنْ وَقَعَ اشْتِرَاكٌ فِي لَفْظِ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ) طبعاً هذا يقع عند... يذكر هذا شيخ الإسلام كثيراً، (ولكن وقع اشتراك) هذا الاشتراك مقصود، هذا الاشتراك الذي وقع في هذه الألفاظ مقصود، ومن الذي كان سبباً في إيقاع هذا الاشتراك؟ هم، وإلا النظر في الكتاب والسنة معروف، أنت تأتي وتصرف النظر إلى معنى آخر وتجعله هو الأصل ثم تقول: ليسوا أهل نظر، فيفهم أنهم لا ينظرون النظر المأمور أيضاً. إذاً هذا الاشتراك في لفظ النظر، وكذلك في لفظ الاستدلال من أين جاء؟ جاء منهم، هذا الاشتراك مقصود، وهذا كثير عند أهل الكلام، في الألفاظ المُجملة: الإجمال يكون مقصوداً، ليس أن الإجمال جاء هكذا اعتباطاً، لا، الإجمال مقصود؛ لأنه به يمرر باطله لما فيه من شيء من الحق.

قوله: **(وَلَفْظُ الْكَلَامِ)** لفظ الكلام أيضاً الذي يقول أنهم يُنكرون الكلام، يُنكرون العلم الذي فيه الاستدلال العقلي، ليس هكذا، نحن نُنكر علمك هذا الذي فيه الكلام البدعي.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَانَّهُمْ أَنْكَرُوا مَا ابْتَدَعَهُ الْمُتَكَلِّمُونَ مِنْ بَاطِلٍ نَظَرِهِمْ وَكَلَامِهِمْ وَاسْتَدْلَالِهِمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

نعم، إذا هناك نظر صحيح وباطل، وكلام صحيح وباطل، واستدلال صحيح وباطل.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَاعْتَقَدُوا أَنَّ إِنْكَارَ هَذَا مُسْتَلْزِمٌ لِإِنْكَارِ جِنْسِ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ، وَهَذَا كَمَا أَنَّ طَائِفَةً مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ يُسَمِّي مَا وَضَعَهُ أَصُولَ الدِّينِ وَهَذَا اسْمٌ عَظِيمٌ، وَالْمُسَمَّى بِهِ فِيهِ مِنْ فَسَادِ الدِّينِ مَا اللهُ بِهِ عَلِيمٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

نعم، الكتب هذه - كتب علم الكلام - تُستفتح بأصول يذكرون أنها أصول الدين مع أنها مما تهدم الدين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِذَا أَنْكَرَ أَهْلُ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ ذَلِكَ قَالَ الْمُبْطِلُ: قَدْ أَنْكَرُوا أَصُولَ الدِّينِ، وَهُمْ لَمْ يُنْكِرُوا مَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى أَصُولَ الدِّينِ وَإِنَّمَا أَنْكَرُوا مَا سَمَّاهُ هَذَا أَصُولَ الدِّينِ، وَهِيَ أَسْمَاءٌ سَمَّوْهَا هُمْ وَأَبَاؤُهُمْ بِأَسْمَاءِ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَالِدِّينُ مَا شَرَعَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَدْ بَيَّنَّ أَصُولَهُ وَفُرُوعَهُ وَمِنْ الْمُحَالِ أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ قَدْ بَيَّنَّ فُرُوعَ الدِّينِ دُونَ أَصُولِهِ كَمَا قَدْ بَيَّنَّا هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إذا الدين فيه أصول وفروع كما سبق في كلام العز بن عبد السلام: "العُلَمَاءُ أَنْصَارُ فُرُوعِ الدِّينِ، وَالْأَشَاعِرَةُ أَنْصَارُ أَصُولِ الدِّينِ".

الدين فيه أصول وفروع، من المُحال أن يكون الرسول قد بيّن فروع الدين وترك أصول الدين لهؤلاء

المُتَكَلِّمِينَ، مُحَالٌ؛ لِأَنَّ أَصُولَ الدِّينِ عَلَيْهَا تَبْنِي فُرُوعَ الدِّينِ، إِذْ نَ مُحَالٌ أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ ﷺ حِظَّهُ
الْفُرُوعَ دُونَ الْأَصُولِ، طَبَعًا كَلَامِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ فِي "الْحَمْوِيَّةِ" فِي هَذَا مُرْتَبِ تَرْتِيبِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

**فَهَكَذَا لَفْظُ النَّظَرِ وَالْإِعْتِبَارِ وَالِاسْتِدْلَالِ، وَعَامَّةُ هَذِهِ الضَّلَالَاتِ إِنَّمَا تَطْرُقُ مَنْ لَمْ يَعْتَصِمَ بِالْكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ كَمَا كَانَ الزُّهْرِيُّ يَقُولُ: كَانَ عُلَمَاءُنَا يَقُولُونَ: الْإِعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ هُوَ النَّجَاةُ.**

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

هَذَا أَصْلُ بَلَاءِ جَمِيعِ الْمُبْتَدِعَةِ، أَصْلُ بَلَاءِ جَمِيعِ الْمُبْتَدِعَةِ عَدَمُ الْإِعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ وَلِذَلِكَ
تَجِدُ أَهْلَ السُّنَّةِ فِي كِتَابِهِمْ فِي مَدُونَاتِهِمْ فِي الْحَدِيثِ يَحْرِصُونَ عَلَى أَنْ يَجْمَعُوا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْإِعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ يَجْمَعُونَهَا فِي كِتَابٍ أَوْ فِي بَابٍ وَيَسْتَفْتِحُونَ بِهِ كِتَابَهُمْ كَمَا فَعَلَهُ ابْنُ مَاجَةَ أَوْ يَخْتَمُونَ بِهَا كِتَابَهُمْ كَمَا
فَعَلَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ.

الَّذِي يَخْتَمُ بِهَا يُذَكِّرُ بِهَذَا فِي نَهَايَةِ الْكِتَابِ، وَالَّذِي يَسْتَفْتِحُ بِهِ إِذَا يُذَكِّرُ طَالِبَ الْعِلْمِ بِمَا يَنْبَغِي أَنْ
يَسْلُكَهُ، الْإِعْتِصَامُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، الْإِعْتِصَامُ هُوَ الْاسْتِمْسَاكُ، تَسْتَمْسِكُ مَا تَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَعِصِمُكَ.

(كَمَا كَانَ الزُّهْرِيُّ يَقُولُ: كَانَ عُلَمَاءُنَا يَقُولُونَ: الْإِعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ هُوَ النَّجَاةُ) هَذَا أَثَرٌ طَوِيلٌ - أَثَرُ

الزُّهْرِيِّ - الرَّوَايَةُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْفَزَارِيِّ، مِنْ الْأَثْمَةِ، يَرْوِيهِ عَنْهُ: "الْإِعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ هُوَ النَّجَاةُ، وَنَعَشُ
الْعِلْمِ ثَبَاتُ الدِّينِ" نَعَشُ الْعِلْمِ أَيُّ ظُهُورِ الْعِلْمِ وَهُوَ ثَبَاتُ الدِّينِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ بِهِ تَتَمَسَّكُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ،
"الْإِعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ".

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَالَ مَالِكُ السُّنَّةُ سَفِينَةُ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ». وَذَلِكَ أَنَّ السُّنَّةَ وَالشَّرِيعَةَ وَالْمِنْهَاجَ: هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي يُوصِلُ الْعِبَادَ إِلَى اللَّهِ. وَالرَّسُولُ: هُوَ الدَّلِيلُ الْهَادِي الْخَرِيْتُ فِي هَذَا الصِّرَاطِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْأَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: «خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا وَخَطَّ خُطُوطًا عَن يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ وَهَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ. ثُمَّ قرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾. وَإِذَا تَأَمَّلَ الْعَاقِلُ - الَّذِي يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ - هَذَا الْمِثَالَ وَتَأَمَّلَ سَائِرَ الطَّوَائِفِ مِنَ الْخَوَارِجِ، ثُمَّ الْمُعْتَرِزَةِ ثُمَّ الْجَهْمِيَّةِ وَالرَّافِضَةِ وَمَنْ أَقْرَبُ مِنْهُمْ إِلَى السُّنَّةِ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ مِثْلَ الْكِرَامِيَّةِ وَالْكَلَابِيَّةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ وَأَنَّ كُلًّا مِنْهُمْ لَهُ سَبِيلٌ يَخْرُجُ بِهِ عَمَّا عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَأَهْلُ الْحَدِيثِ وَيَدَّعِي أَنَّ سَبِيلَهُ هُوَ الصَّوَابُ - وَجَدْتَ أَنَّهُمْ الْمُرَادُ بِهَذَا الْمِثَالِ الَّذِي ضَرَبَهُ الْمَعْصُومُ الَّذِي لَا يَتَكَلَّمُ عَنِ الْهَوَى. إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيِي يُوحَى.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

يقول شيخ الإسلام: (وذلك أن السنة والشريعة والمنهاج هو الصراط المستقيم، الذي يوصل العباد إلى الله، والرسول هو الدليل الهادي الخريتي).

سبق أن ذكر شيخ الإسلام أن الرسول هو الدليل، سبق أن سمي الدليل هو القرآن، وذكرت هناك أن الدليل هو القرآن والدليل أيضًا هو النبي ﷺ؛ لأنَّ الدليل هو الذي يدلُّك على المطلوب. وقال الإمام أحمد فيما ينقله أهل الأصول من الحنابلة منه: «قواعد الإسلام أربع» يقصد أن أصول الإسلام تحفظ بهذه الأمور الأربعة: "دال ودليل ومبين ومستدل"، فالدال هو الله ﷻ، والدليل: هو القرآن، وهكذا كان

في كلام شيخ الإسلام - فيما سبق - أن الدليل هو القرآن، والمُبين هو الرسول.

طبعاً هنا يذكر شيخ الإسلام أن الدليل هو النبي - ﷺ، وكما ذكرنا كلاهما صحيح، ومُستدل - وهو الرابع وهو الأهم - وذكر الإمام أحمد أن هذا المُستدل إذا كان عالماً هكذا تحفظ أصول الإسلام: مصادر التلقي، والطريق إليها، والذي يستدل هو أهل للاستدلال، وهكذا تحفظ أصول الإسلام.

إذاً وهو الدليل، النبي ﷺ هو الدليل الهادي الخريت: الماهر الدلالة، ثم ذكر هذه الآيات والأحاديث، ثم يقول بعدها: **(وَإِذَا تَأَمَّلَ الْعَاقِلُ - الَّذِي يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ - هَذَا الْمِثَالَ وَتَأَمَّلَ سَائِرَ الطَّوَائِفِ مِنْ الْخَوَارِجِ) من الطوائف التي ذكر هنا، يقول: (وجدت أنهم المراد بهذا المثل) وإلا هذا المثل الذي ضربه النبي ﷺ وهذا سبيل الله وهذه سُبُل، يقول: (أنهم المراد بهذا المثل الذي ضربه المعصوم الذي لا يتكلم عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى).**

وإلا هذه السُّبُل ماذا تُسميها؟ هناك سبيل وهو سبيل الله ﷻ، بقية السُّبُل عن اليمين واليسار ماذا تُسميها؟ هي سُبُل الشيطان.

الأمثلة وفهمها هذا الذي لا ينظر فيه المتكلمون ولا ينظرون فيه، هذا سُبُحان الله ممَّا يميِّز به العلماء: **﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾** [العنكبوت: ٤٣]، يقول شيخ الإسلام: هذه كلها سُبُل الشيطان التي هنا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْعَجَبُ أَنْ مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُصْرِحُ بِأَنَّ عَقْلَهُ إِذَا عَارَضَهُ الْحَدِيثُ - لَا سِيَّمَا فِي أَخْبَارِ الصِّفَاتِ - حَمَلَ الْحَدِيثَ عَلَى عَقْلِهِ وَصَرَّحَ بِتَقْدِيمِهِ عَلَى الْحَدِيثِ وَجَعَلَ عَقْلَهُ مِيزَانًا لِلْحَدِيثِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

شَيْخُ الْإِسْلَامِ هُنَا فِيهِ إِجْمَالٌ لَا يُفْسِرُ فِي هَذَا الْكَلَامِ، وَإِلَّا كَثِيرٌ مِنْهُمْ يُقَدِّمُ الْعَقْلَ عَلَى النُّقْلِ عَمُومًا كَمَا ذَكَرَ الرَّازِي، لَيْسَ فِي الْحَدِيثِ هَذِهِ الْقَاعِدَةُ وَلَيْسَ فِي أَخْبَارِ الصِّفَاتِ عَمُومًا الْعَقْلَ يُقَدِّمُ عَلَى النُّقْلِ عِنْدَ الرَّازِي وَغَيْرِهِ، وَالرَّازِي أَصْلًا ذَكَرَ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ فِي مَسَائِلِ الْقَدَرِ، الرَّازِي ذَكَرَ هَذَا الْقَانُونَ: "تَقْدِيمُ الْعَقْلِ عَلَى النُّقْلِ"، وَهَذَا لَمْ يَذْكُرْهُ فِي أَخْبَارِ الصِّفَاتِ، فِي «تَأْسِيسِ التَّقْدِيسِ» ذَكَرَهُ فِي مَوْضُوعِ الْقَدْرِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ قَاعِدَةٌ عَامَةٌ عِنْدَهُمْ، وَلَكِنَّ شَيْخَ الْإِسْلَامِ هُنَا فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ لَذَلِكَ يَخْصِمُهُمْ، (يَجْعَلُهُ مِيزَانًا لِلْحَدِيثِ) الْحَدِيثَ يُوْزَنُ بِعَقْلِهِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَلَيْتَ شِعْرِي هَلْ عَقْلُهُ هَذَا كَانَ مُصَرِّحًا بِتَقْدِيمِهِ فِي الشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

التي جاءتنا من الشريعة، يقول: (ليت شعري هل عقله) أيضًا أمرنا بالرجوع إليه في الشريعة،

فيكون؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَيَكُونُ مِنَ السَّبِيلِ الْمَأْمُورِ بِاتِّبَاعِهِ أَمْ هُوَ عَقْلٌ مُبْتَدِعٌ جَاهِلٌ ضَالٌّ حَائِرٌ خَارِجٌ عَنِ السَّبِيلِ؟ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وهذا هو الصحيح، العقل المُبْتَدِعُ، ومما يدلُّ على أنَّه مُبْتَدِعٌ يوافقُ كلامَ اللهِ ﷻ، لو لم يكن هذا مُبْتَدِعًا كان عقله مستسلمًا للنصوص، مما يدلُّ على أنَّه عقل مُبْتَدِعٌ جَاهِلٌ ضَالٌّ حَائِرٌ شَاكٍ خَارِجٌ عَنِ

السييل.

(وهؤلاء الاتحادية وأمثالهم) طبعاً هنا هذه العبارة لم يُعلّق بشيء المُحقّق هنا، في نسخة التعليق هناك تعليق للشيخ الدكتور عبد العزيز عبد اللطيف، يقول: «لم يسبق ذكر الاتحادية وكذا وكذا» يبدو أنّ هناك سقط، وهؤلاء الاتحادية لم يسبق ذكرهم، يبدو أنّ هناك سقطاً - سطر سطرين أكثر - وأتوقع أن السقط ليس قليلاً.

نعم، الاتحادية هم نتيجة الجهمية، الحلولية والاتحادية هم نتيجة الجهمية.

فطر بني آدم تطلب الله ﷻ أين؟ في العلو، جاء الجهمي وقال: "لا تطلبوا في العلو، ليس هناك شيء في العلو" ماذا يفعل هذا الاتحادي والحلولي؟ إذا لك يكن هناك؛ إذاً هو هذا العالم، أليس كذلك؟ إذن هو الذي أوصله إلى.. نعم هناك صلة بينهما، كما يقولون: "صلة العلة بالمعلول والعكس، والدليل والمدلول والعكس، والمقدمات والنتيجة والعكس" ولكن مع ذلك لم يسبق ذكر هكذا: "وهؤلاء"، يبدو لي أنّ هناك سقط.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَؤُلَاءِ الْإِتِّحَادِيَّةُ وَأَمْثَالُهُمْ إِنَّمَا أَتَوْا مِنْ قِلَّةِ الْعِلْمِ وَالْإِيْمَانِ بِصِفَاتِ اللَّهِ الَّتِي يَتَمَيَّزُ بِهَا عَنْ الْمَخْلُوقَاتِ وَقِلَّةِ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَطَرِيقَةِ السَّلَفِ فِي ذَلِكَ، بَلْ قَدْ يَعْتَقِدُونَ مِنَ التَّجْهَمِ مَا يُنَافِي السُّنَّةَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

التجهم معناه التعطيل عموماً؛ لأنّ جهماً هو إمام المُعطلّة كما ورد في شعر أحدهم:

جهمية الأوصاف إلا أنهم

جهمية الأوصاف؛ أي ليس فيها ما يُستثنى، أو صافها كلها جميلة، جهمية الأوصاف.

نفي جهم اشتهر حتى عند الشعراء:

جهمية الأوصاف إلا أنها قد حُلّيت بمحاسن الأخلاق

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

تَلَقَّيْنَا لِذَلِكَ عَنْ مُتَفَلِّسٍ أَوْ مُتَكَلِّمٍ فَيَكُونُ ذَلِكَ الْإِعْتِقَادُ صَادِقًا لَهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كُلَّمَا أَرَادَتْ قُلُوبُهُمْ أَنْ تَتَقَرَّبَ إِلَى رَبِّهَا وَتَسْلُكَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ إِلَيْهِ وَتَعْبُدَهُ - كَمَا فُطِرُوا عَلَيْهِ وَكَمَا بَلَّغَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ عُلُوِّهِ وَعَظَمَتِهِ - صَرَفَتْهُمْ تِلْكَ الْعَوَائِقُ الْمُضِلَّةُ عَنْ ذَلِكَ حَتَّى تَجِدَ خَلْقًا مِنْ مُقَلِّدَةِ الْجَهْمِيَّةِ يُوَافِقُهُمْ بِلِسَانِهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَعَلَى الْفِطْرَةِ وَالسُّنَّةِ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَفْهَمُونَ مَا النَّفْيُ الَّذِي يَقُولُونَهُ بِالسُّنَّةِ؟ بَلْ يَجْعَلُونَهُ تَنْزِيهًا

مُطْلَقًا مُجْمَلًا. قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

قوله: (تلك القواعد)؛ أي: تلك العوائق وتلك القوانين.

سبحان الله! مقلدو الجهمية، عامة في الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية، يقول: (تجد خلقًا من مقلدة الجهمية يوافقهم بلسانه، وأما قلبه فعلى الفطرة والسنة) ولذلك هذا الجهمي نفسه لما يدعو غير، يدعو هكذا، ولكن لما يأتي يُجادل يقول: "الله ﷻ ليس على العرش"، أمّا في حُرِّ كَلَامِهِ وَلَمَّا يَكُونُ فِي مَجَالٍ آخَرَ: على الفطرة والسنة.

(وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَفْهَمُونَ مَا النَّفْيُ الَّذِي يَقُولُونَهُ بِالسُّنَّةِ) هو ينفي هذا، مع ذلك يدعو، لماذا؟ لأنّه يُقَلِّدُهُ فِي النَّفْيِ وَيَجْعَلُهُ تَنْزِيهًا مُطْلَقًا مُجْمَلًا يَظُنُّ أَنَّ نَفْيَهُ فِي التَّنْزِيهِ وَلِذَلِكَ يَنْفِي، طيب ما دام تنفي لماذا تدعو هكذا؟ مُقَلِّدٌ، وهم يتهمون أهل السنة بالتقليد.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَفْهَمُ قَوْلَ الْجَهْمِيَّةِ. بَلْ يَفْهَمُ مِنَ النَّفْيِ مَعْنَى صَحِيحًا، وَيَعْتَقِدُ أَنَّ الْمُنْبِتَ يُثْبِتُ نَقِيضَ ذَلِكَ وَيَسْمَعُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ ذِكْرَ ذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

كثير هذا والذي قبله كثير، لا يفهم قول الجهمية، لماذا كان جهم ينفي العلو؟ لا يفهمه جيدًا ولكنّه يُقَلِّدُهُ، بل يفهم من النَّفْيِ - من نفي الجهمي - معنى صحيحًا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

مِثْلُ أَنْ يَفْهَمَ مِنْ قَوْلِهِمْ: لَيْسَ فِي جِهَةٍ وَلَا لَهُ مَكَانٌ وَلَا هُوَ فِي السَّمَاءِ: أَنَّهُ لَيْسَ فِي جَوْفِ السَّمَوَاتِ وَهَذَا مَعْنَى صَحِيحٌ؛ وَإِيمَانُهُ بِذَلِكَ حَقٌّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هكذا يفهم، مع أن هذا لا يقصد هذا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَكِنْ يَظُنُّ أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا هَذَا النَّفْيَ اقْتَصَرُوا عَلَى ذَلِكَ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ مُرَادُهُمْ: أَنَّهُ مَا فَوْقَ الْعَرْشِ شَيْءٌ أَصْلًا وَلَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ إِلَّا عَدَمٌ مَحْضٌ، لَيْسَ هُنَاكَ إِلَهٌ يُعْبَدُ وَلَا رَبٌّ يُدْعَى وَيُسْأَلُ وَلَا خَالِقٌ خَلَقَ الْخَلَائِقَ وَلَا عُجْرَجٌ بِالنَّبِيِّ إِلَى رَبِّهِ أَصْلًا هَذَا مَقْصُودُهُمْ.

وَهَذَا هُوَ الَّذِي أَوْقَعَ الْإِتِّحَادِيَّةَ فِي قَوْلِهِمْ: هُوَ نَفْسُ الْمَوْجُودَاتِ؛ إِذْ لَمْ تَجِدْ قُلُوبَهُمْ مَوْجُودًا إِلَّا هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ؛ إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَهَا شَيْءٌ آخَرَ وَهَذَا مِنْ الْمَعَارِفِ الْفِطْرِيَّةِ الشَّهُودِيَّةِ الْوُجُودِيَّةِ: أَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا هَذَا الْوُجُودُ الْمَخْلُوقُ أَوْ وُجُودٌ آخَرٌ مُبَايِنٌ لَهُ مُتَمَيِّزٌ عَنْهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وهكذا الفطر التي تشهد من أنفسها أن الشئيين أو أن العينين موجودين وقائمين بأنفسها، إما أن يكونا إذا كانا وجودين مختلفين، لا بد أن يكون أحدهما مبيناً للآخر ومتميزاً عنه، هكذا، جميع الفطر هكذا تقول.

إذا كان هناك وجودان لا بد أن يكونا - خاصة إذا كانا قائماً بنفسه - لا بد أن يكون أحدهما مبيناً للآخر ومتميزاً عنه، هكذا.

طبعاً الفقرة كلها واحدة، النتيجة تكون في الأخير.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

لَا سِيَّمَا إِذَا عَلِمُوا أَنَّ الْأَفْلَاكَ مُسْتَدِيرَةٌ، وَأَنَّ الْأَعْلَى هُوَ الْمُحِيطُ. فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا هَذَا
الْوُجُودُ الْمَخْلُوقُ، أَوْ مَوْجُودٌ فَوْقَهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إن كان هناك شيء سيكون فوق هذا العالم، إن كان هناك موجود آخر سيكون فوق هذا العالم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِذَا اعْتَقَدُوا مَعَ ذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ وُجُودٌ آخَرٌ وَلَا فَوْقَ الْعَالَمِ شَيْءٌ؛ لَزِمَ أَنْ يَقُولُوا: هُوَ هَذَا الْوُجُودُ
الْمَخْلُوقُ؛ كَمَا قَالَ الْإِتِّحَادِيَّةُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هو قد يكون مؤمناً في بدايته - هذا الاتحادي وهذا الحلولي - إن أحسننا به الظن، في بدايته قد يكون
قبل أن يصل إلى هذه الدرجة، قد يطلب ربّه من جهة فوق، ولكن جاءه الجهمي وقال له: لا تبحث هنا،
لا يوجد شيء فوق، فما الذي يبقى؟ الوجود الذي هو فيه، فيقول: "إذا لم يوجد هناك، لن أبحث هنا
ولن أبحث هنا ولن أبحث هنا" إنما لا يوجد هناك إلا هذا الوجود؛ لأنّ الوجود الآخر كان يبحثه في جهة
العلو، جاء الجهمي وأخبره بأنّه ليس هناك شيء، فما الذي يبقى؟ هو هذا الوجود، مع ذلك هو يعتقد أنّ
هناك خالق، فيقول: "الخالق متحدٌ أو حالٌ فيه"؛ إذا الحلولي هذا والاتحادي من الذي أوصله إلى هنا؟
الجهمي، لأنّه سدّ عليه الجهة التي كان يعتقد أنّ ربّه هناك.

قصد شيخ الإسلام أنّ هناك ترابط وتلاقٍ وتلازم بين هذه البدع، بعض البدع سببٌ في بعضها.

طبعاً هذه إذا أحسننا في هذا الحلولي وإلا ما دام أنت مسلم وتعتقد أنّ الله ﷻ خلقك، جاءك شخص

وقال لك: الله ﷻ ليس في العلو "هكذا تستسلم إذا كان فيك شيء من الإيمان؟! وتقول: إذن هذا

الوجود؟ وأين إيمانك، وأين إيمانك بالخالق؟! هكذا تيقنت؟! سبحان الله.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذِهِ بَعِيْنَهَا هِيَ حُجَّةُ الْإِتِّحَادِيَّةِ، وَهَذَا بَعِيْنِهِ هُوَ مَشْرَبُ قَدَمَاءِ الْجَهْمِيَّةِ وَحَدَثَانِهِمْ كَمَا يَقُولُونَ: هُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَلَيْسَ هُوَ فِي مَكَانٍ، وَلَا يَخْتَصُّ بِشَيْءٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لاحظوا هذا التناقض الذي يُريد أن يُبرزه شيخ الإسلام: (هو هو في كل مكان) ومع ذلك (وليس هو في مكان). كيف تجمع بينهما - إذا عندكم عقول، أهل العقول الجبارة وأهل النظر والاستدلال -؟!

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

يَجْمَعُونَ دَائِمًا بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ الْمُتَنَاقِضَيْنِ لِأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ إِثْبَاتَ مَوْجُودٍ؛ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ فَوْقَ الْعَالَمِ. فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْعَالَمِ أَوْ يَكُونَ فِيهِ، أَوْ يَقُولُونَ: هُوَ وَجُودُ الْمَخْلُوقَاتِ دُونَ أَعْيَانِهَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

واضح؟ هم يُريدون أن يثبتوا موجودًا وهو وجود الله ﷻ.

طيب، (وليس عندهم شيء فوق العالم، فيتعين أن يكون هو العالم أو أن يكون فيه) وهذا يُخالف التنزيل، خطوة أخرى: (ثم يُريدون)؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ثُمَّ يُرِيدُونَ إِثْبَاتَ شَيْءٍ غَيْرِ الْمَخْلُوقِ؛ فَيَقُولُونَ: لَيْسَ هُوَ فِي الْعَالَمِ كَمَا لَيْسَ خَارِجًا عَنْهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

ليس في العالم؛ لأنَّ هذا يستلزم حلوله في العالم، وليس خارجًا عنه، طيب أين صرنا؟ (ليس في العالم وليس خارجًا عن العالم) لماذا ليس خارجًا عن العالم؟ لأنَّه قد آمن بما قاله الجهمي، إذا كان خارجًا عن العالم سيكون مباينًا للعالم وسيكون فوق العالم وسيكون عاليًا عليهم، والجهمي قال لهم: "لا يجوز أن تقول بالعلو؛ لأنك إذا قلت بالعلو ستكون مُشبَّهًا"؛ إذاً يجمع بين هذين الأمرين المُتَنَاقِضَيْنِ، وهو يظنُّ أنَّه في تحقيقه، ليس في العالم كما ليس خارجًا عنه.

(أَوْ يَقُولُونَ: هُوَ وُجُودُ الْمَخْلُوقَاتِ دُونَ أَعْيَانِهَا) لماذا هذه الأمور المتناقضة يؤمن بها؟ لأنَّ البديل المُشبه، البديل الشنيع الذي لا يُمكن أن يُقترَب منه مُشبهه، إذا لأجله تُحمَل هذه المتناقضات حتى لا يكون مُشبهًا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

أَوْ يَقُولُونَ: هُوَ الْوُجُودُ الْمُطْلَقُ فَيُثْبِتُونَهُ فِيمَا يُثْبِتُونَ إِذَا كَانَتْ قُلُوبُهُمْ مُتَشَابِهَةً فِي النَّفْيِ وَالتَّعْطِيلِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(أَوْ يَقُولُونَ: هُوَ الْوُجُودُ الْمُطْلَقُ) هذه أقوالهم: هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق.

يقول شيخ الإسلام: "ناظرت أحدهم، قلت له: أنتم تمشون على قواعد المنطق اليوناني وتقولون: أن الله ﷻ هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق؛ إذا لا يوجد لأنَّ المطلق لا يوجد إلا بشكل الأعيان - كما يقولون هم: لا يوجد إلا في الجزئيء، هكذا تقولون - والوجود المطلق لا وجود له، المطلق لا وجود له إلا في الأعيان".

(الإنسان) مثلاً ابحث عن الإنسان، لن يكون إلا هذا أو هذا، أليس كذلك؟ شخص يبحث عن الإنسان ابحث، بشرط الإطلاق، ليس مُقيداً بالوجود وليس مُقيداً أَنَّهُ خُلِقَ، وليس مُقيداً أَنَّهُ كَذَا، هل سيجده؟ لن يجده إلا في الأفراد، فالمُطلق لا وجود له إلا في الأعيان.

يقول: "لما قلت له: بهتت، ثمَّ أراد أن يبحث عن دليل وقال: هذه القاعدة مُستثناة عن تلك القاعدة، إلا وجود الخالق، هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق؛ أي: لا يُقيَّد بشيءٍ يُميِّزه غيره؛ إذا لا يوجد، كل موجود لا بُدَّ أن يتميِّز عن غيره، خاصةً وجود الخالق المخلوق.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهُوَ انْكَارُ مَوْجُودٍ حَقِيقِيٍّ مُبَايِنٍ لِلْمَخْلُوقَاتِ عَالٍ عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا يَفْتَرِقُونَ فِيمَا يُثْبِتُونَهُ وَيُكْرَهُونَ فِطْرَهُمْ وَعُقُولَهُمْ عَلَى قَبُولِ الْمُحَالِ الْمُتَنَاقِضِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(ويكرهون) فعلاً سبحانه الله، فعلاً يكرهون وإلا هذه الأمور المتناقضة لا يقبلها من عنده أدنى

عقل، يكرهون فطرهم وعقولهم على قبول المحال وعلى قبول المتناقض، فيقولون؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَيَقُولُونَ: هُوَ فِي الْعَالَمِ وَلَيْسَ هُوَ فِيهِ أَوْ هُوَ الْعَالَمُ وَلَيْسَ إِيَّاهُ، أَوْ يُعَلِّبُونَ الْإِثْبَاتَ فَيَقُولُونَ: بَلْ هُوَ نَفْسُ الْوُجُودِ أَوْ النَّفْيِ فَيَقُولُونَ: لَيْسَ فِي الْعَالَمِ وَلَا خَارِجًا عَنْهُ، أَوْ يَدِينُونَ بِالْإِثْبَاتِ فِي حَالٍ وَبِالنَّفْيِ فِي حَالٍ إِذَا غَلَبَ عَلَى أَحَدِهِمْ عَقْلُهُ غَلَبَ النَّفْيِ وَهُوَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْعَالَمِ وَإِذَا غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجْدُ وَالْعِبَادَةُ رَجَحَ الْإِثْبَاتَ وَهُوَ أَنَّهُ فِي هَذَا الْوُجُودِ أَوْ هُوَ هُوَ لَا تَحْدُ جِهْمَا إِلَّا عَلَى أَحَدِ هَذِهِ الْوُجُوهِ الْأَرْبَعَةِ وَإِنْ تَنَوَّعُوا فِيمَا يُثْبِتُونَهُ - كَمَا ذَكَرْتَهُ لَكَ - فَهُمْ مُشْتَرِكُونَ فِي التَّعْطِيلِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وهو بين التصوف والكلام.

طبعاً لا ننسى سؤال السائل الذي لأجله ألفت الكتاب، كما ذكرته لك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ رَأَيْتَ مِنْهُمْ وَمِنْ كُتُبِهِمْ وَسَمِعْتَ مِنْهُمْ وَمِمَّنْ يُخْبِرُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ. وَكُلُّهُمْ عَلَى هَذِهِ الْأَحْوَالِ ضَالُّونَ عَنْ مَعْبُودِهِمْ وَإِلَهُهُمْ وَخَالِقِهِمْ، ثُمَّ رَأَيْتَ كَلَامَ السَّلَفِ وَالْأئِمَّةِ كُلِّهِمْ يَصِفُونَهُمْ بِمِثْلِ ذَلِكَ. فَمَنْ اللهُ عَلَيْنَا بِاتِّبَاعِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا واقعهم، وهذا الواقع أحياناً يُحيرنا فيأتي الطالب ويقول: يا شيخ، الرازي يقول هنا كذا وكذا،

وفي كتابٍ آخر يقول: كيت وكيت، كيف نجمع بينهما؟"

يا أخي، هو متناقض، لا يُمكن أن تجمع بين أقواله، هو قد وقع في هذا التناقض، لأنَّه لم يعتصم بالكتاب والسُّنة.

طيب، هذا الأشعري -العز- يقول كذا، وهذا الأشعري بينهم من التناقض ما لا يعلمه إلا الله يعني هو يظن أن هناك نقص في فهم كلامه، وأنَّه لا بُدَّ أن يكون هناك شيء معقول اطَّردت أقوالهم فيه وتجانست أقوالهم فيه، وانسجمت أقوالهم مع قواعدهم فيه.

لا، ليس هناك شيء من هذا، من لم يعتصم بالكتاب والسُّنة عدَّ الوديان التي هلك فيها، وهنا يُقرَّر شيو خنا شخص واحد تجده أحياناً يُغلبُ النفي وأحياناً يُغلبُ ما يُسميه الوجد. ليس مطلوباً منك أن تجمع بين هذه الأمور، هو واقع هؤلاء.

متى تُعمل عقلك فيه؟ إذا كان هناك شيء من هذا ممَّا هو من أئمة السُّنة، الشيخ له كلامٌ هنا ما فهمته، قد يكون هناك خطأ غفل في أحد الموضوعين، وقد يكون هناك فعلاً من السِّياق والسِّباق ما يُوصلنا إلى التلاؤم بين القولين، هذا فيه أقوال أئمة أهل السُّنة، أمَّا هؤلاء لا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكُلُّ هَؤُلَاءِ يَحِدُّ نَفْسَهُ مُضْطَرَبَةً فِي هَذَا الْإِعْتِقَادِ لِتَنَاقُضِهِ فِي نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا يُسَكِّنُ بَعْضَ اضْطِرَابِهِ نَوْعُ تَقْلِيدٍ لِمُعْظَمِ عِنْدَهُ، أَوْ خَوْفُهُ مِنْ مُخَالَفَةِ أَصْحَابِهِ، أَوْ زَعْمُهُ أَنَّ هَذَا مِنْ حُكْمِ الْوَهْمِ وَالْخَيَالِ دُونَ الْعَقْلِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

قوله: (لِمُعْظَمِ عِنْدَهُ) هذا هو الذي أرشدنا إليه -المريسي والرازي- وانتهينا، إذا القصور في ما ذكره الرازي وفلان هو الصحيح وأنا الذي لم أصل إلى النتيجة، هكذا يُسكِّنون هذا التضارب والتناقض الذي في نفوسهم، يُسكِّنونه بهذا الشكل، لأنَّ ذلك المُعظم -هذا قول- فهمت؟ جيد، ما فهمت؟ قلد.

(أَوْ خَوْفُهُ مِنْ مُخَالَفَةِ أَصْحَابِهِ) إذا خالفهم سيقولون: أنت أشعري ما الذي أدرك إلى الخوف من

مخالفة أصحابه.

(أَوْ زَعَمُهُ أَنَّ هَذَا مِنْ حُكْمِ الْوَهْمِ وَالْخَيَالِ دُونَ الْعَقْلِ) هكذا ذكروا في دليل العلو: أن كل شيئين لا

بد أن يكون أحدهما في جهة من الآخر، لأنه ما في شيئين متباينان، هذا الدليل هناك شيئين قائمان

بأنفسهما لا بد أن يكون كل منهما في جهة من الآخر، وما هي الجهة التي تقول بها؟ التي أثبتها الله ﷻ.

هذا الدليل رد عليه الرازي بقوله: "أن هذا من حكم الوهم والخيال دون العقل"، وهمك هكذا

يقول، وأنا سأذكر لك أن هناك أمور ليست محايدة ولا مُداخلة، ليست داخل العالم وليست خارج

العالم، وذكر ثلاثة أمور.

أما هذا الدليل - الدليل العقلي والفظري - جعله من حكم الوهم والخيال، هو ذكر والذين بعده

أيضاً ذكروا، قلده في هذا سبحان الله! قالوا: هذا من حكم الوهي والخيال".

طيب الذي أنت عليه؟

قال المصنف رحمه الله:

وَهَذَا التَّنَاقُضُ فِي إِبْطَالِ هَذَا الْمُوجُودِ الَّذِي لَيْسَ بِخَارِجٍ عَنِ الْعَالَمِ وَلَا هُوَ الْعَالَمُ الَّذِي تَرُدُّهُ فِطْرُهُمْ

وَشُهُودُهُمْ وَعُقُولُهُمْ؛ غَيْرُ مَا فِي الْفِطْرَةِ مِنَ الْإِقْرَارِ بِصَانِعِ فَوْقِ الْعَالَمِ، فَإِنَّ هَذَا إِقْرَارُ الْفِطْرَةِ بِالْحَقِّ

الْمَعْرُوفِ وَذَلِكَ إِنْكَارُ الْفِطْرَةِ بِالْبَاطِلِ الْمُنْكَرِ.

قال الشارح وفقه الله:

ما تسميه تنكر للفطرة وتجعله دليلاً عقلياً، أما الفطرة الصحيحة التي يشهد بها كل واحد من نفسه:

هذه تُنكرها، أمّا الأوهام تُسميها فطرة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ: مَا ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرِ الْمُقَدَّسِيِّ فِي حِكَايَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ^(٧): أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا جَعْفَرَ
الهمداني حَضَرَ مَرَّةً وَالْأُسْتَاذَ أَبَا الْمَعَالِيِّ يَذْكُرُ عَلَى الْمِنْبَرِ: «كَانَ اللهُ وَلَا عَرْشَ» وَنَفَى الْإِسْتِوَاءَ - عَلَى مَا
عُرِفَ مِنْ قَوْلِهِ وَإِنْ كَانَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ رَجَعَ عَنْ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ وَمَاتَ عَلَى دِينِ أُمَّهِ وَعَجَائِزِ نَيْسَابُورَ - قَالَ
فَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو جَعْفَرَ: «يَا أُسْتَاذُ دَعْنَا مِنْ ذِكْرِ الْعَرْشِ - يَعْنِي لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا جَاءَ فِي السَّمْعِ - أَخْبَرْنَا عَنْ
هَذِهِ الضَّرُورَةِ الَّتِي نَجِدُهَا فِي قُلُوبِنَا: مَا قَالَ عَارِفٌ قَطُّ (يَا اللهُ) إِلَّا وَجَدَ مِنْ قَلْبِهِ مَعْنَى يَطْلُبُ الْعُلُوَّ لَا
يَلْتَمِثُ يَمَنَةً وَلَا يَسْرَةً، فَكَيْفَ نَدْفَعُ هَذِهِ الضَّرُورَةَ عَنْ قُلُوبِنَا؟ فَصَرَخَ أَبُو الْمَعَالِيِّ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ
وَقَالَ: حَيْرَنِي الهمداني. أَوْ كَمَا قَالَ وَنَزَلَ. فَهَذَا الشَّيْخُ تَكَلَّمَ بِلِسَانِ جَمِيعِ بَنِي آدَمَ فَأَخْبَرَ أَنَّ الْعَرْشَ وَالْعِلْمَ
بِاسْتِوَاءِ اللهِ عَلَيْهِ إِنَّمَا أُخِذَ مِنْ جِهَةِ الشَّرْعِ وَخَبَرَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِخِلَافِ الْإِقْرَارِ بِعُلُوِّ اللهِ عَلَى الْخَلْقِ مِنْ
غَيْرِ تَعْيِينِ عَرْشٍ وَلَا اسْتِوَاءٍ فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ فِطْرِيٌّ ضَرُورِيٌّ نَجِدُهُ فِي قُلُوبِنَا نَحْنُ وَجَمِيعٌ مَنْ يَدْعُو اللهُ تَعَالَى
فَكَيْفَ نَدْفَعُ هَذِهِ الضَّرُورَةَ عَنْ قُلُوبِنَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذه الضرورة، لأن العلو صفة ذاتية، وهي التي الأدلة عليها كثيرة منها الفطرة، أمّا الاستواء فصفة
خبرية فعلية.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْجَارِيَةُ الَّتِي قَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ قَالَ: «أَعْتَقْتَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» جَارِيَةٌ
أَعْجَمِيَّةٌ أَرَأَيْتَ مِنْ فَهْمِهَا وَأَخْبَرَهَا بِمَا ذَكَرْتَهُ؟ وَإِنَّمَا أَخْبَرْتَ عَنِ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَهَا اللهُ تَعَالَى عَلَيْهَا،
وَأَقْرَبَهَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ وَشَهِدَ لَهَا بِالْإِيمَانِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

سواءً كانت سمعت هذا العلم من النبي ﷺ أو من أصحابه، أو لم تكن قد سمعت، فهي بين فطرة
وعلم صحيح، ولكن بعد إقرار النبي ﷺ لها وشهادته لها بالإيمان صار دليلاً شرعياً، فهو دليل عقلي
فطري شرعي.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَلْيَتَأَمَّلِ الْعَاقِلُ ذَلِكَ يَحِدُّهُ هَادِيًا لَهُ عَلَى مَعْرِفَةِ رَبِّهِ وَالْإِقْرَارِ بِهِ كَمَا يَنْبَغِي؛ لَا مَا أَحَدَّثَهُ الْمُتَعَمِّقُونَ
وَالْمُتَشَدِّقُونَ مِمَّنْ سَوَّلَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ وَأَمْلَى لَهُمْ. وَمِنْ أَمْثَلَةِ ذَلِكَ: أَنَّ الَّذِينَ لَبَسُوا^(٨) الْكَلَامَ بِالْفَلْسَفَةِ مِنْ
أَكْبَارِ الْمُتَكَلِّمِينَ تَحِدُّهُمْ يُعَدُّونَ مِنَ الْأَسْرَارِ الْمَصُونَةِ وَالْعُلُومِ الْمَحْزُونَةِ: مَا إِذَا تَدَبَّرَهُ مَنْ لَهُ أَدْنَى عَقْلِ
وَدِينٍ وَجَدَ فِيهِ مِنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ مَا لَمْ يَكُنْ يَظُنُّ أَنَّهُ يَقَعُ فِيهِ هَوْلًا حَتَّى قَدْ يُكَذِّبُ بِصُدُورِ ذَلِكَ عَنْهُمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هنا في هذه الفقرة الطويلة يذكر شيخ الإسلام شيئاً آخر: وهو أن هؤلاء المتكلمين أحياناً، طبعاً علم
الكلام اختلط بالفلسفة أخيراً، وجميع المتكلمين عندهم من الفلسفة ما يظنون أنهم بهذه الفلسفة يقيمون
اعوجاجهم عندهم هكذا، لأنهم صارت عندهم هي المؤول بمنطقهم وبفلسفتهم.

فخلطوا علم الكلام بالفلسفة وتعمقوا في الفلسفة، فنجد عندهم عند بعضهم إشارة أو صراحة إلى
أن هناك جانباً مهماً جداً في كلامه وفي بعض كتبه، وأن هناك أسرار لا بُدَّ أن تُصان عن العوام، وأن هناك

(٨) يعني خلطوا.

علومٌ مخزونة وتحتاجُ إلى من يكون في مستواها، يقول شيخ الإسلام: **(مَا إِذَا تَدَبَّرَهُ مَنْ لَهُ أَدْنَى عَقْلِ وَدِينٍ وَجَدَ فِيهِ مِنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ مَا لَمْ يَكُنْ يَظُنُّ أَنَّهُ يَقَعُ فِيهِ هَؤُلَاءِ)** سيذكر الأمثلة: الغزالي والرازي أحدهم لَمَّا يقول: "هذا من الأسرار وهذا كذا"، وتجده يقول هذا مما يستغربه فعلاً، ولذلك سُنت على شيخ الإسلام ولا زالت تُشن عليه حرب شعواء في بعضهم كُتبتهم التي ألفها أولئك وأصحابهم يقولون: "لم يؤلفها" سلسلة المظنون بها عن غير أهلها" الغزالي، أصحابه يقولون: "لم يؤلفها" وهي من كتبه، سيأتي.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

مِثْلُ تَفْسِيرِ حَدِيثِ الْمِعْرَاجِ الَّذِي أَلْفَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِي الَّذِي احْتَدَى فِيهِ حَدْوَ ابْنِ سِينَا وَعَيْنِ الْقُضَاةِ الهمداني، فَإِنَّهُ رَوَى حَدِيثَ الْمِعْرَاجِ بِسِيَاقٍ طَوِيلٍ، وَأَسْمَاءٍ عَجِيبَةٍ وَتَرْتِيبٍ لَا يُوجَدُ فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الْمُسْلِمِينَ لَا فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ وَلَا الْحَسَنَةِ وَلَا الضَّعِيفَةِ الْمَرْوِيَّةِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَإِنَّمَا وَضَعَهُ بَعْضُ السُّؤَالِ وَالطَّرِيقَةِ أَوْ بَعْضُ شَيَاطِينِ الْوُعَاظِ، أَوْ بَعْضُ الزَّنَادِقَةِ، ثُمَّ إِنَّهُ مَعَ الْجَهْلِ بِحَدِيثِ الْمِعْرَاجِ - الْمَوْجُودِ فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ وَالسِّيَرَةِ وَعُدُولِهِ عَمَّا يُوجَدُ فِي هَذِهِ الْكُتُبِ إِلَى مَا لَمْ يُسْمَعْ مِنْ عَالِمٍ وَلَا يُوجَدُ فِي أَنْارَةٍ مِنْ عِلْمٍ - فَسَّرَهُ بِتَفْسِيرِ الصَّابِئَةِ الضَّالَّةِ الْمُنْجِمِينَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

أولاً: المادة مكدوبة، ليست هذه المادة مما جاء في الكتاب ولا في السنة، هذا أولاً.
ثانياً: تفسيرها أغرب، المادة المكدوبة هذه، مع هذا فسَّرَهُ بتفسير الصابئة الضالة المنجمين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَجَعَلَ مِعْرَاجَ الرَّسُولِ تَرْقِيَهُ بِفِكْرِهِ إِلَى الْأَفْلَاكِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

الذي حصل أن النبي ﷺ بدأ يفكر أكثر وترقى، أين؟ إلى الأفلاك التي هي مصدر العلم عندهم.
كل ما يأتي من العلم وكذا فمنها.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَجَعَلَ مِعْرَاجَ الرَّسُولِ تَرْقِيَهُ بِفِكْرِهِ إِلَى الْأَفْلَاقِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لا يخفى عليكم أن النبي عندهم لا يكون من جمع في نفسه ثلاثة أمور:

منها: أن فكره يكون حادًا جدًّا، بحيث أنه أحيانًا يصل به وبين القوسين (الجنون) إلا أنه يظن أنه

يسمع أصوات، وليس هناك شيء، بمثل هذا - سبحان الله - ترقى بفكره إلى أن وصل إلى الأفلاك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ رَأَوْهُمْ هُمُ الْكَوَاكِبُ، فَآدَمُ هُوَ الْقَمَرُ وَإِدْرِيسِيُّ هُوَ الشَّمْسُ وَالْأَنْهَارُ الْأَرْبَعَةُ هِيَ

الْعَنَاصِرُ الْأَرْبَعَةُ، وَأَنَّهُ عَرَفَ الْوُجُودَ الْوَاجِبَ الْمُطْلَقَ ثُمَّ إِنَّهُ يُعْظَمُ ذَلِكَ وَيَجْعَلُهُ مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْمَعَارِفِ

الَّتِي يَحِبُّ صَوْنَهَا عَنْ أَفْهَامِ الْمُؤْمِنِينَ وَعُلَمَائِهِمْ حَتَّى إِنَّ طَائِفَةً مِمَّنْ كَانُوا يُعْظَمُونَهُ لَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ تَعَجَّبُوا

مِنْهُ غَايَةَ التَّعَجُّبِ وَجَعَلَ بَعْضُ الْمُتَعَصِّبِينَ لَهُ يَدْفَعُ ذَلِكَ حَتَّى أَرَوْهُ النُّسْخَةَ بِخَطِّ بَعْضِ الْمَشَايخِ

الْمَعْرُوفِينَ الْخَبِيرِينَ بِحَالِهِ وَقَدْ كَتَبَهَا فِي ضَمَنِ كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ: " الْمَطَالِبَ الْعَالِيَةَ " وَجَمَعَ فِيهِ عَامَّةَ

آرَاءِ الْفَلَسَفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

سبحان الله! أين نحن؟ (فآدم هو القمر وإدريس هو الشمس والأنهار الأربعة هي العناصر الأربعة)

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ثُمَّ إِنَّهُ يُعْظَمُ ذَلِكَ وَيَجْعَلُهُ مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْمَعَارِفِ الَّتِي يَحِبُّ صَوْنَهَا عَنْ أَفْهَامِ الْمُؤْمِنِينَ وَعُلَمَائِهِمْ

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

والله صحيح يعني يجب ستر هذا العيب، فعلاً، هذا العيب يجب ستره.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

حَتَّىٰ إِنَّ طَائِفَةً مِّمَّنْ كَانُوا يُعْظَمُونَ لَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ تَعَجَّبُوا مِنْهُ غَايَةَ التَّعَجُّبِ وَجَعَلَ بَعْضُ الْمُتَعْصِبِينَ لَهُ يَدْفَعُ ذَلِكَ حَتَّىٰ أَرَوْهُ النُّسخَةَ بِحَظِّ بَعْضِ الْمَشَايخِ الْمَعْرُوفِينَ الْخَبِيرِينَ بِحَالِهِ وَقَدْ كَتَبَهَا فِي ضَمَنِ كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ: "الْمَطَالِبُ الْعَالِيَةُ" وَجَمَعَ فِيهِ عَامَّةَ آرَاءِ الْفَلَسِيفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

"المطالب العالية" طبع طبعتين وكلتا الطبعتين تجارية، يقول المُحَقِّق: "لم أجده في المطبوع"، النسخة التي عندي رديئة جدًّا، وهو - كما قلت - من أواخر كُتبه، هذا المثل الأول الذي هو الرازي، الذي إذا قيل: "الإمام في أصول الفقه والتفسير" فهو المُراد، ما يحتاج أن تقول من؟ "قال الإمام"؛ هو.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَتَجِدُ أَبَا حَامِدٍ الْغَزَالِيَّ - مَعَ أَنَّ لَهُ مِنَ الْعِلْمِ بِالْفِقْهِ وَالتَّصَوُّفِ وَالكَلَامِ وَالأُصُولِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مَعَ الزُّهْدِ وَالعِبَادَةِ وَحُسْنِ الْقَصْدِ وَتَبَحُّرِهِ فِي الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَكْثَرَ مِنْ أَوْلِيكَ - يَذْكَرُ فِي كِتَابِ "الأَرْبَعِينَ" وَنَحْوِهِ كِتَابَهُ: "الْمُضْنُونُ بِهِ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ".

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

طبعًا كتاب "الأربعين" طبع بعضه ليس كله، عفوًا: النسخة التي وقفت عليها ليست كاملة.

أما "المضنون به على غير أهله" فهذه سلسلة ليست كتابًا واحدًا، في هذه السلسلة كتب عديدة له.

لاحظ الاسم: (الْمُضْنُونُ بِهِ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ) إذن أسرار لا بُدَّ أن تكون فوائده.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِذَا طَلَبْتَ ذَلِكَ الْكِتَابَ وَاعْتَقَدْتَ فِيهِ أَسْرَارَ الْحَقَائِقِ وَغَايَةَ الْمَطَالِبِ وَجَدْتَهُ قَوْلَ الصَّابِئَةِ الْمُتَفَلِّسَةِ
بِعَيْنِهِ قَدْ غَيَّرَتْ عِبَارَاتِهِمْ وَتَرْتِيبَاتِهِمْ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ حَقَائِقَ مَقَالَاتِ الْعِبَادِ وَمَقَالَاتِ أَهْلِ الْمَلِكِ يَعْتَقِدُ أَنَّ
ذَلِكَ هُوَ السِّرُّ الَّذِي كَانَ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبِي بَكْرٍ وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَطَّلِعُ عَلَيْهِ الْمُكَاشِفُونَ الَّذِينَ أَدْرَكُوا
الْحَقَائِقَ بِنُورِ إلهيِّ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

هذا الذي معروف يقول المُحَقِّقُ سيأتي، يقول عمر -رضي الله عنه-: "أن النبي ﷺ كان يتحدث هو
وأبو بكر بحديثٍ وكنتُ كالزنجي بينهما" يعني ما أفهم شيء.

هذا يستغله كل طائفة عندها من الباطل ما لا يتحملة العامي المسلم، فهذا يجعله في باطله هذا
يجعله في باطله، كل واحد يزعم أن ذلك السر هو عالم.

(فَإِنَّ أَبَا حَامِدٍ كَثِيرًا مَا يُحِيلُ فِي كُتُبِهِ عَلَى ذَلِكَ النُّورِ الْإِلَهِيِّ) طبعًا هذا كثير، الذي يقر كته فعلاً.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَعَلَى مَا يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُوجَدُ لِلصُّوفِيَّةِ وَالْعِبَادِ بِرِيَاضَتِهِمْ وَدِيَانَتِهِمْ مِنْ إِدْرَاكِ الْحَقَائِقِ وَكَشْفِهَا لَهُمْ حَتَّى
يَزِنُوا بِذَلِكَ مَا وَرَدَ بِهِ الشَّرْعُ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

نعم، هناك رياضات معينة إذا عملتها تصل إلى نتيجة تزنُ بها الشرع، بهذه الرياضات.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ عَلِمَ بِذَكَائِهِ وَصِدْقِ طَلْبِهِ مَا فِي طَرِيقِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَالمُتَفَلِّسَةِ مِنَ الْإِضْطِرَابِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

وهذا ذكره في كتابه "المنتقد من الضلال" ألفه قبل موته بخمس سنوات أيضًا، توفي سنة خمس مائة

وخمسة، ألفه في سنة خمس مائة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَنَّهُ اللهُ إِيْمَانًا مُجْمَلًا - كَمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ - وَصَارَ يَتَشَوَّفُ إِلَى تَفْصِيلِ الْجُمْلَةِ فَيَجِدُ فِي كَلَامِ الْمَشَائِخِ وَالصُّوفِيَّةِ مَا هُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْحَقِّ وَأَوْلَى بِالْتَّحْقِيقِ مِنْ كَلَامِ الْفَلَاسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَالْأَمْرُ كَمَا وَجَدَهُ، لَكِنْ لَمْ يَبْلُغْهُ مِنَ الْمِيرَاثِ النَّبَوِيِّ الَّذِي عِنْدَ خَاصَّةِ الْأُمَّةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا صحيح، هو ذكر أنه لم يجد التحقيق والعلم في كلام الفلاسفة، هو لم يجده في كلام المتكلمين، ذكره بالتفصيل، وأنه وجد في كلام؟ يقول شيخ الإسلام: (الأمر كما ذكر) فعلاً، لن تجد هناك. (لكن لم يبلغه من الميراث النبوي) الحديث في ما وجدته، (لم يجد) نعم، لم يجد ولن يجد، ولكن ما يزعمه أنه وجد؟ يقول: (لم يبلغه من الميراث النبوي الذي عند خاصة الأمة)،

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الذي عند خاصة الأمة من العلوم والأحوال: وَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ حَتَّى نَالُوا مِنَ الْمُكَاشَفَاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْمُعَامَلَاتِ الْعِبَادِيَّةِ مَا لَمْ يَنْلَهُ أَوْلِيَاكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً هذا الكشف يكون حسب التعلم، ليس كشفاً..

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَصَارَ يَعْتَقِدُ أَنَّ تَفْصِيلَ تِلْكَ الْجُمْلَةِ يَحْصُلُ بِمُجَرَّدِ تِلْكَ الطَّرِيقِ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ طَرِيقٌ غَيْرُهَا لِإِنْسَادِ الطَّرِيقَةِ الْخَاصَّةِ السُّنِّيَّةِ النَّبَوِيَّةِ عَنْهُ بِمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ قِلَّةِ الْعِلْمِ بِهَا، وَمِنْ الشُّبُهَاتِ الَّتِي تَقَلَّدَهَا عَنْ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ حَتَّى حَالُوا بِهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ تِلْكَ الطَّرِيقَةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

سبحان الله، هذه الرياضات أكثرها مأخوذة من الهندوس والبوذية وغيرهم، وهذه الرياضات ليست طريقاً للعلم - وكما تعرفون - الإنسان مُرَكَّبٌ من جسمٍ وروح، الجسم وما يتعلَّق بالجسم ما تجده في

الشريعة قليل إشارة إلى أصول الطب، لأن ما يتعلّق بالجسم الإنسان في تاريخه الطويل كشف منه أشياء كثيرة، والعلم يدفعه إلى أن، ما يتعلّق بالروح، الروح لم تجدها ولم ترها، ولم تر ما يُماثلها؛ إذا أمرها من إلى ستر وغيب.

طيب، من الذي يُوصلك إلى ما يُسكن وإلى ما يُطمئن؟ الله ﷻ.

هؤلاء الذين يجدون غذاء الروح، يبحثون عن غذاء الروح في مثل هذه الرياضات مثلهم مثل غيرهم، غذاء الروح في الكتاب والسنة.

أبو حامد كما وصفه شيخ الإسلام ووصفه دقيق، أنت لما تقرأ في كتبه فعلاً تستشعر أن الرجل مُتعطش لها، والهداية بيد الله ﷻ.

هو كتب وغيره كتب أن هذا المُشبه كذا وكذا وكذا فلذلك بعد عمره وسفره الطويل لم يلتفت إليهم، ليجد عندهم الحق كما ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي «النونية» - في المقدمة -: "هذا الذي سافر في النهاية يقول: أنا وجدت هذا عند هذا المُشبه، هو الذي دلني على"، ما كتبه أثر عليه حتى لما أراد أن يرجع إليه، ولكن كما ذكر شيخ الإسلام في عدد من المواضع من كتبه: "قبل أن يتوفى كان قد أقبل على الحديث ومات والبُخاري على صدره"، هكذا ذكر شيخ الإسلام.

فهذه الرياضات تصل بها إلى أين؟ تبحث عن غذاء الروح، وغذاء الروح في الكتاب والسنة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلِهَذَا كَانَ كَثِيرَ الدَّمِّ لِهَذِهِ الحَوَائِلِ وَلطَرِيقَةِ العِلْمِ، وَإِنَّمَا ذَاكَ لِعِلْمِهِ الَّذِي سَلَكَهُ وَالَّذِي حُجِبَ بِهِ عَنِ حَقِيقَةِ المُتَابَعَةِ لِلرَّسَالَةِ، وَلَيْسَ هُوَ بِعِلْمٍ وَإِنَّمَا هُوَ عَقَائِدُ فِلسَفيَّةٌ وَكَلَامِيَّةٌ كَمَا قَالَ السَّلَفُ: «العِلْمُ بِالكَلَامِ هُوَ الجَهْلُ» وَكَمَا قَالَ أَبُو يُوْسُفَ: «مَنْ طَلَبَ العِلْمَ بِالكَلَامِ تَزَنَّدَقَ».

وَلِهَذَا صَارَ طَائِفَةٌ مِمَّنْ يَرَى فَضِيلَتَهُ وَدِيَانَتَهُ يَدْفَعُونَ وَجُودَ هَذِهِ الكُتُبِ عَنْهُ^(٩) حَتَّى كَانَ الفَقِيهُ أَبُو مُحَمَّدٍ بِنُ عَبْدِ السَّلَامِ - فِيمَا عَلَّقَهُ عَنْهُ -

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

العز بن عبد السلام (فيما علق عنه) أي فيما كتب عنه من كلامه.

(٩) يقولون: هذه الكتب ليست له.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

يُنْكَرُ أَنْ يَكُونَ "بِدَايَةُ الْهَدَايَةِ" مِنْ تَصْنِيفِهِ

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

بداية الهداية مطبوع ضمن الإحياء، وهو كُتِبَ في العقيدة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَيَقُولُ: إِنَّمَا هُوَ تَقْوَلٌ عَلَيْهِ مَعَ أَنَّ هَذِهِ الْكُتُبَ مَقْبُولُهَا أضعافُ مَرْدُودِهَا وَالْمَرْدُودُ مِنْهَا أُمُورٌ مُجْمَلَةٌ

وَلَيْسَ فِيهَا عَقَائِدٌ وَلَا أَصُولُ الدِّينِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أنا استغرب من العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللهُ، ما الذي استغربه في هذا الكتاب؟ هو أشعري وأنت

أشعري، الذي يُمكن أن يستغرب منه العز - لأنه لم يصل إلى هذه الدرجة - السلسلة هذه "المُضْنُونُ بِهِ

عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ"، أما كتابه "بداية الهداية" كتاب عادي جداً.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمَّا "المُضْنُونُ بِهِ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ" فَقَدْ كَانَ طَائِفَةٌ أُخْرَى مِنَ الْعُلَمَاءِ يُكْذِبُونَ ثُبُوتَهُ عَنْهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(يُكْذِبُونَ بِهِ عَنْهُ) يقولون: لم يثبت أنه ألفها، هكذا كانوا يقولون.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمَّا أَهْلُ الْخَبْرَةِ بِهِ، وَبِحَالِهِ فَيَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا كُلُّهُ كَلَامُهُ لِعِلْمِهِمْ بِمَوَادِّ كَلَامِهِ وَمُشَابَهَةِ بَعْضِهِ بَعْضًا.

وَلَكِنْ كَانَ هُوَ وَأَمْثَالُهُ - كَمَا قَدَّمْتُ - مُضْطَرِّبِينَ لَا يَثْبُتُونَ عَلَى قَوْلٍ ثَابِتٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

ولا زال شيخ الإسلام يُتَّهَمُ فيما ينسبُهُ إلى الغزالي في مثل هذه الأمور، المُحَقَّقُ هنا نقل عن بعض

من أثبت صحة نسبتها إلى الغزالي منهم الدكتور سليمان دُنْيَا، الدكتور سليمان دُنْيَا ممن أفنى عمره في

خدمة هؤلاء، يقول: "من فضيلة هذا الدين، هذه الشريعة أنَّها وصلت في تقدير العقل أن الإنسان لو نظر

في شيء عقلاً وأخطأ فخطؤه مغفور حتى في أصول الإسلام، أمّا إذا قلّد ما يعتقده دليلاً - يعني الكتاب والسنة - ولم ينظر فخطأه ليس مغفوراً له".

هو أيضاً يقول: "الذي يقرأ هذا الكتاب - له كتاب الحقيقة في نظر الغزالي - المضمون به على غير أهله، يقول: الذي يقرأ هذا الكتاب بعد أن يكون قد أكثر من القراءة في كتب الغزالي حتى عرف روح المؤلف وأسلوبه والأمثلة والشواهد التي يكثر دورانها على لسانه يُخالطه شعورٌ قوي بأن هذا الكتاب للغزالي" وغيره أيضاً ذكر المحقق عدداً منها.

(وَلَكِنْ كَانَ هُوَ وَأَمْثَالُهُ - كَمَا قَدَّمْتُ - مُضْطَرِّبِينَ لَا يَثْبُتُونَ عَلَى قَوْلٍ ثَابِتٍ)؛ لأنّ هذه السلسلة تناقض ما ذكره في كتابه "تهافت الفلاسفة" كتابه "تهافت الفلاسفة" كتاب جميل في نقد الفلاسفة، كتاب جميل حقاً، وشيخ الإسلام ينقل عنه ويُشيدُ به وبكلامه، إنّما يسقط لما يأتي للتقرير، أمّا في نقدهم جميل.

أمّا السلسلة هذه - المضمون به على غير أهله - فلسفية محضّة، كيف هذا وهذا؟!!

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

لَإِنَّ عِنْدَهُمْ مِنَ الذِّكَاةِ وَالطَّلَبِ مَا يَتَشَوَّفُونَ بِهِ إِلَى طَرِيقَةِ خَاصَّةِ الْخَلْقِ، وَلَمْ يُقَدَّرْ لَهُمْ سُلُوكُ طَرِيقِ خَاصَّةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ وَرَثُوا عَنِ الرَّسُولِ ﷺ؟

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

نعم، الجزء من جنس العمل، هذا الذي أظنّ، أنت ما كتبتّه ضد أهل السنة كثير، نعم والله ﷻ لا يظلم أحداً، وإلى الآن هذه الكتب يُرمى بها أهل السنة، والله أعلم قد يكون هذا هو السبب في صرفه مع أنه لما تقرأ في كتبه فعلاً تحس أن هناك تعطش، ولكن الكتب الكثيرة التي كتبتها عن أهل السنة وعن تشويهم وتشويه صورتهم ومُشبهة ومُشبهة ومُشبهة، قد يكون هذا الذي منعه وأحال دون الوصول إليه، والله أعلم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ وَهُمْ أَهْلُ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ - كَمَا قَدَّمْنَاهُ - وَأَهْلُ الْفَهْمِ لِكِتَابِ اللَّهِ وَالْعِلْمِ
وَالْفَهْمِ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَتْبَاعِ هَذَا الْعِلْمِ بِالْأَحْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْمُنَاسِبَةِ لِذَلِكَ كَمَا جَاءَتْ بِهِ
الرِّسَالَةُ.

قال الشارح وفقه الله:

طبعاً الأحوال والأعمال هذا يكثر ذكره كلام شيخ الإسلام وفي كلام ابن القيم، العمل هو الذي
تعمله والحال هي وضعك النفسي؛ لأن الأحوال تابعة للقلوب.

أنت الآن تصلي؛ هذا عملك، طيب كم أثرت فيك هذه الصلاة؟ كم قربتك من الله ﷻ؟ ما الذي
تشعر به بعد الصلاة وأثناء الصلاة؟ هذه حال.

حال المتصوفة غير، حال المؤمن نعم له حال من اللذة والسرور والاستلذاذ من الأعمال الصالحة،
هذه حال، وهذه تكون نتيجة للأعمال، أعمال الجوارح وأعمال القلوب، هذه هي الأحوال.

قال المصنف رحمه الله:

وَلِهَذَا كَانَ الشَّيْخُ " أَبُو عَمْرٍو بْنُ الصَّلَاحِ " يَقُولُ - فِيمَا رَأَيْتَهُ بِخَطِّهِ -: أَبُو حَامِدٍ كَثَرَ الْقَوْلُ فِيهِ
وَمِنْهُ، فَأَمَّا هَذِهِ الْكُتُبُ - يَعْنِي الْمُخَالَفَةَ لِلْحَقِّ - فَلَا يُلْتَمَتُ إِلَيْهَا، وَأَمَّا الرَّجُلُ فَيَسْكُتُ عَنْهُ وَيَفْوِضُ أَمْرَهُ
إِلَى اللَّهِ.

وَمَقْصُودُهُ: أَنَّهُ لَا يُذَكَّرُ بِسُوءٍ لِأَنَّ عَفْوَ اللَّهِ عَنِ النَّاسِيِ وَالْمُخْطِئِ وَتَوْبَةَ الْمُذْنِبِ تَأْتِي عَلَى كُلِّ ذَنْبٍ،
وَذَلِكَ مِنْ أَقْرَبِ الْأَشْيَاءِ إِلَى هَذَا وَأَمثَالِهِ، وَلِأَنَّ مَغْفِرَةَ اللَّهِ بِالْحَسَنَاتِ مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ.

قال الشارح وفقه الله:

(مِنْهُ) بأعماله، (وَمِنْ غَيْرِهِ) ممن يتصدق عنه ويهدي إليه، تعرفون أن شيخ الإسلام وابن القيم
يتوسعون في هذا.

وممن ردَّ عليهم في هذا التوسع الشيخ الإمام ابن باز رحمه الله كلامه جميل في هذا الباب، فيما يصل إلى
الميت من الحي، عندهم هذا مذهبهم.

(فمنه ومن غيره) هذا كله ترجيح لشيخ الإسلام لما ذكره ابن الصلاح، لأن الرجل - سبحانه الله - له وله.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَتَكْفِيرُهُ الذُّنُوبِ بِالْمَصَائِبِ تَأْتِي عَلَى مُحَقِّقِ الذُّنُوبِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

الذي ذنبه مُحَقَّقٌ، فكيف بغيره؟!

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَلَا يَقْدُمُ الْإِنْسَانُ عَلَى انْتِفَاءِ ذَلِكَ فِي حَقِّ مُعَيَّنٍ إِلَّا بِبَصِيرَةٍ لَا سِيَّامَا مَعَ كَثْرَةِ الْإِحْسَانِ وَالْعِلْمِ
الصَّحِيحِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالْقَصْدِ الْحَسَنِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً هذا كلام شيخ الإسلام في الغزالي بخصوصه، وهكذا كلامه فيه؛ لما تجد في كلامه من فعلاً ما تحسُّ به من القصد الحسن، والله ﷻ هو أرحم الراحمين، ولكن نحن مع هذه الكتب التي كتبها والتي لا زالت تُتداول، لا بُدَّ أن يُردَّ عليها ويُقال: "هذه الكتب فيها من هذا الضلال سواء كتبها فلان أو فلان".

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهُوَ يَمِيلُ إِلَى الْفَلَسَفَةِ لَكِنَّهُ أَظْهَرَهَا فِي قَالِبِ التَّصَوُّفِ وَالْعِبَارَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَلِهَذَا فَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ
عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى أَحْصَى أَصْحَابِهِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ فَإِنَّهُ قَالَ: شَيْخُنَا أَبُو حَامِدٍ دَخَلَ فِي بَطْنِ
الْفَلَسَفَةِ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُمْ فَمَا قَدَرَ. وَقَدْ حُكِيَ عَنْهُ مِنَ الْقَوْلِ بِمَذَاهِبِ الْبَاطِنِيَّةِ مَا يُوجَدُ تَصْدِيقَ
ذَلِكَ فِي كُتُبِهِ. وَرَدَّ عَلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَازَرِيُّ فِي كِتَابِ أَفْرَدَهُ

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا الكتاب لم يصلنا، هذا الكتاب أنا أتوقع أن يكون مهماً المازري صاحب الشرح على «صحيح

مسلم».

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَرَدَّ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ الطَّرُوشِيُّ، وَرَدَّ عَلَيْهِ أَبُو الْحَسَنِ الْمَرْغِينَانِيُّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هو شيخ الإسلام ذكر هذا في عدد من كتبه أحياناً يُخطئ أو يتفاوت كلامه في الكنية وفي النسبة، أحياناً يقول: "الأرغيناني" النسبة هذه صحيحة، "والمرغيناني" النسبة هذه أيضاً صحيحة، وهنا النسبة إلى أرغينان والنسبة إلى مرغينان، وأحياناً يكون كلامه في الكنية يختلف مما يدل على أنه لم يضبط اسم الرجل، وذكره مهم لأنه حنفي وهو رفيقه، وطبعاً المرغيناني المعروف في مذهب الأحناف الذي توفي سنة خمسمائة وبعد ليس هو، لأنه متأخر، هذا يكون واحد آخر.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَرَدَّ عَلَيْهِ أَبُو الْحَسَنِ الْمَرْغِينَانِيُّ رَفِيقُهُ رَدَّ عَلَيْهِ كَلَامُهُ فِي مَشْكَاتِ الْأَنْوَارِ وَنَحْوِهِ، وَرَدَّ عَلَيْهِ الشَّيْخُ أَبُو الْبَيَّانِ، وَالشَّيْخُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الصَّلَاحِ وَحَدَّرَ مِنْ كَلَامِهِ فِي ذَلِكَ هُوَ وَأَبُو زَكْرِيَّا النَّوَاوِيُّ وَغَيْرُهُمَا وَرَدَّ عَلَيْهِ ابْنُ عَقِيلٍ وَابْنُ الْجَوْزِيِّ وَأَبُو مُحَمَّدٍ الْمَقْدِسِيُّ وَغَيْرُهُمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً كتابه مطبوع "طبقات علماء الحديث" وهو من انتخاب النووي.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

رَدَّ عَلَيْهِ ابْنُ عَقِيلٍ وَابْنُ الْجَوْزِيِّ وَأَبُو مُحَمَّدٍ الْمَقْدِسِيُّ وَغَيْرُهُمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إذا الذين ردوا عليه بدأ بالمالكية: المازري مالكي، الطرطوشي مالكي، ثم بعد ذلك الحنفي، ثم بعد ذلك الشافعية أصحابه - أبو البيان، وأبو عمرو، وأبو زكريا النووي، أبو البيان يعني جعله في هذه الفقرة يبدو لي أنه شافعي - والله أعلم - أما البقية شافعية، وختمهم بالحنابلة. إذا الذين ردوا عليه من كل مذهب.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ فَإِنَّ الْخَارِجِينَ عَنِ طَرِيقَةِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ لَهُمْ فِي كَلَامِ الرَّسُولِ ثَلَاثُ طُرُقٍ، طَرِيقَةُ التَّخْيِيلِ وَطَرِيقَةُ التَّأْوِيلِ وَطَرِيقَةُ التَّجْهِيلِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أحياناً شيخ الإسلام لما يذكر هذه الأمور، يُراعي أموراً خاصة فيكثر، يأخذ من كل طائفة، بعضهم يظنُّ أنه من الإطالة، لا، ذكر من كل مذهب من رد عليه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ فَإِنَّ الْخَارِجِينَ عَنِ طَرِيقَةِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ لَهُمْ فِي كَلَامِ الرَّسُولِ ثَلَاثُ طُرُقٍ: طَرِيقَةُ التَّخْيِيلِ وَطَرِيقَةُ التَّأْوِيلِ وَطَرِيقَةُ التَّجْهِيلِ. فَأَهْلُ التَّخْيِيلِ: هُمُ الْفَلَّاسِفَةُ وَالْبَاطِنِيَّةُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّهُ خَيْلٌ أَشْيَاءٌ لَا حَقِيقَةَ لَهَا فِي الْبَاطِنِ وَخَاصِيَّةُ النَّبُوَّةِ عِنْدَهُمُ التَّخْيِيلُ. (وَطَرِيقَةُ التَّأْوِيلِ) طَرِيقَةُ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزَلَةِ وَاتَّبَاعِهِمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مَا قَالَهُ لَهُ تَأْوِيلَاتٌ تُخَالِفُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ وَمَا يُفْهَمُ مِنْهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

قبل أن نبدأ في هذا الدرس أذكر الإخوة أن ما تحدثت عنه أمس من وجود المطلق يبدو حصل فيه سوء تعبير، هو الوجود المطلق، أو الوجود بشرط الإطلاق لا وجود له، المُطلق لا وجود له إلا في الأعيان، أي: في الجزئي، المطلق لا وجود له، أما في الخارج، في الأعيان لا يكون مُطلقاً، المُطلق لا وجود له إلا في الأعيان، مما يدل على أن المُطلق لا وجود له، أما في الأعيان، في الخارج لا يكون مُطلقاً، هذا التنبيه.

فالذي يقول: وجود الله ﷻ وجوداً مُطلقاً معناه: لا يوجد، لأنه إذا وُجد سيكون عيناً قائماً بنفسه ولن يكون مُطلقاً.

ذكر شيخ الإسلام هذه الطُّرق الثلاث، أحياناً يجمع بين التخييل والتأويل، وأحياناً يُفصل فيها،

وأحياناً يُفصّل في التخييل أيضاً وأنهم طائفتان، وهي في مجموعهما هذه الطرق الثلاث، ويذكرها دائماً شيخ الإسلام، ذكرها في التدمرية، وذكرها في الحموية، وكل هذه الطُّرق: التخييل والتأويل والتفويض، والتجهيل التي هي التفويض، كلها لدفع النصوص، مؤدّاهما دفع النصوص، حتى ولو كان بعضهم خطؤه لقصور فهمه، ولا يكون خطأه مُتعمداً، حتى ولو كان هذه النتيجة أن ما أُريد منّا من النصوص يُدفع بهذه الطرق.

وأما أهل التخييل فأهل الفلاسفة الباطنية الذين يقولون: أنه خيّل أشياء لا حقيقة لها في الباطن، خيّل عمداً، هذا قول بعضهم، وهو قول ابن سينا كما ذكر شيخ الإسلام. وبعضهم يقول: خيّل له حتى هو ما يدري، وهذا قول الفارابي، حتى هو ما يدري، أما ابن سينا يقول: هو يدري بس مصلحة الجمهور في إخفائها، ولذلك يردون على أهل التأويل. وخاصة النبوءة عندهم: التخييل من قوة الحدث يستطيع أن يتخيّل ما ليس موجوداً.

التأويل طريقة المتكلمين، يقولون: إنما قاله النبي ﷺ له تأويلات (تُخَالِفُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ وَمَا يُفْهَمُ مِنْهُ).
قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

إِنَّ مَا قَالَهُ لَهُ تَأْوِيلَاتٌ تُخَالِفُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ وَمَا يُفْهَمُ مِنْهُ وَهُوَ - وَإِنْ كَانَ لَمْ يُبَيِّنْ مُرَادَهُ وَلَا بَيَّنَّ الْحَقَّ الَّذِي يَجِبُ اعْتِقَادُهُ .

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يصرحون، لم يبيّنه رَحِمَهُ اللهُ، ولم يبين حتى الذي يجب اعتقاده، يُصرحون بأنه ما بيّن، طيب لماذا هذه النصوص التي يُفهم منها كذا وكذا، قالوا: فكان المقصود...

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَكَانَ مَقْصُودُهُ أَنْ هَذَا يَكُونُ سَبَبًا لِلْبَحْثِ بِالْعَقْلِ حَتَّى يَعْلَمَ النَّاسُ الْحَقَّ بِعُقُولِهِمْ وَيَجْتَهِدُوا فِي تَأْوِيلِ
الْفَاطِظِ إِلَى مَا يُوَافِقُ قَوْلَهُمْ لِئُثَابُوا عَلَى ذَلِكَ، فَلَمْ يَكُنْ قَصْدُهُ لَهُمُ الْبَيَانَ وَالْهُدَايَةَ وَالْإِزْشَادَ وَالتَّعْلِيمَ، بَلْ
قَصْدُهُ التَّعْمِيَةَ وَالتَّلْيِيسَ وَلَمْ يَعْرِفْهُمْ الْحَقَّ حَتَّى يَنَالُوا الْحَقَّ بِعُقُولِهِمْ وَيَعْرِفُوا حَيْثُ أَنْ كَلَامَهُ لَمْ يُقْصَدِ بِهِ
الْبَيَانُ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

هذا ذكره من المعتزلة القاضي عبد الجبار في كتابه "مُتَشَابِهَ الْقُرْآنِ"، ذكره تقريبًا بحروفه أو قريبًا منه
الرازي في "بيان التلبيس" وغيره في مبحث المتشابهات، قالوا: القصد أن يجتهد، وليس القصد بيان
الأشياء، فينبغي أن نجتهد ونصل إلى مفهوم العقول، سبحانه الله سبحانه الله سبحانه الله، ما أكثر هذه
الجهالات، قول لا ينبغي أن يقوله من في قلبه أدنى ذرة من الإيمان، النبي ﷺ... وطلب منك أيها
المريسي ويا فلان أن تبين للأمة الحق الذي طلبنا به من الألفاظ، سبحانه الله، أي جناية على هذه
النصوص؟!!

ولكن الناس خدرتهم هذه الأسباب، ما دام قال هذا القول الشنيع والقبیح، قاله فلان يستساع،

سبحان الله! أين تعظيمك للنصوص؟! أين تعظيمك لله ﷻ ولكلامه؟!!

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَيَجْعَلُوا حَالَهُمْ فِي الْعِلْمِ مَعَ عَدَمِهِ خَيْرًا مِنْ حَالِهِمْ مَعَ وُجُودِهِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

يعني حالهم في العلم مع عدمه خيرًا من حالهم مع وجوده، أين؟! الناس لو تركوا بلا كتاب وسنة
كانت حالتهم أحسن مما هم عليه الآن لأن أمامهم الآن نصوص، وهذه النصوص تدل على الكفر
والتشبيه، فكيف يُفتك من هذه النصوص بشيء من العنت وبالاستعانة بأمثال ابن سينا والفارابي، هكذا
تتخلص من هذه النصوص، فيجعلون حالهم في العلم مع عدمه خيرًا من حالهم مع وجود هذا العلم

عبء على الأمة الأفاضل، أليس كذلك؟ لأن هذه النصوص كيف تتخلص منها؟ سبحان الله!

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَوْلَيْكَ الْمُتَقَدِّمُونَ كَابْنِ سَيْنَا وَأَمْثَالِهِ يُنْكِرُونَ عَلَيَّ هَؤُلَاءِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(هؤلاء) على المتقدمين، يقولون: لماذا تأولون؟ نعم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَيَقُولُونَ: أَلْفَاظُهُ كَثِيرَةٌ صَرِيحَةٌ لَا تَقْبَلُ التَّأْوِيلَ لَكِنْ كَانَ قَصْدُهُ التَّخْيِيلَ، وَأَنْ يَعْتَقِدَ النَّاسُ الْأَمْرَ عَلَيَّ

خِلَافَ مَا هُوَ عَلَيْهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إِذَا لَا تَأُولُوا لَا هُنَا وَلَا هُنَا، كُلُّهُ مِنْ بَابِ التَّخْيِيرِ، لَا تَتَعَبُوا أَنْفُسَكُمْ. هَذَا ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ النِّيروزِيَّةِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمَّا الصَّنْفُ الثَّلَاثُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ أَتْبَاعُ السَّلَفِ فَيَقُولُونَ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنِ الرَّسُولُ يَعْرِفُ مَعْنَى مَا

أُنزِلَ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ وَلَا أَصْحَابُهُ

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هَذِهِ الصَّنْفُ هُوَ أَغْرَبُ هَذِهِ الْأَصْنَافِ، مَعَ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ هُوَ أَبْعَدُ عَنِ الْحَقِّ مِنْهُمْ وَهُوَ التَّخْيِيرُ، إِلَّا أَنَّ

هَذَا الصَّنْفُ أَغْلَبُ هَذِهِ الْأَصْنَافِ، الَّذِي هُوَ صَنَفُ التَّجْهِيلِ، وَصَنَفُ التَّفْوِيضِ، وَمَا يَدْرِي وَيَدْعِي أَنَّ

النَّبِيَّ ﷺ أَيْضًا مَا يَدْرِي، هُوَ مَا يَدْرِي، يَفْتَخِرُ بِجَهْلِهِ، وَيَدْعِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَيْضًا مَا يَدْرِي، وَالصَّحَابَةُ

أَيْضًا مَا يَدْرُونَ، وَأَنَّ السَّلَفَ أَيْضًا مَا يَدْرُونَ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

نَهْ لَمْ يَكُنِ الرَّسُولُ يَعْرِفُ مَعْنَى مَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ وَلَا أَصْحَابُهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وهذا قولٌ واحدًا، فرق بين ما أنزل عليه وبين ما تكلم به، فرق بين الآيات والأحاديث.

ما أنزل عليه -وهي الآيات- ما كان يدري، لم يكن يعرف معنى ما أنزل عليه من هذه الآيات، لم يكن، أنزلت عليه وكُلف بتبليغها فبلغها تعبدًا، أما ما تكلم به.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ولا اصحابه يَعْلَمُونَ مَعْنَى ذَلِكَ بَلْ لَازِمٌ قَوْلِهِمْ: أَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَعْنَى مَا تَكَلَّمَ بِهِ مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

بالنسبة للأحاديث ما صرحوا بها، ولكن لازم قولهم في الآيات أنه ما كان يدري أحاديث الصِّفات أيضًا، وإلا كيف تُفَرِّق بين ما ورد في الأحاديث وبين ما ورد في الآيات؟ في الأحاديث ورد أن الله ﷻ من أسمائه السَّمِيع وأنه يسمع، هل كان يفهم هذا؟ على قولك: ما كان يفهم، لأن ما يفهم الآيات، فكيف فهم هذا التفسير لما ورد فيه؟

إذا يُصرحون بالنسبة للآيات، وبالنسبة للأحاديث يلزمهم، سبحان الله! ما أدري لماذا يصرحون هنا أيضًا؟ بعد أن تصرح فيما أنزل عليه هل تستشع أن يكون كلامه يتكلم به وهو لا يفهمه؟ سبحان الله! ما أنزل عليه هذه ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وأنت تقول: لا يعرف فكيف يُبين؟ فلماذا تستشع؟ واضح، يفرقون بين الأحاديث والآيات.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

بَلْ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ لَا يَعْرِفُ مَعْنَاهُ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَذْهَبَ السَّلَفِ يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَ مَعَانِيَ النَّصُوصِ بَلْ يَقُولُونَ ذَلِكَ فِي الرَّسُولِ. وَهَذَا الْقَوْلُ مِنْ أَبْطَلِ الْأَقْوَالِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

وهؤلاء من خطورتهم أنهم دائماً يرفعون لافتة السلف، نحن على مذهب السلف، وهم أبعد الناس عن السلف.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمِمَّا يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ مَا فَهِمُوهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾، وَيُظَنُّونَ أَنَّ التَّأْوِيلَ هُوَ الْمَعْنَى الَّذِي يُسَمُّونَهُ هُمْ تَأْوِيلًا، وَهُوَ مُخَالَفٌ لِلظَّاهِرِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

ما دام ما يعلم تأويله إلا الله، إذن النبي ﷺ أيضًا ما يدري عن معاني هذه النصوص، -هكذا يقولون - والتأويل هو التأويل المصطلح عليه عندهم صرف اللفظ عن المعنى الظاهر إلى غير المتبادر منه لقريته.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ثُمَّ هَؤُلَاءِ قَدْ يَقُولُونَ: تَجْرِي النُّصُوصُ عَلَى ظَاهِرِهَا وَتَأْوِيلُهَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ وَيُرِيدُونَ بِالتَّأْوِيلِ: مَا يُخَالَفُ الظَّاهِرَ، وَهَذَا تَنَاقُضٌ مِنْهُمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لماذا تناقض؟ هو لما يقول: أن هذا الظاهر وأنت يا فلان قد أولت وأخرجتها عن ظاهرها يدل على أنه فهم شيء، ألا يدل؟ ظاهر أم ليس بظاهر ما أدراك، أنت الله أعلم هكذا قوله، لماذا تقول: أن هذا التأويل وهو إخراج لها عن ظاهرها، لماذا تدعي هذا؟ لأنك تقول: (ما يعلم تأويله إلا الله) النبي ﷺ ما يدري عندك، فكيف عرفت أن فلانًا أخرجها من ظاهرها؟ وكيف عرفت أن هذا ظاهرها أصلاً؟ هذا تناقض منك، من ناحية تدعي أن هذه النصوص من المتشابه لا يفهم معناها، ومن ناحية تدعي أن لها ظاهرًا، وأن فلانًا أخرجها من ظاهرها هذا تناقض، يعني معرفة الظاهر وعدم معرفته مبني على فهم النص، وأنت تدعي أن هذا النص من المتشابه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَطَائِفَةٌ يُرِيدُونَ بِالظَّاهِرِ أَلْفَاظَ النُّصُوصِ فَقَطُّ، وَالطَّائِفَتَانِ غَالِطَتَانِ فِي فَهْمِ الْآيَةِ. وَذَلِكَ أَنَّ لَفْظَ التَّأْوِيلِ قَدْ صَارَ بِسَبَبِ تَعَدُّدِ الْإِصْطِلَاحَاتِ لَهُ ثَلَاثَةٌ مَعَانٍ:

أَحَدُهَا: أَنْ يُرَادَ بِالتَّأْوِيلِ حَقِيقَةُ مَا يُتَوَلَّى إِلَيْهِ الْكَلَامُ وَإِنْ وَافَقَ ظَاهِرُهُ. وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الَّذِي يُرَادُ بِلَفْظِ التَّأْوِيلِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ﴾ وَمِنْهُ قَوْلُ عَائِشَةَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ اللهُ اغْفِرْ لِي يَا تَوَلَّى الْقُرْآنَ».

وَالثَّانِي: يُرَادُ بِلَفْظِ التَّأْوِيلِ: التَّفْسِيرُ وَهُوَ إِصْطِلَاحٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَلِهَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ - إِمَامٌ أَهْلُ التَّفْسِيرِ: إِنَّ "الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ" يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَ الْمُشْتَبَاهِ فَإِنَّهُ أَرَادَ بِذَلِكَ تَفْسِيرَهُ وَبَيَانَ مَعَانِيهِ وَهَذَا مِمَّا يَعْلَمُهُ الرَّاسِخُونَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذان المعنيان صحيحان، هذا أدق، هذان المعنيان معنيان صحيحان.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالثَّلَاثُ: أَنْ يُرَادَ بِلَفْظِ التَّأْوِيلِ: صَرَفُ اللَّفْظِ عَنِ ظَاهِرِهِ الَّذِي يُدُلُّ عَلَيْهِ ظَاهِرُهُ إِلَى مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ لِذَلِيلٍ مُنْفَصِلٍ يُوجِبُ ذَلِكَ. وَهَذَا التَّأْوِيلُ لَا يَكُونُ إِلَّا مُخَالِفًا لِمَا يُدُلُّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ وَيُسَيِّئُهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لماذا يكون مخالفاً؟ لأنه لم لو تكن هناك مخالفة ما احتجت إلا صرفها، إلى صرف اللفظ عما يظهر

منه إلى غيره، إذا فيه صرف، وما تدعيه مخالفاً لما يدل عليه اللفظ، ومخالفاً لما يُبينه اللفظ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَتَسْمِيَةُ هَذَا تَأْوِيلًا لَمْ يَكُنْ فِي عُرْفِ السَّلَفِ وَإِنَّمَا سَمَّى هَذَا وَحْدَهُ تَأْوِيلًا طَائِفَةً مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ
الْحَائِضِينَ فِي الْفِقْهِ وَأُصُولِهِ وَالْكَلَامِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا هذا هو معنى التأويل عند القوم الآن في أصول الفقه وفي غيره.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَوَظَنَ هَؤُلَاءِ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾ يُرَادُ بِهِ هَذَا الْمَعْنَى، ثُمَّ صَارُوا فِي هَذَا التَّأْوِيلِ
عَلَى طَرِيقَيْنِ: قَوْمٌ يَقُولُونَ: إِنَّهُ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ. وَقَوْمٌ يَقُولُونَ: إِنَّ الرَّاْسِخِينَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

ليسوا، هكذا صاروا طائفتين، الطائفة الأولى: المفوضة، والطائفة الثانية: مؤولة، هكذا كانت، لكن
في الأخير اندمجوا، في الأخير أهل التأويل عندهم طريقتان: التأويل والتفويض، بل المتأخرون جمعوا
بين هذه الشرور الثلاثة، حتى التخييل بعد الرازي حتى التخييل بل بعد الزمخشري.

التخييل والتأويل والتفويض، كل هذه الطُّرُق نجدُها عند المتكلمين، وإلا بضاعة المُتَكَلِّمِينَ
التأويل، وبضاعة هؤُلاءِ التَّجْهِيلِ التَّفْوِيضِ، والفلاسفة الباطنية التخييل الذين لا يُثبتون شيئًا من معاني
النُّصوص حتى في المعاد، ولكن أهل الكلام وسعت صدورهم في الأخير لكل هذه الطُّرُق لأن كثرة
النصوص تحتاج إلى معاول كثيرة، ما عندهم فاستخدموها كلها.

فتجده يقول: إما التخييل، وإما التفويض، وإما التأويل، تريد السلف؟ التفويض، وفيه السَّلامَة،
تريد الخلف؟ التأويل، وفيه العِلْمُ والإِحْكَامُ، تريد التحقيق، كل هذا عند هذا المتكلم، تريد التحقيق؟
التخييل، طبعًا وطائفة، وطائفة، وطائفة، قلت لكم: هذه كلها اجتمعت في المتكلمين والمتأخرين، وإلا
كانوا الآن المتكلمون يقولون: إما التأويل، وهذا على القول على أن الراسخين في العلم يعلمونه، وإما
التفويض على أنه من المتشابه، نعم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

، وَكَلَّمَا الطَّائِفَتَيْنِ مُخْطِئَةً، فَإِنَّ هَذَا التَّأْوِيلَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ - أَوْ أَكْثَرِهَا وَعَامَّتِهَا - مِنْ بَابِ تَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ مِنْ جِنْسِ تَأْوِيلَاتِ الْقَرَامِطَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا ليس تأويلاً، هذا تحريف وتلاعب.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ الَّذِي اتَّفَقَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَيْمَّتُهَا عَلَى ذَمِّهِ، وَصَاحُوا بِأَهْلِهِ مِنْ أَفْطَارِ الْأَرْضِ، وَرُمُوا فِي آثَارِهِمْ بِالشُّهْبِ، وَقَدْ صَنَّفَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ كِتَابًا فِي الرَّدِّ عَلَى هَؤُلَاءِ وَسَمَّاهُ: "الرَّدُّ عَلَى الزَّنَادِقَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ فِيمَا شَكَّتْ فِيهِ مِنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ وَتَأْوِيلَتِهِ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ".

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هكذا السلف يسمون الأسماء بمسمياتها الحقيقية، هذا التأويل الذي يتحدث عنه الإمام أحمد، والذين كانوا أمامه هم جهمية ومعتزلة، ولكن لماذا قدم الزنادقة؟ هذه بضاعتهم في الأصل، الرد على الزنادقة والجهمية، ومن بعدهم فروعهم، ما يحتاجون أن يُذكروا، لذلك شيخ الإسلام ماذا سمى كتابه الذي يرد به على الرازي؟ بيان تليس الجهمية.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَعَابَ أَحْمَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ يُفَسِّرُونَ الْقُرْآنَ بِغَيْرِ مَا هُوَ مَعْنَاهُ. وَلَمْ يَقُلْ أَحْمَدُ، وَلَا أَحَدٌ مِنَ الْأُمَّةِ: إِنَّ الرَّسُولَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَعَانِيَ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثِهَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني الذي ينسب للإمام أحمد التفويض، هذا الشخص جنايته لا توصف، يا أخي عنوان هذا الكتاب يرد عليه، كما يقول شيخ الإسلام هنا: "الرد على الزنادقة والجهمية فيما شككت فيه من متشابه القرآن وتأويلته على غير تأويله" هذا أولاً.

ثانياً: مَنْ الذي كان يُمثّل أهل السنة قاطبةً في تلك الفتنة؟ هل هو المفوض أحمد بن حنبل أو إمام أهل السنة أحمد بن حنبل؟ فالذي ينسب هذه البليّة إلى الإمام أحمد جنائته أكثر من أي إمام على الإطلاق، وكل من ينسب إلى الأئمة هم جُناة، ولكن من ينسب للإمام أحمد فجنايته أعظم لما في كلامه من الوضوح والكثرة في بيان منهج أهل السنة في الاثبات.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا قَالُوا: إِنَّ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ لَمْ يَعْرِفُوا تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ وَمَعَانِيهِ. كَيْفَ؟ وَقَدْ أَمَرَ اللهُ بِتَدَبُّرِ كِتَابِهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: بَعْضُ آيَاتِهِ وَقَالَ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ وَقَالَ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فِي النُّصُوصِ الَّتِي تُبَيِّنُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يَتَدَبَّرَ النَّاسُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ، وَأَنَّهُ جَعَلَهُ نُورًا وَهُدًى لِعِبَادِهِ، وَمُحَالٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُفْهَمُ مَعْنَاهُ.

قال الشَّارح وفقه الله:

(مبارك) يعني: كثير خيره، الشيء المبارك الذي خيره كثير.

طبعاً هذه المسألة فصل فيها شيخ الإسلام أكثر في المراكشية في الرد على التفويض فصل فيها أكثر، وأن جميع الآيات التي فيها الأمر بالتدبر فالمفوض يُعكسها، جميع الآيات التي فيها الأمر بالتدبر يُخالفها المفوض، يتدبر في ماذا يعني؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ: حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقْرَأُونَ الْقُرْآنَ - عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ - أَنَّهُمْ قَالُوا: «كُنَّا إِذَا تَعَلَّمْنَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ نُجَاوِزْهَا حَتَّى نَتَعَلَّمَ مَا فِيهَا مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ» قَالُوا: «فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا» وَهَذِهِ الْأُمُورُ مَبْسُوطَةٌ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ. وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ مَنْ يَقُولُ فِي الرَّسُولِ وَبَيَانِهِ لِلنَّاسِ مِمَّا هُوَ مِنْ قَوْلِ الْمَلَا حِدَةَ، فَكَيْفَ يَكُونُ قَوْلُهُ فِي السَّلَفِ؟ حَتَّى يَدَّعِي اتِّبَاعَهُ.

قال الشَّارح وفقه الله:

سبحان الله! يقول: (من يقول في الرسول وبيانه للناس ما هو عين قول الملاحدة، كيف يدعي أن قوله يمتُّ إلى السلف) بصلة؟ أن من يقول في الرسول وبيانه للناس، وأنه لم يبين وأنه وأنه، مما هو من قول الملاحدة، كيف يكون قوله في السلف؟ قوله: (هل يمتُّ بصلة إلى السلف حتى يدعي اتباعه)، يرد على أهل التجهيل، أنت أبعد الناس عن السلف؛ لأنك تدعي أن النبي ﷺ ما يدري، فكيف يكون قد بين؟ ما يدري أصلاً.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهُوَ مُخَالِفٌ لِلرَّسُولِ وَالسَّلَفِ عِنْدَ نَفْسِهِ وَعِنْدَ طَائِفَتِهِ، فَإِنَّهُ قَدْ أَظْهَرَ مِنْ قَوْلِ النُّفَاةِ مَا كَانَ الرَّسُولُ يَرَى عَدَمَ إِظْهَارِهِ لِمَا فِيهِ مِنْ فَسَادِ النَّاسِ، وَأَمَّا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ فَلَا، وَقَوْلُ النُّفَاةِ بَاطِلٌ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَالرَّسُولُ ﷺ وَمُتَّبِعُوهُ مُنَزَّهُونَ عَنْ ذَلِكَ، بَلْ مَاتَ ﷺ وَتَرَكَنَا عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ لِيُنْهَى كَنَهَارَهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ. وَأَخْبَرَنَا أَنَّ: كُلَّ مَا حَدَّثَ بَعْدَهُ مِنْ مُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَهُوَ بَدْعَةٌ وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ، وَرُبَّمَا أَنْشَدَ بَعْضُ أَهْلِ الْكَلَامِ بَيْتَ مَجْنُونِ بَنِي عَامِرٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً يشير إلى العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللهُ، وسيأتي مناقشة شيخ الإسلام لقطعة من كلامه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكُلُّ يَدْعِيٍّ وَضَلَّاءِ بَلِيٍّ وَلَيْلَى لَا تُقَرُّ لَهُمْ بِذَاكَ

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هو يدعي أن هؤلاء أهل الأثر وأهل الحديث يتحلون مذهب السلف، العز يقول: هم يتحلون مذهب السلف، والسلف بريئون منه، ثم استشهد بهذا:

وَكُلُّ يَدْعِيٍّ وَضَلَّاءِ بَلِيٍّ وَلَيْلَى لَا تُقَرُّ لَهُمْ بِذَاكَ

يخاطب أهل الأثر ويقول: هذه منكم دعوى، والسلف لا يقرونكم على دعواكم، هذا من يقوله؟ العز بن عبد السلام.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَمَنْ قَالَ مِنَ الشُّعْرِ مَا هُوَ حِكْمَةٌ أَوْ تَمَثَّلَ بَيْتٌ مِنَ الشُّعْرِ فِيمَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ حَقٌّ كَانَ قَرِيبًا. أَمَّا إِبْنَاتُ الدَّعْوَى بِمُجَرَّدِ كَلَامٍ مَنْظُومٍ مِنْ شِعْرٍ أَوْ غَيْرِهِ فَيُقَالُ لِصَاحِبِهِ: يَنْبَغِي أَنْ تُبَيَّنَ أَنَّ السَّلْفَ لَا يُقَرُّونَ بِمَنْ انْتَحَلْتَهُمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يقول شيخ الإسلام، سبحانه الله! أنا أحياناً أتعجب من صبر شيخ الإسلام، يُناقش كل شيء، حتى مثل هذا يناقشه، ولما يأتي يُناقش - سبحانه الله - بعض الأمور ما ينبغي أن تناقشها، يقول شيخ الإسلام للعز بن عبد السلام: أنت الآن جئت بهذا البيت وهذا الشعر، واستدللت به، والذين يستدلون بالأشعار أو بالحكم إن كانوا قد أثبتوا دعواهم بأدلة، ثم استشهدوا بمثل هذه، لكان قريباً فيما بين أنه حق. أولاً: بين أنه حق، واستدل لهذا الحق، وبينه ووضحه، ثم تمثّل بالشعر وكذا، يقول: (لكان قريباً)، يعني يمشي، (أَمَّا إِبْنَاتُ الدَّعْوَى بِمُجَرَّدِ كَلَامٍ مَنْظُومٍ مِنْ شِعْرٍ أَوْ غَيْرِهِ)، لا يقبل هذا، ماذا يقال له؟ (فَيُقَالُ لِصَاحِبِهِ: يَنْبَغِي أَنْ تُبَيَّنَ أَنَّ السَّلْفَ لَا يُقَرُّونَ) بهذا، أنت أنت الآن لست السلف حتى تقول: هم لا يقرون، بين بالأدلة أن السلف لا يقرون هؤلاء أهل الأثر فيما يدعون، بين بالأدلة، تأتي بشعر منظوم وتظن أن القضية انتهت؟ لا، يقول: ينبغي أن تبين أن السلف لا يقرون بمن انتحلهم، بينه بالأدلة، لا يكفي أن تأتي بهذا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا ظَاهِرٌ فِيمَا ذَكَرَهُ هُوَ وَغَيْرُهُ مِمَّنْ يَقُولُونَ عَنِ السَّلْفِ مَا لَمْ يَقُولُوهُ وَلَا يَنْقُلُهُ عَنْهُمْ أَحَدٌ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِحَالِهِمْ وَعَدْلٌ فِيمَا نَقَلَ فَإِنَّ النَّاقِلَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا عَدْلًا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

مستحيل أن ينقل عن السلف أنهم قالوا لأهل الحديث: ما تدعون من موافقتنا خطأ، مطلوب هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنْ فُرِضَ أَنَّ أَحَدًا نَقَلَ مَذْهَبَ السَّلَفِ كَمَا يَذْكُرُهُ، فَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ قَلِيلَ الْمَعْرِفَةِ بِأَثَارِ السَّلَفِ: كَأَبِي
الْمَعَالِي وَأَبِي حَامِدِ الْغَزَالِيِّ وَابْنِ الْخَطِيبِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

ولكن إذا وجدت أثرًا فيه شيء من هذه التراهاات، يقول شيخ الإسلام: (فَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ قَلِيلَ الْمَعْرِفَةِ
بِأَثَارِ السَّلَفِ) فإن فرض أن أحدًا نقل مذهب السلف كما يذكرون، طبعًا عنده أمران وليس أمر واحد،
مذهب السلف لا يذكره كما هو، أهل الأثر لما يدعون على أنهم على مذهب السلف هنا يدعي أنهم
ليسوا على مذهب السلف، ونحن نطالبه بالأمانة والدقة في الأمرين، فإن فرض أن أحدًا نقل مذهب
السلف كما يذكره بشيء من التشويه، فيما أن يكون قليل المعرفة بأثار السلف (كَأَبِي الْمَعَالِي وَأَبِي حَامِدِ
الْغَزَالِيِّ وَابْنِ الْخَطِيبِ) وابن الخطيب هو الرازي.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمْثَالِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِالْحَدِيثِ مَا يُعَدُّونَ بِهِ مِنْ عَوَامِّ أَهْلِ الصَّنَاعَةِ فَضْلًا عَنْ
خَوَاصِّهَا، وَلَمْ يَكُنْ الْوَاحِدُ مِنْ هَؤُلَاءِ يَعْرِفُ الْبُخَارِيَّ وَمُسْلِمًا وَأَحَادِيثَهُمَا إِلَّا بِالسَّمَاعِ كَمَا يَذْكُرُ ذَلِكَ
الْعَامَّةُ، وَلَا يُمَيِّزُونَ بَيْنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الْمُتَوَاتِرِ، عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ وَبَيْنَ الْحَدِيثِ الْمُفْتَرَى
الْمَكْذُوبِ وَكُتُبِهِمْ أَصْدَقُ شَاهِدٍ بِذَلِكَ فَفِيهَا عَجَائِبُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

والله فيها من العجائب الشيء الذي لا يُصدق، يذكر شيخ الإسلام أن الجويني في كتابه "نهاية
المطلب" الذي طبع في خمس وعشرين مجلدًا، لم يعزو شيئًا من أحاديثه إلى البخاري ومسلم، عزا
إليهما حديثًا وهي ليس كذلك في هذا الكتاب العظيم، أما تضعيفه يُضعف أحاديث في "صحيح
البخاري" فهذا أيضًا كثير.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَتَجِدُ عَامَّةَ هَؤُلَاءِ الْخَارِجِينَ عَنِ مَنَهَاجِ السَّلَفِ مِنَ الْمُتَكَلِّمَةِ وَالْمُتَصَوِّفَةِ يَعْتَرِفُ بِذَلِكَ إِمَّا عِنْدَ الْمَوْتِ وَإِمَّا قَبْلَ الْمَوْتِ، وَالْحِكَايَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

طبعاً ذكر بعض الأمثلة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

هَذَا أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ: نَشَأَ فِي الْإِعْتِزَالِ أَرْبَعِينَ عَامًا يُنَاطِرُ عَلَيْهِ ثُمَّ رَجَعَ عَنِ ذَلِكَ وَصَرَّحَ بِتَضْلِيلِ الْمُعْتَزِلَةِ وَبَالَغَ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ مَعَ فَرْطِ ذِكَايِهِ وَتَأَلُّهِهِ وَمَعْرِفَتِهِ بِالْكَلامِ وَالْفَلْسَفَةِ وَسُلُوكِهِ طَرِيقَ الرَّهْدِ وَالرِّيَاضَةِ وَالتَّصَوُّفِ رَجَعَ إِلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَصَنَّفَ "إِلْجَامَ الْعَوَامِّ عَنْ عِلْمِ الْكَلَامِ".

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

طبعاً أنا وقفت مع هذا النص كثيراً، أولاً: هذا مما زاده المحقق، ما بين المعكوفتين من عند: (مع فرط ذكائه وتألهه إلى قوله: إلى طريقة أهل الحديث، وصنف إلجام العوام على علم الكلام، إما أن يكون هناك سقط في الكلام، وإما أن يكون هذا الكتاب ألفه شيخ الإسلام في مقتبل عمره، وهذا أستبعده. نعم، هناك أدلة تدل على أن هذا الكتاب ليس مما ألفه شيخ الإسلام بعد نضجه، نعم هناك شيء من الأدلة، ولكن ما أظن أنه ألف في بدايات تأليفه، وأستبعد أن يقول: أن الغزالي أنه لما ألف "إلجام رجوع إلى طريقة أهل الحديث"، هذا لا يقوله من عنده أدنى علم بحال هذا الكتاب، هذا الكتاب من أخطر كتب علم الكلام، مع أن كثيراً ممن يتحدث عن الغزالي يذكرون هذا، أنه رجوع إلى طريقة السلف، وكتب إلجام العوام عن علم الكلام، من يقرأ هذا الكتاب يرى أنه من أخطر كتب علم الكلام.

أولاً: هو ينطلق فيه من التقسيم المعروف الذي أخذه من المتفلسفة، والذي سبقت الإشارة إليه،

تقسيم الناس إلى عوام وخواص.

ثانياً: المُتَكَلِّمُونَ والمحدثون والفقهاء كلهم عنده عوام في هذا الكتاب، والخواص هم من كان على طريقته، خواص أهل الفلسفة، وأهل المعرفة، ثم ما ذكره في الكتاب باسم السلف يحتاج إلى دراسة عميقة، نسب إلى السلف أموراً السلف من هذه الأمور برئاء، فأستبعد أن يكون هكذا، كلام شيخ الإسلام رجع إلى طريقة أهل الحديث، وصنف إجماع العوام على علم الكلام، إلا إذا كان المراد أنه في رده ونقده لعلم الكلام رجع إلى طريقة السلف إلا إذا كان هذا المعنى، وهذا أيضاً بعيد، لأن الكتاب أصلاً مبني على القول بهذا التقسيم الذي هو أخطر من علم الكلام، ثم ما ذكره من وظائف التقديس كلها علم الكلام، وليس فيه رد على علم الكلام.

على كل حال: الآن ما عندنا نُسخ خطيَّة حتى هذا فيه إشكال.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

لَقَدْ تَأَمَّلْتُ الطُّرُقَ الْكَلَامِيَّةَ وَالْمَنَاهِجَ الْفَلْسَفِيَّةَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعا هذا الكتاب مطبوع، والنسخة التي اطلعت عليها فيها قريب من هذا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَمَا رَأَيْتُهَا تَشْفِي عَلِيًّا وَلَا تُرْوِي غَلِيًّا وَرَأَيْتُ أَقْرَبَ الطُّرُقِ طَرِيقَةَ الْقُرْآنِ: أَقْرَأُ فِي الْإِثْبَاتِ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ وَأَقْرَأُ فِي النَّفْيِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ثُمَّ قَالَ: «وَمَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعا هذه الجملة من الرازي رَحِمَهُ اللهُ لم تستغل إلى الآن، ما زال المتقدمون يريدون أن يجربوا مثل تجربته في هذا الرجل الذي لم يترك وادياً من هذه الوديان إلا وسلكتها، في النهاية أعطاك التجربة: «ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي» والكتاب له وهو مطبوع، فينبغي أن يُستغل كلامه ولكن

المتكلمين لا .

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَكَانَ يَتَمَثَّلُ كَثِيرًا :

نَهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالٌ وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالٌ

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ :

هذا موجود في هذا الكتاب، في كتاب أقسام اللذات، هو مطبوع باسم "ذم لذات الدنيا" وهذا الكتاب بحاجة إلى دراسة، أنا أدعو الإخوة الذين يقبلون على ... لو أحدهم يأخذ هذا الكتاب، ويدرسه يكون قدّم لنا كنزاً ثميناً، شيخ الإسلام دائماً يذكر هذه النصوص، ولكن الذي يقرأ هذا الكتاب، سبحان الله! يطلع على شيء لا يُصدقه، مثلاً، وهو يذكر الأدلة التي يُمكن أن توصل إلى اليقين، ويستبعد أدلة الكتاب والسنة، الذي يأخذ هذا الكتاب ويدرسه، وهو كتاب فخر الدين الرازي، الإمام، ويكون نموذجاً لأحوال كبارهم، قدمه هكذا من خلال كتابه، ولا يحتاج أن يُضيف إليه قراءة نصوصه، لا، قراءة هكذا سطحية تكفي.

حاله مع الأدلة ما هي تلك الأدلة التي يراها أدلة، والتي لم يجد فيها بُغيته، وكيف يتمنى في نهاية الكتاب أن يصل إلى اليقين، وينفي احتمال وصوله إلى اليقين، يعتمد على هذه الأدلة، ثم هذه الجُملة التي ذكرها، يصلح لرسالة ماجستير ورسالة جميلة ستكون.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

**وَأَرْوَأْحْنَا فِي وَحْشَةٍ مِّنْ جُسُومِنَا
وَحَاصِلُ دُنْيَانَا أَدَىٰ وَوَبَالَ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِّنْ بَحْثِنَا طَوْلَ عُمْرِنَا
سَوَىٰ أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا**

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ :

يعني هناك نفرة بين أرواحنا وبين جُسُومنا، المُتعمق يقول هذا في الأخير.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ تَرَكَ مَا كَانَ يَنْتَحِلُهُ وَيُقَرِّرُهُ وَاخْتَارَ مَذْهَبَ السَّلَفِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

حتى هذا أنا أستبعده، يقول: واختار مذهب السلف، الصحيح أنه اختار ما اعتقده مذهب السلف، كتاب "النظامية" مطبوع، ورد فيه على أهل التأويل، "العقيدة النظامية" رد فيها على أهل التأويل، ردوداً مقنعة جميلة جداً ردوده على المؤولة وهو نفسه، من إمام أهل التأويل في وقت؟ هو، مما يدل على أن الرجل يريد الوصول إلى الخير، وإلا من الصَّعب أن ترد على نفسك بهذا العُنْف، ولكن ما الذي ظنَّه طريق السلف؟ التفويض، (وهذا إمام الحرمين ترك ما كان ينتحله ويكرره واختار مذهب السلف)، أي: اختار ما ظنَّه مذهب السلف، وإلا شيخ الإسلام الآن يرد على من؟ يرد على هؤلاء الذين يزعمون أن هذا ذهب السلف، مما يدل على أن هناك خلل في النص.

وأرجع وأقول: ما ذكرته في الغزالي، هذا الرجل الآن في النهاية يريد الحق، ورد على نفسه وهذا من أصعب ما يكون، ومع ذلك لم يكتب له التوفيق، لماذا؟ لأنك طول عمرك ترد على هذا الحق تشوّهه، وترد على أصحابه، تنبذه بالألقاب، الله أعلم، قد يكون هذا السبب.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَانَ يَقُولُ: «يَا أَصْحَابَنَا لَا تَشْتَعِلُوا بِالْكَلَامِ فَلَوْ أَنِّي عَرَفْتُ أَنَّ الْكَلَامَ يَبْلُغُ بِي إِلَى مَا بَلَغَ مَا اشْتَعَلْتُ

بِهِ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

الشهرستاني جاء بعد الغزالي، الغزالي إمام أهل الكلام في وقته، وهو تلميذ إمام الحرمين، وبعد الغزالي الشهرستاني.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفَّتِ الْمَعَاهِدُ كُلُّهَا
فَلَمْ أَرَ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ
وَسَيَّرَتْ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ
عَلَى ذَقْنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمٍ

قال الشارح وفقه الله:

قوله: (وسَيَّرَتْ طَرْفِي) الذي هو النظر.

أما معهد أهل الأثر كما ذكر الأمير الصنعاني، له أبيات جميلة جدًا نقلها المحقق محقق الدرع،
وأيضًا محقق "مناهج السنة" الدكتور محمد رجاء صالح، نقلها في هامش الكتاب أبيات جميلة جدًا،
يقول فيها: إنك تركت أهم المعاهد، وهو معهد النبي ﷺ، ومعهد أصحابه، يقول:

لعمري لقد طُفَّتِ المعاهد كلها

طيب أين ذلك المعهد ما ذهبت إليه؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَابْنُ الْفَارِضِ - مِنْ مُتَأَخَّرِي الْإِتِّحَادِيَّةِ صَاحِبُ الْقَصِيدَةِ التَّائِيَةِ الْمَعْرُوفَةِ " بِنَظْمِ السُّلُوكِ " وَقَدْ نَظَّمَ فِيهَا الْإِتِّحَادَ نَظْمًا رَائِقَ اللَّفْظِ فَهُوَ أَحَبُّ مَنْ لَحِمِ خِنْزِيرٍ فِي صِينِيَّةٍ مِنْ ذَهَبٍ .
وَمَا أَحْسَنَ تَسْمِيَتِهَا بِنَظْمِ الشُّكُوكِ اللهُ أَعْلَمُ بِهَا وَبِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ وَقَدْ نَفَقَتْ كَثِيرًا وَبَالَغَ أَهْلُ الْعَصْرِ فِي تَحْسِينِهَا وَالْإِعْتِدَادِ بِمَا فِيهَا مِنَ الْإِتِّحَادِ - لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ أَنْشَدَ:

إِنْ كَانَ مَنَزَلَتِي فِي الْحُبِّ عِنْدَكُمْ مَا قَدْ لَقِيتُ فَقَدْ ضَيَّعْتُ أَيَّامِي
أُمْنِيَّةً ظَفِرْتُ نَفْسِي بِهَا زَمَنًا وَالْيَوْمَ أَحْسَبُهَا أَضْغَاثَ أَحْلَامِ

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ: قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

نَحْمَدُهُ وَنُصَلِّي عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ، أَمَّا بَعْدُ:

لَا زَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ يَذْكُرُ نَمَاذِجَ وَأَمْثَلَةَ لِرُجُوعِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَمَعَهُمْ مَنْ كَانَ يَدْعِي التَّحْقِيقَ وَالْعِرْفَانَ، هُنَا ذَكَرَ كَلَامَ ابْنِ الْفَارِضِ وَهُوَ أَحَدُ أَئِمَّةِ الْإِتِّحَادِيَّةِ، صَاحِبِ الْقَصِيدَةِ التَّائِيَةِ الَّتِي عُرِفَتْ «بِنَظْمِ السُّلُوكِ» يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: (فَهُوَ أَحَبُّ مَنْ لَحِمِ خِنْزِيرٍ فِي صِينِيَّةٍ مِنْ ذَهَبٍ) هَكَذَا يُقَدِّمُ الْكُفْرَ الصَّرِيحَ بِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ الرَّائِقَةِ، وَهُوَ فِي الشَّعْرِ قَوِي جَدًّا.

قِيلَ: "أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، طَبَعًا شَيْخُ الْإِسْلَامِ نَقَلَ هَذَا الْقِيلَ بِالسَّنَدِ عَمَّنْ حَضَرَ وَفَاتَهُ، يَقُولُ:

(إِنْ كَانَ مَنَزَلَتِي فِي الْحُبِّ عِنْدَكُمْ) هُوَ ابْنُ الْفَارِضِ يُخَاطَبُ اللهُ ﷻ، ذَهَبَ الْإِتِّحَادُ وَالْحُلُولُ الْآنَ هُوَ أَمَامَ

وَأَقِيعَ:

إِنْ كَانَ مَنَزَلَتِي فِي الْحُبِّ عِنْدَكُمْ مَا قَدْ لَقِيتُ فَقَدْ ضَيَّعْتُ أَيَّامِي
أُمْنِيَّةً ظَفِرْتُ نَفْسِي بِهَا زَمَنًا وَالْيَوْمَ أَحْسَبُهَا أَضْغَاثَ أَحْلَامِ

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ولهذا كان من أصول الإيمان: أن يثبت الله العبد بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً هنا: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾، ﴿كَلِمَةً خَبِيثَةً﴾، إذا الكلمة أصل العقيدة صحيحة كانت أم سيئة، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾، ثُمَّ ﴿كَلِمَةً خَبِيثَةً﴾ إذا الكلمة أصل العقيدة، وأن الاعتقاد هو الكلمة التي يعتقدها المرء وأطيب الكلام والعقائد كلمة التوحيد، وأخبث الكلم كلمة الشرك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْكَلِمَةُ: أَصْلُ الْعَقِيدَةِ، فَإِنَّ الْإِعْتِقَادَ هُوَ الْكَلِمَةُ الَّتِي يَعْتَقِدُهَا الْمَرْءُ وَأَطْيَبُ الْكَلَامِ وَالْعَقَائِدُ: كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَاعْتِقَادُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. وَأَخْبَثُ الْكَلَامِ وَالْعَقَائِدُ: كَلِمَةُ الشَّرْكِ وَهُوَ اتِّخَاذُ إِلَهٍ مَعَ اللهِ. فَإِنَّ ذَلِكَ بَاطِلٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

بخلاف الكلمة الطيبة: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ مع زيادة عمله يزيد إيقانه، ومع زيادة يقينه يرتفع شأنه، أمّا هذه كُلمة عمَل لا يزداد إلا ضلالاً وبعداً، ﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦].

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * أَوْ كظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَأَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ . فَذَكَرَ سُبْحَانَهُ مَثَلَيْنِ .

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذان المثلان أحدهما للجهل المركب، والثاني للجهل البسيط.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

(أَحَدُهُمَا: مَثَلُ الْكُفْرِ وَالْجَهْلِ الْمُرَكَّبِ الَّذِي يَحْسَبُهُ صَاحِبُهُ مَوْجُودًا وَفِي الْوَاقِعِ يَكُونُ خَيَالًا مَعْدُومًا كَالسَّرَابِ وَأَنَّ الْقَلْبَ عَطْشَانٌ إِلَى الْحَقِّ كَعَطَشِ الْجَسَدِ إِلَى الْمَاءِ . فَإِذَا طَلَبَ مَا ظَنَّهُ مَاءً وَجَدَهُ سَرَابًا وَوَجَدَ اللهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ . وَهَكَذَا تَجِدُ عَامَّةَ هَؤُلَاءِ الْخَارِجِينَ عَنِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ .

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

﴿كَسْرَابٍ﴾ وهو الميدان المستوي الذي، ﴿بِقِيعَةٍ﴾ القيعان، السراب هذا الذي يظنه ماء، ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً﴾ الظمان المتعطش إلى الحق، الذي يبحث عن الحق، يحسبه هو المطلوب، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ﴾ فهو يظنه ماءً ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ هذا مثال الكفر والجهل والمركب.

الجاهل يظن -الجهل المركب- لا يدري عن شيء ومع ذلك يظن أنه يدري، ما يدري ويظن أنه

يدري، ليس هناك شيء، ويظن أن هناك شيء، هذا مثال للجهل المركب.

والمثل الثاني؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْمَثَلُ الثَّانِي: مَثَلُ الْكُفْرِ وَالْجَهْلِ الْبَسِيطِ الَّذِي لَا يَتَبَيَّنُ فِيهِ صَاحِبُهُ حَقًّا وَلَا يَرَى فِيهِ هُدًى وَالْكَفْرُ الْمُرَكَّبُ مُسْتَلَزِمٌ لِلْبَسِيطِ، وَكُلُّ كُفْرٍ فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ جَهْلٍ مُرَكَّبٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هنا في قوله: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَاهَا﴾ [النور: ٤٠]، لم يكذب يده مع قربها، إذا لا يرى شيء هو، ليس مثل الأول، ليس هناك شيء ويظن أن هناك شيء، أما هذا فهو جهل بسيط.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَضَرَبَ اللهُ سُبْحَانَهُ الْمَثَلَيْنِ بِذَلِكَ لِيُبَيِّنَ حَالَ الْإِعْتِقَادِ الْفَاسِدِ وَيُبَيِّنَ حَالَ عَدَمِ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ - وَهُوَ يُشْبِهُ حَالَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ - حَالَ الْمُصَمِّمِ عَلَى الْبَاطِلِ حَتَّى يَحِلَّ بِهِ الْعَذَابُ وَحَالَ الضَّالِّ الَّذِي لَا يَرَى طَرِيقَ الْهُدَى. فَسَأَلَ اللهُ الْعَظِيمَ أَنْ يُثَبِّتَنَا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.

وَمِنْ أَمْثَلَةٍ قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(من أمثلة ذلك) ذلك الإشارة إلى ماذا؟ إلى ما هو فاسد، باطل وليس بشيء ويظن أنه علم، وأن فيه الحقيقة وأن فيه شيء أو أنه هو كل شيء، مثل ما رأيناه عند المتكلمين ومثل ما رأيناه عند ابن الفارض الذي عند الموت عرف الحقيقة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ومن أمثلة هذا ما ينسبُهُ كَثِيرٌ مِنْ أَتْبَاعِ الْمَشَايخِ وَالصُّوفِيَّةِ إِلَى الْمَشَايخِ الصَّادِقِينَ: مِنَ الْكُذْبِ وَالْمُحَالِ أَوْ يَكُونُ مِنْ كَلَامِهِمْ الْمُتَشَابِهِ الَّذِي تَأَوَّلُوهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ أَوْ يَكُونُ مِنْ غَلَطَاتِ بَعْضِ الشُّيُوخِ وَرَلَاتِهِمْ أَوْ مِنْ ذُنُوبِ بَعْضِهِمْ وَخَطِيئَتِهِمْ مِثْلُ: كَثِيرٌ مِنَ الْبِدَعِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

ذكر شيخ الإسلام هنا أربعة أمور:

أولاً: هذا الذي نُسِبَ إلى المشائخ الصادقين الذين لم يُعرفوا بالحلول والاتحاد، أو لا قد يكون كذباً.

ثانياً: قد يكون من كلامهم المُتشابه الذي تأولهُ هذا الذي نقل على غير تأويله.

ثالثاً: وقد يكون من غلطات بعض الشيوخ وزلاتهم، فيه خطأ.

رابعاً: وقد يكون الخطأ عميقاً عبّر عنه بالذنوب: (أو من ذنوب بعضهم وخطئهم) ليست زلة وإنما ذنب.

قال المصنف رحمه الله:

مِثْلُ: كَثِيرٍ مِنَ الْبِدَعِ وَالْفُجُورِ الَّذِي يَفْعَلُهُ بَعْضُهُمْ بِتَأْوِيلِ سَائِعٍ أَوْ بَوَجْهِ غَيْرِ سَائِعٍ، فَيُعْفَى عَنْهُ أَوْ يُتُوبُ مِنْهُ أَوْ يَكُونُ لَهُ حَسَنَاتٌ يُغْفَرُ لَهَا بِهَا أَوْ مَصَائِبُ يُكْفَرُ عَنْهَا بِهَا، أَوْ يَكُونُ مِنْ كَلَامِ الْمُتَشَبِّهِينَ بِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ.

قال الشارح وفقه الله:

إلى هنا كان يتحدث عن الصادقين، حتى ولو وقوعوا فيما وقوعه من الذنوب المُحقَّقة فلهم من الحسنات ما يُغفر لهم بها، الآن يتحدث عن الذي يتشبهون بهم.

قال المصنف رحمه الله:

أَوْ يَكُونُ مِنْ كَلَامِ الْمُتَشَبِّهِينَ بِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ مِنْ ذَوِي الزَّهَادَاتِ وَالْعِبَادَاتِ وَالْمَقَامَاتِ، وَلَيْسَ هُوَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ، بَلْ مِنْ الْجَاهِلِينَ الظَّالِمِينَ الْمُعْتَدِينَ أَوْ الْمُنَافِقِينَ أَوْ الْكَافِرِينَ، وَهَذَا كَثِيرٌ مَلَأَ الْعَالَمَ تَجِدُ كُلَّ قَوْمٍ يَدْعُونَ مِنَ الْإِخْتِصَاصِ بِالْأَسْرَارِ وَالْحَقَائِقِ مَا لَا يَدْعِي الْمُرْسَلُونَ وَأَنَّ ذَلِكَ عِنْدَ خَوَاصِّهِمْ وَأَنَّ ذَلِكَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَابَلَ إِلَّا بِالتَّسْلِيمِ.

قال الشارح وفقه الله:

هكذا يقولون، الذي يُناقشهم يقولون: أنت في وادٍ ونحن في وادٍ، ما عندنا من التحقيق لا يُقابَل إلا بالتسليم، وبذلك ستنتال هذا التحقيق وهذا العرفان، أمّا إذا بدأت تعترض فعندهم مقولة: (لا تعترض

فتنطرد) تنطرد من ساعة التحقيق.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَيَحْتَجُّونَ لِذَلِكَ بِأَحَادِيثَ مَوْضُوعَةٍ وَتَفْسِيرَاتٍ بَاطِلَةٍ. مِثْلُ قَوْلِهِمْ عَنْ عُمَرَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَحَدَّثُ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ بِحَدِيثٍ وَكُنْتُ كَالزَّنَجِيِّ بَيْنَهُمَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللهُ:

سُبْحَانَ اللهِ هَذَا الْحَدِيثُ الْمَوْضُوعُ، بَعْضُ الْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ مَا تَجَدُّهَا فِي كُتُبِ الْمَوْضُوعَاتِ، وَهَذَا الَّذِي لَا تَجَدُّهُ فِي كُتُبِ الْمَوْضُوعَاتِ عِنْدَهُمْ مِثْلَ الْمُتَوَاتِرِ.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَيَجْعَلُونَ عُمَرَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَصَدِيقِهِ كَالزَّنَجِيِّ وَهُوَ حَاضِرٌ يَسْمَعُ الْكَلَامَ، ثُمَّ يَدَّعِي أَحَدُهُمْ أَنَّهُ عَلِمَ ذَلِكَ بِمَا قُدِّفَ فِي قَلْبِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللهُ:

إِذَا كَانَ عُمَرُ مَا يَدْرِي - هُوَ كَالزَّنَجِيِّ بَيْنَهُمَا - مَا يَفْهَمُ مَا يَدُورُ بَيْنَهُمَا، أَنْتَ كَيْفَ عَرَفْتَ؟ (ثم يدعي أحدهم أنه علم ذلك بما قُدِّفَ في قلبه) لن يُقَدِّفَ في قلب عمر، أمّا في قلبه قُدِّفَ!

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَيَدَّعِي كُلُّ مِنْهُمْ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ مَا يَقُولُهُ مِنَ الزُّورِ وَالْبَاطِلِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللهُ:

أَنَّ (ذَلِكَ) أَي هَذَا الَّذِي كَانَ يَدُورُ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَبَيْنَ أَبِي بَكْرٍ، هُوَ هَذَا، وَهَذَا الَّذِي عِنْدَهُ مِنَ الزُّورِ

وَالْبَاطِلِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَوْ ذَكَرْتُ مَا فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ أَصْنَافِ الدَّعَاوَى الْبَاطِلَةِ لَطَالَ. فَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُ لِلشَّيْخِ قَصَائِدَ

يُسَمِّيهَا " جَنِيْبَ الْقُرْآنِ " .

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يُسَمِّيهَا (جنيب القرآن) مع أنها هي الأصل، الجنيب هو البعير الذي تستبقه إذا تعب البعير غير الذي تركه، هذا جنيب للاحتياط، وليس هو الأصل، الأصل الثاني، أمّا هذا الذي يُسميه جنيب القرآن، يقول: "اقرأ القرآن إذا تعبت أخذ شيء من الراحة في هذه القصيدة، لا لا، هي الأصل يُسميه جنيب القرآن، لَمَّا أتعب مع القرآن؛ آخذ....."

لا، يقول شيخ الإسلام: (ويكون.....).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَيَكُونُ وَجْدُهُ بِهَا وَفَرَحُهُ بِمَضْمُونِهَا أَعْظَمَ مِنَ الْقُرْآنِ وَيَكُونُ فِيهَا مِنَ الْكُذْبِ وَالضَّلَالِ أُمُورٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

سُبْحَانَ اللهِ هَذَا الَّذِي جَرَبَ كَمَا يَقُولُ الرَّازِي: "ومن جرَب تجربتي عرف معرفتي" الذي يُتلى بهذه التي تُسمى بالأناشيد الإسلامية لا يكاد يجد راحة مع القرآن أبداً، مع نومه ويقظته هذه القصائد هي التي ...

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُ لَهُ قَصَائِدَ فِي الْإِتِّحَادِ وَأَنَّهُ خَالِقُ جَمِيعِ الْخَلْقِ، وَأَنَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَأَنَّهُ

يَسْجُدُ لَهُ وَيَعْبُدُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

نعم، هذا كما سبق في نظم السلوك عند ابن الفارض.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمِنْهُمْ مَنْ يَصِفُ رَبَّهُ فِي قَصَائِدِهِ بِمَا نُقِلَ فِي الْمَوْضُوعَاتِ مِنْ أَصْنَافِ التَّمَثِيلِ وَالتَّكْيِيفِ وَالتَّجْسِيمِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(بِمَا نُقِلَ فِي الْمَوْضُوعَاتِ) أَي فِي الْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ، هُنَاكَ أَحَادِيثُ مَوْضُوعَةٌ فِيهَا تَمَثِيلُ اللَّهِ ﷻ

وَذَكَرَ كَيْفِيَاتِهِ، يَجْعَلُهُ هُوَ الْأَصْلُ وَيَصِفُ الرَّبَّ فِي قَصَائِدِهِ بِمَا وَرَدَ فِي تِلْكَ الْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ مِنْ أَصْنَافِ التَّمَثِيلِ وَالتَّكْيِيفِ وَالتَّجْسِيمِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الَّتِي هِيَ كَذِبٌ مُفْتَرَى وَكُفْرٌ صَرِيحٌ: مِثْلُ مَوَاكِلَتِهِ وَمُشَارِبَتِهِ وَمُمَاشَاتِهِ وَمُعَانَقَتِهِ وَنُزُولِهِ إِلَى الْأَرْضِ

وَقُعُودِهِ فِي بَعْضِ رِيَاضِ الْأَرْضِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طَبَعًا شَيْخُ الْإِسْلَامِ هُنَا يَسْرُدُ هَكَذَا لَيْسَ الْمَوْضِعُ مَوْضِعَ تَفْصِيلٍ، هُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْوَاقِعِ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَيَجْعَلُ كُلُّ مِنْهُمْ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْرَارِ الْمَخْزُونَةِ وَالْعُلُومِ الْمُصُونَةِ الَّتِي تَكُونُ لِخَوَاصِّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ

الْمُتَّقِينَ. وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ: أَنَّكَ تَجِدُ عِنْدَ الرَّافِضَةِ وَالْمُتَشَيْعَةِ وَمَنْ أَخَذَ عَنْهُمْ مِنْ دَعْوَى عُلُومِ الْأَسْرَارِ

وَالْحَقَائِقِ الَّتِي يَدَّعُونَ أَخَذَهَا عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ إِمَّا مِنَ الْعُلُومِ الدِّيْنِيَّةِ وَإِمَّا مِنْ عِلْمِ الْحَوَادِثِ الْكَائِنَةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(علم الحوادث الكائنة) أي ما سيكون.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

مَا هُوَ عِنْدَهُمْ مِنْ أَجْلِ الْأُمُورِ الَّتِي يَجِبُ التَّوَاصِي بِكَيْتَمَانِهَا وَالْإِيْمَانِ بِمَا لَا يَعْلَمُ حَقِيقَتَهُ مِنْ ذَلِكَ. وَجَمِيعُهَا كَذِبٌ مُخْتَلَقٌ وَإِفْكٌ مُفْتَرَى.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يقول: إذا فهمت جيد، ما فهمت؛ تؤمن به (وَالْإِيْمَانِ بِمَا لَا يَعْلَمُ حَقِيقَتَهُ مِنْ ذَلِكَ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ " الرَّافِضَةَ " مِنْ أَكْثَرِ الطَّوَائِفِ كَذِبًا وَادِّعَاءً لِلْعِلْمِ الْمَكْتُومِ وَلِهَذَا انْتَسَبَتْ إِلَيْهِمُ الْبَاطِنِيَّةُ وَالْقَرَامِطَةُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أولهم وهو ابن سبأ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهُؤُلَاءِ خَرَجَ أَوْلَهُمْ فِي زَمَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَصَارُوا يَدْعُونَ أَنَّهُ خُصَّ بِأَسْرَارٍ مِنَ الْعُلُومِ وَالْوَصِيَّةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(أَنَّهُ) يعني علي بن أبي طالب، (خُصَّ بِأَسْرَارٍ مِنَ الْعُلُومِ وَالْوَصِيَّةِ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

حَتَّى كَانَ يَسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ حَوَاصُّ أَصْحَابِهِ

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يسمعون منه، فيذهبون إليه ويسألونه هل هذا صحيح؟

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فِيخْبِرُهُمْ بِانْتِفَاءِ ذَلِكَ. وَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ ذَلِكَ قَدْ قِيلَ كَانَ يَخْطُبُ النَّاسَ وَيَنْفِي ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ.
وَقَدْ حَرَّجَ أَصْحَابُ الصَّحِيحِ كَلَامَ عَلِيِّ هَذَا مِنْ غَيْرِ وَجْهِ مِثْلُ مَا فِي الصَّحِيحِ عَنْ "أَبِي جَحِيْفَةَ" قَالَ:
«سَأَلْتُ عَلِيًّا هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ؟ فَقَالَ: لَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا عِنْدَنَا إِلَّا مَا فِي
الْقُرْآنِ إِلَّا فَهَمَّا يُعْطِيهِ اللهُ الرَّجُلَ فِي كِتَابِهِ وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيْفَةِ. قُلْتُ: وَمَا فِي الصَّحِيْفَةِ؟ قَالَ: الْعَقْلُ
وَفِكَالُ الْأَسِيرِ، وَأَنَّ لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ».

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

(العقل) الدية.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَفْظُ الْبُخَارِيِّ: «هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْوَحْيِ غَيْرُ مَا فِي كِتَابِ اللهِ؟ قَالَ: لَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ
النَّسَمَةَ مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا فَهَمَّا يُعْطِيهِ اللهُ رَجُلًا فِي الْقُرْآنِ».

وَفِي "الصَّحِيْحَيْنِ" عَنْ إِبْرَاهِيمَ التِّيمِيِّ عَنْ أَبِيهِ - وَهَذَا مِنْ أَصْحَحِ إِسْنَادِ عَلِيٍّ وَجْهِ الْأَرْضِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

(أصح الأسانيد) كثيرة يعني، أصح الأسانيد، عندهم كذا وعندهم كذا، وهذا من أصح الأسانيد.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: «مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ إِلَّا كِتَابُ اللهِ وَهَذِهِ الصَّحِيْفَةُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِيْنَةُ حَرَامٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى
ثَوْرِ». وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «خَطَبَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ عِنْدَنَا كِتَابًا نَقَرُوهُ إِلَّا كِتَابَ اللهِ وَمَا
فِي هَذِهِ الصَّحِيْفَةِ - قَالَ: وَصَحِيْفَتُهُ مُعَلَّقَةٌ فِي قِرَابِ سَيْفِهِ - فَقَدْ كَذَبَ فِيهَا أَسْنَانُ الْإِبْلِ وَأَشْيَاءٌ مِنْ
الْجِرَاحَاتِ وَفِيهَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمَدِيْنَةُ حَرَامٌ..» الْحَدِيثَ.

وَأَمَّا الْكُذْبُ وَالْأَسْرَارُ الَّتِي يَدْعُونَهَا عَنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ: فَمِنْ أَكْبَرِ الْأَشْيَاءِ كَذِبًا حَتَّى يُقَالَ: مَا كُذِبَ
عَلَى أَحَدٍ مَا كُذِبَ عَلَى جَعْفَرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وَمِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الْمُضَافَةِ كِتَابُ "الْجَفْرِ" الَّذِي يَدْعُونَ أَنَّهُ

كَتَبَ فِيهِ

الْحَوَادِثَ وَالْجَفْرُ: وَلَدُ الْمَاعِزِ. يَزْعُمُونَ أَنَّهُ كَتَبَ ذَلِكَ فِي جِلْدِهِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

يعني جدول لما سيكون في هذا الكتاب.

قال المصنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَكَذَلِكَ كِتَابُ الْبِطَاقَةِ الَّذِي يَدَّعِيهِ ابْنُ الْحَلِيِّ وَنَحْوُهُ مِنَ الْمَغَارِبَةِ وَمِثْلُ كِتَابِ: "الْجَدْوَلِ" فِي الْهَلَالِ

وَالْهَفْتِ عَنْ جَعْفَرٍ وَكَثِيرٍ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ.

وَمِثْلُ كِتَابِ "رَسَائِلِ إِخْوَانِ الصِّفَا" الَّذِي صَنَفَهُ جَمَاعَةٌ فِي دَوْلَةِ بَنِي بُوَيْهٍ بِبَغْدَادَ وَكَانُوا مِنَ الصَّابِئَةِ

الْمُتَفَلِّسَةِ الْمُتَحَنِّفَةِ، جَمَعُوا بِزَعْمِهِمْ بَيْنَ دِينِ الصَّابِئَةِ الْمُبَدِّلِينَ وَبَيْنَ الْحَنِيفِيَّةِ، وَأَتَوْا بِكَلَامِ الْمُتَفَلِّسَةِ

وَبِأَشْيَاءَ مِنَ الشَّرِيعَةِ، وَفِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْجَهْلِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ طَائِفَةً مِنَ النَّاسِ - مِنْ بَعْضِ أَكْبَرِ

قُضَاةِ النَّوَاحِي - يَزْعُمُونَ أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ. وَهَذَا قَوْلُ زَنْدِيقٍ وَتَشْنِيعُ جَاهِلٍ.

وَمِثْلُ مَا يَذْكُرُهُ بَعْضُ الْعَامَّةِ مِنْ مَلَا حِمِ "ابْنِ غَنْضِبِ"؛ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ كَانَ مُعَلِّمًا لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ.

وَهَذَا شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ فِي الْوُجُودِ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَمَلَا حِمِ "ابْنِ غَنْضِبِ" إِنَّمَا صَنَفَهَا بَعْضُ الْجُهَّالِ فِي

دَوْلَةِ نُورِ الدِّينِ وَنَحْوِهَا وَهُوَ شِعْرٌ فَاسِدٌ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ نَاطِمَهُ جَاهِلٌ.

وَكَذَلِكَ عَامَّةً هَذِهِ الْمَلَا حِمِ الْمَرْوِيَّةِ بِالنَّظْمِ وَنَحْوِهِ عَامَّتُهَا مِنَ الْأَكَاذِبِ، وَقَدْ أُحْدِثَ فِي زَمَانِنَا مِنْ

الْقُضَاةِ وَالْمَشَايخِ غَيْرُ وَاحِدَةٍ مِنْهَا، وَقَدْ قَرَّرْتُ بَعْضَ هَؤُلَاءِ عَلَى ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ ادَّعَى قِدَمَهَا وَقُلْتُ لَهُ: بَلْ

أَنْتَ صَنَفْتَهَا وَلَبَّسْتَهَا.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

(قررت) يعني خليته يُقر، كان يدعي أن هذا قديم، فخليته يُقر أن هذا من كلامه هو، ومع ذلك ينسبه

إلى القدماء.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ قَرَّرْتُ بَعْضَ هَؤُلَاءِ عَلَى ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ ادَّعَى قِدَمَهَا / وَقُلْتُ لَهُ: بَلْ أَنْتَ صَنَّفْتَهَا وَلَبَّسْتَهَا، عَلَى بَعْضِ مُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا كَانَ الْمُسْلِمُونَ مُحَاصِرِي عَكَّةَ وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ مِنَ الْقَضَاةِ وَغَيْرِهِمْ لَبَّسُوا عَلَى غَيْرِ هَذَا الْمَلِكِ.

وَبَابُ الْكُذْبِ فِي الْحَوَادِثِ الْكُونِيَّةِ أَكْثَرُ مِنْهُ فِي الْأُمُورِ الدِّيْنِيَّةِ، لِأَنَّ تَشَوُّفَ الَّذِينَ يُغَلَّبُونَ الدُّنْيَا عَلَى الدِّينِ إِلَى ذَلِكَ أَكْثَرُ، وَإِنْ كَانَ لِأَهْلِ الدِّينِ إِلَى ذَلِكَ تَشَوُّفٌ لَكِنَّ تَشَوُّفَهُمْ إِلَى الدِّينِ أَقْوَى، وَأَوْلَيْكَ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْفُرْقَانِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ مِنَ النُّورِ مَا لِأَهْلِ الدِّينِ. فَلِهَذَا كَثُرَ الْكُذَّابُونَ فِي ذَلِكَ وَنَفَقَ مِنْهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ وَأُكِلَتْ بِهِ أَمْوَالٌ عَظِيمَةٌ بِالْبَاطِلِ، وَقُتِلَتْ بِهِ نَفُوسٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْمُتَشَوِّفَةِ إِلَى الْمُلْكِ وَنَحْوِهَا. وَلِهَذَا يُنَوِّعُونَ طُرُقَ الْكُذْبِ فِي ذَلِكَ وَيَتَعَمَّدُونَ الْكُذْبَ فِيهِ تَارَةً بِالْإِحَالَةِ عَلَى الْحَرَكَاتِ وَالْأَشْكَالِ الْجُسْمَانِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ مِنْ حَرَكَاتِ الْأَفْلَاكِ وَالْكَوَاكِبِ وَالشُّهْبِ وَالرُّعُودِ وَالْبُرُوقِ وَالرِّيَّاحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني إذا كان الكوكب الفلاني كذا كذا فسيكون كذا وكذا، وإذا كانت الشُّهْبِ والرُّعُودِ بالوقت الفلاني وبالكيفية الفلانية فسيكون كذا، هكذا يكذبون.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَتَارَةً بِمَا يُحْدِثُونَهُ هُمْ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالْأَشْكَالِ كَالضَّرْبِ بِالرَّمْلِ وَالْحَصَا وَالشَّعِيرِ وَالْقُرْعَةِ بِالْيَدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مِنْ جِنْسِ الْإِسْتِقْسَامِ بِالْأَزْلَامِ؛ فَإِنَّهُمْ يَطْلُبُونَ عِلْمَ الْحَوَادِثِ بِمَا يَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا الْإِسْتِقْسَامِ بِهَا سِوَاءُ كَانَتْ قِدَاحًا أَوْ حَصَى أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالتَّفْسِيرِ، فَكُلُّ مَا يُحْدِثُهُ الْإِنْسَانُ بِحَرَكَةٍ مِنْ تَغْيِيرِ شَيْءٍ مِنَ الْأَجْسَامِ لِيَسْتَخْرِجَ بِهِ عِلْمَ مَا يَسْتَقْبَلُهُ فَهُوَ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

نعم، كل ما يحدثه الإنسان بحركة من تغيير شيء من الأجسام سواء الخطوط ف الرمل وفي التراب وفي غيرها؛ ليستخرج به علم ما يجهله؛ فهو من هذا الجنس كلها، ولكنها تنفق.

الطالب:

الشيخ: لا، من الباطل، من هذا الجنس.

قال المصنف رحمه الله:

بخلاف الفأل الشرعي، وهو الذي كان يُعجبُ النبي ﷺ وهو أن يخرج مُتوكِّلاً على الله فيسمعُ الكلمة الطيبة: «وكان يُعجبُه الفأل ويكرهه الطيرة»، لأنَّ الفأل تقويةٌ لما فعله بإذنِ الله والتوكُّلِ عليه والطيرةُ معارضةٌ لذلك فيكرهه للإنسان أن يتطير، وإنما تضرُّ الطيرة من تطير، لأنه أضرَّ نفسه، فأما المتوكِّلُ على الله فلا، وليس المقصودُ ذكر هذه الأمور وسبب إصابتها تارةً وخطئها تاراتٍ، وإنما الغرضُ أنهم يتعمَّدون فيها كذباً كثيراً من غير أن تكون قد دلت على ذلك دلالةً كما يتعمَّد خلق كثير الكذب في الرؤيا التي منها الرؤيا الصالحة وهي جزءٌ من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وكما كانت الجنُّ تخلطُ بالكلمة تسمعها من السماء مائة كذبة ثم تلقِيها إلى الكهان. ولهذا ثبت في "صحيح مسلم" عن معاوية بن الحكم السلمي قال: قلت: يا رسول الله إنني حديث عهدٍ بجاهليةٍ وقد جاء الله بالإسلام وإن منَّا رجالاً يأتون الكهان. قال: فلا تأتِهم. قال: قلت: ومنا رجالٌ يتطرون. قال: ذاك شيءٌ يجدونه في صدورهم فلا يُصدُّهم.

قال الشارح وفقه الله:

قد لا يستطيعون أن يدفعوا هذا الذي يجدوه في نفوسهم، المهم لا يصدنَّهم عما قصدوا.

قال المصنف رحمه الله:

قال: قلت: ومنا رجالٌ يخطون. قال: «كان نبيٌّ من الأنبياء يخطُّ فمَنْ وافق خطه فذاك».

قال الشارح وفقه الله:

يعني هذا للتعجيز: (كان نبي من الأنبياء يخط) هل يُمكنك أن توافق خطه؟ مستحيل؛ إذا من وافق

خطه صحيح، ولا يُمكن أن توافق خطه، المعنى: لا تفعل.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِذَا كَانَ مَا هُوَ مِنْ أَجْزَاءِ النَّبَوَّةِ وَمِنْ أَخْبَارِ الْمَلَائِكَةِ مَا قَدْ يَتَعَمَّدُ فِيهِ الْكَذِبُ الْكَثِيرُ فَكَيْفَ بِمَا هُوَ فِي نَفْسِهِ مُضْطَرَبٌ لَا يَسْتَقِرُّ عَلَى أَصْلٍ؟ فَلِهَذَا تَجِدُ عَامَّةَ مَنْ فِي دِينِهِ فَسَادٌ يَدْخُلُ فِي الْأَكَاذِبِ الْكُونِيَّةِ مِثْلُ أَهْلِ الْإِتِّحَادِ. فَإِنَّ ابْنَ عَرَبِيٍّ - فِي كِتَابِ "عَنْقَاءِ مُغْرِبٍ" وَغَيْرِهِ - أَخْبَرَ بِمُسْتَقْبَلَاتٍ كَثِيرَةٍ عَامَّتُهَا كَذِبٌ وَكَذَلِكَ ابْنُ سَبْعِينَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ اسْتَخْرَجُوا مَدَّةَ بَقَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ حِسَابِ الْجَمَلِ مِنْ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ الَّذِي وَرَثُوهُ مِنَ الْيَهُودِ وَمِنْ حَرَكَاتِ الْكَوَاكِبِ الَّذِي وَرَثُوهُ مِنَ الصَّابِئَةِ، كَمَا فَعَلَ أَبُو نَصْرِ الْكِنْدِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أبو نصر الكندي من الفلاسفة المعروفين، أشهر فيلسوف من العرب ومن قدمائهم، أكثر هؤلاء الفلاسفة من غير العرب، هذا منهم.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَمَا فَعَلَ بَعْضُ مَنْ تَكَلَّمَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ مِنْ أَصْحَابِ الرَّازِيِّ، وَمَنْ تَكَلَّمَ فِي تَأْوِيلِ وَقَائِعِ النَّسَاكِ مِنَ الْمَائِلِينَ إِلَى التَّشْيِيعِ.

وَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ أَتْبَاعِ هَؤُلَاءِ طَوَائِفَ يَدَّعُونَ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ مِنَ الْأَسْرَارِ الْمَخْزُونَةِ وَالْعُلُومِ الْمَصُونَةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذه الأمور التي هي جهالات وسخافات، هذه عندهم من الأسرار المخزونة والعلوم المصونة.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَخَاطَبْتُ فِي ذَلِكَ طَوَائِفَ مِنْهُمْ، وَكُنْتُ أَحْلِفُ لَهُمْ أَنَّ هَذَا كَذِبٌ مُفْتَرَى، وَأَنَّهُ لَا يَجْرِي مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ شَيْءٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

بعض الناس قد تأخذه الرهبة في هذه الأمور، قد يكون قد يحصل، لا لا، لن يحصل، وهذا هو

الإيمان وهذا هو اليقين.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكُنْتُ أَحْلِفُ لَهُمْ أَنَّ هَذَا كَذِبٌ مُفْتَرَى، وَأَنَّهُ لَا يَجْرِي مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ شَيْءٌ، وَطَلَبْتُ مُبَاهَلَةَ بَعْضِهِمْ - لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ مُتَعَلِّقًا بِأُصُولِ الدِّينِ - وَكَانُوا مِنَ الْإِتِّحَادِيَّةِ الَّذِينَ يَطُولُ وَصْفُ دَعَاوِيهِمْ، فَإِنَّ شَيْخَهُمُ الَّذِي هُوَ عَارِفٌ وَقْتِهِ وَزَاهِدُهُ عِنْدَهُمْ: كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ الَّذِي يَنْزِلُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يقول المُحقق هو ابن هود.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَنَّ مَعْنَى ذَلِكَ نَزُولُ رُوحَانِيَّةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

كانوا يزعمون أنه هو المسيح، ومعنى (نزوله) نزول روحانية عيسى وليس نزوله بعينه.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَنَّ أُمَّهُ اسْمُهَا مَرِيَمُ وَأَنَّهُ يَقُومُ بِجَمْعِ الْمِلَلِ الثَّلَاثِ: وَأَنَّهُ يَظْهَرُ مَظْهَرًا أَكْمَلَ مِنْ مَظْهَرِ مُحَمَّدٍ وَغَيْرِهِ مِنْ الْمُرْسَلِينَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لماذا؟ لأنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظَهَرَ بِمَظْهَرِ الْإِسْلَامِ فَقَطْ، أَمَّا هَذَا الزَّنْدِيقُ يَظْهَرُ بِمَظْهَرِ الْمِلَلِ الثَّلَاثِ، يُمَثِّلُ الْإِسْلَامَ وَالْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ!

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَهُمْ مَقَالَاتٌ مِنْ أَعْظَمِ الْمُنْكَرَاتِ يَطُولُ ذِكْرُهَا وَوَصْفُهَا، ثُمَّ إِنَّ مِنْ عَجِيبِ الْأَمْرِ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمِينَ الْمُدَّعِينَ لِحَقَائِقِ الْأُمُورِ الْعِلْمِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ الْمُخَالَفِينَ لِللسَّنةِ وَالْجَمَاعَةِ يَخْتَجُّ كُلُّ مِنْهُمْ بِمَا يَقَعُ لَهُ مِنْ حَدِيثٍ مَوْضُوعٍ أَوْ مُجْمَلٍ لَا يُفْهَمُ مَعْنَاهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إذا وجد حديثاً موضوعاً فيما يوافقهُ يَطِيرُ بِهِ فرحاً؛ لَأَنَّهُ وَجَدَ فِي أَقْلِ الْأَحْوَالِ حَدِيثًا موضوعاً، وأما الأحاديث الصحيحة فهيئات لن يجد، لكن إذا وجد حديثاً موضوعاً يفرح به.

(أو مُجْمَل) أقل شيء (لا يُفهم معناه) هذه يُوظفه فيما يُريده.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكُلَّمَا وَجَدَ أَثْرًا فِيهِ إِجْمَالٌ نَزَلَهُ عَلَيَّ رَأْيُهُ فَيَحْتَجُّ بَعْضُهُمْ بِالْمَكْذُوبِ مِثْلِ الْمَكْذُوبِ الْمَنْسُوبِ إِلَى عُمَرَ "كُنْتُ كَالزَّنَجِيِّ، وَمِثْلُ مَا يَرُؤُونَهُ مِنْ سِرِّ الْمِعْرَاجِ وَمَا يَرُؤُونَهُ مِنْ أَنَّ أَهْلَ الصُّفَّةِ سَمِعُوا الْمُنَاجَاةَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ الرَّسُولُ. فَلَمَّا نَزَلَ الرَّسُولُ أَخْبَرُوهُ فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ سَمِعْتُمْ؟ فَقَالُوا: كُنَّا نَسْمَعُ الْخِطَابَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يروون من أهل الصفة أنهم سمعوا المناجاة من حيث لا يشعر الرسول، المناجاة في المعراج وهو هناك وهؤلاء يسمعون، فلما نزل الرسول هم أخبروه أنت ترى كذا وكذا، رُحِتَ إِلَى كَذَا وَكَذَا، وَأَخْبَرُوهُ بِالتفصيل، وقال: (مِنْ أَيْنَ سَمِعْتُمْ؟ فَقَالُوا: كُنَّا نَسْمَعُ الْخِطَابَ)، وهذا يروج على هؤلاء.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

حَتَّى أَنِّي لَمَّا بَيَّنْتُ لِطَائِفَةٍ - تَمَشِيحُوا وَصَارُوا قُدُورَةً لِلنَّاسِ: أَنَّ هَذَا كَذِبٌ مَا خَلَقَهُ اللهُ قَطُّ. قُلْتُ: وَبَيِّنْ لَكَ ذَلِكَ أَنَّ الْمِعْرَاجَ كَانَ بِمَكَّةَ بِنَصِّ الْقُرْآنِ وَبِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَالصُّفَّةُ إِنَّمَا كَانَتْ بِالْمَدِينَةِ، فَمِنْ أَيْنَ كَانَ بِمَكَّةَ أَهْلُ صُفَّةٍ؟.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أهل الصفة إلى الآن لم يُخلقوا، أو خُلِقُوا، ولكنهم لم يأتوا إلى الصفة عند المعراج لم يكونوا موجودين أصلاً.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ احْتِجَّاجُهُمْ بِأَنَّ أَهْلَ الصُّفَّةِ قَاتَلُوا النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ مَعَ الْمُشْرِكِينَ لَمَّا انْتَصَرُوا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أولاً: أهل الصفة كانوا مع النبي ﷺ خرجوا للجهاد، ولكن لما انتصر المشركون عرفوا أن الحق معهم فانحازوا إليهم ليقاتلوا النبي ﷺ، ليقولوا: أن المراد الكوني محبوب عند الله ﷻ، ما دام أولئك انتصروا فالحق معهم، سبحان الله!

قال المصنف رحمه الله:

وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ مَعَ اللَّهِ لِيَحْتَجُّوا بِذَلِكَ عَلَى مُتَابَعَةِ الْوَاقِعِ سِوَاءَ كَانَتْ طَاعَةً لِلَّهِ أَوْ مَعْصِيَةً، وَلِيَجْعَلُوا حُكْمَ دِينِهِ هُوَ مَا كَانَ كَمَا قَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾، وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْمَوْضُوعَاتِ كَثِيرَةٌ.

وَأَمَّا الْمُجْمَلَاتُ فَمِثْلُ اخْتِجَاجِهِمْ بِنَهْيِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ عَنْ ذِكْرِ بَعْضِ خَفِيِّ الْعِلْمِ كَقَوْلِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ وَدَعُوا مَا يُنْكِرُونَ أَتَجِبُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟».

وَقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يُحَدِّثُ قَوْمًا بِحَدِيثٍ لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ فِتْنَةً لِبَعْضِهِمْ». وَقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ الْآيَاتِ: «مَا يُؤْمِنُكَ أَنِّي لَوْ أَخْبَرْتُكَ بِتَفْسِيرِهَا كَفَرْتَ وَكُفْرُكَ بِهَا تَكْذِيبُكَ بِهَا».

قال الشارح وفقه الله:

يعني هذه الآثار فيها أن بعض الصحابة نهى بعضهم عن ذكر بعض خفي العلم مما لا تحتمله عقول البعض، يقول شيخ الإسلام: (وهذه الآثار حق، لكن؟).

قال المصنف رحمه الله:

وَهَذِهِ الْآثَارُ حَقٌّ، لَكِنْ يُنَزَّلُ كُلُّ مِنْهُمْ ذَلِكَ الَّذِي لَمْ يُحَدِّثْ بِهِ عَلَى مَا يَدْعِيهِ هُوَ مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْحَقَائِقِ الَّتِي إِذَا كُشِفَتْ وَجِدَتْ مِنَ الْبَاطِلِ وَالْكَفْرِ وَالنَّفَاقِ.

قال الشارح وفقه الله:

يدعون أن هذا الذي لم يُظهِرهُ ابن عباس، وهذا الذي لم يُظهِرهُ ابن مسعود، وهذا الذي أشار إليه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كلهم هو ذلك السر الذي عندي الآن، هكذا يدعون.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

حَتَّى إِنَّ أَبَا حَامِدٍ الْغَزَالِيَّ " فِي مِنْهَاجِ الْقَاصِدِينَ " وَعَیْرِهِ هُوَ وَأَمْثَالُهُ تَمَثَّلَ بِمَا يُرَوَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ أَنَّهُ قَالَ:

يَا رَبِّ جَوْهَرَ عِلْمٍ لَوْ أَبُوحُ بِهِ
وَلَا سَتَحَلَّ رِجَالٌ مُسْلِمُونَ دَمِي
لَقِيلَ لِي: أَنْتَ مِمَّنْ يَعْبُدُ الْوَثْنَا
يَرُونَ أَقْبَحَ مَا يَأْتُونَهُ حَسَنًا

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(يَرُونَ أَقْبَحَ مَا يَأْتُونَهُ): أَي يَرُونَ قَتْلِي حَسَنًا.

يقول هذا الذي نُسِبَ عن علي بن الحسين، وهذا كَذِبٌ نسبتُهُ إليه:

يَا رَبِّ جَوْهَرَ عِلْمٍ لَوْ أَبُوحُ بِهِ
لَقِيلَ لِي: أَنْتَ مِمَّنْ يَعْبُدُ الْوَثْنَا

لماذا لا يُقال هذا للصحابة وللأئمة وعندهم هذا الجوهر؟ - جوهر العلم - ما دام أنت تتوقع هذا فالذي عندك هذا كارثة، الذي عندك فعلاً شيء خطير.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ طُرُقَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنَ التَّحْقِيقِ وَعُلُومِ الْأَسْرَارِ مَا خَرَجُوا بِهِ عَنِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَزَعَمُوا أَنَّ تِلْكَ الْعُلُومَ الدِّينِيَّةَ أَوْ الْكُوفِيَّةَ مُخْتَصَّةٌ بِهِمْ فَأَمَّنُوا بِمُجْمَلِهَا وَمُتَشَابِهِهَا، وَأَنَّهُمْ مَنِحُوا مِنْ حَقَائِقِ الْعِبَادَاتِ وَخَالِصِ الدِّيَانَاتِ مَا لَمْ يُمْنَحِ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ حِفَاطُ الْإِسْلَامِ وَبُدُورُ الْمِلَّةِ، وَلَمْ يَتَجَرَّءُوا عَلَيْهَا بَرْدٌ وَتَكْذِيبٌ مَعَ ظُهُورِ الْبَاطِلِ فِيهَا تَارَةً. وَخَفَائِهِ أُخْرَى. فَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْعَقْلَ وَالذِّينَ يَقْتَضِيَانِ أَنَّ جَانِبَ النَّبُوءَةِ وَالرَّسَالَةِ أَحَقُّ بِكُلِّ تَحْقِيقٍ وَعِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ وَإِحَاطَةٍ بِأَسْرَارِ الْأُمُورِ وَبَوَاطِنِهَا، هَذَا لَا يُنَازَعُ فِيهِ مُؤْمِنٌ. وَنَحْنُ الْآنُ فِي مُخَاطَبَةٍ مِنْ فِي قَلْبِهِ إِيمَانٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إذا كان فعلاً ما عندك من الأسرار يتصادم مع جانب الرسالة ويتصادم مع جانب النبوة، فنحن نجزم أنه ليس علماً وليس تحقيقاً وليس عرفاناً، لماذا؟ جانب النبوة والرسالة أحق بكل تحقيق وعلم ومعرفة وإحاطة بأسرار الأمور وبواطنها، لذلك نجزم أن الذي عندك ليس كما تزعم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَأَعْلَمَ النَّاسَ بِذَلِكَ أَحْصَهُمُ بِالرَّسُولِ وَأَعْلَمَهُمْ بِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَحَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ وَمَدْخَلِهِ وَمَخْرَجِهِ وَبَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ، وَأَعْلَمَهُمْ بِأَصْحَابِهِ وَسِيرَتِهِ وَأَيَّامِهِ، وَأَعْظَمَهُمْ بَحْثًا عَنْ ذَلِكَ وَعَنْ نَقَلَتِهِ، وَأَعْظَمَهُمْ تَدْيِينًا بِهِ وَاتِّبَاعًا لَهُ وَاقْتِدَاءً بِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً أهل الأثر سيُعرّف شيخ الإسلام بهذا المُصطلح، سيأتي تعريفه - لأهل الحديث - وهذا الذي ذكره هنا أيضاً جزء من التعريف، من هم أهل الحديث؟ أولاً: مَنْ هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِمَعْرِفَةِ أَسْرَارِ النَّبِيِّ ﷺ؟ هم هؤلاء، (أَحْصَهُمُ بِالرَّسُولِ وَأَعْلَمَهُمْ بِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَحَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ وَمَدْخَلِهِ وَمَخْرَجِهِ وَبَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ، وَأَعْلَمَهُمْ بِأَصْحَابِهِ وَسِيرَتِهِ وَأَيَّامِهِ، وَأَعْظَمَهُمْ بَحْثًا عَنْ ذَلِكَ وَعَنْ نَقَلَتِهِ، وَأَعْظَمَهُمْ تَدْيِينًا بِهِ وَاتِّبَاعًا لَهُ وَاقْتِدَاءً بِهِ) هذا جزء من تعريف أهل الأثر وأهل الحديث وأنهم أولى الناس بالحق.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ حِفْظًا لَهُ وَمَعْرِفَةً بِصَحِيحِهِ وَسَقِيمِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أهل الناس به، لماذا؟ هم الذين يحفظونه، هم الذين يعرفون صحيحه وسقيمه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَفِقْهًا فِيهِ وَفَهْمًا يُؤْتِيهِ اللهُ إِيَّاهُ فِي مَعَانِيهِ وَإِيمَانًا وَتَصَدِيقًا، وَطَاعَةً وَانْقِيَادًا وَاقْتِدَاءً، وَاتِّبَاعًا مَعَ مَا يَقْتَرِنُ بِذَلِكَ مِنْ قُوَّةِ عَقْلِهِمْ وَقِيَّاسِهِمْ وَتَمْيِيزِهِمْ وَعَظِيمِ مُكَاشَفَاتِهِمْ وَمُخَاطَبَاتِهِمْ، فَإِنَّهُمْ أَسَدُ النَّاسِ نَظْرًا وَقِيَّاسًا وَرَأْيًا وَأَصْدَقُ النَّاسِ رُؤْيَا وَكَشْفًا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

الكشف والمُكاشفة التي يذكرها دائماً شيخ الإسلام؟ ما يُكشف لك من العلم بالنظر إلى الكتاب والسنة، هذا هو الكشف الصحيح، ليس هناك كشفٌ في الأمور الكونية، لأنَّ ما يُكشَفُ لك من العلم

بالنظر إلى الكتاب والسنة هذا كشفٌ صحيح، كُلَّمَا تعمقت ظهرت لك من الأسرار في القرآن وفي السنة أشياء لم تكن تخطر في بالك - الأسرار في الكتاب والسنة - هذا هو الكشف، وهذا يكون بالتدبر في الكتاب والسنة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

أَفَلَا يَعْلَمُ مَنْ لَهُ أَدْنَى عَقْلٍ وَدِينٍ أَنْ هَؤُلَاءِ أَحَقُّ بِالصِّدْقِ وَالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالتَّحْقِيقِ مِمَّنْ يُخَالِفُهُمْ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

طبعًا هذه صرخة من شيخ الإسلام.

(أفلا يعلم من له أدنى عقل ودين، أن هؤلاء أحق بالصدق والعلم والإيمان والتحقيق ممن يُخالفهم؟)

شخص يأتي ويُخالف فلانًا، لأنه من أهل الحديث ولأنه من أهل الأثر مع ذلك يكون أحق بالتحقيق والعلم أي دين هذا وأي عقل هذا؟

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

أَفَلَا يَعْلَمُ مَنْ لَهُ أَدْنَى عَقْلٍ وَدِينٍ أَنْ هَؤُلَاءِ أَحَقُّ بِالصِّدْقِ وَالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالتَّحْقِيقِ مِمَّنْ يُخَالِفُهُمْ،

وَأَنَّ عِنْدَهُمْ مِنَ الْعُلُومِ مَا يُنْكِرُهَا الْجَاهِلُ وَالْمُبْتَدِعُ، وَأَنَّ الَّذِي عِنْدَهُمْ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَأَنَّ الْجَاهِلَ

بِأَمْرِهِمْ وَالْمُخَالِفَ لَهُمْ هُوَ الَّذِي مَعَهُ مِنَ الْحَشْوِ مَا مَعَهُ وَمِنَ الضَّلَالِ كَذَلِكَ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

نعم، هو الحشوي وعنده الحشو وعنده الضلال.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا بَابٌ يَطُولُ شَرْحُهُ، فَإِنَّ النُّفُوسَ لَهَا مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ مَا لَا يَحْصُرُهُ إِلَّا ذُو الْجَلَالِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّ النَّفْسَ لَهَا مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ مَا لَا يَحْضُرُهُ إِلَّا ذُو الْجَلَالِ، فَإِنَّ النَّفْسَ لَهَا مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ مَا لَا يَحْضُرُهُ إِلَّا ذُو الْجَلَالِ. وَالْأَقْوَالُ إِخْبَارَاتٌ وَإِنْشَاءاتٌ كَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ. فَأَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَأَصْدَقُهُ كِتَابُ اللهِ. خَبْرُهُ أَصْدَقُ الْخَبَرِ وَبَيَانُهُ أَوْضَحُ الْبَيَانِ وَأَمْرُهُ أَحْكَمُ الْأَمْرِ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾، وَكُلُّ مَنْ اتَّبَعَ كَلَامًا أَوْ حَدِيثًا - مِمَّا يُقَالُ: إِنَّهُ يُلْهِمُهُ صَاحِبُهُ وَيُوحَى إِلَيْهِ أَوْ أَنَّهُ يُنْشِئُهُ وَيُحْدِثُهُ مِمَّا يُعَارِضُ بِهِ الْقُرْآنَ - فَهُوَ مِنَ الْأَعْظَمِ الظَّالِمِينَ ظُلْمًا.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

هكذا كل من اتبع كلامًا أو حديثًا مما يُقال: إنه يُلْهِمُهُ أو يُوحَى إِلَيْهِ؛ لا زال في هؤلاء من يزعم أنه يُوحَى إِلَيْهِ، وكثيرٌ منهم يعتقد أن العرب كان يُوحَى إِلَيْهِمْ.

من القصص الطريفة في هذا: أن البعثة الفرنسية لما أعلنت أن كتاب ابن عربي "الفتوحات المكية" النسخة التي كتبها بنفسه، قالوا: هذه النسخة موجودة في قونيا في تركيا، فكثيرٌ من هؤلاء ذهبوا إلى هناك بنسخهم حتى يُصححوها على تلك النسخة.

طبعًا الرواية للشيخ / عبد الله آدم الألباني، يقول: رأيتُ نسخة من تلك النسخ التي صُحِّحت على نسخة ابن عربي، لما ذهبوا يُصححون وجدوا أن كثيرًا من الآيات خطأ في نسخته، فماذا فعلوا؟ صححوا نُسْخَهُم التي فيها الآيات صحيحة، صححوها على تلك النسخة، قالوا: هو يُوحَى إِلَيْهِ! بَمَ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ - سبحان الله - ما أدري ما الذي بقي؟ يقول: أنا رأيت نسخة من تلك النسخ، ورثها أحدهم في سوريا أبوه كان صوفيًّا كبيرًا ورثت مكتبتين فيها هذه النسخة أربع مجلدات، وقد صُحِّحت على تلك النسخة، يُوحَى إِلَيْهِ! بَمَ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فلا تقل لي: هكذا القرآن.

الطالب:؟

الشيخ: هذه العلامة من علامات الترقيم الجميلة التي هؤلاء أصحاب هذا المشروع دائماً يستعملونها، إذا كان نحن العلامة التي بين القول والمقول ما هي؟ نقطتين، شوف: (وكل من اتبع كلامًا

أو حديثاً مما يُقال: إنه يُلهمه)، أحياناً تطول الفاصلة مع طول الفاصلة هذه العلامة أنسى، وهي من العلامات الجديدة، بدأت تُستخدم وهي جميلة؛ لأن هذه تُلقت النظر أن ما قبله كله نتیجته هنا.

قال المصنّف رَحِمَهُ اللهُ :

وَلِهَذَا لَمَّا ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَ الَّذِينَ مَا قَدَرُوا اللهُ حَقَّ قَدْرِهِ حَيْثُ أَنْكَرُوا الْإِنْزَالَ عَلَى الْبَشَرِ ذَكَرَ الْمُتَشَبِّهِينَ بِهِ الْمُدَّعِينَ لِمُمَاثَلَتِهِ مِنَ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ. فَإِنَّ الْمُمَاثِلَ لَهُ: إِمَّا أَنْ يَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ، أَوْ يَقُولَ: أَوْحَى إِلَيَّ وَأَلْقَى إِلَيَّ وَقِيلَ لِي وَلَا يُسَمِّي الْقَائِلَ. أَوْ يُضِيفُ ذَلِكَ إِلَى نَفْسِهِ، وَيَذْكُرُ أَنَّهُ هُوَ الْمُنشِئُ لَهُ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

طبعاً ستأتي الآية التي سيذكرها: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٩٣]؛ هذا القسم الأول الذي يقول: الله ﷻ هو الذي أوحى إليّ، إما أن يقول: إن الله أوحى إليّ ﴿افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أَوْحَى إِلَيَّ﴾، أو يُجْمَلُ مِنْ أَوْحَى إِلَيْهِ وَيَقُولُ: (أَوْحَى إِلَيَّ، أَوْ أَلْقَى إِلَيَّ، أَوْ قِيلَ لِي، وَلَا يُسَمِّي الْقَائِلَ) هذا القسم الثاني.

القسم الثالث: يُضِيفُهُ إِلَى نَفْسِهِ: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، هذه ثلاثة أقسام، هذه أقسام من يتشبهون بالرسول ويدعون أنهم مثله سواء أخذ منهم أو لم يُؤخذ منهم، فأوحى إليهم وأوحى إليّ، سَمِعَ، سَمِعْتَ، أَوْ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ.

قال المصنّف رَحِمَهُ اللهُ :

وَجْهُ الْحَصْرِ: أَنَّهُ إِمَّا أَنْ يَحْذِفَ الْفَاعِلَ أَوْ يَذْكُرَهُ، وَإِذَا ذَكَرَهُ فِيمَا أَنْ يَجْعَلَهُ مِنْ قَوْلِ اللهِ أَوْ مِنْ قَوْلِ نَفْسِهِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

هذان القسمان الأولان القسم الأول يذكر الفاعل ويضيفه إلى الله ﷻ، والقسم الأخير يُضيفه إلى نفسه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّهُ إِذَا جَعَلَهُ مِنْ كَلَامِ الشَّيَاطِينِ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ وَمَا جَعَلَهُ مِنْ كَلَامِ الْمَلَائِكَةِ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي مَا يُضَيِّفُهُ إِلَى اللهِ وَفِي مَا حُذِفَ فَأَعْلَهُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

افتري عليه كذباً؛ لأنه يدعي أنه هو الذي أوحى إليه، هذا القسم الأول.

الفرق بين هذا وهذا: أنه في الأول صرَّح الذي أوحى إليه الله -عز وجل-، وفي القسم الثاني أجمل:

"أوحى إليه"، من الذي أوحى إليه؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَتَدَبَّرْ كَيْفَ جَعَلَ الْأَوَّلِينَ فِي حَيْزٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

القسمين الأولين جعلهما في قسم واحد، في حيز واحد وهما...

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الَّذِي جَعَلَهُ وَحِيًّا مِنْ اللهِ وَلَمْ يُسَمِّ الْمَوْحِي؟ فَإِنَّهُمَا مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ فِي ادِّعَاءِ جِنْسِ الْإِنْبَاءِ وَجَعَلَ

الْآخَرَ فِي حَيْزٍ الَّذِي ادَّعَى أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لأن من يقول: "أوحى إلي" هل يُقال: أن الشيطان أوحى إليه؟ وهذا هو الحقيقة، ولكن الناس ما

الذي يفهمون؟ إذا هما قسمان ولكنهما يرجعان إلى قسم واحد.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلِهَذَا قَالَ: ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ فَالْمُفْتَرِي

لِلْكَذِبِ وَالْقَائِلُ: أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ: مِنْ جُمْلَةِ الْأَسْمِ الْأَوَّلِ، وَقَدْ قُرِنَ بِهِ الْأَسْمُ الْآخَرُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

جعله قسمًا وهذا جعله قسمًا، قسما أدرجهما في قسم والقسم الأخير قسم لحاله.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ الْمُدَّعُونَ لِشِبْهِ النُّبُوَّةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ قَبْلَهُمُ الْمُكَذِّبُ لِلنُّبُوَّةِ فَهَذَا يَعُمُّ جَمِيعَ أَصُولِ الْكُفْرِ
الَّتِي هِيَ تَكْذِيبُ الرُّسُلِ أَوْ مُضَاهَاةُ نُهُمُ كَمَسِيلِمَةِ الْكُذَّابِ وَأَمْثَالِهِ. وَهَذِهِ هِيَ أَصُولُ الْبِدْعِ الَّتِي تَرُدُّهَا نَحْنُ
فِي هَذَا الْمَقَامِ لِأَنَّ الْمُخَالَفَ لِلسُّنَّةِ يَرُدُّ بَعْضَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، أَوْ يُعَارِضُ قَوْلَ الرَّسُولِ بِمَا يَجْعَلُهُ
نَظِيرًا لَهُ: مِنْ رَأْيٍ أَوْ كَشْفٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ.

فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الَّذِينَ يُسَمُّونَ هَؤُلَاءِ وَأَنْتَمَتُهُمْ حَشَوِيَّةٌ هُمْ أَحَقُّ بِكُلِّ وَصْفٍ مَذْمُومٍ يَذْكُرُونَهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

هم أحق بكل وصف مذموم يذكرونه وينسبونه إلى أهل السنة والجماعة، إلى أهل الأثر.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَمَّا هَؤُلَاءِ أَحَقُّ بِكُلِّ عِلْمٍ نَافِعٍ وَتَحْقِيقٍ وَكَشْفِ حَقَائِقٍ وَاخْتِصَاصٍ بِعُلُومٍ لَمْ يَقِفْ عَلَيْهَا هَؤُلَاءِ
الْجُهَّالُ الْمُنْكَرُونَ عَلَيْهِمُ الْمُكَذِّبُونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، فَإِنَّ الْحَشَوِيَّةَ إِنْ كَانَ لِأَنَّهَا يَرُودُونَ الْأَحَادِيثَ بِلَا تَمْيِيزِ،
فَالْمُخَالَفُونَ لَهُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ قَوْلًا لِحَشْوِ الْأَرَاءِ وَالْكَلامِ الَّذِي لَا تُعْرَفُ صِحَّتُهُ، بَلْ يُعْلَمُ بُطْلَانُهُ، وَإِنْ كَانَ
لِأَنَّ فِيهِمْ عَامَّةً لَا يُمَيِّزُونَ؛ فَمَا مِنْ فِرْقَةٍ مِنْ تِلْكَ الْفِرْقِ إِلَّا وَمِنْ أَتْبَاعِهَا مَنْ أَجْهَلُ الْخَلْقِ وَأَكْفَرُهُمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

سبحان الله! يعني إن كان هذا الاسم لأهل السنة؛ لأن فيهم عوام لا يميزون، فعوامكم شيء غريب،

(فما من فرقة من تلك الفرق إلا ومن أتباعها من أجهل الخلق وأكفرهم وعوام هؤلاء) (هؤلاء) يعني

أهل السنة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَعَوَامٌّ هَؤُلَاءِ هُمْ عُمَّارُ الْمَسَاجِدِ بِالصَّلَوَاتِ وَأَهْلُ الذُّكْرِ وَالِدَّعَوَاتِ وَحُجَّاجُ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ
وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَهْلُ الصَّدَقِ وَالْأَمَانَةِ وَكُلُّ خَيْرٍ فِي الْعَالَمِ. فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِوُجُوهِ
الذَّمِّ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ أَبْعَدُ عَنْهَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لا زال يخاطب من سأله: (فقد تبين لك)؛ لأن هذا جوابٌ لسائل.

(أنهم): أولئك الذين يتهمون أهل السنة أحق بوجوه الذم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الْخَلْقِ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَيْهِمْ؛ فِيمَا اخْتَصَّ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْوَرَاثَةِ النَّبَوِيَّةِ الَّتِي لَا تُوجَدُ إِلَّا
عِنْدَهُمْ وَأَيْضًا فَيَنْبَغِي النَّظْرُ فِي الْمَوْسُومِينَ بِهَذَا الْإِسْمِ وَفِي الْوَاسِمِينَ لَهُمْ بِهِ: أَيُّهُمَا أَحَقُّ؟

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

الموسومون بهذا الاسم هم من قيل عنهم: (أنهم حشوية) وهم أهل السنة، والواسمون هم أهل
الكرامة، يقول شيخ الإسلام: (ينبغي النظر في الموسومين) وهم أهل السنة (وفي الواسمين: أيهما
أحق؟).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ هَذَا الْإِسْمَ مِمَّا أُشْتَهَرَ عَنِ النَّفَاةِ مِمَّنْ هُمْ مَظِنَّةُ الزَّنَادِقَةِ كَمَا ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ - كَأَبِي حَاتِمٍ
وغيره - أَنَّ عَلَامَةَ الزَّنَادِقَةِ تَسْمِيَّتُهُمْ لِأَهْلِ الْحَدِيثِ حَشْوِيَّةً.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

في عقيدة الرازيين، ماذا يُسمى؟ عقيدة الرازيين، مختصر جداً ولكن الذي أطال فيه ألقاب أهل السنة
عند المخالفين، مع أنه مختصر جداً - لعلكم قرأتموه - ثلاث صفحات أو أقل حسب الكتاب أو حسب
الحروف، ولكنه أطال في شيء مهم جداً وهو ألقاب أهل السنة عند المخالفين، إذا أردت أن تنظر إلى

ألقاب أهل السنة عند المخالفين في شيء لا يكاد ينحصر، كل من خرج عن الحق في شيء يُلقب أهل السنة بلقب.

إذاً ألقاب أهل السنة عند المخالفين كثيرة بكثرة المخالفين، وأبو حاتم وأبو زرعة الرازيان، طبعاً لأن الرسالة لهما، وروى عنهما ابن أبي حاتم، ذكرا من ذلك الشيء الكثير، مثلاً: علامة الجهمية أنهم يرون أن أهل السنة مُشبهة، وعلامة الزنادقة تسميتهم لأهل الحديث حشوية.

إذا كانت البضاعة التي عند أهل السنة حشواً فبضاعتكم ماذا تكون؟ الكتاب والسنة، فالذي عندك يدل على أنك زنديق علامة الزنادقة تسميتهم لأهل الحديث حشوية.

طبعاً أنا ذكرت في أول درس ورأيت عند شيخ الإسلام سيأتي أن التلقيب بالحشوية سلسلة طويلة، والأقرب إلى السنة مُتهمٌ بالحشوية ممن هو أبعد، سيأتي في كلام شيخ الإسلام.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ بِالْأَسْمَاءِ الَّتِي لَا نِزَاعَ فِيهَا مِثْلُ: لَفْظِ الْإِثْبَاتِ؛ وَالنَّفْيِ " فَتَقُولُ: مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ هَذَا مِنْ تَلْقِيبِ بَعْضِ النَّاسِ لِأَهْلِ الْحَدِيثِ الَّذِينَ يُقَرُّونَهُ عَلَى ظَاهِرِهِ. فَكُلُّ مَنْ كَانَ عَنْهُ أَبْعَدَ كَانَ أَعْظَمَ ذَمًّا بِذَلِكَ: كَالْفَرَامِطَةِ ثُمَّ الْفَلَّاسِفَةِ ثُمَّ الْمُعْتَرِلَةِ وَهُمْ يَذْمُونَ بِذَلِكَ الْمُتَكَلِّمَةَ الصِّفَاتِيَّةَ مِنَ الْكُلَّابِيَّةِ وَالْكَرَّامِيَّةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ وَالْفُقَهَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ. فَكُلُّ مَنْ اتَّبَعَ النُّصُوصَ وَأَقْرَبَهَا سَمَّوْهُ بِذَلِكَ وَمَنْ قَالَ بِالصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةِ مِثْلُ: الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ؛ دُونَ الْخَبَرِيَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ سَمَّى مُشْتَبَةً الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ حَشْوِيَّةً كَمَا يَفْعَلُ أَبُو الْمَعَالِي الْجَوَيْنِيُّ، وَأَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ وَنَحْوُهُمَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إذا هم آخر من اتهموا بهذا أهل السنة، وأهل السنة يتهمهم الأشاعرة والمعتزلية، وهم مُتهمون عند المعتزلة، وهم عند الجهمية وهم عند المتفلسفة.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلِطَرِيقَةِ أَبِي الْمَعَالِيِّ كَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ يَتَّبَعُهُ فِي فَهْمِهِ وَكَلَامِهِ، لَكِنْ أَبُو مُحَمَّدٍ (١٠) كَانَ أَعْلَمَ بِالْحَدِيثِ وَأَتْبَعَ لَهُ مِنْ أَبِي الْمَعَالِيِّ وَبِمَذَاهِبِ الْفُقَهَاءِ، وَأَبُو الْمَعَالِيِّ أَكْثَرَ اتِّبَاعًا لِلْكَلَامِ وَهُمَا فِي الْعَرَبِيَّةِ مُتَقَارِبَانِ. وَهَؤُلَاءِ يَعْبُونَ مُنَازَعَهُمْ إِمَّا لِجَمْعِهِ حَشْوَ الْحَدِيثِ مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ بَيْنَ صَحِيحِهِ وَضَعِيفِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا أولاً يعني عيبه يعيون مُنازَعَهُم بثلاثة أمور:

الأول: إما لجمعه حشو الحديث من غير تمييز بين صحيحه وضعيفه.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

أَوْ لِكَوْنِ اتِّبَاعِ الْحَدِيثِ فِي مَسَائِلِ الْأُصُولِ مِنْ مَذَهَبِ الْحَشْوِ: لِأَنَّهَا مَسَائِلُ عِلْمِيَّةٌ وَالْحَدِيثُ لَا يُفِيدُ ذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أو لأن اتباع الحديث في مسائل الأصول هذا من مذاهب الحشو؛ لأنها مسائل علمية، مسائل الاعتقاد مسائل علمية والمطلوب فيها من الدليل ما يُفيد اليقين، والحديث لا يُفيد ذلك، إذًا من يستدل بأخبار الآحاد في مسائل العقيدة حشوي، وبالتالي أهل السنة كلهم.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

أَوْ لِأَنَّ اتِّبَاعَ النَّصُوصِ مُطْلَقًا فِي الْمَبَاحِثِ الْأُصُولِيَّةِ الْكَلَامِيَّةِ حَشْوٌ؛ لِأَنَّ النَّصُوصَ لَا تَفِي بِذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا القول الأخير هو يُخْرَجُ عَلَى مَا اشْتَهَرَ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ (الطبقة الأخيرة من الأشعرية) أن الاستدلال بالكتاب والسنة في الأصول لا يجوز؛ لأن مسائل العقيدة المطالب العقدي عندهم ثلاثة:

(١٠) وهو العز بن عبد السلام.

الإلهيات، والسمعيات، والإلهيات: لا يجوز الاستدلال فيها بالكتاب والسنة، والسمعيات: لا يجوز الاستدلال فيها بالعقل، والقسم الثاني يجوز الاستدلال بالكتاب والسنة وبالعقل، مثل: مسألة الرؤية؛ إذا القسم الأول الإلهيات لا يجوز الاستدلال فيها بالكتاب والسنة.

طيب مَنْ يستدل فيها بالكتاب والسنة؟ حشوي؛ إذا إما لجمعه حشو الحديث من غير تمييز، أو لكونه يستدل في مسائل العقيدة بأخبار الآحاد، قول "كونه" أصلاً يستدل في الإلهيات بالكتاب والسنة، والإلهيات عندهم لا يجوز الاستدلال فيها بالكتاب والسنة؛ لأنه يستلزم الدور (قالوا)، فإثبات وجود الله ﷻ وإثبات صفاته إلى إثبات صفة الكلام، إلى هناك لا يجوز الاستدلال بالكتاب والسنة، بعد إثبات صفة الكلام، وأنه مُتَكَلِّمٌ، وأنه أرسل الرسل بكلامه نستمع للرسول، من بعد ذلك نستدل بالكتاب والسنة، شوف الشيطان كيف سبحان الله!

طيب.. يقول شيخ الإسلام: إذا خلاصة هذه الأمور الثلاثة...

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَالْأَمْرُ رَاجِعٌ إِلَى أَحَدِ أَمْرَيْنِ:

إِمَّا رَيْبٌ فِي الْإِسْنَادِ أَوْ فِي الْمَتْنِ، إِمَّا لِأَنَّهُمْ يُضَيِّفُونَ إِلَى الرَّسُولِ مَا لَمْ يَعْلَمَ أَنَّهُ قَالَه كَأَخْبَارِ الْآحَادِ وَيَجْعَلُونَ مُقْتَضَاهَا الْعِلْمَ، وَإِمَّا لِأَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ مَا فَهَمُوهُ مِنَ اللَّفْظِ مَعْلُومًا، وَلَيْسَ هُوَ بِمَعْلُومٍ لِمَا فِي الْأَدِلَّةِ اللَّفْظِيَّةِ مِنَ الْإِحْتِمَالِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إذا الأمر راجع إلى أحد أمرين: إما ريب في الإثبات أو في المتن، أو إما ريب في الدليل أو ريب في المدلول.

أما الذي في الدليل: فلأنكم تستدلون بأخبار الآحاد وأخبار الآحاد ليست ثابتة، ويُستدل بها في الفقه، والفقه عندهم من باب الظنون.

أو لأنهم يجعلون ما فهموه من اللفظ معلومًا، ويقينياً وليس الأمر كذلك؛ لا يُمكن أن يُفيد الكتاب

والسنة أو شيء من الكتاب والسنة اليقين، لأن الأدلة اللفظية كلها ظنية دلالةً.

طبعاً هذا الذي سيذكره شيخ الإسلام لو تكتبون أمامه "مهم"؛ لأن هذا خلاصة ما عند هؤلاء

سبحان الله.. ولا ريب.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا عُمْدَةٌ كُلُّ زَنْدِيقٍ وَمُنَافِقٍ يَبْطُلُ الْعِلْمُ بِمَا بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

(يُبطِل العلم بما بعث الله به رسوله)، الكتاب والسنة هي ألفاظ تدل على معاني، أليس كذلك؟ بقوله

أن: "أخبار الآحاد لا تُفيد إلا الظن" أنكر ثبوتها، أبطل حجيتها من ناحية الثبوت، وبقوله: (أن الأدلة

اللفظية لا تُفيد اليقين دلالةً) أنكر، فمن يستدل بالقرآن له أن يقول: أنت تظن أن هذا الذي تستدل به وهو

مفهوم هذه الآية؟ لا. إذا هكذا يُشغله، إما ثبوتاً وإما دلالةً، ويدّعي أن هذه ليست دالة على هذا المعنى

الذي تريده، لأن هناك احتمالات كثيرة.

أو بالنسبة للأحاديث بجرة قلم من أخبار الآحاد، نعم.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا عُمْدَةٌ كُلُّ زَنْدِيقٍ وَمُنَافِقٍ يَبْطُلُ الْعِلْمُ بِمَا بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ)، كيف؟ تارة..

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

تَارَةً يَقُولُ: لَا نَعْلَمُ أَنَّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

أنت تستدل بأحاديث «الصحيحين» وهذه ليست ثابتة، لا نعلم أنهم قالوا ذلك، وتارة...

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَتَارَةً يَقُولُ: لَا نَعْلَمُ مَا أَرَادُوا بِهَذَا الْقَوْلِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

(لا نعلم ما أرادوا بهذا القول) لأن الأدلة اللفظية تحتل أكثر من عشر احتمالات، ولا يمكن أن

تنفي جميع الاحتمالات، فهي ظنية.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَتَى انْتَفَى الْعِلْمُ بِقَوْلِهِمْ أَوْ بِمَعْنَاهُ: لَمْ يُسْتَفَدَ مِنْ جِهَتِهِمْ عِلْمٌ، فَيَتِمَّ كُنْ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَقُولَ مَا يَقُولُ

مِنَ الْمَقَالَاتِ،

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

بعد ذلك:

خلالك الجوّ فيضّي واصفري ونقري ما شئت أن تُقري

كتاب الله ﷻ - وسنة رسوله لا يفيد العلم، وكلامك يفيد العلم! نعم.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ أَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يُعَارِضَ بِأَثَارِ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ وَكَّلَ ثَغْرَهَا بِذَيْنِكَ الدَّامِحِينَ الدَّافِعِينَ لِجُنُودِ

الرَّسُولِ عَنْهُ الطَّاعِنِينَ لِمَنْ احْتَجَّ بِهَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(الطاعنين لمن احتج بها) من يستدل بالكتاب والسنة حشوي.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا الْقَدْرُ بَعَيْنِهِ هُوَ عَيْنُ الطَّعْنِ فِي نَفْسِ النَّبُوَّةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إذا ما الذي تركته للأنبياء؟! ما الذي تركته للنبي ﷺ؟ ما ترك له شيء، أحاديثه كلها بأنها أخبار

الآحاد؛ لأنه ما عنده متواتر، والقرآن نسفه من الناحية الدلالية: (وهذا القدر بعينه هو عين الطعن في نفس

النبوة).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِنْ كَانَ يُقْرَأُ بِتَعْظِيمِهِمْ وَكَمَالِهِمْ: إِفْرَارَ مَنْ لَا يَتَلَقَّى مِنْ جِهَتِهِمْ عِلْمٌ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

نعم، وكان كذا.. ولكن كلامه لا يفيد العلم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَيَكُونُ الرَّسُولُ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ خَلِيفَةٍ: يُعْطِي السَّكَّةَ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

(السَّكَّةُ) باسمه تُضْرَبُ الدنانير، ولكن الأمر يكون للسلطان، كما كان في... هذا بدأ ببني بُوَيْه ثم السلاجقة، ثم الخليفة له السَّكَّةُ والخُطْبَةُ رسماً ولفظاً.. طبعاً في المذهب الحنفي، أو ما يفهم منه عندنا أن الخُطْبَةَ هناك وعد يكون باللغة المحلية، هذه لا تُعتبر خطبة؛ الخطبة هي التي تُتلى باللغة العربية، وهي يقول أخونا الدكتور أبو صلاح: رأيت بعضهم في الكويت يخطب في الخطبة، يقرأ وفيها الدعاء للسلطان العثماني القديم، ما يدري أن الدنيا غير!

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْخُطْبَةُ رَسْمًا وَلَفْظًا كِتَابَةٌ وَقَوْلًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَمْرٌ أَوْ نَهْيٌ مُطَاعٌ. فَلَهُ صُورَةٌ الْإِمَامَةِ بِمَا جُعِلَ

لَهُ مِنَ السَّكَّةِ وَالْخُطْبَةِ وَلَيْسَ لَهُ حَقِيقَتُهَا.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

(وليس له حقيقتها): حقيقتها للمريسي.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا الْقَدْرُ - وَإِنْ اسْتَجَازَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُلُوكِ - لِعَجْزِ بَعْضِ الْخُلَفَاءِ عَنِ الْقِيَامِ بِوَاجِبَاتِ الْإِمَارَةِ مِنَ الْجِهَادِ وَالسِّيَاسَةِ كَمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ نَوَابِ الْوَلَاةِ لِضَعْفِ مُسْتَنَبِيهِ وَعَجْزِهِ؟ فَيَتَرَكَّبُ مِنْ تَقَدُّمِ ذِي الْمَنْصِبِ وَالْبَيْتِ وَقُوَّةِ نَائِبِهِ صَلَاحُ الْأَمْرِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يقول شيخ الإسلام: هذا الذي... (السُّكَّةُ وَالْخُطْبَةُ) لفلان والأمر لفلان، هذا الذي كان يحصل، قد تكون فيه مصلحة، لأن الخليفة ما يستطيع ضعيف، فيأتي نائبه، فيكتمل له الاسم وله الفعل، وبذلك تتم بعض المصالح، يقول: (فيتركب من تقدم ذي المنصب والبيت وقوة نائبه صلاح الأمر).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

أَوْ فِعْلُ ذَلِكَ لِهَوَى وَرَغْبَةٍ فِي الرَّئَاسَةِ وَلَطَائِفَتِهِ دُونَ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وهذا كان كثير، وأبرز مثال لذلك بنو بويه؛ بنو بويه في وادٍ والخليفة والخلافة في وادي.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَسَلَّكَ مَسَلَّكَ الْمُتَغَلِّبِينَ بِالْعُدْوَانِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يقول: هذا الذي يكون مع الخليفة والسلطان قد يكون هذا، ولكن فمن المعلوم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَا يَسْتَجِيزُ أَنْ يَقُولَ فِي الرَّسَالَةِ: إِنَّهَا عَاجِزَةٌ عَنِ تَحْقِيقِ الْعِلْمِ وَبَيَانِهِ حَتَّى يَكُونَ الْإِقْرَارُ بِهَا مَعَ تَحْقِيقِ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ مِنْ غَيْرِهَا مُوجِبًا لِصَلَاحِ الدِّينِ وَلَا يَسْتَجِيزُ أَنْ يَتَعَدَّى عَلَيْهَا بِالتَّقَدُّمِ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَيُقَدِّمُ عِلْمَهُ وَقَوْلَهُ عَلَى عِلْمِ الرَّسُولِ وَقَوْلِهِ، وَلَا يَسْتَجِيزُ أَنْ يُسَلِّطَ عَلَيْهَا التَّأْوِيلَاتِ الْعَقْلِيَّةَ، وَيَدَّعِيَنَّ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ كَمَالِ الدِّينِ، وَأَنَّ الدِّينَ لَا يَكُونُ كَامِلًا إِلَّا بِذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا الأمر إن قيل بشيء من صلاحه في الخليفة والسلطان لا يجوز أن يكون مع كتاب الله وسنة

رسول ﷺ فأبي نقص فيهما حتى تأتي أنت أيها المبتدع وتكمله؟! لماذا جعلت هذا من مثل هذا؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَحْسَنُ أَحْوَالِهِ: أَنْ يَدَّعِيَنَّ أَنَّ الرَّسُولَ كَانَ عَالِمًا بِأَنَّ مَا أَخْبَرَ بِهِ لَهُ تَأْوِيلَاتٌ وَتَبَيَّانٌ غَيْرُ مَا يَدُّلُّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ قَوْلِهِ وَمَنْهَوْمُهُ، وَأَنَّهُ مَا تَرَكَ ذَلِكَ، إِلَّا لِأَنَّهُ مَا كَانَ يُمَكِّنُهُ الْبَيَّانُ بَيْنَ أَوْلِيكَ الْأَعْرَابِ وَنَحْوِهِمْ، وَأَنَّهُ وَكَلَّ ذَلِكَ إِلَى عُقُولِ الْمُتَأَخِّرِينَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

ذكرتُ لكم أن في أصحاب التخييل طائفتنا:

طائفة تقول: أن النبي ﷺ كان يعرف معانيها، ولكنه ما أمكنه أن يظهرها لأنه "رأى كالأجلاف" كما يقول ابن سينا: يقول: "لأن أولئك الأجلاف لو أظهر لهم النبي ﷺ أنه يجب الإيمان بمن ليس فوق وليس تحت، لقالوا: أنت تدعوننا إلى العدم المحض؛ لأن عقولهم لم تكن مُرتاضة، فما كان أمكنه أن يُظهر لهم التوحيد الخالص (يقول هو في رسالته النيروزية)، والمهم عنده أنه كان يدري ولكن ما أمكنه أن يُظهرها.

طبعاً رأيه: أنه لا يجوز أصلاً مادام لا لم يُمكنه، أنت أيضاً لا تُظهر، ولذلك هو يلوم المتكلمين، لماذا تُظهر ما لم يُظهره النبي ﷺ؟ أما من تأثر به وهو الرازي وغيره، ذكروا هذا صراحةً، نقلوا كلامه في العلو، ولكن ما قالوا صراحةً، ولكن هذا مُقتضى كلامهم: أنه وكَلَّ ذلك إلى عقول المُتأخرين، ولذلك يدَّعون أن لهم العلم والإحكام، لأنهم استطاعوا أن يُظهروا ما استطاعوا أن يُعالجوا ما يظهر من تلك النصوص من التشبيه.

أحسن أحواله أن يدَّعي أن الرسول كان عالمًا، أما الفارابي فرأيه أنهم ما كان يدَّعي أصلاً.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا هُوَ الْوَاقِعُ مِنْهُمْ، فَإِنَّ الْمُتَفَلِّسَةَ تَقُولُ: إِنَّ الرُّسُلَ لَمْ يَتِمَّ كُنُوزًا مِنْ بَيَانِ الْحَقَائِقِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

سبحان الله كلامه نقله شيخ الإسلام بطوله في "الدرء"، ثم ردَّ عليه وقارنه بعوام المسلمين، وردَّه طويل.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

لِأَنَّ إِظْهَارَهَا يُفْسِدُ النَّاسَ وَلَا تَحْتَمِلُ عُقُولُهُمْ ذَلِكَ، ثُمَّ قَدْ يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ عَرَفُوهَا، وَقَدْ يَقُولُ بَعْضُهُمْ: لَمْ يَعْرِفُوهَا، أَوْ أَنَا أَعْرِفُ بِهَا مِنْهُمْ، ثُمَّ يَبِينُونَهَا هُمْ بِالطَّرِيقِ الْقِيَاسِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ عِنْدَهُمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أولئك ما عرفوها ولم تتحمل عقولهم أبو بكر - المسكين - وعمر وعثمان وعلي، عقولهم المتحجرة ما احتملت هذه الأصول، ما كانت تتحمل! يقولها وهو يعرفها.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَمْ يَعْقِلُوا أَنَّهُ إِنْ كَانَ الْعِلْمُ بِهَا مُمَكِّنًا، فَهُوَ مُمَكِّنٌ لَهُمْ كَمَا يَدَّعُونَ أَنَّهُ مُمَكِّنٌ لَهُمْ، وَإِلَّا فَلَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى مَعْرِفَتِهَا بِإِقْرَارِهِمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إذا كان العلم بهذه الحقائق.. أنتم لما تقولون: أن حتى الرُّسل ما كان يُمكنهم العلم بها أو إظهارها؟! طيب.. أنتم كيف أمكن العلم بها عندهم واستطعتم أن تُظهروها أقل شيء كتابه؛ كتبت هذا الكفر كله في النيروزية، كيف أمكنك؟! ذاك ما أمكنهم وأنت أمكنك؟! يقول:

(ولم يعقلوا أنه إن كان العلم بها ممكنًا فهو ممكن لهم) أي للرُّسل، (كما يدعون أنه ممكن لهم)؛ أي للمتفلسفة، (وإلا فلا سبيل لهم إلى معرفتها بإقرارهم)؛ إذا ما كانوا عرفوا كيف عرفتم أنتم؟! كما يقول ابن سينا: الإشارات الدقيقة إلى التوحيد الخالص كيف انتبهت إليها؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ التَّعْبِيرُ وَبَيَانُ الْعِلْمِ بِالْخِطَابِ وَالْكِتَابِ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُمَكِّنًا فَلَا يُمَكِّنُكُمْ ذَلِكَ، وَأَنْتُمْ تَتَكَلَّمُونَ وَتَكْتُبُونَ عِلْمَكُمْ فِي الْكُتُبِ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مُمَكِّنًا فَلَا يَصِحُّ قَوْلُكُمْ: (لَمْ يُمَكِّنِ الرَّسُلَ ذَلِكَ).

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

ما كتبتة وفصلت فيه تدعي فيه أن الرسل ما كان بإمكانهم أن يُظهروه، طيب... أنت كيف أظهرته؟!

أُوحِيَ إِلَيْكَ؟ نعم، أُوحِيَ إِلَيْهِ، ولكن الذي أُوحِيَ إِلَيْهِ معروف.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِنْ قُلْتُمْ: يُمَكِّنُ الْخِطَابُ بِهَا مَعَ خَاصَّةِ النَّاسِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذه أيضًا نقطة جميلة جدًا، هذه التي يذكرها شيخ الإسلام الآن.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِنْ قُلْتُمْ: يُمَكِّنُ الْخِطَابُ بِهَا مَعَ خَاصَّةِ النَّاسِ دُونَ عَامَّتِهِمْ - وَهَذَا قَوْلُهُمْ - فَمِنْ الْمَعْلُومِ: أَنَّ عِلْمَ

الرُّسُلِ يَكُونُ عِنْدَ خَاصَّتِهِمْ كَمَا يَكُونُ عِلْمُكُمْ عِنْدَ خَاصَّتِكُمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إن قلت: أنه لم يمكنهم أن يظهروا علمهم أو خلاصة علمهم أو المهم في التوحيد، ما أمكنهم أن يظهره للعوام، ولكنهم أظهره للخواص، فيا ترى من هو خاصة النبي ﷺ؟ من يكون خاصته الفارابي وابن سينا؟!

الصحابة (فَمِنْ الْمَعْلُومِ: أَنَّ عِلْمَ الرُّسُلِ يَكُونُ عِنْدَ خَاصَّتِهِمْ كَمَا يَكُونُ عِلْمُكُمْ عِنْدَ خَاصَّتِكُمْ) إِذَا

نَأْتِي إِلَى الْمَقْصُودِ: وَمِنَ الْمَعْلُومِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ بِكَلَامِ الْمَتَّبِعِ وَأَحْوَالِهِ وَبَوَاطِنِ أُمُورِهِ وَظَوَاهِرِهَا أَعْلَمَ وَهُوَ بِذَلِكَ أَقْوَمُ:

كَانَ أَحَقَّ بِالِاخْتِصَاصِ بِهِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ أَعْلَمُ الْأُمَّةِ وَأَخْصَهَا بِعِلْمِ الرَّسُولِ وَعِلْمِ خَاصَّتِهِ:

مِثْلَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَسَائِرِ الْعَشْرَةِ، وَمِثْلَ: أَبِي بِنِ كَعْبٍ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَعَبْدِ اللهِ

بِنِ سَلَامٍ وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ وَعِبَادَةَ بِنِ الصَّامِتِ وَأَبِي ذَرِّ الْعِفَارِيِّ؛ وَعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ؛ وَحُدَيْفَةَ

بِنِ الْيَمَانِ وَمِثْلَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ؛ وَأَسِيدِ بْنِ حَضِيرٍ وَسَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ وَعَبَّادِ بْنِ بَشِيرٍ وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ

وَعَبْرِ هَؤُلَاءِ: مِمَّنْ كَانَ أَحْصَى النَّاسِ بِالرُّسُولِ وَأَعْلَمَهُمْ بِبَاطِنِ أُمُورِهِ وَأَتْبَعَهُمْ لِذَلِكَ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

على قولك: بأنه كان قد أظهرها للخواص، طبعاً هو يدَّعي أنه كان أظهرها للخواص وهو انتقل مثل
الطفرة النَّظَام من هناك إليه، يقول شيخ الإسلام: خواصهم هم هؤلاء، كيف خواصهم أيضاً ما عرفوا
وانتقل إليهم، هؤلاء هم الخواص.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

فَعُلَمَاءُ الْحَدِيثِ أَعْلَمُ النَّاسِ بِهِؤُلَاءِ وَبِبَوَاطِنِ أُمُورِهِمْ وَأَتَّبَعُهُمْ لِذَلِكَ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

إذا خواصه في هؤلاء هم الصحابة، وخواصهم علماء الحديث هم الذين يدرون عن هؤلاء، فعلماء
الحديث أعلمُ الناس بهؤلاء الذين هم خواص النبي ﷺ - أو أعلم ببواطن أمورهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

فَيَكُونُ عِنْدَهُمُ الْعِلْمُ: عِلْمَ خَاصَّةِ الرَّسُولِ وَبِطَانَتِهِ كَمَا أَنَّ خَوَاصَّ الْفَلَاسِفَةِ يَعْلَمُونَ عِلْمَ أُمَّتِهِمْ
وَخَوَاصَّ الْمُتَكَلِّمِينَ يَعْلَمُونَ عِلْمَ أُمَّتِهِمْ وَخَوَاصَّ الْقَرَامِطَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ يَعْلَمُونَ عِلْمَ أُمَّتِهِمْ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

سبحان الله! يعني هؤلاء الزنادقة وكل من كان أبعد عن الحق يدَّعي أن العلم الذي ما كن يُظهره
النبي ﷺ للعوام وأدَّخره وأظهره للخواص عنده، طيب.. أين خواصه؟ قيل: لم يعلمه أبو بكر وعمر
وعثمان وعلي، وهؤلاء الصحابة هم الخواص، كيف انتقل إليك؟! غريب!

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَكَذَلِكَ أَيْمَةُ الْإِسْلَامِ مِثْلُ أَيْمَةِ الْعُلَمَاءِ فَإِنَّ خَاصَّةَ كُلِّ إِمَامٍ أَعْلَمُ بِبَاطِنِ أُمُورِهِ مِثْلُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ: فَإِنَّ
ابْنَ الْقَاسِمِ لَمَّا كَانَ أَحْصَى النَّاسَ بِهِ، وَأَعْلَمَهُمْ بِبَطْنِ أَمْرِهِ اعْتَمَدَ أَتْبَاعُهُ عَلَى رِوَايَتِهِ حَتَّى إِنَّهُ تَوَخَّذَ عَنْهُ
مَسَائِلُ السَّرِّ الَّتِي رَوَاهَا ابْنُ أَبِي الْعَمْرِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

طبعًا هناك خلاف في هذا الذي يُنسب إلى الإمام مالك والتي رواها ابن أبي الغمر ورواها عن طريق ابن القاسم، هناك خلاف بينهم، هل هذا ثابتٌ عن الإمام مالك؟ كثيرٌ منهم ينفونه عن الإمام مالك. أيضًا هناك قطعة طُبِعَتْ على هذا الذي طُبِعَ هو هذا مسائل السر التي رواها ابن أبي الغمر عن طريق ابن القاسم أيضًا فيها خلاف.

يبدو أن شيخ الإسلام يميل إلى ثبوتها، لأن كلامها - وإن طعن بعض الناس فيها - واضح أنه يميل إلى ثبوتها.

وإن رأينا كلامه في المواضع الأخرى هذا سيزيدنا معرفةً برأي شيخ الإسلام، وحتى الذي طُبِعَ فيه بعض الأمور من البعيد أن يكون الإمام مالك قد تلفَّظ بها.

القصد هنا: أن كل إمام يُعتمد فيه على خاصته، وخواصه معروفون، لماذا كانت هذه المنزلة لابن القاسم؟ لأنه كان من خواصه، وخواصه أيضًا كثر، ولكن خواصه أيضًا بينهم تفاوت.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وإن طعن بعض الناس فيها، وكذلك أبو حنيفة: فأبو يوسف ومحمد وزفر علم الناس به وكذلك غيرهما، وقد يكتب العالم كتابًا أو يقول قولًا فيكون بعض من لم يشافهه به أعلم بمقصوده من بعض من شافهه به كما قال النبي ﷺ: «فربُّ مبلغٍ أوعى من سامعٍ»، لكن بكلِّ حال لا بد أن يكون المبلغ من الخاصة العالمين بحال المبلغ عنه كما يكون في أتباع الأئمة من هو أفهم لنصوصهم من بعض أصحابهم.

قال الشارح وفقه الله:

قد يكون من سمعه مباشرة لا يكون في الفهم مثل من نُقل إليه، كما في الحديث: «فربُّ مبلغٍ أوعى من سامعٍ»؛ أي ممن سمع من النبي ﷺ مباشرة، أو ممن سمع ممن سمع منه؛ قد يكون من نُقل إليه أروع يعني: أكثر في الفهم منه.

ولكن بكلِّ حال: لا بد أن يكون المبلغ (الذي هو أوعى) من الخاصة العالمين بحال المبلغ عنه

(وهو النبي ﷺ وغيره، ففهمه سيُعتد به إذا كان لديه علمٌ بهذا الذي بُلِّغ عنه.

أما أن يتحدث ابن سينا عن النبي ﷺ ما يُدريه؟! حتى لو نُقِل له ما نُقِل؟! ما يُدريه عن حاله

وعن...!

قال المصنّف رحمه الله:

وَمِنَ الْمُسْتَقَرِّ فِي أَذْهَانِ الْمُسْلِمِينَ: أَنَّ وَرَثَةَ الرُّسُلِ وَخُلَفَاءَ الْأَنْبِيَاءِ هُمُ الَّذِينَ قَامُوا بِالذِّينِ عِلْمًا وَعَمَلًا وَدَعْوَةً إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ فَهَؤُلَاءِ أَتْبَاعُ الرَّسُولِ حَقًّا وَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الطَّائِفَةِ الطَّيِّبَةِ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي زَكَتْ فَقَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ فَزَكَتْ فِي نَفْسِهَا وَزَكَى النَّاسُ بِهَا.

قال الشّارح وفقه الله:

يعني استفادت وأفادت؛ استفادت بما لها من الجُهد والفهم والمحل الطيب، وزكى الناس بها.

قال المصنّف رحمه الله:

وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الْبَصِيرَةِ فِي الدِّينِ وَالْقُوَّةِ عَلَى الدَّعْوَةِ، وَلِذَلِكَ كَانُوا وَرَثَةَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾. فَالْأَيْدِي: الْقُوَّةُ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَالْأَبْصَارُ الْبَصَائِرُ فِي دِينِ اللَّهِ، فَبِالْبَصَائِرِ يُدْرِكُ الْحَقَّ وَيُعْرِفُ بِالْقُوَّةِ يَتِمَكَّنُ مِنْ تَبْلِيغِهِ وَتَنْفِيذِهِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، فَهَذِهِ الطَّبَقَةُ كَانَتْ لَهَا قُوَّةُ الْحِفْظِ وَالْفَهْمِ وَالْفِقْهِ فِي الدِّينِ وَالْبَصَرِ وَالتَّوْبِيلِ، فَفَجَّرَتْ مِنَ النُّصُوصِ أَنْهَارَ الْعُلُومِ وَاسْتَنْبَطَتْ مِنْهَا كُنُوزَهَا، وَرَزَقَتْ فِيهَا فَهْمًا خَاصًّا كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ سُئِلَ: «هَلْ خَصَّكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَيْءٍ دُونَ النَّاسِ؟ فَقَالَ: لَا؛ وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ؛ إِلَّا فَهْمًا يُؤْتِيهِ اللَّهُ عَبْدًا فِي كِتَابِهِ، فَهَذَا الْفَهْمُ هُوَ بِمَنْزِلَةِ الْكَلَاءِ وَالْعُشْبِ الَّذِي أَنْبَتَهُ الْأَرْضُ الطَّيِّبَةُ، وَهُوَ الَّذِي تَمَيَّزَتْ بِهِ هَذِهِ الطَّبَقَةُ عَنِ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ؛ وَهِيَ الَّتِي حَفِظَتْ النُّصُوصَ فَكَانَ هَمُّهَا حِفْظُهَا وَضَبْطُهَا.

قال الشّارح وفقه الله:

(فكان همها): هذا اسم كان، "حفظها وضبطها": هو خبرها، هو يتحدث عن الحديث: (مثل ما

بعثني الله به...».

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَوَرَدَهَا النَّاسُ وَتَلَفَّوْهَا بِالْقَبُولِ؛ وَاسْتَنْبَطُوا مِنْهَا وَاسْتَحْرَجُوا كُنُوزَهَا وَاتَّجَرُوا فِيهَا؛ وَبَدَرُوهَا فِي
أَرْضٍ قَابِلَةٍ لِلزَّرْعِ وَالنَّبَاتِ؛ وَرَوَّوْهَا كُلَّ بِحَسْبِهِ. ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ
النَّبِيُّ ﷺ: ﴿نَضَرَ اللهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها؛ ثُمَّ أَذَاهَا كَمَا سَمِعَهَا؛ فُرُبَّ حَامِلٍ فَفَقِهَ وَلَيْسَ بِفَقِيهِ؛ وَرُبَّ
حَامِلٍ فَفَقِهَ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ﴾، وَهَذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا حَبْرُ الْأُمَّةِ؛ وَتُرْجَمَانُ الْقُرْآنِ. مِقْدَارُ مَا
سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ لَا يَبْلُغُ نَحْوَ الْعِشْرِينَ حَدِيثًا الَّذِي

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقِهَ اللهُ:

شيخ الإسلام يُمثِّلُ، «ورب حامل فقهه إلى من هو أفقه منه»، من الأمثلة: عبد الله بن عباس.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الَّذِي يَقُولُ فِيهِ: (سَمِعْتُ وَرَأَيْتُ) وَسَمِعَ الْكَثِيرُ مِنَ الصَّحَابَةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقِهَ اللهُ:

يعني ما سمعه من النبي ﷺ والذي يقول فيه: "سمعتُ ورأيتُ"، يقول: لا يبلغ نحو العشرين حديثًا،
ولكن الأحاديث التي رواها سمعها من الصحابة وبُورِكَ له في فهمه.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَبُورِكَ لَهُ فِي فَهْمِهِ وَالِاسْتِنْبَاطِ مِنْهُ حَتَّى مَلَأَ الدُّنْيَا عِلْمًا وَفِقْهًا.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ: «وَجُمِعَتْ فَتَوَاهُ فِي سَبْعَةِ أَسْفَارٍ كِبَارٍ وَهِيَ بِحَسَبِ مَا بَلَغَ جَامِعُهَا، وَإِلَّا فَعِلْمٌ

ابْنِ عَبَّاسٍ كَالْبَحْرِ وَفِقْهُهُ وَاسْتِنْبَاطُهُ وَفَهْمُهُ فِي الْقُرْآنِ (١١).

(١١) كذا وهو سهوًا، وجمعت فتاواه في سبعة أسفار كبار، يقول المُحقق: هذا سهوًا من سبق النظر،

يعني سببه سبق النظر، فقد ذكر ابن حزم في الإحكام المكثرين من الصحابة، ثم قال: "فهم سبعة يمكن أن

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

لاحظ: أن هنا فتوى ابن عباس فقط تُجمع في سبعة أسفارٍ كبار، وابن حزم هنا يتحدث عن سبعة من الصحابة، (فهم سبعةٌ يمكن أن يُجمع فُتيا من كل واحدٍ منهم سفرٌ ضخم).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وقد جمع أبو بكر بن محمد بن موسى بن يعقوب -ابن أمير المؤمنين المأمون- فُتيا ابن عباس في عشرين كتاباً، وهي بحسب ما بلغ جامعها وإلا فعلم ابن عباس كالبخري وفقهه واستنباطه وفهمه في القرآن بالموضع الذي فاق به الناس، وقد سمعوا ما سمع وحفظوا القرآن كما حفظه، ولكن أرضه كانت من أطيب الأراضي وأقبلها للزرع فبدَرَ فيها النصوص فأنبتت من كل زوج كريم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وأين تقع فتاوى ابن عباس وتفسيره واستنباطه من فتاوى أبي هريرة وتفسيره؟ وأبو هريرة أحفظ منه؛ بل هو حافظ الأمة على الإطلاق.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

ولذلك يُقال: أنه شيخ الحديث في مدرسة النبي ﷺ أبو هريرة -رضي الله عنه-.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

بل هو حافظ الأمة على الإطلاق، يُؤدِّي الحديث كما سمعه ويُدْرُسُهُ بِاللَّيْلِ دَرْسًا؛ فَكَانَتْ هِمَّتُهُ مَصْرُوفَةً إِلَى الْحِفْظِ وَتَبْلِيغِ مَا حَفِظَهُ كَمَا سَمِعَهُ وَهَمَّتْهُ ابْنِ عَبَّاسٍ: مَصْرُوفَةً إِلَى التَّفَقُّهِ وَالِاسْتِنْبَاطِ وَتَفْجِيرِ النَّصُوصِ وَشَقِّ الْأَنْهَارِ مِنْهَا وَاسْتِخْرَاجِ كُنُوزِهَا. وَهَكَذَا وَرَثَتُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ: اعْتَمَدُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى اسْتِنْبَاطِ النَّصُوصِ لَا عَلَى خَيَالٍ فَلْسَفِيٍّ، وَلَا رَأْيٍ قِيَاسِيٍّ، وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَرَاءِ الْمُبْتَدَعَاتِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

يُجمع فُتيا من كل واحدٍ منهم سفرٌ ضخم).

نعم، (وهكذا ورثتهم من بعدهم، اعتمدوا في دينهم) على ماذا؟ على استنباط النصوص أمامهم،
النصوص يستنبطون فيها.

(لا على خيال فلسفي): يتحدث في الأفلاك، وما في الأفلاك والنتيجة لا شيء.

(وَلَا رَأْيَ قِيَاسِيٍّ): (قيل، قلنا)، (وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَرَءِ الْمُبْتَدَعَاتِ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

لَا جَرَمَ كَانَتْ الدَّائِرَةُ وَالشَّنَاءُ الصِّدْقُ وَالْجَزَاءُ الْعَاجِلُ وَالْأَجَلُ: لَوَرَثَةَ الْأَنْبِيَاءِ التَّابِعِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ. فَإِنَّ الْمَرْءَ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، وَبِكُلِّ حَالٍ: فَهُمْ
أَعْلَمُ الْأُمَّةِ بِحَدِيثِ الرَّسُولِ وَسِيرَتِهِ وَمَقَاصِدِهِ وَأَحْوَالِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

على كل حال؛ هو الآن يُعرَّفُ بأهل الحديث، من هم أهل الحديث.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَنَحْنُ لَا نَعْنِي بِأَهْلِ الْحَدِيثِ الْمُقْتَصِرِينَ عَلَى سَمَاعِهِ أَوْ كِتَابَتِهِ، أَوْ رَوَاتِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

ليس هؤلاء هم أهل الحديث الذين يقتصرون على سماعه وكتابته، ليس هؤلاء هم أهل الحديث
الذين نعني بهم، مع أن لهم سهمٌ مما هو عند أهل الحديث، ولكن نحن لما نقول: أهل الحديث، ليس
هؤلاء هم المقصودون.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَلْ نَعْنِي بِهِمْ: كُلُّ مَنْ كَانَ أَحَقَّ بِحِفْظِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَفَهْمِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَاتِّبَاعِهِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَكَذَلِكَ
أَهْلُ الْقُرْآنِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

لما نقول: أهل السنة وأهل الأثر وأهل الحديث نعني بهم من يجمع الرواية والدراية، وجميع

المحدثين - بدون استثناء - لا يخلو من شيءٍ من الاستنباط من الأحاديث إذا كان يعرف اللغة، ولكنهم يتفاوتون.

ابن معين أو ابن المدني دخل على الإمام أحمد، وكلمه في موضوع ولم يوافق، ولما خرج قال: هذا هو الفقه؛ أي هذا الذي يُقال عنه أنه... بعضهم يقولون: هو من أهل الحديث، ولكنه ليس فقيهاً، هذا يقول عنه: هذا هو الفقه.

فأهل الحديث الذي يحفظون الأحاديث لا يكاد يخلو منهم من شيء من الفقه، ولكن يتفاوتون، فمنهم من بلغ إلى حدٍّ أنه حُشِر مع فقهاء أهل الحديث، أمثال: الإمام أحمد وشيخه الشافعي وشيخه الإمام مالك وتلميذ البخاري ابن خزيمة، وكثير يُقال عنهم أنهم: فقهاء أهل الحديث، ومنهم من يتفاوتون.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَدْنَى خَصَلَةٍ فِي هَوْلَاءِ مَحَبَّةِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَالْبَحْثِ عَنْهُمَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أدنى خصلة، أدنى ما يتميزون به هؤلاء محبة القرآن والحديث؛ لأن هذه بضاعتهم، أحدهم يموت وهو يموت أن يجمع في صدره القرآن، هذه أمنيته، وهكذا الأحاديث.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

عَنْ مَعَانِيهِمَا وَالْعَمَلِ بِمَا عَلِمُوهُ مِنْ مُوجِبِهِمَا، فَفُقَهَاءُ الْحَدِيثِ أَخْبَرُوا بِالرَّسُولِ مِنْ فُقَهَاءِ غَيْرِهِمْ وَصُوفِيَّتُهُمْ أَتَبَعَ لِلرَّسُولِ مِنْ صُوفِيَّةِ غَيْرِهِمْ، وَأَمْرًاؤُهُمْ أَحَقُّ بِالسِّيَاسَةِ النَّبَوِيَّةِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَعَامَّتُهُمْ أَحَقُّ بِمَوَالَاةِ الرَّسُولِ مِنْ غَيْرِهِمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمِنَ الْمَعْلُومِ: أَنَّ الْمُعْظَمِينَ لِلْفَلَسَفَةِ وَالْكَلامِ الْمُعْتَقِدِينَ لِمَضْمُونِهِمَا هُمْ أَبْعَدُ عَن مَعْرِفَةِ الْحَدِيثِ وَأَبْعَدُ عَن اتِّبَاعِهِ مِنْ هَؤُلَاءِ. هَذَا أَمْرٌ مَحْسُوسٌ بَلْ إِذَا كَشَفْتَ أحوالَهُمْ وَجَدْتَهُمْ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ بِأَقْوَالِهِ وَأَحوالِهِ وَبَوَاطِنِ أُمُورِهِ وَظَوَاهِرِهَا حَتَّى لَتَجِدُ كَثِيرًا مِنَ الْعَامَّةِ أَعْلَمَ بِذَلِكَ مِنْهُمْ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

يَبِينُ شيخ الإسلام فيما سبق أَنَّ أَخصَّ النَّاسِ بِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ بِحَدِيثِهِ هُم أَهلُ الْحَدِيثِ، وَهُم خِوَصُهُ، وَهُم الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَهُم أَوْلَى النَّاسِ بِمَعْرِفَةِ كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالنَّبِيِّ ﷺ. بعد أن أَكَّدَ ذلكَ المعنى رجعَ يرد على مَنْ يُعْظَمُ الفِلسفةَ وَعِلْمَ الْكلامِ، أَيَّن هُمْ مِنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ؟ حتى يبين أَنَّهُمْ مِنْ أَبْعَدِ النَّاسِ فِي مَعْرِفَةِ مَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَليْسَ لَهُمْ أَنْ يَدَّعُوا أَنَّ لَهُمْ صِلَةَ بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُهُ أَوْ يَفْعَلُهُ.

لذلك بدأ في هذه الفقرة: (وَمِنَ الْمَعْلُومِ: أَنَّ الْمُعْظَمِينَ لِلْفَلَسَفَةِ وَالْكَلامِ الْمُعْتَقِدِينَ لِمَضْمُونِهِمَا أَبْعَدُ عَن مَعْرِفَةِ الْحَدِيثِ وَاتِّبَاعِهِ مِنْ هَؤُلَاءِ)، أولئك أَهلُ الْحَدِيثِ لا مُقَارَنَةَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا يُمَيِّزُونَ بَيْنَ مَا قَالَهُ وَمَا لَمْ يَقُلْهُ، بَلْ قَدْ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ حَدِيثٍ مُتَوَاتِرٍ عَنْهُ وَحَدِيثٍ مَكْذُوبٍ مَوْضُوعٍ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا يَعْتَمِدُونَ فِي مُوَافَقَتِهِ عَلَى مَا يُوَافِقُ قَوْلَهُمْ، سِوَاءً كَانَ مَوْضُوعًا أَوْ غَيْرَ مَوْضُوعٍ، فَيَعْدِلُونَ إِلَى أَحَادِيثَ يَعْلَمُ خَاصَّةُ الرَّسُولِ بِالضَّرُورَةِ الْيَقِينِيَّةِ أَنَّهَا مَكْذُوبَةٌ عَلَيْهِ عَن أَحَادِيثَ يَعْلَمُ خَاصَّةً بِالضَّرُورَةِ الْيَقِينِيَّةِ أَنَّهَا قَوْلُهُ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

يعني بالنسبة للمحدثين هذه الأحاديث التي قد يستدل بها هؤلاء ما يحتاج بالنسبة لهم أن يذهبوا إلى الكتب وينقبوا عن صحته أو ضعفه، بمجرد سماع أحدهم بتلك الأحاديث التي يذكرها هؤلاء يعلم أنه مكذوب.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا يَعْلَمُونَ مُرَادَهُ، بَلْ غَالِبٌ هُوَ لَا يَعْلَمُونَ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ فَضْلاً عَنِ الْحَدِيثِ، بَلْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ لَا يَحْفَظُونَ الْقُرْآنَ أَصْلاً، فَمَنْ لَا يَحْفَظُ الْقُرْآنَ، وَلَا يَعْرِفُ مَعَانِيَهُ، وَلَا يَعْرِفُ الْحَدِيثَ وَمَعَانِيَهُ، مِنْ أَيْنَ يَكُونُ عَارِفاً بِالْحَقَائِقِ الْمَأْخُوذَةِ عَنِ الرَّسُولِ؟.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً هو شيخ الإسلام يتحدث عنهم، ولكن هذه الجملة -والله شديدة- حتى علينا، يعني أحدنا كيف يدعي -كما يقول شيخ الإسلام- أنه يعرف الحقائق المأخوذة عن الرسول وهو لا يحفظ القرآن؟! طبعاً شيخ الإسلام يتحدث كأن طلاب العلم حفظ القرآن عندهم من الأمور البديهية، وما يدري عنا رَحِمَهُ اللهُ وَسَتَرَ اللهُ حَالَنَا وَوَقَّفَنَا لِحِفْظِ كِتَابِ اللهِ ﷻ وَحِفْظِ الْقُرْآنِ شَيْءٍ عَظِيمٍ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِذَا تَدَبَّرَ الْعَاقِلُ وَجَدَ الطَّوَائِفَ كُلَّمَا كَانَتْ الطَّائِفَةُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ أَقْرَبَ كَانَتْ بِالْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ أَعْظَمَ عِنَايَةً، وَإِذَا كَانَتْ عَنِ اللهِ وَعَنْ رَسُولِهِ أَبْعَدَ كَانَتْ عَنْهُمَا أَنْأَى حَتَّى تَحْدُ فِي أُمَّةٍ عُلَمَاءٌ هُوَ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ، بَلْ رَبَّمَا ذُكِرَتْ عِنْدَهُ آيَةٌ فَقَالَ: لَا نُسَلِّمُ صِحَّةَ الْحَدِيثِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(لَا نُسَلِّمُ صِحَّةَ الْحَدِيثِ)، وهي آية، هذا ليس بعيداً عن أولئك، وليس شاته وليس قرنه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَرَبَّمَا قَالَ: لِقَوْلِهِ -عليه الصلاة والسلام-: وَكَذَا وَتَكُونُ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَقَدْ بَلَّغْنَا مِنْ ذَلِكَ عَجَائِبُ وَمَا لَمْ يَبْلُغْنَا أَكْثَرَ، وَحَدَّثَنِي: ثِقَةٌ أَنَّهُ تَوَلَّى مَدْرَسَةَ مَشْهَدِ الْحُسَيْنِ بِمِصْرٍ بَعْضُ أُمَّةِ الْمُتَكَلِّمِينَ رَجُلٌ يُسَمَّى شَمْسَ الدِّينِ الْأَصْبَهَانِي شَيْخَ الْأَيْكِي، فَأَعْطَوْهُ جُزْءاً مِنَ الرَّبْعَةِ فَقَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿المص﴾ [الأعراف: ١]، حَتَّى قِيلَ لَهُ: أَلِفٌ لَمْ مِمْ صَادٌ.

فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الْحُكُومَةَ الْعَادِلَةَ؛ لِيَتَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الَّذِينَ يَعْيُونَ أَهْلَ الْحَدِيثِ وَيَعْدِلُونَ عَنْ مَذْهَبِهِمْ جَهْلَةٌ

زَنَادِقَةٌ مُنَافِقُونَ بِلَا رَيْبٍ .

قال الشَّارح وفقه الله :

فيهم من هذه الأمور بحسب موقعهم من الكتاب والسُّنة، وبحسب موقعهم من أهل الحديث.

قال المصنَّف رَحِمَهُ اللهُ :

وَلِهَذَا لَمَّا بَلَغَ الْإِمَامُ أَحْمَدَ عَنْ "ابْنِ أَبِي قَتِيلَةَ" أَنَّهُ ذَكَرَ عِنْدَهُ أَهْلَ الْحَدِيثِ بِمَكَّةَ فَقَالَ: قَوْمٌ سَوَاءٌ .

فَقَامَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَهُوَ يَنْفُضُ ثَوْبَهُ وَيَقُولُ: زَنْدِيقٌ زَنْدِيقٌ زَنْدِيقٌ، وَدَخَلَ بَيْتَهُ، فَإِنَّهُ عَرَفَ مَغْرَاهُ .

وَعَيْبُ الْمُنَافِقِينَ لِلْعُلَمَاءِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ قَدِيمٌ مِنْ زَمَنِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ،

وَأَمَّا أَهْلُ الْعِلْمِ فَكَانُوا يَقُولُونَ: هُمْ "الْأَبْدَالُ"؛ لِأَنَّهُمْ أَبْدَالُ الْأَنْبِيَاءِ وَقَائِمُونَ مَقَامَهُمْ حَقِيقَةً، لَيْسُوا مِنَ

الْمُعْدَمِينَ الَّذِينَ لَا يُعْرَفُ لَهُمْ حَقِيقَةٌ، كُلٌّ مِنْهُمْ يَقُومُ مَقَامَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْقَدْرِ الَّذِي نَابَ عَنْهُمْ فِيهِ، هَذَا فِي

الْعِلْمِ وَالْمَقَالِ، وَهَذَا فِي الْعِبَادَةِ وَالْحَالِ، وَهَذَا فِي الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا .

قال الشَّارح وفقه الله :

ذكر الأبدال يأتي في كلام الأئمة، وخاصةً في كلام شيخ الإسلام، -والله أعلم- كأنه يميل إلى تصريح

حديث الأبدال والله أعلم، ولكنه أشار هنا إلى معنى الأبدال، من هم الأبدال الذين يتحدث عنهم أهل

الحديث؟ وهم الذين ينوبون عن الأنبياء في توضيح وبيان ما ورثوه عنهم في بيان علومهم وفي تبليغ

علومهم، لا يتحدثون للمعدومين الذين لا تُعرف لهم حقيقة.

طبعاً نظرية الأبدال عند الصوفية أنهم يقتسمون تدبير العالم، أكثرهم يقولون: هم أربعة، وكل واحد منهم

عنده أو سبعة هكذا يقولون، أحدهم كان يأتي للحج فقال له أحد العلماء الكبار -ولا زال موجوداً- من هؤلاء

المُخَرِّفِينَ يقول: إذا ذهبت إلى مكة وأردت أن تطوف قد يُصادفك شخص رث كذا وكذا وكذا، فهذا من

الأبدال، ممن وُكِّلَ إليه حفظ مكة، وقد يظهر لهم الشيطان، ما دام هذه عقائدهم، قد يظهر لهم الشيطان وقد

يقول له: أنا ..

الطالب: هل هم الأقطاب؟

الشيخ: الأبدال.

الشيخ: عندهم تقسيم للأقطاب دون الأبدال، لهم في سلم الوظائف عندهم.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَانُوا يَقُولُونَ: هُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ الظَّاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ؛ لِأَنَّ الْهُدَى وَدِينَ الْحَقِّ
الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ مَعَهُمْ، وَهُوَ الَّذِي وَعَدَ اللهُ بِظُهُورِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا.

فَصُلُّ

وَتَلْخِيصُ النُّكْتَةِ: أَنَّ الرُّسُلَ إِذَا أُنْزِلَتْ عَلَيْهِمُ الْحَقَائِقُ الْخَبَرِيَّةُ وَالطَّلَبِيَّةُ أَوْ لَمْ يَعْلَمُوهَا، وَإِذَا عَلِمُوهَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا هو كان يتحدث شيخ الإسلام في الصّفحات الماضية أنّ بعضهم يقولون كما يفصل هنا التفصيل هنا أكثر بعضهم يقولون: أنّ الأنبياء أصلًا ما كان يُمكنهم أن يبينوا؛ لأنهم أنفسهم ما يدرون، وبعضهم يقولون: لا، كان يُمكنهم، ولكنهم لم يُبينوا هذا إلا لخواصهم، فذكر لهم شيخ الإسلام خواصهم هم الصّحابة، والذين ورثوا علمهم هم الصّحابة، ورجع إلى الموضوع مرة أخرى بتفصيلٍ أكثر.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَتَلْخِيصُ النُّكْتَةِ: أَنَّ الرُّسُلَ إِذَا أُنْزِلَتْ عَلَيْهِمُ الْحَقَائِقُ الْخَبَرِيَّةُ وَالطَّلَبِيَّةُ أَوْ لَمْ يَعْلَمُوهَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إِذَا عِنْدَنَا حَالَتَانِ.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِذَا عَلِمُوهَا: فَإِذَا كَانَ يُمكنُهُمْ بَيَانُهَا بِالْكَلَامِ وَالكِتَابِ أَوْ لَا يُمكنُهُمْ ذَلِكَ.

وَإِذَا أَمَكَّنَهُمْ ذَلِكَ: فَإِذَا كَانَ يُمكنُ لِلْعَامَّةِ وَاللِّخَاصَّةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

خمس صور، (للعمامة أو للخاصة) ستة.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا وَإِنَّ الْفَلَّاسِفَةَ وَالْمُتَكَلِّمِينَ أَعْلَمَ بِهَا مِنْهُمْ وَأَحْسَنُ بَيَانًا لَهَا مِنْهُمْ، فَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا قَوْلُ الزَّنَادِقَةِ الْمُنَافِقِينَ، وَسَتَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ بَعْدَ هَذَا.

إِذَا الْخِطَابُ هُنَا لِبَيَانِ أَنَّ هَذَا قَوْلُ الزَّنَادِقَةِ، وَأَنَّهُ لَا يَقُولُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ أَوْ جَاهِلٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللَّهُ:

طبعًا هذا ما يحتاج أن يُخاطب به، أنت تخاطب مَنْ كفره أعظم من كفر أكفر الكفار.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَإِنْ قَالَ: إِنَّ الرُّسُلَ مَقْصُودُهُمْ صَلاَحُ عُمُومِ الْخَلْقِ، وَعُمُومِ الْخَلْقِ لَا يُمَكِّنُهُمْ فَهَهُمُ هَذِهِ الْحَقَائِقُ الْبَاطِنَةِ، فَخَاطَبُوهُمْ بِضَرْبِ الْأَمْثَالِ؛ لِيَتَنَفَعُوا بِذَلِكَ، وَأَظْهَرُوا الْحَقَائِقَ الْعَقْلِيَّةَ فِي الْقَوَالِبِ الْحَسِيَّةِ، فَتَضَمَّنَ خِطَابُهُمْ عَنِ اللَّهِ وَعَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ: مِنَ التَّخْيِيلِ وَالتَّمْثِيلِ لِلْمَعْقُولِ بِصُورَةِ الْمَحْسُوسِ مَا يَتَّبَعُ بِهِ عُمُومُ النَّاسِ فِي أَمْرِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَبِالْمِعَادِ.

وَذَلِكَ يُقَرَّرُ فِي النُّفُوسِ مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ وَعَظَمَةِ الْيَوْمِ الْآخِرِ مَا يُحُضُّ النُّفُوسَ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَعَلَى الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ، فَيَتَنَفَعُونَ بِذَلِكَ وَيَنَالُونَ السَّعَادَةَ بِحَسَبِ إِمْكَانِهِمْ وَاسْتِعْدَادِهِمْ، إِذْ هَذَا الَّذِي فَعَلْتَهُ الرُّسُلُ هُوَ غَايَةُ الْإِمْكَانِ فِي كَشْفِ الْحَقَائِقِ لِعُمُومِ النَّوعِ الْبَشَرِيِّ وَمَقْصُودُ الرُّسُلِ: حِفْظُ النَّوعِ الْبَشَرِيِّ وَإِقَامَةُ مَصْلَحَةِ مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللَّهُ:

لاحظوا كيف التسلسل في هذا الكفر، وهذا - كما قلت لكم - ذكره ابن سينا، ونقل عنه كثير من المتكلمين في مسألة العلوم، ابن سينا ذكره في المعاد ومسألة المعاد، وهذا التزويق أن الرسل وأن الرسل هذا كله تليس وتدليس.

يقول: إذا كانوا يقولون هذا، (فمعلوم).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَمَعْلُومٌ: أَنَّ هَذَا قَوْلُ حُدَّاقِ الْفَلَّاسِفَةِ مِثْلُ الْفَارَابِيِّ وَابْنِ سِينَا وَغَيْرِهِمَا، وَهُوَ قَوْلُ كُلِّ حَاذِقٍ وَفَاضِلٍ

مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي الْقَدْرِ الَّذِي يُخَالِفُ فِيهِ أَهْلَ الْحَدِيثِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

طبعًا هو حاذق وفاضل عنده، (في الْقَدْرِ الَّذِي يُخَالِفُ فِيهِ أَهْلَ الْحَدِيثِ)، يُشير شيخ الإسلام أنَّ أصل المذهب هو الفلاسفة المتفلسفة، ولكن قد يَشْرِكُهُمْ في هذا بعض المتكلمين، -وكما ذكرت لكم- نقل كلام ابن سينا الرازي نقله بطوله في مسألة العلوم، ونقله أيضًا التفتازاني، ونقله أيضًا على ما أذكر الجُرْجَانِي.

لخصوا ما ذكره ابن سينا، وأن هذا هو غاية ما يُمكنهم أن يَعْلَمُوهُ العوام، وغاية ما يُمكن الأنبياء أن يحققوه من المصلحة، وهذا الذي يصلح العوام مثل هذا الكفر.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

فالفارابي يَقُولُ: "إِنَّ خَاصَّةَ النَّبُوَّةِ جَوْدَةٌ تَخْيِيلِ الْأُمُورِ الْمَعْقُولَةِ فِي الصُّورِ الْمَحْسُوسَةِ" أَوْ نَحْوِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

(جَوْدَةٌ تَخْيِيلِ الْأُمُورِ الْمَعْقُولَةِ فِي الصُّورِ الْمَحْسُوسَةِ)، قلت لكم هذا هو الجنون يظن أن هناك شيء وليس هناك شيء، ولكن الألفاظ هذه التي يعظمها هؤلاء المتكلمون.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَابْنُ سِينَا يَذْكُرُ هَذَا الْمَعْنَى فِي مَوَاضِعَ وَيَقُولُ: «مَا كَانَ يُمَكِّنُ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ مَعَ أَوْلِيكَ الْعِبْرَانِيِّينَ وَلَا يُمَكِّنُ مُحَمَّدًا مَعَ أَوْلِيكَ الْعَرَبِ الْجُفَاءِ».

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

قوله: (مَا كَانَ يُمَكِّنُ) ما: نافية.

طبعًا هذا تلخيص لكلام ابن سينا، قلت لكم شيخ الإسلام نقل كلامه في "الدرء" نقل كلامه بحروفه، وردَّ عليه جملةً جملةً.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

أَنْ يُبَيِّنَا لَهُمُ الْحَقَائِقَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَعْجِزُونَ عَنْ فَهْمِ ذَلِكَ، وَإِنْ فَهِمُوهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ انْحَلَّتْ عِزَمَاتِهِمْ عَنْ اتِّبَاعِهِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ مِنَ الْعِلْمِ مَا يَقْتَضِي الْعَمَلَ».

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

أولاً: لا يمكنهم أن يفهموا، وإن فهموا مثلاً لا بُدَّ أَنْ تَوَاضَعُوا لِرَبِّ لَيْسَ فَوْقَ لَيْسَ تَحْتَ لَيْسَ، أَنْتَ تَدْعُونِي إِلَى مَاذَا؟ لِأَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ مِنَ الْعِلْمِ مَا يَقْتَضِي الْعَمَلَ، تَدْعُونِي إِلَى مَاذَا؟ وَمَاذَا تَرِيدُ مِنِّي أَنْ أَعْتَقِدَ؟ أَعْبُدُ مَنْ؟ هَلْ يَسْمَعُنِي، يَنْفَعُنِي، يَضُرُّنِي؟

فلذلك إِمَّا أَنَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَ لَا يُمْكِنُهُمْ، فَإِنْ فَهِمُوا يُوَدِّي أَكْثَرَ مَا يَرِيدُهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى كَلَامِهِ وَعَلَى تَنْسِيقِهِ مِنَ الْإِصْلَاحِ، فَلِذَلِكَ اكْتَفَى بِالْتَمَثِيلِ وَالتَّخْيِيلِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَهَذَا الْمَعْنَى يُوجَدُ فِي كَلَامِ أَبِي حَامِدٍ وَأَمْثَالِهِ وَمَنْ بَعْدَهُ: طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فِي الْإِحْيَاءِ وَغَيْرِ الْإِحْيَاءِ وَكَذَلِكَ فِي كَلَامِ الرَّازِي.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

أَنْ يَوْجَدَ عِنْدَ الْفَلَسَفَةِ هَذَا دِينَهُمْ، أَمَّا أَنْ يَوْجَدَ عِنْدَ هَؤُلَاءِ هَذَا الَّذِي خَطَرَتُهُ أَكْثَرَ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَأَمَّا الْإِتِّحَادِيَّةُ وَنَحْوُهُمْ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ: فَعَلَيْهِ مَدَارُهُمْ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

طَبَعًا الْمُتَكَلِّمُونَ أَبْعَدُ مَا يَكُونُونَ عَنِ التَّصَوُّفِ؛ لِأَنَّ الْمُتَصَوِّفَ يَعْبُدُونَ الْخِرَافَاتَ، كَلَّمَا أَبْتَعَدَ أَحَدُهُمْ عَنِ الْعَقْلِ تَرَقَّى أَكْثَرَ، وَالتَّكَلِّمُونَ عَكْسَ، وَلَكِنَّ الَّذِي حَصَلَ، فَالْمَفْرُوضُ أَنْ يَكُونَ الْمُتَكَلِّمُونَ أَبْعَدَ مَا يَكُونُونَ عَنِ الْمُتَصَوِّفَةِ، وَلَكِنَّ الَّذِي حَصَلَ أَنْ كَثِيرًا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ صُوفِيَّينَ سَبْحَانَ اللَّهِ. مِنْهُمْ الرَّازِي ذَكَرَ أَصْنَافَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَأَصْنَافَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَلْفَهُ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنِيِّ، وَذَكَرَ أَنَّهُمْ خَمْسَةٌ أَوْلَهُمُ الصُّوفِيَّةُ، وَالطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ الْمُتَكَلِّمُونَ.

لذلك يقول: (وَأَمَّا الْإِتِّحَادِيَّةُ وَنَحْوُهُمْ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَعَلَيْهِ مَدَارُهُمْ وَمَبْنَى كَلَامِ الْبَاطِنِيَّةِ وَالْقَرَامِطَةِ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ يُنْكِرُونَ ظَوَاهِرَ الْأُمُورِ الْعَمَلِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني القرامطة القرامطة ليس لهم حد في التأويل، (يُنْكِرُونَ ظَوَاهِرَ الْأُمُورِ الْعَمَلِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ)، وأولئك يقتصرون على الأمور العلمية على الأمور الاعتقادية، أما هؤلاء الأمور التي تتعلق بالفقه والأمر التي تتعلق بالاعتقاد كله مؤول عندهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمَّا غَيْرُ هَؤُلَاءِ فَلَا يُنْكِرُونَ الْعَمَلِيَّاتِ الظَّاهِرَةَ وَالْمُتَوَاتِرَةَ، لَكِنَّ قَدْ يَجْعَلُونَهَا لِعُمُومِ النَّاسِ لَا لِخُصُوصِهِمْ، كَمَا يَقُولُونَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي الْأُمُورِ الْخَبَرِيَّةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هؤلاء الصوفية، هؤلاء طائفة من الصوفية أو أكثر الصوفية.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَدَارُ كَلَامِهِمْ: عَلَى أَنَّ الرِّسَالَةَ مُتَضَمِّنَةٌ لِمَصْلَحَةِ الْعُمُومِ عِلْمًا وَعَمَلًا، وَأَمَّا الْخَاصَّةُ فَلَا.

وَعَلَى هَذَا يَدُورُ كَلَامُ أَصْحَابِ "رَسَائِلِ إِخْوَانِ الصِّفَا" وَسَائِرِ فَضَلَاءِ الْمُتَفَلِّسِفَةِ.

ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يُوجِبُ اتِّبَاعَ الْأُمُورِ الْعَمَلِيَّةِ مِنَ الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ، وَهَؤُلَاءِ كَثِيرُونَ فِي مُتَفَقِّهَتِهِمْ وَمتصوفتهم وَعُقَلَاءِ فَلَاسِفَتِهِمْ، وَإِلَى هُنَا كَانَ يَنْتَهِي عِلْمُ ابْنِ سِينَا إِذْ تَابَ وَالتَّزَمَ الْقِيَامَ بِالْوَجِبَاتِ النَّامُوسِيَّةِ. فَإِنَّ قُدَمَاءَ الْفَلَاسِفَةِ كَانُوا يُوجِبُونَ اتِّبَاعَ النَّوَامِيسِ الَّتِي وَضَعَهَا أَكْبَابُ حُكَمَاءِ الْبِلَادِ، فَلِأَنَّ يُوجِبُوا اتِّبَاعَ نَوَامِيسِ الرُّسُلِ أَوْلَى، فَإِنَّهُمْ - كَمَا قَالَ ابْنُ سِينَا - : «اتَّفَقَ فَلَاسِفَةُ الْعَالَمِ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَفْرَعِ الْعَالَمُ نَامُوسٌ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا النَّامُوسِ الْمُحَمَّدِيِّ».

قال الشَّارح وفقه الله :

وهكذا يضلون هكذا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَكُلُّ عُقَلَاءِ الْفَلَاسِفَةِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ أَكْمَلُ وَأَفْضَلُ النَّوْعِ الْبَشَرِيِّ، وَأَنَّ جِنْسَ الرَّسُلِ أَفْضَلُ مِنْ جِنْسِ الْفَلَاسِفَةِ الْمَشَاهِيرِ، ثُمَّ قَدْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الرَّسُلَ وَالْأَنْبِيَاءَ حُكَمَاءَ كُبْرَاءَ، وَأَنَّ الْفَلَاسِفَةَ الْحُكَمَاءَ أَنْبِيَاءَ صِغَارًا، وَقَدْ يَجْعَلُونَهُمْ صِنْفَانِ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ شَرْحِ ذَلِكَ، فَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَنْ ذَلِكَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَإِنَّمَا الْغَرَضُ: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَسَاطِينَ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ غَايَةُ مَا يَقُولُونَ: هَذَا الْقَوْلُ.

وَنَحْنُ ذَكَرْنَا الْأَمْرَ عَلَى وَجْهِ التَّفْسِيمِ الْعَقْلِيِّ الْحَاصِرِ؛ لِئَلَّا يَخْرُجَ عَنْهُ قِسْمٌ لِيَتَبَيَّنَ أَنَّ الْمُخَالَفَ لِعُلَمَاءِ الْحَدِيثِ عِلْمًا وَعَمَلًا: إِمَّا جَاهِلٌ وَإِمَّا مُنَافِقٌ، وَالْمُنَافِقُ جَاهِلٌ وَزِيَادَةٌ - كَمَا سَنَبِّئُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ -، وَالْجَاهِلُ هُنَا فِيهِ شُعْبَةٌ نَفَاقٍ، وَإِنْ كَانَ لَا يَعْلَمُ بِهَا فَالْمُنْكَرُ لِذَلِكَ جَاهِلٌ مُنَافِقٌ.

قال الشَّارح وفقه الله :

(إِمَّا جَاهِلٌ وَإِمَّا مُنَافِقٌ)، والنَّفَاقُ يتضمن الجهل، والجهل أيضًا يستلزم شيئًا من النِّفاق، كلاهما

بينهما شيء من التلازم، أقل أحواله أن يكون جاهلًا فيه شيء من النِّفاق.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

فَقُلْنَا: إِنَّ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ وَكِبَارَ طَائِفَتِهِ أَعْلَمُ مِنَ الرَّسُلِ بِالْحَقَائِقِ وَأَحْسَنُ بَيَانًا لَهَا، فَهَذَا زَنْدِيقٌ مُنَافِقٌ إِذَا أَظْهَرَ الْإِيمَانَ بِهِمْ بِاتِّفَاقِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ، وَسَيَجِيءُ الْكَلَامُ مَعَهُ.

وَإِنْ قَالَ: إِنَّ الرَّسُلَ كَانُوا أَعْظَمَ عِلْمًا وَبَيَانًا، لَكِنَّ هَذِهِ الْحَقَائِقَ لَا يُمَكِّنُ عِلْمُهَا، أَوْ لَا يُمَكِّنُ بَيَانُهَا مُطْلَقًا، أَوْ يُمَكِّنُ الْأَمْرَانَ لِلْحَاصَّةِ.

قُلْنَا: فَحَيْثُ لَا يُمَكِّنُكُمْ أَنْتُمْ مَا عَجَزَتْ عَنْهُ الرَّسُلُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْبَيَانِ).

قال الشَّارح وفقه الله :

هذا سبق أن بينه شيخ الإسلام إذا كان لا يمكن لهم، الرسل ما كان يمكنهم أن يظهروا هذه الحقائق.

إِذَا أَنْتُمْ أَيْضًا لَا يُمْكِنُكُمْ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

إِنْ قُلْتُمْ: لَا يُمْكِنُ عِلْمُهَا، قُلْنَا: فَأَنْتُمْ وَأَكَابِرُكُمْ لَا يُمْكِنُكُمْ عِلْمُهَا بِطَرِيقِ الْأَوْلَى، وَإِنْ قُلْتُمْ: لَا يُمْكِنُهُمْ بَيَانُهَا، قُلْنَا: فَأَنْتُمْ وَأَكَابِرُكُمْ لَا يُمْكِنُكُمْ بَيَانُهَا، وَإِنْ قُلْتُمْ: يُمْكِنُ ذَلِكَ لِلْخَاصَّةِ دُونَ الْعَامَّةِ، قُلْنَا: فَيُمْكِنُ ذَلِكَ لِلْخَاصَّةِ مِنَ الرَّسْلِ دُونَ عَامَتِهِمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

طبعًا الذي عندك الطبعة الثانية هي هكذا؟ (فَيُمْكِنُ ذَلِكَ لِلْخَاصَّةِ مِنَ الرَّسْلِ دُونَ)، هكذا؟

الطالب: طبعًا معنى الجملة (وَإِنْ قُلْتُمْ: يُمْكِنُ ذَلِكَ لِلْخَاصَّةِ)، يعني يمكن أن يبين الرُّسل هذه الحقائق لخواصهم إذا كنتم تقولون هكذا، ولا يمكنهم أن يبينوها للعامة؛ لأنَّ العوام لم يرتاضوا لمثل هذه، قلنا: يمكن ذلك أن يبينه الرُّسل لخواصهم، كما تدعون أنكم بينتم هذا لخواصكم يُمكنهم أيضًا أن يُبينوا لخواصهم وسبق هذا، وأن خواصهم هم الصحابة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَإِنْ أَدَعَوْا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي خَاصَّةِ أَصْحَابِ الرَّسْلِ مَنْ يُمْكِنُهُمْ فَهَمُ ذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

وهذا هو قولهم، هذا فعلاً كلام ابن سينا الصريح في هذا أن أولئك كذا وكذا وكذا، لم يكن يمكنهم أن يفهموا هذه الحقائق على ما هي عليه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

جَعَلُوا السَّابِقِينَ الْأَوْلِينَ دُونَ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَهَذَا مِنْ مَقَالَاتِ الزَّنَادِقَةِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ جَعَلَ بَعْضَ الْأُمَمِ الْأَوَائِلِ مِنَ الْيُونَانِ وَالْهِنْدِ وَنَحْوِهِمْ أَكْمَلَ عَقْلًا وَتَحْقِيقًا لِلْأُمُورِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْمَعَادِيَةِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

فَهَذَا مِنْ مَقَالَاتِ الْمُنَافِقِينَ الزَّنَادِقَةِ؛ إِذِ الْمُسْلِمُونَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَكْمَلُهَا،

وَأَنَّ أَكْمَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَفْضَلَهَا هُمْ سَابِقُوهَا، وَإِذَا سَلِمَ ذَلِكَ فَأَعْلَمُ النَّاسِ بِالسَّابِقِينَ وَأَتْبَعُهُمْ لَهُمْ هُمْ أَهْلُ
الْحَدِيثِ وَأَهْلُ السُّنَّةِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

هذه هي الخلاصة التي يرجع إليها شيخ الإسلام أينما ذهبتم فالحق عند أهل الحديث.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَلِهَذَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي رِسَالَةٍ عَبْدُوسِ بْنِ مَالِكٍ: «أُصُولُ السُّنَّةِ عِنْدَنَا: التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ
أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ».

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

طبعاً قدمها حتى، ما بعده قدمها؛ لأنّ هذا هو المعيار، وهذا الذي ضلّ فيه الناس ضلالاً واضحاً،
وهذا هو الذي عصم -بفضل الله عصم أهل السنة عن الانحراف- التمسك بما كان عليه أصحاب
رسول الله ﷺ، وما كانوا عليه، ما الذي كانوا عليه؟ على الكتاب والسنة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَتَرَكَ الْبِدْعَ وَكُلَّ بِدْعَةٍ فِيهَا ضَلَالَةٌ، وَالسُّنَّةُ عِنْدَنَا: آثَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ وَهِيَ
دَلَالُ الْقُرْآنِ، أَي دَلَالَاتٌ عَلَى مَعْنَاهُ.

وَلِهَذَا ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ: أَنَّ الرَّفْضَ أَسَاسُ الزُّنْدَقَةِ، وَأَنَّ أَوَّلَ مَنْ ابْتَدَعَ الرَّفْضَ إِنَّمَا كَانَ مُنَافِقًا زُنْدِيقًا وَهُوَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَبَأٍ، فَإِنَّهُ إِذَا قُدِحَ فِي السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ فَقَدْ قُدِحَ فِي نَقْلِ الرَّسَالَةِ أَوْ فِي فَهْمِهَا أَوْ فِي اتِّبَاعِهَا.

فَالرَّافِضَةُ تُقَدِّحُ تَارَةً.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

إذا هما أمران:

- القدح في نقل الرسالة.

- أو القدح في فهم الرسالة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

قَالَ رَافِضَةٌ تُقَدِّحُ تَارَةً فِي عِلْمِهِمْ بِهَا، وَتَارَةً.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

لا يمكننا أن نعرف.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَتَارَةً فِي اتِّبَاعِهِمْ لَهَا، وَتُحِيلُ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ وَالْمَعْصُومِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ وُجُودٌ فِي الْوُجُودِ، وَالزَّانِدِ قَدْ مَنِ الْفَلَاسِفَةِ وَالنُّصَيْرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ يَقْدَحُونَ تَارَةً فِي النَّقْلِ، وَهُوَ قَوْلُ جُهَّالِهِمْ، وَتَارَةً يَقْدَحُونَ فِي فَهْمِ الرَّسَالَةِ، وَهُوَ قَوْلُ حُدَّاقِهِمْ، - كَمَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ أَكْبَرُ الْفَلَاسِفَةِ وَالْإِتْحَادِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ -.

حَتَّى كَانَ التَّلْمِسَانِي مَرَّةً مَرِيضًا، فَدَخَلَ عَلَيْهِ شَخْصٌ وَمَعَهُ بَعْضُ طَلَبَةِ الْحَدِيثِ، فَأَخَذَ يَتَكَلَّمُ عَلَى قَاعِدَتِهِ فِي الْفِكْرِ أَنَّهُ حِجَابٌ، وَأَنَّ الْأَمْرَ مَدَارُهُ عَلَى الْكُشْفِ، وَعَرَضَهُ كَشْفُ الْوُجُودِ الْمُطْلَقِ، فَقَالَ ذَلِكَ الطَّالِبُ: فَمَا مَعْنَى قَوْلِ أُمِّ الدَّرْدَاءِ: "كَانَ أَفْضَلُ عَمَلِ أَبِي الدَّرْدَاءِ: التَّفَكُّرُ".

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

أنا لا أستغرب من التلمساني؛ أنا أستغرب من هذا أين دخل على التلمساني ويقول له؟

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

فَمَا مَعْنَى قَوْلِ أُمِّ الدَّرْدَاءِ: «كَانَ أَفْضَلُ عَمَلِ أَبِي الدَّرْدَاءِ: التَّفَكُّرُ؟»، فَتَبَرَّمَ بِدُخُولِ مِثْلِ هَذَا عَلَيْهِ، وَقَالَ لِلَّذِي جَاءَ بِهِ: كَيْفَ يَدْخُلُ عَلَيَّ مِثْلُ هَذَا؟ ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرِي يَا بُنَيَّ مَا مِثْلُ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَأَمْثَالِهِ؟.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

(وَأَمْثَالِهِ) أي: من الصحابة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

أَتَدْرِي يَا بَنِيَّ مَا مِثْلُ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَأَمْثَالِهِ؟ مِثْلُ أَفْوَامٍ سَمِعُوا كَلَامًا وَحَفِظُوهُ لَنَا؛ حَتَّى نَكُونَ نَحْنُ الَّذِينَ نَفْهَمُهُ وَنَعْرِفُ مُرَادَ صَاحِبِهِ، وَمِثْلَهُ بَرِيدٌ حَمَلَ كِتَابًا مِنَ السُّلْطَانِ إِلَى نَائِبِهِ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هم نقلوا الكلام وحفظوه لنا حتى نُفسِّر، هم خَلِقُوا لِلحِفْظِ ونحن خُلِقْنَا لِلتَّفْسِيرِ وليبيان المعاني.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، فَقَدْ طَالَ عَهْدِي بِالْحِكَايَةِ حَدَّثَنِي بِهَا الَّذِي دَخَلَ عَلَيْهِ، وَهُوَ ثِقَةٌ يَعْرِفُ مَا يَقُولُ فِي هَذَا، وَكَانَ لَهُ فِي هَذِهِ الْفُنُونِ جَوْلَانٌ كَثِيرٌ، وَكَذَلِكَ ابْنُ سِينَا وَغَيْرُهُ يَذْكُرُونَ مِنَ التَّنْقِصِ بِالصَّحَابَةِ مَا وَرَثَهُ مِنْ أَبِيهِ وَشِيعَتِهِ الْقَرَامِطَةَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لاحظوا أنَّ القدح في الصحابة، لماذا؟ فقد قُدِحَ في نقل الرسالة، إذا قُدِحَ في السابقين الأولين فقد

قُدِحَ في نقل الرسالة، وهذا الذي يُرَكِّزُونَ عليه، أو في فهمها أو في اتباعها.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وكان ابن سينا وغيره يذكرون من التنقص بالصحابة ما ورثه عن أبيه وشيعته القرامطة، حتى تجدهم إذا ذكروا في آخر الفلسفة حاجة النوع البشري إلى الإمامة عرضوا بقول الرافضة الضلال، لكن أولئك يُصرِّحون من السبِّ بأكثر مما يصرِّح به هؤلاء.

ولهذا تجد بين "الرافضة" "القرامطة" "والاتحادية" اقترباً واشتباهاً تجمعهم أمور:

منها: الطعن في خيار هذه الأمة، وفيما عليه أهل السنة والجماعة، وفيما استقر من أصول الملة وقواعد الدين، ويدعون باطناً امتازوا به واختصوا به عمّن سواهم.

ثم هم مع ذلك متلاعنون متباغضون مختلِفون، كما رأيت وسمعت من ذلك ما لا يحصى، كما قال الله عن النصاري: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ١٤].

وقال عن اليهود: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا

الله﴾ [المائدة: ٦٤].

وكذلك المتكلمون المخلطون الذين يكونون تارة مع المسلمين - وإن كانوا مبتدعين -، وتارة مع الفلاسفة الصابئين، وتارة مع الكفار المشركين، وتارة يُقابلون بين الطوائف وينظرون لمن تكون الدائرة، وتارة يتحيرون بين الطوائف، وهذه الصفة كثرت في كثير ممن انتسب إلى الإسلام من العلماء والأمرء وغيرهم، لا سيما لما ظهر المشركون من الترك على أرض الإسلام بالمشرك في أثناء المئة السابعة.

قال الشارح وفقه الله:

يقصد المغول الذين اجتاحتوا البلاد الشرقية، بل وصلوا إلى طوائف الشام، ولكن وصلوا إلى هناك بعد فترة، هنا بدأ اجتياحهم مع بداية المئة السابعة، يعني ستمائة وست عشر سبعة عشر كانوا قد تجاوزوا بخارى.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَانَ كَثِيرٌ مِمَّنْ يَنْتَسِبُ إِلَى الْإِسْلَامِ فِيهِ مِنَ النَّفَاقِ وَالرَّدَّةِ مَا أَوْجَبَ تَسْلِيطَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْكِتَابِ، فَتَجَدُّ أَبَا عَبْدِ اللهِ الرَّازِيَّ يَطْعَنُ فِي دَلَالَةِ الْأَدْلَةِ اللَّفْظِيَّةِ عَلَى الْيَقِينِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً هذه النظرية أو هذا القول لم يسبق إليها، الرازي لم يسبق إلى هذا القول، لم يذهب إلى هذا أحد لا من الجهمية ولا من المعتزلة ولا من الأشاعرة، لم يقل أحد منهم أن الأدلة اللفظية كلها ظنية دلالة، نعم هم قد يقدحون في بعضها من حيث الدلالة أو من حيث الثبوت. أمّا القول: بأن الأدلة اللفظية كلها لا تفيد اليقين دلالة فهذا قول الرازي، ولكنّه -للأسف- قلده من بعده، أمّا من قبله لم يسبق إلى هذا القول، وذكره في عدد من كتبه، وفصل كيف أنه لا يمكن أن يفيد شيء من الأدلة اللفظية اليقين.

الطالب: وإن كانت متواترة؟

الشيخ: إي، الأدلة اللفظية كلها القرآن والسنة.

بالنسبة للسنة هم انتهوا منها من زمان بأنها أخبار آحاد، أمّا ما يذكرون من تقسيم الحديث من حيث الوصول إلينا إلى متواتر، كلام ليس له معنى؛ لأنه ليس هناك حديث متواتر، في الواقع ليس هناك حديث متواتر عندهم.

وبالتالي هذا الطاغوت - كما يقول ابن القيم - كفيلاً بإزالة السنة بتمامها، الذي بقي هو القرآن، فجاء بهذه النظرية الغريبة جداً، وذكر أن الأدلة اللفظية، طبعاً الأدلة على قسمين:

- أدلة عقلية.

- وأدلة لفظية.

والأدلة اللفظية التي تنقل بالألفاظ كما هو حال القرآن والسنة، هذه لا تفيد اليقين إلا إذا تجاوزت عشرة عقبات، وذكر بنفسه هذه، ثم ذكر الخلاصة أيضاً والنتيجة أيضاً أنه لا يمكن أن تجزم بأن هذا

الدليل أو ذاك الدليل قد توفرت هذه الشروط العشرة، وبالتالي الأدلة اللفظية كلها ظنية دلالتها.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَفِي إِفَادَةِ الْأَخْبَارِ لِلْعِلْمِ، وَهَذَانِ هُمَا مُقَدِّمَتَا الزَّنْدَقَةِ - كَمَا قَدَّمْنَاهُ - .

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني كما ذكر في بداية الفقرة إمَّا الطَّعْنُ فِي النَّقْلِ، وَإِمَّا الطَّعْنُ فِي الْفَهْمِ، فهذا في الدلالة، كلها ظنية دلالةً.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ثُمَّ يَعْتَمِدُ فِيمَا أَقْرَبَ بِهِ مِنْ أُمُورِ الْإِسْلَامِ عَلَى مَا عَلِمَ بِالْإِضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا هناك أمور هو أيضًا يقول: بأنه لا يُمكن أن يُشكَّ فيها، فكيف تُفسَّر؟ هناك أمور هو أيضًا يقول: بأنها مما يجب الجزم بها، فكيف تُفسَّر؟ لا يُمكنه أن يستدل فيها بدليل مُعيَّن، إنَّما يعتمد في ذلك على ما عَلِمَ بالاضطرار من دين الإسلام، -أو كما ذكر شيخ الإسلام في مواضع كثيرة- أو يحتجون بالإجماع، أو يرجعون إلى هذا، هذا من الأركان مثلاً، هذا من الواجبات، لماذا؟ لأنه مما عَلِمَ بالاضطرار من دين الإسلام.

أمَّا أن يستدلوا بدليل بعينه لا يمكنهم؛ لأنهم لم يتركوا شيئاً من الأدلة: إمَّا ثبوتاً وإمَّا دلالةً.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

مِثْلُ الْعِبَادَاتِ وَالْمُحَرَّمَاتِ الظَّاهِرَةِ وَكَذَلِكَ الْإِقْرَارُ بِمَعَادِ الْأَجْسَادِ -مَعَ أَنَّ الْإِطْلَاعَ عَلَى التَّفَاسِيرِ وَالْأَحَادِيثِ- يَجْعَلُ الْعِلْمَ بِذَلِكَ مُسْتَفَادًا مِنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ، فَلَا يُعْطَلُ تَعْطِيلَ الْفَلَّاسِفَةِ الصَّابِئِينَ، وَلَا يُقَرَّرُ إِقْرَارَ الْحُنَفَاءِ الْعُلَمَاءِ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لا، لا هو ولا هو هنا، هناك عنده أمور مُسلمة، مثلاً: قضية الميعاد، في قضية الميعاد الأشاعرة

ردودهم على الفلاسفة قويّة، ولكن المتأخرين تأثروا حتى في الميعاد، ولكن نحن نتحدث عن عموم الأشاعرة، أنت تجزم أنّ تأويله في الميعاد خطأ، تعتمد على ماذا؟ يعتمد على ما، هذا من الأمور التي علّمت في بداهة من الإسلام، أمّا أن يستدلّ بدليلٍ مُعيّن لا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ الصَّحَابَةُ، وَإِنْ كَانَ يَقُولُ بَعْدَ التَّهْمِ فِيمَا نَقَلُوهُ وَبِعِلْمِهِمْ فِي الْجُمْلَةِ، لَكِنْ يَزْعُمُ فِي مَوَاضِعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا شُبُهَاتِ الْفَلَسَفَةِ وَمَا خَاصُوا فِيهِ، إِذْ لَمْ يَجِدْ مَأْثُورًا عَنْهُمْ التَّكَلُّمَ بِلُغَةِ الْفَلَسَفَةِ، وَيَجْعَلُ هَذَا حُجَّةً لَهُ فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ يَزْعُمُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً يقترح صاحب التعليق الدكتور عبد العزيز أن تكون التكملة هكذا على من يزعم أنّ الصحابة علموها، وهذا التكميل جيّد، على من يزعم أنّ الصحابة علموها.

يقول شيخ الإسلام: الرّازي لما لم يجد مأثوراً عنهم التكلّم بلغة الفلاسفة، لم يجد لا عند الصحابة ولا عند التابعين الهيولة والصورة والجوهر، لم يجد عندهم أنهم يتكلمون بهذه اللغة، فاستنتج منها أنهم أصلاً لم يعلموا شُبُهَاتِ الْفَلَسَفَةِ وَمَا خَاصُوا فِيهِ الْفَلَسَفَةِ.

وبالتالي من علّم شُبُهَاتِهِمْ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ هُوَ الْأَوْلَى بِالْإِحْكَامِ وَالْعِلْمِ، فَهَذِهِ النَّتِيجَةُ، وَلِذَلِكَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ وَقَفَ مَعَ هَذِهِ الْمَقُولَةِ وَقَفَةَ طَوِيلَةً جَدًّا، الرَّازِي يَذْكَرُ هَذَا فِي مَعْرُضِ الْمَدْحِ لَهُ وَلِغَيْرِهِ، كَتَبَ الرَّازِي بَعْضَهَا فِلْسَفَةً مُحَضَّةً، وَبَعْضَهَا الرَّدَّ عَلَيْهِمْ، وَبَعْضَهَا الدِّفَاعَ عَنْهُمْ، هُمْ فِي مَجْمُوعٍ مَا يَكْتُبُونَ يَزْعَمُونَ أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ فَهَمُوا شُبُهَاتِ الْفَلَسَفَةِ، وَبِالتَّالِي رَدُّوا عَلَيْهِ مَعَ أَنَّهُمْ وَقَعُوا فِي الْوَحْلِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ الْفَلَسَفَةُ فِي أَصُولِ الْإِسْلَامِ.

فشيخ الإسلام هنا - كما قلت - سيقف مع هذه المقولة وقفة طويلة جدًّا، وسيذكر ما يتعلّق بالترجمة، وكيف نعلم عن هذه الشُّبُهَاتِ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَرُدَّ عَلَيْهَا، وَمَا هِيَ السُّبُلُ لِلرَّدِّ عَلَيْهِمْ إِذَا وُجِدُوا فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ، سَيُطِيلُ هُنَا.

طبعًا هنا السقط السقط الذي هنا يبدو أنه طويل؛ لأن البداية ليست واضحة، والفكرة وضحت أن الرازي من يقدر في الصحابة، ودليله أنه لم يجد عندهم لغة الفلاسفة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ هَذِهِ الْمَقَالَاتُ لَا تَجِدُهَا إِلَّا عِنْدَ أَجْهَلِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي الْعَالَمِ وَأَظْلَمِهِمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمَةِ
وَالْمُتَفَلِّسَةِ وَالْمُتَشَيِّعَةِ وَالْإِتْحَادِيَةِ، مِثْلُ قَوْلِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْمُنَازِمَةِ فِي الصَّحَابَةِ، أَنَا أَشْجَعُ مِنْهُمْ،
وَإِنَّهُمْ لَمْ يُفَاتِلُوا مِثْلَ الْعَدُوِّ الَّذِي قَاتَلْنَا، وَلَا بَاشَرُوا الْحُرُوبَ مُبَاشَرَتَنَا، وَلَا سَاسُوا سِيَاسَتَنَا، وَهَذَا لَا
تَجِدُهُ إِلَّا فِي أَجْهَلِ الْمُلُوكِ وَأَظْلَمِهِمْ، فَإِنَّهُ إِنْ أَرَادَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إذا اعترض عليهم وقيل لهم: لماذا خالفتم الصحابة كذا وكذا؟ هذه حججهم.
(فإنه) يريد الرازي، بدأ في نقد هذه الشبهة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّهُ إِنْ أَرَادَ أَنْ نَفَسَ أَلْفَظِهِمْ، وَمَا يَتَوَصَّلُونَ بِهِ إِلَى بَيَانِ مُرَادِهِمْ مِنَ الْمَعَانِي لَمْ يَعْلَمُوهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

قوله: (أَلْفَظِهِمْ) يعني ألفاظ الفلاسفة.

يعني لم يعلمه الصحابة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَهَذَا لَا يَضُرُّهُمْ، إِذُ الْعِلْمُ بِلُغَاتِ الْأُمَّمِ لَيْسَ مِمَّا يَجِبُ عَلَى الرَّسْلِ وَأَصْحَابِهِمْ، بَلْ يَجِبُ مَا لَا يَتِمُّ

التَّبْلِيغُ إِلَّا بِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

كاللغة العربية مثلاً لغير العرب لا يمكن أن تفهم حقائق الدين إلا بتعلم هذه اللغة.

إذاً يجب أن تتعلم هذه اللغة؛ لما يتوقف عليها من تعلم الدين.

أمّا الفلسفة ما الذي يتوقف عليها؟ لا السنّة باللّغة اليونانية، ولا القرآن باللّغة اليونانية، (بَلْ يَحِبُّ مَا لَا يَتِمُّ التَّبْلِيغُ إِلَّا بِهِ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَالْمُتَوَسِّطُونَ بَيْنَهُمْ مِنَ التَّرَاجِمَةِ يَعْلَمُونَ لَفْظَ كُلِّ مِنْهُمَا وَمَعْنَاهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إذا أردنا احتجنا إلى شيء من هذا فالمتوسطون بينهم الذين بيني وبينهم ممن يترجموا يترجم لي ما أحتاج إليه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنْ كَانَ الْمَعْنَيَانِ وَاحِدًا كَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَإِلَّا عَلِمُوا مَا بَيْنَ الْمَعْنِيَيْنِ مِنَ الْاجْتِمَاعِ وَالْإفْتِرَاقِ وَبَيْنَا لِكُلِّ مِنْهُمَا مُرَادٌ صَاحِبِهِ، كَمَا تُصَوِّرُ الْمَعَانِي وَيُبَيِّنُ مَا بَيْنَ الْمَعْنِيَيْنِ مِنَ التَّمَاثُلِ وَالشَّابُهِ وَالتَّقَارُبِ.
فَالصَّحَابَةُ كَانُوا يَعْلَمُونَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَفِيمَا جَاءَ بِهِ بَيَانُ الْحُجَّةِ عَلَى بُطْلَانِ كُفْرِ كُلِّ كَافِرٍ، وَبَيَانُ ذَلِكَ بِقِيَاسِ صَحِيحٍ أَحَقُّ وَأَحْسَنُ بَيَانًا مِنْ مَقَائِسِ أَوْلِيكَ الْكُفَّارِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْكُفَّارَ لَا يَأْتُونَهُ بِقِيَاسِ عَقْلِيٍّ لِبَاطِلِهِمْ إِلَّا جَاءَهُ اللهُ بِالْحَقِّ، وَجَاءَ مِنَ الْبَيَانِ وَالِدَلِيلِ وَضَرْبِ الْمَثَلِ بِمَا هُوَ أَحْسَنُ تَفْسِيرًا، وَكَشْفًا وَإِضَاحًا لِلْحَقِّ مِنْ قِيَاسِهِمْ، وَجَمِيعُ مَا تَقَوْلُهُ الصَّابِغَةُ وَالْمُتَفَلِّسَةُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ - مِنْ حُكْمٍ أَوْ دَلِيلٍ - يَنْدَرِجُ فِيهَا عِلْمُهُ الصَّحَابَةُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إذا ليس هناك دليل لن نجده إلا عند الفلاسفة، ليس هناك الحق وما يدل على الحق موجود.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذِهِ الْآيَةُ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا

(٣٠) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٠-٣١].

فَبَيَّنَ أَنَّ مَنْ هَجَرَ الْقُرْآنَ فَهُوَ مِنْ أَعْدَاءِ الرُّسُلِ، وَأَنَّ هَذَا أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ إِلَّا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ

يَعُصُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا

(٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَرْسَلَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا إِلَى جَمِيعِ الْعَالَمِينَ، وَضَرَبَ الْأَمْثَالَ فِيمَا أَرْسَلَهُ بِهِ لِجَمِيعِهِمْ، كَمَا

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧]، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ ضَرَبَ

لِجَمِيعِ النَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طَبَعًا شَيْخَ الْإِسْلَامِ يَذْكَرُ فِي مَوَاضِعٍ مِنْ كُتُبِهِ أَنَّ الْمَثَلَ هُوَ الْقِيَاسُ، وَأَنَّ الْأَمْثَالَ هَذِهِ هِيَ الْمَقَائِسُ

الْعَقْلِيَّةُ الَّتِي ضُرِبَتْ لِبَيَانِ وَتَوْضِيحِ الْمَطَالِبِ الدِّينِيَّةِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْأَلْفَافَ فِي الْمُخَاطَبَاتِ تَكُونُ بِحَسَبِ الْحَاجَاتِ كَالسَّلَاحِ فِي الْمُحَارَبَاتِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

الْأَلْفَافُ فِي الْمُخَاطَبَاتِ (بِحَسَبِ الْحَاجَاتِ)، إِذَا احْتَجَّتْ إِلَيْهَا فَلَا بَأْسَ فِي ذَلِكَ، أَمَّا إِذَا لَمْ تَحْتَاجِ

إِلَيْهَا كَمَا هُوَ حَالُ الصَّحَابَةِ، لِمَاذَا تَعْتَبِرُهُ عَيْبًا فِيهِ؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِذَا كَانَ عَدُوُّ الْمُسْلِمِينَ - هُمْ فِي تَحْصِينِهِمْ وَتَسْلُحِهِمْ - عَلَى صِفَةٍ غَيْرِ الصِّفَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فَارِسُ

وَالرُّومُ، كَانَ جِهَادُهُمْ بِحَسَبِ مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ الَّتِي مَبْنَاهَا عَلَى تَحَرِّيِّ مَا هُوَ لِلَّهِ أَطْوَعُ، وَلِلْعَبْدِ أَنْفَعُ،

وَهُوَ الْأَصْلَحُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَقَدْ يَكُونُ الْخَيْرُ بِحُرُوبِهِمْ أَقْدَرُ عَلَى حَرْبِهِمْ مِمَّنْ لَيْسَ كَذَلِكَ لَا لِفَضْلِ قُوَّتِهِ وَشَجَاعَتِهِ، وَلَكِنْ لِمُجَانَسَتِهِ لَهُمْ كَمَا يَكُونُ الْأَعْجَمِيُّ الْمُتَشَبَّهُ بِالْعَرَبِ - وَهُمْ خِيَارُ الْعَجَمِ -، أَعْلَمَ بِمُخَاطَبَةِ قَوْمِهِ الْأَعْجَمِ مِنَ الْعَرَبِيِّ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

طبعًا هو يشير شيخ الإسلام أنَّ هذا تشبه محمود، أنَّ هذا يتشبه بمن عندهم الحق.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَكَمَا يَكُونُ الْعَرَبِيُّ الْمُتَشَبَّهُ بِالْعَجَمِ - وَهُمْ أَذْنَى الْعَرَبِ .

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

هذا تشبه مذموم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَهُمْ أَذْنَى الْعَرَبِ - أَعْلَمَ بِمُخَاطَبَةِ الْعَرَبِ مِنَ الْعَجَمِيِّ .

فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : «خِيَارُ عَجَمِكُمْ الْمُتَشَبِّهُونَ بِعَرَبِكُمْ، وَشَرَارُ عَرَبِكُمْ الْمُتَشَبِّهُونَ بِعَجَمِكُمْ» .

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

يقول المحقق: لم أجد له أصلًا، يبدو أنه مما علق بذهن شيخ الإسلام.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَلِهَذَا لَمَّا حَاصَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ الطَّائِفِ رَمَاهُمْ بِالْمَنْجِنِقِ، وَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا لَمْ يُقَاتِلْ مِنْهُ فِي الْمُرَاحِفَةِ

فِي يَوْمِ بَدْرٍ وَغَيْرِهِ .

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

ولم يقل إنَّ الرَّمِيَّ بِالْمَنْجِنِقِ فِيهِ تَشَبُّهُ بِغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، هَذِهِ وَسِيلَةٌ أَحْتَاجُوا إِلَيْهَا فَاسْتَعْدَمُوهَا .

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ لَمَّا حُوِّصَرَ الْمُسْلِمُونَ عَامَ الْخَنْدَقِ، اتَّخَذُوا مِنَ الْخَنْدَقِ مَا لَمْ يَحْتَاجُوا إِلَيْهِ فِي غَيْرِ الْحِصَارِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ سَلْمَانَ أَشَارَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ، فَسَلَّمُوا ذَلِكَ لَهُ؛ لِأَنَّهُ طَرِيقٌ إِلَى فِعْلِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لأنه مع أنه ذَكَرَ أَنَّ هَذَا فِعْلَ الْفَرَسِ، وَقَدْ فَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ؛ لِأَنَّهُ طَرِيقٌ إِلَى فِعْلِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولَهُ، هَذَا السَّلَاحُ هُنَا هُوَ الْأَنْسَبُ، فَهَذَا لَيْسَ مِنْ بَابِ التَّشْبِيهِ، وَإِنَّمَا هَذَا مِنْ بَابِ امْتِثَالِ الْأَمْرِ. إِذَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْعَدُوِّ فِيمَا كَانَ سَبِيلًا إِلَى فِعْلِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَلَا يُعَدُّ هَذَا مِنَ التَّشْبِيهِ. الَّذِي يَقُولُ مِثْلًا الْآنَ: الصَّوَارِيخُ هَذِهِ وَلَا نَتَّشِبُ بِهِمْ، وَنَكْتَفِي بِالسِّيُوفِ، هَذَا لَيْسَ مَنطِقًا شَرْعِيًّا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ قَرَّرْنَا فِي قَاعِدَةِ "السُّنَّةِ وَالْبِدْعَةِ": أَنَّ الْبِدْعَةَ فِي الدِّينِ هِيَ مَا لَمْ يَشْرَعْهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَهُوَ مَا لَمْ يَأْمُرْ بِهِ أَمْرٌ إِيْجَابِيٌّ وَلَا اسْتِحْبَابِيٌّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا هذه هي الرِّسَالَةُ الَّتِي يَشِيرُ إِلَيْهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ قَاعِدَةُ السُّنَّةِ وَالْبِدْعَةِ، مَا تَوَصَّلْنَا إِلَى حَتَّى الْمُحَقِّقُ يَقُولُ: لَمْ أَقْفِ عَلَيْهَا.

الطَّالِبُ: فِي الْحَاشِيَةِ عِنْدَنَا يَا شَيْخَ أَشَارَ إِلَيْهَا فِي "الاسْتِقَامَةِ"، وَ"مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى"، وَذَكَرَهَا ابْنُ عَبْدِ

الْهَادِي فِي "الْعُقُودِ الدَّرِيَّةِ"، مَوْجُودَةٌ عِنْدَكَ شَيْخَ؟

الشَّيْخُ: مَوْجُودَةٌ، يَقُولُ: وَلَمْ أَقْفِ عَلَيْهَا.

يَبْدُو أَنَّ الَّذِي لَا زَالَ يَنْتَظِرُ الْمُحَقِّقِينَ مِنَ الْعَمَلِ لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ كَثِيرًا، وَأَنَا دَائِمًا أَدْعُو اللهُ ﷻ أَنْ

يُوفِقَنِي إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا، أَوْ إِلَى كَثِيرٍ مِنْ هَذَا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَأَمَّا مَا أَمَرَ بِهِ أَمْرٌ إِيحَابٌ أَوْ اسْتِحْبَابٌ، وَعَلِمَ الْأَمْرُ بِهِ بِالْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ، فَهُوَ مِنَ الدِّينِ الَّذِي شَرَعَهُ اللهُ، وَإِنْ تَنَازَعَ أَوْلُو الْأَمْرِ فِي بَعْضِ ذَلِكَ، وَسَوَاءٌ كَانَ هَذَا مَفْعُولًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ لَمْ يَكُنْ، فَمَا فَعَلَ بَعْدَهُ بِأَمْرِهِ - مِنْ قِتَالِ الْمُرْتَدِّينَ وَالْخَوَارِجِ الْمَارِقِينَ وَفَارِسَ وَالرُّومَ وَالتُّرْكَ، وَإِخْرَاجِ الْيَهُودِ وَالتَّصَارِي مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ - هُوَ مِنْ سُنَّتِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لأنه لم يكن إلا بأمره.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلِهَذَا كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ: «سَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وولاية الأمر بعده سُنَنًا، الْأَخْذُ بِهَا تَصَدِيقٌ لِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتِكْمَالٌ لِبَطَاعَةِ اللهِ، وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اللهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ تَغْيِيرُهَا وَلَا النَّظَرُ فِي رَأْيٍ مَنْ خَالَفَهَا، مَنْ اهْتَدَى بِهَا فَهُوَ مُهْتَدٍ، وَمَنْ اسْتَنْصَرَ بِهَا فَهُوَ مَنْصُورٌ، وَمَنْ خَالَفَهَا وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَاهُ اللهُ مَا تَوَلَّى، وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا».

فَسُنَّةٌ خُلْفَائِهِ الرَّاشِدِينَ هِيَ مِمَّا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، وَعَلَيْهِ أَدِلَّةٌ شَرْعِيَّةٌ مُفْصَلَةٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَهَا، فَكَمَا أَنَّ اللهُ بَيَّنَّ فِي كِتَابِهِ مُخَاطَبَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَأَقَامَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ بِمَا بَيَّنَّهُ مِنْ أَعْلَامِ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا فِي كُتُبِهِمْ مِنْ ذَلِكَ، وَمَا حَرَّفُوهُ وَبَدَّلُوهُ مِنْ دِينِهِمْ، وَصَدَّقَ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ قَبْلَهُ، حَتَّى إِذَا سَمِعَ ذَلِكَ الْكِتَابِيُّ الْعَالِمُ الْمُنْصِفَ وَجَدَ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ أَبْنِ الْحُجَّةِ وَأَقْوَمِ الْمَحْجَةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً هنا ذكر شيخ الإسلام أربعة أمور مما في كتاب الله ﷻ من مخاطبة أهل الكتاب، (فَكَمَا أَنَّ اللهُ بَيَّنَّ فِي كِتَابِهِ مُخَاطَبَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَأَقَامَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ بِمَا بَيَّنَّهُ مِنْ أَعْلَامِ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ)، هذا هو الأمر.

- (وما في كتبهم من ذلك)، (في كتبهم) والذي أشير إليه في القرآن كثير منه.

- (وَمَا حَرَّفُوهُ وَبَدَّلُوهُ مِنْ دِينِهِمْ)، وأشير إليه في القرآن.

- (وَصَدَّقَ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ قَبْلَهُ)، بما في القرآن.

هذه أمور أربعة، هذه الأمور الأربعة هذه تنفعنا في مخاطبة أهل الكتاب، وما علينا مما يذكره الرّازي نتعلم اللغة ولا نتعلم اللغة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْمُنَاطَرَةُ وَالْمُحَاجَّةُ لَا تَنْفَعُ إِلَّا مَعَ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ، وَإِلَّا فَالظَّالِمُ يَجْحَدُ الْحَقَّ الَّذِي يَعْلَمُهُ، وَهُوَ الْمُسْفِسِطُ وَالْمُقَرِّمُطُ، وَيَمْتَنِعُ عَنِ الْإِسْتِمَاعِ وَالنَّظَرِ فِي طَرِيقِ الْعِلْمِ، وَهُوَ الْمُعْرِضُ عَنِ النَّظَرِ وَالْإِسْتِدْلَالِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا يذكره دائماً شيخ الإسلام السفسطة والقرمطة السفسطة في الأدلة العقلية، والقرمطة في الأدلة السمعية؛ لأنّ القرامطة أولوا البقية الباقية مما لم يؤوله من قبلهم، يعني الأشاعرة أولوا، ثم المعتزلة تجاوزوا واكتسحوا أكثر المساحة، ثم الجهمية أكثر، هناك بقية بقيت، جاء القرامطة فأولوها أيضاً.

إذا تعاملهم مع الأدلة السمعية أسوأ تعامل، ولذلك يسميه شيخ الإسلام القرمطة.

أمّا السفسطة فهو التجاهل في الأدلة العقلية، لأنّ السفسطائية كانوا -على ما يُقال- يجحدون

الحقائق.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَكَمَا أَنَّ الْإِحْسَاسَ الظَّاهِرَ لَا يَحْصُلُ لِلْمُعْرِضِ وَلَا يَقُومُ لِلجَّاحِدِ، فَكَذَلِكَ الشُّهُودُ البَاطِنُ لَا يَحْصُلُ لِلْمُعْرِضِ عَنِ النَّظَرِ وَالبَحْثِ، بَلْ طَالِبُ العِلْمِ يَجْتَهِدُ فِي طَلْبِهِ مِنْ طُرُقِهِ.

وَلِهَذَا سُمِّيَ مُجْتَهِدًا كَمَا يُسَمَّى الْمُجْتَهِدُ فِي العِبَادَاتِ وَغَيْرِهَا مُجْتَهِدًا، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «مَا الْمُجْتَهِدُ فِيكُمْ إِلَّا كَاللَّاعِبِ فِيهِمْ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يبدو - والله أعلم - أن وجه التشبيه هو الاستلذاذ اللّاعب فيكم يستلذُّ هذا اللّعب، والمُجْتَهِدُ فِينَا يُحِبُّ هذا الاجتهاد ويستلذه مثلما يستلذ أحدكم اللّعب، - الله أعلم - فهذا وجه التشبيه، والله أعلم، (مَا الْمُجْتَهِدُ فِيكُمْ إِلَّا كَاللَّاعِبِ فِيهِمْ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَالَ أَبِي بِنُ كَعْبٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ: اقْتِصَادٌ فِي سُنَّةِ خَيْرٍ مِنْ اجْتِهَادٍ فِي بَدْعَةٍ"، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

نستمر بعد الصلاة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَبَدَلَهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةً، فَجَعَلَ الْبَاحِثُ عَنِ الْعِلْمِ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَمَّا كَانَتْ الْمُحَاجَّةُ لَا تَنْفَعُ إِلَّا

مَعَ الْعَدْلِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا هو الموضوع الذي أحلت إليه سابقاً أن هذا الأثر يحكم عليه شيخ الإسلام أنه محفوظ عن معاذ؛ لعل هناك طرق بها يكون هذا الأثر قوياً، وإلا الأسانيد المتوفرة للأثر ضعيفة جداً، وذكرت أن الآثار لا يكون الحكم فيها مثل الأحاديث المرفوعة، ومع ذلك إذا كانت الأسانيد شديدة الضعف فلا يُصار إليها.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَمَّا كَانَتْ الْمُحَاجَّةُ لَا تَنْفَعُ إِلَّا مَعَ الْعَدْلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، فَالظَّالِمُ لَيْسَ عَلَيْنَا أَنْ نُجَادِلَهُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَإِذَا حَصَلَ مِنْ مُسْلِمَةٍ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ عَلِمُوا مَا عِنْدَهُمْ بِلُغَتِهِمْ، وَتَرَجَّمُوا لَنَا بِالْعَرَبِيَّةِ، انْتَفَعَ بِذَلِكَ فِي مُنَاطَرَتِهِمْ وَمُخَاطَبَتِهِمْ، كَمَا كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ، وَسَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ وَكَعْبُ الْأَحْبَارِ، وَغَيْرُهُمْ يُحَدِّثُونَ عَمَّا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ، وَحِينَئِذٍ يُسْتَشْهَدُ بِمَا عِنْدَهُمْ عَلَى مُوَافَقَةِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَيَكُونُ حُجَّةً عَلَيْهِمْ مِنْ وَجْهِ، وَعَلَى غَيْرِهِمْ مِنْ وَجْهِ آخَرَ، كَمَا بَيَّنَّاهُ فِي مَوْضِعِهِ، وَالْأَلْفَاظُ الْعِبْرِيَّةُ تُقَارِبُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(وَإِذَا حَصَلَ مِنْ مُسْلِمَةٍ) من مجادلة أهل الكتاب.

طبعاً هنا لا زال شيخ الإسلام يتحدث عن أهل الترجمة، وكيف يمكننا أن نعرف ما عندهم من طرق معرفتنا بما عندهم ما يترجمه لنا مسلمة أهل الكتاب، أي الذين أسلموا من أهل الكتاب نعتمد عليهم وعلى ترجمتهم وعلى نقلهم.

في هذه المناسبة دخل شيخ الإسلام في فائدة أخرى: وهي نسبة التقارب بين اللغة العربية والعبرية،

إذا أردنا أن نعرف ما عندهم يقول شيخ الإسلام: الألفاظ العبرية والعربية قريبة، يعني هذه فائدة إضافية

في معرض الحديث عن الترجمة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالْأَلْفَاظُ الْعِبْرِيَّةُ تُقَارِبُ الْعَرَبِيَّةَ بَعْضَ الْمُقَارَبَةِ، كَمَا تَتَقَارَبُ الْأَسْمَاءُ فِي الْإِشْتِقَاقِ الْأَكْبَرِ، وَقَدْ سَمِعْتُ أَلْفَاظَ التَّوْرَةِ بِالْعِبْرِيَّةِ مِنْ مُسْلِمَةٍ أَهْلِ الْكِتَابِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

(الِإِشْتِقَاقِ الْأَكْبَرِ)، طبعاً الاشتقاق عند الصرفيين ثلاثة أقسام:

- الموافقة على الترتيب والحروف، مثل: العلم وما يُشتق منه تعلم تعلموا كلها من هذا المصدر، هذا الاشتقاق الأصغر.

- ثم يليه الاشتقاق الأوسط.

- ثم يليه الاشتقاق الأكبر الذي يُكتفى فيه ببعض التوافق في الحروف، ولو اختلف الترتيب.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَدْ سَمِعْتُ أَلْفَاظَ التَّوْرَةِ بِالْعِبْرِيَّةِ مِنْ مُسْلِمَةٍ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَوَجَدْتُ اللَّغَتَيْنِ مُتَقَارِبَتَيْنِ غَايَةَ التَّقَارُبِ، حَتَّى صِرَتْ أَفْهَمُ كَثِيرًا مِنْ كَلَامِهِمُ الْعِبْرِيِّ بِمُجَرَّدِ الْمَعْرِفَةِ بِالْعَرَبِيَّةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

سبحان الله! ما خلى شيء شيخ الإسلام.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْمَعَانِي الصَّحِيحَةُ إِمَّا مُقَابِرَةٌ لِمَعَانِي الْقُرْآنِ أَوْ مِثْلُهَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

المعاني الصحيحة في التوراة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْمَعَانِي الصَّحِيحَةُ إِمَّا مُقَابِرَةٌ لِمَعَانِي الْقُرْآنِ أَوْ مِثْلُهَا أَوْ بَعَيْنِهَا، وَإِنْ كَانَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْأَلْفَاظِ

وَالْمَعَانِي خَصَائِصٌ عَظِيمَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ الْمُجَادِلُ مِنْهُمْ أَنْ يَذْكَرَ مَا يَطْعَنُ فِي الْقُرْآنِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لا زال يرد على الرّازي؛ لأنّ كأنه يقول: مَنْ لا يعرف لغتهم لا يُمكنه أن يطلع على شبهاتهم،

وبالتالي لا يُمكنه أن يرد عليه.

يقول شيخ الإسلام: بإمكاننا أن نعرف ما عندهم حتى في هذه الكتب المحرفة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِذَا أَرَادَ الْمُجَادِلُ مِنْهُمْ أَنْ يَذْكَرَ مَا يَطْعَنُ فِي الْقُرْآنِ بِنَقْلِ أَوْ عَقْلِ، مِثْلَ أَنْ يَنْقُلَ عَمَّا فِي كُتُبِهِمْ عَنِ

الأنبياء ما يخالف ما جاء به مُحَمَّدٌ ﷺ، أَوْ خِلَافَ مَا ذَكَرَهُ اللهُ فِي كُتُبِهِمْ، كَزَعْمِهِمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّ اللهَ أَمَرَهُمْ

بِتَحْمِيمِ الزَّانِي دُونَ رَجْمِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لما قالوا التسويد وجهه لما ادّعوا هذا.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

أَمَكَنَ النَّبِيُّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَطْلُبُوا التَّوْرَةَ، وَمَنْ يَقْرَءُوهَا بِالْعِبْرِيَّةِ وَيُتَرَجِّمَهَا مِنْ ثِقَاتِ التَّرَاجِمَةِ، كَعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ وَنَحْوِهِ لَمَّا قَالَ لِجَبْرِئِلهُمْ: «ارْفَعْ يَدَكَ عَنِ آيَةِ الرَّجْمِ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

قال هذا عبد الله بن سلام.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِذَا هِيَ تَلُوحٌ، وَرَجَمَ النَّبِيُّ ﷺ الزَّانِئِينَ مِنْهُمَا بَعْدَ أَنْ أَقَامَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ مِنْ كِتَابِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُ مُوَافِقٌ لِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ الرَّجْمِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

مع أنه موجود عندهم.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [المائدة: ٤٤]، قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ مِنَ النَّبِيِّينَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا، وَهُوَ لَمْ يَحْكَمْ إِلَّا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني هو أيضًا داخل في هذا الآية تشمله.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهُوَ لَمْ يَحْكَمْ إِلَّا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ [المائدة: ٤٩]، وَكَذَلِكَ يُمَكِّنُ أَنْ يَقْرَأَ مِنْ نُسَخَةٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(أَنْ يَقْرَأَ) الْمَجَادِلُ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ يُمَكِّنُ أَنْ يَقْرَأَ مِنْ نُسخَةٍ مُترَجِمَةٍ بِالْعَرَبِيَّةِ قَدْ تَرَجَمَهَا الثَّقَاتُ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

يمكن أن تطلب التوراة ويُترجم أمامك، ويُمكن أيضًا أن تقرأ من نسخة أصلاً مترجمة بالعربية.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

قَدْ تَرَجَمَهَا الثَّقَاتُ بِالْخَطِّ وَاللَّفْظِ الْعَرَبِيِّ، يَعْلَمُ بِهِمَا مَا عِنْدَهُمْ بِوَاسِطَةِ الْمُتَرْجِمِينَ الثَّقَاتِ مِنَ الْمُسْتَأْمِنِينَ، أَوْ مِمَّنْ يَعْلَمُ خَطَّهُمْ مِنَّا، كَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَنَحْوِهِ لَمَّا أَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَتَعَلَّمَ ذَلِكَ، وَالْحَدِيثُ مَعْرُوفٌ فِي السُّنَنِ، وَقَدْ احْتَجَّ بِهِ الْبُخَارِيُّ فِي بَابِ تَرْجَمَةِ الْحَاكِمِ، وَهَلْ يَجُوزُ تَرْجَمَانٌ وَاحِدٌ؟.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

لأنَّ هذا الترجمان عليه تتوقف صحة الحكم، فقد يتعمد الخطأ في الترجمة، فيقول البخاري: هل يجوز أن

يعتمد الحاكم على ترجمانٍ واحدٍ؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

قَالَ: وَقَالَ خَارِجَةُ بْنُ زَيْدٍ: عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُ أَنْ يَتَعَلَّمَ كِتَابَ الْيَهُودِ، حَتَّى كَتَبْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ كُتُبَهُ، وَأَقْرَأْتُهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

إذا استدل به البخاري أنه يكفي الحاكم بترجمانٍ واحدٍ، وهذا من دقة البخاري.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْمُكَاتَبَةُ بِحُطِّهِمْ وَالْمُخَاطَبَةُ بِلُغَتِهِمْ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ، وَإِنْ كَانَا قَدْ يَجْتَمِعَانِ وَقَدْ يَنْفَرِدُ أَحَدُهُمَا عَنْ
الْآخَرَ، مِثْلُ كِتَابَةِ اللَّفْظِ الْعَرَبِيِّ بِالْحَطِّ الْعِبْرِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ حُطُوطِ الْأَعَاجِمِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وهذا موجود اللفظ العربي يُكتب بالخط العبري وغيره من خطوط الأعاجم بالهندي مثلاً، بالصيني
مثلاً، اللفظ هو لفظ عربي، (وَكِتَابَةِ اللَّفْظِ الْعَجَمِيِّ بِالْحَطِّ الْعَرَبِيِّ)، أيضاً موجود مثلما نقرأ نحن اللغة
الفارسية مكتوبة بالخط العربي، كثير هذا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وقد لا يتفق ذلك، وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [آل عمران: ٩٣] الآية.
فَأَمْرُنَا أَنْ نَطْلُبَ مِنْهُمْ إِحْضَارَ التَّوْرَةِ وَتِلَاوَتَهَا إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِي نَقْلِ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً في آخر الآية: ﴿قُلْ فَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَلُوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ؛ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ، وَيَكْتُبُونَ الْكِتَابَ
بِأَيْدِيهِمْ، وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَيَكْذِبُونَ فِي كَلَامِهِمْ وَكِتَابِهِمْ، فَلِهَذَا لَا تُقْبَلُ التَّرْجَمَةُ إِلَّا مِنْ ثِقَةٍ.
فَإِذَا احْتَجَّ أَحَدُهُمْ عَلَى خِلَافِ الْقُرْآنِ بِرِوَايَةٍ عَنِ الرُّسُلِ الْمُتَقَدِّمِينَ، مِثْلُ الَّذِي يُرَوَى عَنْ مُوسَى أَنَّهُ
قَالَ: "تَمَسَّكُوا بِالسَّبْتِ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ".

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

السبت، يوم الجمعة عندهم يوم السبت، هذا النقل (تَمَسَّكُوا بِالسَّبْتِ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ)،

يقولون هكذا قال موسى ﷺ يقول شيخ الإسلام: إذا قالوا هكذا.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

أَمْكَنَّا أَنْ نَقُولَ لَهُمْ: فِي أَيِّ كِتَابٍ هَذَا؟ أَحْضِرُوهُ - وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ هَذَا لَيْسَ فِي كِتَابِهِمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

سبحان الله! شيء غريب هذا شيخ الإسلام، (وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ هَذَا لَيْسَ فِي كِتَابِهِمْ)، انظر هذا الاستقراء (في كتبهم)، طبعاً كتابه "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" إلى يومك هذا لم يؤلف كتاباً في الرد عليهم مثله، وهكذا حال كتبه الأخرى التي ردَّ بها على "الملل والنحل" هذا الكتاب غريباً في بابه، وليس هو، هذا شأن كتبه كلها.

انظر هذا الاستقراء (وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ هَذَا لَيْسَ فِي كِتَابِهِمْ)، الجملة هذه لا توجد في كتبهم.

إذا نطالبهم ونقول لهم: أين هذا في كتبكم أنتم التي تعتمدون عليها الآن؟

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأِنَّمَا هُوَ مُفْتَرَى مَكْذُوبٌ، وَعِنْدَهُمُ النَّبُؤَاتُ الَّتِي هِيَ مِثَّتَانِ وَعِشْرُونَ، وَكِتَابُ الْمَشْنُو، وَالَّذِي مَعْنَاهُ الْمُشْنَاءُ، وَهِيَ الَّتِي جَعَلَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو فِينَا مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَقَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقْرَأَ فِيكُمْ الْمُشْنَاءُ أَوْ تَدْرُونَ مَا الْمُشْنَاءُ؟ مَا كَتَبَ مِنَ الْكُتُبِ غَيْرِ كِتَابِ اللهِ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً المشنو عندهم هي مجموعة الأحكام والتعاليم والفتاوى والوصايا التشريعية، وشروح التوراة التي تناقلها أخبار اليهود شفاهياً، وهذا هو المساحة التي يسبحون فيها من الافتراء والدجل والكذب على موسى ﷺ، باعتبار أنها روايات نُقِلت عنه شفويًا، فلكل مضيف أن يضيف.

فعبد الله بن عمرو رضي الله عنه يقول: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقْرَأَ فِيكُمْ الْمُشْنَاءُ أَوْ الْمُشْنَاءُ»، يُحَدَّرُ أَنْ

يكون في أمة الإسلام مَنْ يدَّعي أن هذا أو ذلك من أقوال النبي ﷺ، وأن هذا تفسير للقرآن، وأن هذا يدَّعي ويدَّعي، وهذا تحذيرٌ من البدع والخرافات التي تُلصق بالدين.

الطالب: الوضاعين للحديث؟

الشيخ: فيه أيضًا الأحاديث موضوعة، وفيه أيضًا ما يتعلّق بالتفسير، كل ما يُزعم أنه من الدين وليس من الدين، والأحاديث الموضوعة أول ما يصدق على شيء هي الأحاديث الضعيفة الموضوعة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ إِذَا سُئِلُوا عَمَّا فِي الْكِتَابِ مِنْ ذِكْرِ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ؛ لِتُقَامَ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى غَيْرِهِمْ بِمُوَافَقَةِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَحَرَّفُوا الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ أَمْكَنَ مَعْرِفَةَ ذَلِكَ لَمَا تَقَدَّمَ.

قال الشارح وفقه الله:

نطالبه أين هذا الذي تقول؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِنْ ذَكَرُوا حُجَّةً عَقْلِيَّةً فَهَمَّتْ أَيْضًا مِمَّا فِي الْقُرْآنِ بِرَدِّهَا، مِثْلُ إِنْكَارِهِمْ لِلنَّسْخِ بِالْعَقْلِ حَتَّى قَالُوا.

قال الشارح وفقه الله:

طبعًا اليهود ينكرون النسخ، من أشهر عقائدهم أنهم ينكرون النسخ؛ لأنهم يقولون: أنه لا يجوز أن يأتي بعد موسى ﷺ أحد ويزعم أنه مرسل من الله ﷻ، وأنه على يديه نُسخ الحكم الفلاني أو العلاني. لذلك يقولون: لا يجوز النَّسخ؛ لأنه من البداءة، لماذا ينسخ الله ﷻ؟ فيقولون هذا يستلزم البداءة، مِنْهُمْ أَخَذَهُ بَعْضُهُمْ.

أصل إنكارهم للنسخ من هذا الباب أن موسى ﷺ هو خاتم الرُّسل، ولا يجوز أن يأتي بعده أحدٌ ينسخ شيئًا مما نزل على موسى.

وشيخ الإسلام هنا سيبين أن النَّسخ موجودٌ في التوراة نفسه، ما يحتاج تستدل عليه بما عند الأنبياء بعد موسى مع أن هذا دليل، ولكن سيذكر أن التوراة نفسها فيها نسخ.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

حَتَّى قَالُوا: لَا يُنْسَخُ مَا حَرَّمَهُ، وَلَا يُنْهَى عَمَّا أَمَرَ بِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢]. قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ: «هُمُ الْيَهُودُ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

السفهاء هم اليهود.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢].
فَذَكَرَ مَا فِي النُّسخِ مِنْ تَعْلِيْقِ الْأَمْرِ بِالْمَشِيئَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَمِنْ كَوْنِ الْأَمْرِ الثَّانِي قَدْ يَكُونُ أَصْلَحَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

ذَكَرَ أَمْرَيْنِ هُنَا:

- الْأَمْرَ الْأَوَّلَ: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، هَذَا الْأَمْرُ الْأَوَّلُ، أَنَّ الْأَمْرَ يَتَعَلَقُ بِمَشِيئَةِ اللهِ رَحِمَهُ اللهُ.

- الْأَمْرَ الثَّانِي: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، أَنَّ هَذَا هُوَ الْأَصْلَحُ فِي هَذَا الْوَقْتِ، وَذَلِكَ كَانَ الْأَصْلَحُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ.

ذَكَرَ أَمْرَيْنِ: فَذَكَرَ مَا فِي النُّسخِ مِنْ تَعْلِيْقِ الْأَمْرِ بِالْمَشِيئَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَمِنْ كَوْنِ الْأَمْرِ الثَّانِي الَّذِي يُنْسَخُ بِهِ النَّاسِخُ قَدْ يَكُونُ أَصْلَحَ وَأَنْفَعُ.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَقَوْلُهُ: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ بَيَانٌ لِلْأَصْلَحِ الْأَنْفَعِ، وَقَوْلُهُ: ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾، رَدٌّ لِلْأَمْرِ إِلَى الْمَشِيئَةِ، وَعَلَى بَعْضِ مَا فِي الْآيَةِ اعْتِمَادُ جَمِيعِ الْمُتَكَلِّمِينَ حَيْثُ قَالُوا: التَّكْلِيفُ إِمَّا تَابِعٌ لِمَحْضِ الْمَشِيئَةِ كَمَا يَقُولُهُ قَوْمٌ، أَوْ تَابِعٌ لِلْمَصْلَحَةِ كَمَا يَقُولُهُ قَوْمٌ، وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ فَهُوَ جَائِزٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يقول شيخ الإسلام: (وَعَلَى بَعْضِ مَا فِي الْآيَةِ اعْتِمَادُ جَمِيعِ الْمُتَكَلِّمِينَ)، الْمُتَكَلِّمُونَ لَمْ يَسْعُدْ أَحَدٌ

منهم بالآية كلها، بعضهم أخذوا بعض ما في الآية، وبعضهم أخذوا بعض ما في الآية، **(حَيْثُ قَالُوا: التَّكْلِيفُ إِمَّا تَابِعٌ لِمَحْضِ الْمَشِيئَةِ كَمَا يَقُولُهُ قَوْمٌ)**، هؤلاء هم الجهمية ومن تبعهم من الأشاعرة، يُرجعون الأمر إلى الإرادة والمشية المحضة، ويقولون: ليست هناك مصلحة راجعة إلى الخالق أو إلى المخلوق، والأحكام عندهم لا تُلغى، هذا هو الأصل عندهم.

لذلك هم في أصول الفقه أضعف حتى من المعتزلة - كما يقول شيخ الإسلام - هذا قولهم، فهم أخذوا كلمة ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾، **(أَوْ تَابِعٌ لِلْمَصْلَحَةِ كَمَا يَقُولُهُ قَوْمٌ)**، هذا مذهب المعتزلة الذين يقولون: أن الأصلح للعبد واجبٌ على الله ﷻ يجب عليه أن يسلك الأصلح مع العبد، فإذا وفقه لشيء فليس منه - معاذ الله - إنما هذا الذي يجب عليه، هكذا يقولون.

لاحظوا أن آية واحدة تَمَسُّكُ ببعضها بعضهم وبعضها بعضهم، ومن الذي سَعِدَ بها كلها؟ أهل السنة والجماعة.

المهم هنا يقول شيخ الإسلام: **(وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ)**، هم لم يهتدوا إلى الهدى الكامل ولكن المهم هنا أنه **(عَلَى التَّقْدِيرَيْنِ فَهُوَ)** أي: النسخ (جَائِزٌ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ثُمَّ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ بَيْنَ وَقُوعِ النَّسْخِ بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ فِي التَّوْرَةِ، بِأَنَّهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللهُ:

هنا يبين شيخ الإسلام أن النسخ ثابت حتى في التوراة، لماذا نذهب بعيدين؟ يقول: **(ثُمَّ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ**

بَيْنَ وَقُوعِ النَّسْخِ بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ فِي التَّوْرَةِ)، هنا نكتب فاصلة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

بِأَنَّهُ أَحَلَّ لِإِسْرَائِيلَ أَشْيَاءَ، ثُمَّ حَرَّمَهَا فِي التَّوْرَةِ، وَأَنَّ هَذَا كَانَ تَحْلِيلًا شَرْعِيًّا بِخِطَابٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللهُ:

(بِخِطَابٍ)، هنا أيضًا نكتب فاصلة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

لَمْ يَكُونُوا اسْتَبَاحُوهُ بِمَجْرَدِ الْبَقَاءِ عَلَى الْأَصْلِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أَيْضًا فَاصِلَةٌ عِنْدَ (الْأَصْلِ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

حَتَّى لَا يَكُونَ رَفْعُهُ نَسْخًا كَمَا يَدْعِيهِ قَوْمٌ مِنْهُمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يقول شيخ الإسلام: في التوراة نفسه نسخ، كيف عرفنا؟ وقع فيه تحريمٌ لبعض الأمور التي كانت حلالاً، طبعاً الأصل في الأشياء الحلال، فإذا جاءت آية وحرمت، فهذا لا يُقال إن فيه نسخ، إنما هو رفعٌ للأصل، ولكنه إذا كان هناك النص جاء نصٌ وحرّم ما كان حلالاً بخطاب، هذا نسخ وليس رفعاً للأصل لأصل الإباحة.

فإذا جاء خطابٌ خاصٌ يُحِلُّ أو يحرّم ما كان حلالاً بنصٍ خاصٍ فهذا نسخ، فهذا موجود في التوراة. (ثُمَّ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ بَيَّنَّ وَقُوعَ النَّسْخِ بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ فِي التَّوْرَةِ، بِأَنَّهُ أَحَلَّ لِإِسْرَائِيلَ أَشْيَاءَ)، أحلّها بنص، (ثُمَّ حَرَّمَهَا، وَأَنَّ هَذَا كَانَ تَحْلِيلًا شَرْعِيًّا بِخِطَابٍ)، كان حلالاً بخطاب، ثم حرّمه بخطاب، لم يكونوا استباحوه بمجرد البقاء على الأصل، لأنه إذا كان بمجرد البقاء على الأصل ما نحتاج إلى خطابٍ يُحِلُّه، ما نحتاج إلى خطابٍ يقول فيه: أن هذا حلالٌ لكم، فإذا جاء خطابٌ خاصٌ فيه تحليلٌ لشيء، ثم جاء خطابٌ آخر فيه تحريمٌ لذلك الشيء، فهذا ليس رفعاً للبقاء على الأصل، وإنما هذا نسخ، (حَتَّى لَا يَكُونَ رَفْعُهُ نَسْخًا)، لو كان رفعاً لمجرد البقاء على الأصل، (كَمَا يَدْعِيهِ قَوْمٌ مِنْهُمْ)، وهم يدعون أن هذا فيه رفعٌ للإباحة الأصلية.

يقول شيخ الإسلام: هذا لو لم يسبق خطابٌ خاصٌ فيه تحليل، يعني كلامكم لا يستقيم، هذا نسخ جاء خطابٌ فأحله، ثم جاء خطابٌ آخر خاصٌ فحرّمه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمَرَ بِطَلْبِ التَّوْرَةِ فِي ذَلِكَ، وَهَكَذَا وَجَدْنَاهُ فِيهَا كَمَا حَدَّثَنَا بِذَلِكَ مُسْلِمٌ أَهْلُ الْكِتَابِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، وَهَكَذَا مُنَازَرَةُ الصَّابِئَةِ وَالْفَلَّاسِفَةِ وَالْمُشْرِكِينَ وَنَحْوِهِمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

كُلُّ مَنْ هَجَمَ عَلَى الْإِسْلَامِ أَوْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَكُلُّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَدُسَّ فِي الْإِسْلَامِ شَيْئًا انْبَرَى لَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ بِقَلَمِهِ وَأَسْنَانِهِ وَبِكُلِّ مَا يَمْلِكُ رَحِمَهُ اللهُ، فَلِذَلِكَ لَنْ تَجِدَ فِي التَّارِيخِ أَبَدًا مَنْ رَدَّ عَلَى هَذِهِ الْأَصْنَافِ كُلِّهَا بِهَذَا الشَّيْءِ أَبَدًا لَا يُوْجَدُ إِلَى الْآنَ، وَالْأَغْرَبُ مِنْ هَذَا أَنْ رَدَّهُ مِثْلًا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى يُخِيلُ إِلَيْكَ أَنَّهُ مُتَخَصِّصٌ فِي هَذَا فَقَطْ.

لَوْ أَحَدٌ تَخَصَّصَ فِي هَذَا الْبَابِ بِالْكَادِ يَصِلُ إِلَى مَا يَقَارِبُ رَدَّ شَيْخِ الْإِسْلَامِ إِذْ لَوْ تَخَصَّصَ، وَانظُرْ إِلَى "مَنْهَاجِ السُّنَّةِ" وَانظُرْ إِلَى "الدَّرءِ"، كِتَابٌ مِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ لَوْ تَخَصَّصَ فِيهَا أَحَدٌ لَا يَكَادُ يَقَارِبُهُ، فَرُدُّوهُ عَلَى الْجَمِيعِ كَأَنَّهُ مُتَخَصِّصٌ فِيهَا فَقَطْ، هَذَا عِنْدَ شَيْخِ الْإِسْلَامِ فَقَطْ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّ الصَّابِئِيَّ الْفَيْلَسُوفَ إِذَا ذَكَرَ مَا عِنْدَ قُدَمَاءِ الصَّابِئَةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وَهَكَذَا مُنَازَرَةُ الصَّابِئَةِ، رَجَعْنَا إِلَى الْقُدْحِ الَّذِي، وَهَكَذَا مُنَازَرَةُ الصَّابِئَةِ الْفَلَّاسِفَةِ وَالْمُشْرِكِينَ وَنَحْوِهِمْ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّ الصَّابِئِيَّ الْفَيْلَسُوفَ إِذَا ذَكَرَ مَا عِنْدَ قُدَمَاءِ الصَّابِئَةِ الْفَلَّاسِفَةِ مِنَ الْكَلَامِ - الَّذِي عَرَّبَ وَتُرْجِمَ بِالْعَرَبِيَّةِ وَذَكَرَهُ - إِمَّا صَرَفًا، وَإِمَّا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي تَصَرَّفَ فِيهِ مُتَأَخَّرُوهُ بِزِيَادَةٍ وَنُقْصَانٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

حَتَّى ذَلِكَ الْبَاطِلُ الَّذِي عِنْدَهُمْ تَصَرَّفُوا فِيهِ.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الَّذِي تَصَرَّفَ فِيهِ مُتَأَخَّرُوهُ بِزِيَادَةِ وَنُقْصَانِهِ، وَبَسْطِ وَاخْتِصَارِهِ، وَرَدِّ بَعْضِهِ وَإِثْبَانِ بَعْضٍ أُخْرَ لَيْسَتْ فِيهِ
وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَإِنْ ذَكَرَ مَا لَا يَتَعَلَّقُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طَبْعًا هُنَا ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ صَوْرَتَيْنِ:

- (فَإِنْ ذَكَرَ)، هُنَا نَكْتُبُ وَاحِدًا.

- فِي الصَّفْحَةِ بَعْدَ الْوَلَايَةِ (وَإِنْ ذَكَرَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالدِّينِ)، هُنَا نَكْتُبُ اثْنَيْنِ.

فَإِذَا أُرِدَتْ أَنْ تَنَاطَرَ الصَّابِئَةَ، وَذَكَرُوا لَكَ أَنَّ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، فَمَا ذَكَرُوهُ إِنْ كَانَ يَتَعَلَّقُ بِالدِّينِ سَيَأْتِي،

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُتَعَلِّقًا بِالدِّينِ مِثْلَ الطَّبِّ فَيَبِينُهُ هُنَا.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنْ ذَكَرَ مَا لَا يَتَعَلَّقُ بِالدِّينِ مِثْلَ "الطَّبِّ" وَ"الْحِسَابِ" الْمَحْضِ الَّتِي يَذْكُرُونَ فِيهَا ذَلِكَ، وَكَتَبَ مَنْ
أَخَذَ عَنْهُمْ مِثْلُ: مُحَمَّدِ بْنِ زَكَرِيَّا الرَّازِيِّ وَابْنِ سِينَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هَذَا مِنَ الْأَطْبَاءِ الْمَعْرُوفِينَ، هَذَا الرَّازِيُّونَ كَثَرُ مِنْهُمْ مُحَدِّثُونَ أَبُو حَاتِمِ الرَّازِيِّ وَأَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ كَثُرَ،

وَلَكِنْهُمْ لَمْ يَسْعُدُوا بِمَنْشَأَتِنَا كَمَا سَعَدُوا بِهِ هُوَ لَا - لِلْأَسْفِ الشَّدِيدِ -.

الْمُهْمُ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ هَذَا أَوْ غَيْرِهِ فِيمَا لَيْسَ لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ كَيْفَ نَتَصَرَّفُ فِيهِ؟

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَتَبَ مَنْ أَخَذَ عَنْهُمْ مِثْلُ: مُحَمَّدِ بْنِ زَكَرِيَّا الرَّازِيِّ، وَابْنِ سِينَا وَنَحْوِهِمَا مِنَ الزَّنَادِقَةِ الْأَطْبَاءِ، مَا غَايَتُهُ
إِنْتِفَاعُ بَأْتَارِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا فَهَذَا جَائِزٌ).

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وَهَذَا جَائِزٌ، هَلْ نَقُولُ: أَنَّ هَذَا مِنَ الْكُفَّارِ وَلَا يَجُوزُ؟ لَا، لَا هَذَا جَائِزٌ.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

كَمَا تَجُوزُ السُّكْنَى فِي دِيَارِهِمْ، وَلَبَسُ ثِيَابِهِمْ وَسِلَاحِهِمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً بالنسبة للسُّكْنَى فَصَّلَ فِيهِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ تَفْصِيلاً مِنْ أَرُوعِ مَا يَكُونُ، ذَكَرَ أَنَّ السُّكْنَى فِي دِيَارِ الْكُفَّارِ يُنْظَرُ فِيهَا إِلَى الْمَصْلُحَةِ، فَإِذَا كَانَ الْعَالَمُ يَحْسُ أَنْهُ بِوَجُودِهِ هُنَاكَ تَتَوَفَّرُ لَدَيْهِ فُرْصَةُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالِدَّعْوَةَ إِلَى دِينِ اللَّهِ ﷻ، وَأَنَّهُ يَنْفَعُهُمْ بِهَذَا، فَبَقَاؤُهُ هُنَاكَ أَنْفَعُ، سَبْحَانَ اللَّهِ شَيْءٌ غَرِيبٌ.

الطالب: مع أنها في بلاد كفار.

الشيخ: مع أنها في بلاد الكفار.

يُنْظَرُ فِيهَا إِلَى حَالِهِ مَعَهُمْ بِشَرَطِ أَنْ يَكُونَ حَرًّا فِي عِبَادَتِهِ وَفِي دِينِهِ، أَمَّا إِذَا كَانَ بِقَاؤُهُ هُنَاكَ يُعَرِّضُهُ لِلْفِتَنِ فِي دِينِهِ هُوَ، وَفِيهِ مَا يُخَافُ عَلَى رَأْسِ مَالِهِ، فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَقِيمَ هُنَاكَ. يَقُولُ: إِذَا كَانَتْ هُنَاكَ مَنَفَعَةٌ مِنَ الدَّعْوَةِ مَعَ عَدَمِ تَعْرِيفِهِ لِلْفِتَنِ لِنَفْسِهِ، الْأَخُوَّةُ الَّذِينَ هُنَاكَ طَبْعًا الذَّهَابُ مِنْ هُنَا هَذَا لَهُ حُكْمٌ آخَرَ، الْأَخُوَّةُ الَّذِينَ هُنَاكَ الْبَابُ بَابُ الدَّعْوَةِ لَدَيْهِمْ مِنْ أَوْسَعِ مَا يَكُونُ الَّذِينَ وُلِدُوا هُنَاكَ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى دِينِ اللَّهِ فَالْمَجَالُ وَاسِعٌ جَدًّا، يَدْعُوَ إِلَى دِينِ اللَّهِ، وَيَحْتَسِبُ فِي ذَلِكَ، كَمَنْ مِنَ النَّاسِ سَيَدْخُلُونَ دِينَ الْإِسْلَامِ بِجَهْدٍ بَسِيطَةٍ.

النَّاسُ مَتَعَطِّشُونَ لِهَذَا الدِّينِ، وَخَاصَّةً أَوْلَئِكَ الْمَرْضَى الَّذِينَ هُمْ يَعِيشُونَ فِي ذَلِكَ الْمَرَضِ، فَأَحَدُهُمْ إِذَا عَرَفَ مَا فِي هَذَا الدِّينِ مِمَّا يُسْكِنُ رُوحَهُ يُبَادِرُ إِلَى هَذَا الدِّينِ، فَهَذَا أَوَّلُ مَا وَجَدْتَهُ عِنْدَ شَيْخِ الْإِسْلَامِ، وَارْتَاخَتْ إِلَيْهِ نَفْسِي، وَهَذَا التَّفْرِيقُ:

- أَوَّلًا: التَّفْرِيقُ بَيْنَ الذَّهَابِ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ وَبَيْنَ مَنْ هُمْ هُنَاكَ.

- وَثَانِيًا: يَنْظُرُ فِي ذَلِكَ إِلَى مَصْلُحَةِ الدِّينِ مَعَ عَدَمِ تَفْوِيتِ مَصْلُحَتِهِ فِي دِينِهِ.

الطالب: شيخ الإسلام.

الشيخ: أعطيك إن شاء الله، كنت أريد أولف.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَمَا تَجُوزُ مَفَالِحَتَهُمْ عَلَى الْأَرْضِ كَمَا عَامَلَ النَّبِيُّ).

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

من الفلاحة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

كَمَا عَامَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَهُودَ حَيْبَرَ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

طبعاً كتاب شيخ الإسلام الذي هو "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم" مطبوع، الكتاب كله في الولاء والبراء، وباب الولاء والبراء بابٌ عظيمٌ جداً يتعلّق بصميم العقيدة، يتعلّق بالمحبة، أنت تحب الله ﷻ وتحب نبيه؛ لأنك تحب الله ﷻ وتحب من هم أصحاب هذه الكلمة. إذاً هذا من الولاء والبراء.

كل ما يחדش في هذا الأصل، كل ما يجعلك تحب الكفار، فيذهب منك هذا الأصل أو ينقص يتنقص هذا من التشبه، إمّا من التشبه أو من المنهي عنه لأجل هذا الأصل، فلذلك حتى اللباس حتى المُخاطبة - كما ذكر شيخ الإسلام -، أنت الآن تتحدث باللغة الإنجليزية هكذا وتفضلها على اللغة العربية، مثل ما ابتلينا نحن (أكي) أستغفر الله.

أقول: مثل هذا يقول شيخ الإسلام: هذا يدخل في التشبه؛ لأنه مرتبطٌ بأصل آخر وهو باب الولاء والبراء، وهو متعلّق بالألوهية، بالألوهية مَبْنَاهَا على المحبّة، والإله هو الذي تألهُ القلوب مع المحبة والتعظيم، هو المألوه الذي تأله القلوب بالمحبة والتعظيم، كل ما يחדش في هذا الأصل ابتعد عنه.

فإذا كان هذا كلام شيخ الإسلام، فالواحد يطمئن إليه أنه إذا كان في بقائك هناك مصلحة للدين، تدعو إلى الدين وتجتهد في هذا تؤجر على هذا، وكتابه هذا طبعاً نحن خصوصاً نحن الأئمة فينا من

التقصير ما لا يعلمه إلا الله، من زمان أريد أن نقرأه في، أين الإرادة؟ خاصة في هذا العصر هذا الكتاب
 "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم" الصراط المستقيم له مطالب، الصراط المستقيم
 الذي أنت عليه حتى تحافظ عليه، مخالفة أصحاب الجحيم في كل شيء.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَمَا اسْتَأْجَرَ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ لَمَّا خَرَجَا مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِرِينَ - رَجُلًا مِنْ بَنِي الدَّيْلِ - هَادِيًا
 خَرِيَّتًا، وَالْخَرِيَّتُ الْمَاهِرُ بِالْهَدَايَةِ، وَاسْتَمَنَاهُ عَلَى أَنْفُسِهِمَا وَدَوَابِّهِمَا، وَوَعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ صُبْحَ ثَالِثَةٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا كله ليس من التشبه بهم؛ لأنك في مثل هذه الأمور تنفذ ما أمرت به، ولكن السلاح الذي
 تستخدمه والعلم الذي ينفك في هذا الطب والحساب وغيره ليس من التشبه بهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَانَتْ خُرَاعَةٌ عَيْبَةٌ نَصَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أي: موضع النصح له والأمانة على سره.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَانَتْ خُزَاعَةٌ عَيْبَةٌ نُصِحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْلِمُهُمْ وَكَافِرُهُمْ، وَكَانَ يَقْبَلُ نُصَحَهُمْ، وَكُلُّ هَذَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

وعن أَبُو طَالِبٍ يَنْصُرُ النَّبِيَّ ﷺ وَيَذُبُّ هَذَا مَعَ شَرِكِهِ، وَهَذَا كَثِيرٌ.

فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْكِتَابِ فِيهِمْ الْمُؤْتَمَنُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران: ٧٥].

وَلِهَذَا جَازَ ائْتِمَانُ أَحَدِهِمْ عَلَى الْمَالِ، وَجَازَ أَنْ يَسْتَطِبَّ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ ثِقَةً، نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الْأَيْمَةُ كَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِ، إِذْ ذَاكَ قَبُولٌ مِنْ خَبَرِهِمْ فِيمَا يَعْلَمُونَهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَائْتِمَانٌ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَهُوَ جَائِزٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَفْسَدَةٌ رَاجِحَةٌ، مِثْلُ وَلَايَتِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَعُلُوِّهِ عَلَيْهِمْ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

فَأُخِذَ عِلْمُ الطَّبِّ مِنْ كُتُبِهِمْ، مِثْلُ الْإِسْتِدْلَالِ بِالْكَافِرِ عَلَى الطَّرِيقِ وَاسْتِطْبَابُهُ بَلْ هَذَا أَحْسَنُ؛ لِأَنَّ كُتُبَهُمْ لَمْ يَكْتُبُوهَا لِمُعَيَّنٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ حَتَّى تَدْخُلَ فِيهَا الْخِيَانَةُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لأنَّ هناك احتمال أن تكون كتبهم فيها تدليس وتلبيس وغش، يقول شيخ الإسلام: هذا الاحتمال بعيد، بل مستحيل؛ (لأنَّ كُتُبَهُمْ لَمْ يَكْتُبُوهَا لِمُعَيَّنٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)، أبرد الكتب هذه كتبها للمسلمين وللکفار للجميع.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَيْسَ فِيهَا حَاجَةٌ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ بِالْحَيَاةِ، بَلْ هِيَ مُجَرَّدُ ائْتِفَاعٍ بِأَثَارِهِمْ كَالْمَلَابِسِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْمَزَارِعِ وَالسَّلَاحِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

الخلاصة: أن ما ينقلونه منه إذا كان في مثل هذه الأمور يجوز لنا أن ننتفع بها.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِنْ ذَكَرُ مَا يَتَعَلَّقُ "بِالدِّينِ"، فَإِنْ نَقَلُوهُ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ كَانُوا فِيهِ كَأَهْلِ الْكِتَابِ وَأَسْوَأَ حَالًا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

شيخ الإسلام أظن سبق أيضًا أحيانًا يقارن بين أهل الكتاب من اليهود والنصارى وبين الفلاسفة، ودائمًا يُفضّل اليهود والنصارى عليهم، هذا منه.

يقول: (إِنْ نَقَلُوهُ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ كَانُوا فِيهِ كَأَهْلِ الْكِتَابِ وَأَسْوَأَ حَالًا)، وحالنا مع أهل الكتاب معروفًا لا

نصدقهم ولا نكذبهم فيما لم يكن فيه مصادمة للنصوص، أمّا إذا كانت في مصادمة للنصوص يرد.

إِذَا (كَانُوا فِيهِ كَأَهْلِ الْكِتَابِ وَأَسْوَأَ حَالًا).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِنْ أَحَالُوا مَعْرِفَتَهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا إذا نقلوا عن الأنبياء فهم متهمون.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

عَلَى الْقِيَاسِ الْعَقْلِيِّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إذا قالوا: هذا يدل عليه البرهان، وهذا من جنس ما نجد عنده من التّفخيم، إذا كان هذا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنْ وَافَقَ مَا فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ حَقٌّ، وَإِنْ خَالَفَهُ فَفِي الْقُرْآنِ بَيَانٌ بُطْلَانِهِ بِالْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، فَفِي الْقُرْآنِ الْحَقُّ وَالْقِيَاسُ الْبَيِّنُ الَّذِي يُبَيِّنُ بُطْلَانَ مَا جَاءُوا بِهِ مِنَ الْقِيَاسِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

بدون تردد نقول: هذا باطل.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِنْ كَانَ مَا يَذْكُرُونَهُ مُجْمَلًا فِيهِ الْحَقُّ وَفِيهِ الْبَاطِلُ - وَهُوَ الْغَالِبُ عَلَى الصَّابِتِ الْمُبَدِّلِينَ مِثْلُ "أَرِسْطُو" وَاتَّبَاعِهِ وَعَلَى مَنْ اتَّبَعَهُمْ مِنَ الْآخِرِينَ -، قَالَ: فَالْوَاجِبُ قَبُولُ الْحَقِّ وَرَدُّ الْبَاطِلِ، وَالْحَقُّ مِنْ ذَلِكَ لَا يَكُونُ بَيَانُ صِفَةِ الْحَقِّ فِيهِ كِبَيَانُ صِفَةِ الْحَقِّ فِي الْقُرْآنِ، فَالْأَمْرُ فِي هَذَا مَوْقُوفٌ عَلَى مَعْرِفَةِ الْقُرْآنِ وَمَعَانِيهِ وَتَفْسِيرِهِ وَتَرْجَمَتِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

قوله: (فالواجب قبول الحق وردد الباطل)، هذا إذا كان ما يذكرونه مُجْمَلًا لا نوافقه إطلاقًا ولا نرده إطلاقًا؛ لأننا إذا وافقنا هكذا سنوافق على باطلهم ضمن ما في كلامهم من الحق، وإن رددناه كله سنرد الحق الذي في كلامهم مع الباطل الذي في كلامهم.

فلذلك نستفصل نقبل الحق ونرد الباطل، مع ذلك الحق لا يكون بيان صفة الحق فيه كبيان صفة الحق في القرآن، إذا أردت أن تستغني عن ذلك الحق فأنت عندك ما فيه الحق بأوضح مما هناك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْتَرْجَمَةُ وَالتَّفْسِيرُ ثَلَاثُ طَبَقَاتٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

فالأمر في هذا موقوفٌ على معرفة القرآن ومعانيه وتفسيره وترجمته.

الآن بهذه المناسبة سيدخل شيخ الإسلام في الترجمة، كيف تكون الترجمة؟ الترجمة التي يُستفاد

منها، وما هي مراحلها؟ والموضوع طويل، نقفُ هُنَا، والله أعلم.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالترجمة والتفسير "ثلاث طبقات":

- أحدها: ترجمة مجرد اللفظ، مثل نقل اللفظ بلفظ مرادف، ففي هذه الترجمة تريد أن تعرف أن الذي يعنى بهذا اللفظ عند هؤلاء هو بعينه الذي يعنى باللفظ عند هؤلاء.

فهذا علم نافع، إذ كثير من الناس يفتيد المعنى باللفظ، فلا يجرد عنه اللفظين جميعاً.

- والثاني: ترجمة المعنى وبيانه بأن يصور المعنى للمخاطب، فتصوير المعنى له وتفهمه إياه قدر زائد على ترجمة اللفظ، كما يشرح للعربي كتاباً عربياً قد سمع ألفاظه العربية، لكنه لم يتصور معانيه ولا فهمها، وتصوير المعنى يكون بذكر عينه أو نظيره، أو تركيب صفات من مفردات يفهمها المخاطب يكون ذلك المركب صورة ذلك المعنى: إما تحديداً وإما تقريباً.

- الدرجة الثالثة: بيان صحة ذلك المعنى، وتحقيقه بذكر الدليل والقياس الذي يحقق ذلك المعنى إما بدليل مجرد، وإما بدليل يبين علة وجوده.

وهنا قد يحتاج إلى ضرب أمثلة ومقاييس تفيده التصديق بذلك المعنى، كما يحتاج في "الدرجة الثانية" إلى أمثلة تصور له ذلك المعنى، وقد يكون نفس تصوّره غير مفيداً للعلم بصدقه، وإذا كفى تصوّر معناه في التصديق به لم يحتج إلى قياس ومثال ودليل آخر.

قال الشارح وفقه الله:

كان شيخ الإسلام يناقش الرازي في دعواه أن الصحابة لم يطلعوا على شبهات الفلاسفة، وبالتالي لازم كلامه أنهم لم يفندوها، وأن الذي اطلع على تلك الشبهات هم أمثاله من المتكلمين الذين فهموا ما كتبه، واطلعوا على ما ذكره، وتمرسوا في أساليبهم، وعرفوا لغاتهم، فشيخ الإسلام ناقشه مناقشة طويلة.

في أثناء المناقشة ذكر أموراً مفيدة جداً تتعلق بالترجمة، وختمها بهذا التفصيل، وهذا التفصيل سيكون مقدمة لمثال ذكره شيخ الإسلام ختم به هذا الموضوع، وهذا المثال أيضاً وقف معه شيخ

الإسلام كثيرًا جدًّا؛ لأنه لم يضرب أمثلة أخرى، إنَّما اكتفى بمثال وناقشه من جميع النواحي.

وفي هذا المثل يظهر خطأ المترجمين الذين يدعون التحقيق والعرفان أمثال الرازي وغيره، الذين يترجمون معاني كلام أولئك يترجمونها بألفاظٍ شرعية، فيُظنُّ أنَّ هذا اللفظ يُرادف ذلك اللفظ في المعنى، وأنَّ تلك الحقائق توافق هذه الحقائق الشرعية، فيحصل معها خلط، والسبب عدم الدقة في الترجمة:

- إمَّا جهلاً.

- وإمَّا عمدًا.

وكلاهما موجودان، والجهل موجود، والتعمد في التلبس والتدليس موجود، وهذا المثل قد تستغرب وقفة شيخ الإسلام معه بهذا الطول، ولكنك إذا عرفت أنَّ هذا المثل اقتصر عليه شيخ الإسلام وختم به هذا الموضوع؛ يتبين لك مدى تحقيق هؤلاء الذين أشغلوا النَّاسَ بهذه الدعاوى العريضة تحقيق وعرفان وتدقيق، وأنهم هم الخواص وغيرهم العوام.

ويتبين لنا بعدهم جدًّا عن الحقائق الشرعية، أبعَد النَّاسِ عن الحقائق الشرعية: إمَّا جهلاً وإمَّا عمدًا.

ما ذكره هنا في الترجمة يُعتبر تأصيلًا لهذا الموضوع، كيف يكون وكيف تكون الترجمة، وفي ضمنها تفهم أيضًا شروط المترجمين، مَنْ الذي يستطيع أن يترجم، الترجمة ليست سهلة، ويعرف هذا الموضوع مَنْ كابده، الترجمة صعبة جدًّا، أحسن منها أن تُنشئ الكلام من عندك في الموضوع الذي تُريد أن تترجم فيه إذا لم يكن الكتاب له اعتبارٌ خاص.

فإنشاء الكلام فيما تريد سهلًا، أمَّا الترجمة فتحتاج إلى دقة في فهم اللغتين، وفي التمرس، تحتاج إلى التمرس في اللغتين، كما أنها تحتاج إلى الدقة والأمانة، وسنعرف كيف حصل الخلط في هذا الموضوع بالمثل الذي سيذكره شيخ الإسلام.

طبعًا هنا يتحدث شيخ الإسلام عن الترجمة عمومًا، لا يتحدث عن الترجمة ترجمة القرآن، وأيضًا لا يتحدث عن الترجمة من لغة إلى لغة، هذه الترجمة قد تكون داخل لغةٍ بعينها، كل هذه المراحل قد تكون داخل اللغة العربية، وقد تكون من لغة إلى لغة.

الترجمة والتفصيل ثلاث طبقات:

- **الطبقة الأخيرة:** ليست ضرورية، قد تحصل بالطبقة الثانية وقد لا تحصل، إذا لم تحصل الطبقة الثانية فلا نحتاج إليها، وهي من تمام الترجمة الطبقة الأخيرة، المرتبة الأخيرة، الدرجة الأخيرة.

- **المرتبة الأولى:** ترجمة اللفظ.

- **والمرتبة الثانية:** ترجمة المعنى.

الترجمة الأولى تُسمى أيضًا الترجمة الحرفية، والدرجة الثانية تُسمى الترجمة التفصيلية.

الدرجة الأولى هي ترجمة اللفظ - كما ذكر شيخ الإسلام -، والثانية: ترجمة المعنى، والثالثة:

الاستدلال لإثبات هذا المعنى الذي ترجمته، تستدل لصحته حتى يقتنع مَنْ تُترجم له ويصدق، هذا - كما قلت - من تمام الترجمة، إن حصل مع الدرجة الثانية جيد، ما حصل تحتاج إليه.

ترجمة مجرد اللفظ مثل نقل اللفظ بلفظٍ مرادف، **(ففي هذه الترجمة تُريدُ أن تُعرفَ أن الذي يُعنى**

بهذا اللفظ عند هؤلاء هو بعينه الذي يُعنى باللفظ عند هؤلاء، فهذا علمٌ نافعٌ)؛ علمٌ نافعٌ لأنه هو المدخل.

- **الطبقة الثانية أو الدرجة الثانية:** يُتوصّل إليها من خلالها، أنت الآن قرأت كلامًا لبعض

الفلاسفة مثلًا وهو باللغة السريانية مثلًا، أولاً: تحتاج إلى أن تفهم، كيف تفهم؟ بدايتك من الألفاظ،

هذه الألفاظ المفردات تفهمها، ثم تفهم الجملة، ثم تستوعب المعنى، بعد أن استوعبت المعنى تُريد أن

ترجمه إلى اللغة العربية، فعندك طريقان:

- **الطريقة الأولى:** ترجمة اللفظ بلفظ، وهذه ليست ترجمة، لا يصل بها المعنى، لا يصل بها

المقصود.

- **والطريقة الثانية:** ترجمة المعنى إلى معنى بأسلوبك أنت.

الكلام المترجم قد يكون سطر، والذي ترجمت إليه قد يكون سطرين وقد يكون العكس، المهم

توظف هذا المعنى بأسلوبك الخاص بعدما تمر من الدرجة الأولى تفهم الألفاظ، ثم تترجم المعنى.

إذا الدرجة الأولى ضرورية، ولكنها الاقتصار عليها خطأ.

والثانية: ترجمة المعنى وبيانه، وهذا يحصل لك بعدما تعرف مفردات الجمل التي تريد أن ترجمها، مفرداتها، ثم ما يرمي إليه المتكلم بأن يصور المعنى للمخاطب، وهذا ليس خاصاً بترجمة اللغة إلى لغة لا، قد يكون داخل اللغة العربية مثلاً، فتصوير المعنى له وتفهمه إياه للمخاطب قدر زائد على ترجمة اللفظ.

قد تكون هناك جملة عرفت الألفاظ، ولكنك لا تعرف المقصود، كما هو حالنا نحن وحالكم مع اللغة العربية، مثلاً: هناك بيت في ديوان الحماسة مثلاً باللغة العربية ولكنك لا تفهم، فتحتاج إلى أن تترجم هذه القصائد لك، بمعنى يصوغ المعنى، هذا يقصد كذا وكذا وكذا، هذه المعاني، كما يشرح للعربي كتاباً عربياً قد سمع ألفاظه العربية، ولكنه لم يتصور معانيه ولا فهمها.

إذاً هذا قد يكون من لغة إلى لغة، وقد يكون داخل لغة بعينها.

طبعاً هاتان الدرجتان ضروريتان، الدرجة الأخيرة من تمام الترجمة، لا زلت أقول: أن هذا ليس خاصاً بترجمة أفراد؛ لأنه يكاد أن يحصل الإجماع من العلماء أن الترجمة الحرفية والاقتصار عليها لا تجوز بالنسبة للقرآن، من يقتصر على الترجمة الحرفية هذا يحرف معاني القرآن.

الحرف، الجملة، الألفاظ، كل لفظ تُترجمه وتقتصر منه، لا يحصل به المقصود، وبالتالي يحصل

التلاعب بكلام الله ﷻ لا يجوز، يكاد أن يحصل عليه الإجماع بالنسبة للقرآن.

– (الدَّرَجَةُ الثَّلَاثَةُ: بَيَانُ صِحَّةِ ذَلِكَ الْمَعْنَى، وَتَحْقِيقُهُ)، أي: إثباته، كيف؟ (بِذِكْرِ الدَّلِيلِ وَالْقِيَاسِ الَّذِي

يُحَقِّقُ ذَلِكَ الْمَعْنَى)؛ لأنَّ المعنى الذي تُرجم لك قد يكون مستبعداً، فحتى يصدق المخاطب تستدل له وتذكر له أمثلة حتى يفهم ويُصدّق.

(إِمَّا بِدَلِيلٍ مُجَرَّدٍ، وَإِمَّا بِدَلِيلٍ يُبَيِّنُ عِلَّةَ وُجُودِهِ)، أي وسيلة تتوصل بها إلى تفهيم المعنى وتصويره جيداً

وتصديق المخاطب له هذه هي المرتبة.

(وَهُنَا قَدْ يَحْتَاجُ إِلَى ضَرْبِ أَمْثَلَةٍ وَمَقَائِسَ تُفِيدُهُ)، (تُفِيدُهُ) أي: المخاطب، (التَّصْدِيقَ بِذَلِكَ الْمَعْنَى،

كَمَا يُحْتَاجُ فِي "الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ" إِلَى أَمْثَلَةٍ لِتَصَوُّرِ ذَلِكَ الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ الدَّرَجَةَ الثَّانِيَةَ لِتَصَوُّرِ الْمَعْنَى،
والدرجة الثالثة بعد التصور قدرٌ زائد وهو الاستدلال والتفهم أكثر، (وَقَدْ يَكُونُ نَفْسُ تَصَوُّرِهِ غَيْرَ مُفِيدًا
لِلْعِلْمِ بِصِدْقِهِ، وَإِذَا كَفَى تَصَوُّرُ مَعْنَاهُ فِي التَّصَدِيقِ بِهِ لَمْ يَحْتَاجْ إِلَى قِيَاسٍ، وَمَثَلٍ وَدَلِيلٍ آخَرَ)، أي: لا
تحتاج إلى الدرجة الثالثة، يعني هذه هي الدرجة الثالثة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَإِذَا عَرَفَ الْقُرْآنَ هَذِهِ الْمَعْرِفَةَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

(هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ) أي: طبقت هذه المراحل الثلاث في القرآن: عرفت المفردات، واستوعبت المعنى،
واستطعت أن توصل أو أن تستدل ويتضح المعنى لديك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَالكَلَامُ الَّذِي يُوَافِقُهُ أَوْ يُخَالِفُهُ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالصَّابِغِينَ وَالْمُشْرِكِينَ لَا بُدَّ فِيهِ مِنَ التَّرْجَمَةِ
لِللَّفْظِ وَالْمَعْنَى أَيْضًا، وَحِينَئِذٍ فَالْقُرْآنُ فِيهِ تَفْصِيلٌ كُلُّ شَيْءٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ
تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ١١١].

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

كيف تصدق؟ بعد ما تفهم، بعد ما تستوعب.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَالَ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

طبعًا أو لا: أنت قرأت القرآن وتصورت معانيه، وهب أنك لم تفهم هذا الذي يُنزل إليك، ما عليك؟
إذا فهمت وعندك الأصل القرآن والسُّنَّةُ يُوافقه قبله، لا يُوافقه ترده، ما فهمت؟ ما يضررك، المهم أنك
قرأت القرآن، وفهمت المعنى الحق المطلوب.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْأُمَّةَ مَأْمُورَةٌ بِتَبْلِيغِ الْقُرْآنِ لَفْظُهُ وَمَعْنَاهُ كَمَا أُمِرَ بِذَلِكَ الرَّسُولُ، وَلَا يَكُونُ تَبْلِيغُ رِسَالَةِ اللَّهِ إِلَّا كَذَلِكَ، وَأَنَّ تَبْلِيغَهُ إِلَى الْعَجَمِ قَدْ يَحْتَاجُ إِلَى تَرْجَمَةٍ لَهُمْ، فَيَتَرَجَّمُ لَهُمْ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ، وَالتَّرْجَمَةُ قَدْ تَحْتَاجُ إِلَى ضَرْبِ أَمْثَالٍ لِتَصْوِيرِ الْمَعْنَى.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً هذا يتحدث عن ترجمة المعنى، وشيخ الإسلام له قول آخر معروف ذكر أننا كنا قد أنهينا الترجمة، إذا كان يُخاف على الترجمة ألا تكون كما ينبغي فلك أن تمنع إذا كنت تستطيع، الآن ترجمات القرآن الكريم أول ترجمة باللغة الإنجليزية بالقرآن الكريم قام بها ولا زالت هي أشهر ترجمة إلى الآن ألف وتسعمائة وسبعة عشر أو ستة عشر باللغة الإنجليزية.

والترجمة الثانية أيضاً لأحد المنحرفين، وهذه هي التراجم المعروفة، طبعاً هناك تراجم الحمد لله دقيقة بجهود الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ اهتمَّ بهذا الموضوع جداً جداً، جمع هذه التراجم، وبين ما فيها من الخطأ والفساد، ولكن الترجمات الأخرى هي يوزعها التبشيريون في المجان؛ لأنها تحقق مقصودهم. لذلك يقول شيخ الإسلام: نحن كنا نهينا عن ترجمة القرآن، ولكن عمومًا تريد أن تبلغ إلى غير العرب لا بُدَّ أن يُترجم؛ لأنَّ هذه هي الوسيلة إلى الفهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَيَتَرَجَّمُ لَهُمْ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يترجم ماذا؟ يترجم المعنى.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالترجمةُ قَدْ تَحْتَاجُ إِلَى ضَرْبِ أَمْثَالٍ لِتَصْوِيرِ الْمَعَانِي، فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ تَمَامِ التَّرْجَمَةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذه المصارف التي ترجمها، وخاصة التي نشرت مطبعة مجمع الملك فهد رَحِمَهُ اللهُ مكتوب فيها ترجمة معاني القرآن كلها.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِذَا كَانَ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ أَكْثَرَ الْمُسْلِمِينَ بَلْ أَكْثَرَ الْمُتَسَبِّبِينَ مِنْهُمْ إِلَى الْعِلْمِ لَا يَقُومُونَ بِتَرْجَمَةِ الْقُرْآنِ وَتَفْسِيرِهِ وَبَيَانِهِ؛ فَلِأَنَّ يَعْجَزَ غَيْرُهُمْ عَنْ تَرْجَمَةِ مَا عِنْدَهُ وَبَيَانِهِ أَوْلَى بِذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً مع ما في من كمال الألفاظ وكمال المعاني ووضوحها، مع ذلك يقول شيخ الإسلام: حتى المتسبون إلى الإسلام وحتى طلبة العلم مقصرون في بيان القرآن وفي تفسيره من طلبة العلم، غيره غيرهم أولى بالجهل.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

لِأَنَّ عَقْلَ الْمُسْلِمِينَ أَكْمَلَ، وَكِتَابَهُمْ أَقْوَمُ قِيَالًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا، وَلُغَتُهُمْ أَوْسَعُ لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَتْ تِلْكَ الْمَعَانِي غَيْرَ مُحَقَّقَةٍ، بَلْ فِيهَا بَاطِلٌ كَثِيرٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(غَيْرَ مُحَقَّقَةٍ)، طبعاً كما هو الحال في الكتب المحرّفة كتب الفلسفة، تجد هناك جُمْلٌ طويلة فيها معنى لا يكاد يتصور، معنى لا يكاد، خيرات فاسدة، فعلى ما تفهم تكون ضيِّعت من وقتك الكثير، لذلك يقول: (لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَتْ تِلْكَ الْمَعَانِي غَيْرَ مُحَقَّقَةٍ)، أقرب إلى الخيال.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّ تَرْجَمَةَ الْمَعَانِي الْبَاطِلَةَ وَتَصْوِيرَهَا صَعْبٌ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهَا نَظِيرٌ مِنَ الْحَقِّ مِنْ كُلِّ وَجْهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

كما هو الحال مثلاً في نظرية الحال، قضية الحال عند، على ما تفهم هذه النظرية، لأنه ليس هناك حق يُقابله، تقول مثلاً: هذه النظرية كذا وكذا، هذا المُقابل غير موجود.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِذَا سُئِلْنَا عَنْ كَلَامٍ يَقُولُونَهُ: هَلْ هُوَ حَقٌّ أَوْ بَاطِلٌ؟ وَمِنْ أَيْنَ يَتَبَيَّنُ الْحَقُّ فِيهِ وَالْبَاطِلُ؟ قِيلَ: مِنَ الْقُرْآنِ بِالْحُجَّةِ وَالِدَلِيلِ، كَمَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ وَأَهْلُ الْكِتَابِ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ مَسَائِلَ أَوْ يُنَاطِرُونَهُ، وَكَمَا كَانَتْ الْأُمَّمُ تُجَادِلُ رُسُلَهَا، إِذْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَدَّعِي مُوَافَقَةَ الشَّرِيعَةِ لِلْفَلَسَفَةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً هذا الموضوع (مُوَافَقَةُ الشَّرِيعَةِ لِلْفَلَسَفَةِ) مع كثرة ما كُتِبَ فيه بدأ يظهر وكأنه مُتفق عليه عند الجمهور من المسلمين، تجدون التركيز عليه عند الكلام، التركيز على موافقة الفلسفة للشريعة أو العكس، وابن رُشد له كتاب في هذا "فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال".

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

(مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا ذَكَرُوا "الْعُقُولَ الْعَشْرَةَ" "وَالنُّفُوسَ التِّسْعَةَ"، وَقَالُوا: إِنَّ الْعَقْلَ الْأَوَّلَ هُوَ الصَّادِرُ الْأَوَّلُ عَنِ الْوَاجِبِ بِذَاتِهِ، وَأَنَّهُ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ وَمَعْلُومٌ لَهُ، وَكَذَلِكَ الثَّانِي عَنِ الْأَوَّلِ وَإِنَّ لِكُلِّ فَلَكَ عَقْلاً وَنَفْسًا.

قِيلَ: قَوْلُكُمْ "عَقْلٌ وَنَفْسٌ" لُغَةٌ لَكُمْ فَلَا بُدَّ مِنْ تَرْجَمَتِهَا، وَإِنْ كَانَ اللَّفْظُ عَرَبِيًّا فَلَا بُدَّ مِنْ تَرْجَمَةِ الْمَعْنَى.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

العقل والنفس من الكلمات الدارجة من الكلمات المعروفة، من جهلهم وكيدهم أنهم ترجموا تلك

المعاني الباطلة التي عندهم ترجموها بالعقل والنفس؛ حتى يلوج على مَنْ أرادوا أن يلوج عليهم، وقد لاج فعلاً، فقالوا: العقول هي الملائكة، العقل الفَعَال هو وجبريل والنفوس كذا.

هذا مثال في هذا المثال سيئين شيخ الإسلام كيف أن جملة من الأمور الباطلة تضمنها هذا المثال، وقس عليه بقية الترجمات، أنت تقرأ لابن سينا الألفاظ عربية وشرعية ويلعب بها، وتظن أن الرجل داخل إطار الشريعة، ولكن المعاني التي يتضمنها كلامه معاني فاسدة باطلة.

وأضرب لها مثال: يقولون: (إِنَّ الْعَقْلَ الْأَوَّلَ هُوَ الصَّادِرُ الْأَوَّلُ عَنِ الْوَاجِبِ بِذَاتِهِ)، طبعاً بالنسبة للنظريات التي تتحدث عن نشأة الكون كثيرة، أغربها وأفسدها هذه النظرية، وأول من اشتهرت هذه النظرية عن أفلوطين "أفلوطين المصري" كان في القرن الثاني ميلاداً.

أفلوطين خلط النصرانية بالفلسفة، وأراد أن يجمع بين الفلسفة والنصرانية، وأكثر ما تجده عند الفارابي وعند ابن سينا مادته من أفلوطين، أفلاطون وأفلوطين هم بين هذا وهذا، أفلوطين نصراني، وأفلاطون أقدم منه القرن الخامس قبل الميلاد، أمّا هذا القرن الثاني.

يقول في نشأة الكون يقول: الكون نشأ عن الواجب بذاته، انظر البداية التي فيها التدليس، من باب الإخبار نحن أيضاً نقول عن الله ﷻ أنه واجب بذاته من باب الإخبار؛ لأن الواجب بذاته هو الواجب الذي لا يحتاج إلى غيره في وجوده وغيره يحتاج إليه في وجوده.

هذا بعض معنى القيوم الواجب بذاته، الآن بدأ به (الوَاجِبِ بِذَاتِهِ)، وصدر من الواجب بذاته العقل الأول الذي هو العقل الفعال العقل الأول، (وَأَنَّهُ) العقل هذا، (مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ وَمَعْلُولٌ لَهُ) أي: صدر عنه دون أن يكون للواجب بذاته أي خيارٍ ومشية وإرادة في صدوره عنه، هذا معنى كونه علة، هذا معنى كونه (مَعْلُولٌ)، وسيأتي في كلام شيخ الإسلام أن التولد أليق بهذا المعنى وأقرب لهذا المعنى.

ثم العقل الأول هو نفس، وأنه العقل الثاني هو نفس، وأنه كذا كذا، إلى أن جاء العقل الفعال الذي هو العقل العاشر ويقولون: هو جبريل وعنه هذا الحال.

(وَإِنَّ لِكُلِّ فَلَكَ عَقْلاً وَنَفْسًا)، فلك من اللغة العربية عقل ونفس، قيل: قولكم عقل ونفس هذه لغتكم، فلا

بُدَّ من ترجمتها أي تفصيلها، وإن كان اللفظ عربيًا فلا بُدَّ من ترجمة المعنى، ما الذي تقصدون بالفلك والنفس والعقل؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَيَقُولُونَ: "العقل" هُوَ الرُّوحُ الْمُجَرَّدَةُ عَنِ الْمَادَّةِ - وَهِيَ الْجَسَدُ وَعَلَائِقُهَا - سَمَّوْهُ عَقْلًا، وَيُسَمُّونَهُ مُفَارِقًا، وَيُسَمُّونَ تِلْكَ: الْمُفَارِقَاتِ لِلْمَوَادِّ؛ لِأَنَّهَا مُفَارِقَةٌ لِلْأَجْسَادِ، كَمَا أَنَّ رُوحَ الْإِنْسَانِ إِذَا فَارَقَتْ جَسَدَهُ كَانَتْ مُفَارِقَةً لِلْمَادَّةِ الَّتِي هِيَ الْجَسَدُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

عرفنا تعريف العقل، طبعًا العقل والنفس كلاهما واحدًا، نفس العقل إذا كان مُتصلاً بالبدن يُسمى نفسًا، وإذا خرج من البدن يُسمى عقلاً، لماذا يُسمى عقلاً؟ كما قال في التعريف: ("العقل" هُوَ الرُّوحُ الْمُجَرَّدَةُ عَنِ الْمَادَّةِ)، ما هي المادة؟ (هِيَ الْجَسَدُ وَعَلَائِقُهَا)، أي: ما يتصل بها، (سَمَّوْهُ عَقْلًا، وَيُسَمُّونَهُ مُفَارِقًا)؛ لأنه ليس مُتصلاً بالجسد.

(وَيُسَمُّونَ تِلْكَ)، يسمونها بعد تلك نقطتين، (الْمُفَارِقَاتِ لِلْمَوَادِّ)، (يُسَمُّونَ تِلْكَ: الْمُفَارِقَاتِ لِلْمَوَادِّ)، لماذا يسمونها المفارقات للمواد؟ (لأنها مُفَارِقَةٌ لِلْأَجْسَادِ، كَمَا أَنَّ رُوحَ الْإِنْسَانِ إِذَا فَارَقَتْ جَسَدَهُ كَانَتْ مُفَارِقَةً لِلْمَادَّةِ الَّتِي هِيَ الْجَسَدُ).

إذا العقل نفسه إذا كان مُتصلاً بالجسم نفس، إذا فارق الجسم يكون عقلاً ويُسمى مُفَارِقًا.

فإذا قال هم: المفارقات يقصدون العقل، وما هي النفس؟ نحن عندنا كلمتان عقل ونفس، عرفنا العقل.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالنَّفْسُ: هِيَ الرُّوحُ الْمُدَبَّرَةُ لِلْجِسْمِ، مِثْلُ نَفْسِ الْإِنْسَانِ إِذَا كَانَتْ فِي جِسْمِهِ، فَمَتَى كَانَتْ فِي الْجِسْمِ كَانَتْ مُحَرَّكَةً لَهُ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

طبعًا نحن عندنا (فَمَتَى إِذَا كَانَتْ) وهذا خطأ، وكيف قال عندك؟

الطالب: (مِثْلُ نَفْسِ الْإِنْسَانِ إِذَا كَانَتْ فِي جِسْمِهِ).

الشيخ: (إِذَا كَانَتْ فِي جِسْمِهِ)، بعدها؟

الطالب: (فَمَتَى كَانَتْ).

الشيخ: إي، هذا هو الصحيح، أنا عندي (فَمَتَى إِذَا كَانَتْ)، (فَمَتَى كَانَتْ)، الذي عنده الطبعة الأولى يصححها.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَمَتَى كَانَتْ فِي الْجِسْمِ كَانَتْ مُحَرَّكَةً لَهُ، فَإِذَا فَارَقَتْهُ صَارَتْ عَقْلًا مَحْضًا: أَيَّ يَعْقِلُ الْعُلُومَ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيكِ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْسَامِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

صارت عقلاً محضاً؛ لأنها صارت تعقل كل شيء بدون أي واسطة، لما تكون متصلةً بالبدن هي تدبر هي المدبرة للبدن، تعلم وتسمع وتدرك كل هذه بواسطة البدن، أمّا لما تفارقه صارت من المفارقات، أي المفارقات للمادة ولو احقها، وهي الآن تعلم كل شيء بدون أي واسطة.

رأيت هذه الخزعبلات ضمنوها العقل والنفس، العقل عند أهل السنّة والجماعة عرض يقوم بالإنسان عرض، وهو كذلك أيضاً عند أوائل المتكلمين ليس هناك خلاف في هذه المسألة أنّ العقل عرض يقوم بالإنسان، سواء قلنا: أنه يقوم بالقلب، وسواء قلنا: أنه يقوم بالدماغ، وسواء قلنا: أنه عملية يشترك فيها القلب والدماغ، وهذا الذي يبدو صحيح، ومركزه هو القلب؛ لأنّ الدماغ إذا تعطل منه شيء

يتعطل ما يقابله في القلب.

إذا تعطل القلب يتعطل ما يُقَابَلُه في الدماغ، مما يدل على أنّ هناك اتصالاً وثيقاً بين هذا وهذا، والمركز - كما يظهر من النصوص - هو القلب، على كل حال هو عرضٌ قائمٌ بالنفس.

أمّا عند الفلاسفة جوهرٌ مُستقلٌ قائمٌ بنفسه، وهذا الجوهرُ يكون بالبدن فيُسمى نفساً، وإذا خرج عن البدن يُسمى عقلاً، وهذا المذهب تأثر به متأخرو المتكلمين، وإلا أوائل المتكلمين الصحيح عندهم أنّ العقل عرضٌ قائمٌ بالنفس.

بعضهم يسمون بعض العلوم عقلاً، كالعلوم الضرورية مثلاً يسمونها عقلاً، وبعضهم يسمون جميع العلوم عقلاً، وبعضهم يسمون ما تُعَلِّمُ به العلوم عقلاً، المهم هو عرضٌ قائمٌ بالنفس، وعنده هذه هي، العقل هو الروح المجردة عن المادة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَهَذِهِ الْعُقُولُ وَالنَّفُوسُ وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(فَهَذِهِ) هي العقول عندهم وهي النفوس عندهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ أَحْسَنِ التَّرْجَمَةِ عَنِ الْعَقْلِ وَالنَّفْسِ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يُحْصِلُونَ ذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

شيخ الإسلام هنا يشير إلى حسن الترجمة عنده رَحِمَهُ اللهُ، يقول: وهذه الترجمة التي أنا أعطيتكم خلاصتها كثيرٌ منهم ما يفعل هذا، (وَأَكْثَرُهُمْ لَا يُحْصِلُونَ ذَلِكَ)، عقل ونفس ويشغلك وهو ما يدري عن شيء؛ لأنه يأخذه من الفلاسفة، يكون ما فهم هو.

يقول شيخ الإسلام: (وَأَكْثَرُهُمْ لَا يُحْصِلُونَ ذَلِكَ)، هذا الذي أعطيتك هذا الزنديق، يقول شيخ

الإسلام في نص آخر في يقول: كثيرٌ منهم لما كنت أشرح لهم كانوا يعتبرونني أئمة لهم لولا أقرن ذلك

بالنقد، أشرح لهم نظرية، يكادون يتخذونني إمامًا لهم.

ثم لما أقرن ذلك بالنقد هنا، كثيرٌ من نظريات الفلاسفة ونظريات المتكلمين تفهم من كلام شيخ الإسلام، طبعًا هذا تنبيه (وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَحْصُلُونَ ذَلِكَ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

قَالُوا: وَأَثْبِتْنَا لِكُلِّ فَلَكَ نَفْسًا؛ لِأَنَّ الْحَرَكَةَ اخْتِيَارِيَّةً فَلَا تَكُونُ إِلَّا لِنَفْسٍ، وَلِكُلِّ نَفْسٍ عَقْلًا؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ كَامِلٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى حَرَكَةٍ، وَالْمُتَحَرِّكُ يَطْلُبُ الْكَمَالَ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فَوْقَهُ مَا يُشَبَّهُ بِهِ، وَمَا يَكُونُ عِلَّةً لَهُ. وَلِهَذَا كَانَتْ حَرَكَةُ أَنْفُسِنَا لِلتَّشْبِيهِ بِمَا فَوْقَنَا مِنَ الْعُقُولِ، وَكُلُّ ذَلِكَ تَشْبِيهُ بِوَاجِبِ الْوُجُودِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ، وَالْأَوَّلُ لَا يَصْدُرُ عَنْهُ إِلَّا عَقْلٌ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ تَقْتَضِي جِسْمًا وَالْجِسْمُ فِيهِ كَثْرَةٌ، وَالصَّادِرُ عَنْهُ لَا يَكُونُ إِلَّا وَاحِدًا، وَلَهُمْ فِي الصُّدُورِ اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا الواجب بذاته صدر عنه العقل الأول، (وَأَثْبِتْنَا لِكُلِّ فَلَكَ نَفْسًا)، كل فلك من الأفلاك لها نفس، لماذا؟ (لِأَنَّ الْحَرَكَةَ اخْتِيَارِيَّةً)؛ لأنهم يرون أن هذه الأفلاك هي التي تتحرك، وهي التي تحرك العالم السفلي، (لِأَنَّ الْحَرَكَةَ اخْتِيَارِيَّةً فَلَا تَكُونُ إِلَّا لِنَفْسٍ)، وبالتالي هذه الأفلاك كل فلك له نفس.

إضافة أخرى (وَلِكُلِّ نَفْسٍ عَقْلًا)، لماذا؟ (لِأَنَّ الْعَقْلَ كَامِلٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى حَرَكَةٍ، وَالْمُتَحَرِّكُ يَطْلُبُ الْكَمَالَ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فَوْقَهُ مَا يَتَشَبَّهُ بِهِ)، وهو العقل، لا بُدَّ أن الأفلاك هذه تتحرك، ما يستطيع أن يقول: يحركها الله ﷻ ملحد، ما الذي يحركها؟ تحركها النفس كما تحرك بدن الإنسان.

هذه الأفلاك لها نفس، وهذه النفس هي التي تحرك تلك الأفلاك، لماذا تتحرك الأفلاك هذه؟ لأن النفس هذه تحرك، لماذا تتحرك؟ قالوا: لأنها تريد أن تتشبه بمن هو أعلى منها، وحتى تأتي لها بما هو أعلى منها قلنا: أن لكل فلك نفسًا، ولها عقلاً؛ لأن النفس تحركها والحركة للتشبه بذلك العقل، رأيتم الخرافة هذه؟!

الطالب: متى تنتهي؟

الشيخ: ما تنتهي لكن إن شاء الله نحن عندنا سنتتهي في الصفحة هذه، ثم تبدأ المناقشة، وإلا خرافاتهم ما تنتهي.

(فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فَوْقَهُ مَا يَتَشَبَّهُ بِهِ)، وهو العقل بزعمهم، ولا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فَوْقَهُ أَيضًا مَا يَكُونَ عِلَّةً لَهُ وهو أيضًا العقل، (وَلِهَذَا كَانَتْ حَرَكَةُ أَنْفُسِنَا لِلتَّشَبُّهِ بِمَا فَوْقَنَا مِنَ الْعُقُولِ)، وليست بأوامر من الله ﷻ ولا رسوله ﷺ، نريد أن نتشبه بشيء لم نعرفه أصلاً.

(وَكُلُّ ذَلِكَ تَشَبُّهُ بِوَاجِبِ الْوُجُودِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ)، الفلك يتحرك للتشبه ونحن نتحرك للتشبه و و و سلسلة تنتهي إلى واجب الوجود، و واجب الوجود لا يحرك شيئاً؛ لأنه أصلاً لم يكن الخلق باختياره ومشيئته، صدور المخلوقات عنه بالتولد هو علة للمخلوقات وليس خالقاً للمخلوقات.

لاحظنا أن كيف أن هذه الألفاظ تتضمن هذه الطوام، وهؤلاء المترجمون يظنون أنهم قدموا لنا وخدمونا، خدمونا بهذه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

قِيلَ لَهُمْ: أَمَّا إِبْرَائِيمُ أَنْ فِي السَّمَاءِ أَرْوَاحًا: فَهَذَا يُشْبَهُ مَا فِي الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ اللهِ، وَلَكِنْ لَيْسَتْ هِيَ "الْمَلَائِكَةُ"، كَمَا يَقُولُ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ مِنْكُمْ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ عَلَى الرَّسُولِ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِهِ. وَيَقُولُونَ: مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْإِحْسَانَ وَالتَّوْفِيقَ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْفَلْسَفَةِ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا: الْعُقُولُ وَالنُّفُوسُ عِنْدَ الْفَلَسَفَةِ: هِيَ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ، لَكِنْ تُشْبَهُهَا مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً هذا تطفف شيخ الإسلام لهم (قِيلَ لَهُمْ: أَمَّا إِبْرَائِيمُ أَنْ فِي السَّمَاءِ أَرْوَاحًا: فَهَذَا يُشْبَهُ مَا فِي الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ اللهِ)، لا أشك أنه من التطفف، وإلا هذه النظرية لا تشبه تلك الحقائق القرآنية بشيء من أوجه التشبيه أبداً، هم في وادٍ والحقائق الشرعية في وادٍ، ما أثبتوه من الحركة لم يثبتوه على أنه من الله ﷻ، كل خرافاتهم بعيدة عن الله، فأنا أظن والله أعلم هذا من.

(وَلَكِنْ لَيْسَتْ هِيَ "الْمَلَائِكَةُ"، كَمَا يَقُولُ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ مِنْكُمْ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ عَلَى الرَّسُولِ وَمَا

أُنزِلَ مِنْ قَبْلِهِ)، أنت لما تسأل ابن سينا وغيره يقول لك: أنا أو من بالملائكة وأعمل كذا، ولكن تفسير الملائكة عندهم والنفوس ووو تفصيلها يختلف، وإلا أنا مؤمن وأنت مؤمن.

(يَقُولُونَ: مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْإِحْسَانَ وَالتَّوْفِيقَ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْفَلَسَفَةِ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا: الْعُقُولُ وَالنُّفُوسُ عِنْدَ الْفَلَسَفَةِ: هِيَ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ الْأَنْبِيَاءِ)، ترى الاختلاف في التفسير، (وَلَيْسَ كَذَلِكَ، لَكِنْ تُشَبِّهَهَا مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ)، فهذا الذي لا أفهمه من كلام شيخ الإسلام (تُشَبِّهَهَا مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ).

على كل حال: نقد هذه النظرية سيكون في كلام شيخ الإسلام بما لا يدع شيئاً مما يأتي من كلام شيخ الإسلام كفيلاً بأن تنقد هذه النظرية من الأصل، وقلت لكم: وقف معه وقفة طويلة؛ لأنه اكتفى بهذا المثال، وهذا المثال يبين لنا حجم الكارثة في هذه التراجم، الكتب التي ترجمت والكتب التي تقدم لنا الفلسفة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَإِنَّ اسْمَ الْمَلَائِكَةِ وَالْمَلَكِ يَتَضَمَّنُ أَنَّهُمْ رُسُلُ اللَّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١]، وَكَمَا قَالَ: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١]، فَالْمَلَائِكَةُ رُسُلُ اللَّهِ فِي تَنْفِيزِ أَمْرِهِ الْكُونِيِّ الَّذِي يُدَبِّرُ بِهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

كَمَا قَالَ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ [الأنعام: ٦١] وَكَمَا قَالَ: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]، وَأَمْرُهُ الدِّينِيُّ الَّذِي تَنْزِلُ بِهِ الْمَلَائِكَةُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

سبق لنا في كلام شيخ الإسلام أن الملك أصله مألوك، ويقول أحدهم: ألكني إليها وهو خير الرسول من كان أدرى بنوع الخبر، (ألكني إليها) أي: أرسلني إليها، فاللفظ فيه معنى الرسالة وما يذكر في هذه النصوص فيها بيان أنهم رسل الله ﷻ في تدبير أمره الكوني وتبليغ أمره الشرعي.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمْرُهُ الدِّينِيُّ الَّذِي تَنْزِلُ بِهِ الْمَلَائِكَةُ، فَإِنَّهُ ﴿يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [النحل: ٢]، وَقَالَ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذنيه مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

وَقَالَ: ﴿اللهُ يُصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، وَمَلَائِكَةُ اللهِ لَا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلَّا اللهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

ملائكة الله ﷻ لا يحصي عددهم إلا الله ﷻ، وملائكتهم عشرة كما سيأتي في كلام شيخ الإسلام.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقِيلَ لَهُمْ: الَّذِي فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ذِكْرُ الْمَلَائِكَةِ وَكَثْرَتُهُمْ أَمْرٌ لَا يُحْصَرُ، حَتَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَبَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا مَلَكٌ قَائِمٌ أَوْ قَاعِدٌ أَوْ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ».

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

سبحان الله! يعني هذا العالم على هذا المشاهد إذا عرفنا كم قطره حسب المقاييس البشرية لا تكاد تتصور بمليارات السنين الضوئية، فكيف بالسماء سبحان الله! فهذا العدد شيء، «مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا مَلَكٌ قَائِمٌ أَوْ قَاعِدٌ أَوْ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ».

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [مريم: ٩٠].

فَمَنْ جَعَلَهُمْ عَشْرَةً أَوْ تِسْعَةَ عَشَرَ، أَوْ زَعَمَ أَنَّ التَّسْعَةَ عَشَرَ الَّذِينَ عَلَى سَقَرٍ: هُمْ الْعُقُولُ وَالنُّفُوسُ، فَهَذَا جَهْلُهُ بِمَا جَاءَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَضَلَالُهُ فِي ذَلِكَ بَيِّنٌ، إِذْ لَمْ يَتَّفِقِ الْإِسْنَادُ فِي صِفَةِ الْمُسَمَّى وَلَا فِي قَدْرِهِ كَمَا تَكُونُ الْأَلْفَاظُ الْمُتَرَادِفَةُ.

قال الشَّارح وفقه الله:

(في صِفَةِ الْمُسَمَّى) هؤلاء عددهم لا يحصى وأولئك تسعة أو عشرة أو تسعة عشر، (ولا في قدره).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأِنَّمَا اتَّفَقَ الْمُسَمَّيَانِ فِي كَوْنِ كُلِّ مِنْهُمَا رُوحًا مُتَعَلِّقًا بِالسَّمَوَاتِ، وَهَذَا مِنْ بَعْضِ صِفَاتِ مَلَائِكَةِ السَّمَوَاتِ، فَالَّذِي أَثْبَتَهُ بَعْضُ الصِّفَاتِ لِبَعْضِ الْمَلَائِكَةِ، وَهُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَلَائِكَةِ وَصِفَاتِهِمْ وَأَقْدَارِهِمْ وَأَعْدَادِهِمْ فِي غَايَةِ الْقِلَّةِ أَقَلُّ مِمَّا يُؤْمِنُ بِهِ السَّامِرَةُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ، إِذْ هُمْ لَا يُؤْمِنُونَ لَا بِمُوسَى وَيُوشَعَ بَنِي.

قال الشَّارح وفقه الله:

السَّامِرَةُ فِي الْيَهُودِ مِثْلُ الرَّافِضَةِ فِي هَكَذَا يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ، يَعْنِي (أَقَلُّ مِمَّا يُؤْمِنُ بِهِ السَّامِرَةُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ، إِذْ هُمْ لَا يُؤْمِنُونَ لَا بِمُوسَى وَيُوشَعَ بَنِي).

الطالب: شيخنا، بخصوص الشبه من بعض الوجوه؟

الشيخ: الشبه في قلة ما يؤمنون به من الحقائق؛ لأنَّ أنبياء بني إسرائيل كثر الذين هم يؤمنون به، وهم امتداد لموسى عليه السلام، وهم لا يؤمنون إلا بموسى ويوشع، فالشبه هنا في قلة ما يؤمنون به وكثرة ما يطرحونه.

الطالب بخصوص اتفاق بعض المسميات في كون المتعلق بالسموات (وهذا من بعض صِفَاتِ مَلَائِكَةِ

السَّمَوَاتِ) هذه الشبه الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية.

الشيخ: إي، هذا الذي بدأ به، بدأ به، فهذا يُشبه ما في القرآن وغيره من كتب الله أن هناك ملائكة، وأن لهم حركة فقط، وقلت هذه الحركة غير وهذه غير.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

كَيْفَ وَهُمْ لَمْ يُبْتَوِا لِلْمَلَائِكَةِ مِنَ الصِّفَةِ إِلَّا مُجَرَّدُ مَا عَلِمُوهُ مِنْ نَفُوسِهِمْ مُجَرَّدَ الْعِلْمِ لِلْعُقُولِ وَالْحَرَكَةِ الْإِرَادِيَّةِ لِلنُّفُوسِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(مُجَرَّدُ مَا عَلِمُوهُ مِنْ نَفُوسِهِمْ)، أن هناك نفس تدبر البدن، وأن هذه النفس تحرك البدن للتشبه بالعقول، وهذه طبقوها على الملائكة، طبقوها على العقول وعلى النفوس وعلى الأفلاك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَهُمْ مِنَ الْعُلُومِ وَالْأَحْوَالِ وَالْإِرَادَاتِ وَالْأَعْمَالِ مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا ذُو الْجَلَالِ، وَوَضَفُهُمْ فِي الْقُرْآنِ بِالتَّسْبِيحِ وَالْعِبَادَةِ لِلَّهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُذَكَّرَ هُنَا، كَمَا ذَكَرَ تَعَالَى فِي خِطَابِهِ لِلْمَلَائِكَةِ، وَأَمْرِهِ لَهُمْ بِالسُّجُودِ لِأَدَمَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أنا قلت لكم: هذا المثال وقف معه شيخ الإسلام وقفة طويلة؛ لأنه اقتصر عليه، يريد أن يبين هنا أنكم في وادٍ وهذه الحقائق الشرعية في وادٍ آخر.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

كَمَا ذَكَرَ تَعَالَى فِي خِطَابِهِ لِلْمَلَائِكَةِ، وَأَمْرِهِ لَهُمْ بِالسُّجُودِ لِأَدَمَ، وَقَوْلِهِ: ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨]، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٩].

وَقَوْلُهُ: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥].

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

نلاحظ في الغالب التسييح مقرون بالتحميد ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، ينزهون بذكر صفات الكمال طبعاً سيأتي، وسبق أيضاً أن تنزيه المتكلمين فيه نفي، أمّا تنزيه الملائكة وتنزيه المؤمنين وتسييحهم بالإثبات ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: يقدسون، ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: بإثبات صفات الكمال.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَوْلِهِ: ﴿كُلُّ أَمْنٍ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤-١٢٥].

وَقَوْلِهِ: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنفال: ١٢]، وَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٢٦]، وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩].

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥١]، وقوله: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [النحل: ٣٢]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، وقوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاهُمْ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، وقوله: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ﴾ ﴿مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٣-١٦].

وقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]، وقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]، وقوله: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، وقوله: ﴿وَالصَّافَاتِ صَفًّا﴾ ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [الصافات: ١-٣].

وقوله: ﴿فَاسْتَفْتِهِمُ الرَّبُّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُنُونَ﴾ ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴾ ﴿وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الصافات: ١٤٩-١٥٢] إلى قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٥-١٦٦].

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

في هذه الآيات بيّن شيخ الإسلام أنّ الملائكة لهم - كما ذكر في البداية - لهم من العلوم والأحوال والإيرادات والأعمال ما لا يحصيه إلا الله ﷻ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟
قَالُوا: وَكَيْفَ تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: يَسْدُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ وَيَتَرَأَّصُونَ فِي الصَّفِّ».

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ عَنِ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ فِي حَدِيثِ الْمِعْرَاجِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا
ذَكَرَ صُعودَهُ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ - قَالَ: فَرَفَعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ؟ فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ
الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا، آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

«لَمْ يَعُودُوا»، هنا ما بعده جملة مستقلة، «آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ»، ليس آخر «آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ» أي: هذا
الدخول هو آخر ما عليهم هي جملة مستقلة، «إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا» هنا نقطة، «آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ» أي: هذا
الذي دخوله هو آخر ما عليهم، يعني لا يأتي لهم دور إلا مرة واحدة، وكل يوم سبعون ألف ملك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: وَقَالَ هَمَّامٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنِ الْحَسَنِ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْبُيُوتِ الْمَعْمُورِ،

فَهَذَا أَمْرٌ لَا يَحْصِيهِ إِلَّا اللهُ.

وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا آمَنَ الْقَارِئُ فَأَمَّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ

غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، وَفِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى فِي الصَّحِيحِينَ «إِذَا قَالَ: آمِينَ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ فِي السَّمَاءِ

تَقُولُ: آمِينَ».

وَفِي الصَّحِيحِينَ أَيْضًا عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: سَمِعَ اللهُ

لِمَنْ حَمَدَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ

تَنْزِلُ فِي الْعَنَانَ - وَهُوَ السَّحَابُ -، فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

«تَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ»، فِيمَا بَيْنَهَا تَذَكَّرَ أَنَّهَا قُضِيَ فِي السَّمَاءِ كَيْتُ وَكَيْتُ تَتَحَدَّثُ فِيهِ.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ؛ فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُفَّانِ، فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ».

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فَضَلَى يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذُّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنَحَتِهِمْ؛ حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ -وَهُوَ أَعْلَمُ- مَنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَهْلِلُونَكَ وَيُحَمِّدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيُّ رَبِّ، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونََنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: يَا رَبِّ لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، وَأَعْطَيْتَهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجْرْتَهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: يَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ قَدْ غَفَرْتُ هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ «عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ حَدَّثَتْهُ: أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أَحَدٍ؟ قَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِيقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَمْتَنِي فَانْظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقُلْتَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ، قَالَ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحِ مِمَّا فِيهَا ذِكْرُ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَلَائِكَةِ الْهَوَاءِ وَالْجِبَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ، وَكَذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ الْمُتَصَرِّفُونَ فِي أُمُورِ ابْنِ آدَمَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً الذين ذكروا إلى الآن الذين في السماوات والذين في الهواء والجبال الحديث الأخير يدل على أن هناك ملكاً موثقاً موكلاً للجبال، (وَكَذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ الْمُتَصَرِّفُونَ) الذين وكلوا في أمور بني آدم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ حَدِيثِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ - يَقُولُ: «ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ الْمَلِكُ فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُقَالُ: اُكْتُبْ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ». وَفِي الصَّحِيحِ حَدِيثُ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: «قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِحَسَانٍ: أَهْجُهُمْ - أَوْ هَاجَهُمْ - وَجِبْرِيلُ مَعَكَ».

وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضًا «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: أَحِبْ عَنِّي اللَّهُمَّ أَيَّدُهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ».

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ أَنَسٍ قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى غُبَارٍ سَاطِعٍ فِي سِكَّةِ بَنِي عُثْمِ مَوْكِبِ جِبْرِيلَ».

وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنِ عَائِشَةَ: أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ قَالَ: أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلُ صَلَافَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ، فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتَ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا، فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْبِي مَا يَقُولُ، وَإِتْيَانُ جِبْرِيلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تَارَةً فِي صُورَةِ أَعْرَابِيٍّ، وَتَارَةً فِي صُورَةِ دَحْيَةَ الْكَلْبِيِّ، وَمُخَاطَبَتُهُ وَإِقْرَاؤُهُ إِيَّاهُ كَثِيرًا أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يُذَكَرَ هُنَا .

وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَالْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ - كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَآتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ».

وَفِي "الصَّحِيحِينَ" عَنِ عَائِشَةَ قَالَتْ: حَشَوْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَسَادَةً فِيهَا تَمَائِيلٌ كَأَنَّهَا نَمْرَقَةٌ، فَجَاءَ فَقَامَ بَيْنَ الْبَابَيْنِ، وَجَعَلَ يَتَغَيَّرُ وَجْهَهُ، فَقُلْتُ: مَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا بَالُ هَذِهِ الْوِسَادَةِ؟ قَالَتْ: وَسَادَةٌ جَعَلْتَهَا لَكَ لِتَضْطَجِعَ عَلَيْهَا، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ، وَإِنَّ مَنْ صَنَعَ الصُّورَ يُعَذَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ».

وَفِي الصَّحِيحِينَ "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا طَلْحَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا

تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ تَمَائِيلٌ».

وَكَذَلِكَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: وَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ جِبْرِيلُ فَقَالَ: «إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ».

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ مَا لَمْ يُحْدِثْ».

وَأَمْثَالُ هَذِهِ النُّصُوصِ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا مِنْ أَصْنَافِ الْمَلَائِكَةِ وَأَوْصَافِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ: مَا يَمْتَنَعُ أَنْ تَكُونَ عَلَى مَا يَذَكَّرُونَهُ مِنَ الْعُقُولِ وَالنُّفُوسِ، أَوْ أَنْ يَكُونَ جِبْرِيلُ هُوَ "الْعَقْلُ الْفَعَّالُ، وَتَكُونَ مَلَائِكَةُ الْأَدَمِيِّينَ هِيَ الْقُوَى الصَّالِحَةُ، وَالشَّيَاطِينُ هِيَ الْقُوَى الْفَاسِدَةُ كَمَا يَزْعُمُ هَؤُلَاءِ».

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

هم يقولون: (مَلَائِكَةُ الْأَدَمِيِّينَ هِيَ الْقُوَى الصَّالِحَةُ)، القوى الصالحة في الإنسان بإرادته للخير، الملائكة يقولون: ليس هناك ملكٌ موكلٌ بك، وإرادتك للشر هي القوى الفاسدة، وليس هناك شيطانٌ آل له وحي بالشر وله ما ورد في الحديث، ليس هناك شيء من هذا.

كما تلاحظون هذه النصوص الكثيرة لو تُذكر لأحد العوام ألا يستثني ويقول: أنت أين أنت؟ جعلتني ممن يجهل هذه الأمور، سيستنكر أليس كذلك؟ نحن مع هؤلاء المحققين وصلنا إلى هذا، نحشد لهم النصوص من الكتاب والسنة أن الملائكة أصناف ولهم أعمال موكلون بأمور البشر، وموكلون بكذا وموكلون بكذا، فهؤلاء الذين وصلوا في العلم والتحقيق والعرفان إلى هذه الدرجة هم في الجهل بهذه الدلالة، أي مع هذا إلزام العوام عن علم الكلام هم الخواص.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَيْضًا فَزَعَمَهُمْ أَنَّ الْعُقُولَ وَالنُّفُوسَ -الَّتِي جَعَلُوها الْمَلَائِكَةَ وَزَعَمُوا أَنَّها مَعْلُولةٌ عَنِ اللهِ صَادِرَةٌ عَنِ ذَاتِهِ صُدُورَ الْمَعْلُولِ عَنِ عِلَّتِهِ- هُوَ قَوْلٌ بِتَوَلُّدِها عَنِ اللهِ، وَأَنَّ اللهُ وَلَدَ الْمَلَائِكَةَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

ليس هذا الذي يقول شيخ الإسلام، ليس هذا الذي ذكرناه في جملتهم هذه المختصرة مفسد أخرى منها: العقول والنفوس التي جعلوها الملائكة جعلوها معلولة عن الله، (صَادِرَةٌ عَنِ ذَاتِهِ صُدُورَ الْمَعْلُولِ عَنِ عِلَّتِهِ هَذَا قَوْلٌ بِتَوَلُّدِها عَنِ اللهِ ﷻ)، غيروا العبارة وإلا (هُوَ قَوْلٌ بِتَوَلُّدِها عَنِ اللهِ، وَأَنَّ اللهُ) نعوذ به (وَأَنَّ اللهُ وَلَدَ الْمَلَائِكَةَ)، هذا هو قولكم، وإلا العلة والمعلول كل هذا هذا معناه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا مِمَّا رَدَّهُ اللهُ، وَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْهُ، وَكَذَّبَ قَائِلَهُ، وَبَيَّنَ كَذِبَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿[الإخلاص: ٣-٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴾ وَلَدَ اللهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿[الصفات: ١٥١-١٥٢] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الصفات: ١٥٧].
وَبِقَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

ترى أحياناً الطبقات الثانية يحصل فيها خطأ لم يكون في هذا أيضاً.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

﴿وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، وقوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧] إلى قوله: ﴿مُشْفِقُونَ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٨-٩٥].

فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ مُعْبِدُونَ، أَيْ مُدَلَّلُونَ، مَصْرَفُونَ، مَدِينُونَ، مَقْهُورُونَ، لَيْسُوا كَالْمَعْلُولِ الْمُتَوَلِّدِ تَوَلِّدًا لَازِمًا لَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَتَغَيَّرَ عَنْ ذَلِكَ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ عِبَادٌ لِلَّهِ لَا يُشَبَّهُونَ بِهِ كَمَا يُشَبَّهُ الْمَعْلُولُ بِالْعَلَّةِ وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ، كَمَا يَزْعُمُهُ هَؤُلَاءِ الصَّابِئُونَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(الْمَعْلُولِ الْمُتَوَلِّدِ تَوَلِّدًا لَازِمًا لَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَتَغَيَّرَ)، الانكسار الذي يحصل بعد الكسر، هل يتصرف بعد ذلك فينجبر من عنده؟ المعلول الذي يكون عن العلة حصل بدون اختياره، لو كان له خيار لم ينكسر، فما دام أنه صار معلولاً للعلة فليس له تصرف؛ لأنه حصل بدون اختياره.

فلو كان الملائكة هكذا لهم حالات، وهم يعبدون، وهم مقهورون، وهم مدِينون، أيضاً كانوا يبقون على تلك الحالة التي تولدوا بها.

أيضاً هم عباد الله لا يتشبهون بالله ﷻ كما يتشبه المعلول بالعلة، والولد بالوالد، (كَمَا يَزْعُمُهُ هَؤُلَاءِ

الصَّابِئَةُ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ (١١٦)﴾
 بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [البقرة: ١١٦-١١٧].
 فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَقْضِي كُلَّ شَيْءٍ بِقَوْلِهِ «كُنْ» لَا بِتَوْلِدِ الْمَعْلُولِ عَنْهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام: ١٠٠-١٠١].
 فَأَخْبَرَ أَنَّ التَّوَلَّدَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنِ أَصْلَيْنِ كَمَا تَكُونُ النَّتِيجَةُ عَنِ مُقَدِّمَتَيْنِ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْمَعْلُولَاتِ الْمَعْلُومَةُ لَا يَحْدُثُ الْمَعْلُولُ إِلَّا بِاقْتِرَانِ مَا تَتِمُّ بِهِ الْعِلَّةُ، فَأَمَّا الشَّيْءُ الْوَاحِدُ وَحْدَهُ فَلَا يَكُونُ عِلَّةً وَلَا وَالِدًا قَطُّ، لَا يَكُونُ شَيْءٌ فِي هَذَا الْعَالَمِ إِلَّا عَنِ أَصْلَيْنِ، وَلَوْ أَنَّهُمَا الْفَاعِلُ وَالْقَابِلُ كَالنَّارِ وَالْحَطَبِ وَالشَّمْسِ وَالْأَرْضِ، فَأَمَّا الْوَاحِدُ وَحْدَهُ فَلَا يَصْدُرُ عَنْهُ شَيْءٌ وَلَا يَتَوَلَّدُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

فِي هَذِهِ الْآيَةِ كَمَا أَشَارَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ، وَسَيَعُودُ أَيْضًا لِهَذِهِ الْآيَةِ فِيهَا رُدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ، رُدُّ عَلَى مَنْ يَزْعُمُ التَّوَلَّدَ، رُدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ:

- الْوَجْهَ الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وَ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ ﷻ اخْتَارَهَا بَدُونَ مِثَالٍ، وَالتَّوَلَّدَ يَكُونُ عَنِ مِثَالٍ، الْوَلَدُ مِثْلُ الْوَالِدِ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، اخْتَارَهَا مِنْ دُونَ مِثَالٍ، فَهَذَا رَدُّ عَلَيْهِمْ.

- الْوَجْهَ الثَّانِي: فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾؛ لِأَنَّ التَّوَلَّدَ يَحْتَاجُ أَصْلَيْنِ، كَمَا يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: قَابِلٌ وَفَاعِلٌ، يَحْتَاجُ إِلَى أَصْلَيْنِ، اللَّهُ ﷻ لَيْسَتْ لَهُ صَاحِبَةٌ.

- الْوَجْهَ الْأَخِيرُ: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، التَّوَلَّدَ وَصَدُورُ الْمَعْلُولِ عَنِ الْعِلَّةِ يَكُونُ بَدُونَ اخْتِيَارٍ مِنَ اللَّهِ ﷻ بِمَا يَخْلُقُ، وَتَفْصِيلُ مَا يَخْلُقُ، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَبَيَّنَ الْقُرْآنُ أَنَّهُمْ أَخْطَئُوا طَرِيقَ الْقِيَاسِ فِي الْعِلَّةِ وَالتَّوَلَّدِ، حَيْثُ جَعَلُوا الْعَالَمَ يَصْدُرُ عَنْهُ بِالتَّعْلِيلِ وَالتَّوَلَّدِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللهُ:

لأنهم قالوا: الشيء الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، طبعاً هذا سيناقشه شيخ الإسلام أكثر، شيخ الإسلام هنا يقول: لا، هذا لا يوجد في العوام أن شيئاً واحداً يصدر عنه شيئاً واحداً أبداً، لا يكون إلا مقدمتين يقول: حتى طريق القياس فيما تزعمونه من العلة والتولد أخطأتموه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

(وَكَذَلِكَ قَالَ: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]، خِلَافُ قَوْلِهِمْ: إِنَّ الصَّادِرَ عَنْهُ وَاحِدٌ، فَهَذَا وَفَاءٌ بِمَا ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللهُ:

طبعاً هم يقولون: الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، فلذلك الواجب بذاته نتج عنه العقل الأول، هذه السلسلة نحن أمام عالم مُشاهد وفيه كثرة، من أين جاءت هذه الكثرة؟ الواحد لم يصدر عنه إلا واحد، تسلسل هذا إلى العقل العاشر، والعقل العاشر هو العقل الفعّال، وهو جبريل ومنه تكون هذا. إذا أنتم في النهاية إمّا أن تقولوا: أن هذه الكثرة صدرت عن الواحد بواسطة، أو تقولوا: الواحد ليس له أي علاقة بهذه الكثرة، وهذا الذي هم يقولون.

إذا أي كفرٍ هذا؟ حتى ولو وصلت هذه السلسلة إلى المئة إلى المليون في النهاية تحتاج إلى الحل في الكثرة هذا، الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، وعنه حصل العقل ومعه النفس والفلك كلام فاضي، لا يوصل إلى شيء معلوم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

إِذْ قَدْ تَكْفَلَ بِذَلِكَ فِي حَقِّ كُلِّ مَنْ خَرَجَ عَنِ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، (فَذَكَرَ) الْوَحْدَانِيَّةَ وَالرَّسَالََةَ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

فَكُلُّ مَنْ خَرَجَ عَنِ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ فَهُوَ ظَالِمٌ بِحَسَبِ ذَلِكَ، وَالْمُبْتَدِعُ ظَالِمٌ بِقَدْرِ مَا خَالَفَ مِنْ سُنَّتِهِ، وَقَالَ الرَّسُولُ: ﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٠-٣٣].
وَهُؤُلَاءِ الصَّابِئَةُ قَدْ آتَوْا بِمَثَلٍ وَهُوَ قَوْلُهُمْ: الْوَاحِدُ لَا يَصْدُرُ عَنْهُ وَيَتَوَلَّدُ عَنْهُ إِلَّا وَاحِدٌ، وَالرَّبُّ وَاحِدٌ فَلَا يَصْدُرُ عَنْهُ إِلَّا وَاحِدٌ يَتَوَلَّدُ عَنْهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طَبَعًا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ وَالوَاحِدِ وَالوَاحِدِ وَالوَاحِدِ مِثْلَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ لَمَّا تَقَرَّرَ وَنَهَا فِي كِتَابِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَتَنْظُرُونَ إِلَى احْتِفَائِهِمْ بِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ، وَتَحَدَّثَ لِقَوْمِهِمْ فِي شَرْحِهَا الْوَاحِدِ وَالوَاحِدِ وَالوَاحِدِ وَهِيَ كَفَرٌ مُحَضَّرٌ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَاتَى اللهُ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا، وَبَيَّنَّ أَنَّ الْوَاحِدَ لَا يَصْدُرُ عَنْهُ شَيْءٌ وَلَا يَتَوَلَّدُ عَنْهُ شَيْءٌ أَصْلًا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

النتيجة للواحد والواحد والواحد النتيجة الله ﷻ لم يخلق شيء، ومع ذلك هؤلاء المتكلمون -

سبحان الله - أنا أستغرب منهم ابن سينا أنت وأنت تؤمن بالله ﷻ رباً أقل شيء كيف تضيع فيه؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَنَّهُ لَمْ يَتَوَلَّدْ عَنْهُ شَيْءٌ، وَلَمْ يَصُدُرْ عَنْهُ شَيْءٌ، وَلَكِنْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقًا، وَأَنَّهُ خَلَقَ مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ.

وَلِهَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ - وَذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ - فِي الشَّفَعِ وَالْوِثْرِ: "أَنَّ الشَّفَعَ هُوَ الْخَلْقُ فَكُلُّ مَخْلُوقٍ لَهُ نَظِيرٌ، وَالْوِثْرُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(وَالْوِثْرُ) فِيرِيدُ أَنْ يَفْسِرَ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْوِثْرُ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا شَبِيهَ لَهُ، فَقَالَ: ﴿أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾. [الأنعام: ١٠١]، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَنْبَارَ الصَّادِرَةَ عَنِ الْعِلَالِ وَالْمَتَوْلِدَاتِ فِي الْمَوْجُودَاتِ لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ شَيْئَيْنِ:

- أَحَدُهُمَا: يَكُونُ كَالْأَبِ.

- وَالْآخَرُ: يَكُونُ كَالْأُمِّ الْقَابِلَةِ.

وَكَذَلِكَ يَسْمُونَ ذَلِكَ الْفَاعِلَ وَالْقَابِلَ كَالشَّمْسِ مَعَ الْأَرْضِ، وَالنَّارِ مَعَ الْحَطَبِ، فَأَمَّا صُدُورُ شَيْءٍ وَاحِدٍ عَنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ فَهَذَا لَا وَجُودَ لَهُ فِي الْوُجُودِ أَصْلًا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

سبحان الله! هذا من أروع ما يذكره شيخ الإسلام، ما تذكرونه لا يوجد أصلاً في الوجود وما تذكرونه بالأمثلة تُقلب عليكم - كما سيذكر هنا -، ليس هناك شيء واحد عن واحد، وهذا الذي أشغل المتكلمين واحد.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمَّا تَشْبِيهِهُمْ لِذَلِكَ بِالشُّعَاعِ مَعَ الشَّمْسِ وَبِالصَّوْتِ - كَالطَّنِينِ - مَعَ الحَرَكَةِ وَالنَّقْرِ، فَهُوَ أَيْضًا حُجَّةٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ).

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يقولون: تشبيههم لذلك بالشعاع مع الشمس، الشمس واحدة ولا يصدر عنها إلا شعاع واحد، هذا مثال، وكذلك الطنين مع الحركة والنقر، الطنين هذا صوت واحد والنقر وهو لا يصدر عنه إلا واحد.

يقول شيخ الإسلام: هذه كلها حججنا نحن ليست حججكم أنتم، كيف؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَذَلِكَ: أَنَّ الشُّعَاعَ إِنْ أُريدَ بِهِ نَفْسٌ مَا يَقُومُ بِالشَّمْسِ فَذَلِكَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهَا وَصِفَاتُ الخَالِقِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

نحن - بحمد الله - نحن سلمنا من هذه المناقشة قد نظنها ثقيلة وطويلة؛ لأن الله ﷻ لم يبتلينا بتراهات من القول، هناك أناس إلى الآن يدرسون كتب علم الكلام على أنها عقيدة مبتلون بهذه، فالحمد لله على السلام، لم تُبتَلْ بأن تُدرس كتاب في علم الكلام على أنه عقيدة، وبالتالي أنت مضطر أن تفهم مثل هذه الخرافات على أنها دين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَذَلِكَ: أَنَّ الشُّعَاعَ إِنْ أُريدَ بِهِ نَفْسٌ مَا يَقُومُ بِالشَّمْسِ فَذَلِكَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهَا، وَصِفَاتُ الخَالِقِ لَيْسَتْ مَخْلُوقَةً وَلَا هِيَ مِنَ العَالَمِ الَّذِي فِيهِ الكَلَامُ، وَإِنْ أُريدَ بالشعاع ما.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إذاً مقارنتك هذه ليست في موضعها.

الشعاع إذا أُريدَ بِهِ نفس ما يكون بالشمس عبارة عن صفة من صفاتها، وأنت تتحدث عن الله ﷻ، وصفات الخالق عندك ليست قائمة به، ولا يدري عندك لا يدري عن شيء، هذه صفة قائمة به وأنت

تجرد الله ﷻ عن صفاته.

إذاً مقارنتك ومقاربتك ليست صحيحة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأِنْ أُرِيدَ بِالشَّعَاعِ مَا يَنْعَكِسُ عَلَى الْأَرْضِ، فَذَلِكَ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ شَيْئَيْنِ وَهُمَا: الشَّمْسُ الَّتِي تَجْرِي
مَجْرَى الْأَبِ الْفَاعِلِ، وَالْأَرْضُ الَّتِي تَجْرِي مَجْرَى الْأُمِّ الْقَابِلَةِ، وَهِيَ الصَّاحِبَةُ لِلشَّمْسِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إن كنت تتحدث عن الشعاع بغض النظر عن أثرها، فهي صفة تكون بالشمس، وأنت لا تثبت لله ﷻ صفة، وإن كنت تريد هذه الشعاع بالنظر إلى أثرها، فلا بُدَّ من شيء حتى يؤثر فيه هذا الشعاع. إذاً ليس هناك شيء يصدر عنه شيء، هما شيان: شمس والمحل الذي يقبل هذا الشعاع.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ الصَّوْتُ لَا يَتَوَلَّدُ إِلَّا عَنْ جِسْمَيْنِ يَقْرَعُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(يَقْرَعُ أَحَدُهُمَا) هذا الجسم وهذا الجسم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

أَوْ يُقْلَعُ عَنْهُ فَيَتَوَلَّدُ الصَّوْتُ الْمَوْجُودُ فِي أَجْسَامٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(يُقْلَعُ عَنْهُ)، شيء هنا هكذا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَيَتَوَلَّدُ الصَّوْتُ الْمَوْجُودُ فِي أَجْسَامِ الْعَالَمِ عَنْ أَصْلَيْنِ يَفْرَعُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ أَوْ يُقْلِعُ عَنْهُ. فَمَهْمَا احْتَجُّوا بِهِ مِنَ الْقِيَاسِ، فَالَّذِي جَاءَ اللهُ بِهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَحْسَنُ تَفْسِيرًا، وَأَحْسَنُ بَيَانًا وَإِيضًا لِلْحَقِّ وَكَشْفًا لَهُ، وَأَيْضًا فَجَعَلَوْهَا عِلَّةً تَامَةً لِمَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(جَعَلَوْهَا) يعني: جعلوا العقول العشرة، قلنا: إن هذه النظرية تفسر نشأة الكون، وأغرب نظرية وأفسد وأبطل نظرية في نشأة الكون هي هذه النظرية، طبعًا أقول: أغرب وأبطل، هناك نظريات أيضًا غريبة جدًّا، ولكنها بتعقيدها بالتعقيد الذي فيها قد تفوق جميع النظريات. هناك نظرية أرسطو أيضًا وهي مختصرة جدًّا أن هذا العالم صدر عما يسميه المبدأ الأول صدور المعلول عن العلة، وليست هناك عقول ونفوس شيء مختصر، كفر مختصر. أمَّا هذا لما أراد أن يخلط النصرانية بالفلسفة طول هذه، وجاء بهذه السلسلة حتى نضيع في السلسلة ما نصل لها، فتظن أن الفلسفة والدين يلتقيان، أين يلتقيان؟ خلاصة ما ذكرته هو ما ذكره أرسطو، أرسطو يقول: أن العقل الأول أن المبدأ الأول مبدأ شريف، ولا يدري عما صدر عنه، لا يدري وليس له أن يدري، صريح في هذا.

خلاصة هذا التطويل: هو ما ذكره ذلك الكافر.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَمَهْمَا احْتَجُّوا بِهِ مِنَ الْقِيَاسِ، فَالَّذِي جَاءَ اللهُ بِهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَحْسَنُ تَفْسِيرًا، وَأَحْسَنُ بَيَانًا وَإِيضًا لِلْحَقِّ وَكَشْفًا لَهُ، وَأَيْضًا فَجَعَلَوْهَا عِلَّةً تَامَةً لِمَا تَحْتَهَا وَمُؤَكَّدَةً لَهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

و(تَحْتَهَا) هي العقول العشرة متولد على أن يفصلون الكثرة هذه كيف جاءت عن الواجب بذاته وهو واحد، هذه العقول العشرة هي علة تامة لما تحتها، ومحدثه له وموجبه له.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

حَتَّى يَجْعَلُونَهَا مَبَادِئَنَا.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

(حَتَّى يَجْعَلُونَهَا مَبَادِئَنَا)، يعني مبدأنا خلقنا نحن راجعٌ إليه من العقول العشرة نعوذ بالله، العقول العشرة

هي التي نعوذ بالله.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

حَتَّى يَجْعَلُونَهَا مَبَادِئَنَا.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

(مَبَادِئَنَا) أي: مبدأنا منها.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

حَتَّى يَجْعَلُونَهَا مَبَادِئَنَا، وَيَجْعَلُونَهَا لَنَا كَالْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، وَرَبِّمَا جَعَلُوا الْعَقْلَ هُوَ الْأَبُ وَالنَّفْسُ هِيَ

الْأُمُّ، وَرَبِّمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: "الْوَالِدَانِ الْعَقْلُ وَالطَّبِيعَةُ، كَمَا قَالَ صَاحِبُ الْفُصُوصِ فِي قَوْلِ نُوحٍ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

صاحب الفصوص الكبريت الأحمر ابن عربي قدس سره، انظر الكبريت هذا يقول: (في قَوْلِ نُوحٍ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [نوح: ٢٨]، أَي: مَنْ كُنْتَ نَتِيجَةً عَنْهُمَا وَهُمَا الْعَقْلُ وَالطَّبِيعَةُ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

سبحان الله! نحن عرفنا مصدر هذه الفصوص، وأنهم أولئك الزنادقة والذي ما يظن أن هناك شيء

هناك سر الفصوص فصوص الحكم، ويعمم كل مسألة بفص، كما نقول نحن: فصل، باب، هو يعمم

فص فص الخاتم أي على أن هذه المسألة جوهر الفص، الفص فيذكر فص.

فلذلك سمي فصوص الحكم، وهذه هي الحكم، ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [نوح: ٢٨]، أَي: مَنْ كُنْتَ

نَتِيجَةً عَنْهُمَا وَهُمَا الْعَقْلُ وَالطَّبِيعَةُ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَحَتَّى يُسْمَوْنَهَا الْأَرْبَابَ وَالْآلِهَةَ الصُّغْرَى وَيَعْبُدُونَهَا، وَهُوَ كُفْرٌ مُخَالِفٌ لِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَبِهَذَا وَصَفَ بَعْضُ السَّلَفِ الصَّابِغَةَ بِأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ، وَكَذَلِكَ فِي الْكُتُبِ الْمُعَرَّبَةِ عَنْ قَدَمَائِهِمْ: أَنَّهُمْ كَانُوا يُسْمَوْنَهَا الْآلِهَةَ وَالْأَرْبَابَ الصُّغْرَى، كَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ أَيْضًا، وَالْقُرْآنُ يَنْفِي أَنْ تَكُونَ أَرْبَابًا، أَوْ تَكُونَ آلِهَةً، أَوْ يَكُونَ لَهَا غَيْرُ مَا لِلرَّسُولِ الَّذِي لَا يَفْعَلُ إِلَّا بَعْدَ أَمْرِ مُرْسِلِهِ، وَلَا يَشْفَعُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ.

وَقَدْ رَدَّ اللهُ ذَلِكَ عَلَى مَنْ زَعَمَهُ مِنَ الْعَرَبِ وَالرُّومِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَّمِ، فَقَالَ: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠].

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

والملائكة عند هؤلاء التي هي العقول الأرباب الصغرى الآلهة الصغرى.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهٖ يَعْمَلُونَ [الأنبياء: ٢٦-٢٧]، وَقَالَ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [سبأ: ٢٢] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

وَقَدْ تَقَدَّمَ بَعْضُ الْأَحَادِيثِ فِي صَعَقِ الْمَلَائِكَةِ إِذَا قَضَى اللهُ بِالْأَمْرِ الْكُونِيَّ أَوْ بِالْوَحْيِ الدِّينِيَّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً هذا لم يسبق هذا يبدو من قد يكون ظن أنه ذكرها لم يسبق، أو قد يكون هناك سبق الله أعلم.

هذا بؤب عليه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب على هذا الحديث الطويل بؤب عليه لبيان أنّ أعظم المخلوقات وهي الملائكة كيف تكون حالتها في سماع كلام الله ﷻ، كيف تُعبد؟ بؤب عليها في كتاب [التوحيد].

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وقال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [النجم: ٢٦] الآية، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾،
 وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم: ٦٤]، [سبأ: ٢٢]، نَزَلَتْ الْآيَةُ فِي
 الَّذِينَ يَدْعُونَ الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ، وَاسْتِقْصَاءُ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ.
 فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ "بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ"، فَالْكَلِمُ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ جَامِعَةٌ مُحِيطَةٌ كُلِّيَّةٌ عَامَّةٌ
 لِمَا كَانَ مُتَّفَرِّقًا مُتَشَرِّفًا فِي كَلَامٍ غَيْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ يُسَمَّى كُلَّ شَيْءٍ بِمَا يَدُلُّ عَلَى صِفَتِهِ الْمُنَاسِبَةِ فِي الْحُكْمِ،
 الْمَذْكُورِ الْمُبِينِ وَمَا يُبَيِّنُ وَجْهَ دَلَالَتِهِ.

فَإِنَّ تَنْزِيهَهُ نَفْسَهُ عَنِ الْوَالِدِ وَالْوَالِدَةِ وَاتِّخَاذِ الْوَالِدِ: أَعَمٌّ وَأَقْوَمٌ مِنْ نَفْيِهِ بِلَفْظِ الْعِلَّةِ، فَإِنَّ الْعِلَّةَ أَصْلُهَا
 التغير كالمَرَضِ الَّذِي يُحِيلُ الْبَدْنَ عَنْ صِحَّتِهِ وَالْعَلِيلُ ضِدُّ الصَّحِيحِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

حتى ولو أردتم أن تنزهوا الله ﷻ فما ذُكِرَ في القرآن أصرح في تنزيهه وتقديسه، أن الله ﷻ نزه نفسه من الولد
 والتولد التي هي الولادة، واتخاذ الولد الذي يكون باختيار، وهذا فرق بين التولد الذي يكون بدون اختيار وبين
 اتخاذ الولد الذي يكون باختيار.

هذا النفي أصرح في التنزيه والتقديس والتسبيح بما تذكرونه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ لَا يُقَالُ "مَعْلُولٌ" إِلَّا فِي الشُّرْبِ يُقَالُ: شَرِبَ الْمَاءَ عَلًّا بَعْدَ نَهْلٍ، وَعَلَّلْتَهُ إِذَا سَقَيْتَهُ مَرَّةً
 ثَانِيَةً.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا هذه ملاحظة لغوية، أنه في كتب المصطلح المعلول والصحيح أن يُقال: معلل ملاحظة لغوية.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

إِذَا سَقَيْتَهُ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَأَمَّا اسْتِعْمَالُ اسْمِ "الْعِلَّةِ" فِي الْمَوْجِبِ لِلشَّيْءِ أَوْ الْمُقْتَضِي لَهُ، فَهُوَ مِنْ عُرْفِ

أَهْلِ الْكَلَامِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(فَهُوَ مِنْ عُرْفِ أَهْلِ الْكَلَامِ)، هَذَا لَيْسَ الْمَعْنَى الصَّحِيحَ لِلْعِلَّةِ فِي اللُّغَةِ، (الْعِلَّةُ أَصْلُهَا هُوَ التَّغْيِيرُ

كَالْمَرَضِ الَّذِي يُحِيلُ الْبَدْنَ عَنْ صِحَّتِهِ، وَالْعَلِيلُ ضِدُّ الصَّحِيحِ)، عِنْدَهُمُ الْعِلَّةُ هُوَ الْمَوْجِبُ لِلشَّيْءِ أَوْ

الْمُقْتَضِي لَهُ، بِحَيْثُ لَا يَكُونُ هُنَاكَ خِيَارٌ لِلْمَعْلُولِ، إِذَا وَجَدْتَ الْعِلَّةَ لَا بُدَّ أَنْ يَوْجَدَ الْمَعْلُولُ، هَذَا الْمَعْنَى

والتعبير عنه بالعلة هذا في عرف أهل الكلام.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهِيَ - وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْعِلَّةِ اللَّغْوِيَّةُ مُنَاسَبَةٌ مِنْ جِهَةِ التَّغْيِيرِ - فَالْمُنَاسَبَةُ فِي لَفْظِ "التَّوَلَّدَ".

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(مِنْ جِهَةِ التَّغْيِيرِ)؛ لِأَنَّ إِذَا وَجَدْتَ الْعِلَّةَ يَوْجَدُ الْمَعْلُولُ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ، وَالْعِلَّةُ بِمَعْنَى الْمَرَضِ وَهِيَ

تحيل البدن من الصحة له، يعني هناك شيء من التغير ومع هذا فالمناسبة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَالْمُنَاسَبَةُ فِي لَفْظِ "التَّوَلَّدَ" أَظْهَرُ.

وَلِهَذَا كَانَ فِي الْخِطَابِ أَشْهَرَ يَقُولُ النَّاسُ: هَذَا الْأَمْرُ يَتَوَلَّدُ عَنْهُ كَذَا، وَهَذَا يُوَلَّدُ كَذَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(يُوَلَّدُ كَذَا)، طبعاً عندهم لا تكاد توجد هذا يتولد ويولد مع أنه هو الذي يدل على المعنى كما

يقولون بالمطابقة، أمّا عندهم هذه علة لكذا وهذه علة لكذا قد يكون، ولكن هنا نحن نتحدث عما

يذكرونه أن هذا صدر عن الله ﷻ بكذا وكذا، (فَالْمُنَاسَبَةُ فِي لَفْظِ التَّوَلَّدَ أَظْهَرُ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ تَوَلَّدَ عَنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ: لِكُلِّ سَبَبٍ اقْتَضَى مُسَبِّبًا مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ، حَتَّى أَهْلُ

الطَّبَائِعِ يَقُولُونَ: "الْأَرْكَانُ وَالْمَوْلِدَاتُ" يُرِيدُونَ مَا يَتَوَلَّدُ عَنِ الْأُصُولِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

الأركان هي الأصول الأربعة والمولدات هي التي تتولد عنها.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

يُرِيدُونَ مَا يَتَوَلَّدُ عَنِ الْأُصُولِ الْأَرْبَعَةِ - التُّرَابِ وَالْمَاءِ وَالْهَوَاءِ وَالنَّارِ - مِنْ مَعْدِنٍ وَنَبَاتٍ وَحَيَوَانٍ،

فَنَفْيُهُ سُبْحَانَهُ عَنْ نَفْسِهِ أَنْ يَلِدَ شَيْئًا اقْتَضَى أَنْ لَا يَتَوَلَّدَ عَنْهُ شَيْءٌ، وَنَفْيُهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا يَقْتَضِي أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ

ذَلِكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّكْرِيمِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(أَنْ يَلِدَ شَيْئًا) هذا عن طريق التولد بحيث لا يكون له اختيار، (أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) هذا باختياره من باب

التكريم أن الذي يتخذه ولداً يكرمه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَنَّ الْعِبَادَ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَتَّخِذَ شَيْئًا مِنْهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ، وَهَذَا يُبْطِلُ دَعْوَى مَنْ يَدَّعِي مِثْلَ ذَلِكَ فِي الْمَسِيحِ وَغَيْرِهِ، وَمَنْ يَقُولُ: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١٨]، وَمَنْ يَقُولُ: الْفَلَسَفَةُ هِيَ التَّشْبَهُ بِالْإِلَهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هكذا تقول الفلاسفة: الفلسفة هي التشبه بالإله على قدر الطاقة؛ لأنَّ أرسطو يقول: حركة العالم كلها للتشبه بالمبدأ العام، ما الذي يحرك العالم عند أرسطو؟ ذلك عقل العالم؟ محاولتها للتشبه بالمبدأ العام، كل شيء يتحرك للتشبه، من الذي يُحرك العالم؟ ما يدري.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّ الْوَالِدَ يَكُونُ مِنْ جِنْسِ وَالِدِهِ، وَيَكُونُ نَظِيرًا لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرْعًا لَهُ. وَلِهَذَا كَانَ هَؤُلَاءِ الْقَائِلُونَ بِهَذِهِ الْمَعَانِي مِنْ أَعْظَمِ الْخَلْقِ قَوْلًا بِالتَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ، وَجَعَلَ الْأَنْدَادَ لَهُ وَالْعَدْلَ وَالتَّسْوِيَةَ، وَلِهَذَا كَانَتْ الْفَلَسَفَةُ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِصُدُورِ الْعُقُولِ وَالنُّفُوسِ عَنْهُ عَلَى وَجْهِ التَّوَلُّدِ وَالتَّعْلِيلِ يَجْعَلُونَهَا لَهُ أَنْدَادًا، وَيَتَّخِذُونَهَا آلِهَةً وَأَرْبَابًا، بَلْ قَدْ لَا يَعْبُدُونَ إِلَّا إِيَّاهَا، وَلَا يَدْعُونَ سِوَاهَا، وَيَجْعَلُونَهَا هِيَ الْمُبْدَعَةَ لِمَا سِوَاهَا تَحْتَهَا.

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

قولهم في التولد يستلزم أن يكون هذا الذي تولد عن الله ﷻ له جزء من الإلهية، فلذلك هم يعبدون هذه الكواكب، ويعبدون هذه العقول، بل كما يقول شيخ الإسلام: (قَدْ لَا يَعْبُدُونَ إِلَّا إِيَّاهَا).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿﴾ [الفرقان: ١-٢].
فَإِنَّ هَؤُلَاءِ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ، وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَ"الْجِنُّ" قَدْ قِيلَ:
إِنَّهُ يُعْمُّ الْمَلَائِكَةَ؛ كَمَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصفات: ١٥٨].

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا هنا جمهور المفسرين على أن الجنة هنا ﴿جَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ﴾، هم الملائكة، فيقول شيخ
الإسلام: حتى هناك شركاء الجن هناك قول أنهم يعم الملائكة أيضًا للاستتار، الجن هنا لماذا سموا
الملائكة؟ للاستتار، فهذا يشمل الجن والملائكة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا﴾، وَإِنْ كَانَ قَدْ قِيلَ فِي سَبَبِ ذَلِكَ: زَعَمَ بَعْضُ مُشْرِكِي الْعَرَبِ: أَنَّ
اللَّهَ صَاهِرًا إِلَى الْجِنِّ فَوَلَدَتْ الْمَلَائِكَةَ، فَقَدْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ أَيْضًا كَمَا عَبَدَتْهَا الصَّابِئَةُ الْفَلَاسِفَةُ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاءً أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ
وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ [الأنعام: ١٢٨]..

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا شرك المشركين تجده مختصر وواضح، وشرك أولئك الفلاسفة هو نفسه الشرك، ولكنهم
يصلون إليه شرك معقد.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿١٢٨-١٢٩﴾، يَعْنِي أَنَّ سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿[الأنعام: ١٢٨-١٢٩]﴾، يَعْنِي أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمْ تَأْمُرْهُمْ بِذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَمَرْتَهُمْ بِذَلِكَ الْجِنُّ؛ لِيَكُونُوا عَابِدِينَ لِلشَّيَاطِينِ الَّتِي تَتَمَثَّلُ لَهُمْ كَمَا يَكُونُ لِلْأَصْنَامِ شَيَاطِينُ، وَكَمَا تَنْزِلُ الشَّيَاطِينُ عَلَى بَعْضِ مَنْ يَعْبُدُ الْكَوَاكِبَ وَيَرْصُدُهَا حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْهِ صُورَةٌ فَتَخَاطِبُهُ، وَهُوَ شَيْطَانٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ.

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ ﴿يس: ٦٠﴾ الْآيَةَ، وَقَالَ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ ﴿الكهف: ٥٠﴾ الْآيَةَ، فَهُمْ وَإِنْ لَمْ يَقْصُدُوا عِبَادَةَ الشَّيْطَانِ وَمُؤَالَاتِهِ، فَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ يَعْبُدُونَهُ وَيُؤَالُونَهُ.

فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْفَلَاسِفَةَ الصَّابِئَةَ الْمُبْتَدِعَةَ مُؤْمِنُونَ بِقَلِيلٍ مِمَّا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ فِي أَمْرِ الْمَلَائِكَةِ فِي صِفَتِهِمْ وَأَقْدَارِهِمْ؛ وَذَلِكَ: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ إِنَّمَا سَلَكَوا سَبِيلَ الْإِسْتِدْلَالِ بِالْحَرَكَاتِ الْفَلَكَيَّةِ وَالْقِيَاسِ عَلَى نُفُوسِهِمْ؛ مَعَ مَا جَحَدُوهُ وَجَهَلُوهُ مِنْ خَلْقِ اللهِ وَإِبْدَاعِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طَبَعًا لَا زِلْنَا نَقُولُ إِنَّ تَلَطَّفَ شَيْخِ الْإِسْلَامِ يُصَاحِبُ الْقَوْلَ بِأَنَّهُمْ (مُؤْمِنُونَ بِقَلِيلٍ مِمَّا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ فِي أَمْرِ الْمَلَائِكَةِ)، قَلْنَا: مَسَارَ هَؤُلَاءِ يَخْتَلِفُ عَنِ مَسَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْمَلَائِكَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَذْكُرُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَنَّ هُنَاكَ وَجْهًا مِنَ الشَّبهِ.

يَقُولُ فِي الْآخِرِ: (مَعَ مَا جَحَدُوهُ وَجَهَلُوهُ مِنْ خَلْقِ اللهِ وَإِبْدَاعِهِ)، يَجْهَلُونَ أَنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ، وَأَنَّ اللهُ رَحِيمٌ جَعَلَهُمْ رِسَالًا فِي تَدْبِيرِ أَمْرِهِ الْكُونِيِّ، وَفِي تَبْلِيغِ أَمْرِهِ الشَّرْعِيِّ، يَجْهَلُونَ هَذَا كُلَّ الْجَهْلِ، إِنَّهَا هُنَاكَ بَعْضُ الْمَشَابَهَةِ أَوْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَشَابَهَةِ فِي جَعْلِ مَنْ هُنَاكَ أَرْوَاحًا.

وَاتَّضَحَ مِنْ كُلِّ مَا سَبَقَ ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَنَّ تِلْكَ النَّظْرِيَّةَ "نَظْرِيَّةَ الْعُقُولِ وَالنُّفُوسِ" مِنْ بَدَايَتِهَا إِلَى نَهَايَتِهَا لَا صِلَةَ لَهَا بِمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، حَتَّى فِيمَا أَثْبَتَهُ مِنَ الْأَرْوَاحِ وَالْحَرَكَاتِ فَلَهُمْ فِي ذَلِكَ مَغْزَى

آخر، وهم جعلوها خالقةً وليست مخلوقة؛ لأنهم يجعلونها مدبرةً لما تحتها، مدبرةً بالعلم، هي صدرت عن الله ﷻ صدور المعلول عن العلة، وما تحتها يصدر عنها صدور المعلول عن العلة.

الله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَسَبَبُ ذَلِكَ: مَا ذَكَرَهُ طَائِفَةٌ مِمَّنْ جَمَعَ أَخْبَارَهُمْ أَنَّ أَسَاطِينَهُمُ الْأَوَائِلَ كَفَيْثَاغُورِسَ وَسُقْرَاطَ وَأَفْلَاطُونَ، كَانُوا يُهَاجِرُونَ إِلَى أَرْضِ الْأَنْبِيَاءِ بِالشَّامِ، وَيَتَلَقَّوْنَ عَنِ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ، وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ أَصْحَابِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ، وَأَنَّ أَرِسْطُو لَمْ يُسَافِرْ إِلَى أَرْضِ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ بِأَثَارَةِ الْأَنْبِيَاءِ مَا عِنْدَ سَلْفِهِ.

وَكَانَ عِنْدَهُ قَدْرٌ يَسِيرٌ مِنَ الصَّابِئِيَّةِ الصَّحِيحَةِ، فَابْتَدَعَ لَهُمْ هَذِهِ التَّعَالِيمَ الْقِيَاسِيَّةَ وَصَارَتْ قَانُونًا مَشَى عَلَيْهِ أَتْبَاعُهُ، وَاتَّفَقَ أَنَّهُ قَدْ يَتَكَلَّمُ فِي طَبَائِعِ الْأَجْسَامِ، أَوْ فِي صُورَةِ الْمَنْطِقِ أحيانًا بِكَلَامٍ صَحِيحٍ، "وَأَمَّا الْأَوْلُونَ" فَلَمْ يُوْجَدْ لَهُمْ مَذْهَبٌ تَامٌّ مُبْتَدَعٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي نَهَايَةِ الْمِثَالِ الَّذِي ذَكَرَهُ وَأُورِدَهُ لِيَبَانَ مَدَى تَحْقِيقِ أَوْلِيكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ التَّحْقِيقَ وَالْعِرْفَانَ فِيمَا ابْتَدَعُوا بِهِ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، ذَكَرَ لَهُمْ مِثَالًا، وَعَلَّقَ عَلَى تِلْكَ الْجُمْلَةِ الَّتِي فِيهَا دَعَاوَاهُمْ، وَفِيهَا أَيْضًا بَعْضُ امْتِلَاحِهِمْ.

بَعْدَ هَذَا ذَكَرَ وَقَالَ: (فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْفَلَسِيفَةَ الصَّابِئِيَّةَ الْمُبْتَدِعَةَ مُؤْمِنُونَ بِقَلِيلٍ مِمَّا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ فِي أَمْرِ الْمَلَائِكَةِ فِي صِفَتِهِمْ وَأَقْدَارِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ إِنَّمَا سَلَكُوا سَبِيلَ الْإِسْتِدْلَالِ بِالْحَرَكَاتِ الْفَلَكِيَّةِ وَالْقِيَاسِ عَلَى نَفْسِهِمْ، مَعَ مَا جَحَدُوهُ وَجَهَلُوهُ مِنْ خَلْقِ اللهِ وَإِبْدَاعِهِ).

إِذَا عِنْدَهُمْ شَيْءٌ هَذَا يَتَلَقَّى مَعَ مَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي صِفَةِ الْمَلَائِكَةِ، هَذَا مِنْ أَيْنَ أَخَذُوهُ؟ مِنْ أَيْنَ أَخَذُوا هَذَا الَّذِي عِنْدَهُمْ؟ هَذَا الَّذِي عِنْدَهُمْ - كَمَا قُلْنَا - لَا يُمَثَّلُ شَيْئًا بِالنِّسْبَةِ لِي، وَلَكِنْ هُنَاكَ تَشَابَهُ، هَذَا الْقَلِيلُ مِنْ أَيْنَ أَخَذُوهُ؟

ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَنَّ أَسَاطِينَهُمْ كَفَيْثَاغُورِسَ وَسُقْرَاطَ وَأَفْلَاطُونَ، سُقْرَاطُ شَيْخُ أَفْلَاطُونَ، وَأَفْلَاطُونَ شَيْخُ أَرِسْطُو، هَؤُلَاءِ كَانُوا يُهَاجِرُونَ إِلَى أَرْضِ الْأَنْبِيَاءِ بِالشَّامِ، وَيَتَلَقَّوْنَ مِنْهُمْ وَمِمَّنْ أَخَذَ مِنْهُمْ كَلِمَانَ الْحَكِيمِ، يَتَلَقَّوْنَ مِنْهُمْ بَعْضُ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ.

أما أرسطو فلم يُسافر، والذي عنده كان عنده قدرٌ يسيرٌ من الصابئية الصحيحة الحنيفية، فابتدع لهم هذه التعالي القياسية وهي المنطق، ابتدع لهم هذا المنطق، والذي بدأ المنطق سقراط، سقراط هو الذي بدأ هذا المنطق، ثم أكمله شيئاً تلميذه أفلاطون.

ثم أعطاه الصورة النهائية أرسطو، وصارت قانوناً مشى عليه أتباعه أتباع أرسطو، واتفق معه -يعني هذا القانون الذي إلى الآن يُقدس وهو المنطق- اتفق أيضاً كان معه أنه كان يتكلم في طبائع الأجسام. يقول شيخ الإسلام: كثيرٌ مما تكلم هو أرسطو في هذه الأمور فيها شيء من الحق، ما تحدث في طبائع الأجسام.

(أَوْ فِي صُورَةِ الْمَنْطِقِ أَحْيَانًا بِكَلَامٍ صَحِيحٍ، "وَأَمَّا الْأَوَّلُونَ" فَلَمْ يُوجَدْ لَهُمْ مَذْهَبٌ تَامٌ مُبْتَدَعٌ)، ليس عندهم علمٌ له إطار عام كمنطق أرسطو، لهم يعني كلام المتفرقون وهنا، أما أن يُشكّل كلامهم علماً بإطاره العام لم يكن عندهم.

إذاً هذا الذي أخذه أرسطو قد يكون أخذه من شيوخه الذين سافروا إلى أرض الأنبياء، وأخذوا من هناك بعدما أخذوه من تعاليم الأنبياء.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مُبْتَدِعَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ، مِثْلُ: أَبِي الْهَيْدِيلِ وَهَيْشَامِ بْنِ الْحَكَمِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(أَبُو الْهَيْدِيلِ) هذا أول من أدخل الفلسفة في العلوم الإسلامية أو أشهرهم، وهناك رسالة أبو الهذيل أول من نقل الفلسفة، هذه رسالة كأنها مفخرة لها، وأبو الهذيل هو معاصر للنظام وشيخ للنظام، وكلاهما أشهر مشايخ المعتزلة على الإطلاق: أبو الهذيل والنظام، وأما هشام بن الحكم فهو من الراضية.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَنَحْوِهِمَا مَمَّنْ وَضَعَ مَذْهَبًا فِي "أَبْوَابِ أَصُولِ الدِّينِ" فَاتَّبَعَهُ عَلَى ذَلِكَ طَائِفَةٌ، إِذْ كَانَ أُمَّةُ الْمُسْلِمِينَ - مِثْلَ مَالِكٍ وَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ وَالثَّوْرِيِّ وَنَحْوِهِمْ - إِنَّمَا تَكَلَّمُوا بِمَا جَاءَ بِهِ الرِّسَالُ وَفِيهِ الْهُدَى وَالشِّفَاءُ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ بِطَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ يَعْتَاضُ بِمَا عِنْدَ هَؤُلَاءِ.

وَهَذَا سَبَبُ ظُهُورِ الْبِدْعِ فِي كُلِّ أُمَّةٍ، وَهُوَ خَفَاءُ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ فِيهِمْ، وَبِذَلِكَ يَقَعُ الْهَلَاكُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أولئك ليس عندهم علوم مالك وحماد بن زيد والثوري، فماذا يفعلون؟ علوم الكفار أخذوها ونفخوا فيها، وجعلوها مصدرًا لليقين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلِهَذَا كَانُوا يَقُولُونَ: الْإِعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا الأثر سبق أنه كلام الإمام الزهري (الإِعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ)، وهو أثر طويل.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَالَ: «السُّنَّةُ مِثْلُ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ» وَهَذَا حَقٌّ، فَإِنَّ سَفِينَةَ نُوحٍ إِنَّمَا رَكِبَهَا مَنْ صَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ وَاتَّبَعَهُمْ، وَأَنْ مَنْ لَمْ يَرْكَبْهَا فَقَدْ كَذَّبَ الْمُرْسَلِينَ، وَاتَّبَعَ السُّنَّةَ هُوَ اتَّبَعَ الرِّسَالَةَ الَّتِي جَاءَتْ مِنَ عِنْدِ اللهِ، فَتَابِعَهَا بِمَنْزِلَةِ مَنْ رَكِبَ مَعَ نُوحٍ السَّفِينَةَ بَاطِنًا وَظَاهِرًا.

وَالْمُتَخَلِّفُ عَنْ اتِّبَاعِ الرِّسَالَةِ بِمَنْزِلَةِ الْمُتَخَلِّفِ عَنْ اتِّبَاعِ نُوحٍ غَوْرُكُوبِ السَّفِينَةِ مَعَهُ، وَهَكَذَا إِذَا تَدَبَّرَ الْمُؤْمِنُ الْعَلِيمُ سَائِرَ مَقَالَاتِ الْفَلَسَفَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَّمِ الَّتِي فِيهَا ضَلَالٌ وَكُفْرٌ وَجَدَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ كَاشِفِينَ لِأَحْوَالِهِمْ، مُبَيِّنِينَ لِحَقِّهِمْ، مُمَيِّزِينَ بَيْنَ حَقِّ ذَلِكَ وَبَاطِلِهِ، وَالصَّحَابَةَ كَانُوا أَعْلَمَ الْخَلْقِ بِذَلِكَ، كَمَا كَانُوا أَقْوَمَ الْخَلْقِ بِجِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ، كَمَا قَالَ فِيهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَنَّأً فَلَيْسَتْ بِيَمَنْ قَدَّمَ فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ، أَوْلَيْكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ كَانُوا أَبْرَهْمَ الْأُمَّةِ قُلُوبًا

وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا.**قال الشَّارِحُ وفقه الله :**

طبعًا هو وصفهم بثلاثة أوصاف هذه لا تكاد تجتمع في أحدٍ بعد الصَّحابة لا تكاد، وهذه كانت مجتمعة في الصحابة، **(أَبْرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا)**: هذا ما يتعلق بصلاح الباطن، **(أَعَمَّقَهَا عِلْمًا)**: هذا ما يتعلق بالمعرفة والعلم، **(وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا)**؛ لأنَّ من كان علمه أكثر يكون تكلفه أقل؛ لأنه يعلم مثل شيخ الإسلام هذا في الفقه تجد عنده من عدم التكلف والتسهيل ما تستغرب.

لأنه - كما وُصِفَ الصَّحابة - علمُهُ عميق، والله ﷻ رزقه من بر القلوب ما هو معروفٌ عنه، وكلَّما كان الرَّجُل هكذا كان فقههُ أقل تكلفًا مثل الإمام البخاري أيضًا تجد كثيرًا من اختياراته فيها من التسهيل ما لا تجده عند الفقهاء.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

«قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ وَإِقَامَةِ دِينِهِ، فَأَعْرِفُوا لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَتَمَسَّكُوا بِهِدْيِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ».

فَأَخْبَرَ عَنْهُمْ بِكَمَالِ بَرِّ الْقُلُوبِ مَعَ كَمَالِ عُمُقِ الْعِلْمِ، وَهَذَا قَلِيلٌ فِي الْمُتَأَخِّرِينَ كَمَا يُقَالُ: مِنْ الْعَجَائِبِ فِقِيهٌ صُوفِيٌّ وَعَالِمٌ زَاهِدٌ " وَنَحْوُ ذَلِكَ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

طبعًا هكذا قيل: **(فَقِيهٌ صُوفِيٌّ)** يقصد فقيه علمه في الفقه بهذا الكمال وهو مع ذلك زاهد، الصوفي هنا بمعنى الزاهد.

وكذلك **(عَالِمٌ زَاهِدٌ)** يجمع بين الزهد والعلم، يقول: هذا قليل، أما الصحابة فكانوا كان يجتمع فيهم من هذا ومن هذا كماله.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّ أَهْلَ بِرِّ الْقُلُوبِ وَحُسْنَ الْإِرَادَةِ وَصَلَحِ الْمَقَاصِدِ يُحْمَدُونَ عَلَى سَلَامَةِ قُلُوبِهِمْ مِنَ الْإِرَادَاتِ الْمَذْمُومَةِ، وَيَقْتَرِنُ بِهِمْ كَثِيرًا عَدَمُ الْمَعْرِفَةِ، وَإِدْرَاكُ حَقَائِقِ أَحْوَالِ الْخَلْقِ الَّتِي تُوجِبُ الذَّمَّ لِلشَّرِّ، وَالتَّهْيِ عَنَّهُ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَهْلَ التَّعَمُّقِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(وَأَهْلَ)؛ لأنه معطوفٌ على قوله: (فَإِنَّ أَهْلَ بِرِّ الْقُلُوبِ).

إِذَا هُوَ ثَلَاثُ أُمُورٍ:

- الأمر الأول: أبرهم قلوبًا، علق عليه في قوله: (فَإِنَّ أَهْلَ بِرِّ الْقُلُوبِ).

- ثم (وَأَهْلَ التَّعَمُّقِ) معطوفٌ عليه، كأنه يقول: وإن أهل التعمق في العلوم قد يُدركون.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَهْلَ التَّعَمُّقِ فِي الْعُلُومِ قَدْ يُدْرِكُونَ مِنْ مَعْرِفَةِ الشُّرُورِ وَالشُّبُهَاتِ مَا يُوقِعُهُمْ فِي أَنْوَاعِ الْغَيِّ وَالضَّلَالَاتِ، وَأَصْحَابُ مُحَمَّدٍ كَانُوا أَبْرَ الْخَلْقِ قُلُوبًا وَأَعَمَّقَهُمْ عِلْمًا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

من تعمق في العلم، وكان مع ذلك فيه من بر القلوب، فهذا قد جمع الخير في العلم والخير في الإرادة والقصد.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ثُمَّ إِنَّ أَكْثَرَ الْمُتَعَمِّقِينَ فِي الْعِلْمِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ يَقْتَرِنُ بِتَعَمُّقِهِمُ التَّكَلُّفُ الْمَذْمُومُ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَالْمُتَعَبِّدِينَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا هنا في الجملة تحتاج إلى (وإن أهل التعمق) كما قلت هذا معطوف، (فِي الْعُلُومِ قَدْ يُدْرِكُونَ مِنْ مَعْرِفَةِ الشُّرُورِ وَالشُّبُهَاتِ مَا يُوقِعُهُمْ فِي أَنْوَاعِ الْغَيِّ وَالضَّلَالَاتِ) فيجتنبونه لمعرفةهم هذا، هم يعرفون ما

سيوقعهم، فلذلك يجتنبونه، هذا مدحٌ وليس ذمًّا، فلو نزيد ونقول: (مَا يُوقِعُهُمْ فِي أَنْوَاعِ الْغِيِّ وَالضَّلَالَاتِ) فيجتنبوها بما عندهم من العلم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانُوا -مَعَ أَنَّهُمْ أَكْمَلُ النَّاسِ عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا صَالِحًا- أَقَلَّ النَّاسِ تَكَلُّفًا
يُضِدُّرُ عَنْ أَحَدِهِمُ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَتَانِ مِنَ الْحِكْمَةِ أَوْ مِنَ الْمَعْرِفَةِ مَا يَهْدِي اللهُ بِهَا أُمَّةً وَهَذَا مِنْ مَنَنِ اللهِ
عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ.

وَتَجِدُ غَيْرَهُمْ يَحْشُونَ الْأُورَاقَ مِنَ التَّكَلُّفَاتِ وَالشَّطْحَاتِ مَا هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْفُضُولِ الْمُبْتَدَعَةِ وَالْآرَاءِ
الْمُخْتَرَعَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ سَلْفٌ إِلَّا رَعُونَاتُ النُّفُوسِ الْمُتَلَقَّاءِ مِمَّنْ سَاءَ قَصْدُهُ فِي الدِّينِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(إِلَّا رَعُونَاتُ النُّفُوسِ): تكلفات النفوس التي تلقاها هؤلاء، (مِمَّنْ سَاءَ قَصْدُهُ فِي الدِّينِ) هو في نفسه

أرعن، ومن يتلقاه منه قصده سيء، فما الذي تتوقع منه؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَيُرَوَى أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَالَ لِلْمَسِيحِ: «إِنِّي سَأَخْلُقُ أُمَّةً أَفْضَلُهَا عَلَيَّ كُلِّ أُمَّةٍ وَلَيْسَ لَهَا عِلْمٌ وَلَا حِلْمٌ
فَقَالَ الْمَسِيحُ: أَيُّ رَبِّ كَيْفَ تُفْضِلُهُمْ عَلَيَّ جَمِيعِ الْأُمَمِ وَلَيْسَ لَهُمْ عِلْمٌ وَلَا حِلْمٌ؟ قَالَ: «أَهْبُهُمْ مِنْ عِلْمِي
وَحِلْمِي».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا هذا لا يثبت.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا مِنْ خَوَاصِّ مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا لَهُ أَتْبَعَ كَانَ فِي ذَلِكَ أَكْمَلَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨] إِلَى الْآيَةِ: ﴿لِيَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ

الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿[الحديد: ٢٩].

وَكَذَلِكَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: «مَثَلْنَا وَمَثَلُ الْأُمَمِ قَبْلَنَا: كَالَّذِي اسْتَأْجَرَ أَجْرَاءَ فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلْ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلْ لِي إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، فَعَمِلَتِ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلْ لِي إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، فَعَمِلَتِ الْمُسْلِمُونَ، فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقْلُ أَجْرًا».

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

لأن وقتهم أطول وأجرهم أقل من المسلمين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قَالَ: فَهَلْ ظَلَمْتُمْ مَنْ حَقَّكُمْ شَيْئًا، قَالُوا: لَا، قَالَ: فَهُوَ فَضْلِي أَوْتِيهِ مَنْ أَشَاءُ».

فَدَلَّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يُؤْتِي أَتْبَاعَ هَذَا الرَّسُولِ مِنْ فَضْلِهِ مَا لَمْ يُؤْتِهِ لِأَهْلِ الْكِتَابَيْنِ قَبْلَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ هُوَ دُونَهُمْ مِنَ الصَّابِئَةِ، دَعِ مُبْتَدِعَةَ الصَّابِئَةِ مِنَ الْمُتَفَلِّسَةِ وَنَحْوِهِمْ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

واضح أن شيخ الإسلام هنا يفرق الصابئة الحنفاء ومبتدعة الصابئة، عندنا اليهود والنصارى والله ﷻ فضل المسلمين عليهم وهذه الأدلة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ [الحديد: ٢٨]، المُخَاطَبُونَ هنا مسلمون.

وكذلك هنا: (فَهُوَ فَضْلِي أَوْتِيهِ مَنْ أَشَاءُ)، إِذَا اللَّهُ ﷻ فَضَّلَهُمْ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ فَضَّلَهُمْ عَلَيْهِمْ، لَا نَتَحَدَّثُ عَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الْكُفَّارِ، فَكَيْفَ الصَّابِئَةُ الَّذِينَ لَيْسَ عِنْدَهُمْ كِتَابٌ وَهُمْ أَفْضَلُ مِنْهُمْ حَتْمًا، فَكَيْفَ بِمَنْ ضَلَّ مِنَ الصَّابِئَةِ - وَهُمْ الْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ - وَأَهْلُ التَّحْقِيقِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كُنَّا مَعَهُمْ هُمُ الْفِئَةُ الرَّابِعَةُ، يَدَّعُونَ أَنَّ عِنْدَهُمْ مِنَ التَّحْقِيقِ مَا لَيْسَ عِنْدَ خَوَاصِّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمِنَ الْمَعْلُومِ: أَنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ أَخْصَّ بِالرَّسُولِ وَأَتْبَاعِهِ. فَلَهُمْ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَتَخْصِيصِهِ إِيَّاهُمْ

بِالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَتَضْعِيفِ الْأَجْرِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: "أَهْلُ السُّنَّةِ فِي الْإِسْلَامِ كَأَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي الْمَلَلِ".

فَهَذَا الْكَلَامُ تَنْبِيهُ عَلَى مَا يَظُنُّهُ أَهْلُ الْجَهَالَةِ وَالضَّلَالَةِ مِنْ نَقْصِ الصَّحَابَةِ فِي الْعِلْمِ وَالْبَيَانِ أَوْ الْيَدِ وَالسَّنَانِ، وَبَسْطُ هَذَا لَا يَتَحَمَّلُهُ هَذَا الْمَقَامُ.

وَالْمَقْصُودُ: التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَنْ زَعَمَ بِلِسَانِ حَالِهِ أَوْ مَقَالِهِ أَنَّ طَائِفَةً غَيْرَ أَهْلِ الْحَدِيثِ أَدْرَكُوا مِنْ حَقَائِقِ الْأُمُورِ الْبَاطِنَةِ الْغَيْبِيَّةِ فِي أَمْرِ الْخَلْقِ وَالْبَعْثِ وَالْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ وَأَمْرِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعَرُّفِ يَوَاجِبِ الْوُجُودِ وَالنَّفْسِ النَّاطِقَةِ وَالْعُلُومِ وَالْأَخْلَاقِ الَّتِي تَزْكُو بِهَا النُّفُوسُ وَتَصْلُحُ وَتَكْمُلُ دُونَ أَهْلِ الْحَدِيثِ، فَهُوَ - إِنْ كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِالرُّسُلِ - فَهُوَ جَاهِلٌ فِيهِ شُعْبَةٌ قَوِيَّةٌ مِنْ شُعْبِ النَّفَاقِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

يقول شيخ الإسلام: مَنْ يدَّعي هذا - بلسان حاله أو لسان مقاله - أَنَّ طَائِفَةً غَيْرَ أَهْلِ الْحَدِيثِ أَدْرَكُوا مِنْ حَقَائِقِ الْأُمُورِ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ أَكْثَرَ مِنَ الصَّحَابَةِ، أَكْثَرَ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ، وَهُوَ لَا تَخْلُو حَالَهُ مِنْ أَمْرَيْنِ:

- إِنْ كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِالرُّسُلِ، فَهُوَ جَاهِلٌ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

فَهُوَ جَاهِلٌ فِيهِ شُعْبَةٌ قَوِيَّةٌ مِنْ شُعْبِ النَّفَاقِ، وَإِلَّا فَهُوَ مُنَافِقٌ خَالِصٌ مِنَ الدِّينِ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣].

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

فهو إما من الكفار الذين هذا وصفهم، الذين يصفون المؤمنين بالسفاهة، ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة: ١٣]، وهو إما منهم المنافقون الخُلُصُّ، وإما (جَاهِلٌ فِيهِ شُعْبَةٌ قَوِيَّةٌ مِنْ شُعْبِ النَّفَاقِ)،

وإلا كيف يدعي هذا دون الصحابة؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ يَكُونُ مِنْ ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ [غافر: ٣٥]، وَمِنْ ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: ١٦]،
وَقَدْ تَبَيَّنَ ذَلِكَ بِالْقِيَاسِ الْعَقْلِيِّ الصَّحِيحِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إلى الآن شيخ الإسلام استدل بالدليل الشرعي على أن السلف أفضل الناس علماً وعبادةً وقولاً وحالاً أيضاً، الآن يستدل بالدليل العقلي والدليل الفطري حتى تكتمل الأدلة التي تدل على هذا المطلوب: أن السلف أفضل الناس علماً وعبادةً وقولاً وعملاً.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ تَبَيَّنَ ذَلِكَ بِالْقِيَاسِ الْعَقْلِيِّ الصَّحِيحِ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ ظَاهِرًا بِالْفِطْرَةِ لِكُلِّ سَلِيمِ الْفِطْرَةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إذاً هذا الدليل العقلي هو منطوق الدليل الفطري أيضاً، جمع الدليلين هنا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّهُ مَتَى كَانَ الرَّسُولُ أَكْمَلَ الْخَلْقِ وَأَعْلَمَهُمْ بِالْحَقَائِقِ وَأَقْوَمَهُمْ قَوْلًا وَحَالًا، لَزِمَ أَنْ يَكُونَ أَعْلَمَ النَّاسِ بِهِ أَعْلَمَ الْخَلْقِ بِذَلِكَ، وَأَنْ يَكُونَ أَعْظَمَهُمْ مُوَافَقَةً لَهُ وَاقْتِدَاءً بِهِ أَفْضَلَ الْخَلْقِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

العقل يقول: إذا كنت ترى أن فلاناً، فمن أخذ منه سيكون أكمل، أنت تعترف أن فلاناً وهو النبي ﷺ أكمل، ثم تقول: الكمال انتقل منه إليك، كيف يعني؟ الذين أخذوا منه هم الأكمل، هكذا يقول الدليل العقلي وهذه هي الفطرة، الفطرة إذا تقول أن الكمال فيمن أخذ ممن تعترف أن عنده الكمال، دليل من أوضح ما يكون.

الفرق بين الدليل العقلي والدليل الفطري: أن الدليل الفطري لا يحتاج إلى إعمال عقل، أوضح: ما يحتاج أن ترتب مُقدمات ثم تصل إلى النتيجة، بل أوضح، إذا كان فيه شيء من إعمال العقل فهو دليل العقلي بينهما تقارب.

طبعًا قد يأتي إذا اعترض على هذا الدليل بهذا الاعتراض، أنت تستدل بدليل الفطرة وهذه الفطرة قد غيرها كذا وكذا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا يُقَالُ: هَذِهِ الْفِطْرَةُ يُغَيِّرُهَا مَا يُوجَدُ فِي الْمُنتَسِبِينَ إِلَى السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ مِنْ تَفْرِيطٍ وَعُدْوَانٍ؛ لِيُقَالَ: إِنَّ ذَلِكَ فِي غَيْرِهِمْ أَكْثَرُ وَالْوَاجِبُ مُقَابَلَةُ الْجُمْلَةِ بِالْجُمْلَةِ فِي الْمَحْمُودِ وَالْمَذْمُومِ، هَذِهِ هِيَ الْمُقَابَلَةُ الْعَادِلَةُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

قد يُقال: أن في المنتسبين إلى السُّنَّةِ والحديث فيهم من التَّفْرِيطِ ما تعترف به أنت يابن تيمية كما سبق، وفيهم من العدوَانِ ما تعترف به أنت أيضًا، وهذا يدلُّ على أن فطرهم تغيَّرت ولم تبق على سلامتها.

يقول شيخ الإسلام هنا جواب إجمالي، يقول: الذي حصل عندهم قليل والذي حصل عندك تغيير بالكامل، انظر إلى فطرتك أين وصلت، فيقال: إن ذلك في غيرهم أكثر، أنت قابل أهل الحديث من حيث الجملة بالمتكلمين من حيث الجملة، لا تُقابل فردًا بفرد، مع أنك حتى ولو قابلت فردًا بفرد ستكون هذه النتيجة، ولكن عمومًا إن كان هنا شيء ذراع فهناك ميل.

طبعًا هنا شيخ الإسلام يقلب الدليل عليهم، أولاً دون أن يقلب الدليل والآن يقلب الدليل عليهم.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِنَّمَا غَيْرُ الْفِطْرَةِ قِلَّةُ الْمَعْرِفَةِ بِالْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ ذَلِكَ مَعَ مَا يُوجَدُ فِي الْمُخَالِفِينَ لَهَا مِنْ نَوْعِ تَحْقِيقِ لِبَعْضِ الْعِلْمِ وَإِحْسَانِ لِبَعْضِ الْعَمَلِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ شُبْهَةً فِي قَبُولِ غَيْرِهِ وَتَرْجِيحِ صَاحِبِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللهُ:

يقول: لماذا هذا البغي والعدوان والتفريط فيمن ينتسب إلى الأثر؟

يقول: البلية فيه ما كانت فيك، أنت لماذا ابتعدت عن الحق؟ لأنك ابتعدت عن السنة والأثر، فصرت بعيداً عن الحق، لما أبتلي به هذا الذي ينتسب إلى السنة كان له أيضاً من البعد بحسب تفريطه. يقول: السبب في هذا الذي تذكر عنه هو السبب فيما وقع معك، التفريط الذي عندك ما سببه؟ سببه قلة معرفتك بالحديث، وقلة معرفتك بالسنة، وقلة اتباعك للسنة، أليس هذا هو السبب؟ هذا المرض هو الذي أهلكه أيضاً، ولكن هلاكه قليله وهلاكك كثير، هذا أولاً.

ثانياً: عنده قلة المعرفة بالحديث والسنة، إذاً هو مُعَرَّضٌ للأمراض، المناعة عنده ضعيفة، ووجد في المخالفين من عنده شيء من التحقيق لبعض العلوم، أحسن الظن فيه وهو معرفته قليلة فوقع فيما وقع فيه، مثلما حصل لبعض المحدثين، أحسنوا الظن بمذهب ابن فورك وبغير ابن فورك فوقعوا في بعض التأويل، وهو في الحديث ليس مثل الإمام البخاري، وليس مثل الإمام ابن خزيمة أبداً. فالضعف هنا وإحسان الظن هناك تركب منه هذا الذي تذكره أنت أيها المخالف، الذي رأيت فيه من المرض السبب فيه ما كان سبباً فيك، ولكنه مع ذلك اعتصامه بالسنة وتعظيمه للسنة عصمه من البعد، وأنت أين؟ وهذا من براءة شيخ الإسلام في قلب الأدلة وفي ذكر الأدلة.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا غَرَضَ لَنَا فِي ذِكْرِ الْأَشْخَاصِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللهُ:

(وَلَا غَرَضَ لَنَا فِي ذِكْرِ الْأَشْخَاصِ)، ما نريد أن نذكر أسماءكم، يقول شيخ الإسلام: لو أردنا أن

نذكر الأسماء فالسلسلة طويلة، ولكنه يحيل إلى المصدر.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ قُتَيْبَةَ فِي أَوَّلِ كِتَابِ "مُخْتَلَفِ الْحَدِيثِ" وَغَيْرُهُ مِنْ الْعُلَمَاءِ فِي هَذَا الْبَابِ مَا لَا يُحْصَى مِنَ الْأُمُورِ الْمُبَيَّنَةِ لِمَا ذَكَرْنَاهُ، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ ذِكْرُ نَفْسِ الطَّرِيقَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ الَّتِي تُعْرَفُ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ الْخَبَرِيَّةِ النَّظَرِيَّةِ، وَتُوصَّلُ إِلَى حَقَائِقِ الْأُمُورِ الْإِرَادِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ.

فَمَتَى كَانَ غَيْرُ الرَّسُولِ قَادِرًا عَلَى عِلْمِ بِذَلِكَ، أَوْ بَيَانِ لَهُ أَوْ مَحَبَّةٍ لِإِفَادَةِ ذَلِكَ، فَالرَّسُولُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ وَأَحْرَصُ عَلَى الْهُدَى، وَأَقْدَرُ عَلَى بَيَانِهِ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ أَصْحَابُهُ مِنْ بَعْدِهِ وَاتَّبَاعُهُمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وهذا أيضًا وجه إذا كان ابن سينا عنده حق وأنه عنده إرادة صحيحة، النبي ﷺ أولى وأحرى أن يكون عنده الحق، طبعًا الأمور الخبرية النظرية الاعتقادية، وحقائق الأمور الإرادية العملية التي ترجع إلى العمل، فمتى كان غير الرسول قادرًا على علمٍ بذلك وبيانٍ له، فالرسول أعلم بذلك وأحرص على الهدى وأقدر على بيانه منه، حتى للقول أن ابن سينا وغيره كانوا حريصين، فالأنبياء أولى منه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذِهِ صِفَاتُ الْكَمَالِ وَالْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ وَالْإِحْسَانِ وَالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا هذا سبق وذكرت أنا أن هذه هي الصفات التي توجب القبول:

- كمال العلم.

- وكمال الإرادة.

- وكمال البلاغة والفصاحة.

من كان كاملاً في علمه وكاملاً في نصحه، إرادة الإحسان: النصح، وكاملاً في قدرته على البيان، فهو

الذي ينبغي أن يُسمع منه.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي دُعَاءِ الْإِسْتِخَارَةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ»

فَعَلَّمَنَا ﷺ أَنْ نَسْتَخِيرَ اللَّهَ بِعِلْمِهِ، فَيَعْلَمَنَا مَنْ عِلْمِهِ مَا نَعْلَمُ بِهِ الْخَيْرَ وَنَسْتَقْدِرُهُ بِقُدْرَتِهِ فَيَجْعَلَنَا قَادِرِينَ، إِذِ الْإِسْتِغْعَالُ هُوَ طَلَبُ الْفِعْلِ كَمَا قَالَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتَهُ فَاسْتَطْعَمُونِي أَطْعَمَكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتَهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ».

فَاسْتَهْدَاءُ اللَّهِ طَلَبُ أَنْ يَهْدِيَنَا، وَاسْتَطْعَامُهُ طَلَبُ أَنْ يُطْعِمَنَا، وَهَذَا قُوَّةُ الْقُلُوبِ وَهَذَا قُوَّةُ الْأَجْسَامِ، وَكَذَلِكَ اسْتِخَارَتُهُ بِعِلْمِهِ وَاسْتِقْدَارُهُ بِقُدْرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ»، فَهَذَا السُّؤَالُ مِنْ جُودِهِ وَمَنِّهِ وَعَطَائِهِ وَإِحْسَانِهِ الَّذِي يَكُونُ بِمَشِيئَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَحَنَانِهِ.

وَلِهَذَا قَالَ: «فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ»، وَلَمْ يَقُلْ: إِنِّي لَا أَرْحَمُ نَفْسِي؛ لِأَنَّهُ فِي مَقَامِ الْإِسْتِخَارَةِ يُرِيدُ الْخَيْرَ لِنَفْسِهِ وَيَطْلُبُ ذَلِكَ، لَكِنَّهُ لَا يَعْلَمُهُ وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يُعْلَمْهُ اللَّهُ إِيَّاهُ وَيُقَدَّرُ عَلَيْهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أَي لَا شَكَّ أَنَّهُ يَرِيدُ الرَّحْمَةَ لِنَفْسِهِ، وَلَكِنْ لَا يَدْرِي أَيْنَ الرَّحْمَةِ، (لَا يَعْلَمُهُ وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ أَعْلَمَ بِالْحَقَائِقِ الْحَبْرِيَّةِ وَالطَّلَبِيَّةِ وَأَحَبَّ الْخَلْقِ لِلتَّعْلِيمِ وَالْهِدَايَةِ وَالْإِفَادَةِ وَأَقْدَرَ الْخَلْقِ عَلَى الْبَيَانِ وَالْعِبَارَةِ، امْتَنَعَ أَنْ يَكُونَ مَنْ هُوَ دُونَهُ أَفَادَ خَوَاصَّهُ مَعْرِفَةَ الْحَقَائِقِ أَعْظَمَ مِمَّا أَفَادَهَا الرَّسُولُ لِحَوَاصِّهِ، فَامْتَنَعَ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الطَّوَائِفِ مِنْ مَعْرِفَةِ الْحَقَائِقِ مَا لَيْسَ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ.

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الطَّوَائِفِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِالْحَقَائِقِ وَأَبِينُ لَهَا مِنْهُ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَا يُدْمُونَ بِهِ مِنْ جَهْلِ بَعْضِهِمْ هُوَ فِي طَائِفَةِ الْمُخَالِفِ لَهُمُ الذَّمُّ أَكْثَرُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الطَّوَائِفِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِالْحَقَائِقِ وَأَبِينُ لَهَا مِنْهُ) أي: من أهل الحديث، (وَجَبَ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَا يُدْمُونَ) أي: أهل الحديث، (بِهِ مِنْ جَهْلِ بَعْضِهِمْ هُوَ فِي طَائِفَةِ الْمُخَالِفِ لَهُمُ الذَّمُّ أَكْثَرُ)، إِنْ كَانَ فِيهِمْ مَا يوجب الذم فهو فيمن يذمهم أكثر.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَيَكُونُ الذَّمُّ لَهُمْ جَاهِلًا ظَالِمًا فِيهِ شُعْبَةٌ نِفَاقٍ إِذَا كَانَ مُؤْمِنًا، وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ، ثُمَّ إِنَّ هَذَا الَّذِي بَيَّنَّاهُ مَشْهُودٌ بِالْقَلْبِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(مَشْهُودٌ بِالْقَلْبِ) يعني: مشهودٌ بالحس والفطرة، ليس مُعَقَّدًا يحتاج إلى الاستدلال له، هذا الذي بَيَّنَّاهُ مشهودٌ بالحس والفطرة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

أَعْلَمُ ذَلِكَ فِي كُلِّ أَحَدٍ مِمَّنْ أَعْرِفُ مُفَصَّلًا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طَبَعًا هَذَا يُخْبِرُ عَنْ نَفْسِهِ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ يُخْبِرُ عَنْ نَفْسِهِ، يَقُولُ: (أَعْلَمُ ذَلِكَ فِي كُلِّ أَحَدٍ مِمَّنْ أَعْرِفُ

مُفَصَّلًا)، المُخالفون هؤلاء الذين يذمون أهل الحديث بَعدهم عن الحق، يقول: لو أردت أن أسمى واحداً واحداً منهم بالتفصيل يُمكنني ذلك، **(أَعْلَمُ ذَلِكَ فِي كُلِّ أَحَدٍ مِمَّنْ أَعْرِفُ مُفَصَّلًا)**: أعرفه بالتفصيل، وكذلك أئمة الحديث الذين هم أولى بالحق أعرفهم كلهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذِهِ جُمْلَةٌ يُمْكِنُ تَفْصِيلُهَا مِنْ وُجُوهِ كَثِيرَةٍ، لَكِنْ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَهُ.

فَصُلُّ:

وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ قَالَ إِنَّ الْحَشَوِيَّةَ عَلَى ضَرْبَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: لَا يَتَحَاشَى مِنَ الْحَشْوِ وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ.

وَالْآخَرُ: يَتَسَتَّرُ بِمَذْهَبِ السَّلَفِ، وَمَذْهَبُ السَّلَفِ إِنَّمَا هُوَ التَّوْحِيدُ وَالتَّنْزِيهُ دُونَ التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ،

وَكَذَا جَمِيعُ الْمُبْتَدِعَةِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ عَلَى مَنَهِجِ السَّلَفِ، فَهَمَّ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ: وَكُلُّ يَدَّعِيٍّ وَضَلَّ لِلْيَلَى

وَلِيَلَى لَا تُقَرُّ لَهُمْ بِذَاكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طَبَعًا هَذِهِ الْقِطْعَةُ هِيَ مِنْ كَلَامِ الْعَزَبِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ رَحِمَهُ اللهُ فِي رِسَالَتِهِ "المُلْحَةِ فِي اعْتِقَادِ أَهْلِ الْحَقِّ"،

وَهَذِهِ الرِّسَالَةُ سَاقَهَا السُّبْكِيُّ التَّاجُ فِي "طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ" سَاقَهَا كُلُّهَا، الرِّسَالَةُ الْمُخْتَصِرَةُ وَالْمُطَوَّلَةُ الَّتِي

يَكْتُبُهَا هَؤُلَاءِ لَا يَكَادُ يَتْرَكُهَا يُوَدِّعُهَا.

يَقُولُ هُنَا: «فَلَمَّا جَاءَتْهُ الْفِتْيَا قَالَ: هَذِهِ الْفِتْيَةُ كُتِبَتْ امْتِحَانًا لِي، وَاللَّهُ لَا كُتِبَتْ فِيهَا إِلَّا مَا هُوَ الْحَقُّ، مِنْ

يَقُولُهُ؟ ابْنُ أَبِي الْعَزَبِ، فَكُتِبَ الْعَقِيدَةُ الْمَشْهُورَةُ، وَقَدْ ذَكَرَهُ وَلَدَهُ بَعْضُهَا فِي تَصْنِيفِهِ، وَأَنَا أَرَى أَنْ أَذْكَرُهَا

كُلُّهَا لِتُسْتَفَادَ وَتُحْفَظَ» ثُمَّ ذَكَرَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ وَهِيَ طَوِيلَةٌ.

فِيهَا أَشْيَاءٌ حَسَنَةٌ: مِنْهَا مَا ذَكَرَهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَفْضَلُ الْكَلَامِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ،

وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»، حَتَّى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَسَّرَهَا تَفْسِيرًا جَيِّدًا.

وَفِيهِ مِنَ الْإِقْدَاءِ وَالسَّبِّ وَالشَّتْمِ لِأَهْلِ السُّنَّةِ شَيْءٌ أَعْرَضَ عَنْهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ هُنَا، لَمْ يَذْكَرْهُ، وَهُوَ كَانَ

شَدِيدًا عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ، وَهَذِهِ الْقِطْعَةُ تَدُلُّ عَلَى مَا فِي جُعْبَتِهِ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي يَدَّعِيهِ.

وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ هُنَا نَاقَشَ هَذِهِ الْجُمْلَةَ نَاقَشَهَا إِلَى صَفْحَةِ مَائَتَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ، هَذِهِ الْجُمْلَةُ فَقَطْ كَمْ

سَطْرًا؟ سِتَّةَ أَسْطُرٍ، هَذِهِ نَاقَشَهَا إِلَى صَفْحَةِ مَائَتَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ، هَذِهِ الْقِطْعَةُ فِيهَا ذَكَرَ أَنَّ السَّلْفَ طَبَعًا

هم حشوية كما ورد في السؤال، وأن سبب كونهم حشوية أن اعتقادهم هو التشبيه والتجسيم وليس التوحيد والتنزيه.

ثم فيها أنهم مبتدعة، مع ذلك يتسترون بمذهب السلف، ثم أن جميع المبتدعة يتسترون بمذهب السلف، وشيخ الإسلام ناقشه في هذه الأمور كلها بالتفصيل الذي سنراه، وهذه القطعة حقيقة ينبغي أن تكون مثلاً، هذه القطعة ومناقشتها ينبغي أن تكون مثلاً لمثل هذه الدعوة العريضة التي تنطلي على كثير من الناس.

العز بن عبد السلام بسمعته المعروفة لما يسب السلف ويدعي هذه الدعاوى العريضة، قد يُظن أن الأمر فيه شيء، نفس البدعة ولو جاءت عن طريق فلان وعلان، طبعاً الذي يقرأ المُلحة يعرف كيف أن لهجته شديدة جداً.

يقول: **(الحشوية على ضربين)**، نحن ذكرنا أن الأشاعرة لما يقولون: الحشوية يقصدون من هم أولى بالحق منهم، ولا مرة يقولون: إن المعتزلة حشوية سبحانه الله، هذا من الانتكاسة، أنتم تردون المعتزلة، ولا مرة قلت إن المعتزلة حشوية.

هب أن أهل السنة والمعتزلة هم يُخالفونكم ونحن نُخالفكم، لماذا هم ولا مرة يستحقون هذا اللقب ودائماً مُصَوَّب هذا لأهل السنة؟ لا شك أن هذا من الخُذْلان الذي ليس له مُبرر، تدعي أن نشأتك مُرتبطة بالرد على المعتزلة، والمعتزلة لا تقول لهم حشوية، أما أهل السنة هم حشوية عندك.

والحشوية قسمان:

- **القسم الأول:** لا يتحاشى من الحشو، يفتخر بانتسابه إلى الحشو، يقول: أنا حشوي، ولا يتحاشى من التشبيه والتجسيم، هذا القسم فيه هذه الأمراض الثلاثة: حشو، تشبيه، تجسيم، مُشبّه على العَلْن، ومُجسّم، وحشوي، طبعاً شيخ الإسلام سيناقره في الألفاظ الثلاثة كلها.

- **والقسم الآخر:** يتستر بمذهب السلف، هو حشوي وفيه هذه الأمراض، إلا أنه ليس مثل الأول،

يتستر، هذا أيضاً سيقف معه شيخ الإسلام وقفة ماذا تقصد بالتستر؟

مذهب السلف: هو التوحيد والتنزيه، أيضًا سيقف معه شيخ الإسلام وقفة طويلة، التوحيد الذي عندك هو توحيد المعتزلة وليس توحيد الأنبياء والمرسلين، التنزيه الذي عندك أخذته من المعتزلة، وهم أخذوه من الجهمية، إذا السلسلة عندك تنتهي.

الدعوة الأخرى جميع المبتدعة يزعمون أنهم على مذهب السلف، سيبين شيخ الإسلام أين أنت من الفرق، هذا من قلة الخبرة في مقالات الناس ومذاهبهم، فهناك من الفرق من يستكف أن يُنسب إلى السلف أبدًا، كيف تدعي هذا؟

إذا هذه هكذا فقرات فقرها شيخ الإسلام، وناقشها بالتفصيل وكعاداته رَحِمَهُ اللهُ، شيخ الإسلام هذه عاداته وهذه العادة مُطردة، وهذه العادة رأيناها أيضًا في مناقشته لأولئك الزنادقة، ألم يقل أن عندهم شيء في الملائكة؟

دائمًا لما يُناقش يبدأ بما عنده من الحق، وسبحان الله يفصل فيه تفصيلًا قد تستغربه، هذا التفصيل الذي ذكره هنا لا تجده حتى عندهم، يعني أن فيه حق والحق الذي فيه أن هناك من شوّه مذهب السلف فعلاً، وهناك من كان سببًا لِنفرة الناس عن مذهب السلف فعلاً، والسبب فيه هو الجهل بالسنة. فلذلك يقول: **(فَهَذَا الْكَلَامُ فِيهِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ، فَمِنْ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ)**، بدأ به.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ذَمٌّ مَنْ يُمَثِّلُ اللهُ بِمَخْلُوقَاتِهِ وَيَجْعَلُ صِفَاتِهِ مِنْ جِنْسِ صِفَاتِهِمْ. وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، وَقَالَ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

وَقَدْ بَسَطْنَا الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ وَذَكَرْنَا الدَّلَالَاتِ الْعَقْلِيَّةَ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا كِتَابُ اللهِ فِي نَفْيِ ذَلِكَ، وَبَيَّنَّا مِنْهُ مَا لَمْ يَذْكُرْهُ النُّفَاةُ الَّذِينَ يَتَّسِمُونَ بِالتَّنْزِيهِ وَلَا يُوجَدُ فِي كُتُبِهِمْ وَلَا يُسْمَعُ مِنْ أُمَّتِهِمْ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

طبعًا بعض كلام شيخ الإسلام لما تسمعه تطرب، وهذا منه.

يقول: (وَقَدْ بَسَطْنَا الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ وَذَكَرْنَا الدَّلَالَاتِ الْعَقَلِيَّةَ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا كِتَابُ اللَّهِ فِي نَفْيِ ذَلِكَ، وَبَيَّنَّا مِنْهُ مَا لَمْ يَذْكُرْهُ النَّفَاةُ الَّذِينَ يَتَّسِمُونَ بِالتَّنْزِيهِ وَلَا يُوجَدُ فِي كُتُبِهِمْ وَلَا يُسْمَعُ مِنْ أُمَّتِهِمْ).

يقول: ما بيّناه من ذلك لن تزده أنت لا في كتبك ولا في كتب أئمتك، لا تعلمنا هذا، أشار إلى هذا هنا شيخ الإسلام، دل عليها كتاب الله في نفي ذلك، طبعاً هو ذكر: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، و﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

فيما ورد في القرآن في هذا الباب يتلخص في أمرين، نفي النقائص عن الله ﷻ:

- إما بنفي التمثيل عن الله ﷻ، كما هو هنا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

- أو بنفي النقائص عن الله ﷻ، وهذا كله في صورة واحدة: في صورة الإخلاص، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿١﴾ يَلِدُ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ١-٣] نفي النقائص، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]: نفي التمثيل.

هكذا يكون نفي التمثيل عن الله ﷻ ونفي النقائص عن الله ﷻ، أما المتكلمون رد على التشبيه، رد على تجسيم وليس عندهم محض الحق، يقول: (وَبَيَّنَّا مِنْهُ مَا لَمْ يَذْكُرْهُ النَّفَاةُ)، (وَلَا يُوجَدُ فِي كُتُبِهِمْ وَلَا يُسْمَعُ مِنْ أُمَّتِهِمْ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَلْ عَامَّةٌ حُجِّجَهُمُ الَّتِي يَذْكُرُونَهَا حُجِّجٌ ضَعِيفَةٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

حجج ضعيفة مع أن المقصود صحيح، نفي التمثيل عن الله ﷻ مدلوله صحيح دعوة صحيحة، ولكن حججهم ضعيفة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

لِأَنَّهُمْ يَقْصِدُونَ إِنْبَاتَ حَقِّ وَبَاطِلٍ فَلَا يَقُومُ عَلَى ذَلِكَ حُجَّةٌ مُطَّرِدَةٌ سَلِيمَةٌ عَنِ الْفَسَادِ، بِخِلَافِ مَنْ
اِقْتَصَدَ فِي قَوْلِهِ وَتَحَرَّى الْقَوْلَ السَّيِّدَ، فَإِنَّ اللَّهَ يُصْلِحُ عَمَلَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا أيضًا ذكر هنا شيئًا مهمًا وهو: (لِأَنَّهُمْ يَقْصِدُونَ إِنْبَاتَ حَقِّ وَبَاطِلٍ)، الأدلة التي يذكرونها لنفي
التمثيل أمرين:

- إثبات ما فيها من الحق.

- وأيضًا في ضمنها إثبات الباطل الذي به يردون على أهل الحق نفس الأدلة، يجعلونها دالة على
شيء من الحق، ويجعلونها أيضًا فيها رد على صاحب الحق، فهل يستقيم؟ لن يستقيم.

(بِخِلَافِ مَنْ اِقْتَصَدَ)، الاقتصاد هو لزوم الحق دائمًا، الاقتصاد هو لزوم الطريق الوسط وهي
الوسطية، الذي اقتصد في قوله وتحرى القول السديد، الله ﷻ يصلح عمله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا
اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٧٠]: أولاً اتقوا الله، ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]: أمران، نتيجتها: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧١]، تقوى الله والسداد في القول.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَفِيهِ مِنَ الْحَقِّ الْإِشَارَةُ إِلَى الرَّدِّ عَلَى مَنْ انْتَحَلَ مَذْهَبَ السَّلْفِ مَعَ الْجَهْلِ بِمَقَالِهِمْ أَوْ الْمُخَالَفَةَ لَهُمْ
بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، فَتَمَثِيلُ اللَّهِ بِخَلْقِهِ وَالْكَذِبُ عَلَى السَّلْفِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُنْكَرَةِ سِوَاءِ سُمِّيَ ذَلِكَ حَشْوًا أَوْ
لَمْ يُسَمَّ.

وَهَذَا يَتَنَاوَلُ كَثِيرًا مِنْ غَالِيَةِ الْمُثَبِّتَةِ الَّذِينَ يَرُودُونَ أَحَادِيثَ مَوْضُوعَةً فِي الصِّفَاتِ).

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا (وَفِيهِ مِنَ الْحَقِّ الْإِشَارَةُ إِلَى الرَّدِّ عَلَى مَنْ انْتَحَلَ مَذْهَبَ السَّلْفِ)، يقول أنا على مذهب السلف

ولكن عنده جهلٌ بمقالهم، أو يخالفهم في بعض الأقوال يزيد عليهم أو ينقص عنهم، فتمثيل الله بخلقه والكذب على السلف من الأمور المنكرة، سواءً صدرت عن هذا أو هذا، وسواءً سُميت حشواً أو لم تُسم.

(وَهَذَا يَتَنَاوَلُ كَثِيرًا مِنْ غَالِيَةِ الْمُثَبِّتَةِ)، غالية المُثَبِّتَةِ: في الحقيقة ليس هناك من هو غالٍ في الإثبات وخاصةً هذا يرد كثيراً في كلام المتكلمين، هذه الجملة إذا وردت من المتكلمين فضع تحتها خطوط، **(غَالِيَةِ الْمُثَبِّتَةِ)**: ليس هناك غلوًا في الإثبات.

لماذا يقولون يصفون أهل السنة أنهم غلاةٌ في الإثبات؟ لأنهم يزيدون عليهم في الإثبات، هو يثبت سبع صفات، الذي يزيد عليهم يكون غالباً في الإثبات، ليس هذا غلوًا في الإثبات، إنما هذا هو الاقتصاد. شيخ الإسلام هنا لما يطلق هذه الكلمة قصده آخر، هذا المثبت مثل أهل السنة، يثبت ما أثبتته أهل السنة، وهذا صحيح، وهذا القدر عند الأشعري غلو في الإثبات، ولكنه يزيد على أهل السنة أيضاً، لماذا يزيد؟ لأنه يعتقد أن هذه الأحاديث التي سيذكرها شيخ الإسلام صحيحة يستدل بها، فيزيد فيصف الله ﷻ بأكثر مما يصفه أهل السنة أنفسهم، فغلوُه في الإثبات لأجل جهله في الأدلة هذه.

وإذا وردَ هذا الوصف لأهل السنة في كتب المتكلمين فيكون ظلمًا؛ لأنهم يصفونهم دائماً أنهم غلاةٌ في الإثبات، لماذا؟ لأننا نزيد عليهم، وهذا ليس غلوًا، هذا هو الاقتصاد.

الأشاعرة والماتريدية يدعون -وخاصةً الآن ينفخون في هذه- لأن الوسطية الآن موجة، فهم يدعون الآن ويدعون من قبل ولكنهم زادوا في هذا الآن، يدعون أن الوسطية في منهجهم، ليس كل ما يُثبتته الحنابلة وليس كل ما ينفيه المعتزلة إنما الوسط، أي وسطية هذه؟ هي وسطية الجهمية، هي وسطية المعتزلة وليس هذه وسطية.

إذاً غلوهم عرفناه، يزيدون على أهل السنة أيضاً، يزيدون على الحق، يثبتون ما ليس بثابت.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الَّذِينَ يَرَوْنَ أَحَادِيثَ مَوْضُوعَةً فِي الصِّفَاتِ مِثْلَ حَدِيثِ «عَرَقِ الْخَيْلِ» وَ«نُزُولُهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ عَلَى الْجَمَلِ الْأَوْرَقِ حَتَّى يُصَافِحَ الْمُشَاةَ وَيُعَانِقَ الرُّكْبَانَ»، «وَتَجَلَّى لِنَبِيِّهِ فِي الْأَرْضِ»، أَوْ «رُؤْيَتْ لَهُ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»، أَوْ «رُؤْيَتْ إِيَّاهُ فِي الطَّوَافِ»، أَوْ «فِي بَعْضِ سِكَكِ الْمَدِينَةِ»، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

شيخ الإسلام بين هذه الأحاديث وأنها موضوعة في عدد من كتبه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ ذَلِكَ أُمُورًا مِنْ أَعْظَمِ الْمُنْكَرَاتِ وَالْكَفْرَانِ، وَأَحْضَرَ لِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ مِنَ الْأَجْزَاءِ وَالْكَتُبِ مَا فِيهِ مِنْ ذَلِكَ مَا هُوَ مِنَ الْإِفْتِرَاءِ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ، وَقَدْ وَضَعَ لِتِلْكَ الْأَحَادِيثِ أَسَانِيدَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني هؤلاء الذين ينتسبون إلى السلف وهم معروفون بأنهم من أهل الحديث لم يشفع لهم هذا الانتساب عند شيخ الإسلام، بل نطق بالحق، هذا هو الإنصاف، فلم يسقط وإنما بين.
يقول: (مَا فِيهِ مِنْ ذَلِكَ مَا هُوَ مِنَ الْإِفْتِرَاءِ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ، وَقَدْ وَضَعَ لِتِلْكَ الْأَحَادِيثِ أَسَانِيدَ) وهذا باطل، حتى ولو قام به من هو منتسب في ظاهره.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

حَتَّى إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ عَمَدَ إِلَى كِتَابِ صَنَفَهُ «الشَّيْخُ أَبُو الْفَرَجِ الْمَقْدِسِيُّ» فِيمَا يُمْتَحَنُ بِهِ السُّنِّيُّ مِنَ الْبِدْعِيِّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هو أبو الفرج المقدسي من أئمة الحنابلة في الشام، توفي سنة أربع مائة وستة وثمانين، وله كتاب وهذا

الكتاب مطبوع، هذا الكتاب ذكر فيه المسائل التي يمتحن به السني من البدعي، ويُعرف بها السني من البدعي، إذا مهم هذا الكتاب.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَجَعَلَ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِمَّا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَى نَبِيِّهِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا نظير ما فعله ابن عربي، لما ألف فصوص الحكم ذكر في مقدمته أن الله ﷻ أمره أن يظهر هذا الكتاب، أي فرق بين هذا وهذا، ألف هذا الكتاب فجعله مما أوحاه إلى نبيه ليلة المعراج، وأمره أن يمتحن به الناس، أعوذ بالله.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمْرُهُ أَنْ يَمْتَحِنَ بِهِ النَّاسَ، فَمَنْ أَقْرَبَ بِهِ فَهُوَ سُنِّيٌّ وَمَنْ لَمْ يَقْرَبْ بِهِ فَهُوَ بَدْعِيٌّ، وَزَادُوا فِيهِ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ أَشْيَاءَ لَمْ يَقْلَهَا هُوَ وَلَا عَاقِلٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

المسائل التي ذكرها يذكر شيخ الإسلام أنها أكثرها مسائل صحيحة، ولكن هذه دعوى أن الله ﷻ أوحاه إلى نبيه ليلة المعراج، هذا كذب، مع أن المسائل غالبها صحيحة، ولكن هذه الدعوة هي باطلة، أيضًا زادوا في هذا الشيخ أبي الفرج أشياء لم يقلها هو ولا عاقل، كلها في هذا الكتاب.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالنَّاسُ الْمَشْهُورُونَ قَدْ يَقُولُ أَحَدُهُمْ مِنَ الْمَسَائِلِ وَالِدَّلَائِلِ مَا هُوَ حَقٌّ أَوْ فِيهِ شُبُهَةٌ حَقٌّ، فَإِذَا أَخَذَ الْجُهَّالُ ذَلِكَ فَغَيَّرُوهُ صَارَ فِيهِ مِنَ الضَّلَالِ مَا هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْإِفْكِ وَالْمِحَالِ. وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ كَلَامَهُ فِيهِ حَقٌّ وَفِيهِ مِنَ الْبَاطِلِ أُمُورٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إلى الآن عاصره ما فيه من الحق، الآن يذكر ما فيه من الباطل.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

أَحَدَهَا قَوْلُهُ: «لَا يَتَحَاشَى مِنَ الْحَشْوِ وَالتَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ بِأَسْمَاءِ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، وَالَّذِي مَدَحَهُ زَيْنٌ وَذَمَّهُ شَيْنٌ هُوَ اللهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لو قلت: لا يتحاشى من الكفر والبدعة وكذا وكذا مصطلحات شرية، أسماء شرية، (لَا يَتَحَاشَى مِنَ الْحَشْوِ وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ)، ثم يقول شيخ الإسلام: (ذَمٌّ لِلنَّاسِ بِأَسْمَاءِ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ)، والله ﷻ هو الذي مدحه زين وذمه شين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْأَسْمَاءُ الَّتِي يَتَعَلَّقُ بِهَا الْمَدْحُ وَالذَّمُّ مِنَ الدِّينِ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي أَنْزَلَ اللهُ بِهَا سُلْطَانَهُ وَدَلَّ عَلَيْهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ أَوْ الْإِجْمَاعُ، كَالْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَالْعَالِمِ وَالْجَاهِلِ وَالْمُقْتَصِدِ وَالْمُلْحِدِ. فَأَمَّا هَذِهِ الْأَلْفَاظُ الثَّلَاثَةُ فَلَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(الْحَشْوِ وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا فِي حَدِيثٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ وَلَا نَطَقَ بِهَا أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَيْمَتِهَا لَا نَفِيًا وَلَا إِنْبَاتًا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لم تجد أن أحدًا من السلف أنه ذم أحدًا بالتشبيه والتجسيم والحشو، سيأتي تعليقه عن التشبيه، لأن فيه بعضهم يستعمله بمعنى التمثيل، وبعض السلف استعمل التشبيه، ولذلك سيأتي تعليقه عن التشبيه، ولكن هذا لا يوجد في الكتاب والسنة ولا يوجد أيضًا في كلام عامة السلف.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَوَّلُ مَنْ ابْتَدَعَ الذَّمَّ بِهَا الْمُعْتَرِلَةُ الَّذِينَ فَارَقُوا جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وهم وصفوا بها الأشاعرة، بل وصفوا بعض الصحابة، يقول عمرو بن عبيد: «كان ابن عمر حشويًا»، أما التشبيه يقول ثمامة بن أشرس: «ثلاثة من الأنبياء مُشَبَّهة: نوح عليه السلام، وموسى عليه السلام، ومحمد عليه السلام»، وما أدري لماذا استثنى البقية، كلهم عندهم ولكنه ذكرهم خصَّهم بالذكر. إذا الذم بهذا المصطلح لم يكن إلا من أولئك، أنت قلدتهم في هذا. نستكمل بعد الصلاة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَاتَّبَعَ سَبِيلَ الْمُعْتَزَلَةِ دُونَ سَبِيلِ سَلَفِ الْأُمَّةِ تَرَكَ لِلْقَوْلِ السَّيِّدِ الْوَاجِبِ فِي الدِّينِ وَاتَّبَعَ لِسَبِيلِ الْمُبْتَدِعَةِ الضَّالِّينَ ذَمُّهُ إِلَّا لَفْظُ «التَّشْبِيهِ» فَلَوْ اقْتَصَرَ عَلَيْهِ لَكَانَ لَهُ قُدْوَةٌ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَلَوْ أَنَّهُ ذَكَرَ الْأَسْمَاءَ الَّتِي نَفَاهَا اللهُ فِي الْقُرْآنِ مِثْلُ لَفْظِ «الْكُفُؤِ» وَالنَّدِّ وَالسَّمِيِّ وَقَالَ: مِنْهُمْ مَنْ لَا يَتَحَاشَى مِنَ التَّمْثِيلِ وَنَحْوِهِ»، لَكَانَ قَدْ ذَمَّ بِقَوْلِ نَفَاهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ وَدَلَّ الْقُرْآنُ عَلَى ذَمِّ قَائِلِهِ، ثُمَّ يَنْظُرُ: هَلْ قَائِلُهُ مَوْصُوفٌ بِمَا وَصَفَهُ بِهِ مِنَ الذَّمِّ أَمْ لَا؟.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا هو التعليق الذي أشرت إليه فيما يتعلق بلفظ التشبيه، يقول: (لَوْ اقْتَصَرَ)، (لَيْسَ فِيهَا مَا يُوجَدُ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ ذَمُّهُ إِلَّا لَفْظُ «التَّشْبِيهِ»); لأنَّ بعض السلف استعملوا هذا اللفظ ولكنهم استعملوه بمعنى التمثيل، كما هو قول إسحاق بن راهويه: "من شبَّه الله بخلقه فهو كافر"، فالتشبيه عنده بمعنى التمثيل، وليس التشبيه عندهم بمعنى التشبيه الذي عند المتكلمين الذي سيتحدث عنه شيخ الإسلام. لو اقتصر عليه لكان له قدوة من بعض السلف، ولكن أحسن من هذا لو أنه ذكر الأسماء التي نفاها الله ﷻ مثل: (الْكُفُؤِ وَالنَّدِّ وَالسَّمِيِّ)، ولو قال: (مِنْهُمْ مَنْ لَا يَتَحَاشَى مِنَ التَّمْثِيلِ وَنَحْوِهِ)، (لَكَانَ قَدْ ذَمَّ بِقَوْلِ نَفَاهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ) هذا كان أحسن، ولكن لا هو لا كان منه هذا ولا ما هو دونه من الاقتصار على لفظ التشبيه، هذا أولاً.

ثانياً: يقول الآن ننظر إلى من وصفه بالحشوي، وما هو الحشوي، وهل قائله والمُتَّهَمُ به فعلاً هو

حشوي أو لا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَأَمَّا الْأَسْمَاءُ الَّتِي لَمْ يَدُلَّ الشَّرْعُ عَلَى ذَمِّ أَهْلِهَا وَلَا مَدْحِهِمْ فَيُحْتَاجُ فِيهَا إِلَى مَقَامَيْنِ:

- أَحَدُهُمَا: بَيَانُ الْمُرَادِ بِهَا.

- وَالثَّانِي: بَيَانُ أَنَّ أَوْلِيكَ مَذْمُومُونَ فِي الشَّرِيعَةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لا بد أن تحقق هذه المقام، أولاً: ما الذي تقصد بالحشو؟

ثانياً: لا بد أن تبين أن هذا الذي تدم به فعلاً يدم به الشرع، لا بد من هذين المقامين حتى يتم لك

المقصود.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْمُعْتَرِضُ عَلَيْهِ لَهُ أَنْ يَمْنَعَ الْمَقَامَيْنِ، فَيَقُولُ: لَا نُسَلِّمُ أَنَّ الَّذِينَ عَنَيْتَهُمْ دَاخِلُونَ فِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي

ذَمَّتْهَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

له أن يقول: ليسوا هم حشوية، هذا أولاً.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَمْ يَقُمْ دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ عَلَى ذَمِّهَا، وَإِنْ دَخَلُوا فِيهَا فَلَا نُسَلِّمُ أَنَّ كُلَّ مَنْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ فَهُوَ

مَذْمُومٌ فِي الشَّرْعِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

له أن يقول: أن أولئك ليسوا حشوية، وعلى فرض التسليم أنه حشوية فهات دليلاً من الكتاب والسنة

يُذِمُّ الحشوية، أولاً: هم ليسوا حشوية، وثانياً: أين الدليل على أنه يُذِمُّ به، الحشو يُذِمُّ به؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الثَّانِي: أَنَّ هَذَا الضَّرْبَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(الثَّانِي) من الأمور الباطلة، هذا الأمر الأول: أنه ذم بما لم يذم به الشرع، ذم بألفاظٍ من عنده، ولي

أن أقول: الذي يُخالفني فلان وآتي بمصطلح، ما يستقيم، إذا كنتُ أريدُ أذمُّه، أذمُّه بتفريطه في الشرع.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الثَّانِي: أَنَّ هَذَا الضَّرْبَ الَّذِي قُلْتُ: «إِنَّهُ لَا يَتَحَاشَى مِنَ الْحَشْوِ وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا هو ذكر أنهم قسمان، والقسم الذي قلت فيهم (إِنَّهُ لَا يَتَحَاشَى مِنَ الْحَشْوِ وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ)

من هم؟ بهذا التفصيل سيُعرف أنهم من، إن كانوا فلان يلزمك كذا، إن كانوا كذا يلزمك كذا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

إِمَّا أَنْ تُدْخَلَ فِيهِ مُثَبَّتَةَ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ أَوْ لَا تُدْخِلُهُمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

الصفات بالنظر إلى الدليل تنقسم إلى قسمين:

- صفات خبرية.

- وصفات عقلية.

الصفات العقلية هي الصفات التي يتظافر على إثباتها العقل والنقل، مثل: (العلوم)، ومثل (السمع

والبصر والحياة)، هذه الصفات السبعة الأدلة العقلية التي يذكرها الأشاعرة والماتريدية لإثباتها أدلة

جميلة جدًا، ولكن المشكلة والإشكال عندهم أنهم يجعلون هذه الأدلة هي الأساس، وإلا هي أدلة

عقلية.

إذاً هذه الصفات تدل وتتظافر في إثباتها الأدلة العقلية والنقلية، طبعًا نحن نخالفهم على أن هذه هي

التي يدل عليها العقل لا، شيخ الإسلام أثبت أن صفاتاً كثيراً يدل عليها العقل والنقل، ليست هذه السبع فقط، ولكننا نحن نتحدث عن التقسيم.

القسم الأول: الصفات العقلية.

والقسم الثاني: الصفات الخبرية، هي الصفات التي طريقها الخبر فقط، طريقها الدليل السمعي فقط، ويدخل فيها الصفات الفعلية من هذه الناحية.

وأوائل الأشاعرة كانوا يثبتون الصفات الخبرية، بدأ نفي الصفات الخبرية من عند الجويني، وخاصة الصفات الخبرية التي وردت في القرآن كانوا يثبتونها.

الآن يسأل شيخ الإسلام: هل الذين يثبتون الصفات الخبرية هم عندك حشوية أو ليسوا حشوية؟ حتى نعرف من هم الحشوية.

(إِمَّا أَنْ تُدْخَلَ فِيهِ مُثَبَّتَةُ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ)، (أَوْ لَا تُدْخَلُهُمْ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنْ أَدْخَلْتَهُمْ كُنْتَ دَائِمًا لِكُلِّ مَنْ أَثَبَّتَ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةَ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا مَذْهَبُ عَامَّةِ السَّلَفِ وَمَذْهَبُ أُمَّةِ الدِّينِ، بَلْ أُمَّةُ الْمُتَكَلِّمِينَ يُثَبِّتُونَ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةَ فِي الْجُمْلَةِ، وَإِنْ كَانَ لَهُمْ فِيهَا طُرُقٌ).

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللهُ:

إذا يكون مساحة الدم واسعة جداً، السلف كلهم عندك حشوية؟ أئمة الدين كلهم عندك حشوية؟ بل أئمتك أيضاً عندك حشوية، وذكر بعضهم هنا، هؤلاء الذين ذكرهم شيخ الإسلام هم بعض ممن يثبت الصفات الخبرية.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

كَأَبِي سَعِيدِ بْنِ كُلابٍ، وَأَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هو إمام الكُلابية، معاصر للإمام أحمد تُوفي قبله بسنة أو سنتين، وهو إمام هذه الطائفة التي تدعى الوسطية بين المعتزلة وبين السلف، يعني على طريقته أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَئِمَّةِ أَصْحَابِهِ: كَأَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ مُجَاهِدٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

من أشهر تلاميذه، هذا عبد الله بن مجاهد من أشهر تلاميذه ومن أشهر شيوخ الباقلاني، تُوفي سنة ثلاثمائة وسبعين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَبِي الْحَسَنِ الْبَاهِلِيِّ وَالْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْبَاقِلَانِيِّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أيضاً تُوفي في حدود ثلاثمئة وسبعين حتى الباهلي، هؤلاء طبقة، شيخ الإسلام هنا يذكر أحسن الطبقات، أبو سعيد ابن كُلاب طبقة، كما قلت لكم: هو مُعاصر للإمام أحمد، أبو حسن الأشعري طبقة، تُوفي سنة ثلاثمئة وأربعة وعشرين، تلاميذه طبقة: عبد الله بن مجاهد وأبي الحسن الباهلي، تلاميذه كُثر هم طبقة، تلاميذ تلاميذه وأشهرهم الباقلاني هم طبقة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَبِي إِسْحَاقَ الْإِسْفَرَايِينِي وَأَبِي بَكْرٍ بْنِ فُورِكَ وَأَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ اللَّبَّانِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

ابن فورك والإسفراييني والباقلاني كلهم من طبقة واحدة، وأبو محمد بن اللبان، ابن فورك تُوفي سنة أربعمئة وستة، والباقلاني أربعمئة وأربعة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَبِي عَلِيٍّ بْنِ شاذَانَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وابن اللبّان: هو تلميذ الباقلاني، انظر التدرّج، هؤلاء طبقة، ابن اللبان طبقة هو تلميذ الباقلاني وشيخ الخطيب البغدادي توفي سنة أربعمائة وستة أربعين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَبِي الْقَاسِمِ الْقَشِيرِيِّ وَأَبِي بَكْرٍ الْبِيهَقِيِّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وابن شاذان أيضاً في نفس الطبقة، والقشيري أيضاً في نفس الطبقة، والبيهقي في الطبقة التي تليها، كل هؤلاء عندك حشوية وهم أئمتك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وغير هؤلاء، فما من هؤلاء إلا من يُثبِتُ مِنَ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ تَعَالَى، وَعِمَادُ الْمَذْهَبِ عِنْدَهُمْ: إِبْتِاتُ كُلِّ صِفَةٍ فِي الْقُرْآنِ، وَأَمَّا الصِّفَاتُ الَّتِي فِي الْحَدِيثِ فَمِنْهُمْ مَنْ يُثَبِّتُهَا وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُثَبِّتُهَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أكثرهم يُثَبِّتُهَا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِذَا كُنْتُ تَذُمَّ جَمِيعَ أَهْلِ الْإِبْتِاتِ مِنْ سَلْفِكَ وَغَيْرِهِمْ، لَمْ يَبْقَ مَعَكَ إِلَّا الْجَهْمِيَّةُ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ عَلَى نَفْيِ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ مِنْ مُتَأَخَّرِي الْأَشْعَرِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ، وَلَمْ تَذْكَرْ حُجَّةً تُعْتَمَدُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إذا من الذي بقي وصفي له؟ من فوقه المعتزلة والجهمية، ومن دونه الذين بعد الجويني، الجويني توفي سنة أربعمائة وثمانية وسبعين، وعنده بدأت الطبقة الثانية من طبقات الأشعرية وهي الطبقة الاعتزالية، وعنده بدأ نفي الصفات الخبرية كلها، عنده بدأ نفي العلو وغيرها، إذا بعد الجويني وفوقه من

المعتزلة هم الذين بقوا معك، هذا أولاً.

ثانياً: ما هي الحجة التي ذكرتها في ذم هؤلاء؟ أولاً ذممت السلف والأئمة وأئمتك كل هذا دون أن تذكر حجة.

(فَأَيُّ ذَمٍّ لِقَوْمٍ فِي أَنَّهُمْ لَا يَتَحَاشَوْنَ مِمَّا عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَتَمَّتْهَا وَأَيُّ ذَمٍّ لِقَوْمٍ؟).

تذم أولئك كلهم بجرة قلم وبدون دليل؟ هذا أولاً إن كنت تدخل فيهم من يثبت الصفات الخبرية، وإن لم تدخل هذا الخيار الثاني، الأول: إذا أدخلت فيهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَإِنْ لَمْ تُدْخِلْ فِي اسْمِ «الْحَشَوِيَّةِ» مَنْ يُثْبِتُ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةَ لَمْ يَنْفَعَكَ هَذَا الْكَلَامُ بَلْ قَدْ ذَكَرْتَ أَنَّ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ هَذَا الْقَوْلَ، وَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ لَا يَخْرُجُ بِهِ الْإِنْسَانُ عَنْ أَنْ يَذُمَّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

قوله: **(وَإِنْ لَمْ تُدْخِلْ فِي اسْمِ «الْحَشَوِيَّةِ» مَنْ يُثْبِتُ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةَ)** إذا تذم من؟ لم ينفك هذا الكلام، تذم من أنت معركتك مع من؟ من أولئك الذين تتحدث عنهم وهم قسمان من؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ لَا يَخْرُجُ بِهِ الْإِنْسَانُ عَنْ أَنْ يَذُمَّ نَفْسَهُ أَوْ يَذُمَّ سَلْفَهُ -الَّذِينَ يُقَرُّ هُوَ بِإِمَامَتِهِمْ وَأَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِمَّنْ اتَّبَعَهُمْ- كَانَ هُوَ الْمَذْمُومَ بِهَذَا الذَّمِّ عَلَى التَّقْدِيرَيْنِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

قوله: **(عَلَى التَّقْدِيرَيْنِ)**، إذا كنت تتكلم بكلام لا يخرج عن إحدى الحالتين: ذمك لنفسك، وذمك لسلفك، إما أن تذم نفسك، وإما أن تذم سلفك، فأى كلام هذا؟

(وَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ لَا يَخْرُجُ بِهِ الْإِنْسَانُ عَنْ أَنْ يَذُمَّ نَفْسَهُ أَوْ يَذُمَّ سَلْفَهُ الَّذِي يُقَرُّ هُوَ بِإِمَامَتِهِمْ)، (كَانَ هُوَ

الْمَذْمُومَ بِهَذَا الذَّمِّ عَلَى التَّقْدِيرَيْنِ)، وهو هنا إما أن يذم هؤلاء أولئك السلف ومنهم أئمتهم، إن لم يذمهم يذم

نفسه؛ لأن كلامه لا معنى له فيه ذم لنفسه، في الأول أيضاً ذم لنفسه لأنه ذم أئمته.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَانَ لَهُ نَصِيبٌ مِنَ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَوْلِيهِمْ: «لَقَدْ خِبتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ»، يَقُولُ:
 إِذَا كُنْتُ مُقِرًّا بِأَنِّي رَسُولُ اللهِ وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنِّي أَظْلِمُ فَأَنْتَ خَائِبٌ خَاسِرٌ.
 وَهَكَذَا مَنْ ذَمَّ مَنْ يُقَرُّ بِأَنَّهُمْ خِيَارُ الْأُمَّةِ وَأَفْضَلُهَا، وَأَنَّ طَائِفَتَهُ إِنَّمَا تَلَقَّتْ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ مِنْهُمْ هُوَ
 خَائِبٌ خَاسِرٌ فِي هَذَا الذَّمِّ، وَهَذِهِ حَالُ الرَّافِضَةِ فِي ذَمِّ الصَّحَابَةِ.
 الْوَجْهُ الثَّلَاثُ: قَوْلُهُ: «وَالْآخِرُ يَتَسْتَرُّ بِمَذْهَبِ السَّلَفِ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(يَتَسْتَرُّ بِمَذْهَبِ السَّلَفِ)، أَيضًا وَقَفَ مَعَ هَذِهِ الْجُمْلَةِ، مَاذَا تَقْصِدُ بِ(يَتَسْتَرُّ)؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

إِنْ أَرَدْتَ بِالتَّسْتُرِ الإِسْتِخْفَاءَ بِمَذْهَبِ السَّلَفِ؛ فَيُقَالُ: لَيْسَ مَذْهَبُ السَّلَفِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(إِنْ أَرَدْتَ بِالتَّسْتُرِ الإِسْتِخْفَاءَ بِمَذْهَبِ السَّلَفِ)، شَخْصٌ عَلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ وَلَكِنَّهُ يَكْتُمُ مَذْهَبَهُ عَنِ

النَّاسِ وَلَا يَظْهَرُ لَهُمْ أَنَّهُ عَلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ هَذَا مَعْنَى.

وَالْمَعْنَى الْآخِرُ: أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ، وَلَكِنَّهُ جَعَلَهُمْ تُرْسًا يَتَسْتَرُّ بِهِمْ، مُبْتَدِعٌ وَيَقُولُ: أَنَا عَلَى

مَذْهَبِ السَّلَفِ هُوَ الْمَعْنَى الثَّانِي.

نَاقِشُهُ عَلَى الْمَعْنِيَيْنِ، مَعَ أَنَّ الْمَعْنَى الْأُولَى بَعِيدٌ - كَمَا ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ - الْمَعْنَى الثَّانِي هُوَ الْمُرَادُ،

وَلَكِنَّهُ نَاقِشُهُ عَلَى جَمِيعِ الْإِحْتِمَالَاتِ الْمُمْكِنَةِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَيُقَالُ: لَيْسَ مَذْهَبُ السَّلَفِ مِمَّا يَتَسْتَرُّ بِهِ إِلَّا فِي بِلَادِ أَهْلِ الْبِدْعِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هُوَ لَيْسَ عِيًّا حَتَّى تَسْتَرَهُ، هُوَ لَيْسَ عِيًّا هُوَ يَتَسْتَرُّ، وَالَّذِي يَتَسْتَرُّ وَيَسْتَخْفِي وَيُخْفِي مَذْهَبَهُ لَا يَكُونُ

هذا إلا في بلاد أهل البدع.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

مِثْلَ بِلَادِ الرَّافِضَةِ وَالْخَوَارِجِ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ الْمُسْتَضْعَفَ هُنَاكَ قَدْ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ وَاسْتِنَانَهُ، كَمَا كَتَمَ مُؤْمِنٌ آلَ فِرْعَوْنَ إِيمَانَهُ، وَكَمَا كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ حِينَ كَانُوا فِي دَارِ الْحَرْبِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً هذا هو الثقة ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨]، وفرق بين الثقة والتقوى، التقية: فيها إظهار المذهب الباطل وهذا هو النفاق، أما الثقة فإخفاء ما أنت عليه من الحق، تخفي ما أنت عليه من الحق خوفاً من المخالفين هذا هو الثقة؛ لأنك ما تستطيع أن تظهر، أما أن تظهر الباطل لا يجوز إلا للمكره، فالذي يظهر الباطل هذا هو التقي، واعرّف الفرق بينهم.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنْ كَانَ هَوْلًا فِي بَلَدٍ أَنْتَ لَكَ فِيهِ سُلْطَانٌ - وَقَدْ تَسْتَرُوا بِمَذْهَبِ السَّلَفِ - فَقَدْ ذَمَمْتَ نَفْسَكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

سبحان الله! يقول: أنت تقول: إذا كانوا يتسترون منك فأنت خطير، هم على مذهب السلف ويسترونه ويخفونه منك هذا ذم لك، لماذا يسترون مذهب السلف ويخفونه منك إن كنت على مذهب السلف؟ إذا فقد ذممت نفسك.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

حَيْثُ كُنْتَ مِنْ طَائِفَةٍ يُسْتَرُ مَذْهَبُ السَّلَفِ عِنْدَهُمْ، وَإِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ الْمُسْتَتِرِينَ بِمَذْهَبِ السَّلَفِ فَلَا مَعْنَى لِدَمِّ نَفْسِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إن كنت من الأقوياء فهذا ذم لك، وإن كنت من المستضعفين وقد يكون هذا، (وإن كنت من المستضعفين المستتيرين بمذهب السلف، فلا معنى لدم نفسك)، لماذا تدم نفسك؟ أنت مثلهم تستتر

بمذهب السلف، تخفي مذهب السلف، أما إذا كنت تُظهر وهذاك يخفي، إذا إخفاؤه خوفاً منك وممن معك، إذا هذا ذم لك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ وَلَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَلَا وَجْهَ لِدَمِّ قَوْمٍ بِلَفْظِ التَّسْتُرِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وإن لم تكن من الملائكة ومن المستضعفين (فلا وجه لدم قوم بلفظ "التستر")، لماذا تدمهم؟ في الأول ذم لك، في الثاني له من القول وكذلك الثالث.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِنْ أَرَدْتَ بِالتَّسْتُرِ: أَنَّهُمْ يَجْتَنُونَ بِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(يَجْتَنُونَ بِهِ) أي: يتسترون به ويتخذونه ويجعلونه جنة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِنْ أَرَدْتَ بِالتَّسْتُرِ: أَنَّهُمْ يَجْتَنُونَ بِهِ وَيَتَّقُونَ بِهِ غَيْرَهُمْ وَيَتَّظَاهَرُونَ بِهِ حَتَّى إِذَا خُوطِبَ أَحَدُهُمْ قَالَ: أَنَا عَلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ، وَهَذَا الَّذِي أَرَادَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ).

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً هذا هو المراد عنده.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَيُقَالُ لَهُ: لَا عَيْبَ عَلَيَّ مَنْ أَظْهَرَ مَذْهَبَ السَّلَفِ وَانْتَسَبَ إِلَيْهِ وَاعْتَزَى إِلَيْهِ، بَلْ يَجِبُ قَبُولُ ذَلِكَ مِنْهُ بِالِاتِّفَاقِ، فَإِنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ لَا يَكُونُ إِلَّا حَقًّا، فَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لَهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(مُوَافِقًا لَهُ) أي: لمذهب السلف، (باطناً وظاهراً).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي هُوَ عَلَى الْحَقِّ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لَهُ فِي الظَّاهِرِ فَقَطُّ دُونَ الْبَاطِنِ
فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُنَافِقِ، فَتَقَبَّلُ مِنْهُ عَلَانِيَتُهُ وَتُوكَلُ سِرِّيَّتُهُ إِلَى اللهِ، فَإِنَّا لَمْ نُؤْمَرْ أَنْ نُنْقَبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا
نُشَقَّ بِطُونِهِمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إِنْ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ عِلَامَةٌ هَذِهِ الْعِلَامَةُ تُبَيِّنُ أَنَّ مَا يُظْهِرُهُ عَلَى سَبِيلِ النِّفَاقِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنْ
هَذَا الْقَبِيلِ، مَا يُظْهِرُهُ نَأْخُذُهُ، نَحْنُ مَا أَمَرْنَا أَنْ نُنْقَبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ، هُوَ يَقُولُ: أَنَا عَلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ،
أَقُولُ لَهُ: لَا؟ يَكْتُبُ هَذَا وَيُقَرِّرُ هَذَا مَعَ ذَلِكَ أَقُولُ لَهُ: لَسْتَ أَنْتَ عَلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَا
يُعَارِضُ كَلَامَهُ، يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: حَتَّى مَجْرَدِ الْإِنْتِسَابِ إِلَى السَّلَفِ شَرَفٌ، فَلِمَاذَا أَنْتَ تَنْكُرُ عَلَيْهِمْ؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمَّا قَوْلُهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

مِنْ هُنَا يُنَاقَشُ جَمَلَةٌ مَذْهَبِ السَّلَفِ إِنَّمَا هُوَ التَّوْحِيدُ وَالتَّنْزِيهِ دُونَ التَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ وَهَذِهِ الْجَمَلَةُ
خَطِيرَةٌ جَدًّا، وَيُنَاقِشُهَا هُنَا بِالتَّفْصِيلِ.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَيُقَالُ لَهُ: لَفْظُ «التَّوْحِيدِ وَالتَّنْزِيهِ وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ» أَلْفَاظٌ قَدْ دَخَلَهَا الْإِشْتِرَاكُ بِسَبَبِ اخْتِلَافِ
اصْطِلَاحَاتِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَعْنِي بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ مَا لَا يَعْنِيهِ غَيْرُهُمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذه الجملة التي يناقشها شيخ الإسلام: هي مع قوله: (يتسترون أو يتستر المذهب السلفي) والمذهب الذهبي السلفي: إنما هو التوحيد والتنزيه دون التشبيه والتجسيم، في هذه الجملة يُبين العز بن عبد السلام أن هؤلاء الذين ينتسبون إلى السلف انتسابهم إلى السلف خطأ لماذا؟ لأن المذهب السلفي هو التوحيد والتنزيه، وليس مذهبهم التشبيه والتجسيم.

هنا يُبين شيخ الإسلام أن الخطأ عندك في فهم التوحيد، أيضًا الخطأ عندك في فهم التنزيه؛ وهذا الذي جعلك تُخرج أهل السنة الحقيقيين من أن يكونوا موحدين مُنزهين، وتجعلهم مُشبهين ومُجسمين؛ إن الخطأ عنك في فهم هذه المُصطلحات.

ولكن كيف حصل هذا الخلط؟ لأنه قد حصل الخلط في فهم التوحيد، مُصطلح التوحيد، وكل طائفة عندها مفهوم خاص بالتوحيد، وكل طائفة عندها مفهوم خاص للتنزيه، وكذلك التجسيم والتشبيه حصل هذا الخلط.

كيف حصل هذا الخلط؟ هذا الذي حصل كما يقول شيخ الإسلام: أَلْفَاظٌ قَدْ دَخَلَهَا الْإِشْتِرَاكُ بِسَبَبِ
اختلاف اصطلاحات المتكلمين، نعم، رأينا أن شيخ الإسلام بدأ يُفصل هنا في الإعلال (٢:٢٣) هذا الذي حصل - كما نبهت سابقاً - هذا مما تَعَمَدَ في الخلط هو من صنيعهم، وقد تعمدوا في هذا الخلط، لأن هذا الخلط هو الذي يروج له بعضهم، وأن المُصطلحات اختلفت؛ وبالتالي التوحيد بهذا المعنى ليس هو التوحيد بذلك المعنى، التوحيد له معنى آخر وهذا المعنى قد بينته، وجعلته يُدُلُّ على معنى آخر، وبالتالي صرت تَدُمُّ من يعرف التوحيد بالمعنى الصحيح.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فالجهمية من الْمُعْتَزَلَةِ وَغَيْرِهِمْ يُرِيدُونَ «بِالتَّوْحِيدِ وَالتَّنْزِيهِ»: نَفْيَ جَمِيعِ الصِّفَاتِ «وَبِالتَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ»: إِبْتِاطُ شَيْءٍ مِنْهَا حَتَّى إِنَّ مَنْ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرَى» أَوْ «إِنَّ لَهُ عِلْمًا» فَهُوَ عِنْدَهُمْ مُشَبَّهٌ مُجَسَّمٌ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

(يُرى، وليس يَرَى)، لأن هذا تكرر هكذا يُشكل، يُرى.

الطالب: نعم، "إن الله يَرَى".

الشيخ: نعم، فهو سبق أيضاً في موضوع آخر مُشكل (يَرَى) فهو يُرى، من أثبت أن الله ﷻ يُرى أثبت الرؤية هو عندهم مُشبه مُجسم؛ من أثبت أن له علم هو عنده مُشبه ومُجسم، ويرى أيضاً يصح من أثبت له السمع والنظر، دون البصر.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمَةِ الصِّفَاتِ يُرِيدُونَ بِالتَّوْحِيدِ وَالتَّنْزِيهِ: نَفْيَ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ أَوْ بَعْضَهَا وَبِالتَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ إِبْتِاطَهَا أَوْ بَعْضَهَا، وَالْفَلَّاسِفَةُ تَعْنِي بِالتَّوْحِيدِ: مَا تَعْنِيهِ الْمُعْتَزَلَةُ وَزِيَادَةٌ حَتَّى يَقُولُونَ: لَيْسَ لَهُ إِلَّا صِفَةٌ سَلْبِيَّةٌ أَوْ إِضَافِيَّةٌ أَوْ مُرَكَّبَةٌ مِنْهُمَا، وَالاتِّحَادِيَّةُ تَعْنِي بِالتَّوْحِيدِ: أَنَّهُ هُوَ الوجودُ الْمُطْلَقُ وَلِغَيْرِ هَؤُلَاءِ فِيهِ اضْطِرَّاحَاتٌ أُخْرَى.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

إذا التوحيد: هو النفي، التوحيد وهو التوحيد هو توحيد الأسماء والصفات؛ لا يتحقق إلا بالنفي عند من؟ عند الفلاسفة، لا يتحقق إلا بنفي الأسماء والصفات، تبعهم المعتزلة الجهمية، ثم المعتزلة قالوا: شيء من الإثبات للأسماء لا يחדش في التوحيد؛ والتوحيد هو النفي.

جاء الأشاعرة وقالوا: شيء من الإثبات لجميع الأسماء وبعض الصفات لا يחדش في التوحيد؛ لأن

التوحيد عندهم: هو النفي، يعني كل من نفى أكثر؛ فهو إلى التوحيد أقرب، نعم.

لما تصل إلى الاتحادية تصل أنهم ينفون جميع الأسماء والصفات؛ لأن التوحيد عندهم هو الوجود

المُطلق، والوجود المُطلق يُنافي إثبات الشيء، لو أثبت الشيء حتى الوجود لو أثبت شيئاً يكون مُشبهاً لا

ينبغي أن تُثبت شيئاً لو قلت أن الله ﷻ موجود: أنت مُشبه؛ لأن الوجود المُطلق لا يُجامع شيء من الإطلاق؛ هذا الوجود المُطلق.

الوجود المُطلق: أي مُطلق من جميع الأسماء والصفات؛ حتى عندهم الذي يقول: الذي يُثبت الاتصال والانفصال لله ﷻ؛ هذا مُشبه، -للأسف الشديد- نفس الشيء ذكره المُتكلّمون أيضاً: الذي يُثبت الاتصال والانفصال هو مُشبه.

نعم نحن ما نُثبت الاتصال، ولكن الانفصال أن الله ﷻ بائنٌ عن خلقه؛ الذي يُثبت هذا هو عندهم مُشبه بل ذكروه من المُكفرات كما سنأتي عند بعض فقهاء الشافعية ذكروه من المُكفرات؛ الذي يُثبت الاتصال والانفصال لله ﷻ هذا مُشبه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

**وَأَمَّا التَّوْحِيدُ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ الرَّسُلَ وَأَنْزَلَ بِهِ الْكُتُبَ: فَلَيْسَ هُوَ مُتَضَمِّناً شَيْئاً مِنْ هَذِهِ
الإِصْطِلَاحَاتِ؛ بَلْ أَمَرَ اللهُ عِبَادَهُ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، فَلَا يَكُونُ لِغَيْرِهِ نَصِيبٌ فِيمَا يَخْتَصُّ
بِهِ مِنَ الْعِبَادَةِ وَتَوَابِعِهَا -هَذَا فِي الْعَمَلِ-، وَفِي الْقَوْلِ: هُوَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ.
فَإِنْ كُنْتَ تَعْنِي أَنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ: هُوَ التَّوْحِيدُ بِالْمَعْنَى الَّتِي جَاءَ بِهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ: فَهَذَا حَقٌّ، وَأَهْلُ
الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ لَا يُخَالِفُونَ هَذَا، وَإِنْ عَنَيْتَ أَنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ: هُوَ التَّوْحِيدُ وَالتَّنْزِيهُ الَّذِي تَعْنِيهِ بَعْضُ
الطَّوَائِفِ.**

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

بعض الطوائف التي ذكرها شيخ الإسلام ممن ينفي شيئاً من الصفات ويجعل بعضها أو يجعلها كلها، إذا كنت تعني هذا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَهَذَا يَعْلَمُ بِظُلْمِهِ كُلُّ مَنْ تَأَمَّلَ أَقْوَالَ السَّلَفِ الثَّابِتَةَ عَنْهُمْ الْمَوْجُودَةَ فِي كُتُبِ آثَارِهِمْ؛ فَلَيْسَ فِي كَلَامِ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ كَلِمَةٌ تُؤَافِقُ مَا تَخْتَصُّ بِهِ هَذِهِ الطَّوَائِفُ، وَلَا كَلِمَةٌ تُنْفِي الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةَ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ: أَنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ إِنْ كَانَ يُعْرَفُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني إذا كنت تعرف هذا ما تظنه به أنت مذمومٌ به، يبدو أن هناك خلطٌ بين مفهوم التوحيد عندك وعند أصحابك.

نسبنا التعليق في (وَالْفَلَاسِفَةُ تَعْنِي بِالتَّوْحِيدِ: مَا تَعْنِيهِ الْمُعْتَزَلَةُ وَزِيَادَةٌ حَتَّى يَقُولُونَ: لَيْسَ لَهُ إِلَّا صِفَةٌ سَلْبِيَّةٌ).

صِفَةٌ سَلْبِيَّةٌ: يعني النفي ليس بكذا ليس بكذا.

أَوْ إِضَافِيَّةٌ: الإضافة التي أيضًا لا يكون فيها اعتراض شيء؛ كقولهم: أن الله ﷻ مبدأ للعالم، أو أن الله ﷻ علة للعالم، هل أثبتوا شيئًا لله ﷻ؟ ما أثبتوا شيء، مبدأ للعالم ليس باختياره، علة للعالم ليس باختياره، المراد منه أعني -نسيت أن تذكره-.

فيما ذكره شيخ الإسلام أن يقول: أن الله ﷻ عاقلٌ ومعقول وعقل، أنا نسيت تذكره؟

الطالب: كقول: "واجد الوجود عند الإنعام"، أن المركب هو عند لغيره.

الشيخ: هذا يميل إلى الإضافة أم المركب منهما؟ أنا نقلت هذا من شيخ الإسلام، ثم جئت إلى هذا الموضوع وقلت: الشيخ عبد الوهاب كان سلبي، الرسالة هذه وهو طويل، فلما رجعت إلى شيخ الإسلام؛ هكذا يقول: طبعًا بالنسبة:

للصفة السلبية: معروف ليس بكذا ليس بكذا.

الصفة الإضافة: هي التي لا تعرف إلا بالنظر إلى شيء كل شيء لا يعرف إلا بالنظر هي في الأصل

مبدأ الأبوة والبنوة، الأبوة لا تعرفها إلا بمعرفة البنوة، والبنوة لا تعرفها إلا بمعرفة الأبوة.

ولكن فيما يتعلق بالله ﷻ قوله: أنه مبدأ للعالم، أنه علة للعالم، وما أثبتوا شيء، المركب منهما صفات سلبية محضة، صفات مُركَّبة من سلب وإضافة؛ هذا النوع من الصفات إذا وُصف به واجب الوجود، أفاد أن ذلك نقد الوجه السلبي، وأن وجهة النسبة الإضافة، الوجه السلبي التي تقدمت الإضافة المعروفة، مثل: إذا قيل: (واجد الوجود) أي موجودٌ لا علة له وهذا سلب، وهذا في نعم واجب الوجود هذا هو السلب والإضافة المُركَّب.

أما كونه علة لهذا المبدأ، هذا للإضافة.

المهم في الأقسام الثلاثة هذه أن لا تُثبت شيئاً حقيقياً لله ﷻ، لا تثبت شيئاً حقيقياً لله ﷻ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمِنَ الْمَعْلُومِ: أَنَّ مَذَهَبَ السَّلَفِ إِنْ كَانَ يُعْرَفُ بِالنَّقْلِ عَنْهُمْ فَلْيُرْجَعْ فِي ذَلِكَ إِلَى الْأَثَارِ الْمَنْقُولَةِ عَنْهُمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هنا دخل شيخ الإسلام في المطالبة، أنت تقول: يسترون بمذهب السلف، هذا واضح أنك تدعي مذهب السلف، وتنفي كونه على مذهب السلف، كيف عرفنا أنك على مذهب السلف؟ مذهب السلف يُعرف بأمرين:

بالنقل الحرفي عن كل واحد منهم، قال الإمام مالك كذا وكذا، قال حماد بن زيد كذا وكذا، عرفنا أن

مذهبهم كذا.

وبنقل من نقل مذهبهم بهذا يُعرف، ننظر إلى الأمر: (إِنْ كَانَ يُعْرَفُ بِالنَّقْلِ عَنْهُمْ؛ فَلْيُرْجَعْ فِي ذَلِكَ

إِلَى الْأَثَارِ الْمَنْقُولَةِ عَنْهُمْ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا يُعْرَفُ بِالِاسْتِدْلَالِ الْمَحْضِ بِأَنْ يَكُونَ كُلُّ مَنْ رَأَى قَوْلًا عِنْدَهُ هُوَ الصَّوَابُ قَالَ: "هَذَا قَوْلُ السَّلَفِ؛ لِأَنَّ السَّلَفَ لَا يَقُولُونَ إِلَّا الصَّوَابَ وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي يُفْرَقُ لِلْمُبْتَدِعَةِ إِلَى أَنْ يَزْعَمَ كُلُّ مِنْهُمْ أَنَّهُ عَلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ."

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذه طريقة ثالثة.

الطريقة الأولى: النقل الحرفي من كل واحدٍ منهم، أو نقل من نقل عنهم، لم تفعل هذا.

هناك طريقة ثالثة: كل من يرى أن هذا هو الصواب، فهذا مذهب السلف، لأن السلف لا يمكن أن يقولوا في غيره خطأ، وهذا هو الصواب.

يقول شيخ الإسلام: وهذه الطريقة، هذا هو الذي يُطَرَّقُ المُبتدعة إلى أن يزعم كل منهم أنه على مذهب السلف؛ بهذه الطريقة دخلوا وادَّعى كل منهم أنه على مذهب السلف.

الأولى: نقل عن واحد منهم.

نقل من نقل مذهبهم، مثلاً: الوليد يقول: قال فلان، قال فلان وفلان وفلان أنه كذا وكذا، مثل ما فعله في الحموية شيخ الإسلام، وذكر هناك: أن هناك طريقتان:

النقل الحرفي: منصوص.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَقَائِلُ هَذَا الْقَوْلِ قَدْ عَابَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ حَيْثُ انْتَحَلَ مَذْهَبَ السَّلَفِ بِمَا نَقَلَ عَنْهُمْ بَلْ بَدَعُوا: أَنْ قَوْلَهُ هُوَ الْحَقُّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لم تفعل أنت لا هذا ولا هذا، بل التجأت إلى الطريقة الثالثة، وهذه الطريقة الثالثة يلجأ إليها جميع

المتكلمين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمَّا أَهْلُ الْحَدِيثِ: فَإِنَّمَا يَذْكُرُونَ مَذْهَبَ السَّلَفِ بِالنُّقُولِ الْمُتَوَاتِرَةِ؛ تَارَةً يَذْكُرُونَ مَنْ نَقَلَ مَذْهَبَهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ، وَتَارَةً يَرُوُونَ نَفْسَ قَوْلِهِمْ فِي هَذَا الْبَابِ كَمَا سَلَكْنَاهُ فِي جَوَابِ الْإِسْتِفْتَاءِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

جواب الاستفتاء هو "الحموية"، هناك نبه شيخ الإسلام أنه سينقل هكذا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّا لَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نُبَيِّنَ مَذْهَبَ السَّلَفِ ذَكَرْنَا طَرِيقَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّا ذَكَرْنَا مَا تَيَسَّرَ مِنْ ذِكْرِ أَلْفَاظِهِمْ وَمَنْ رَوَى ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْأَسَانِيدِ الْمُعْتَبَرَةِ.

وَالثَّانِي: ذَكَرْنَا مَنْ نَقَلَ مَذْهَبَ السَّلَفِ مِنْ جَمِيعِ طَوَائِفِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ طَوَائِفِ الْفُقَهَاءِ الْأَرْبَعَةِ، وَمِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالتَّصَوُّفِ وَأَهْلِ الْكَلَامِ كَالْأَشْعَرِيِّ وَغَيْرِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

ولاحظ هناك في "الحموية" حرص شيخ الإسلام على التنوع، نقل عن جميع المذاهب الأربعة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَصَارَ مَذْهَبُ السَّلَفِ مَنْقُولًا بِإِجْمَاعِ الطَّوَائِفِ وَبِالتَّوَاتُرِ لَمْ نُثَبِّتْهُ بِمَجَرَّدِ دَعْوَى الْإِصَابَةِ لَنَا وَالْخَطَأَ

لِمُخَالَفِنَا كَمَا يَفْعَلُ أَهْلُ الْبِدْعِ، ثُمَّ لَفْظُ (التَّجْسِيمِ) لَا يُوجَدُ فِي كَلَامِ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ لَا نَفِيًّا وَلَا إِثْبَاتًا،

فَكَيْفَ يَحِلُّ أَنْ يُقَالَ: مَذْهَبُ السَّلَفِ نَفْيُ التَّجْسِيمِ أَوْ إِثْبَاتُهُ بِلَا ذِكْرِ لِدَلِكِ اللَّفْظِ وَلَا لِمَعْنَاهُ عَنْهُمْ؟

وَكَذَلِكَ لَفْظُ (التَّوْحِيدِ) بِمَعْنَى نَفْيِ شَيْءٍ مِنَ الصِّفَاتِ لَا يُوجَدُ فِي كَلَامِ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ، وَكَذَلِكَ

لَفْظُ (التَّنْزِيهِ) بِمَعْنَى نَفْيِ شَيْءٍ مِنَ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ؛ لَا يُوجَدُ فِي كَلَامِ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ، نَعَمْ لَفْظُ

"التَّشْبِيهِ" مَوْجُودٌ فِي كَلَامِ بَعْضِهِمْ وَتَفْسِيرِهِ مَعَهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وَتَفْسِيرِهِ مَعَهُ: لَمْ يَقُولْ هَكَذَا، نَعَمْ، يَنْفِي التَّشْبِيهِ وَيَفْسِرُهُ بِنَفْيِ الْمِثْلِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

كَمَا قَدْ كَتَبْنَاهُ عَنْهُمْ وَأَنْهُمْ أَرَادُوا بِالتَّشْبِيهِ تَمْثِيلَ اللهِ بِخَلْقِهِ دُونَ نَفِي.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

كقول: ذكر المُحقق هنا كقول إسحاق بن رهويه: إنما يكون التشبيه إذا قال: "يد ك يد"، ومثل يدٍ،

وسماء كسمااء"، نعم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

دُونَ نَفِي الصِّفَاتِ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، وَأَيْضًا فَهَذَا كَلَامُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ -،
وَأَيْضًا فَهَذَا الْكَلَامُ لَوْ كَانَ حَقًّا فِي نَفْسِهِ لَمْ يَكُنْ مَذْكَورًا بِحُجَّةٍ تُتَّبَعُ، وَإِنَّمَا هُوَ مُجَرَّدُ دَعْوَى عَلَى وَجْهِ
الْخُصُومَةِ الَّتِي لَا يَعْجِزُ عَنْهَا مَنْ يَسْتَجِيزُ وَيَسْتَحْسِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِلا عِلْمٍ وَلَا عَدْلٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يقول شيخ الإسلام: هذا الذي تذكره إجراء أنك على مذهب السلف، ونفي هذا عنه: لو كان حقًا في

نفسه أيضًا لم يكن مذکورًا بحجة تُلزمك أن تتبعه؛ لأنه كلام مُرسل، فكيف وأنه مُجرَّد دعوى وليس

صحيحًا؟

حتى ولو كان صحيحًا، دعوى مُجرَّدة، والدعاوى لا بد أن تُقام عليها، يقول: لم يكن مذکورًا بحجة

تُتبع، لأنك هكذا أرسلته، (وَإِنَّمَا هُوَ مُجَرَّدُ دَعْوَى عَلَى وَجْهِ الْخُصُومَةِ الَّتِي لَا يَعْجِزُ عَنْهَا مَنْ يَسْتَجِيزُ

وَيَسْتَحْسِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِلا عِلْمٍ وَلَا عَدْلٍ)؛ هذا فيه تعليل.

يعني هذا فيه تعليل؛ لأن هذا الذي نجدُه في كُتب أولئك لا نستجيزُه نحن، نعم، نحنُ الدعاوى تُتبعها

بالأدلة، بالنظر إلى الدليل؛ ستعرف أنه يجبُ أن يُتبع أو لا يجب.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ثُمَّ إِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى قِلَّةِ الْخَبِيرَةِ بِمَقَالَاتِ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْبِدْعَةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

الذي هو من البداية إلى قوله: (وأيضاً) يُعتبر فقرة، من: (وأيضاً) إلى: (بِلاَ عِلْمٍ وَلَا عَدْلٍ) يعتبر فقرة؛ رد مُستقل.

(ثم إنه يدل): هذا رد مُستقل وفقرة جديدة؛ لأنه ردُّ عليه في دعواه أن الجميع يدعون مذهب السلف.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ثُمَّ إِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى قِلَّةِ الْخَبِيرَةِ بِمَقَالَاتِ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْبِدْعَةِ فَإِنَّهُ قَالَ: "وَكَذَا جَمِيعُ الْمُبْتَدِعَةِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ عَلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ"، فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ بَلْ الطَّوَائِفُ الْمَشْهُورَةُ بِالْبِدْعَةِ كَالْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ لَا يَدْعُونَ أَنَّهُمْ عَلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ بَلْ هَؤُلَاءِ يُكْفَرُونَ جُمْهُورَ السَّلَفِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

من قال لك أنهم يدعون مذهب السلف؟.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَالرَّافِضَةُ تَطْعَنُ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَامَّةِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ وَسَائِرِ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ؛ فَكَيْفَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ عَلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ؟ وَلَكِنْ يَنْتَحِلُونَ مَذْهَبَ أَهْلِ الْبَيْتِ كَذِبًا وَافْتِرَاءً، وَكَذَلِكَ الْخَوَارِجُ قَدْ كَفَرُوا عُثْمَانَ وَعَلِيًّا وَجُمْهُورَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ؛ فَكَيْفَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ عَلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ؟.

الْوَجْهُ الرَّابِعُ: أَنَّ هَذَا الْإِسْمَ لَيْسَ لَهُ ذِكْرٌ فِي كِتَابِ اللهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

الحشو والتجسيم..

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

لَيْسَ لَهُ ذِكْرٌ فِي كِتَابِ اللهِ وَلَا سُنَّةِ رَسُولِهِ، وَلَا كَلَامِ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَلَا مِنْ أُمَّةِ
المُسْلِمِينَ وَلَا شَيْخٍ أَوْ عَالِمٍ مَقْبُولٍ عِنْدَ عُمومِ الْأُمَّةِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

انظر؛ ليس له ذكرٌ في كتاب الله ولا سنة رسوله، ولا كلام أحدٍ من الصحابة والتابعين، ولا من أئمة
المسلمين، آخر شيء: ولا شيخٍ أو عالمٍ مقبولٍ عند عموم الأمة، لا يوجد في شيءٍ منها ذكر هذا اللفظ
والذم به.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ فِي الذَّمِّ بِهِ لَا نَصٌّ وَلَا إِجْمَاعٌ (،) وَلَا مَا يَصِحُّ تَقْلِيدُهُ لِلْعَامَّةِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

هنا: لم يكن في الذم به لا نصٌّ ولا إجماع، هنا نكتب (فاصلة).

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا مَا يَصِحُّ تَقْلِيدُهُ لِلْعَامَّةِ؛ فَإِذَا كَانَ الذَّمُّ بِلا مُسْتَنَدٍ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

(وَلَا مَا يَصِحُّ تَقْلِيدُهُ لِلْعَامَّةِ)؛ لأنه لو كان من عالم الذي يصلح تقليده لبعض العوام، تقول: يعني

حتى هذا لا يوجد.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِذَا كَانَ الذَّمُّ بِلا مُسْتَنَدٍ لِلْمُجْتَهِدِ وَلَا لِلْمُقَلِّدِينَ عُمومًا كَانَ فِي غَايَةِ الْفَسَادِ وَالظُّلْمِ؛ إِذْ لَوْ ذَمَّ بِهِ

بَعْضٌ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

المُجْتَهِدِ نفسه إذا كان يذمُّ أحدًا دون أن يستند إلى شيء؛ كان هذا في غاية الفساد والظلم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

إِذْ لَوْ ذَمَّ بِهِ بَعْضٌ مَنْ يَصْلُحُ لِبَعْضِ الْعَامَّةِ تَقْلِيدُهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَحْتَجَّ بِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(لَمْ يَكُنْ لَهُ)، لمن؟ لهذا المُقلد، (أَنْ يَحْتَجَّ بِهِ) شخص يُقلدُ هذا، وهذا ذمٌّ به بعض النَّاسِ لم يكن له

أن يحتجَّ به لماذا؟ لأن هناك مُقلدٌ آخر، قلَّد هذا الشخص، لا يُقلده.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

إِذِ الْمُقَلِّدُ الْآخَرُ لِمَنْ يَصْلُحُ لَهُ تَقْلِيدُهُ لَا يُذَمُّ بِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

عندنا أربعة أشخاص؛ هذا يصلحُ تقليده، وهذا يصلحُ تقليده، هذا يقلدُ هذا وهذا يُقلدُ هذا، هذا ذم

بعض الأشخاص بشيء فقلدهُ هذا - بدون دليل - هل له أن يلزم هذا المُقلدُ أيضًا؟ ليس؛ لأنه لم يذكر

الدليل.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ثُمَّ مِثْلُ أَبِي مُحَمَّدٍ وَأَمْثَالِهِ لَمْ يَكُنْ يَسْتَحِلُّ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي كَثِيرٍ مِنْ فُرُوعِ الْفِقْهِ بِالتَّقْلِيدِ؛ فَكَيْفَ يَجُوزُ لَهُ

التَّكَلُّمُ فِي أَصُولِ الدِّينِ بِالتَّقْلِيدِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يقول: حتى من باب التقليد، لا يجوز أن يكون هذا حُجَّةً على الآخرين، وأمرٌ آخر أن العز بن عبد

السلام يقول: "لم يكن يستحلُّ أن يتكلم في كثيرٍ من فروع الفقه بالتقليد؛ فكيف يجوز له أن يتكلم في

أصول الدين بالتقليد؟! المُحقق نقل هنا كلامًا جمليًا له، ومن العجب هذا كلامُ العز بن عبد السلام،

كلام جملي له، في الهامش: ومن العجب العُجاب.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمِنَ الْعَجَبِ الْعَجِيبِ أَنَّ الْفُقَهَاءَ الْمُقَلِّدِينَ يَقِفُ أَحَدُهُمْ عَلَى ضَعْفِ مَا أَخَذَ إِمَامِهِ بِحَيْثُ لَا يَجِدُ لِمُضَعَفِهِ مَدْفَعًا وَهُوَ مَعَ هَذَا يُقَلِّدُهُ فِيهِ، وَيَتْرَكُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَقْيَسَةِ الصَّحِيحَةِ لِمَذْهَبِهِ جُمُودًا عَلَى تَقْلِيدِ إِمَامِهِ، بَلْ يَتَحَيَّلُ لِدَفْعِ ظَوَاهِرِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَيَتَأَوَّلُهُمَا بِالتَّأْوِيلَاتِ الْبَعِيدَةِ الْبَاطِلَةِ نِضَالًا عَنِ مُقَلِّدِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

كلام جميل، من أجمل ما يكون، هكذا حالك مع الفروع؛ فكيف تتكلم في أصول الدين، وترسل كلامك هكذا دون أن تذكر له دليلاً؟!!

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالنُّكْتَةُ: أَنَّ الدَّامَ بِهِ إِمَامًا مُجْتَهِدًا وَإِمَامًا مُقَلِّدًا أَمَّا الْمُجْتَهِدُ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ نَصِّ أَوْ إِجْمَاعٍ أَوْ دَلِيلٍ يُسْتَنْبِطُ مِنْهُ ذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لأن المُجتهد يجتهد في الدليل؛ لذلك سُمي مُجتهداً أي يجتهد في الدليل لذلك سُمي مُجتهداً: أي يجتهد في الدليل، والدليل إما من النص أو من الإجماع، أو دليل يستنبط منه ذلك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّ الدَّمَ وَالْحَمْدَ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَقَدْ قَدَّمْنَا بَيَانَ ذَلِكَ، وَذَكَرْنَا أَنَّ الْحَمْدَ وَالذَّمَّ وَالْحُبَّ وَالْبُغْضَ وَالْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ وَالْمُؤَالَاةَ وَالْمُعَادَاةَ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِ الدِّينِ، لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِالْأَسْمَاءِ الَّتِي أَنْزَلَ اللهُ بِهَا سُلْطَانَهُ، فَأَمَّا تَعْلِيْقُ ذَلِكَ بِأَسْمَاءٍ مُبْتَدَعَةٍ فَلَا يَجُوزُ بَلْ ذَلِكَ مِنْ بَابِ شَرْعِ دِينٍ لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ حُدُودِ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وهذا الذي ذكره شيخ الإسلام هذا دين المتكلمين؛ أي في الغالب يذمون بأمورهم وضعوها،

باصطلاحاتٍ هم وضعوها.

قال المصنف رحمه الله:

وَالْمُعْتَزِلَةُ أَيْضًا تُفْسِقُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ طَوَائِفَ، وَتَطْعَنُ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ، وَفِيمَا رَوَوْهُ مِنْ
الْأَحَادِيثِ الَّتِي تُخَالِفُ آرَاءَهُمْ وَأَهْوَاءَهُمْ؛ بَلْ تُكْفِّرُ أَيْضًا مَنْ يُخَالِفُ أُصُولَهُمُ الَّتِي انْتَحَلُوهَا
مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ، فَلَهُمْ مِنَ الطَّعْنِ فِي عُلَمَاءِ السَّلَفِ.

قال الشارح وفقه الله:

(مَنْ يُخَالِفُ أُصُولَهُمُ الَّتِي انْتَحَلُوهَا)، مَنْ: تفصليته من السلف والخلف، كل من خالفهم في أصولهم

من السلف والخلف يكفرونهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَلَهُمْ مِنَ الطَّعْنِ فِي عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَفِي عِلْمِهِمْ مَا لَيْسَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَلَيْسَ انْتِحَالُ مَذْهَبِ السَّلَفِ مِنْ شَعَائِرِهِمْ وَإِنْ كَانُوا يُقَرَّرُونَ خِلَافَةَ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ، وَيُعَظَّمُونَ مِنْ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ وَجُمْهُورِهِمْ مَا لَا يُعَظَّمُهُ أَوْلِيَاكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أولئك: الروافض والخوارج.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَلَهُمْ مِنَ الْقَدْحِ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ مَا لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَهُ، وَلِلنَّظَامِ مِنَ الْقَدْحِ فِي الصَّحَابَةِ مَا لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

نعم، تلميذ أبي الهذيل العلاف، تلميذه وقرينه النَّظَّامِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِنْ كَانَ مِنْ أَسْبَابِ انْتِقَاصِ هَؤُلَاءِ الْمُبْتَدِعَةِ لِلسَّلَفِ هُوَ مَا حَصَلَ فِي الْمُتَسَبِّينِ إِلَيْهِمْ مِنْ نَوْعِ تَقْصِيرٍ وَعُدْوَانٍ، وَمَا كَانَ مِنْ بَعْضِهِمْ مِنْ أُمُورِ اجْتِهَادِيَّةِ الصَّوَابِ فِي خِلَافِهَا فَإِنَّ مَا حَصَلَ مِنْ ذَلِكَ صَارَ فِتْنَةً لِلْمُخَالَفِ لَهُمْ: ضَلَّ بِهِ ضَلَالًا كَبِيرًا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

المُخَالَفِ أصلاً قد وقع في الضلال؛ فكيف إذا وجد في صاحب الحق ما يصرفه عن الحق؟ وهذه

فعلاً فتنة، اللهم لا تجعلنا ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٨٥].

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ الْمَشْهُورِينَ مِنَ الطَّوَائِفِ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الْعَامَّةِ بِالْبِدْعَةِ لَيْسُوا مُتَّحِلِينَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هو يتحدث عن هذا المصطلح بالاصطلاح العام؛ أهل السنة والجماعة، هذا المصطلح له معنيان:

معنى خاص.

ومعنى عام.

المعنى العام: ما يُقابل الرفضة.

المعنى الخاص: بالمعنى الخاص، فلا يدخل فيه حتى بقية المتكلمين.

وهنا يتحدث عن هذا اللقب بالمعنى العام: أن المشهورين من الطوائف بين أهل السنة والجماعة

العام، يعني بالمعنى العام، نعم بالبدعة...

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

(بِالْبِدْعَةِ لَيْسُوا مُتَّحِلِينَ لِلسَّلَفِ بَلْ أَشْهَرُ الطَّوَائِفِ بِالْبِدْعَةِ: الرَّافِضَةُ حَتَّى إِنَّ الْعَامَّةَ لَا تَعْرِفُ مِنْ

شَعَائِرِ الْبِدْعِ إِلَّا الرَّفْضَ وَالسُّنِّيَّ فِي اصْطِلَاحِهِمْ: مَنْ لَا يَكُونُ رَافِضِيًّا.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

هذا بالمصطلح بالمعنى العام.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَذَلِكَ لِإِنَّهُمْ أَكْثَرُ مُخَالَفَةً لِلْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ وَلِمَعَانِي الْقُرْآنِ وَأَكْثَرُ قَدْحًا فِي سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَثْمَتِهَا وَطَعْنًا فِي جُمْهُورِ الْأُمَّةِ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ فَلَمَّا كَانُوا أَبْعَدَ عَنْ مُتَابَعَةِ السَّلَفِ كَانُوا أَشْهَرَ بِالْبِدْعَةِ، فَعَلِمَ أَنَّ شِعَارَ أَهْلِ الْبِدْعِ: هُوَ تَرْكُ انْتِحَالِ اتِّبَاعِ السَّلَفِ، وَلِهَذَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي رِسَالَةِ عَبْدِوسِ بْنِ مَالِكٍ: "أَصُولُ السُّنَّةِ عِنْدَنَا التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ".

وَأَمَّا مُتَكَلِّمَةُ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ مِنَ الْكُلَّابِيَّةِ وَالْكَرَّامِيَّةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ مَعَ الْفُقَهَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ: فَهَوْلَاءِ فِي الْجُمْلَةِ لَا يَطْعَنُونَ فِي السَّلَفِ؛ بَلْ قَدْ يُوَافِقُونَهُمْ فِي أَكْثَرِ جُمَلٍ مَقَالَاتِهِمْ لَكِنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ بِالْحَدِيثِ مِنْ هَوْلَاءِ أَعْلَمَ كَانَ بِمَذْهَبِ السَّلَفِ أَعْلَمَ وَلَهُ اتَّبَعَ، وَإِنَّمَا يُوجَدُ تَعْظِيمُ السَّلَفِ عِنْدَ كُلِّ طَائِفَةٍ بِقَدْرِ اسْتِنَانِهَا وَقِلَّةِ ابْتِدَاعِهَا.

أَمَّا أَنْ يَكُونَ انْتِحَالُ السَّلَفِ مِنْ شِعَائِرِ أَهْلِ الْبِدْعِ: فَهَذَا بَاطِلٌ قَطْعًا، فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُمَكِّنٍ إِلَّا حَيْثُ يَكْثُرُ الْجَهْلُ وَيَقِلُّ الْعِلْمُ).

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إِذَا هَذَا فِيهِ بَيَانٌ أَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ الْبِدْعِ كَمَا تَدْعِي؛ لَا يَتَّحِلُونَ مَذْهَبَ السَّلَفِ، بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّلَفِ مَنَافِرَةٌ شَدِيدَةٌ؛ فَلَا يُمَكِّنُهُمْ أَنْ يَتَّحِلُوا؛ وَبِالتَّالِيِ مِنَ الْخَطَأِ أَنْ تَدْعِي هَكَذَا، جَمِيعَ الْمُبْتَدِعَةِ يَتَّحِلُونَ مَذْهَبَ السَّلَفِ.

يُوضِحُ ذَلِكَ، طَبَعًا فِي قَوْلِهِ يُوَضِّحُ ذَلِكَ وَبَعْدَهُ؛ رَدُّ أَقْوَى مِمَّا سَبَقَ؛ فِيمَا سَبَقَ بَيَّنَّ أَنْ دَعْوَاهُ، أَنْ

جَمِيعَ الطَّوَائِفِ تَدْعِي الْإِنْتِسَابَ إِلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ؛ أَبْطَلَهُ بِذِكْرِ حَالِهِمْ مَعَ السَّلَفِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟! حَالِهِمْ مَعَ السَّلَفِ بَيْنَهُمْ مَنَافِرَةٌ شَدِيدَةٌ فَلَا يُمَكِّنُ؛ الْآنَ يُبَيِّنُ أَنَّكُمْ أَنْتُمْ أَنْظَرُوا إِلَى حَالِكُمْ مَعَ السَّلَفِ، أَنْتُمْ حَالِكُمْ مَعَ السَّلَفِ يَجْعَلُكُمْ أَيْضًا فِي قَرِيبًا مِنْ هَذِهِ الْحَالَةِ فَلَا يَجُوزُ أَنْ تَتَّحِلُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مَذْهَبَ السَّلَفِ وَهَذَا انْتِقَالٌ إِلَيْهِ وَإِلَى جَمَاعَتِهِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

يُوضِّحُ ذَلِكَ: أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِ أَبِي مُحَمَّدٍ مِنْ أَتْبَاعِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ يُصَرِّحُونَ بِمُخَالَفَةِ السَّلَفِ فِي مِثْلِ مَسْأَلَةِ الْإِيمَانِ، وَمَسْأَلَةِ تَأْوِيلِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وغيرها، وغيرها، في القدر، وغيرها في الصحابة، في موضوع التفويض، وإلا فالصحابه مذهبهم يُصرحون مُخالفةً بمخالفة مذهب أهل السلف، ويقولون:

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

يَقُولُونَ: «مَذْهَبُ السَّلَفِ: أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَمَّا الْمُتَكَلِّمُونَ مِنْ أَصْحَابِنَا: فَمَذْهَبُهُمْ كَيْتٌ وَكَيْتٌ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

شوف يعني كيف يغيرون بين مذهب السلف وبين مذهبهم بأنفسهم؟ مذهب السلف كيت وكيت، ومذهب المتكلمين من أصحابنا كيت وكيت؛ أين وضعت السلف أنت الآن؟! وكذلك يقولون..

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ: «مَذْهَبُ السَّلَفِ: أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي الصِّفَاتِ لَا تَتَأَوَّلُ، وَالْمُتَكَلِّمُونَ يُرِيدُونَ تَأْوِيلَهَا إِمَّا وَجُوبًا وَإِمَّا جَوَازًا».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

«إِمَّا وَجُوبًا»: يعني مذهب السلف صار أن يجب خلافه عند بعضهم، يجب أن تُخالف مذهب السلف أو جوازًا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَيَذْكُرُونَ الْخِلَافَ بَيْنَ السَّلَفِ وَبَيْنَ أَصْحَابِهِمُ الْمُتَكَلِّمِينَ، هَذَا مَنْطُوقُ أَلْسِنَتِهِمْ وَمَسْطُورُ كُتُبِهِمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(وَمَسْطُورُ كُتُبِهِمْ): هكذا ينطقون به، ويُصرحون به ويكتبونه؛ نعم، شيء!

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

أَفَلَا عَاقِلٌ يَعْتَبِرُ؟ وَمَعْرُورٌ يَزْدَجِرُ؟: إِنَّ السَّلْفَ نَبَتْ عَنْهُمْ ذَلِكَ حَتَّى بَيَّنَّصِرِيحِ الْمُخَالِفِ ثُمَّ يَحْدُثُ

مَقَالَةً تَخْرُجُ عَنْهُمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

سبحان الله! كيف تتجاسر بالتصريح: أنك أحدثت مقالةً تُخالفُ السلف، ألا تستحي؟! مثل هذا الأسلوب تجده عند ابن القيم أكثر، لأن بين الشيخ وتلميذه وخاصةً في التحمُّل والصبر شيءٌ كثير، تجد في كتب ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ شيئاً من هذا التضجُّر بالحق، عند شيخ الإسلام كثير، عند شيخ الإسلام كثير.

ولكن هنا أنت بنفسك تقول: هذا مذهبُ السلف، وقد تركتهُ وأوجبتهُ خلافه فقلت: كيت وكيت، ما

تستحي، ما عندك عقل؟! يقول: (أَفَلَا عَاقِلٌ يَعْتَبِرُ؟ وَمَعْرُورٌ يَزْدَجِرُ؟: إِنَّ السَّلْفَ نَبَتْ عَنْهُمْ ذَلِكَ حَتَّى بَيَّنَّصِرِيحِ الْمُخَالِفِ ثُمَّ يَحْدُثُ مَقَالَةً تَخْرُجُ عَنْهُمْ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

أَلَيْسَ هَذَا صَرِيحًا: إِنَّ السَّلْفَ كَانُوا ضَالِّينَ عَنِ التَّوْحِيدِ وَالتَّنْزِيهِ، وَعَلِمَهُ الْمُتَأَخَّرُونَ وَهَذَا فَاسِدٌ

بِضَرُورَةٍ الْعَمَلِ الصَّحِيحِ وَالدِّينِ الْمَتِينِ.

وَأَيْضًا فَقَدْ يَنْصُرُ الْمُتَكَلِّمُونَ أَقْوَالَ السَّلْفِ تَارَةً، وَأَقْوَالَ الْمُتَكَلِّمِينَ تَارَةً كَمَا يَفْعَلُهُ غَيْرٌ وَاحِدٍ مِثْلُ:

أَبِي الْمَعَالِي الْجَوِينِي، وَأَبِي حَامِدِ الْغَزَالِيِّ وَالرَّازِي وَغَيْرِهِمْ، وَلَا زِمَ الْمَذْهَبِ الَّذِي يَنْصُرُونَهُ تَارَةً أَنَّهُ هُوَ الْمُعْتَمَدُ؛ فَلَا يُبْتِغُونَ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ وَتَغْلِبُ عَلَيْهِمُ الشُّكُوكُ، وَهَذَا عَادَةٌ اللهُ فَيَمْنُ أَعْرَضَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أحياناً يقول: هذا مذهبُ السلف فيثبتُ عليه، وأحياناً يقول: هذا مذهبُ السلف يجبُ خلافه،

وأحياناً يقول: هذا مذهبُ السلف يجوزُ خلافه؛ فلا يثبتُ على دين، وتغلبُ عليهم الشُّكوك؛ طبعاً إذا لم

يقنعك مذهبُ السلف فلن يقنعك شيء.

اطمئن؛ إذا تركت مذهب السلف فأبشر بكل حيرة وتهوك كما يقول شيخ الإسلام، ولكن الاعتبار هنا بالنظر إلى حاله، أين أنت من السلف؟ أنت الآن ذممت المخالف بأنهم يتسترون بمذهب السلف، وأنت حالك مع السلف هذا الذي ذكره، مذهب السلف كذا، ومذهبي كذا، نعم.

قال المصنف رحمه الله:

وَتَارَةً يَجْعَلُونَ إِخْوَانَهُمُ الْمُتَأَخِّرِينَ.

قال الشارح وفقه الله:

طبعاً في جملة نرجع إليها؛ لأنني ما فهمتها! (ولازم المذهب الذي ينصرونه تارة أنه هو المعتمد). مع التريد الذي ذكره، "وأيضاً قد ينصرون المتكلمون أقوال السلف تارة، وأقوال المتكلمين تارة كما يفعل غير واحد، كم صارت؟ أحياناً السلف، وأحياناً...؛ كفلان وفلان، ولازم المذهب الذي ينصرونه تارة أنه هو المعتمد، هذا التريد هل هو قسم ثالث، أو أحد هذين القسمين؟! ما فهمته نرجع إليه مرة أخرى، بعدما تنتهي من الدرس إن شاء الله، أعلمتم عليه؟

قال المصنف رحمه الله:

وَتَارَةً يَجْعَلُونَ إِخْوَانَهُمُ الْمُتَأَخِّرِينَ أَحَدًا وَأَعْلَمَ مِنَ السَّلَفِ وَيَقُولُونَ: "طَرِيقَةُ السَّلَفِ أَسْلَمٌ وَطَرِيقَةُ

هَؤُلَاءِ أَعْلَمٌ وَأَحْكَمٌ.

قال الشارح وفقه الله:

طبعاً هذه مقولة عندهم متفق عليها، مذهب السلف أسلم، ومذهب الخلف أعلم وأحكم، الذي يستغرب فيها مذهب السلف، ومذهب الخلف؛ هذه المقابلة، مذهب السلف، ومذهب الخلف، والشيء الآخر: ماذا جعلوه للسلف؟ وماذا جعلوه للخلف؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَتَارَةً يَجْعَلُونَ إِخْوَانَهُمُ الْمُتَأَخِّرِينَ أَحَدَقَ وَأَعْلَمَ مِنَ السَّلَفِ وَيَقُولُونَ: "طَرِيقَةُ السَّلَفِ أَسْلَمَ وَطَرِيقَةُ هَؤُلَاءِ الْخَلْفِ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ."

فَيَصِفُونَ إِخْوَانَهُمْ: بِالْفَضِيلَةِ فِي الْعِلْمِ وَالْبَيَانِ وَالتَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ، وَالسَّلَفِ بِالنَّقْصِ فِي ذَلِكَ وَالتَّقْصِيرِ فِيهِ أَوْ الْخَطَأَ وَالْجَهْلَ، وَغَايَتُهُمْ عِنْدَهُمْ: أَنْ يُقِيمُوا أَعْدَارَهُمْ فِي التَّقْصِيرِ وَالتَّفْرِيطِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

مذهبُ السلفِ أسلم؛ طبعاً هذه الجملة ناقشها شيخُ الإسلامِ في "الحموية" مناقشة جميلة جداً، وذكر أن هذه الجملة فيها نبذُ الإسلامِ بالكلية، طبعاً قال: أن هناك بين مصادر القوم، ومصادر السلف، وقول هؤلاء وقول السلف؛ في الأخير حكم بهذا، وذكر أنهم جهال، مناقشة جميلة في "الحموية".
يقول هنا: "مذهبُ السلفِ أسلم"، لماذا أسلم؟ تذكرون هذا، طيب مذهبُ السلف ليس فيه العلم والإحكام، لماذا لم يكونوا على العلم والإحكام؟ تذكرون لهم بعض الأعداء؛ هذا نهاية ما عندكم.
وَغَايَتُهُمْ عِنْدَهُمْ: غَايَةُ السَّلَفِ عِنْدَهُمْ.

أَنْ يُقِيمُوا أَعْدَارَهُمْ فِي التَّقْصِيرِ وَالتَّفْرِيطِ، نَعَمْ لَيْسَ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ إِحْكَامٌ لِمَاذَا؟ كَانَ مَشْغُولِينَ بِالْجِهَادِ، أَكْثَرَ مَا يَذْكُرُونَ مِنْ أَعْدَارِهِمْ كَمَا ذَكَرَهُ الْجَوِينِيُّ وَغَيْرِهِ: كَانُوا مَشْغُولِينَ بِالْجِهَادِ؛ وَلَمْ يَتَفَرَّغُوا لِلْعِلْمِ وَالْإِحْكَامِ، مِنَ الَّذِي تَفَرَّغَ لَهُ؟ الْجَوِينِيُّ وَلَكِنَّهُ أَخَذَهُ مِنَ الْجَهْمِ وَتَلَامِيذُهُ، وَالْجَهْمُ أَخَذَهُ مِنْ - كَمَا ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ - مِنَ الْيَهُودِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا شُعْبَةٌ مِنَ الرَّفْضِ فَإِنَّهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَكْفِيرًا لِلْسَّلَفِ - كَمَا يَقُولُهُ مَنْ يَقُولُهُ مِنَ الرَّافِضَةِ وَالْخَوَارِجِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً أولئك يُصرحون، وهنا ليس هناك تصريح، ولكن..

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا تَفْسِيْقًا لَهُمْ - كَمَا يَقُوْلُهُ مَنْ يَقُوْلُهُ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ وَالزِّيْدِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ - .

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أي أولئك يُفسقون؛ الزيدية والمعتزلة يُفسقون، وأولئك يُكفرون، وإن لم يكن فيه هذا وهذا إلا أنه كان فيه...

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

(كَانَ تَجْهِيلًا لَهُمْ وَتَخْطِئَةً وَتَضْلِيلًا، وَنَسَبَةً لَهُمْ إِلَى الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِسْقًا فَزَعَمًا: أَنَّ أَهْلَ الْقُرُونِ الْمَفْضُولَةِ فِي الشَّرِيْعَةِ أَعْلَمُ وَأَفْضَلُ مِنْ أَهْلِ الْقُرُونِ الْفَاضِلَةِ).

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

كلامكم لا يصل إلى درجة أولئك، ولكنهم جردتموه من الحق؛ لهم الضلالة، ولهم كذا ولهم كذا كل نقيصة لهم، إلا أنكم ما صرحتم بتكفيرهم، وما صرحتم بالخطاب هنا لمن؟ للأشاعرة، ما صرحتم بتفسيقهم كما هو عند المعتزلة والزيدية، إلا أن نصيبهم كان نصيباً سيئاً عندكم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمِنَ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ لِمَنْ تَدَبَّرَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ: أَنَّ خَيْرَ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ - فِي الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ وَالْإِعْتِقَادِ وَغَيْرِهَا مِنْ كُلِّ فَضِيلَةٍ أَنْ خَيْرَهَا - : الْقَرْنُ الْأَوَّلُ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ؛ كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ وَأَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنَ الْخَلْفِ فِي كُلِّ فَضِيلَةٍ: مِنْ عِلْمٍ وَعَمَلٍ وَإِيمَانٍ وَعَقْلِ وَدِينٍ وَبَيَانٍ وَعِبَادَةٍ، وَأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْبَيَانِ لِكُلِّ مُشْكِلٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هكذا يكون تعظيم السلف، هم (أفضل من الخلف في كل فضيلة من علم وعمل وإيمان وعقل ودين وبيان وعبادة)، هو ذكر أيضاً الفضائل التي..

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

هَذَا لَا يَدْفَعُهُ إِلَّا مَنْ كَابَرَ الْمَعْلُومَ بِالضَّرُورَةِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ؛ كَمَا قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَتًّا فَلَيْسَتْ بِيَمَنُ قَدْ مَاتَ؛ فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ أَوْلَيْكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ: أَبْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا وَأَقْلَبَهَا تَكَلُّفًا؛ قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ وَإِقَامَةِ دِينِهِ فَعَرَفُوا لَهُمْ حَقَّهُمْ وَتَمَسَّكُوا بِهِدْيِهِمْ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ».

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

على الهدى المستقيم، طبعًا سبق ...

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ وَقَالَ غَيْرُهُ: «عَلَيْكُمْ بِأَثَارِ مَنْ سَلَفَ فَإِنَّهُمْ جَاءُوا بِمَا يَكْفِي وَمَا يَشْفِي وَلَمْ يَحْدُثْ بَعْدَهُمْ خَيْرٌ كَامِنٌ لَمْ يَعْلَمُوهُ».

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

ولم يحدث: «عَلَيْكُمْ بِأَثَارِ مَنْ سَلَفَ فَإِنَّهُمْ جَاءُوا بِمَا يَكْفِي وَمَا يَشْفِي وَلَمْ يَحْدُثْ بَعْدَهُمْ خَيْرٌ كَامِنٌ لَمْ يَعْلَمُوهُ» (يعني ليس هناك شيء فيه خيرٌ أُدْخِرَ لغيرهم أبدًا).

والمبتدعة: كُلُّ مَنْ يَبْتَدِعُ شَيْئًا يَزْعَمُ بِحَالِهِ أَوْ مَقَالِهِ أَنَّ هَذَا الشَّيْءَ، وَهَذَا الشَّرُّ كَانَ مُدْخَرًا لَهُ؛ لِأَنَّ

الصحابة لم يعلموه، من الذي اكتشفه؟ إذا هو الذي ادَّخَرَ له.

يقول: (وَلَمْ يَحْدُثْ بَعْدَهُمْ خَيْرٌ كَامِنٌ اِكْتَشَفَهُ غَيْرُهُمْ لَمْ يَعْلَمُوهُ).

(هَذَا وَقَدْ قَالَ ﷺ: «لَا يَأْتِي زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقُوا رَبَّكُمْ»).

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

هذا من حيث الجُمْلَة، من حيث الجُمْلَة عموماً، ولكن قد يكون في بعض الأقطار ما بعده أحسن من

الأول؛ هذا من حيث الجُمْلَة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَكَيْفَ يَحْدُثُ لَنَا زَمَانٌ فِيهِ الْخَيْرُ فِي أَعْظَمِ الْأَعْمَالِ وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى؟ هَذَا لَا يَكُونُ أَبَدًا.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

يعني مذهبُ قرنُ السلف من حيثُ الجُملة لم يعلموا هذا العلم، قرنُ الخلف من حيثُ الجُملة كانوا

أسعدَ بهذا العلم، يقول شيخُ الإسلام: (هَذَا لَا يَكُونُ أَبَدًا).

قال المصنَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الشَّافِعِيُّ رحمه الله فِي رِسَالَتِهِ: هُمْ فَوْقَنَا فِي كُلِّ عِلْمٍ وَعَقْلٍ وَدِينٍ وَفَضْلٍ، وَكُلِّ

سَبَبٍ يُنَالُ بِهِ عِلْمٌ أَوْ يُدْرَكُ بِهِ هُدًى وَرَأْيُهُمْ لَنَا خَيْرٌ مِنْ رَأْيِنَا لِأَنْفُسِنَا.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

أحسن له الله، كلامه عميق؛ ذكر أمرين:

(فَهُمْ فَوْقَنَا فِي كُلِّ عِلْمٍ وَعَقْلٍ وَدِينٍ وَفَضْلٍ)، هذا أولاً، (وَفَوْقَنَا فِي كُلِّ سَبَبٍ يُنَالُ بِهِ عِلْمٌ أَوْ يُدْرَكُ بِهِ).

قال المصنَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَأَيْضًا فَيُقَالُ لَهُوَ لَاءِ الْجَهْمِيَّةِ الْكُلَّابِيَّةِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

وهذا في الفقرة الثانية رد على المتكلمين وغيرهم الذين يقولون: نحن عندنا من الوسائل التي لم

تكن متوفرة لهم، بها توصلنا إلى العلم، الإمام الشافعي يقول: (هم في الوسائل والفضائل والعلم

والتحقيق أولى منهم).

قال المصنَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَأَيْضًا فَيُقَالُ لَهُوَ لَاءِ الْجَهْمِيَّةِ الْكُلَّابِيَّةِ كَصَاحِبِ هَذَا الْكَلَامِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

(الجهمية الكلابية) دققوا مع الجهمية الكلابية! أنتم كلابية ولكنهم جهمية، جهمية الأصل.

قال المصنَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

كصاحبِ هَذَا الْكَلَامِ أَبِي مُحَمَّدٍ وَأَمثَالِهِ - كَيْفَ تَدْعُونَ طَرِيقَةَ السَّلَفِ وَغَايَةَ مَا عِنْدَ السَّلَفِ: أَنْ

يَكُونُوا مُوَافِقِينَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

يقول شيخ الإسلام: ما أدري ما الذي تدعيه من السلف؟ بضاعة السلف معروفة؛ وهي موافقتهم

لرسول الله ﷺ، فهل أنت فعلاً موافق لهم فيما يوافقون فيه رسول الله ﷺ تدعي ماذا؟.

قال المصنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

فَإِنَّ عَامَّةَ مَا عِنْدَ السَّلَفِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ: هُوَ مَا اسْتَفَادُوهُ مِنْ نَبِيِّهِمْ ﷺ الَّذِي أَخْرَجَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ

الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَهَدَاهُمْ بِهِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

(ما): هنا ليست نافية موصولة، يعني عامة ما عندهم من العلم والإيمان هو الذي استفادوه من

نبيهم.

قال المصنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَهَدَاهُمْ بِهِ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَيَّ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ

لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الحديد: ٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ

يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨]، ﴿لئَلَّا

يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا

مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ

جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، ﴿صِرَاطِ اللَّهِ

الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥٣].

وَأَبُو مُحَمَّدٍ وَأَمثاله قَدْ سَلَكَوا مَسْلَكَ الْمَلَاحِدَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ الرَّسُولَ لَمْ يُبَيِّنِ الْحَقَّ فِي بَابِ

التَّوْحِيدِ وَلَا بَيْنَ لِلنَّاسِ مَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ بَلْ أَظْهَرَ لِلنَّاسِ خِلَافَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ: إِمَّا كَتَمَهُ وَإِمَّا أَنَّهُ كَانَ غَيْرَ عَالِمٍ بِهِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

طبعاً! لا بد أن تتذكر ما ذكرناه سابقاً وذكره شيخ الإسلام أيضاً من أصل مسلك الملاحدة.

هو العز بن عبد السلام وغيره لما يقول: مذهبُ السَّلَفِ كذا، ومذهبُ الخلفِ كذا، ومذهبُ الخلفِ فيه العلم والإحكام، لماذا يترك هذا ويذهب إلى هناك؟ هناك شيء في مذهب السلف، هناك خلل في مذهب السلف عندهم، طبعاً الملاحدة هذا عام في كل مُلحد، والإلحاد كما تعرفون: كل انحراف في توحيد الأسماء والصفات إلحاد.

📖 لذلك الشيخ ابن عثيمين رحمته الله في "القواعد المثلى" ذكر في القواعد التي تتعلق بالأسماء؛ ذكر جميع الانحرافات، في الأخير ذكر قاعدة تتعلق بالإلحاد، كأنه يقول: كل خلاف فيما ذكرته يدخل في الإلحاد؛ لأن الإلحاد: هو الميل، ولكن يكثر ذكره إطلاقاً على أنواع الإلحاد الذي هو الإنكار، إنكار وجود الله Δ ؛ وإلا كل انحراف هو من الإلحاد.

الملاحدة الذين يقولون: أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبين الحق في باب التوحيد؛ ولو بين للناس ما هو الأمر عليه في نفسه؛ بل أظهر للناس خلاف الحق، والحق إما كتّمه وإما أنه غير عالم به؛ أنتم تسلكون مسلكهم لأنكم تركتم الحق الذي عند السلف، وسبب ترككم في الأخير يؤول إلى ما يذكره هؤلاء الملاحدة، يشرحه شيخ الإسلام؛ فإن هؤلاء...

قال المصنّف رحمه الله:

فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْمَلَا حِدَةَ مِنَ الْمُتَفَلِّسَةِ وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمُ الْمُخَالِفِينَ لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ فِي الْأُمُورِ الْعِلْمِيَّةِ كَالتَّوْحِيدِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

الأُمُورِ الْعِلْمِيَّةِ: هي أمور الاعتقاد.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الأُمُورُ الْعِلْمِيَّةُ كَالتَّوْحِيدِ وَالْمَعَادِ وَغَيْرِ ذَلِكَ يَقُولُونَ: إِنَّ الرَّسُولَ أَحْكَمَ الْأُمُورِ الْعَمَلِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْأَخْلَاقِ وَسِيَاسَةِ الْمَنْزِلَةِ وَالْمَدِينَةِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

مدنية عامة، نعم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَتَى بِشَرِيْعَةٍ عَمَلِيَّةٍ هِيَ أَفْضَلُ شَرَائِعِ الْعَالَمِ وَيَعْتَرِفُونَ بِأَنَّهُ لَمْ يَقْرَعْ الْعَالَمَ نَامُوسٌ أَفْضَلُ مِنْ نَامُوسِهِ وَلَا أَكْمَلُ مِنْهُ، فَإِنَّهُمْ رَأَوْا حُسْنَ سِيَاسَتِهِ لِلْعَالَمِ وَمَا أَقَامَهُ مِنْ سُنَنِ الْعَدْلِ وَمَحَاهُ مِنَ الظُّلْمِ. وَأَمَّا الْأُمُورُ الْعِلْمِيَّةُ الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا - مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ وَأَسْمَائِهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ - فَلَمَّا رَأَوْهَا تُخَالِفُ مَا هُمْ عَلَيْهِ صَارُوا فِي الرَّسُولِ فَرِيقَيْنِ، فَعَلَاتُهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ هَذِهِ الْمَعَارِفَ؛ وَإِنَّمَا كَانَ كَمَالِهِ فِي الْأُمُورِ الْعَمَلِيَّةِ: الْعِبَادَاتُ وَالْأَخْلَاقُ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

في الْأُمُورِ الْعَمَلِيَّةِ: هُنَا نَقْطَتَيْنِ وَبَدَوْنَهَا ل...، وَالْأُمُورِ الْعَمَلِيَّةِ: هِيَ الْعِبَادَاتُ وَالْأَخْلَاقُ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمَّا الْأُمُورُ الْعِلْمِيَّةُ: فَالْفَلَسَفَةُ أَعْلَمُ بِهَا مِنْهُ؛ بَلْ وَمِنْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَهُؤُلَاءِ يَقُولُونَ: إِنَّ عَلِيًّا كَانَ فَيْلَسُوفًا وَأَنَّهُ كَانَ أَعْلَمَ بِالْعِلْمِيَّاتِ مِنَ الرَّسُولِ، وَأَنَّ هَارُونَ كَانَ فَيْلَسُوفًا وَكَانَ أَعْلَمَ بِالْعِلْمِيَّاتِ مِنْ مُوسَى، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يُعْظَمُ فِرْعَوْنَ وَيُسَمُّونَهُ أَفْلَاطُونَ الْقِبْطِيِّ، وَيَدَّعُونَ أَنَّ صَاحِبَ مَدِينِ الَّذِي تَزَوَّجَ مُوسَى ابْنَتَهُ - وَالَّذِي يَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ إِنَّهُ شُعَيْبٌ - يَقُولُ هُوَ لَآءِ: إِنَّهُ أَفْلَاطُونَ أُسْتَاذُ أَرِسْطُو وَيَقُولُونَ: إِنَّ أَرِسْطُو هُوَ الْخَضِرُ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

⤵️ لاحظوا! أنه في كل ما ذكره هناك من هو أعلم من النبي، أعلم من الرسول الذي يذكرونه علي -

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فيلسوف صلته بالنبي ﷺ ستعلم بعد أن نعلم أين الفيلسوف منها؟

هارون فيلسوف، وكان أعلم بالعلميات من موسى، كثيرٌ منهم يُعظَّم فرعون ويسمونه: أفلاطون القبطي: يعني أفلاطون مصر؛ لأن أفلاطون الثاني هو من اليونان، ويدَّعون أن صاحب مدين الذي تزوج موسى ابنته، الذي يقول بعض الناس إنه شعيب.

كطبعًا شيخ الإسلام يُخالف يعني، أي هو يقول: ليس شعيب عليه السلام النبي المعروف، له كلامٌ طويلٌ في هذا، يقول: هو ليس شعيب، هو رجلٌ صالحٌ آخر، هذا رأي شيخ الإسلام، والذي يقرأ عنه يطمئن له. يقولون: إنه أفلاطون أستاذُ أرسطو وهذا خطأ، لأن أفلاطون كان قبل المسيح بأقل من أربعمئة سنة، والمسيح بعد موسى بمدةٍ طويلة، فيكون سائلٌ مدين قبل أفلاطون، حتى من الناحية الزمنية لا يستقيم.

ثم يقولون: أرسطو هو الخضر انظر كيف يربطون الفلسفة بالمشاهير! حتى يكون لإلحادهم مخرج عن طريق أولئك المشاهير، أرسطو هو الخضر والخضر قبل أرسطو بزمانٍ طويل هكذا يقولون لماذا؟ حتى يُعظموا الفلسفة وحتى تجد الفلسفة موطأ قدم عن طريق أولئك المشاهير. يعني هم لما يقولون أن عليّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فيلسوف؛ ليس حُبًّا في علي، وإنما تمريرًا لباطلهم من هذا الطريق، نعم، وهكذا في من بعده.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

إِلَى أَمْثَالِ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي فِيهِ مِنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا ذُو الْجَلَالِ، أَقَلُّ مَا فِيهِ جَهْلُهُمْ بِتَوَارِيخِ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ أَرِسْطُو بَاتَّفَاقِهِمْ كَانَ وَزِيرًا لِلْإِسْكَانْدَرِ بْنِ فِيلِبَسِ الْمَقْدُونِيِّ الَّذِي تُورِّخُ بِهِ الْيَهُودُ وَالتَّصَارِي التَّارِيخِ الرَّومِيِّ، وَكَانَ قَبْلَ الْمَسِيحِ بِنَحْوِ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ وَقَدْ يَظُنُّونَ أَنَّ هَذَا هُوَ (ذُو الْقَرْنَيْنِ).

قال الشَّارح وفقه الله:

أن أرسطو تلميذ أفلاطون.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ يَظُنُّونَ أَنَّ هَذَا هُوَ (ذُو الْقَرْنَيْنِ) الْمَذْكُورُ فِي الْقُرْآنِ، وَأَنَّ أَرِسْطُو كَانَ وَزِيرًا لِذِي الْقَرْنَيْنِ الْمَذْكُورِ فِي الْقُرْآنِ وَهَذَا جَهْلٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وبالتالي: يكون له من الوصف والسمعة الطيبة ما لذي القرنين، هكذا يقولون، يقول: (وهذا جهل)

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا جَهْلٌ فَإِنَّ هَذَا الْإِسْكَندَرَ بْنَ فِيلِبَسَ لَمْ يَصِلْ إِلَى بِلَادِ التُّرْكِ وَلَمْ يَبْنِ السَّدَّ، وَإِنَّمَا وَصَلَ إِلَى بِلَادِ الْفُرْسِ، وَذُو الْقَرْنَيْنِ الْمَذْكُورُ فِي الْقُرْآنِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً بلاد التُّرك عند الجُغرافيين القدامى الجُغرافيون العرب هي ما بعد وراء النهر، ما بعد وراء النهر كانوا يُسمونها بلاد التُّرك، ليست هذه التي .. لا، بلاد التُّرك هناك على الاصطلاح الجديد لما يصلون إلى الفُرس يكونون قد تجاوزوا التُّرك أليس كذلك؟!

لا ليسوا هذا حتى مقدونيا مقدونيا يذكر شيخ الإسلام: أنها جزيرة في وقته ليست مأهولة، وهي مأهولة الآن، فبلاد التُّرك هي بعد ما وراء النهر.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَصَلَ إِلَى شَرْقِ الْأَرْضِ وَعَرَبِيهَا، وَكَانَ مُتَقَدِّمًا عَلَى هَذَا يُقَالُ: إِنَّ اسْمَهُ الْإِسْكَندَرُ بْنُ دَارَا وَكَانَ مُوَحَّدًا مُؤْمِنًا؛ وَذَلِكَ مُشْرِكًا كَانَ يَعْبُدُ هُوَ وَقَوْمُهُ الْكَوَاكِبَ وَالْأَصْنَامَ، وَيَعَانُونَ السَّحَرَ كَمَا كَانَ أَرِسْطُو وَقَوْمُهُ مِنَ الْيُونَانِ مُشْرِكِينَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَيَعَانُونَ السَّحَرَ، وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ مُصَنَّفَاتٌ وَأَخْبَارُهُمْ مَشْهُورَةٌ وَأَثَارُهُمْ ظَاهِرَةٌ بِذَلِكَ، فَأَيْنَ هَذَا مِنْ هَذَا، وَالْمَقْصُودُ هُنَا: بَيَانُ مَا يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ الْفَلَّاسِفَةُ الْبَاطِنِيَّةُ فِيمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إِذَا الْفَرِيقُ الْأَوَّلُ يَرَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَا كَانَ يَدْرِي أَصْلًا، الْفَرِيقُ الثَّانِي ...

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْفَرِيقُ الثَّانِي مِنْهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الرَّسُولَ كَانَ يَعْلَمُ الْحَقَّ الثَّابِتَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ فِي التَّوْحِيدِ وَالْمَعَادِ، وَيَعْرِفُ أَنَّ الرَّبَّ لَيْسَ لَهُ صِفَةٌ ثُبُوتِيَّةٌ، وَأَنَّهُ لَا يَرَى وَلَا يَتَكَلَّمُ، وَأَنَّ الْأَفْلَاكَ قَدِيمَةٌ أَزَلِيَّةٌ لَمْ تَزَلْ وَلَا تَزَالْ وَأَنَّ الْأَبْدَانَ لَا تَقُومُ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لِلَّهِ مَلَائِكَةٌ هُمْ أَحْيَاءٌ نَاطِقُونَ يَنْزِلُونَ بِالْوَحْيِ مِنْ عِنْدِهِ وَيَصْعَدُونَ إِلَيْهِ؛ وَلَكِنْ يَقُولُ بِمَا عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْبَاطِنِيَّةُ فِي الْبَاطِنِ لَكِنْ مَا كَانَ يُمَكِّنُهُ إِظْهَارُ ذَلِكَ لِلْعَامَّةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أَي لَكِنْ مَا كَانَ يُمَكِّنُهُ: أَي النَّبِيُّ ﷺ إِظْهَارُ ذَلِكَ لِلْعَامَّةِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

لِأَنَّ هَذَا إِذَا ظَهَرَ لَمْ تَقْبَلْهُ عُقُولُهُمْ وَلَا قُلُوبُهُمْ بَلْ يُنْكِرُونَهُ وَيَنْفِرُونَ مِنْهُ، فَأَظْهَرَ لَهُمْ مِنَ التَّخْيِيلِ وَالتَّمْثِيلِ مَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ فِي دِينِهِمْ، وَإِنْ كَانَ فِي ذَلِكَ تَلْبِيسٌ عَلَيْهِمْ وَتَجْهِيلٌ لَهُمْ وَاعْتِقَادُهُمْ الْأَمْرَ عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَصْلَحَةِ لَهُمْ.

وَيَجْعَلُونَ أُمَّةَ الْبَاطِنِيَّةِ كِبْنِي عُبَيْدِ بْنِ مَيْمُونِ الْقَدَّاحِ الَّذِينَ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ؛ وَلَمْ يَكُونُوا مِنْ أَوْلَادِهِ؛ بَلْ كَانَ جَدُّهُمْ يَهُودِيًّا رَبِيبًا لِمَجُوسِيٍّ وَأَظْهَرُوا التَّشْيِيعَ، وَلَمْ يَكُونُوا فِي

الْحَقِيقَةَ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ مِنَ الشَّيْعَةِ: لَا الْإِمَامِيَّةَ وَلَا الزَّيْدِيَّةَ، بَلْ وَلَا الْغَالِبَةَ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ إِلَهِيَّةَ عَلِيٍّ أَوْ نُبُوَّتَهُ؛ بَلْ كَانُوا شَرًّا مِنْ هَؤُلَاءِ كُلِّهِمْ.

وَلِهَذَا كَثُرَ تَصَانِيفُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي كَشْفِ أَسْرَارِهِمْ وَهَتْكِ أَسْتَارِهِمْ وَكَثُرَ غَزْوُ الْمُسْلِمِينَ لَهُمْ، وَقَصَصُهُمْ مَعْرُوفَةٌ، وَابْنُ سِينَا وَأَهْلُ بَيْتِهِ كَانُوا مِنْ أَتْبَاعِ هَؤُلَاءِ عَلَى عَهْدِ حَاكِمِهِمُ الْمِصْرِيِّ، وَلِهَذَا دَخَلَ ابْنُ سِينَا فِي الْفَلَسَفَةِ.

وَهَؤُلَاءِ يَجْعَلُونَ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ هُوَ الْإِمَامُ الْمَكْتُومُ وَأَنَّهُ نَسَخَ شَرَعَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةَ كَانُوا أُمَّةً مَعْصُومِينَ؛ بَلْ قَدْ يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَقَدْ يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ آلَ اللَّهِ يُعْبَدُونَ؛ وَلِهَذَا أَرْسَلَ الْحَاكِمُ غَلَامَهُ "هَشْتَكِير" الدَّرْزِيَّ إِلَى وَادِي تَيْمِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بِالشَّامِ).

قال الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ :

الحاكم الذي كان في مصر أرسل غلامه "هشتكير" الدرزي إلى وادي تيم الله بن ثعلبة بالشام، وهذه الآن في لبنان، نعم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

فَأَفْضَلُ أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ وَبَقَايَاهُ فِيهِمْ إِلَى الْيَوْمِ يَقُولُونَ بِالْإِلَهِيَّةِ الْحَاكِمِ.

قال الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ :

يقول شيخ الإسلام: هم موجودين إلى يومه، وهم موجودون إلى أيامنا هذه أيضًا، الدرزيون، الدرروز.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَبَقَايَاهُ فِيهِمْ إِلَى الْيَوْمِ يَقُولُونَ بِالْهَيْئَةِ الْحَاكِمِ، وَقَدْ أَخْرَجَهُمْ عَنِ دِينِ الْإِسْلَامِ؛ فَلَا يَرُونَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ: وَلَا صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَلَا حَجَّ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَلَا تَحْرِيمَ مَا حَرَّمَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الْمَيْتَةِ وَالْدَّمِ وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ وَالْخَمْرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَهَؤُلَاءِ يَدْعُونَ الْمُسْتَحْيِبَ لَهُمْ أَوَّلًا إِلَى التَّشْيِيعِ وَالتَّزَامِ مَا تُوجِبُهُ الرَّافِضَةُ وَتَحْرِيمِ مَا يُحَرِّمُونَهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا من باب التلبيس، هذا هو الباب الذي يدخلونهم منهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ثُمَّ بَعْدَ هَذَا يَنْقُلُونَهُ دَرَجَةً بَعْدَ دَرَجَةٍ حَتَّى يَنْقُلُونَهُ فِي الْآخِرِ إِلَى الْإِنْسِلَاحِ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّ الْمَقْصُودَ: هُوَ مَعْرِفَةُ أَسْرَارِهِمْ وَهُوَ الْعِلْمُ الَّذِي بِهِ تَكْمُلُ النَّفْسُ كَمَا تَقُولُهُ الْفَلَاسِفَةُ الْمَلَا حِدَةً، فَمَنْ حَصَلَ لَهُ هَذَا الْعِلْمُ وَصَلَ إِلَى الْغَايَةِ، وَسَقَطَتْ عَنْهُ الْعِبَادَاتُ الَّتِي تَحِبُّ عَلَى الْعَامَّةِ: كَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ وَحَجِّ الْبَيْتِ وَحَلَّتْ لَهُ الْمُحَرَّمَاتُ الَّتِي لَا تَحِلُّ لِغَيْرِهِ.

فَهَؤُلَاءِ يَجْعَلُونَ الرَّسُولَ ﷺ إِذَا عَظَّمُوهُ وَقَالُوا: كَانَ كَامِلًا فِي الْعِلْمِ مِنْ جِنْسِ رُءُوسِهِمُ الْمَلَا حِدَةً.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني إن عظموه جعلوه من جنس رؤوسهم الملاحدة، هم معظمون، وهذا معظم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَنَّهُ كَانَ يُظْهِرُ لِلْعَامَّةِ خِلَافَ مَا يُبْطِنُهُ لِلْخَاصَّةِ، وَقَدْ بَيَّنَّا مِنْ فَسَادِ أَقْوَالِهِمْ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ مَا لَا يُنَاسِبُهُ هَذَا الْمَقَامُ، فَإِنَّ الْمَقْصُودَ هُنَا: أَنَّ هَؤُلَاءِ النُّفَاةَ لِلْعُلُوِّ وَلِلصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ: كصاحبِ الْمُلْحَةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

صاحبُ الْمُلْحَةِ هو العز بن عبد السلام.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمْثَالِهِ يَقُولُونَ فِي الرَّسُولِ مِنْ جِنْسِ قَوْلِ هَؤُلَاءِ: إِنَّ الَّذِي أَظْهَرَهُ لَيْسَ هُوَ الْحَقُّ الثَّابِتُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، لِأَنَّ ذَلِكَ مَا كَانَ يُمَكِّنُهُ إِظْهَارُهُ لِلْعَامَّةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هكذا يقولون صراحةً، قلت لكم: الرازي نقل كلام ابن سينا كاملاً، وأن ما نجده من التشبيه والتجسيم في قضية العلو، وأن الكتب الإلهية كلها فيها تشبيه وتجسيم، الرازي يقول. وليس فيها إشارة إلى المذهب الحق، وهذا كان لاستدراج العوام، لأن العوام لا يتحملون لو قيل لهم: اعبدوا رباً ليس فوق، وليس تحت، وليس يمين وليس شمال، مع إشاراتٍ دقيقة تفتن لها هو وأمثاله.

يقول شيخ الإسلام هنا: (وَأَنَّ الَّذِي أَظْهَرَهُ عِنْدَكُمْ لَيْسَ هُوَ الْحَقُّ الثَّابِتُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ)؛ ولذلك خالفتموه، مذهبُ السلف كذا، ومذهبُ الخلف كذا، مؤدى ما تعدى إليه صنيعكم هو مؤدى ما تعدى إليه صنيعه، نفس الشيء.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِذَا كَانُوا يَقُولُونَ: هَذَا فِي الرَّسُولِ نَفْسِهِ فَكَيْفَ قَوْلُهُمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

نحن نتحدث هنا عن هذه المسائل، وإلا من حيث العموم هم ملاحدة وهؤلاء مسلمون.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَكَيْفَ قَوْلُهُمْ فِي أَتْبَاعِهِ مِنْ سَلْفِ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ؟ وَمَنْ كَانَ هَذَا أَصْلَ قَوْلِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إذا كانوا يقولون هذا في الرسول نفسه؛ فكيف القول في أتباعه من سلف الأمة من الصحابة والتابعين؟! نعم واضح هذا موقفكم من النبي ﷺ؛ ولذلك لم تأخذوا الحق الذي عنده.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَنْ كَانَ هَذَا أَصْلَ قَوْلِهِ فِي الرَّسُولِ وَالسَّابِقِينَ الْأَوْلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ؛ كَانَ مُخَالِفًا لَهُمْ لَا مُوَافِقًا؛ لَا سِيَّمَا إِذَا أَظْهَرَ النَّبِيَّ الَّذِي كَانَ الرَّسُولُ وَخَوَاصُّ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ يُبْطِنُونَهُ وَلَا يُظْهِرُونَهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

قوله: (الرَّسُولُ ﷺ وَخَوَاصُّ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ يُبْطِنُونَهُ وَلَا يُظْهِرُونَهُ)، وخواص أصحابه عنده يُبْطِنُونَهُ

وَلَا يُظْهِرُونَهُ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّهُ يَكُونُ مُخَالِفًا لَهُمْ أَيْضًا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لأنه أظهر ما لم يُظهره الرسول ﷺ؛ ألا يسعك ما وسع الرسول؟! ألا يسعك ما وسع الصحابة؟! هم ما أظهروا وأنت أظهرت لماذا؟ على هذا أيضًا تكون مُخَالِفًا، وعلى الواقع أيضًا أنت مُخَالِفٌ، على الواقع مذهبك غير، ومذهبه غير، أنت تُفسره بأن الحق الثابت لم يُظهره النبي ﷺ وأظهرته، أعطاك إشارة وأنا صرحتُ به.

يقول شيخ الإسلام، طيب هو ما أظهر، أنت لماذا تُظهره؟ إذا أظهرت ما لم يُظهره وبالتالي تكون

مُخَالِفًا لَهُمْ أَيْضًا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا الْمَسْئَلُ يَرَاهُ عَامَّةُ النَّفَاةِ كَابْنِ رُشْدِ الْحَفِيدِ وَغَيْرِهِ، وَفِي كَلَامِ أَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ مِنْ هَذَا قِطْعَةٌ كَبِيرَةٌ، وَابْنُ عَقِيلٍ وَأَمْثَالُهُ قَدْ يَقُولُونَ أَحْيَانًا هَذَا، لَكِنَّ ابْنَ عَقِيلٍ الْغَالِبُ عَلَيْهِ إِذَا خَرَجَ عَنِ السُّنَّةِ أَنْ يَمِيلَ إِلَى التَّجَهُمِ وَالْإِعْتِرَالِ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ؛ بِخِلَافِ آخِرِ مَا كَانَ عَلَيْهِ فَقَدْ خَرَجَ إِلَى السُّنَّةِ الْمَحْضَةِ. وَأَبُو حَامِدٍ يَمِيلُ إِلَى الْفَلَسَفَةِ لَكِنَّهُ أَظْهَرَهَا فِي قَالِبِ التَّصَوُّفِ وَالْعِبَارَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَلِهَذَا رَدَّ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى أَخْصَّ أَصْحَابِهِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ فَإِنَّهُ قَالَ: «شَيْخُنَا أَبُو حَامِدٍ دَخَلَ فِي بَطْنِ الْفَلَسَفَةِ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُمْ فَمَا قَدَرَ»؛ وَقَدْ حُكِيَ عَنْهُ مِنَ الْقَوْلِ بِمَذَاهِبِ الْبَاطِنِيَّةِ مَا يُوجَدُ تَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كُتُبِهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ الْمَذْكُورُونَ قَبْلُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

نقف هنا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ثُمَّ قَالَ الْمُعْتَرِضُ: قَالَ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الرَّدِّ عَلَى الْحَنَابِلَةِ: " إِنَّهُمْ أَثْبَتُوا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَيْنًا وَصُورَةً وَيَمِينًا وَشِمَالًا وَوَجْهًا زَائِدًا عَلَى الذَّاتِ وَجَبْهَةً وَصَدْرًا وَيَدَيْنِ وَرِجْلَيْنِ وَأَصَابِعَ وَخِنْصِرًا وَفَخْدًا وَسَاقًا وَقَدَمًا وَجَنْبًا وَحَقْوًا وَخَلْفًا وَأَمَامًا وَصُعُودًا وَنُزُولًا وَهَرَوَلَةً وَعُجْبًا؛ لَقَدْ كَمَّلُوا هَيْئَةَ الْبَدَنِ وَقَالُوا: يُحْمَلُ عَلَى ظَاهِرِهِ وَلَيْسَتْ بِجَوَارِحَ، وَمِثْلُ هَؤُلَاءِ لَا يُحَدِّثُونَ فَإِنَّهُمْ يُكَابِرُونَ الْعُقُولَ وَكَأَنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ الْأَطْفَالَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذه القطعة من كلام ابن الجوزي، تستمر معنا إلى نهاية حديث شيخ الإسلام عن الرد على الاعتراضات التي اعترضت عليه إلى نهاية مبحث المنطق يستمر معنا، وهذه القطعة يقول المحقق: أنها مأخوذة من "جواب الاعتراضات المصرية"، والدكتور عبد العزيز يُخالفه، يقول: لا، هذه القطعة من صميم هذا الكتاب، وهذا الذي أميل إليه، أن هذه القطعة من الكتاب هذا، وليس مأخوذةً من "جواب الاعتراضات المصرية" ولا نخوض في ذكر الأدلة، والأدلة التي ذكرها المحقق.

والكتاب الذي نقل عنه العز بن عبد السلام نقل عنه شيخ الإسلام كتاب العز المُلحق، قرأته من بدايته إلى نهايته، ولم أجد فيه هذه القطعة، -كما تذكرون- ما سبق كان نقله شيخ الإسلام عن العز بن عبد السلام، ثم ناقشه ورد عليه بالتفصيل أليس كذلك؟

ونفترض أن يكون المعترض هذا، ثم قال المعترض: (نفترض أن يكون هو العز بن عبد السلام).

ابن الجوزي توفي سنة (٥٩٧) والعز بن عبد السلام وُلِدَ سنة خمس مائة وفوق السبعين، يعني سبعة وسبعين أو، وبالتالي من الناحية التاريخية يسبق أن يكون ابن الجوزي من مصادر العز بن عبد السلام، من الناحية التاريخية يسقط، ولكن هل نقله العز كتابه المحلق وهو في كتاب آخر؟ الله أعلم، ولكن هذا النقل منه فيما يظهر لنا من العز بن عبد السلام، والمُعترض هنا هو العز بن عبد السلام، هذا الذي يبدو لي. هذا أولاً.

ثانياً: هذه القطعة التي قرأت علينا من أسوأ ما كتب، شخص في مستوى ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ والذي له من الكُتُب ما صارت له الركبان، كتبه في التفسير كتبه في الوعظ، كتبه معروف ابن الجوزي الحنبلي، ولكنه أَلَفَ هذا الكتاب وهذه القطعة من هذا الكتاب، هذه القطعة التي قرأت، نقلها المُعْتَرِض من هذا الكتاب، (دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه).

معنى عنوان الكتاب: أن هناك شُبُهًا أوقعت الناس في التشبيه يدفعها ابن الجوزي - رَحِمَهُ اللهُ - بأكف التنزيه، وحقَّق هذا الكتاب مَنْ؟ لو بحثتم عن الكذابين ممن كتب في مثل هذه الأمور لن تجدوا أكذب من هذا الرجل، أنا أكرر هذا ما وجدت من أستطيع أن أجزم أنه يكذب في كل مَنْ تعاملت معه، تعاملت مع مثل هذا الرجل هو سعيد فودة، يكذب على الصحابة، يكذب على أم المؤمنين، عشر دراهم يقول: أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ممن تقول: أن الله ﷻ لا يرى في الآخرة.

- يكذب على المُحدِّثين ويرى أن المُحدِّثين لا يرون بأخبار الآحاد، وأن أخبار الآحاد لا تُفيد اليقين، كالإمام البخاري أين أنت منه؟ عقد كتاب مستقلاً كتاب (أخبار الآحاد) في هذه القضية.

المهم حقَّقه وملاه بما يحلو له من السب والشتم، مما يترفع عنه العاقل هذا الرَّجُل.

وفي أثناء الكتاب في المتن نفسه أضاف أموراً هي من النَّاحِيَةِ الفنية غريبة جداً.

مثلاً: المؤلف يقول: قال أبو يعلى بين قوسين: (المُجَسِّم) ملاً هذا في صميم الكتاب، دون أن يُبين وأنت تظن، قال أبو حامد بين قوسين: (المجسم) من المحقق هذا ليس من ابن الجوزي قال أبو يعلى كثير، بين القوسين: (المجسم).

من الناحية الأمنية انظر قال القاضي أبو يعلى هذا كله من هذا المخلوق، وهكذا تكون أمانة هؤلاء المبتدعة، ما أحد ردَّ عليه في هذه الأمور، حتى أنا لَمَّا قرأت استغربت هل هذا كله من ابن الجوزي، إذا كان من ابن الجوزي الأسلوب غريب، إذا كان منه فلماذا بين القوسين ما يحتاج، الذي يُذكر بين القوسين ما كان من نُسخٍ أُخرى، هكذا والعرف عند مَنْ يُحققون الكتاب، ثمَّ عرفت أن هذا من السَّقَاف. وهذا الكتاب الذي أَلَفَ ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ كتابه من أغرب ما يكون، تراه هو مصدر كل من جاء بعد

ابن الجوزي، ابن الجوزي كما قلت توفي سنة (٥٩٧) والرازي توفي سنة (٦٠٦) يعني هم مُتعاصرون في عصرٍ واحد.

وجدت أنّ هناك بعض ما ذكره ابن الجوزي موجودٌ عند الرازي، هل هو منه أو هذا؟ والاحتمال وارد، أو هل أخذنا من طرفٍ ثالث؟ ما ندرى، ما وجدت إلا عند هذا أو عند الرازي، فهل هناك مصدرٌ ثالث؟ قد يكون امصدر آخر أخذوا منه تواردوا عليه؟ وقد يكون أحدهما أخذ من الثاني.

ابن الجوزي في هذا الكتاب يدّعي أنّ ثلاثة فقط من الحنابلة يرون الإثبات، وهذا في حد ذاته تغييبٌ للقضية بشكلٍ خطير. طيب أين الإمام أحمد؟ الإمام أحمد جعله...: بأنّ ثلاثة من الحنابلة يقولون هذا، من البداية خلطٌ للقضية، الذين يقولون بالإثبات من الحنابلة خلقٌ لا يحصون أولهم: إمامهم بل إمام أهل السُّنة الإمام أحمد.

من الغريب الذي وقفتُ عليه هنا أيضًا، نظرية ابن سينا، بعينها من كلامه أنّ الناس خُوطبوا بما خُوطبوا من التشبيه والتجسيم، لأنهم يتعلقون بالمحسوسات وإذا دُعوا إلى شيءٍ ليس يمين وليس أمام، وليس وليس وليس، قد لا يؤمنون.

أيضًا فيه بعض الأمور نسبها إلى الإمام أحمد، -وأنا أشك في هذا الرجل - لأنه معروف، أنا أشك أنها من ابن الجوزي نفسه على ما فيه، يبدو أنّ الرجل هذا تصرّف في الكتاب، وزاد أمورًا ليست من ابن الجوزي، مع أنّ كلام ابن الجوزي غريب، مع ذلك هناك أمورٌ نسبت إلى الإمام أحمد غريبة جدًا منها مثلاً:

يقول طبعًا: فإن قال قائل: ما الذي دعا رسول الله ﷺ أن يتكلم بألفاظ للأمة بالتشبيه؟ ذكر ما أكدته لكم نظرية ابن سينا، وهُنا تنقيب لِمَا سكت السلف عن تفسير الأحاديث؟ ما سكتوا، وقالوا: «أمروها كما جاءت» كيف جاءت ألفاظ تدل على معاني.

يقول: قلت لثلاثة أوجه:

أحدها: أنها ذُكرت للإيناس والوجود، فإذا فُسرت لم يحصل الإيناس، لأن فيها ما لا بُدَّ من تأويله،

هذا اتهام خطير.

وقال أحمد بن حنبل: «إنما صرفه إلى ذلك أدلة العقل، فإنه لا يجوز عليه الانتقال»، أدلة العقل

صرفته، فهل هذا من ابن الجوزي؟ أو هل هذا من حسن السقاف؟

على كل حال هذه القطعة من هذا الكتاب، هذا الكتاب يحتفي به المبتدعة بشكل لأنه جاء طبق من

ذهب، كل ما يقولونه وأكثر مما يقولونه موجود في هذا الكتاب، والكتاب لأحد أئمة الحنابلة، يقول: هنا

(قال أبو الفرج ابن الجوزي في الرد على الحنابلة) طبعاً سيكون هناك تعليق لشيخ الإسلام في كل ما ذكره

في الرد على الحنابلة.

(إنهم أثبتوا لله سبحانه عين) من الذي أثبت لله ﷻ؟ هو نفسه، ويمينا، طبعاً بعض ما ذكره زاد فيه،

ووجهاً زائداً على الذات، ماذا تقصد أنه زائد على الذات؟ الله ﷻ أثبت لنفسه وجهاً يليق بكماله

وجلاله، وأنت تقول: أثبت لنفسه وجهاً زائداً على الذات، كأن هناك شيء مضاف إلى ذاته سبحانه

وجبهةً وصدراً إلى آخر ما استمعنا إليه.

ثم يقول: (واعجباً لقد كملوا هيئة البدر) سبحان الله! سبحان الله! وقالوا: مع هذا كله يحمل على

ظاهره، لا يمكن أن يحمل على ظاهره، وقالوا مع هذا كله هي ليست بجوارح، كيف لا تكون جوارح؟

يستغربون، طبعاً ذكر هنا كره أنهم حملوا ما أضيف إلى الله ﷻ حملوه على المحسوس، هل وجدتم

أحدًا من الحنابلة يقول: يد الله ﷻ فين؟ هذا وجد في الرافضة قديماً حتى هم تركوا هذا الأثر، هشام بن

الحكم وفلان الجواربي حتى هم تركوا هذا.

ومثل هؤلاء لا يحدث عنهم، سيؤلف على شيخ الإسلام كيف لا تحدث عنهم؟

الذين أكثر منك في البدع يحدثونك، أنت ما تحدثهم، (فإنهم يكابرون العقول)، أين سيؤلف على،

وكأنهم يحدثون أطفال عكس القضية.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

قُلْتُ: الْكَلَامُ عَلَى هَذَا فِيهِ أَنْوَاعٌ:

الْأَوَّلُ: بَيَانُ مَا فِيهِ مِنَ التَّعَصُّبِ بِالْجَهْلِ وَالظُّلْمِ قَبْلَ الْكَلَامِ فِي الْمَسْأَلَةِ الْعِلْمِيَّةِ.

الثَّانِي: بَيَانُ أَنَّهُ رَدٌّ بِلا حُجَّةٍ وَلَا دَلِيلٍ أَصْلًا.

الثَّالِثُ: بَيَانُ مَا فِيهِ مِنْ ضَعْفِ النُّقْلِ وَالْعَقْلِ.

أَمَّا (أَوَّلًا): فَإِنَّ هَذَا الْمُصَنِّفَ الَّذِي نُقِلَ مِنْهُ كَلَامُ أَبِي الْفَرَجِ لَمْ يُصَنِّفْهُ فِي الرَّدِّ عَلَى الْحَنَابِلَةِ كَمَا ذَكَرَ

هَذَا وَإِنَّمَا رَدَّ بِهِ - فِيمَا ادَّعَاهُ - عَلَى بَعْضِهِمْ. وَقَصَدَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَامِدٍ وَالْقَاضِي أَبُو يَعْلَى وَشَيْخُهُ أَبُو

الْحَسَنِ بْنِ الزَّاعُونِي.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللهُ:

(وشيخه) يعني هؤلاء الثلاثة هم المردودون أو المردود عليهم، وليس كما ذكر هذا المعترض، قال

ابن الفرغ بن الجوزي في الرد على الحنابلة كأنه هو الحنبلي كيف، وهو يرد على بعضهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَنْ تَبِعَهُمْ، وَإِلَّا فَجِنْسُ الْحَنَابِلَةِ لَمْ يَتَعَرَّضْ أَبُو الْفَرَجِ لِلرَّدِّ عَلَيْهِمْ، وَلَا حَكَى عَنْهُمْ مَا أَنْكَرَهُ، بَلْ هُوَ

يَحْتَجُّ فِي مُخَالَفَتِهِ لَهُؤُلَاءِ بِكَلَامٍ كَثِيرٍ مِنَ الْحَنْبَلِيَّةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللهُ:

إذا هناك حنابلة يزعم أنهم معه، وحنابلة يزعمون أنهم خرجوا على المنهج، فيرد عليهم بكلام

هؤلاء، إذا هو ليس ردًا، هذا من ناحية النقل، لا بد أن تكون دقيقة، رد على ثلاثة وأنت جعلته، هو في

الحقيقة رد على الجميع، سواء كان على مذهب الإمام أحمد، ولكن نحن نتحدث على الدقة في النقل.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

كَمَا يَذْكُرُهُ مِنْ كَلَامِ التَّمِيمِيِّينَ، مِثْلَ رِزْقِ اللهِ التَّمِيمِيِّ وَأَبِي الْوَفَاءِ بْنِ عَقِيلٍ، وَرِزْقِ اللهِ كَانَ يَمِيلُ إِلَى طَرِيقَةِ سَلْفِهِ كَجَدِّهِ أَبِي الْحَسَنِ التَّمِيمِيِّ، وَعَمَّهُ أَبِي الْفَضْلِ التَّمِيمِيِّ وَالشَّرِيفِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي مُوسَى هُوَ صَاحِبُ أَبِي الْحَسَنِ التَّمِيمِيِّ، وَقَدْ ذَكَرَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لَقَدْ خَرَى الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى عَلَى الْحَنَابِلَةِ خَرِيَةً لَا يَغْسِلُهَا الْمَاءُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هَذَا مَنْ يَقُولُهُ؟ التَّمِيمِيُّ، هُوَ لَاءِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ الشَّيْخُ الْإِسْلَامُ يَسْتَدْلُوا بِكَلَامِهِمْ ابْنَ الْجَوْزِيِّ، وَيَسْتَنْصِرُ بِهِمْ عَلَى مَنْ؟ عَلَى الثَّلَاثَةِ هُوَ لَاءِ أَبُو يَعْلَى طَبَعًا هَذَا الْكِتَابُ كَمَا ذَكَرَ فِي «مَقْدَمَتِهِ» الرَّدُّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَهْمِهِمْ أَبُو يَعْلَى، وَأَبُو يَعْلَى كِتَابَهُ "إِبْطَالُ التَّأْوِيلَاتِ" مَطْبُوعٌ، وَأَبُو يَعْلَى بِدَوْرِهِ رَدُّ عَلَى ابْنِ فُورِكَ مُشْكَلُ الْحَدِيثِ، كِتَابَهُ رَدُّ عَلَى ابْنِ فُورِكَ، وَفِي رَدِّهِ عَلَى ابْنِ فُورِكَ جَانِبَانِ:

جَانِبُ تَقْرِيرٍ، وَجَانِبُ إِبْطَالٍ.

فِي جَانِبِ الإِبْطَالِ أَبْلَغُ أَبُو يَعْلَى.

وَفِي جَانِبِ التَّقْرِيرِ وَقَعَ فِي بَعْضِ الأَخْطَاءِ بِسَبَبِ احْتِجَاجِهِ بِالأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ وَالمَوْضُوعَةِ.

ذَكَرْنَا هَذَا - كَمَا ذَكَرَ الشَّيْخُ الْإِسْلَامُ فِيمَا سَبَقَ - أَنَّ هَذَا الخَطَأَ قَدْ يَكُونُ فِي أَهْلِ الأَثَرِ، قَدْ يَكُونُ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ، هَذَا الَّذِي وَقَعَ فِيهِ أَبُو يَعْلَى مَعَ ذَلِكَ كِتَابَهُ جَمِيلٌ، إِذَا أَخْرَجْنَا وَاعْتَمَدْنَا فِيهِ عَلَى الأَحَادِيثِ المَوْضُوعَةِ وَالأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ كِتَابَهُ جَمِيلٌ لِلرَّدِّ عَلَى المُبْتَدِعَةِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَحَمَّلَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ وَغَيْرُهُ لَا يُمْكِنُ، كِتَابُ جَمِيلٌ، لِذَلِكَ يَقُولُ: لَا يَغْسِلُهَا الْمَاءُ، طَيِّبُ أَنْتَ مَنْ جِئْتَ بِهِ إِلَى الآنَ هَذِهِ مَادَّةُ المُبْتَدِعَةِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَسَتَكَلِّمُ عَلَى هَذَا بِمَا يُيسِّرُهُ اللهُ مُتَحَرِّينَ لِلِكَلَامِ بِعِلْمٍ وَعَدْلٍ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إِذَا الْكَلَامُ وَالتَّعْلِيقُ هَذَا إِذَا لَمْ يَكُنْ بَعْدِلٍ وَعِلْمٍ انْقَلَبَ إِلَى مُهَاتِرَاتِ الشُّفَهَاءِ، هَذَا يَشْتَمُ وَهَذَا يَشْتَمُ،

هَذَا يَسِبُ وَهَذَا يَسِبُ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَمَا زَالَ فِي الْحَنْبَلِيَّةِ مَنْ يَكُونُ مَيْلُهُ إِلَى نَوْعٍ مِنَ الْإِثْبَاتِ الَّذِي يَنْفِيهِ طَائِفَةٌ أُخْرَى مِنْهُمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إِذَا فِيهِمْ مَنْ يَكُونُ مَيْلُهُ إِلَى نَوْعٍ مِنَ الْإِثْبَاتِ الَّذِي يَنْفِيهِ طَائِفَةٌ أُخْرَى مِنْهُمْ، هَذَا كُلُّهُ فِي الْحَنْبَلِيَّةِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمِنْهُمْ مَنْ يُمَسِّكُ عَنِ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ جَمِيعًا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وَهُؤُلَاءِ هُمُ الْمَفْوضَةُ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَفِيهِمْ جِنْسُ التَّنَازُعِ الْمَوْجُودِ فِي سَائِرِ الطَّوَائِفِ لَكِنَّ نِزَاعَهُمْ فِي مَسَائِلِ الدَّقِّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(فِي مَسَائِلِ الدَّقِّ) هَذَا مَوْجُودٌ عِنْدَ شَيْخِ الْإِسْلَامِ، أَيُّ فِي الْمَسَائِلِ الدَّقِيقَةِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمَّا الْأُصُولُ الْكِبَارُ فَهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَيْهَا وَلِهَذَا كَانُوا أَقَلَّ الطَّوَائِفِ تَنَازُعًا وَافْتِرَاقًا لِكَثْرَةِ اعْتِصَامِهِمْ
بِالسُّنَّةِ وَالْآثَارِ لِأَنَّ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي بَابِ أُصُولِ الدِّينِ مِنَ الْأَقْوَالِ الْمُبَيَّنَةِ لِمَا تَنَازَعَ فِيهِ النَّاسُ مَا لَيْسَ
لِغَيْرِهِ، وَأَقْوَالُهُ مُؤَيَّدَةٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ سَبِيلِ السَّلَفِ الطَّيِّبِ.
وَلِهَذَا كَانَ جَمِيعٌ مَنْ يَتَّحِلُّ السُّنَّةَ مِنْ طَوَائِفِ الْأُمَّةِ - فُقَهَائِهَا وَمُتَكَلِّمَتِهَا وَصُوفِيَّتِهَا - يَتَّحِلُّونَهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا تلخيص جميل جداً عن الحنابلة، ولهذا كانوا أقل الطوائف تنازُعًا وافتراقًا لماذا؟ لكثرة
اعتصامهم بالسُّنَّةِ والآثار، هذا أولاً.

- ولأنَّ لإمامهم في باب أصول الدين من الأقوال ما ليست لغيرهم، وأقواله مؤيدة بالكتاب والسُّنَّةِ.
الإمام أحمد مغير في هذا الكتاب تمامًا، ويكون هذا سيشير في الآخر، يقول: فلا تزيد في كلام هذا المجلس
السلفي ما ليس منه، أنت سبحان الله!

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ثُمَّ قَدْ يَتَنَازَعُ هُوَ لِأَنَّ فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ، فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ فِي الْعَالَمِ وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَدْ أَخْبَرَ بِأَنَّ هَذَا لَا بُدَّ مِنْ وَقُوعِهِ، وَأَنَّهُ لَمَّا سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ لَا يُلْقِي بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ مَنَعَ ذَلِكَ. فَلَا بُدَّ فِي الطَّوَائِفِ
الْمُنْتَسِبَةِ إِلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ نَوْعِ تَنَازُعٍ لَكِنْ لَا بُدَّ فِيهِمْ مِنْ طَائِفَةٍ تَعْتَصِمُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

قوله: (لَا بُدَّ فِيهِمْ مِنْ طَائِفَةٍ تَعْتَصِمُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ) والحنابلة عموماً وكثيراً من الشافعية وكثيراً
غيرهم من المالكية، وقليل من الأحناف فيهم هذه الميزة، لأنهم ينتسبون إلى السُّنَّةِ - ومع ذلك بينهم
تنازُعٌ - ولكن مع ذلك لا بُدَّ فيهم ممن ينتسب إلى أهل السُّنَّةِ وممن وقع في شيء من الجدل، ووقعوا في
شيء من التنازع، لا بُدَّ فيهم من طائفة تعتصم بالسُّنَّةِ، حلَّوا ما وجد فيهم من النزاع ستجده فيهم هم،
نعم، لا بُدَّ فيهم من طائفة تعتصم بالسُّنَّةِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

كَمَا أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ تَنَازُعٌ وَاجْتِلَافٌ، لَكِنَّهُ لَا يَزَالُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ طَائِفَةٌ قَائِمَةٌ بِالْحَقِّ لَا يَضُرُّهَا مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ.

وَلِهَذَا لَمَّا كَانَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ وَأَصْحَابُهُ مُنْتَسِبِينَ إِلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: كَانَ مُنْتَحِلًا لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ ذَاكِرًا أَنَّهُ مُقْتَدٍ بِهِ مُتَّبِعٌ سَبِيلَهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

مَعَ أَنَّهُ شَافِعِي أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ، الرَّاجِحُ أَنَّهُ شَافِعِي مَعَ ذَلِكَ ذَكَرَ فِي مَقْدَمَةِ "الْإِبَانَةِ" أَنَّهُ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَانَ بَيْنَ أَعْيَانِ أَصْحَابِهِ مِنَ الْمُوَافِقَةِ وَالْمُؤَافَقَةِ لِكَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ حَتَّى إِنَّ أَبَا بَكْرٍ عَبْدَ الْعَزِيزِ يَذْكَرُ مِنْ حُجَجِ أَبِي الْحَسَنِ فِي كَلَامِهِ مِثْلَ مَا يُذْكَرُ مِنْ حُجَجِ أَصْحَابِهِ، لِأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ مِنْ مُتَكَلِّمَةِ أَصْحَابِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

كَانَ يَعِدُهُ هَذَا الْإِمَامُ الْخَلِيقُ، يَعِدُهُ وَاحِدًا مِنْهُمْ، يَنْقُلُ عَنْهُ كَمَا يَنْقُلُ عَلَى أُمَّةِ أَصْحَابِهِ، لِأَنَّ أَبِي الْحَسَنَ عِنْدَهُمْ كَانَ مِنْ مُتَكَلِّمَةِ أَصْحَابِهِ، وَهُوَ كَانَ يَكْتُبُ، أَبُو الْحَسَنِ كَانَ يَكْتُبُ مَعَ شَيْخِهِ الْحَنْبَلِيِّ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْمَائِلِينَ إِلَيْهِمُ التَّمِيمِيُّونَ: أَبُو الْحَسَنِ التَّمِيمِيُّ وَأَبْنُهُ وَأَبْنُ ابْنِهِ وَنَحْوُهُمْ؛ وَكَانَ بَيْنَ أَبِي الْحَسَنِ التَّمِيمِيِّ وَبَيْنَ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْبَاقِلَانِيِّ مِنَ الْمَوَدَّةِ وَالصُّحْبَةِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

ذَكَرَ الْمُحَقِّقُ هُنَا وَالْمَشْهُورُ أَنَّ الْوَدَّ كَانَ بَيْنَ ابْنِهِ أَبِي الْفَضْلِ وَالْبَاقِلَانِيِّ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلِهَذَا اعْتَمَدَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبِيهَقِيُّ فِي كِتَابِهِ الَّذِي صَنَّفَهُ فِي مَنَاقِبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ - لَمَّا ذَكَرَ اعْتِقَادَهُ - اعْتَمَدَ عَلَى مَا نَقَلَهُ مِنْ كَلَامِ أَبِي الْفَضْلِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ التَّمِيمِيِّ، وَلَهُ فِي هَذَا الْبَابِ مُصَنَّفٌ ذَكَرَ فِيهِ مِنْ اعْتِقَادِ أَحْمَدَ مَا فَهَمَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ أَلْفَاظَهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(وله) هذا التميمي - أي للتميمي في هذا الباب - مصنف ذكر فيه من اعتقاد أحمد ما فهمه، الذي حصل مع الإمام أحمد مع كثرة ما له من الكلام من مسائل الاعتقاد إلا أنه نُسب إليه ما ليس من اعتقاده ومن الأسباب هذا الكتاب وأمثال هذا الكتاب.

(التميمي) هذا أبو الفضل عبد الواحد بن أبي الحسن التميمي له كتاب مُصنّف ذكر فيه اعتقاد الإمام أحمد، ولكن ذكره كما فهمه، ولم يذكر فيه ألفاظه، وكان يعتقد كذا، وكان يعتقد كذا، وكان يعتقد، لم يذكر ألفاظه، ولكن هل ما ذكره هو عقيدة الإمام أحمد؟ يقول شيخ الإسلام: (لا)، هذا الذي فهمه هذا التميمي، ونسبه إلى الإمام أحمد ليس كذباً عليه، إنما ظن أن هذه هي عقيدته.

طبعاً هذه التنبهات من شيخ الإسلام هي دقيقة جداً، تُخبرنا لماذا حصل هذا الذي حصل مع الإمام أحمد؟ لو يحصل مع الإمام مالك وغيره قد الإمام أحمد الذي حصل معه النزاع بهذه الضجة، ولذلك كان كلامه معروفاً ومبثوثاً، ومنقولاً نقله الكثيرون، ومع ذلك لماذا نُسبت هذه الأمور إليه؟ هذا هو السبب، هذا ينسب إليه ما يفهمه، وهذا ينسب إليه ما يستحسنه، ليس كذباً هكذا يعتقد.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِنَّمَا ذَكَرَ جُمَلَ الْإِعْتِقَادِ بِلَفْظِ نَفْسِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

بلفظ نفسه، تعبير منه هو التميمي.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَجَعَلَ يَقُولُ: وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يُصَنَّفُ كِتَابًا فِي الْفِقْهِ عَلَى رَأْيِ بَعْضِ الْأَئِمَّةِ وَيَذْكُرُ مَذْهَبَهُ بِحَسَبِ مَا فَهَمَهُ وَرَأَهُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ بِمَذْهَبِ ذَلِكَ الْإِمَامِ أَعْلَمَ مِنْهُ بِالْفَاطِظِ وَأَفْهَمَ لِمَقَاصِدِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إِذَا هَذَا التَّعْلِيقُ كَانَ حَسَبِ مَا فَهَمَهُ التَّمِيمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا ذَكَرَهُ هُوَ مَذْهَبُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرِ الْأَلْفَازَ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ حَسَبِ مَا يَعْتَقِدُ، وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ يُمَثِّلُ بِأَمْثَلَةٍ تَوْضِحُ هَذَا الَّذِي حَصَلَ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّ النَّاسَ فِي نَقْلِ مَذَاهِبِ الْأَئِمَّةِ قَدْ يَكُونُونَ بِمَنْزِلَتِهِمْ فِي نَقْلِ الشَّرِيعَةِ. وَمِنْ الْمَعْلُومِ: أَنَّ أَحَدَهُمْ يَقُولُ: حُكْمُ اللَّهِ كَذَا أَوْ حُكْمُ الشَّرِيعَةِ كَذَا بِحَسَبِ مَا اعْتَقَدَهُ عَنْ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ؛ بِحَسَبِ مَا بَلَغَهُ وَفَهَمَهُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ أَعْلَمَ بِأَقْوَالِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ وَأَعْمَالِهِ وَأَفْهَمَ لِمُرَادِهِ. فَهَذَا أَيْضًا مِنْ الْأُمُورِ الَّتِي يَكْثُرُ وَجُودُهَا فِي بَنِي آدَمَ. وَلِهَذَا قَدْ تَخْتَلَفَ الرَّوَايَةُ فِي النَّقْلِ عَنِ الْأَئِمَّةِ كَمَا يَخْتَلِفُ بَعْضُ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي النَّقْلِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْصُومٌ. فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَصْدُرَ عَنْهُ خَبْرَانِ مُتَنَاقِضَانِ فِي الْحَقِيقَةِ، وَلَا أَمْرَانِ مُتَنَاقِضَانِ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا وَأَحَدُهُمَا نَاسِخٌ وَالْآخَرُ مَنْسُوخٌ. وَأَمَّا غَيْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَيْسَ بِمَعْصُومٍ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَدْ قَالَ خَبْرَيْنِ مُتَنَاقِضَيْنِ، وَأَمْرَيْنِ مُتَنَاقِضَيْنِ وَلَمْ يَشْعُرْ بِالتَّنَاقُضِ، لَكِنَّ إِذَا كَانَ فِي الْمَنْقُولِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَخْتَاجُ إِلَى تَمْيِيزٍ وَمَعْرِفَةٍ - وَقَدْ تَخْتَلَفَ الرَّوَايَاتُ حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهَا أَرْجَحَ مِنْ بَعْضٍ وَالنَّاقِلُونَ لِشَرِيعَتِهِ بِالِاسْتِدْلَالِ بَيْنَهُمْ اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ - لَمْ يُسْتَنْكَرْ وَقُوعُ نَحْوِ مِنْ هَذَا فِي غَيْرِهِ، بَلْ هُوَ أَوْلَى بِذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

شَيْخُ الْإِسْلَامِ لَا زَالَ يُوَضِّحُ وَيَقُولُ: مَنْ يَسْتَبَعِدُ وَقُوعَ مَا حَصَلَ مِنَ التَّمِيمِيِّ وَغَيْرِهِ مَعَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ اسْتِبْرَادَهُ لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ، هَذَا حَصَلَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَصَلَ مَعَ الشَّرِيعَةِ عَمُومًا، أَحَدَهُمْ يَقُولُ: هَذَا حُكْمُ اللَّهِ، أَيْنَ حُكْمُ اللَّهِ؟ هَكَذَا فَهَمَهُ مِنَ النُّصُوصِ، يَقُولُ: إِذَا رَأَيْنَا وَعَرَفْنَا هَذَا لَا يُسْتَنْكَرُ وَقُوعُ نَحْنُ مِنْ هَذَا فِي

غيره، أي في غير النبي ﷺ بل هو أولى بذلك.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

لَإِنَّ اللَّهَ قَدْ ضَمَّنَ حِفْظَ الذِّكْرِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَلَمْ يَضْمَنْ حِفْظَ مَا يُؤَثَّرُ عَنْ غَيْرِهِ، لِأَنَّ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ هُوَ هُدَى اللَّهِ الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَبِهِ يُعْرَفُ سَبِيلُهُ وَهُوَ حُجَّتُهُ عَلَى عِبَادِهِ فَلَوْ وَقَعَ فِيهِ ضَلَالٌ لَمْ يُبَيِّنْ لَسَقَطَتْ حُجَّةُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ وَذَهَبَ هُدَاهُ وَعُمِيَّتْ سَبِيلُهُ؛ إِذْ لَيْسَ بَعْدَ هَذَا النَّبِيِّ نَبِيٌّ آخَرٌ يُنْتَظَرُ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ؛ بَلْ هَذَا الرَّسُولُ آخِرُ الرُّسُلِ، وَأُمَّتُهُ خَيْرُ الْأُمَمِ، وَلِهَذَا لَا يَزَالُ فِيهَا طَائِفَةٌ قَائِمَةٌ عَلَى الْحَقِّ بِإِذْنِ اللَّهِ. لَا يَضُرُّهَا مَنْ خَالَفَهَا وَلَا مَنْ خَذَلَهَا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يقول شيخ الإسلام هنا: الله ﷻ ضَمَّنَ حِفْظَ الذِّكْرِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ ولم يَضْمَنْ حِفْظَ مَا يُؤَثَّرُ عَنْ غَيْرِهِ، لأن ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة هدى الله، الهدى هو العلم الصحيح، أمَّا الهدى بالمعنى الطريقة، هو العلم الذي جاء به من عند الله، وبه يُعْرَفُ سَبِيلُهُ وهو حُجَّتُهُ عَلَى عِبَادِهِ، فلو وَقَعَ فِيهِ ضَلَالٌ لَمْ يُبَيِّنْ لَسَقَطَتْ حُجَّةُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ، وَذَهَبَ هُدَاهُ وَعُمِيَّتْ سَبِيلُهُ، لذلك اللهُ ﷻ ضَمَّنَ حِفْظَ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأْنَا وَسُنَّه.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ أَبَا الْفَرَجِ نَفْسَهُ مُتَنَاقِضٌ فِي هَذَا الْبَابِ: لَمْ يَثْبُتْ عَلَى قَدَمِ النَّفْيِ وَلَا عَلَى قَدَمِ الْإِثْبَاتِ؛ بَلْ لَهُ مِنَ الْكَلَامِ فِي الْإِثْبَاتِ نَظْمًا وَنَثْرًا مَا أَثْبَتَ بِهِ كَثِيرًا مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي أَنْكَرَهَا فِي هَذَا الْمُصَنَّفِ. فَهُوَ فِي هَذَا الْبَابِ مِثْلُ كَثِيرٍ مِنَ الْخَائِضِينَ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ أَنْوَاعِ النَّاسِ يُثْبِتُونَ تَارَةً وَيَنْفُونَ أُخْرَى فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ كَمَا هُوَ حَالُ أَبِي الْوَفَاءِ بْنِ عَقِيلٍ وَأَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا هذا الكتاب لو لم ينقل عنه شيخ الإسلام وغيره من أئمة السُّنَّة، والله لم يذكر أنَّ هذا الكتاب لابن الجوزي، أنا كنت أستبعد هذا الكتاب، ولو حقَّقه مائة مثل هذا الرجل، ولكنك أنت أمام شيء غريب ما عندك

تفسير له إلا التوفيق والخُذْلَان.

فيقول شيخ الإسلام هُنا: أبا الفرج نفسه متناقض في هذا الباب، لم يثبت على قَدَمِ النفي ولا على قدم الإثبات بل له من الكلام في الإثبات نظماً ونثراً ما أثبت به كثيراً من الصفات التي أنكرها في هذا المصنّف.

فهو في هذا الباب مثل كثيرٍ من الخائضين في هذا الباب من أنواع الناس يُثبتون تارةً وينفون أخرى كثيراً من الصفات.

طبعاً في مواضع هذه جملة مُبتدلة، يُثبتون تارةً وينفون أخرى كثيراً من الصفات كما هو حال أبي الوفاء ابن عقيل وأبي حامد الغزالي، ولكن الذي وقع لابن الجوزي شيءٌ سبحان الله! غريب.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الْوَجْهُ الثَّلَاثُ: أَنَّ بَابَ الْإِثْبَاتِ لَيْسَ مُخْتَصَبًا بِالْحَنْبَلِيَّةِ، وَلَا فِيهِمْ مِنَ الْغُلُوِّ مَا لَيْسَ فِي غَيْرِهِمْ، بَلْ مَنْ اسْتَقْرَأَ مَذَاهِبَ النَّاسِ وَجَدَ فِي كُلِّ طَائِفَةٍ مِنَ الْغُلَاةِ فِي النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ مَا لَا يُوجَدُ مِثْلُهُ فِي الْحَنْبَلِيَّةِ، وَوَجَدَ مَنْ مَالَ مِنْهُمْ إِلَى نَفْيِ بَاطِلٍ أَوْ إِثْبَاتِ بَاطِلٍ فَإِنَّهُ لَا يُسْرِفُ إِسْرَافَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْمَائِلِينَ إِلَى النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ؛ بَلْ تَحِدُ فِي الطَّوَائِفِ مِنْ زِيَادَةِ النَّفْيِ الْبَاطِلِ وَالْإِثْبَاتِ الْبَاطِلِ مَا لَا يُوجَدُ مِثْلُهُ فِي الْحَنْبَلِيَّةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً نحنُ ذكرنا أنَّ الإثبات الباطل، أو الغلو في الإثبات يكون لَمَّا يكون الدليل ضعيفاً، أمَّا إذا كان الدليل صحيحاً فإثباته ليس غلوّاً في الإثبات إذا كان على ما يليق بكماله وجلاله، ليس هناك غلوٌّ في الإثبات إلا إذا كان الدليل ضعيفاً، واعتمدت عليه في الإثبات.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِنَّمَا وَقَعَ الْإِعْتِدَاءُ فِي النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ فِيهِمْ مِمَّا دَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ الَّذِينَ اعْتَدَوْا حُدُودَ اللَّهِ بِزِيَادَةٍ فِي النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ إِذْ أَصْلُ السُّنَّةِ مَبْنَاهَا عَلَى الْإِقْتِصَادِ وَالْإِعْتِدَالِ دُونَ الْبَغْيِ وَالْإِعْتِدَاءِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذه مثل هذه ممكن تقول: أن هذه قاعدة: (أصل السنة مبناهما على الاقتصاد والاعتدال دون البغي

والاعتداء) أصل السنة مبناهما على الاقتصاد؛ أي: مبناهما على الصراط المستقيم، تثبت ما ثبتوا، وتنفي ما نفاه الله ﷻ هذه هي السنة.

الاقتصاد لزوم الصراط المستقيم، أصل السنة دون البغي والاعتداء في الإثبات والنفى، تنفي دون

الاعتماد على دليل، وتثبت دون الاعتماد على دليل، هذا بغي واعتداء.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَانَ عِلْمُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَاتِّبَاعِهِ لَهُ مِنْ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَشْهُورِ بَيْنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ مِمَّنْ لَهُ بِالسُّنَّةِ وَأَهْلِهَا نَوْعُ الْإِمَامِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني علم الإمام أحمد واتباعه للسنة مشهور بين الخاص والعام، من هذا الخاص والعام الذي يعلم

هذا ممن له إمام بالسنة، من له إمام، الإمام هو قليل من له إمام بالسنة يعرف هذا، أن الإمام أحمد

كان من أحرص الناس على السنة، وكان من أكملهم في اتباع السنة وأعلمهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمَّا أَهْلُ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ: الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ مَا بَعَثَ اللهُ بِهِ الرَّسُولَ وَلَا يُمَيِّزُونَ بَيْنَ صَحِيحِ الْمَنْقُولِ وَصَرِيحِ الْمَعْقُولِ وَبَيْنَ الرِّوَايَاتِ الْمَكْذُوبَةِ وَالْآرَاءِ الْمُضْطَرَبَةِ: فَأُولَئِكَ جَاهِلُونَ قَدَرَ الرَّسُولِ وَالسَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ نَطَقَ بِفَضْلِهِمُ الْقُرْآنُ فَهُمْ بِمَقَادِيرِ الْأَيِّمَةِ الْمُخَالِفِينَ لَهُؤُلَاءِ أَوْلَى أَنْ يَكُونُوا جَاهِلِينَ إِذْ كَانُوا أَشْبَهَ بِمَنْ شَاقَّ الرَّسُولَ، وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

يقول: (فَأُولَئِكَ جَاهِلُونَ قَدَرَ الرَّسُولِ وَالسَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ نَطَقَ بِفَضْلِهِمُ الْقُرْآنُ فَهُمْ) إذا كانوا جاهلين بقدر الرسول وقدر الصحابة (فهم بِمَقَادِيرِ الْأَيِّمَةِ الْمُخَالِفِينَ لَهُؤُلَاءِ) أي للمتكلمين (أَوْلَى أَنْ يَكُونُوا جَاهِلِينَ).

يقول شيخ الإسلام: أنت تقول الجميع يعرفون، هناك قد يُقال - هناك كثيرٌ من المُتتسبين ممن لا يعرف، يقول شيخ الإسلام: الذين لا يعرفون هذه الأمور لا يعرفون قدر الرسول ﷺ وقدر الصحابة، فألا يعرف القدر الإمام أحمد هذا أولى وأحرى، لأنَّ الإمام أحمد قدره ومكانته عُرِفَتْ بتعظيمه للسُّنَّة، فمن لا يعرف قدر صاحب السُّنَّة، فمن لا يعرف قدر الصحابة، فلأنَّ يجهل قدر الإمام أحمد أولى وأعرف فلا تستغربوا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهُمْ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ إِلَى الْكُفْرِ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ: تَحِدُّ أَحَدَهُمْ يَتَكَلَّمُ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

لا، هذا أيضاً سبحانه الله! اكتبوها عندكم كلام شيخ الإسلام هذا هذه الفقرة والفقرة التي بعدها، لأن

بعض الأمور مهمة تُكتب في طُرة الكتاب لتتذكر، انظر ماذا يقول؟

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

تَجِدُ أَحَدَهُمْ يَتَكَلَّمُ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ بِكَلَامٍ مَنْ كَانَهُ لَمْ يَنْشَأْ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ، وَلَا سَمِعَ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَلَا عَرَفَ حَالَ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمَا أُوتُوهُ مِنْ كَمَالِ الْعُلُومِ النَّافِعَةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَلَا عَرَفَ مِمَّا بَعَثَ اللهُ بِهِ نَبِيَّهُ مَا يَدُلُّهُ عَلَى الْفَرْقِ بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ وَالْغَيِّ وَالرَّشَادِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

كتاب تجده طويل وعريض في أصول الدين، ولما تقرأ فيه والله تشك في نفسك، تقول: إمام أنت في وادٍ سحيق من الضلال، أو هذا الذي واسمه معروف ويذكر أن هذا من أصول الدين، وهذا من أصول الدين، وأصول الدين وهو منقلب جداً، يقول شيخ الإسلام: "يتكلم في أصول الدين وفروعه بكلام من كأنه لم ينشأ في دار الإسلام" فأنت ثق في نفسك الخطأ منه وليس منك، ولا يُغرِّتكَ اسمه الذي لمع في سماء المتكلمين، بل لهم دنياهم ولهم جوهم الخاص الذي تعودوا عليه، لا يُغرِّتكَ هذا، لا بُدَّ أن تزن كلامهم بميزان الكتاب والسنة، وفعلاً ستجد هذا بكلام من كأنه لم ينشأ في دار الإسلام، ولا سمع ما عليه أهل العلم والإيمان، لأن الذي نشأ في دار الإسلام وسَمِعَ وامتثل لكلام أهل العلم تجد فيه إثارة أهل العلم، أمّا هذا فأصول الدين غير، وما يُبنى لهذه الأصول غير تختلف اختلافاً كثيراً، لماذا؟ كما قلت: جو خاص، هكذا هذا العلم المشهور.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَتَجِدُ وَقِيعَةً هَؤُلَاءِ فِي (أُمَّةِ السُّنَّةِ وَهُدَاةِ الْأُمَّةِ) مِنْ جِنْسٍ وَقِيعَةِ الرَّافِضَةِ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؛ وَأَعْيَانِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ؛ وَوَقِيعَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ مُنَافِقِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَقِيعَةِ الصَّابِئَةِ وَالْمُشْرِكِينَ مِنَ الْفَلَّاسِفَةِ وَغَيْرِهِمْ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ كَلَامِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ مَا فِيهِ عِبْرَةٌ لِلْمُعْتَبِرِ؛ وَبَيِّنَةٌ لِلْمُسْتَبْصِرِ؛ وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَهَوِّكِ الْمُتَحَيِّرِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

ذكر شيخ الإسلام هنا ثلاث طوائف، وأنهم يقعون في فلان وعلان.

أولاً: (وَتَجِدُ وَقِيعَةَ هَؤُلَاءِ فِي (أُمَّةِ السُّنَّةِ وَهُدَاةِ الْأُمَّةِ) مِنْ جِنْسِ وَقِيعَةِ الرَّافِضَةِ وَمَنْ مَعَهُمْ، وَوَقِيعَةَ

الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَوَقِيعَةَ الصَّابِئَةِ وَالْمُشْرِكِينَ مِنَ الْفَلَّاسِفَةِ وَغَيْرِهِمْ).

أنت هنا انظر الطوائف وغيرهم ومن يقعون فيه، انظر هذه الطوائف الثلاثة، ستجد أن يقعون فيه هم الذي يُشكّلون خطراً عليهم، ولذلك يخصوصهم بالوقية، انظر الطوائف، يقعون في مَنْ؟ لأنهم هو الذين يُشكّلون خطراً على دينهم اليهود والنصارى، ومن اتبعهم من منافقي هذه الأمة في رسول الله ﷺ، لأن اليهود والنصارى يزعمون أنهم أهل كتاب، فيرون في رسول الله ﷺ ما يشدُّ سلسلتهم.

الصابئة والمشركين من الفلاسفة وغيرهم الذين احتكروا الحكمة واحتكروا العلم، وصاروا مصادر التلقي عند الناس، من الذي يُشكل خطراً عليهم؟ الأنبياء والمرسلون عموماً، فكل طائفة تتحدث عن يسد عليهم ضلالهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَتَجِدُ عَامَّةَ أَهْلِ الْكَلَامِ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ جَادَةِ السَّلَفِ - إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ - يُعَظِّمُونَ أُمَّةَ الْإِتِّحَادِ بَعْدَ

تَضْرِيحِهِمْ فِي كُتُبِهِمْ بِعِبَارَاتِ الْإِتِّحَادِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(يُعَظِّمُونَ أُمَّةَ الْإِتِّحَادِ) سبحانه الله! الذين وصلوا إلى هذا الحد، ومع ذلك يظنونهم محترمون

مُعَظِّمُونَ عند هؤلاء عند المتكلمين بعد تصريحهم في كتبهم بعبارات الاتحاد، يُصِرُّون بمذهبهم، مع ذلك يسعى بكثير من التأويل من هذا أو هذا حتى يبقى مُعَظِّمًا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَيَتَكَلَّفُونَ لَهَا مَحَامِلَ غَيْرَ مَا قَصَدُوهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

غير ما قصدوه أصلاً هذا الصوفي صريح في مراده، يأتي هذا فيتكلف التأويل حتى يبقى مُعَظِّمًا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْإِجْلَالِ وَالْتَعْظِيمِ وَالشَّهَادَةِ بِالْإِمَامَةِ وَالْوَلَايَةِ لَهُمْ، وَأَنَّهُمْ أَهْلُ الْحَقَائِقِ مَا اللهُ بِهِ

عَلِيمٌ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

نطلع على بعض ما أشار إليه شيخ الإسلام -نُغير الجو قليلاً- هناك نصٌّ للهيتمي وشيخه زكريا الأنصاري، وكلاهما من أئمة الشافعية، والهيتمي يُمثل مرحلة مهمة في مدرسة الشافعية.

هناك مراحل في الفقه ثلاث مراحل أشهرها، كل مرحلة يُمثلها شخص، مما يدل على أهمية هذا الشخص في مسيرة الفكر عمومًا.

الهيتمي يُمثل واحد، وبالتالي كلامه سيكون له الأثر على الشافعية، والشافعية هم باعتبار الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ الإمام الشافعي ذلك الإمام العظيم.

يقول أحد الشافعية، أحد الشافعية صاحب "الروضة" له كلامٌ جميلٌ في مناقب الإمام، يأتي طبعًا هو وغيره هم كثر، يقول الهيتمي: لما يقول الولي: (أنا الله) وصل إلى هذا الحد يقول: (عُزِّر التعزير الشرعي ولا يُنافي ذلك الولاية لأنهم غير معصومين، يقول: أنا الله، مع ذلك عُزِّر، ولكن لا يُنافي ذلك الولاية لأنه غير معصوم، وصل إلى هذا الحد مع ذلك لا زال وليًا).

يقول أحدهم: فيه نظر، لأنه إن كان غائبًا فهو غير مُكَلَّف لا يُعزِّر أصلاً لماذا؟ لأنه غائب، كما أنه قُوبل بمقبول، وإلا فهو كافر، إذاً كلامك يستلزم أن يكون هو كافرًا فلا يُعزِّر لأنه أصلاً غائب.

وأيضًا يقول: هناك كلامٌ للنووي يُعلِّق عليه الهيتمي: (فلا أثر لسب إنسان آخر وشتمه ولي حال غيبته، أو تأويله بما هو مصطلحٌ عليه بينهم وإن جهله غيرهم).

إذاً لفظ ما اصطلاحوا عليه حقيقة عند أهله فلا يُعترض عليهم لمخالفته لاصطلاح غيرهم، هناك اصطلاح أنت تفهمه. واصطلاح عنده فلا تعتذر عنه كما حققه أئمة الكلام وغيرهم، ومن ثمَّ زلَّ كثيرون في التأويل على محققي الصوفيَّة بما همُّ بريئون منه، فيقول الأنصاري: وفي تكفير طائفة من الذين ظاهر

كلامهم عند غيرهم الاتحاد وغيره وهو بحسب ما فهمه ك بعضهم من مالك بعضهم من ظاهر كلامه،
والحق أنهم مسلمون أختيار فكلامهم جارٍ عن اصطلاحهم كإصطلاح الصوفية وهو حقيقةً عندهم في
مرادهم، وإن افتقر عند غيرهم ممن لو اعتقد ظاهره أنه كفر إلى تأويل.. إلى آخره.

طبعاً هذا البحث لي أنا، ذكرتُ أولاً: القضية ليست قضية اصطلاح أحدهم يقول: (ما في الجبة إلا
الله).

وأحدهم يقول: (هو الله).

وأحدهم يقول: (الحق المُنزه هو الحق المُشبه).

وأحدهم يقول عن الله ﷻ: (عليّ على من؟ وما ثمّ إلا هو).

ويُصرح بأن الذنب هو موافقة الله فيما أَراده.

يقول أحدهم: (لا أستريح حتى لا أرى الله ذاكراً على وجه الأرض).

وأحدهم يقول يستخف بالله ﷻ ورسوله فيقول: (أراد موسى أن يرى الله، وأنا ما أردتُ أن أرى الله،

وهو أراد أن يراني). يُقارن بينه وبين موسى، تمنى أن يرى الله، والقضية عكس هو يتمنى أن يراه، هو لا
يراه، هذا قاله أبو اليزيد البسطاني.

السهم جيداً في كتابه النور من كلمات الطوافون وهو أبو اليزيد.

واحد يقول له: «لو رأيت أبا اليزيد مرةً كان أنفع لك من رؤية الله سبعين مرة».

جاء رجل لأبو اليزيد فقراً عنده: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢]، فقال: أبو اليزيد وحياتي إنَّ

بطشي لأشد من بطشه، سل يا أبو اليزيد مؤذناً يقول: الله أكبر فقال: وأنا أكبر من الله، هذا كلُّه له تأويل
عند الهيتمي، وعند شيخه زكريا الأنصاري.

طبعاً هذا نقله الشيخ إحسان إلهي ظهير في كتابه "دراسات في التصوف" كتاب.... الشيرازي، نقل

عنه الشيخ إحسان سبحان الله! مصادره متنوعة، لا تكاد تصل إليهم.. إلى غير ذلك من الأخبار التي
تنضح بالكفر الصريح.

ثمَّ نقول: نقرأ بعض كلامهم حتى نرى أنه هل فعلاً يعني هناك اصطلاح آخر يقع بينهم، أحدهم يقول، وهو إمامٌ معروف:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا راهب في كنسيته
الدمرداش يقول:

لقد كنت دهرًا قبل أن يكشف الغطا إخالك أنني ذاكر لك شاكر
فلما أضاء الليل أصبحت شاهداً بأنك مذكورٌ وأنك ذاكرٌ
وأحدهم يقول وهو الجيلي:

لي الملك في الدارين لم أر فيهما سواي فأرجو فضله أو فأخشاه
وقد حزت أنواع الكمال وإنني جمال جلال الكل ما أنا إلا هو
ويقول:

وأسلمت نفسي حيث أسلمني الهوى ومالي عن حكم الحبيب تنازُع
فطورًا تراني في المساجد راعيًا وإني طورًا في الكنائس رائع
إذا كنت في حكم الشريعة عاصيًا فإني في علم الحقيقة طائع
ويقول أحدهم، ابن الفاضل:

فبي مجلس الأذكار سمعُ وطائعٌ ولي حانة الخمار عين طليعتي
في المسجد يعني يجوز أن نقرأ، كل هذه الأمور معها يقول شيخ الإسلام: تجد عامة أهل الكلام
ومن أعرض عن جادة السلف إلا من عصم الله يُعظمون أئمة الاتحاد، بعد تصريحه في كتبهم بعبارات،
هو صريح في نقله وأنت تؤول لهم، ويتكلمون لها محامل غير ما قصدوه، ولهم في قلوبهم من الإجلال
والتعظيم والشهادة بالإمامة والولاية لهم وأنهم أهل الحقائق ما الله به عليم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

هَذَا ابْنُ عَرَبِيٍّ يُصَرِّحُ فِي فُصُوصِهِ: أَنَّ الْوِلَايَةَ أَعْظَمُ مِنَ النَّبُوَّةِ؛ بَلْ أَكْمَلُ مِنَ الرَّسَالَةِ وَمِنْ كَلَامِهِ:

مَقَامُ النَّبُوَّةِ فِي بَرَزَخٍ فَوَيْتَقَ الرَّسُولِ وَدُونَ الْوَلِيِّ
وَبَعْضُ أَصْحَابِهِ يَتَأَوَّلُ ذَلِكَ بِأَنَّ وِلَايَةَ النَّبِيِّ أَفْضَلُ مِنْ نُبُوَّتِهِ، وَكَذَلِكَ وِلَايَةُ الرَّسُولِ أَفْضَلُ مِنْ رِسَالَتِهِ

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

هكذا يؤول، أنَّ النبي له جانبان:

جانب النبوة، وجانب الولاية، هو شخص واحد.

والرسول له جانبان: جانب الرسالة وجانب الولاية.

وأنَّ جانب الولاية في الرسول وجانب الولاية في النبي أفضل من جانب الرسالة فيه هو، فالتفاضل في

نفس الشخص انظر التأويل هذا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

أَوْ يَجْعَلُونَ وِلَايَتَهُ حَالَهُ مَعَ اللهِ وَرِسَالَتَهُ حَالَهُ مَعَ الْخَلْقِ وَهَذَا مِنْ بَلِيغِ الْجَهْلِ . فَإِنَّ الرَّسُولَ إِذَا خَاطَبَ

الْخَلْقَ وَبَلَّغَهُمُ الرِّسَالََةَ لَمْ يُفَارِقِ الْوِلَايَةَ بَلْ هُوَ وَوَلِيُّ

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

إذا له جانبان: حاله مع الله، يُسميها الله، وحاله مع الخلق يُسميها الرسالة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَهَذَا مِنْ بَلِيغِ الْجَهْلِ . فَإِنَّ الرَّسُولَ إِذَا خَاطَبَ الْخَلْقَ وَبَلَّغَهُمُ الرِّسَالََةَ لَمْ يُفَارِقِ الْوِلَايَةَ بَلْ هُوَ وَوَلِيُّ اللهِ

فِي تِلْكَ الْحَالِ كَمَا هُوَ وَوَلِيُّ اللهِ فِي سَائِرِ أَحْوَالِهِ ، فَإِنَّهُ وَوَلِيُّ اللهِ لَيْسَ عَدُوًّا لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِهِ ، وَلَيْسَ

حَالُهُ فِي تَبْلِيغِ الرِّسَالََةِ دُونَ حَالِهِ إِذَا صَلَّى وَدَعَا اللهُ وَنَاجَاهُ .

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

رَحِمَ اللهُ شيخ الإسلام، كلامه في هذه الطائفة، أيضًا أبلغ ما يكون لم يترك أحدًا من أهل البدع ممن

تلاعبوا بدين الله ﷻ إلا وأعطاهم ما يستحقون، وكشف حالهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَأَيْضًا : فَمَا يَقُولُ هَذَا الْمُتَكَلِّفُ فِي قَوْلِهِ هَذَا الْمُعْظَمُ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ وَهُوَ

لَبِنَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ .

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

المعظم هو ابن العربي ويزعم أن لبنة محمد ﷺ، ركز على القراءة هذه، أن النبي ﷺ لبنة من فضة، أمّا هو ابن العربي لبنتان من ذهبٍ وفضّة، ذلك لم يُركز مع هذه اللبنة، واللبنة التي زادت هي من ذهب.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَيَزْعُمُ أَنَّ لَبَنَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِيَ الْعِلْمُ الظَّاهِرُ وَلَبِنَتَاهُ: الذَّهَبُ عِلْمُ الْبَاطِنِ وَالْفِضَّةُ عِلْمُ الظَّاهِرِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

إذا عنده من العلم ما لم يكن عند رسول الله ﷺ.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَنَّهُ يَتَلَقَّى ذَلِكَ بِلاَ واسِطَةٍ؛ وَيُصْرِّحُ فِي فُصُوصِهِ أَنَّ رُتْبَةَ الْوِلَايَةِ أَعْظَمُ مِنْ رُتْبَةِ النُّبُوَّةِ، لِأَنَّ الْوَلِيَّ يَأْخُذُ بِلاَ واسِطَةٍ وَالنَّبِيَّ بِواسِطَةٍ، فَالْفَضِيلَةُ الَّتِي زَعَمَ أَنَّهُ ائْتَمَّ بِهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمُ عِنْدِهِ مِمَّا شَارَكَهُ فِيهِ. وَبِالْجُمْلَةِ: فَهُوَ لَمْ يَتَّبِعِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَيْءٍ، فَإِنَّهُ أَخَذَ بِزَعْمِهِ عَنِ اللهِ مَا هُوَ مُتَابِعُهُ فِيهِ فِي الظَّاهِرِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

(أخذ بزعمه عن الله ما هو متابعه فيه في الظاهر) أي له الحرية فيما يأخذه، وله الحرية فيما يتقيّد به، لأنه بلا واسطة يعرف.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

كَمَا يُوَافِقُ الْمُجْتَهِدُ الْمُجْتَهِدَ وَالرَّسُولُ الرَّسُولَ فَلَيْسَ عِنْدَهُ مِنْ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ وَالتَّلَفُّي عَنْهُ شَيْءٌ أَصْلًا لَا فِي الْحَقَائِقِ الْخَبَرِيَّةِ وَلَا فِي الْحَقَائِقِ الشَّرْعِيَّةِ. وَأَيْضًا: فَإِنَّهُ لَمْ يَرْضَ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ كَمُوسَى مَعَ عِيسَى وَكَالْعَالِمِ مَعَ الْعَالِمِ فِي الشَّرْعِ الَّذِي وَافَقَهُ فِيهِ بَلْ ادَّعَى أَنَّهُ يَأْخُذُ مَا أَقْرَهُ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرْعِ مِنَ اللهِ فِي الْبَاطِنِ فَيَكُونُ أَخْذُهُ لِلشَّرْعِ عَنِ اللهِ أَعْظَمَ مِنْ أَخْذِ الرَّسُولِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

النبي ﷺ جاء بالشرع، وابن عربي سيقّره على بعضها ولا يُقر على بعضها، وما يُقره عليها سيكون

أخذ من الله ﷻ مباشرة في الباطن، إذا له المنة حتى فيما يُقره هذا تأييد من ابن العربي.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمَّا مَا ادَّعَى اِمْتِيَازَهُ بِهِ عَنْهُ وَافْتِقَارَ الرَّسُولِ إِلَيْهِ - وَهُوَ مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ الذَّهَبِيَّةِ - فَزَعَمَ أَنَّهُ يَأْخُذُهُ عَنِ الْمَعْدِنِ الَّذِي يَأْخُذُ مِنْهُ الْمَلِكُ الَّذِي يُوحَى بِهِ إِلَى الرَّسُولِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

النبي ﷺ عالة على الوسطة وهو الملك، والملك يذهب إلى المعدن، ومن هناك هذه الوسطة ابن العربي ألغها مباشرة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَهَذَا كَمَا تَرَى فِي حَالِ هَذَا الرَّجُلِ وَتَعْظِيمِ بَعْضِ الْمُتَأَخِّرِينَ لَهُ. وَصَرَّحَ الْغَزَالِيُّ بِأَنَّ قَتْلَ مَنْ ادَّعَى أَنَّ رُتْبَةَ الْوِلَايَةِ أَعْلَى مِنْ رُتْبَةِ النَّبُوَّةِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ قَتْلِ مِائَةِ كَافِرٍ، لِأَنَّ ضَرَرَ هَذَا فِي الدِّينِ أَعْظَمُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

جميل، هذا يقوله في فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، هذا كُتِبَ مطبوع يقول: «قتل من ادَّعى أنَّ رتبة الولاية أعلى من رتبة النبوة أحبُّ إليه من قتل مائة كافر» كلام جميل لأنَّ ضرر هذا في الدين أعظم، لأنه يُضِلُّ الباب مفتوح.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا نُطِيلُ الْكَلَامَ فِي هَذَا الْمَقَامِ لِأَنَّهُ لَيْسَ الْمَقْصُودُ هُنَا. وَأَيْضًا فَأَسْمَاءُ اللهِ وَأَسْمَاءُ صِفَاتِهِ عِنْدَهُمْ شَرْعِيَّةٌ سَمْعِيَّةٌ لَا تُطْلَقُ بِمَجْرَدِ الرَّأْيِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(عندهم) أي عند الحنابلة، أنا يبدو لي أنَّ هناك سقطٌ هنا، قبل (وأيضًا) لأن هذا الانتقال مما كان عليه إلى التعليق في جملة معينة، الغريب يبدو لي أنَّ هناك سقط، سيتضح هذا، وأيضًا فإسماؤه الله وأسمائه صفاته عندهم شرعية سمعية، أي عند الحنابلة، لا تطلق بمجرد الرأي فهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَهُمْ فِي الإِمْتِنَاعِ مِنْ هَذِهِ الأَسْمَاءِ أَحَقُّ بِالْعُدْرِ مِمَّنْ افْتَنَعَ مِنْ تَسْمِيَةِ صِفَاتِهِ أَعْرَاضًا.

قَالَ الشَّارِحُ وفقه الله:

هناك مسألة هم يتفقون معنا ونحن نتفق معهم: أنَّ صفات الله ﷻ لا تُسَمَّى أَعْرَاضًا، من لا يصفُ

صفات الله ﷻ بأنها أعراض هو ما يقوله عندكم، نحن كلنا نقول به الكلابية يقولون بهذا والأشاعرة يقولون بهذا، والماتريدية يقولون بهذا، أنَّ صفات الله ﷻ ليست أعراض، وما كان منها أعراض لا يُثبتونه، المعتزلة يرون أنَّ جميع الصفات أعراض وبالتالي لا يثبتونه.

الكلابية يقولون: الصِّفَات السَّبْع ليست أعراض، لأنَّ العرض هو الذي يزول ويبقى، وعند يزول فصفات الله ﷻ ليست أعراضًا، وبالتالي ما لم يكن منها أعراض كالصفات السبع ثبتها، أمَّا الباقي نعم هي أعراض.

نحن نقول: كلها لا ينبغي أن نسميها أعراض فثبتها كلها، فالصفات التي يثبتونها لا يسمونها أعراض، وهذا جميل، الذي يقول عن صفات الله ﷻ أنها ليست بجوانب كما سبق في كلامه، ما الذي تستنكرونه هنا؟ ليست بجوارح، هذا النفي عندنا له قضية أخرى، عند أهل السُّنَّة لها قصة أخرى، ولكن أنت على منطقتك هذا عندك معذور، وهذا ينبغي أن يكون معذورًا أكثر لماذا؟ يذكر الدليل سيأتي، لأنَّ الجوارح هذا اللفظ يدل على الاكتساب، اجترَح السيئات، الاجترَاح الاكتساب، فلذلك صفات الله ﷻ إذا أطلقت عليها أنها جوارح إذا فيها معنى الاكتساب، أنت لا تطلق عليها الأعراض، لأنَّ فيها مانع الزوال.

إذا لا ينبغي أن تطلق عليها أيضًا أن تكون جوارح لأنَّ هذا المعنى لا يليق إلا بالمخلوق، فينبغي أن يكونوا معذوبين عندك، هذا كله في مناقشتهم هم.

أمَّا عندنا عند أهل السُّنَّة والجماعة هذا النفي وهذا الإثبات كله لا يجوز، أين في الكتاب والسُّنَّة أنها ليست جوارح؟ هذه ألفاظٌ مُجملة لا تُحقَّق حقًّا ولا تُبطل باطل، وبالتالي نحن نُثبت الصِّفَات على ما

تليق بالله ﷻ كونها أعراض، كونها جوارح، إذا كان لا يليق بالله ﷻ فهو منفي، نحن ما نُثبت فيه إثبات للحق كله، ولكن لا ندخل في هذه الألفاظ، وليست مهمة هذه، كما قلت: هذه لا تُحق حقاً ولا تُبطل باطلاً، بل تحتل الحق والباطل، إذا كان فيها شيء من الحق يُمرر من خلاله كثيراً من الباطل، فنحن لا نحتاج إليه.

أمّا أنت على منطقك المفروض يكون هذا الذي يقول: أنّ صفات الله ﷻ ليست جوارح المفروض تعذره، أحق بالعدر ممن امتنع من تسمية الصفات إعراضاً، مع أنّ المعتزلة يُسمونها أعراضاً، ونحن نقول: ليست أعراض.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَذَلِكَ أَنَّ الصِّفَاتِ الَّتِي لَنَا: مِنْهَا مَا هُوَ عَرَضٌ كَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَمِنْهَا مَا هُوَ جِسْمٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

صفات الله ﷻ ما يُقابلها في مخلوقين تنقسم إلى قسمين: منها ما أعراض، ومنها ما هو أعيرة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمِنْهَا مَا هُوَ جِسْمٌ وَجَوْهَرٌ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ كَالْوَجْهِ وَالْيَدِ وَتَسْمِيَةُ هَذِهِ جَوَارِحَ وَأَعْضَاءَ أَحْصَى مِنْ تَسْمِيَّتِهَا

أَجْسَامًا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لأن الجوارح لها معنى خاص سيأتي ويُفيد معنى إضافياً أكثر من كونها جسماً، أنت لا تُسميها

أجساماً مع أنها أعيان، وبالتالي ألا تسميها جوارح.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ مَعْنَى الْإِكْتِسَابِ وَالْإِنْتِفَاعِ وَالتَّصَرُّفِ وَجَوَازِ التَّفْرِيقِ وَالبَعْضِيَّةِ.

الْوَجْهُ الرَّابِعُ: أَنَّ هَذَا السُّؤَالَ لَا يَخْتَصُّ بِهَؤُلَاءِ، بَلْ إِثْبَاتُ جِنْسِ هَذِهِ الصِّفَاتِ قَدْ اتَّفَقَ عَلَيْهِ سَلْفُ

الْأُمَّةِ وَأُمَّتِهَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يقول شيخ الإسلام: هذا الذي تدمهم هؤلاء الذين تدمهم، هل هذا الذمُّ فيهم فقط؟ سبب الذم هل هو منحصرٌ فيهم فقط؟ ليس منحصرٌ فيهم، يقول: (إِثْبَاتُ جِنْسِ هَذِهِ الصِّفَاتِ قَدْ اتَّفَقَ عَلَيْهِ سَلْفُ الْأُمَّةِ وَأُمَّتُهَا) مثلما سبق في مناقشة العز بن عبد السلام، وهنا أيضًا، وهناك بين شيخ الإسلام أن مُنازِعِيكَ وَأَنَّ خِصْمَكَ هُنَا لَيْسُوا مِمَّنْ تُسَمِّيهِمْ حِشْوِيَّةً فَقَطْ، لَيْسُوا هُمْ فَقَطْ خِصْمُكَ هُنَا مِنَ السَّلْفِ إِلَى آخِرِ مَنْ يَثْبِتُ... وَهَكَذَا.

أولاً يُقَالُ لابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ مَا حَصَرْتَهُ عَلَى ثَلَاثَةٍ.

ثَانِيًا: نَفَرَضْنَا أَنَّ الحِنَابِلَةَ لَمْ نَجِدْ فِيهِمْ إِلَّا ثَلَاثَةً فِي غَيْرِ الحِنَابِلَةَ أُمَّمٍ لَا يُحْصَى عِدْدُهُمْ كُلَّهُمْ يَقُولُونَ بِهَذَا وَإِلَّا فَهَمُ فِي الحِنَابِلَةَ أَكْثَرُ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

بَلْ إِثْبَاتُ جِنْسِ هَذِهِ الصِّفَاتِ قَدْ اتَّفَقَ عَلَيْهِ سَلْفُ الْأُمَّةِ وَأُمَّتُهَا مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالتَّصَوُّفِ وَالمَعْرِفَةِ وَأُمَّةُ أَهْلِ الكَلَامِ مِنَ الكُلَّابِيَّةِ وَالكِرَّامِيَّةِ وَالأَشْعَرِيَّةِ كُلُّ هَؤُلَاءِ يُثْبِتُونَ لِلَّهِ صِفَةَ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا الاستدلال سبب في مناقشة العز، الاستدلال عليهم بمتقدميهم، الاستدلال على الأشاعرة بمتقدميهم، وهو هنا أيضًا، كثيرٌ منهم اتفق عليه سلف الأمة وأمتهم من أهل الفقه والحديث والتصوف والمعرفة وأئمة أهل الكلام والكُلابِيَّةِ وَالكِرَّامِيَّةِ وَالأَشْعَرِيَّةِ، كُلُّ هَؤُلَاءِ يُثْبِتُونَ لِلَّهِ صِفَةَ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَنَحْوِ

ذلك.

إذا ابن الجوزي خصومه هنا ليس هؤلاء الثلاثة فقط، كل هؤلاء خصومه، فأنت تدم الجميع.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ ذَكَرَ الْأَشْعَرِيُّ فِي كِتَابِ الْمَقَالَاتِ أَنَّ هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَقَالَ: إِنَّهُ بِهِ يَقُولُ. فَقَالَ فِي جُمْلَةٍ مَقَالَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَصْحَابِ الْحَدِيثِ: «جُمْلَةُ مَقَالَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَصْحَابِ الْحَدِيثِ: الْإِقْرَارُ بِكَذِّا وَكَذِّا، وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ اسْتَوَى، وَأَنَّ لَهُ يَدَيْنِ بِلَا كَيْفٍ كَمَا قَالَ: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ وَكَمَا قَالَ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ وَأَنَّ لَهُ عَيْنَيْنِ بِلَا كَيْفٍ كَمَا قَالَ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ وَأَنَّ لَهُ وَجْهًا كَمَا قَالَ: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إلى هنا كلام الأشعري، كلام الأشعري ينتهي هنا، يبدأ من قوله: جملة، وعليه ينتهي هنا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ قَدَّمْنَا فِيمَا تَقَدَّمَ أَنَّ جَمِيعَ أَيْمَةِ الطَّوَائِفِ هُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ ذَكَرَهُ أَبُو الْفَرَجِ وَغَيْرُهُ مِمَّا هُوَ مَوْجُودٌ فِي الْحَنْبَلِيَّةِ - سِوَاءِ كَانَ الصَّوَابُ فِيهِ مَعَ الْمُثْبِتِ أَوْ مَعَ النَّافِي أَوْ كَانَ فِيهِ تَفْصِيلٌ - إِلَّا وَذَلِكَ مَوْجُودٌ فِيمَا شَاءَ اللهُ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالصُّوفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَفِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ؛ بَلْ هُوَ مَوْجُودٌ فِي الطَّوَائِفِ الَّتِي لَا تَنْتَحِلُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ وَالْحَدِيثَ، وَلَا مَذْهَبَ السَّلَفِ مِثْلَ الشَّيْعَةِ وَغَيْرِهِمْ فَفِيهِمْ فِي طَرَفِي الْإِثْبَاتِ وَالنَّفْيِ مَا لَا يُوجَدُ فِي هَذِهِ الطَّوَائِفِ.

وَكَذَلِكَ فِي أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ - أَهْلِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ - تُوجَدُ هَذِهِ الْمَذَاهِبُ الْمُتَقَابِلَةُ فِي النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، وَكَذَلِكَ الصَّابِغَةُ مِنَ الْفَلَسِيفَةِ وَغَيْرِهِمْ لَهُمْ تَقَابُلٌ فِي النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ حَتَّى إِنْ مِنْهُمْ مَنْ يُنْبِتُ مَا لَا يُنْبِتُهُ كَثِيرٌ مِنْ مُتَكَلِّمَةِ الصِّفَاتِيَّةِ، وَلَكِنْ جِنْسُ الْإِثْبَاتِ عَلَى الْمُتَّبِعِينَ لِلرُّسُلِ أَغْلَبُ: مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِغَةَ الْمُهْتَدِينَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(من) هنا للبيان، من بيانية، (وَلَكِنْ جِنْسُ الْإِثْبَاتِ عَلَى الْمُتَّبِعِينَ لِلرُّسُلِ أَغْلَبُ) من هم هؤلاء الذين يتبعون الرسل من البيان؟ الذين آمنوا وكذلك اليهود والنصارى والصابئة المهتدين، هؤلاء الإثبات عليهم أكثر. إذا جنس الإثبات على المتبعين بالرسل أكثر.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَجِنْسُ النَّفْيِ عَلَى غَيْرِ الْمُتَّبِعِينَ لِلرُّسُلِ أَغْلَبُ: مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالصَّابِئَةِ الْمُبْتَدِعَةِ.
وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي غَيْرِ هَذَا الْجَوَابِ مَذْهَبَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَيْمَنَهَا بِاللَّفَاطِظِ وَأَلْفَاظِ مَنْ نَقَلَ ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ بِحَيْثُ لَا يَبْقَى لِأَحَدٍ مِنَ الطَّوَائِفِ اخْتِصَاصٌ بِالْإِثْبَاتِ.
وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ شَيْخُ الْحَرَمَيْنِ: أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْكَرَجِيُّ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ "الْفُضُولُ فِي الْأُصُولِ عَنِ الْأُئِمَّةِ الْفُحُولِ إلْزَامًا لِدَوِي الْبِدْعِ وَالْفُضُولِ".

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا الكتاب حققه الشيخ صالح، الشيخ عبد الرزاق نقل منه قطعة في تحقيقه في شرحه أظن شرح «السنة» للمزني، نقل جملة منه، منه عرفت أن الكتاب طبع، ومن ذلك الوقت أبحث عنه.
جزاك الله خير، هذا الكتاب من الكتب النوعية؛ لأنه ركز على أقوال الأئمة المذكورين، وهذه الأقوال هي حجة عليهم، حجة على أتباع هؤلاء الأئمة، أنت تتخذة إماماً فيما تركه في أهم جوانب الدين، ثم تقول: أنت حنبلي أو شافعي أو حنفي أو مالكي، وقد تركته في أهم جوانب الدين؟ خليه إماماً لك في هذا الجانب أيضاً، وهو قصد هذا القصد.

وقصد أيضاً انتقاء أئمة السلف في جميع المذاهب، وذكر أسماء وأبرزهم على كل المذاهب وشيخ الإسلام دائماً يذكر هذا، هو الذي شوقنا إليه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَانَ مِنْ أئِمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ - ذَكَرَ فِيهِ مِنْ كَلَامِ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ وَالثَّوْرِيِّ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَالبَّخَارِيِّ -
صَاحِبِ الصَّحِيحِ - وَسُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ وَالْأَوْزَاعِيَّ وَاللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ وَإِسْحَاقَ بْنَ
رَاهُوَيْهِ فِي «أَصُولِ السُّنَّةِ» مَا يُعْرَفُ بِهِ اعْتِقَادُهُمْ.

وَذَكَرَ فِي تَرَاجُمِهِمْ مَا فِيهِ تَنْبِيهُ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ وَمَكَانَتِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طَبَعًا هُوَ سَيَذُكُرُ فِيْمَا سَيَأْتِي سَيَذُكُرُ لِمَاذَا اخْتَارَ هَؤُلَاءِ، أَنْتُمْ لَاحْظُوا فِي دَقَّةِ اخْتِيَارِهِ، وَكَانَ مِنْ أئِمَّةِ
الشَّافِعِيَّةِ هَذَا الْكِرْجِيِّ، ذَكَرَ فِيهِ مِنْ كَلَامِ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ، الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ، وَمَالِكِ الْإِمَامِ الْمَالِكِيِّ،
الثَّوْرِيِّ إِمَامِ أَهْلِ الْكُوفَةِ هُوَ مُعَاوِرٌ لِلْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللهُ وَتُوفِيَ بَعْدَهُ بِأَحَدِي عَشْرَةِ سِنِينَ، تُوُفِيَ فِي سِنَةِ مِائَةِ
وَوَاحِدٍ وَسِتِّينَ، وَالْإِمَامِ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللهُ تُوُفِيَ فِي سِنَةِ مِائَةِ وَخَمْسِينَ، إِذَا هُوَ يُمَثَلُ قَطْرَ الثَّوْرِيِّ، وَأَحْمَدُ بْنُ
حَنْبَلٍ إِمَامِ الْحَنْبَلِيَّةِ وَإِمَامِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَالبَّخَارِيُّ إِمَامِ أَهْلِ خُرَاسَانَ وَسَجِسْتَانَ وَبِلَادِ مَا وَرَاءَ
النَّهْرِ إِمَامِهِمْ.

- سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ إِمَامِ أَهْلِ مَكَّةَ وَمُحَدِّثِهِمْ وَإِمَامِهِمْ.

وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ إِمَامِ أَهْلِ خُرَاسَانَ فِي طَبَقَةِ مُتَقَدِّمَةِ مِنْ طَبَقَةِ الْإِمَامِ الْبَخَارِيِّ، يَعْنِي هُوَ فِي طَبَقَةِ
كِبَارِ تَلَامِيذِ الْإِمَامِ الْبَخَارِيِّ.

الْإِمَامُ الْبَخَارِيُّ رَوَى عَنْ بَعْضِ هَذِهِ الطَّبَقَةِ أَبِي عَاصِمِ النَّبِيلِ وَأَبِي نُعَيْمٍ، هَؤُلَاءِ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ، طَبَقَةُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، وَلَا أُدْرِي هَلْ رَوَى عَنْهُ أَوْ لَا، مَا أَظُنُّ رَوَى عَنْهُمْ، لَكِنَّهُ رَوَى عَنْ بَعْضِ طَبَقَةِ عَبْدِ اللَّهِ
بْنَ الْمُبَارَكِ، وَالْأَوْزَاعِيَّ إِمَامِ أَهْلِ الشَّرْقِ، تُوُفِيَ فِي سِنَةِ (١٥٧).

الليث بن سعد إمام أهل مصر والمغرب توفي قبل الإمام أحمد وقبل الإمام مالك، الليث بن سعد
توفي قبله، توفي سنة (١٧٥)، إسحاق بن راهويه قرين الإمام أحمد وزميله في الفقه والسنة، وكما يقولون
والمنهج قرينه نفسهما متقارب بشكل عجيب.

ومن جهود الإمام الكوسج أنه حَفِظَ لَنَا من علمهت الشيء الكثير الذي طُبِعَ، الكوسج، يسأل ابن راهويه عن مسألة، ثم يسأل الإمام أحمد عن نفس المسألة، سبحانه الله! الهَمَمُ تختلف، هذا الرجل انصرفت همته إلى هذا، حفظ علم هذين الإمامين وهو أيضًا الإمام، الكوسج إمامٌ في الحديث. وأبي زُرعة أبي حاتم كلاهما إماما أهل خراسان في وقتها، وهما من طبقة الإمام البخاري، تأخرت وفاته عن وفاته، أبو زُرعة وأبو حاتم انظر الآن الاختيار بالنظر إلى المذاهب، وبالنظر إلى أقطار العالم الإسلامي.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَذَكَرَ أَنَّهُ اقْتَصَرَ فِي النِّقْلِ عَنْهُمْ - دُونَ غَيْرِهِمْ - لِأَنََّّهُمْ هُمُ الْمُقْتَدَى بِهِمْ وَالْمَرْجُوعُ شَرْقًا وَغَرْبًا إِلَى مَذَاهِبِهِمْ، وَلِأَنََّّهُمْ أَجْمَعُ لِشَرَائِطِ الْقُدُورَةِ وَالْإِمَامَةِ مِنْ غَيْرِهِمْ وَأَكْثَرُ لِتَحْصِيلِ أَسْبَابِهَا وَأَدْوَانِهَا: مِنْ جُودَةِ الْحِفْظِ وَالْبَصِيرَةِ وَالْفِطْنَةِ وَالْمَعْرِفَةِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ وَالسَّنَدِ وَالرِّجَالِ وَالْأَحْوَالِ وَلُغَاتِ الْعَرَبِ وَمَوَاضِعِهَا وَالتَّارِيخِ وَالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ وَالْمَنْقُولِ وَالْمَعْقُولِ وَالصَّحِيحِ وَالْمَذْخُولِ فِي الصَّدَقِ وَالصَّلَابَةِ، وَظُهُورِ الْأَمَانَةِ وَالِدِّيَانَةِ: مِمَّنْ سِوَاهُمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

سبحان الله! هذا الاختيار والنظر إلى هذه الصفات هذا يقنعك، ليست القضية أنه نقل عن فلان لأن فلان على مذهبه أبدًا، يقول: نظرت إليهم من هذه الزاوية، هذه الصفات، وهذه الصفات من اتصف بها فهو إمامٌ في الدين، وإمامٌ في الحديث، إمامٌ في العقيدة في السنة، إمامٌ في الفقه وأصوله، انظر الأوصاف هذه كلها، وهؤلاء الذين ذكرهم سبحانه الله بعضهم أعلمٌ من بعض في هذه الصفات، بعضهم أكثر اتصافًا من بعض ما أدري من الذي كلهم هكذا - ما شاء الله - واختيارٌ دقيق مما يدل على إمامته هو، الكرجي رَحِمَهُ اللهُ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

قَالَ: وَإِنْ قَصَرَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ فِي سَبَبٍ مِنْهَا جَبَرَ تَقْصِيرُهُ قُرْبُ عَصْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ

بِإِحْسَانٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(قرب عصره من الصحابة) إن كان هناك تقصير في بعض الجوانب، يجبره قرب عصره من الصحابة

والتابعين لهم بإحسان.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

بَايَنُوا هَؤُلَاءِ بِهَذَا الْمَعْنَى مَنْ سِوَاهُمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً يقول المحقق كذا بالأصل، فإن لم يكن ثمة تحريف أو سقط فعلى لغة: «يتعاقبون فيكم

ملائكة» هذه تسمى لغة: (أكلوني البراغيث) ولكن هذا التعبير أحسن، باينوا هؤلاء، المفروض يقول:

(باين هؤلاء لغة (أكلني البراغيث)، (باين هؤلاء بهذا المعنى)، باينوا من سواهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّ غَيْرَهُمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ - وَإِنْ كَانُوا فِي مَنْصِبِ الْإِمَامَةِ - لَكِنْ أَخْلَوْا بِبَعْضِ مَا أَشْرَتْ إِلَيْهِ مُجْمَلًا مِنْ

شَرَائِطِهَا إِذْ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعًا لِبَيَانِهَا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

قَالَ: وَوَجْهٌ ثَالِثٌ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ نُبَيِّنَ فِيهِ فَنَقُولَ: إِنَّ فِي النَّقْلِ عَنِ هَؤُلَاءِ الزَّامًا لِلْحُجَّةِ عَلَى كُلِّ مَنْ يَنْتَحِلُ مَذْهَبَ إِمَامٍ يُخَالِفُهُ فِي الْعَقِيدَةِ، فَإِنَّ أَحَدَهُمَا لَا مَحَالَةَ يُضَلُّ صَاحِبُهُ أَوْ يُبَدِّعُهُ أَوْ يَكْفُرُهُ فَانْتِحَالُ مَذْهَبِهِ - مَعَ مُخَالَفَتِهِ لَهُ فِي الْعَقِيدَةِ - مُسْتَنْكَرٌ وَاللَّهُ شَرَعًا وَطَبَعًا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ :

هذه الفقرة عليها بناء كتاب الكرجي، وما زال الكلام للإمام الكرجي، يقول: (إِنَّ فِي النَّقْلِ عَنِ هَؤُلَاءِ الزَّامًا لِلْحُجَّةِ عَلَى كُلِّ مَنْ يَنْتَحِلُ مَذْهَبَ إِمَامٍ يُخَالِفُهُ فِي الْعَقِيدَةِ، فَإِنَّ أَحَدَهُمَا لَا مَحَالَةَ يُضَلُّ صَاحِبُهُ أَوْ يُبَدِّعُهُ أَوْ يَكْفُرُهُ) هذا الشافعي الذي يتسبب إليه في الفقه ويُخالفه في العقيدة، فلا يخلو من التَّضليل أو التكفير، أو التبديع لماذا نُخالفه؟ لأنه عنده مُبتدع، وإلا لو كان كلام إمامه حقًا في العقيدة لاتبعه، ما دام أنه يُخالفه، فإمامه عنده إمامًا مُبتدعًا، أو مما يُكفر بهذا القول، أو يُفَسِّق به. يقول: لا يجتمع هذا مع كونه إمامًا لك، أحدكما يُفَسِّق الثاني ويُبدع الثاني، مع ذلك يبقى إمامًا لك، (فَانتِحَالُ مَذْهَبِهِ - مَعَ مُخَالَفَتِهِ لَهُ فِي الْعَقِيدَةِ - مُسْتَنْكَرٌ وَاللَّهُ شَرَعًا وَطَبَعًا) إمامًا لا يكون إمامًا لك، أو يكون إمامًا لك في كل شيء.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

فَمَنْ قَالَ: أَنَا شَافِعِيٌّ الشَّرْعُ أَشْعَرِيٌّ الْإِعْتِقَادُ قُلْنَا لَهُ: هَذَا مِنَ الْأَضْدَادِ، لَا بَلَّ مِنَ الْإِرْتِدَادِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ :

هذه السلسلة تجدونها كثيرة الآن في كتب في أقوال مُتبعي الأئمة، فمثلاً عندنا حنفي في المذهب، ماتريدي في الأصول، نقشبندي في السلوك، أو قادري أو بشتي، هذا أربع سلاسل معروفة، هذا أقل ما تجده، إن لم تكن هناك سلاسل أخرى.

في الفروع حنفي، وفي الأصول ماتريدي، وفي السلوك نقشبندي، شافعي الشرع في الفروع أشعري

الاعتقاد، وهذا كثير أكثر الشافعية وقعوا في هذا، وأيضًا كثير من المالكية.

يقول: **(قُلْنَا لَهُ: هَذَا مِنَ الْأَضْدَادِ، بَلْ مِنَ الْإِرْتِدَادِ)** أي من التناقض، تقول شيئاً ثم ترجع عنه، هذا الذي يقصد من الارتداد، ما يقصد الردة التي تُخرج من الإسلام تقول شيئاً هذا إمامي ثم لا، ليس إمامي، لماذا؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

إِذْ لَمْ يَكُنْ الشَّافِعِيُّ أَشْعَرِيَّ الْإِعْتِقَادِ. وَمَنْ قَالَ: أَنَا حَنْبَلِيٌّ فِي الْفُرُوعِ مُعْتَزِلِيٌّ فِي الْأُصُولِ قُلْنَا: قَدْ ضَلَلْتَ إِذَا عَنَّ سِوَاءِ السَّبِيلِ فِيمَا تَزْعُمُهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ أَحْمَدُ مُعْتَزِلِيَّ الدِّينِ وَالْإِجْتِهَادِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً هذا ما وجدت أحد يقول: أنا حنبلي في الفروع معتزلي في الأصول، هكذا، أكيد يكون اطلع على بعض، هم يتحلون المذهب الأشعري، الأشعري نفسه يقول: أنا حنبلي، وهؤلاء يقولون: نحن حنابلة في الفروع، أشعرية في الأصول.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

قَالَ: وَقَدْ أُفْتِنَ أَيْضًا خَلْقٌ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ بِمَذَاهِبِ الْأَشْعَرِيَّةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

بمذاهب الأشعرية، المالكية تعرفون يتمركزون في الغرب، كانوا هم الأكثرية في مصر، ولكن لما جاء الإمام الشافعي اكتسح وهو تلميذ الإمام مالك، ولكن الغرب يبقى الأكثرية تلو الأكثرية لمالك، ولكن بعض من جاء إلى الشرق تسبب في نقل الأشعرية إلى هناك، وإلا فمذهب الإمام مالك في الأصول وفي المذهب على منهج أهل السنة، ولكن البعض نقل المذهب الأشعري إلى هناك، فافتتن كثير منهم بهم بالأشاعرة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذِهِ وَاللَّهِ سُبَّةٌ وَعَارٌ وَفَلْتَةٌ تَعُودُ بِالْوَبَالِ وَالنَّكَالِ وَسُوءِ الدَّارِ عَلَى مُتَّحِلِ مَذَاهِبِ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ الْكِبَارِ، فَإِنَّ مَذَهَبَهُمْ مَا رَوَيْنَاهُ مِنْ تَكْفِيرِهِمُ الْجَهْمِيَّةَ وَالْمُعْتَزَلَةَ وَالْقَدْرِيَّةَ وَالوَاقِفِيَّةَ، وَتَكْفِيرِهِمُ اللَّفْظِيَّةَ..

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللهُ:

الواقفية هذا لمذهب مرتبطُ بمسألة صفة الكلام، وخاصةً في القرآن بعضهم يقولون: نحنُ لا نقول هو مخلوق، ولا نقول: هو غير مخلوق نقف، لماذا تقف؟ لأنك في الباطن معتزلي أو جهمي، الواقفية ألحقهم الأئمة بالمعتزلة وبالجهمية؛ لأنه يبدو في شيء واقف، وإلا فالواقف لا يُنسب إليه شيء، ولكن شخصاً إذا كان يقف في شيء واضح وسبب وقفه معروف يُنسب إليه، وتكفيرهم لفظياً، والمراد لفظياً هو لفظية الجهمية الذين يرون أن الملفوظ مخلوق، وهناك لفظية الكلابية وهم نوعان:

بعضهم جهمية.

وبعضهم ليس جهمية.

بدعهم الإمام أحمد الذي يقول: «لفظي بالقرآن مخلوق» ويقصد باللفظ التلفظ أيضاً بدعهم الإمام أحمد.

ولكن الذي يقول: «لفظي القرآن مخلوق» ويقصد باللفظ الملفوظ فهو جهمي.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَبَسَطَ الْكَلَامَ فِي مَسْأَلَةِ اللَّفْظِ إِلَى أَنْ قَالَ -: «فَأَمَّا غَيْرُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ: فَلَمْ يَنْتَحِلْ أَحَدٌ مَذَهَبَهُمْ، فَلِذَلِكَ لَمْ نَتَعَرَّضْ لِلنَّقْلِ عَنْهُمْ». قَالَ: «فَإِنْ قِيلَ: فَهَلَّا افْتَصَرْتُمْ إِذَا عَلَى النَّقْلِ عَمَّنْ شَاعَ مَذَهَبُهُ وَانْتَحَلَ اخْتِيَارَهُ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ وَهُمْ الْأَئِمَّةُ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللهُ:

(فَأَمَّا غَيْرُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ: فَلَمْ يَنْتَحِلْ أَحَدٌ مَذَهَبَهُمْ) وإلا هم أئمة، (فَلِذَلِكَ لَمْ نَتَعَرَّضْ لِلنَّقْلِ

عَنْهُمْ). إذا كل من انتحل مذهبه ذكرته، ثم يأتي سؤال: الذين انتحبت مذاهبهم وانتسب إليهم ناس هم

أربعة فقط وأنت زدت عليهم لماذا؟ يجيب عنه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«فَإِنْ قِيلَ: فَهَلَّا اقْتَصَرْتُمْ إِذَا عَلَى النَّقْلِ عَمَّنْ شَاعَ مَذْهَبُهُ وَأَنْتَحَلَ اخْتِيَارَهُ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(وَمِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ)، طَبَعًا هُوَ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَ بَعْضَهُمْ، يُرِيدُ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَصْحَابِ الْحَدِيثِ،

مَذْهَبِ أَهْلِ الرَّأْيِ مَا يُرِيدُ أَنْ يَدْخُلَهُمْ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

هُمُ الْأَئِمَّةُ: الشَّافِعِيُّ وَمَالِكٌ وَالثَّوْرِيُّ وَأَحْمَدُ إِذْ لَا نَرَى أَحَدًا يَتَّحِلُّ مَذْهَبَ الْأَوْزَاعِيِّ وَاللَّيْثِ

وَسَائِرِهِمْ؟.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إِذَا لِمَاذَا ذَكَرْتَهُمْ؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

قُلْنَا: لِأَنَّ مَنْ ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ - سِوَى هَؤُلَاءِ - أَرْبَابُ الْمَذَاهِبِ فِي الْجُمْلَةِ إِذْ كَانُوا قُدْوَةً فِي

عَصْرِهِمْ ثُمَّ أُنْدَرَجَتْ مَذَاهِبُهُمُ الْآخِرَةُ تَحْتَ مَذَاهِبِ الْأَئِمَّةِ الْمُعْتَبَرَةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

ثُمَّ شَرَحَ، شَرَحَهُ جَمِيلٌ شَرَحَهُ كَيْفَ أُنْدَرَجَتْ مَذَاهِبُهُمْ فِي مَذَاهِبِ الْأَئِمَّةِ الْمُتَّبَعِينَ الْمَعْرُوفِينَ، هَذَا

الشَّرْحُ جَمِيلٌ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَذَلِكَ أَنَّ ابْنَ عَيْنَةَ كَانَ قُدْوَةً وَلَكِنْ لَمْ يُصَنَّفْ فِي الَّذِي كَانَ يَخْتَارُهُ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَإِنَّمَا صَنَّفَ

أَصْحَابُهُ وَهُمْ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ، فَأُنْدَرَجَ مَذْهَبُهُ تَحْتَ مَذَاهِبِهِمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

الشَّافِعِيُّ مَكِّيٌّ وَابْنُ عَيْنَةَ مَكِّيٌّ، عِلْمُ الشَّافِعِيِّ دُونَهُ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ، يَعْنِي هَذِهِ سِلْسَلَةٌ، وَدُونَهُ هُوَ

بنفسه أيضاً هؤلاء تلاميذهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمَّا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ فَلَمْ يَقُمْ أَصْحَابُهُ بِمَذْهَبِهِ قَالَ الشَّافِعِيُّ: «لَمْ يُرَزَقِ الْأَصْحَابُ» إِلَّا أَنْ قَوْلَهُ يُوَافِقُ قَوْلَ مَالِكٍ أَوْ قَوْلَ الثَّوْرِيِّ لَا يُخْطِئُهُمَا، فَاَنْدَرَجَ مَذْهَبُهُ تَحْتَ مَذْهَبِهِمَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لا يخطئهما لأن الثوري من طبقته، الليث من طبقة مالك ومن طبقة الثوري، الثوري توفي سنة (١٦١)، ومالك سنة (١٧٩)، والليث (١٧٥)، كلهم من طبقة واحدة، فغالب قوله في الغالب يكون مثل قوه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمَّا الْأَوْزَاعِيُّ فَلَا نَرَى لَهُ فِي أَعْمِّ الْمَسَائِلِ قَوْلًا إِلَّا وَيُؤَافِقُ قَوْلَ مَالِكٍ أَوْ قَوْلَ الثَّوْرِيِّ، أَوْ قَوْلَ الشَّافِعِيِّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هو أيضاً من طبقة مالك، وطبقة الثوري، أي هؤلاء الأئمة كانوا أئمة في وقت واحد، الثوري في العراق، والأوزاعي في الشام، ومالك في المدينة، والليث في مصر في وقت واحد، وابن عيينة في مكة، هو أنزل منهم مع أنه في طبقتهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَاَنْدَرَجَ اخْتِيَارُهُ أَيْضًا تَحْتَ اخْتِيَارِ هَؤُلَاءِ، وَكَذَلِكَ اخْتِيَارُ إِسْحَاقَ يَنْدَرِجُ تَحْتَ مَذْهَبِ أَحْمَدَ لِتَوَافُقِهِمَا. قَالَ: فَإِنْ قِيلَ: فَمِنْ أَيْنَ وَقَعْتَ عَلَى هَذَا التَّفْصِيلِ وَالْبَيَانِ فِي أَنْدَرَجِ مَذَاهِبِ هَؤُلَاءِ تَحْتَ مَذَاهِبِ الْأَئِمَّةِ؟

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

كيف عرفت هذا أن هذه الأقوام مُتقاربة، كيف عرفت هذا؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

قُلْتُ: مِنَ التَّعْلِيقَةِ لِلشَّيْخِ أَبِي حَامِدِ الإسْفَرَائِينِي.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

طبعًا هذا لم يطبع الكتاب من أهم كتب الشافعية ولم يطبع إلى الآن.

يقول النووي: أنه في نحو خمسين مُجلدًا، وذكر أنه هو أن هذا الكتاب أهم كتب المذهب، تعليقه

أبي حامد، أظن حسب علمي لم يُطبع.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الَّتِي هِيَ دِيْوَانُ الشَّرَائِعِ وَأُمُّ الْبَدَائِعِ فِي بَيَانِ الْأَحْكَامِ وَمَذَاهِبِ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ وَأُصُولِ الْحُجَجِ الْعِظَامِ؛ فِي الْمُخْتَلَفِ وَالْمُؤْتَلَفِ. قَالَ: «وَأَمَّا اخْتِيَارُ أَبِي زُرْعَةَ وَأَبِي حَاتِمٍ فِي الصَّلَاةِ وَالْأَحْكَامِ - مِمَّا قَرَأْتَهُ وَسَمِعْتُهُ مِنْ مَجْمُوعِيهِمَا - فَهُوَ مُوَافِقٌ لِقَوْلِ أَحْمَدَ وَمُنْدَرِجٌ تَحْتَهُ وَذَلِكَ مَشْهُورٌ»، وَأَمَّا الْبُخَارِيُّ فَلَمْ أَرْ لَهُ اخْتِيَارًا.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

لم أر له اختيارًا، يعني من البعيد أن يكون الكرجي لم يطلع على «صحيح البخاري» واختيارات

الإمام البخاري في "صحيحه" واضحًا، مع ذلك قال: لم أر له اختيارًا.

قد يكون قصده أنه ليس له كتابٌ خاصٌ في اختياراته، أما اختياراته في الصحيح، وكلام الأئمة أن

اختيارات البخاري في تراجم الأبواب معروفة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَكِنْ سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ طَاهِرِ الْحَافِظِ يَقُولُ: اسْتَنْبَطَ الْبُخَارِيُّ فِي الْإِخْتِيَارَاتِ مَسَائِلَ مُوَافِقَةً لِمَذْهَبِ

أَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

هذا الذي حاول محمد بن طاهر، الذي ألف في "مناهل العلم" للمقدسي، يقول: استنبط البخاري

في الاختيارات في الصحيح مسائل موافقة لمذهب أحمد وإسحاق، لماذا حال إليه؟ هل لم يطلع إلى "الصحيحين" أو كما يقول الشيخ أبو السعود أنه لم يؤلف كتابًا خاصًا؟ الإمام البخاري كان يُجيد أن يؤلف كتابًا في الفقه على منهج المُحدِّثين الفقه بعده، وكان يُريد أيضًا أن يؤلف كتابًا في الصحيح المُجرد، ثم رأى أن يجمع ما في كتاب واحد وهو صحيح البخاري، صحيح البخاري كتاب فقه بامتياز، وكتاب حديث هذا معروف، مثل "الموطأ" الموطأ إذا أردت أن تُصنّفه في كتب الحديث صحيح تصنّفه في كتب الفقه صحيح، ولكن هذا الجانب أجلى وأظهر في "الموطأ" أمّا في "صحيح البخاري" فاختياراته فقهية واهتمامه بالفقه وبالاستدلال هذا أهم ما أُلّف لأجله الصحيح، لأنه وجد أن الفقه عند بعض الناس يعني الأقيسة والأدلة أحيانًا مُغيّبة، فأراد أن يُبرز فقه أهل الحديث، وجمعهما في هذا الكتاب، ولذلك أنا أستغرب هل هذه الاختيارات هل يقصد أنه لم يقف على كتاب مُعيّن في هذا كما فضّل به الشيخ، أو لم يطلع إلى مسائل الباب، وهذا أستبعده من الكرجي، والله أعلم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَلِهَذِهِ الْمَعَانِي نَقَلْنَا عَنِ الْجَمَاعَةِ الَّذِينَ سَمَّيْنَاهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ إِذْ هُمْ أَرْبَابُ الْمَذَاهِبِ فِي الْجُمْلَةِ وَلَهُمْ أَهْلِيَّةُ الْإِقْتِدَاءِ بِهِمْ لِحَيَازَتِهِمْ شَرَائِطَ الْإِمَامَةِ، وَلَيْسَ مَنْ سِوَاهُمْ فِي دَرَجَتِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا أَيْمَةً كُبْرَاءَ قَدْ سَارُوا بِسَيْرِهِمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إذا هذا الكتاب جميل، وأنا أقترح على الأخوة أن يُترجموا هذا الكتاب يترجم إلى لغاتٍ مُختلفة ويوزّع، لأن هذا مدخل جميل جدًا لدعوة من ينتحل مذهبًا مُعيّنًا، في نفس الوقت الذي أُلّفه معروفٌ بعقيدته السلفية نستفيد منه قاعدتين.

بعض الناس إذا لم تأت إليه من باب إمامه، إذا تقول له: (قال مالك أبدًا) قال أبو حنيفة هو المدخل هذه وسيلة لتبيين الحق ولتوصيل الحق إلى مسامعه، ولفتح الصلة بينه وبين الأدلة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

نَمَّ ذَكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ الْفُضْلَ الثَّانِي عَشَرَ: فِي ذِكْرِ خُلَاصَةِ تَحْوِي مَنَاصِيصِ الْأَئِمَّةِ بَعْدَ أَنْ أُفْرِدَ لِكُلِّ مِنْهُمْ فَضْلاً؟

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

(مَنَاصِيصٌ) جمع نص، (في ذِكْرِ خُلَاصَةِ تَحْوِي مَنَاصِيصِ الْأَئِمَّةِ بَعْدَ أَنْ أُفْرِدَ لِكُلِّ مِنْهُمْ فَضْلاً).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

قَالَ: «لَمَّا تَبَعْتُ أُصُولَ مَا صَحَّ لِي رِوَايَتُهُ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

لَمَّا تَبَعْتُ أُصُولَ مَا صَحَّ لِي رِوَايَتُهُ، يَقُولُ: قَرَأْتُ الْكُتُبَ الَّتِي تَصَحَّ رِوَايَتُهَا قَرَأْتُهَا كُلَّهَا، (فَعَثَرْتُ فِيهَا).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَعَثَرْتُ فِيهَا بِمَا قَدْ ذَكَرْتُ مِنْ عَقَائِدِ الْأَئِمَّةِ فَرَتَّبْتُهَا عِنْدَ ذَلِكَ عَلَى تَرْتِيبِ الْفُضُولِ الَّتِي أَنْبَتَهَا وَافْتَتَحْتُ كُلَّ فَضْلٍ بِنَيْفٍ مِنَ الْمَحَامِدِ يَكُونُ لِإِمَامَتِهِمْ إِحْدَى الشَّوَاهِدِ دَاعِيَةً إِلَى اتِّبَاعِهِمْ وَوُجُوبِ وِفَاقِهِمْ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

دَاعِيَةً إِلَى اتِّبَاعِهِمْ وَوُجُوبِ وِفَاقِهِمْ، هَذَا إِمَامٌ، وَالْأَدْلَةُ تَدُلُّ عَلَى إِمَامَتِهِ نَتَبِعُهُ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَتَحْرِيمِ خِلَافِهِمْ وَشِقَاقِهِمْ فَإِنَّ اتِّبَاعَ مَنْ ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْأُمَّةِ فِي الْأُصُولِ فِي زَمَانِنَا بِمَنْزِلَةِ اتِّبَاعِ الْإِجْمَاعِ الَّذِي يُبْلَغُنَا عَنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ إِذْ لَا يَسْعُ مُسْلِمًا خِلَافُهُ، وَلَا يُعْذَرُ فِيهِ، فَإِنَّ الْحَقَّ لَا يَخْرُجُ عَنْهُمْ، لِأَنَّهُمْ الْأَدِلَاءُ وَأَرْبَابُ مَذَاهِبِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَالصُّدُورُ وَالسَّادَةُ، وَالْعُلَمَاءُ الْقَادَةُ أَوْلُوا الدِّينِ وَالِدِيَانَةَ وَالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةَ وَالْعِلْمِ الْوَافِرِ وَالْإِجْتِهَادِ الظَّاهِرِ، وَلِهَذَا الْمَعْنَى اقْتَدَوْا بِهِمْ فِي الْفُرُوعِ، فَجَعَلُوهُمْ فِيهَا وَسَائِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ حَتَّى صَارُوا أَرْبَابَ الْمَذَاهِبِ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ فَلْيَرِضُوا كَذَلِكَ بِهِمْ فِي الْأُصُولِ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ وَبِمَا نَصُّوا عَلَيْهِ وَدَعَوْا إِلَيْهِ. قَالَ: فَإِنَّا نَعْلَمُ قَطْعًا أَنَّهُمْ أَعْرَفُ قَطْعًا بِمَا صَحَّ مِنْ مُعْتَقِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ مِنْ بَعْدِهِ؛ لِحُجُودِ مَعَارِفِهِمْ وَحِيَارَتِهِمْ شَرَائِطَ الْإِمَامَةِ، وَلِقُرْبِ عَصْرِهِمْ مِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ كَمَا بَيَّنَّاهُ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ.

قَالَ: ثُمَّ أَرَدْتُ وَوَأَفَقَ مُرَادِي سُؤَالَ بَعْضِ الْإِخْوَانِ أَنْ أَذْكَرَ خُلَاصَةَ مَنَاصِيصِهِمْ مُتَضَمِّنَةً بَعْضَ أَلْفَاظِهِمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

خُلَاصَةَ نَصِّ هَذَا الْإِمَامِ تَكُونُ هَذِهِ الْخُلَاصَةُ بِتَعْيِيرِهِ هُوَ، وَحَتَّى لَا تَخْلُو الْفَائِدَةُ مِنَ التَّأَكِيدِ مُضْمَنَةً بَعْضَ أَلْفَاظِهِمْ، التَّعْيِيرُ مِنْهُ، وَيُطَعَّمُ بِبَعْضِ أَلْفَاظِهِمْ بِالنَّصِّ حَتَّى يَكُونَ الدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ مَا يَسْتَنْبِطُهُ. وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ هِيَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي تَجْمَعُ بَيْنَ الْفَائِدَتَيْنِ:

نَصِّ إِمَامٍ، وَمَا فَهَمْتَهُ مِنَ الْإِمَامِ.

لَأَنِّي قَدْ أُوَافَقْتُ عَلَى مَا فَهَمْتَهُ، وَقَدْ لَا أُوَافِقُكَ، مِثْلَ مَا حَصَلَ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَلْفَهُ التَّمِيمِي، كَثِيرٌ مِنْهُ، لَيْسَ قَلِيلٌ، كَثِيرٌ مِنْهُ مَا ذَكَرَهُ لَا يُوَافِقُ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ هُوَ هَكَذَا فَهَمَهُ مِنْ مَذْهَبِ الْإِمَامِ، فَلَمَّا تَذَكَرَ اسْتَنْبَطَهُ - هَذِهِ فَائِدَةٌ - وَبَعْضُ كَلَامِهِ جَمَعَتْ بَيْنَ فَائِدَتَيْنِ، فَهَذَا الَّذِي فَعَلَهُ الْإِمَامُ الْكَرْجِيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّهَا أَقْرَبُ إِلَى الْحِفْظِ، وَهِيَ اللَّبَابُ لِمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَاسْتَعْنَتْ بِمَنْ عَلَيْهِ التَّكْلَانُ وَقُلْتُ: إِنَّ
الَّذِي آتَرْنَاهُ مِنْ مَنَاصِيصِهِمْ يَجْمَعُهُ فَضْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: فِي بَيَانِ السُّنَّةِ وَفَضْلِهَا. وَالثَّانِي: فِي هِجْرَانِ الْبِدْعَةِ وَأَهْلِهَا.

أَمَّا الْفَضْلُ الْأَوَّلُ: فَاعْلَمْ أَنَّ السُّنَّةَ طَرِيقَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّسْنُنُ بِسُلُوكِهَا وَإِصَابَتُهَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذه خلاصة تعريف السُّنَّةِ التعريف الجميل، السُّنَّةُ طريقة رسول الله ﷺ والتَّسْنُنُ بسلوكتها
وإصابتها، السُّنَّةُ تجمع الأمرين: العلم بطريقة النبي ﷺ وسلوكها إذا تجمع العلم والعمل.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهِيَ أَقْسَامٌ ثَلَاثَةٌ: أَقْوَالٌ وَأَعْمَالٌ وَعَقَائِدٌ. فَالْأَقْوَالُ: نَحْوُ الْأَذْكَارِ وَالتَّسْبِيحَاتِ الْمَأْتُورَةِ. وَالْأَفْعَالُ:
مِثْلُ سُنَنِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالتَّوْبَاتِ الْمَذْكُورَةِ وَنَحْوِ السَّيْرِ الْمَرْضِيَّةِ وَالْأَدَابِ الْمَحْكِيَّةِ، فَهَذَانِ الْقِسْمَانِ
فِي عِدَادِ التَّأَكِيدِ وَالِاسْتِحْبَابِ وَاكْتِسَابِ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ.

وَالْقِسْمُ الثَّلَاثُ: سُنَّةُ الْعَقَائِدِ وَهِيَ مِنَ الْإِيمَانِ إِحْدَى الْقَوَاعِدِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني يريد أن يُبين أهمية القسم الثالث.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

قَالَ: وَهَا أَنَا ذَا أَدْكَرُ - بِعَوْنِ اللَّهِ - خُلَاصَةً مَا نَقَلْتَهُ عَنْهُمْ مُفَرَّقًا، وَأُضِيفُ إِلَيْهِ مَا دُونَ فِي كُتُبِ الْأُصُولِ

مِمَّا لَمْ يَبْلُغْنِي.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

قد ذكرت الإشارة إليه، لأنَّ إذا أردت أن أُبين قيمة الإمام أحمد من خلال ألفاظه فقط، من الصعب
نحفظها، قال الإمام أحمد كذا وقال الإمام أحمد كذا، أنت خدمت هذا الجانب، ولكن بالنسبة للحفظ

صعب أحفظ هذه كلها، ولكن لما تلخصها بكلام جميل، وتذكر بعض نصوصه يجمع الفائدةين وأيضاً أسهل.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَضِيفُ إِلَيْهِ مَا دُونَ فِي كُتُبِ الْأُصُولِ مِمَّا لَمْ يُبَلِّغْنِي عَنْهُمْ مُطْلَقًا وَأُرْتَبَهَا مُرَشَّحَةً وَبِبَعْضِ مَنَاصِبِهِمْ مُوَشَّحَةً بِأَوْجَزِ لَفْظٍ عَلَى قَدْرِ وَسْعِي لِيَسْهُلَ حِفْظُهُ عَلَى مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَعِيَ فَأَقُولُ: لِيَعْلَمَ الْمُسْتَنُّ أَنَّ سُنَّةَ الْعُقَايِدِ عَلَى «ثَلَاثَةِ أَضْرُبٍ»: ضَرْبٌ يَتَعَلَّقُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ. وَضَرْبٌ يَتَعَلَّقُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَحْبِهِ وَمُعْجَزَاتِهِ، وَضَرْبٌ يَتَعَلَّقُ بِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي أَوْلَاهُمْ وَأَخْرَاهُمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً هذا فيه تفصيل كما تعرفون، الصفات الذاتية، والصفات الأزلية هي قديمة، والصفات الفعلية هي قديمة النوع ترجع إلى فعل الله ﷻ وخلقه وأمره، ولكن الآحاد هي حادثة، بمعنى تتعلق بمشيئته وقدرته، ولا نقول: بأن صفات الله ﷻ كلها قديمة، وأنا أظن أن هذا التفصيل ما أظن أن الكرجي يخالفها إلا أن المقام مقام إجمال لا يفصل فيها.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

أَمَّا الضَّرْبُ الْأَوَّلُ: فَلْنَعْتَقِدُ أَنَّ لِلَّهِ أَسْمَاءً وَصِفَاتٍ قَدِيمَةً غَيْرَ مَخْلُوقَةٍ، جَاءَ بِهَا كِتَابُهُ وَأَخْبَرَ بِهَا الرَّسُولُ أَصْحَابَهُ فِيمَا رَوَاهُ الثَّقَاتُ وَصَحَّحَهُ النَّقَادُ الْأَثْبَاتُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لا بُدَّ من هذا القيد، لا نأخذ بالأحاديث الضعيفة، لا نأخذ إلا بما صح.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَدَلَّ الْقُرْآنُ الْمُبِينُ وَالْحَدِيثُ الصَّحِيحُ الْمَتِينُ عَلَى ثُبُوتِهَا.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «وَهِيَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً قال رَحِمَهُ اللهُ قال رَحِمَهُ اللهُ هذا كله يدل على أن شيخ الإسلام تصرف في كلامه وحذف بعضه ونقل بعضه.

قال المصنّف رَحِمَهُ اللهُ:

«وَهِيَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى، أَوَّلَ لَمْ يَزُلْ وَآخِرُ لَا يُزَالُ أَحَدٌ قَدِيمٌ وَصَمَدٌ كَرِيمٌ عَلِيمٌ حَلِيمٌ عَلِيٌّ عَظِيمٌ.»

قال الشّارح وفقه الله:

(قديم) إذا كان من باب الوصف صحيح، أمّا إذا كان من باب التسمية فلا يصح، فصل فيه شيخ الإسلام.

قال المصنّف رَحِمَهُ اللهُ:

رَفِيعٌ مَجِيدٌ، وَلَهُ بَطْشٌ شَدِيدٌ وَهُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ، قَوِيٌّ قَدِيمٌ مَنِيْعٌ نَصِيرٌ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ إِلَى سَائِرِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ مِنَ النَّفْسِ وَالْوَجْهِ وَالْعَيْنِ وَالْقَدَمِ وَالْيَدَيْنِ وَالْعِلْمِ وَالنَّظَرِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ.

قال الشّارح وفقه الله:

النفس هي رأي شيخ الإسلام وإنّ المعنى الذات أي ليست صفة مستقلة، النفس، ممن ذكر أنها صفة مستقلة ابن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ وذكر لها أدلة.

قوله: **(وَالْعِلْمُ وَالنَّظَرُ)**، النظر ما فهمت ما الذي يقصده، نحن الأمور التي نتوقف فيها ما أدري ماذا يقصد

بها.

قال المصنّف رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْإِرَادَةُ وَالْمَشِيئَةُ وَالرِّضَى وَالغَضَبُ وَالْمَحَبَّةُ وَالضَّحِكُ وَالْعَجَبُ وَالِاسْتِحْيَاءُ؛ وَالغَيْرَةُ وَالْكَرَاهَةُ وَالسَّخَطُ وَالْقَبْضُ وَالْبَسْطُ وَالْقُرْبُ وَالِدُنُوُّ وَالْفُوقِيَّةُ وَالْعُلُوُّ وَالْكَلامُ وَالسَّلَامُ وَالْقَوْلُ وَالنِّدَاءُ وَالتَّجَلِّيُّ وَاللِّقَاءُ وَالتُّزُولُ؛ وَالصُّعُودُ وَالِاسْتِوَاءُ وَأَنَّهُ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ، وَأَنَّهُ عَلَى عَرْشِهِ بَاتِنٌ مِنْ خَلْقِهِ.

قال الشّارح وفقه الله:

الصعود هل ذكر له دليل خاص؟ ما أذكر هذه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

قَالَ مَالِكٌ: «إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ».

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: «نَعْرِفُ رَبَّنَا فَوْقَ سَبْعِ سَمَوَاتِهِ عَلَى الْعَرْشِ بَائِتًا مِنْ خَلْقِهِ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(فَوْقَ سَبْعِ سَمَوَاتِهِ) هكذا (سبع) مُضَافٌ و(سموات) مضاف إليه، لا يستقيم أن يقول: سبع سمواته،

نحن ما عندنا إلا نسخة واحدة، لعل فيه خطأ (ربنا فوق سبع سموات).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا نَقُولُ كَمَا قَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ: «إِنَّهُ هَهُنَا - وَأَشَارَ إِلَى الْأَرْضِ».

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ قَالَ: «عِلْمُهُ».

قَالَ الشَّافِعِيُّ: «إِنَّهُ عَلَى عَرْشِهِ فِي سَمَائِهِ يَقْرُبُ مِنْ خَلْقِهِ كَيْفَ شَاءَ».

قَالَ أَحْمَدُ: «إِنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ عَالِمٌ بِكُلِّ مَكَانٍ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

في هذه النصوص الجمع بين العلوم وبين العلم والإحاطة والدنو.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَإِنَّهُ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كَيْفَ شَاءَ، وَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَيْفَ شَاءَ، وَإِنَّهُ يَعْلُو عَلَى كُرْسِيِّهِ وَالْإِيمَانُ بِالْعَرْشِ وَالْكَرْسِيِّ، وَمَا وَرَدَ فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ. وَأَنَّ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ يَصْعَدُ إِلَيْهِ وَتَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ خَلَقَ آدَمَ بِيَدَيْهِ، وَخَلَقَ الْقَلَمَ وَجَنَّةَ عَدْنٍ وَشَجَرَةَ طُوبَى بِيَدَيْهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَةَ بِيَدَيْهِ، وَأَنَّ كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ».

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «خَلَقَ اللهُ بِيَدَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ: آدَمَ وَالْعَرْشَ وَالْقَلَمَ وَجَنَّةَ عَدْنٍ وَقَالَ لِسَائِرِ الْخَلْقِ: كُنْ فَكَانَ» وَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِالْوَحْيِ كَيْفَ يَشَاءُ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «لَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحَقَرُ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ فِيَّ بِوَحْيٍ يُتْلَى». وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ بِجَمِيعِ جِهَاتِهِ مُنَزَّلٌ غَيْرَ مَخْلُوقٍ وَلَا حَرْفَ مِنْهُ مَخْلُوقٌ مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ».

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: «مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ قَالَ: لَا أُؤْمِنُ بِهَذِهِ اللَّامِ فَقَدْ كَفَرَ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(بهذه اللام) حرف واحد، فقد كفر، من أنكر حرفاً كفر.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَنْ قَالَ: لَا أُؤْمِنُ بِهَذِهِ اللَّامِ فَقَدْ كَفَرَ، وَأَنَّ الْكُتُبَ الْمُنَزَّلَةَ عَلَى الرُّسُلِ مِائَةٌ - وَأَرْبَعَةٌ كُتُبٌ - كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً هذا العدد، وهذا الحصر هذا مبني على حديث مرفوع أخرجه ابن حبان في "صحيحه" وأخرجه أبو نعيم في "الحلية" والحديث ضعيف. فصل فيه الشيخ الألباني في "الضعيفة"، وبالتالي هذا الحصر وهذا العدد لا يثبت بدليل، أن الله ﷻ كتبه (مائة وأربعة)، هذا العدد هذا الحصر.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

قَالَ أَحْمَدُ: «وَمَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَمَا فِي الْمَصَاحِفِ وَتِلَاوَةُ النَّاسِ وَكَيْفَمَا يُقْرَأُ وَكَيْفَمَا يُوصَفُ فَهُوَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ».

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

طبعًا هذا شرحٌ لِمَا سبق من قوله: (وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ) هذا شرحٌ من الإمام أحمد سواءً كان في اللوح المحفوظ، وسواءً كان مكتوبًا، وسواءً كان متلوًا ومقروءًا فهو في جميع جهاته كلام الله ﷻ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

قَالَ الْبُخَارِيُّ: «وَأَقُولُ: فِي الْمُصْحَفِ قُرْآنٌ، وَفِي صُدُورِ الرِّجَالِ قُرْآنٌ فَمَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا يُسْتَتَابُ؛ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا فَسَبِيلُهُ سَبِيلُ الْكُفْرِ».

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

الكلاية ما يستطيعون أن يقولوا في المصحف قرآن أبدًا، القرآن عندهم في نفس الله ﷻ بمعنى الكلام.

أمَّا هنا في المصحف ما يدل على القرآن، وفي صدور الرجال ما يدل على القرآن، وهذه المسألة تحدت عنها العز بن عبد السلام في كتابه "الملحق" أيضًا وغيره، يقولون: هذا يستلزم حضور كلام الله ﷻ في المصحف، وحضور كلامه في الصدور، وبالتالي لا نستطيع أن نقول، أنت لما تكتب كلام أحد، فهل كلامه حلّه؟ يعني بعض الشبه هي الشبهة سُميت شبهة لمشابتها للدليل، لكن بعض الشيء تكون غريبة وتكون مؤثرة، مما يدل على أن هذه الشبهة ليست هي التي جعلته، هناك أمور أخرى هذه الشبهة فقط لدفع المخالفة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَذَكَرَ الشَّافِعِيُّ الْمُعْتَقَدَ بِالِدَّلَائِلِ فَقَالَ: «لِلَّهِ أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ جَاءَ بِهَا كِتَابُهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

الكرجي هو شافعي، الكرجي شافعي، وبالتالي سيذكر من تفصيل معتقد الشافعي أكثر، وهناك ما يتلوا لهذا التفصيل أكثر، لأن الشافعي شافعيًا في الفروع وأشعريًا في المسائل، هناك كلام شديد الكرجي متى توفي؟ الكرجي رَحِمَهُ اللهُ توفي سنة (٥٣٢ هـ) هناك كلام للسمعاني معرفتك التواريخ هذه تدلك على تسلسل الأفكار، مهمة جدًا لبيان تسلسل الأخبار، نفس الفكرة تحدث عنها السمعي رَحِمَهُ اللهُ أبو المظفر جد السمعي صاحب "الأزهار" جده أبو سعد السمعي، وأبو سعد السمعي على فكرة ممن نال من ابن الجوزي سبًا وشتمًا، وانتصر له الذهبي، الذهبي انتصر للسمعاني، ولكن ابن الجوزي، وذكر أن ابن الجوزي يقول لن يرضى عنك حتى أصحابك.

فالسمعاني له كتاب "الانتصار لأهل الحديث" هذه من الكتب التي أسأل الله أن يسوقه إلينا رزقًا يبحث عنه الكثيرون، هذه أرزاق سبحانه الله! فهذا الكتاب "الانتصار لأهل الحديث" تحدث فيه عن هذه الفكرة التي يتحدث عنها الكرجي رَحِمَهُ اللهُ، الخلاف الذي بين الأئمة وأطوارهم، ووقف مع الشافعي أكثر، لأن هؤلاء أشاعرة، الشافعي وأمثال ابن السمعي أمثالهم كانوا نفيهم يعني أنهم على الخط السلفي، وكانوا يستنكرون انتساب الشافعي للأشعري هم يستنكرون هذا.

ولكن الأمر الآن طبيعي جدًا، الذي لا يقول بالأشعرية هو الذي يُستبعد، كيف أنت لست أشعريًا وأنت شافعي؟ كان معي أخوة هنا شافعيين من سوريا، أنا كنت أقول لهم: أنتم ترفعون الضغط، شافعية ومع ذلك أشاعرة، لا يجتمع هذا مع هذا، الشافعي لا بُدَّ أن يكون على عقيدته، فهذه الفكرة التي تحدث عنها الكرجي رَحِمَهُ اللهُ تحدث عنها قبله ابن السمعي، وابن السمعي توفي سنة (٤٨٩) إذاً هو قبله هو في طبقة الشيخ الكرجي، والكرجي رَحِمَهُ اللهُ من الأئمة.

على كل حال: نطلع على النسخة وننظر فيها، هل هناك صلة بينهم؟ المهم الفكرة واحدة فكرة

جميلة جداً.

قال المصنف رحمه الله:

فَقَالَ: «لِلَّهِ أَسْمَاءٌ وَصَفَاتٌ جَاءَ بِهَا كِتَابُهُ. وَأَخْبَرَ بِهَا نَبِيَّهُ أُمَّتَهُ، لَا يَسْعُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ رَدُّهَا - إِلَى أَنْ قَالَ - نَحْوَ إِخْبَارِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِيَّانَا أَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، وَأَنَّ لَهُ يَدَيْنِ لِقَوْلِهِ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ وَأَنَّ لَهُ يَمِينًا بِقَوْلِهِ: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ وَأَنَّ لَهُ وَجْهًا لِقَوْلِهِ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ وَأَنَّ لَهُ قَدَمًا لِقَوْلِهِ: «حَتَّى يَضَعَ الرَّبُّ فِيهَا قَدَمَهُ» يَعْنِي جَهَنَّمَ. وَأَنَّهُ يَضْحَكُ مِنْ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: إِنَّهُ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ يَضْحَكُ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ يَهْبِطُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا لِخَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

هذا كله من كلام الشافعي رحمه الله.

قال المصنف رحمه الله:

«وَأَنَّهُ لَيْسَ بِأَعْوَرَ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ ذَكَرَ الدَّجَالَ فَقَالَ: إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَأَنَّ لَهُ إِصْبَعًا لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ».

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

هذا كله مما قاله الشافعي.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

قَالَ: «وَسِوَى مَا نَقَلَهُ الشَّافِعِيُّ أَحَادِيثُ جَاءَتْ فِي الصَّحَاحِ وَالْمَسَانِيدِ، وَتَلَقَّتْهَا الْأُمَّةُ بِالْقَبُولِ وَالتَّصَدِيقِ نَحْوَ مَا فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ الذَّاتِ وَقَوْلِهِ: «لَا شَخْصَ أُغَيِّرُ مِنْ اللَّهِ» وَقَوْلِهِ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟ وَاللَّهِ لَأَنَا أُغَيِّرُ مِنْ سَعْدٍ وَاللَّهُ أُغَيِّرُ مِنِّي» وَقَوْلِهِ: «لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ وَلِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ وَلَيْسَ أَحَدٌ أُغَيِّرُ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ» وَقَوْلِهِ: «يَدُ اللَّهِ مَلَأَى» وَقَوْلِهِ: «بِيَدِهِ الْأُخْرَى الْمِيزَانَ يُخَفِّضُ وَيَرْفَعُ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا الغيرة أيضًا تحدث هنا شيخ الإسلام وذكر النصوص، وبين أنها ثابتة لله ﷻ وأن السياق والصفات النصوص واضحة في هذا، وأنه لم يتوهم فيها ما يكون من المخلوقين من عوارض صفات المخلوقين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَوْلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَرْضِينَ وَتَكُونُ السَّمَوَاتُ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ» وَنَحْوَهُ قَوْلُهُ: «ثَلَاثَ حَيَاتٍ مِنْ حَيَاتِ الرَّبِّ»، وَقَوْلُهُ: «لَمَّا خَلَقَ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا هذا الحديث الذي هو: «لما خلق آدم مسح ظهره بيمينه» أخرجه مالك أحمد وابن داود والترمذي من حديث عمر، روى الإمام عنه بإسناد فيه إرسال وجهالة، ورؤي موصولاً، وفي الباب كذا وكذا، كل ما ذكر القول به مرهونٌ بدليله، إذا ثبت الدليل قلنا به، ما ثبت الدليل لا يقال به، ونحن الآن لم نتوسع في تخريجه، ولكن حسب المتاح عندنا حديث لا يصح، ولكن إن شاء الله نتوسع في التخريج.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ أَبِي رَزِينٍ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَمَا يَفْعَلُ رَبُّنَا بِنَا إِذَا لَقِينَاهُ؟ قَالَ: تُعْرَضُونَ عَلَيْهِ بِأَدِيَّةٍ لَهُ صَفَحَاتِكُمْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ فَيَأْخُذُ رَبُّكَ بِيَدِهِ عَرَفَةً مِنَ الْمَاءِ فَيَنْضَحُ قِبَلِكُمْ فَلَعَمْرُ إِلَهِكِ مَا يُخْطِئُ وَجْهَ أَحَدِكُمْ مِنْهَا قَطْرَةٌ». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللهُ:

في إسناده جهالة، وفي بعض ألفاظه نكارة، وشيخ الإسلام يقول: تلقاه أكثر المحدثين بالقبول، نحن نحتاج إلى أن نجمع كلام شيخ الإسلام، وأن ننظر أيضاً فيما يقوله شيخ الإسلام، وغالب ما يقوله هو محدث، ولكن قد يكون هناك شيء يخالفه غيره في التخريج، فيُنظر في مثل هذه الأمور، وحسب الموجود عندنا الحديث لا يصح.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَحَدِيثُ: «الْقَبْضَةُ الَّتِي يُخْرَجُ بِهَا مِنَ النَّارِ قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا فَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْحَيَاةِ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللهُ:

نعم، وصححه الإمام البخاري.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَنَحْوُ الْحَدِيثِ: «رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللهُ:

قوله: (نَهْرُ الْحَيَاةِ) هذه متفقٌ عليه في حديث الصورة التي بعده، صححه الإمام البخاري، وقد توسع فيه، توسع في هذا الحديث الحديث شيخ الإسلام في الجواب على الاعتراضات المصرية، توسع جداً، وأنا لم أقرأ القطعة هذه تحتاج إلى قراءة، ما رأيكم نبدأ بالقطعة؟ القطعة نبدأ بها، فيها أظن ثلاث مسائل: قطعة فيها كلام السروجي يتحدث عن أخبار الآحاد.

وقطعة تتحدث عن حديث الصور كلامه طويل، نفس القطعة، وجزء يتحدث فيه عن التشبيه، وكيف

مر منهج أهل السنة في هذا الباب، كما تعلمون المتكلمون يجعلون التشبيه عمدة في النفي، أو التجسيم، وشيخ الإسلام توسع فيها، مثلما توسع في "التدمرية" قطعة مختصرة جدًا إن شاء الله نبدأ به من يوم السبت القادم أو الذي بعده، "جواب الاعتراضات المصرية" مطبوع بتحقيق الإخوة الشيخ محمد عذير.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَنَحْوُ قَوْلِهِ: «خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ».

وَقَوْلِهِ: «يَدْنُو أَحَدَكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ».

وَقَوْلِهِ: «كَلَّمَ أَبَاكَ كِفَا حَا».

وَقَوْلِهِ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجَمَانٌ يُتْرَجَمُ لَهُ».

وَقَوْلِهِ: «يَتَجَلَّى لَنَا رَبُّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ضَاحِكًا».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يقول: أخرجه أحمد بإسنادٍ ضعيف، ورؤي من وجوهٍ أخرى يُحسن بها.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَفِي حَدِيثِ الْمَعْرَاجِ فِي الصَّحِيحِ: «ثُمَّ دَنَا الْجَبَّارُ رَبَّ الْعِزَّةِ فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى».

وَقَوْلِهِ: «كَتَبَ كِتَابًا فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا هذه الرواية التي أخرجها البخاري، ولم يخرجها مسلم، هذا الذي فيه هذا اللفظ: «ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى» هذه الرواية انفرد بها الإمام البخاري، وهناك من يضع من هذا اللفظ بخصوص أيضًا في نفس الرواية، «حتى كاد السماء التي فيها الله» أن فيها علة الله أعلم لا أستحضر الكلام كله، ولكن هذه الرواية هذه التي انفرد بها البخاري فيها كلام: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٨-٩]، هذا جبريل.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَوْلِهِ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ - وَفِي رِوَايَةٍ: رِجْلَهُ - فَيَتَزَوَّى بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَدْ قَدَّ وَفِي رِوَايَةٍ قَطُّ قَطُّ بَعِزَّتِكَ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا جهنم «لا تزال جهنم يضع رب العزة فيها قدمه فيتلقى طرفها» فتنتهي، أمّا ما يفضل من الجنة يُنشئ له رب العزة قوم آخرين، أمّا جهنم فمن رحمة الله ﷻ أنه لا يُنشئ له أحداً، لم يُذنبوا لماذا يدخلونه، فيتلقى طرفها وتنتهي المساحة.

جهنم، لأنها تقول: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق:٣٠]، لأن فيها مساحة، وفي الحديث: «حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فيزوي بعضها لبعض» يتلقى الطرفان لا يبقى فيها فضل لأحد، نفس الشيء يكون في الجنة، يبقى فيها فضل، فينشئ لها رب العزة قوماً فيدخلهم الجنة.

الطالب:....؟

الشيخ: لا، لا نتحدث عن الكلام، نحن نتحدث عن المساحة التي تبقى، تقول: «لا تزال جهنم يُلقى فيها وتقول: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق:٣٠]» لماذا تقول هل من مزيد؟ يعني فيها مساحة، (حتى يضع رب العزة فيها قدمه). وفي رواية (رجله) طبعاً هذه الروايات فيها تفصيل، لأن الرواية التي فيها رجله، فسره الأئمة هؤلاء بالكثير من الناس: الرجل قالوا: يُقال الرجل الجراب استدلوا به، قالوا: المراد بالرجل النَّاسُ، وفي الرواية الأخرى: (قدمه).

الطالب: رجل من جراب.

الشيخ: رجل من جراب، فالرجل قال المراد به كثير من الناس، القدم، الرواية هذه تفسر هذه الرواية، «فيزوي بعضها إلى بعض»، فلا يبقى فيها فضل.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَنَحْوُ قَوْلِهِ: «فَيَأْتِيهِمْ اللهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا».

وَقَوْلِهِ: «يَحْشُرُ اللهُ الْعِبَادَ فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا أسنده الإمام البخاري في خلق أفراد العباد، وذكره في الصحيح مُعلقاً، فالرواية صحيحة (يَحْشُرُ اللهُ الْعِبَادَ) هذه الرواية من أصرح الروايات في إثبات الصوت لكلام الله ﷻ في الملححة فيما ذكره السبكي، في أثناء القصة، ما أذكر، يقول: الذي يُثبت الصوت لكلام الله ﷻ حمار، أين هذه، «فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ» الحديث كما قلت لكم صحيح، وهناك أحاديث أخر ليس هذا الحديث فقط، «يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ» هذا ذكره الإمام البخاري في خلق أفراد الموات لبيان أن ما يُضاف إلى الله ﷻ - حقيقة تختلف، نحن أصواتنا لا يسمعه إلا، أمّا هذا الصوت يسمعه من بُعد كما يسمعه من قُرْب، ليس هناك فرق بين القريب والبعيد لسمع هذا الصوت، فلماذا تقول: أنه يستلزم التشبيه لا تشبيهه، هذا وصف صوته، يسمعه من بُعد كما يسمعه من قُرْب.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

إِلَى غَيْرِهَا مِنْ الْأَحَادِيثِ هَالْتَنَا أَوْ لَمْ تَهْلُنَّا، بَلَّغْتَنَا أَوْ لَمْ تَبْلُغْنَا، اِعْتَقَدْنَا فِيهَا وَفِي الْآيِ الْوَارِدَةِ فِي الصِّفَاتِ أَنَّا نَقْبَلُهَا وَلَا نُحَرِّفُهَا وَلَا نُكَيِّفُهَا وَلَا نُعْطِلُهَا وَلَا نَتَأَوَّلُهَا، وَعَلَى الْعُقُولِ لَا نَحْمِلُهَا، وَبِصِفَاتِ الْخَلْقِ لَا نُشَبِّهُهَا، وَلَا نُعْمَلُ رَأْيَنَا، وَفَكَّرْنَا فِيهَا، وَلَا نَزِيدُ عَلَيْهَا وَلَا نَنْقُصُ مِنْهَا، بَلْ نُؤْمِنُ بِهَا وَنَكِلُ عِلْمَهَا إِلَى عَالَمِهَا، كَمَا فَعَلَ ذَلِكَ السَّلْفُ الصَّالِحُ وَهُمْ الْقُدْوَةُ لَنَا فِي كُلِّ عِلْمٍ.

رُوِينَا عَنْ إِسْحَاقَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا نُزِيلُ صِفَةً مِمَّا وَصَفَ اللَّهُ بِهَا نَفْسَهُ أَوْ وَصَفَهُ بِهَا الرَّسُولُ عَنْ جِهَتِهَا لَا بِكَلَامٍ وَلَا بِإِرَادَةٍ، إِنَّمَا يَلْزَمُ الْمُسْلِمَ الْأَدَاءُ، وَيُوقِنُ بِقَلْبِهِ أَنَّ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي الْقُرْآنِ إِنَّمَا هِيَ صِفَاتُهُ، وَلَا يَعْمَلُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ تِلْكَ الصِّفَاتِ إِلَّا بِالْأَسْمَاءِ الَّتِي عَرَفَهُمُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ. فِيمَا أَنْ يُدْرِكَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ تِلْكَ الصِّفَاتِ فَلَا يُدْرِكُهُ أَحَدٌ - الْحَدِيثَ إِلَى آخِرِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

ذَكَرْنَا سَابِقًا أَنَّ هُنَاكَ فَرْقَ بَيْنَ الْمَعْنَى وَحَقِيقَةِ الْمَعْنَى، مِمَّا يُشَدِّدُ بِهِ حَوْلَهُ الْجُدُدُ وَالْقُدَمَاءُ مَا وَرَدَ فِي كَلَامِ الْأُئِمَّةِ عَنِ الْمَعْنَى، بَعْضُهُمْ يُثَبِّتُ الْمَعْنَى، وَبَعْضُهُمْ يَنْفِي الْمَعْنَى، الْمَعْنَى هُنَاكَ مَعْنَى وَهُنَاكَ حَقِيقَةُ وَاحِدَةٍ، وَحَقِيقَةُ الْمَعْنَى هِيَ الْكَيْفِيَّةُ، اللَّهُ ﷻ أَثَبَّتَ أَنَّ فِي الْجَنَّةِ لَبْنًا مَعْنَاهُ؟ مَعْنَى، هَذَا الَّذِي يُشْرَبُ لَيْسَ مِمَّا يُوَكَّلُ وَيُشْرَبُ، عَرَفْنَا هَذَا، حَقِيقَةُ الْمَعْنَى مَتَى نَعْرِفُهَا الْمَعْنَى هَذَا؟ لَمَّا نَرَاهُ، حَقَائِقُ وَصِفَاتِ اللَّهِ ﷻ مِنَ الْمُشَابِهَةِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ ﷻ أَمَّا الْمَعْنَى نَعْلَمُهَا، أحيانًا يَأْتِي فِي كَلَامِ السَّلْفِ هَذَا مُرَادًا بِهِ هَذَا، فَلَا يَسْتَنْدِ إِلَيْهِ، الْمَعْنَى نَعْلَمُهَا، حَقَائِقُ الْمَعْنَى لَا تَعْلَمُ إِلَّا بِالْإِدْرَاكِ حَتَّى فِي الدُّنْيَا، أَخْبَرْتَنِي عَنِ الشَّيْءِ فَإِذَا كُنْتُ أَصْدَقُ فَقَدْ حَصَلَ الْعِلْمُ، عِلْمُ الْيَقِينِ، حَصَلَ الْيَقِينِ، أَرَأَيْتَهُ يَحْصُلُ مَاذَا؟ عَيْنُ الْيَقِينِ، تَلَبَّسْتُ بِهِ تَذَوُّقَتَهُ يَحْصُلُ لَكَ حَقُّ الْيَقِينِ.

أَمَّا أَنْ يُدْرِكَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ مَا هِيَ تِلْكَ الصِّفَاتِ، يَقْصِدُ كَيْفِيَّتَهَا، وَهَذَا اللَّفْظُ ظَاهِرٌ فِي كَلَامِ الْأُئِمَّةِ أحيانًا فِي نَصِّ وَاحِدٍ يَكُونُ هَذَا وَهَذَا فِي نَصِّ وَاحِدٍ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ مُغَايِرَةٌ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا فِي نَصِّ وَاحِدٍ، أَنَا الْآنَ لَا أَتَذَكَّرُ وَلَكِنْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ سَأَنْظُرُ فِيهَا، فِي نَصِّ وَاحِدٍ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا غَيْرُ هَذَا، طَبَعًا

هذا ذكره شيخ الإسلام ذكره في عدد من المواضع، الفرق بين المعنى وحقيقة المعنى.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

**وَكَمَا رُوِينَا عَنْ مَالِكٍ وَالْأَوْزَاعِيِّ وَسُفْيَانَ؛ وَاللَيْثِ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي الْأَحَادِيثِ فِي
الرُّؤْيِيَةِ وَالنُّزُولِ: «أَمْرُهَا كَمَا جَاءَتْ».**

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا هو يُمثل بالحسن، لَمَّا يذكر درجات اليقين، وبالزوال، وبغيره من المسائل، فرُق بين الإخبار
وبين المشاهدة وبين التلبس، الدرجات الثلاث.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

**وَكَمَا رُوِينَا عَنْ مَالِكٍ وَالْأَوْزَاعِيِّ وَسُفْيَانَ؛ وَاللَيْثِ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي الْأَحَادِيثِ فِي
الرُّؤْيِيَةِ وَالنُّزُولِ: «أَمْرُهَا كَمَا جَاءَتْ».**

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا سفیان جاء بين الليث والأوزاعي، مَنْ يكون؟ أكبرهم، اللي هو الثوري، لأنَّ رُوِينَا أصغر منهم،
رُوِينَا توفي سنة (١٩٨) تأخرت وفاته رَحِمَهُ اللهُ وهو أصغر أصلاً يعني، والثوري (١٦١) يقول: "وكما رُوِينَا
عن مالك والأوزاعي وسفيان والليث وأحمد بن حنبل أنهم قالوا في الأحاديث في الرؤية والنزول:
«أمرؤها كما جاءت» هذه من أشهر النصوص التي يستدل بها هؤلاء القدماء والجُدد، يقولون: أمرؤها
كما جاءت، شيخ الإسلام فسرّها هي جاءت ألفاظ تدل على معاني، وبالتالي إمرارها كما جاءت يكون
بإمرار اللفظ، وبإمرار الحدث، لماذا تُمر اللفظ؟ لأنه ثبت، إذا لم يثبت لا تمره، ثبت عن النبي ﷺ أو
ثبت في القرآن، القرآن متواتر أمّا الأحاديث تحتاج إلى أن تُبين هذا صحيح وهذا ضعيف.

طيب المعنى تحجبه؟ تمرُّه كما جاء، إذاً هذا ليس فيه تفويض، هذا فيه تأكيد لإمرار المعنى، وإلا
بالنسبة للفظ ما يحتاج تقول: أمرؤها كما جاءت، اللفظ إذا صحَّ الحديث هل فيه من يقول: أنَّ الحديث
إذا صح لا آخذه؟ لا آخذه، اللفظ لا آخذه، هل المفوضة يقولون هذا؟ الجميع يقولون الحديث إذا

صَحَّ يُوْخَذُ بِهِ بِالنِّسْبَةِ لِلْفِظِ، مِنْ يُخَالِفُكَ حَتَّى تَقُولَ: «أَمْرُهَا كَمَا جَاءَتْ» وَلِمَاذَا هَذَا الْحِشْدُ لِنُصُوصِ الْأُئِمَّةِ، أَمْرُهَا كَمَا جَاءَتْ، عَلَى مَاذَا؟ مِنْ يُخَالِفُكَ؟ الْخِلَافُ فِي الْمَعْنَى.

هناك مدرسة المعتزلة مدرسة بكاملها تحارب هذا المعنى، وهذه المدرسة وضع أصولاً وضوابط وقواعد لحزم هذا المعنى، وبالتالي جاء الأئمة وقالوا: أمرها كما جاءت، لا تلاعب فيها، مثلما نجده عند المعتزلة، فالمعركة كلها في المعنى، أمّا إن صرفتها على اللفظ أمرها كما جاءت، يبقى هذا اللفظ، وتبقى هذه الجملة عديمة المعنى، ما الذي تستهدفه بهذا؟ ومن الذي تحشد له هذا الكم من؟ قال فلان وقال فلان: «أمرها كما جاءت» على ماذا من الذي يُخالفك؟ إذا جعلت هذا اللفظ تبقى الجملة عديمة المعنى، ويبقى هؤلاء الأئمة مساكين، يظنون أن هذا الجدار يعني يهجم عليه، ويهجمون عليه أبداً، سبحان الله! أحياناً يجعلون من الأئمة ألعوبة، لا بُدَّ أن تحترم الأئمة حتى ولو كان كلامه خطأً، لا تظن أن كلامه مثل كلام المجاهيل، إذا كان كلامه خطأً فهناك شيء يستهدفه، الخطأ والصواب شيء، ولكن أن تجعل كلامه عديم المعنى هذا استخاف به، «أمرها كما جاءت» وتحصرها على اللفظ كيف؟ من الذي خالفك على مدار القرون من خالفك؟ لم يخالفك أحد، هذا من أقوى الأدلة عند القدماء والجُدد.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَمَا رُوِيَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ - صَاحِبِ أَبِي حَنِيفَةَ - أَنَّهُ قَالَ فِي الْأَحَادِيثِ الَّتِي جَاءَتْ: «إِنَّ اللَّهَ يَهْطُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»، وَنَحْوَ هَذَا مِنَ الْأَحَادِيثِ: إِنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ قَدْ رَوَاهَا الثَّقَاتُ فَنَحْنُ نَرُوبِهَا وَنُؤْمِنُ بِهَا. وَلَا نُفَسِّرُهَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

ولا نفسرها طبعاً بالنسبة للتفسير أظن سبق التنبيه أن الأئمة اهتموا بنفي هذا التفسير، لأن هذا التفسير له كتبه، كتب وُضِعَتْ لهذا التفسير، "مشكل الحديث" لابن فورك، وكتاب ابن جماعة، وكتاب العز بن عبد السلام "مجاز القرآن" كتاب مستقل اسمه "مجاز القرآن"، والله تقرأ فيه تستغرب، يعني أكثر مما في القرآن ما جاء، ما عند المجاز عنده خلاف الحقيقة، ما رأيك في شخص أكثر كلام به فيها أهم

ما يدعو إليه مجاز، نحن لا نقول: لا ننسب لازم المذهب إلى الشخص، ولكن لازم المذهب لا بُدَّ أن تُركِّز عليه وتبرزه حتى يدل على بطلان الملزوم، يعني هذا فيه قدحٌ سواءً سررتُ به أو لا، القرآن في أكثره مجاز، فهناك كتبٌ وُضعت لها التفسير، فالأئمة ينفون هذا، طبعاً هم في نفهم، حتى لَمَّا تنظر إلى كلام الأئمة، ولَمَّا تنظر إلى أعصارهم تجد أن هذا الإجمال عند القدماء لماذا؟ لأن القضية معروفة عندهم، لَمَّا جاء الناس وفهموا هذا أيضاً فهماً خاطئاً يحتاج إلى التوضيح أكثر، ولذلك لا تجد هذا عند شيخ الإسلام وابن القيم، لا تجد هذا عندهم، نفي التفسير بهذه الصفة، لأنه هو بدوره فهم خطأ، جاء مفوضاً وفهموها خطأ، ولذلك لا تجد ذلك عند شيخ الإسلام، وابن القيم ومن بعدهم، ولكنهم موجود في نصوص الأئمة في ذلك الوقت لأن القضية عندهم معروفة، التفسير معروف لا نفسره، في بعض كلامهم يوجد شرحٌ له في نفس المعنى، ولا نفسرها تفسير الجهمية، وبعضهم لا، معروف كل هذه يستدل بها الجدد والقدماء.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

انتهى كلام الكرخي رحمه الله تعالى.

وَالْعَجَبُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمِينَ إِذَا أُحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِمَا فِي الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ مِنَ الصِّفَاتِ قَالَتْ: الْحَنَابِلَةُ: إِنَّ اللَّهَ كَذَّابٌ وَكَذَّابٌ فِيهِ تَشْنِيعٌ وَتَرْوِجٌ لِبَاطِلِهِمْ وَالْحَنَابِلَةُ اقْتَفَوْا أَثَرَ السَّلَفِ وَسَارُوا بِسِيرِهِمْ وَوَقَفُوا بِوُقُوفِهِمْ، بِخِلَافِ غَيْرِهِمْ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ.

قال الشارح وفقه الله:

طبعاً هنا يُشير شيخ الإسلام إلى ظاهرة غريبة في المتكلمين، يقول: إذا أُحْتَجَّ عليهم بما في الآيات والأحاديث من الصفات قالوا: قالت الحنابلة، الحنابلة قالوا أن الله ﷻ قال، الآيات قول الله ﷻ، الأحاديث قالوا قول النبي ﷺ المفروض تقولوا: (قال الله وقال رسوله) لماذا تقولون قالت الحنابلة؟ قالت الحنابلة: إنَّ الله كذا وكذا بما فيه تشنيعٌ وترويجٌ لباطلهم، والحنابلة اقتفوا أثر السلف وساروا بسيرهم، ووقفوا بوقوفهم بخلاف غيرهم، سبحان الله! أليس عيباً أن تنسب كلام الله ﷻ إلى غيره، إلى

من امتثله وتعييه به، قالت الحنابلة! وكنا نتمنى أن يلتزم الحنابلة هذا الشرف، ولكنهم فاتهم من هذا بحسب موافقتهم لمرادهم، أمّا من التزم منهم بهذا فهذا والله شرف أن يُنسب إليهم هذا الحق، طبعاً عندهم النوع الأول سبق في بداية.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

النَّوعُ الثَّانِي أَنْ هَذَا الْكَلَامَ لَيْسَ فِيهِ مِنَ الْحُجَّةِ وَالِدَلِيلِ مَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُخَاطَبَ بِهِ أَهْلُ الْعِلْمِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

شيخ الإسلام يقول هذا المجال مجال أهل العلم، وأنت أطفال وكذا، ليس فيه من الحجّة والدليل ما يستحق ما يُخاطب به أهل العلم الذي يُخالفون سواء كانوا مُصيّبين أو مُخطئين هم أهل العلم فيُخاطبون بأسلوب خاص.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّ الرَّدَّ بِمُجَرَّدِ الشَّتْمِ وَالتَّهْوِيلِ لَا يَعْجِزُ عَنْهُ أَحَدٌ، وَالْإِنْسَانُ لَوْ أَنَّهُ يُنَاطِرُ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَذْكَرَ مِنَ الْحُجَّةِ مَا يُبَيِّنُ بِهِ الْحَقَّ الَّذِي مَعَهُ وَالْبَاطِلَ الَّذِي مَعَهُمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

حتى ولو كان مع المشركين فكيف بمن هم أشادوا بالحق بك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَقَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. فَلَوْ كَانَ خَصْمٌ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِهَذَا الْكَلَامِ - سِوَاءِ كَانِ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ أَبُو الْفَرَجِ أَوْ غَيْرُهُ مِنْ أَشْهَرِ الطَّوَائِفِ بِالْبِدْعِ كَالرَّافِضَةِ - لَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَذْكَرَ الْحُجَّةَ وَيَعْدِلَ عَمَّا لَا فَائِدَةَ فِيهِ، إِذْ كَانَ فِي مَقَامِ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ (دَعِ وَالْمُنَازَعُونَ لَهُ) - كَمَا ادَّعَاهُ - هُمْ عِنْدَ جَمِيعِ النَّاسِ أَعْلَمُ مِنْهُ بِالْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يقول شيخ الإسلام لو كانوا يُخالفوك أولئك أيضًا كان عليك أن تذكر الدليل، وتبتعد عن هذا الأسلوب، كيف وأنَّ مُخالفك من ترد عليهم هم عند جميع الناس أعلم منك بالأصول والفقهاء، طبعًا سواءً هو ابن الجوزي وغيره.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهُوَ فِي كَلَامِهِ وَرَدَّهُ لَمْ يَأْتِ بِحُجَّةٍ أَصْلًا لَا حُجَّةٍ سَمْعِيَّةٍ وَلَا عَقْلِيَّةٍ، وَإِنَّمَا اعْتَمَدَ تَقْلِيدَ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ

الْكَلَامِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا التقليد عند المتكلمين ظاهرة، وهم دائمًا يحاربون التقليد، دائمًا يحاربون التقليد، ولكن لما تنظر إليهم هم صفاتهم التقليد عندهم بحيث يعني يرثى لكثير من، يُقلد فلانًا دون أن يفهم كلامهم؛ لاعتقاده أن هذا دقيق، وأنَّ عنده الحق، طيب الكتاب والسنة أحسن الظن فيهم، ليس عنده إلا التقليد، وهذا الذي يُركز عليه شيخ الإسلام، لأنهم دائمًا يزعمون أنهم دائمًا يردون على التقليد، وتقليدنا هو إتباع وليس تقليدًا، يعني تقليدنا اتباع لكلام الله وكلام رسول الله ﷺ وهذا ما يُسمونه تقليدًا، أمَّا أنتم بعضكم يُقلد بعضًا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِنَّمَا اعْتَمَدَ تَقْلِيدَ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ قَدْ خَالَفَهَا أَكْثَرُ مِنْهَا مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ - فَقَلَّدَهُمْ فِيمَا زَعَمُوا

أَنَّهُ حُجَّةٌ عَقْلِيَّةٌ كَمَا فَعَلَ هَذَا الْمُعْتَرِضُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يقول: وينبغي أن لا يُهمل ما يثبت به الأصل وهو العقل.

طبعًا ذكره باختصار، ولكنه فإننا به عرفنا الله تعالى، وحكمنا له بالقدم، هذا بعينه هو التقسيم الثلاثي عند المتكلمين أننا نُقدِّم العقل على النقل لأنَّ بالعقل عرفنا النقل، ابن الجوزي يقول به سبحانه الله! يقول: «فلو أنكم قلتم نقرأ الأحاديث ونسكت ما أنكر عليكم أحد، إنما حملكم إياه على الظاهر قبيح،

فلا تدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفي ما ليس منه، ولقد كسبتم هذا المذهب شيئاً قبيحاً حتى صار لا يُقال حنبليٌّ إلا مُجسَمٌ».

طبعاً هذا كله تقليد لطائفة من أهل الكلام.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَنْ يَرُدُّ عَلَى النَّاسِ بِالْمَعْقُولِ إِنْ لَمْ يَبَيِّنْ حُجَّةً عَقْلِيَّةً، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَحَالَ النَّاسَ عَلَى الْمَجْهُولاتِ كَمَعْصُومِ الرَّافِضَةِ وَعَوْتِ بَعْضِ الصُّوفِيَّةِ. فَأَمَّا قَوْلُهُ: «إِنَّ مِثْلَ هَؤُلَاءِ لَا يُحَدِّثُونَ، فَيُقَالُ لَهُ: قَدْ بَعَثَ اللهُ الرَّسُلَ إِلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ لِيَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ. فَمَنْ الَّذِي أَسْقَطَ اللهُ مُخَاطَبَتَهُ مِنَ النَّاسِ؟

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

له يحدثون كلهم يحدثون وتقام عليه الحجة، فالله ﷻ بعث الرُّسُلَ إلى جميع الخلق ليدعوهم إلى الله، فمن الذي أسقط مخاطبته من الناس؟ الله ﷻ لم يقل للرسول هذه الفئة لا تخاطبهم من حدد؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

دَعُ مَنْ تَعْرِفُ أَنْتَ وَغَيْرِكَ مِمَّنْ فَضَّلَهُمُ اللهُ مَا لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني هذا الشبيه وخاصة إذا كان فيما تعرف أنت وغيرك من فضلٍ أن هذا ليس موضعه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَوْ أَرَادَ سَفِيهٌ أَنْ يَرُدَّ عَلَى الرَّادِّ بِمِثْلِ رَدِّهِ لَمْ يَعْجِزْ عَنِ ذَلِكَ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «إِنَّهُمْ يُكَابِرُونَ الْعُقُولَ». فَنَقُولُ: الْمُكَابِرَةُ لِلْعُقُولِ إِمَّا أَنْ تَكُونَ فِي إِبْطَاتِ مَا أَثْبَتُوهُ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ فِي تَنَاقُضِهِمْ بِجَمْعٍ مِنْ إِبْطَاتِ هَذِهِ الْأُمُورِ وَنَفْيِ الْجَوَارِحِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

في إبطات ما أثبتوه يكابرون فيثبتون ما أثبتوه، هذا المعنى الأول، يقول شيخ الإسلام: هذا باطل،

لماذا؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

أَمَّا الْأَوَّلُ: فَبَاطِلٌ. فَإِنَّ الْمُجَسِّمَةَ الْمَحْضَةَ الَّتِي تُصَرِّحُ بِالتَّجْسِيمِ الْمَحْضِ وَتَغْلُو فِيهِ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ قَطُّ: إِنَّ قَوْلَهَا مُكَابِرَةٌ لِلْعُقُولِ، وَلَا قَالَ أَحَدٌ، إِنَّهُمْ لَا يُخَاطَبُونَ، بَلِ الَّذِينَ رَدُّوا عَلَى غَالِيَةِ الْمُجَسِّمَةِ - مِثْلِ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ وَشِيعَتِهِ - لَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِمْ مِنَ الْحُجَجِ الْعَقْلِيَّةِ إِلَّا بِحُجَجٍ تَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ وَاسْتِدْلَالٍ. وَالْمُنَازَعُ لَهُمْ - وَإِنْ كَانَ مُبْطَلًا فِي كَثِيرٍ مِمَّا يَقُولُهُ - فَقَدْ قَابَلَهُمْ بِنَظِيرِ حُجَجِهِمْ، وَلَمْ يَكُونُوا عَلَيْهِ بِأَظْهَرَ مِنْهُ عَلَيْهِمْ، إِذْ مَعَ كُلِّ طَائِفَةٍ حَقٌّ وَبَاطِلٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا هنا نحن عندنا في إطار، فئة مجسمة وتُصَرِّحُ بالتجسيم، فإنَّ المجسمة المحضة التي تُصَرِّحُ بالتجسيم المحض وتغلو فيه، هذه الفئة لم يقل أحدٌ أنَّ قولها مكابرة للعقول، وقولك في أهل الحق: أنَّ قولهم مكابرة، هذا في الحقيقة هذه هي المكابرة، هذا أولاً.

ثانيًا: هؤلاء المجسمة قابلهم طائفتان:

طائفة أهل السنة ورددهم عليهم طعنًا لهم، لأنَّ السُّنِّيَّ لَمَّا يرد عليه لا يجد شيئًا يتمسك به في رده على السُّنِّيِّ؛ لأنه لم يشركه في شيء من باطله، فرده عليه طعنًا لهم، هذه الفئة لا يتحدث عنها شيخ الإسلام. فئة أخرى: وهي فئة النفاة، يقول: النفاة، أولاً لم يقولوا بالمجسمة كقولكم مكابرة للعقول، لم يقل هذا، بل ردوا عليهم بالاستدلال والأدلة والحُجج، ولكنهم لَمَّا ردوا عليهم، لم تكن حُججهم مما تُسكتهم: أولاً: لم يقولوا أنتم مكابرون، وثانيًا: استدلووا وردوا، وثالثًا: سقطوا أيضًا في بعض ما أردتم، هذا حالكم مع المُجسِّم، كيف تأتي إلى أهل السنة وتقول: أنكم مكابرون؟

انظر عبارة شَيْخِ الْإِسْلَامِ تَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْفَكِّ: (فإنَّ الْمُجَسِّمَةَ الْمَحْضَةَ الَّتِي تُصَرِّحُ بِالتَّجْسِيمِ الْمَحْضِ وَتَغْلُو فِيهِ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ قَطُّ إِنَّ قَوْلَهَا مُكَابِرَةٌ لِلْعُقُولِ، وَلَا قَالَ أَحَدٌ إِنَّهُمْ لَا يُخَاطَبُونَ بَلِ الَّذِينَ رَدُّوا عَلَى غَالِيَةِ الْمُجَسِّمَةِ مِثْلِ هِشَامِ وَشِيعَتِهِ لَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِمْ مِنَ الْحُجَجِ الْعَقْلِيَّةِ إِلَّا بِحُجَجٍ تَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ وَاسْتِدْلَالٍ) استدلال ونظر وبحث عن الأدلة، ومع ذلك المنازع لهم، من المنازع لهم؟ هو المعطل

والنافي، (وإن كان مبطلًا في كثير مما يقوله فقد قابلهم بنظير حجاجهم) عنده باطل، وهذا قابلهم، لأنه قال له: أنت مُجَسِّم، طيب أنا مُجَسِّم، طيب عندك تجسيم، هب أني عندي تجسيم، أين في الكتاب والسنة هذا التجسيم؟ فيكون رده هزيل لو رددت عليه وقلت الله ﷻ يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، لو رد عليه بالأدلة التي لا تبقى له ممسكًا كان قد أنهى شبهته، أنت ترد عليه، وهو يرد عليك ويبقى الباب مفتوحًا بينكم، المهم أن هذا الذي ردَّ عليه لم يقل أنت لست مما يُتحدَّث معهم، وأنت مُكابِر، لا، الاستدلال ومع هذا أحيانًا يلصقوه عندكم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِذَا كَانَ مِثْلُ (أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوَازِيِّ) إِنَّمَا يَعْتَمِدُ فِي نَفْيِ هَذِهِ الْأُمُورِ عَلَى مَا يَذْكُرُهُ نِفَاةَ النَّظَارِ، فَأَوْلَيْكَ لَا يَكَادُونَ يَزْعُمُونَ فِي شَيْءٍ مِنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ أَنَّهُ مُكَابِرَةٌ لِلْمَعْقُولِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هو يقول: أئمتك الذين اعتمدت عليهم هم لا يذكرون مكابرة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

حَتَّى جَاحَدُوا الصَّانِعَ الَّذِي هُمْ أَجْهَلُ الْخَلْقِ وَأَضَلُّهُمْ وَأَكْفَرُهُمْ وَأَعْظَمُهُمْ خِلَافًا لِلْمَعْقُولِ لَا يَزْعُمُ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ انْتَصَرَ بِهِمْ أَبُو الْفَرَجِ: أَنَّ قَوْلَهُمْ مُكَابِرَةٌ لِلْمَعْقُولِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

حتى الملاحدة هم لا يقولون أنها مكابرة، المفروض يقولون هذا، مع ذلك ما قالوا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

بَلْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْعِلْمَ بِنَفْسَادِ قَوْلِهِمْ إِنَّمَا يُعْلَمُ بِالنَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ، وَهَذَا الْقَوْلُ - وَإِنْ كَانَ يَقُولُهُ جُلُّ هَؤُلَاءِ النِّفَاةِ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ - .

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(وهذا القول) نحن نتحدث هنا عن الملاحدة، وأن إثبات وجود الله ﷻ يكون بالنظر، هناك

الملاحظة يُنكرون كلام الله ﷻ وهنا المُتكلِّمون يستدلون وينظرون، ويأتون بالأدلة لإثبات وجود الله ﷻ هل هذا المنهج صحيح؟

يقول شيخ الإسلام: **(وهذا القول)** يعني هذا المنهج، أي جعلوا وجود الله ﷻ نظرياً، جعلوا نظرية المعرفة، جعلوها نظرية وليست فطرية، وهذا القول وإن كان يقوله جلُّ هؤلاء النفاة عن الكلام فليس هو طريقة مرضية. **الصحيح** أن المعرفة بوجود الله ﷻ فطرية، وليست نظرية، فأنا لما أستدل على، أبدأ من هنا، وأجعل القضية أجعلها فطرية، ثم لا يمنع أن أستدل، وأمثلة دعوة القرآن في النظر: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]، هذه خطوة ثانية.

إذا جعلهم للقضية نظرية، يقول شيخ الإسلام: هذه ليست طريقة مرضية، لكن المقصود.

قَالَ الْمَصْنَفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَلَيْسَ هُوَ طَرِيقَةً مَرَضِيَّةً. لَكِنَّ الْمَقْصُودَ: أَنَّ هَؤُلَاءِ النَّفَاةِ لَا يَزْعُمُونَ أَنَّ الْعِلْمَ بِفَسَادِ قَوْلِ الْمُثَبِّتَةِ مَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ، وَلَا أَنَّ قَوْلَهُمْ مُكَابَرَةٌ لِلْعَقْلِ، وَإِنْ شَتَّعُوا عَلَيْهِمْ بِأَشْيَاءَ يَنْفِرُ عَنْهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أحياناً يُشنعون عليهم بأمور، حتى ينفر الناس عن قولهم وعندهم، هذه قضية أخرى، ولكن لم يقولوا أن كلامكم مكابرة للعقول، يعني ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ وصلت، يعني أنت خلقتهم، هذا لم يقولوا حتى هم المتكلمون.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَذَلِكَ لَيْسَتْ عَيْنُوا بِنَفَرَةِ النَّافِرِينَ عَلَى دَفْعِهِمْ وَإِحْمَادِ قَوْلِهِمْ؛ لِأَنَّ نُفُورَ النَّافِرِينَ عَنْهُمْ يَدُلُّ عَلَى حَقِّ أَوْ بَاطِلٍ وَلَا لِأَنَّ قَوْلَهُمْ مَكَابِرَةٌ لِلْعَقْلِ أَوْ مَعْلُومٌ بِضُرُورَةِ الْعَقْلِ أَوْ بِبِدْيَهْتِهِ فَسَادُهُ. هَذَا لَمْ أَعْلَمْ أَحَدًا مِنْ أُمَّةِ النَّفَاةِ أَهْلَ النَّظَرِ يَدَّعِيهِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَقْوَالِهِ الْمُثَبَّتَةِ، وَإِنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْغُلُوِّ مَا فِيهَا.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ مُجَرَّدَ نُفُورِ النَّافِرِينَ أَوْ مَحَبَّةِ الْمُوَافِقِينَ: لَا يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِهِ وَلَا فَسَادِهِ إِلَّا إِذَا كَانَ ذَلِكَ بِهُدَى مِنَ اللَّهِ، بَلْ الْإِسْتِدْلَالُ بِذَلِكَ هُوَ اسْتِدْلَالٌ بِاتِّبَاعِ الْهَوَى بِغَيْرِ هُدَى مِنَ اللَّهِ.

فَإِنَّ اتِّبَاعَ الْإِنْسَانِ لِمَا يَهْوَاهُ هُوَ أَخْذُ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ الَّذِي يُحِبُّهُ، وَرَدُّ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ الَّذِي يُبْغِضُهُ بِلَا هُدَى مِنَ اللَّهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وَقَالَ: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدَى مِنَ اللَّهِ﴾ وَقَالَ تَعَالَى لِدَاوُدَ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعِ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾. فَمَنْ اتَّبَعَ أَهْوَاءَ النَّاسِ بَعْدَ الْعِلْمِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ وَبَعْدَ هُدَى اللَّهِ الَّذِي بَيْنَهُ لِعِبَادِهِ: فَهُوَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ. وَلِهَذَا كَانَ السَّلْفُ يُسَمُّونَ أَهْلَ الْبِدْعِ وَالتَّفَرُّقِ - الْمُخَالَفِينَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ - أَهْلَ الْأَهْوَاءِ: حَيْثُ قَبِلُوا مَا أَحَبُّوهُ وَرَدُّوا مَا أَبْغَضُوهُ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ هُدَى مِنَ اللَّهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

قبلوا ما أحبوه، وردوا ما أبغضوه هذا هو الهوى، لا تزن ما تحبه وما تبغضه، لا تزنه بالكتاب والسنة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمَّا قَوْلُ الْمُعْتَرِضِ عَنِ أَبِي الْفَرَجِ: «وَكَانَهُمْ يُحَاطَبُونَ الْأَطْفَالَ» فَلَمْ تُحَاطَبِ الْحَنَابِلَةُ إِلَّا بِمَا وَرَدَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ الَّذِينَ هُمْ أَعْرَفُ بِاللَّهِ وَأَحْكَامِهِ، وَسَلَّمْنَا لَهُمْ أَمْرَ الشَّرِيعَةِ، وَهُمْ قُدُوتُنَا فِيمَا أَخْبَرُوا عَنِ اللَّهِ وَشَرْعِهِ. وَقَدْ أَنْصَفَ مَنْ أَحَالَ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ شَاقَّ مَنْ خَرَجَ عَنْ طَرِيقَتِهِمْ وَادَّعَى أَنَّ غَيْرَهُمْ أَعْلَمُ بِاللَّهِ مِنْهُمْ، أَوْ أَنَّهُمْ عَلِمُوا وَكْتَمُوا، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا مَا أَخْبَرُوا بِهِ (١٢) أَوْ أَنَّ عَقْلَ غَيْرِهِمْ فِي بَابِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ أَتَمُّ وَأَكْمَلُ وَأَعْلَمُ مِمَّا نَقَلُوهُ وَعَقَلُوهُ وَقَدْ قَدَّمْنَا مَا فِيهِ كِفَايَةٌ فِي هَذَا الْبَابِ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ. ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ .

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١٢) يصح (ما أخبروا به) ما أخبروا به نقلاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، وما أخبروا به أي أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

أَمَّا الْمُنْطِقُ: فَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ فَرَضُ كِفَايَةٍ، وَإِنْ مَنْ لَيْسَ لَهُ بِهِ خِبْرَةٌ فَلَيْسَ لَهُ ثِقَةٌ بِشَيْءٍ مِنْ عُلُومِهِ، فَهَذَا الْقَوْلُ فِي غَايَةِ الْفَسَادِ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ التَّعْدَادِ، مُشْتَمِلٌ عَلَى أُمُورٍ فَاسِدَةٍ وَدَعَاوَى بَاطِلَةٍ كَثِيرَةٍ لَا يَتَسَعُّ هَذَا الْمَوْضِعُ لِاسْتِقْصَائِهَا بَلْ الْوَاقِعُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا.

بَلْ الْوَاقِعُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا أَنْكَ لَا تَحِدُّ مَنْ يُلْزِمُ نَفْسَهُ أَنْ يَنْظُرَ فِي عُلُومِهِ بِهِ وَيُنَاطِرَ بِهِ إِلَّا وَهُوَ فَاسِدٌ النَّظَرِ وَالْمُنَاطَرَةَ كَثِيرُ الْعَجْزِ عَنْ تَحْقِيقِ عِلْمِهِ وَبَيَانِهِ.

فَأَحْسَنُ مَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ كَلَامُ الْمُتَكَلِّمِ فِي هَذَا: أَنْ يَكُونَ قَدْ كَانَ هُوَ وَأَمْثَالُهُ فِي غَايَةِ الْجَهَالَةِ وَالضَّلَالَةِ وَقَدْ فَقَدُوا أَسْبَابَ الْهُدَى كُلَّهَا، فَلَمْ يَجِدُوا مَا يَرُدُّهُمْ عَنْ تِلْكَ الْجَهَالَاتِ إِلَّا بَعْضُ مَا فِي الْمُنْطِقِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي هِيَ صَحِيحَةٌ؛ فَإِنَّهُ بِسَبَبِ بَعْضِ ذَلِكَ رَجَعَ كَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ عَنْ بَعْضِ بَاطِلِهِمْ، وَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ حَقٌّ يَنْفَعُهُمْ وَإِنْ وَقَعُوا فِي بَاطِلٍ آخَرَ).

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ :

هذا الربع الأخير من الكتاب، وفيه إجابة عن ما سُئِلَ عن المنطق، وشيخ الإسلام له كتاب آخر باسم "الرد على المنطقيين"، وسنقرأ بعض ما كتبه في المقدمة، أما هذا الذي كتبه فهو مختصر جدًا؛ لم يتعرض فيه لنقد المنطق بإطاره العام في هذا الكتاب.

بدأ فيه بنقد المنطق في أقيسته، وقبل ذلك بين أنه أن ما تزعمونه أنه ميزان؛ لا يوزن به كل شيء باعترافكم أنتم، حتى علومكم كثيرٌ منها لا توزن به، وكثيرٌ من عقلاء بني آدم إما لا يعرفونه، أو لا يعبئون به لما فيه من التطويل والتعقيد.

وذكر في بداية الرسالة، ذكر في بداية الجواب ما ينبغي أن يكون خلاصة الرسالة، الذي يقول: أن المنطق فرض كفاية، أو الذي يُعْظَمُ من شأن المنطق، يقول: أحسن ما يُحْمَلُ عليه كلامه أن يكون هو وأمثاله في غاية الجهالة والضلالة، شخص هو في غاية الجهالة والضلالة، وأحسن ما وقف عليه لرده للحق هذه البضاعة.

ولكن لا يجوز له أن يقول: هذه البضاعة هي أربحها وأحسنها؛ حُكِمَ على المنطق بأنه واجب، وأنه مُهم، وأنه يدل على مدى جهلك، وعلى مدى ما أنت عليه من الضلال، حيث وجدت وظننت أن هذه البضاعة الكاسدة أيضًا عندك مُهمة، فهذا إن دَلَّ فإنما يدل على ما أنت عليه مما ينبغي أن تُرثي عليه، هذا في بداية هذا الجواب.

والمنطق اليوناني: بدأ مع سُقراط، وسُقراط شيخ أفلاطون، وكان لمواجهة السفسطائية، والسفسطائية كانوا يرون أن الحقائق نسبية؛ ليس هناك شيء متفق عليه، ومُسلم له وبه، كل شيء نسبي، هكذا كانوا يرون حسب ما يتناقله هؤلاء مع أن شَيْخُ الإسلامِ يُشككُ في هذه القصة.

يقول: السفسطة موجودة في بني آدم متفاوتة، أما أن توجد جماعة مُعينة تُنكر الحقائق المُشاهدة بمثل ما نُقل عن السفسطائية فشَيْخُ الإسلامِ يُشككُ في هذا، على كُلِّ حال هذا يكاد أن يكون مُجمعاً عليه بين من يتحدث عن مشروع المنطق.

السفسطائية كانوا ماهرين جدًّا في الجدل وفي الخطاب، وكان بإمكانهم أن يُقنعوا على أن هذا مثلاً ذهب، فالحقائق عندهم نسبية لا تستطيع أن تقول: أن هذا حديد، لا، منطقتك وأدلتك هي التي تُحكّم عليه.

فجاء سُقراط وأراد أن يواجههم بشيء يُرجع إليه، فبدأ يبحث في أنه ليس مؤمناً بالوحي حتى يردعهم عنه، بدأ يُرتب من هنا وهنا، ولكنه توفي قبل أن يُنظم شيئاً.

أكمل تلميذه أفلاطون مسيرته، فجاء بتلك النظرية التي لازالت تُعظَّم إلى الآن نظرية [المُثل].

~~ك~~ أفلاطون ادَّعى أن كُلَّ شيءٍ في المُشاهد صورة لحقيقته التي في عالم المُثل، هناك عالم آخر هو الحقيقة، وكُلُّ ما نُشاهدُه صورة لذلك العالم، أراد أفلاطون أراد أن يُبعد الحقائق المتناول يد السفسطائية، أراد أن يقول لهم: إن شككتم في هذه الأمور المُشاهدة فلا تستطيعون أن تُشككوا في عالم المُثل، وتلك حقائق.

وهذه دعوة غريبة نحن نتنازع في أمور نراها ونلمسها ونشاهدها، السفسطائي استطاع أن يُشكك

فيها، فكيف بعالمٍ آخر؟ جاء تلميذه طبعاً توفي قبل أن يجعل للمنطق إطاراً عاماً.

✍ جاء تلميذه أرسطو؛ فأكمل المسيرة، وهو واضع المنطق، وإليه يُنسب هذا البلاء، وهذا المرض

وهو الذي يُقال عنه أنه المُعلم الأول، والمُعلم الثاني: هو الفارابي.

👉 أرسطو انتقد شيخه أفلاطون، وقال له: نحن في عالم السفسطائية في أمورٍ نشاهدها كيف تدّعي أن

هناك عالمٌ مُستقلٌ كيف نشته؟ نحن في معركة معهم في أمورٍ نشاهدها.

رد على شيخه نظريته، ولكنه لما جاء يضع المنطق، والمنطق مسائله ترجع إلى أمرين كُلِّ مسائلها

ترجع إلى أمرين:

* الحدود.

* الأقيسة.

✍ لأن المنطق أولاً عنده: هو السبيل إلى المعرفة، هو السبيل ليس من السبيل إلى المعرفة، هو

السبيل؛ ليس من السبيل إلى المعرفة، إذا قلت: أن المنطق من السبيل إلى المعرفة لا أحد يُجادلك هذا هو

السبيل الذي أوصلك إلى ما تظنه معرفة، فمُبارك لك هذا السبيل، سبيل من السبيل!

لا، المنطق: هو السبيل الوحيد على المعرفة الصحيحة، والأمور التي تُريد أن تعرفها هي:

- إما مُفردات، أفراد أعيان.

- وإما ما تُثبت لها من الأحكام.

بالنسبة للمُفردات: هذه تُعرف بالحدود، طريقك الوحيد إلى معرفتها: الحدود.

بالنسبة للأحكام: طريقك الوحيد إلى معرفتها: القياس، طريقك الوحيد.

⇐ حتى هنا إذا قلت: من الطرق الحدود؛ الأمر أهون.

⇐ إذا قلت: من الطرق الأقيسة؛ الأمر أهون.

بعض الناس يظنون أن شيخ الإسلام في نقضه للمنطق يُبالغ، أنت أولاً لا بد أن تعرف ما هي

القضية؟! هذا يحصر طرق المعرفة في هذا المرض؛ وبالتالي: ما وصل إليه أفلاطون، وما وصل إليه

أرسطو هو المعيار، فهناك حدود تُعرفُ بها المُفردات، وأقيسة تُعرفُ بها الأحكام التي تُثبتها لهذا وذاك.

ذكر أرسطو: أن الحد تعرفُ به شيئين، مثلاً:

حد هذا الشيء تعرفُ به ماهيته ووجوده، تعرفُ به ماهيته ووجوده، نحنُ عندنا وجوده هو الماهية؛

ليس هناك فرق بين الوجود والماهية، أما عنده هناك أمران:

- ماهية.

- ووجود.

الوجود رأينا، الماهية من أين تأتي بها؟ عن طريق الحدود المنطقية، عن طريق الحدود المنطقية

تطلع على الماهية؛ والمنطق هو الكفيل الوحيد لاكتشاف تلك الماهية، واضح؟ وتلك الماهية جزء من

عالم المثل الذي أنكره أرسطو، ربطها بتلك الخرافات التي استنكرها على شيخه، وبالتالي لا تحلم أن

تستكشفها أبداً، شيء لا تدري عنه تبحث.

بالله عليك إذا جعلت المعرفة السبيل إليها منحصرٌ في هذه الخرافات هل ستصلُ إلى المعرفة؟

لذلك يقول أحد المُستشرقين: كُلُّ خطوةٍ إلى الأمام لا بد أن تتنكرَ لخطوةٍ من منطق أرسطو، وإلا لا

يُمكنك أن تتقدم، يُضيعك في الخيار، كُلُّ كذا كذا كذا، وكل كذا، لا تستفيد.

متى تستفيد حتى في الأمور الدنيوية؟ بالتجربة، لذلك شَيْخُ الإِسْلَامِ دائماً يُرشدُهم إلى التجربة،

لأن التجربة تستفيد منها أقل شيء في الدنيا.

أحدهم ممن دائماً يردُّ على شَيْخِ الإِسْلَامِ: علي سامي النشار مُعرم بالرد على شَيْخِ الإِسْلَامِ بمناسبة

أو بدون مناسبة، أراد أن يُؤلف كتاباً في المنطق فلم يجد المصدر إلا شَيْخِ الإِسْلَامِ، واكتشاف المنطق

التجريبي، كل هذا من شَيْخِ الإِسْلَامِ، طبعاً هو يعترف في هذا ويقول: "لم يُكتب لمنطق ابنِ تَيْمِيَّةٍ أن يجد

رجالاً يُرتبها، وإلا هذا منطقٌ عظيم، شَيْخُ الإِسْلَامِ يهدم ويبني، لا يكتفي بالهدم.

بالنسبة للهدم أنا بإمكانني أن أقول: منطق أرسطو من واضعه؟ أرسطو، أرسطو هل وصل إلى

الإيمان؟ ما وصل، إذا بضاعة فاسدة كاسدة لا يؤديك إلا إلى الكُفر، وأكتفي بهذا أليس كذلك؟

ولكن شيخ الإسلام لا، هدمه ركنًا ركنًا، فيقول في مقدمة الكتاب هذا، كتاب كبير هذا؛ "الرد على المنطقيين"، يقول في مقدمته - ولن أطيل عليكم لا تخافوا - سأقرأ فقط:

يقول في البداية: «أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي كُنْتُ دَائِمًا أَعْلَمُ أَنَّ الْمُنْطِقَ الْيُونَانِيَّ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الذِّكْرُ وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْبَلِيدُ»؛ لأن الذِّكْرَ عنده من طرق المعرفة أشياء كثيرة فلن يحتاج إلى هذا العلم المعقد، أما البليد: فلن يفهمه على ما يفهم الماهية والوجود والتصورات والتصديقات يكون ضيِّعُ عمره، ولن يستفيد، «لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الذِّكْرُ وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْبَلِيدُ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ قَضَايَاهُ صَادِقَةٌ»، نعم الطريق إليه صادق، ولكن كنت أظنُّ أن قضاياه صادقة، «لَمَّا رَأَيْتُ مِنْ صِدْقِ كَثِيرٍ مِنْهَا، ثُمَّ تَبَيَّنَ لِي فِيمَا بَعْدُ خَطَأَ طَائِفَةٍ مِنْ قَضَايَاهُ، وَكَتَبْتُ فِي ذَلِكَ شَيْئًا، ثُمَّ لَمَّا كُنْتُ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ»، طبعًا كان مسجونًا هناك سنة سبعمئة وتسعة، حولوه إلى هناك حتى يُقتل حولوه من القاهرة إلى الإسكندرية حتى يُبعد عن كذا، وحتى يقتله الصوفيين، لأن الغالبية هناك للصوفية.

يقول: «لَمَّا كُنْتُ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ اجْتَمَعَ بِي مَنْ رَأَيْتَهُ يُعْظِمُ الْمُتَفَلِّسَةَ بِالتَّهْوِيلِ وَالتَّقْلِيدِ؛ فَذَكَرْتُ لَهُ بَعْضَ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنَ التَّجْهِيلِ وَالتَّضْلِيلِ، وَاقْتَضَى ذَلِكَ أَنِّي كَتَبْتُ فِي قَعْدَةٍ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ مِنْ الْكَلَامِ عَلَى الْمُنْطِقِ مَا عَلَّقْتَهُ تِلْكَ السَّاعَةَ»، ثم تعقبته بعد ذلك في مجالس إلى أن تم، «وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ هِمَّتِي لِأَنَّ هِمَّتِي إِنَّمَا كَانَتْ فِيمَا كَتَبْتَهُ عَلَيْهِمْ فِي الْإِلَهِيَّاتِ؛ وَتَبَيَّنَ لِي أَنَّ كَثِيرًا مِمَّا ذَكَرُوهُ فِي أَصُولِهِمْ فِي الْإِلَهِيَّاتِ وَفِي الْمُنْطِقِ هُوَ مِنْ أَصُولِ فَسَادِ قَوْلِهِمْ فِي الْإِلَهِيَّاتِ».

يبدو: (وفي المنطق) يبدو الكلمة هذه مقرضة مثل ما ذكره.

«مِثْلَ مَا ذَكَرُوهُ مِنْ تَرْكِيْبِ الْمَاهِيَّاتِ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي سَمَّوْهَا» إلى آخره.

«فَأَرَادَ بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يَكْتُبَ مَا عَلَّقْتَهُ إِذْ ذَاكَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَيْهِمْ فِي الْمُنْطِقِ فَأَذْنْتُ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يَنْفَتِحُ بَابَ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مَا فُتِحَ مِنْ بَابِ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ يَحْتَمِلُ أَضْعَافَ مَا عَلَّقْتَهُ» تلك الساعة، فقلت: هذا الذي كتبه قليلاً ثم أتمه هو هذا؛ الرد على المنطقيين، وهو مطبوع، وفيه ما طبع قديماً، وفيه نقد

المنطق بالتفصيل، أما هنا شيخ الإسلام بدأ:

أولاً: بالحديث عن هذا الميزان.

ثم بدأ بالأقيسة.

لم يبدأ كما ينبغي أن يكون لم يبدأ بالحدود، لأن الذي يُوصل إلى اليقين عند هؤلاء هي البراهين، المتكلمون يرون أن الذي يوصلهم إلى اليقين هي البراهين، والبراهين: هي الأقيسة التي تكون مرتبةً من مُقدّمات، وشيخ الإسلام يتحدث هنا عن المُقدّمات هذه، وكيف الوصول بها إلى البراهين.

طبعاً الذي سأل هنا يُشير إلى الغزالي، والغزالي كلامه في مقدمة "المستصفى" يقول: "وليست هذه المقدمة من جُملة علم الأصول"؛ لأن المقدمة المنطقية؛ "ولا من مُقدّماته الخاصة بهم؛ بل هي مُقدمة العلوم كُلها ومن لا يُحيطُ بها فلا ثقة له بعلومه أصلاً".

مع أن الإمام الشافعي، الإمام الشافعي في [الرسالة] بدأ الرسالة ببيان أهمية تعلم اللغة العربية ووجوبها؛ لأنها هي الوسيلة إلى تعلّم الدّين، وله مقالٌ معروف، ولو شكك في بعضهم أن منطق أرسطاطاليس سببٌ للجهل أو قريبٌ من هذا.

هؤلاء المتأخرون - ومنهم الغزالي - عكسوا القضية، أوجبوا على المسلمين تعلّم علم المنطق، وألف كتاباً مُستقلاًّ أسماه "معيار العلم"، معيار العلم الميزان مطبوع، وذكر في مُقدمته نفس الذي ذكره هنا.

قارنت بين ما كتبه وبين ما كتبه ابن سينا: فوجدت أن ما ذكره مُتقارب جداً، طبعاً ابن سينا قبل، ابن سينا توفي سنة أربعمائة وكذا وثمانين، يعني هو في طبقة مشايخه، وذلك توفي سنة خمسماية وخمسة.

فيبدو أنه أخذ منه وآمن به لم يكتف بهذا ألف كتاباً أسماه "القسطاس المُستقيم"، في هذا الكتاب يزعم أن القسطاس المُستقيم الذي أُشير إليه في القرآن: هي الموازين المنطقية الخمسة، إذا كُل هذا يحتاج أن تُعالج القضية، ومُعالجة الشيخ هنا هي مُختصرة جداً هي تُنف.

وأيضاً نحن لن نقف معها يعني قلت لكم: بدايته في بيان حال هذا الذي يهول المنطق، ثم تحدث

عن الأقيسة ومُقدّماتها، ثم دخل في موضوع هذا الميزان، هذا الميزان تزنُ به ماذا؟ ذكره قبله أيضًا ولكن هناك فصل، وذكر منهج الفلاسفة في المنطق ومنهج المُتكلّمين في المنطق، ودخل في الموضوع.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَعَ هَذَا فَلَا يَصِحُّ نِسْبَةُ وُجُوبِهِ إِلَى شَرْيْعَةِ الْإِسْلَامِ بِوَجْهِ مِنَ الْوُجُوبِ، إِذْ مِنْ هَذِهِ حَالُهُ، فَإِنَّمَا أَتَى مِنْ نَفْسِهِ بِتَرْكِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ حَتَّى اِخْتَجَّ إِلَى الْبَاطِلِ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ: أَنَّ الْقَوْلَ بِوُجُوبِهِ قَوْلٌ غَلَاتِهِ وَجُهَالِ أَصْحَابِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

المناطقة أنفسهم كثيرٌ منهم لا يقولون بوجوبه، غلاته وجُهال أصحابه هم الذين يقولون بوجوبه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَنَفْسُ الْحُدَاقِ مِنْهُمْ لَا يَلْتَزِمُونَ قَوَائِنَهُ فِي كُلِّ عُلُومِهِمْ بَلْ يُعْرِضُونَ عَنْهَا، إِمَّا لِطَوْلِهَا، وَإِمَّا لِعَدَمِ فَائِدَتِهَا، وَإِمَّا لِفَسَادِهَا، وَإِمَّا لِعَدَمِ تَمَيُّزِهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْإِجْمَالِ وَالِاشْتِبَاهِ، فَإِنَّ فِيهِ مَوَاضِعَ كَثِيرَةً هِيَ لَحْمٌ جَمَلٌ عَثٌّ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ وَعِرٌّ لَا سَهْلٌ فَيُرْتَقَى وَلَا سَمِينٌ فَيُنْتَقَلُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا هذا صار كالمثل السائر، يعني المنطق كلحم جمل ليس ثمين عثٌّ على رأس جبلٍ وعيرٌ لا

سهلٌ فيرتقى ولا سمينٌ فينتقل.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلِهَذَا مَا زَالَ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ وَأَيْمَةُ الدِّينِ يَذُمُونَ أَهْلَهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِهِ؛ حَتَّى رَأَيْتَ
لِلْمُتَأَخِّرِينَ فُتْيَا فِيهَا خُطُوطُ جَمَاعَةٍ مِنْ أَعْيَانِ زَمَانِهِمْ مِنْ أَيْمَةِ الشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَفِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، فِيهَا كَلَامٌ
عَظِيمٌ فِي تَحْرِيمِهِ وَعُقُوبَةِ أَهْلِهِ؛ حَتَّى إِنَّ مِنْ الْحِكَايَاتِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي بَلَّغْتُنَا: أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا عَمْرٍو بْنَ
الصَّلَاحِ أَمَرَ بِانْتِزَاعِ مَدْرَسَةِ مَعْرُوفَةَ مِنْ أَبِي الْحَسَنِ الْأَمْدِيِّ وَقَالَ: أَخَذَهَا مِنْهُ أَفْضَلُ مِنْ أَخْذِ عَكَا.
مَعَ أَنَّ الْأَمْدِيَّ لَمْ يَكُنْ أَحَدًا فِي وَقْتِهِ أَكْثَرَ تَبَحُّرًا فِي الْعُلُومِ الْكَلَامِيَّةِ وَالْفَلْسَفِيَّةِ مِنْهُ وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِهِمْ
إِسْلَامًا وَأَمْثَلِهِمْ اعْتِقَادًا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أَي مَعَ ذَلِكَ هَذِهِ فَتَوَى ابْنُ الصَّلَاحِ، وَمِنْ جَمِيلِ كَلَامِ ابْنِ الصَّلَاحِ رَحِمَهُ اللهُ، يَقُولُ: «الْمَنْطِقُ: هُوَ مَدْخَلُ
الْفَلْسَفَةِ؛ وَمَدْخَلُ الشَّرِّ شَرٌّ»، طَبَعًا هُمْ أَيْضًا يَقُولُونَ: الْمَنْطِقُ: هُوَ مَدْخَلُ الْفَلْسَفَةِ، أَنْتَ لَمَّا تَنْظُرُ إِلَى
أَقْسَامِ الْعُلُومِ الْفَلْسَفِيَّةِ الْمَدْخَلِ إِلَيْهَا الْمَنْطِقُ، وَالْمَدْخَلُ إِلَى الشَّرِّ يَقُولُ: شَرٌّ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْأُمُورَ الدَّقِيقَةَ: سَوَاءٌ كَانَتْ حَقًّا أَوْ بَاطِلًا إِيْمَانًا أَوْ كُفْرًا لَا تُعْلَمُ إِلَّا بِدَكَاةٍ وَفِطْنَةٍ
فَكَذَلِكَ أَهْلُهُ قَدْ يَسْتَجْهَلُونَ مَنْ لَمْ يُشْرِكْهُمْ فِي عِلْمِهِمْ وَإِنْ كَانَ إِيْمَانُهُ أَحْسَنَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طَبَعًا هَذَا أَنْتُمْ هَلْ جَالَسْتُمُ الْمَنَاطِقَةَ؟ الَّذِي جَالَسَهُمْ يَعْرِفُ كَيْفَ أَنَّهُمْ يَتَفَخَّخُونَ، أَنْتَ وَلَا شَيْءَ أَمَامَ
هَذَا الَّذِي ضَيَّعَ عَمْرَهُ فِي الْمَنْطِقِ، سَبْحَانَ اللهِ! هَذَا الَّذِي ضَيَّعَ عَمْرَهُ فِي الْمَنْطِقِ؛ سَبْحَانَ اللهِ يَعْنِي هَذَا
الْعِلْمَ يَفْتَخِرُونَ بِهِ غَايَةَ فِي الْفَخْرِ، وَكَأَنَّهُمْ أَنْبِيَاءُ.

لِمَاذَا يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: (الْأُمُورَ الدَّقِيقَةَ: الَّتِي لَا تُعْلَمُ إِلَّا بِدَكَاةٍ وَفِطْنَةٍ، أَهْلُهُ قَدْ يَسْتَجْهَلُونَ مَنْ لَمْ
يُشْرِكْهُمْ فِي عِلْمِهِمْ)، لَا تَجِدُ مِثْلَ الْمَنَاطِقَةِ فِي هَذَا الْعِلْمِ تَجِدُهُمْ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ إِلَّا أَنْ عِلْمَهُمْ بِالْمَنْطِقِ
يَجْعَلُهُمْ لَا يَرُونَكَ شَيْئًا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِنْ كَانَ إِيمَانُهُ أَحْسَنَ مِنْ إِيمَانِهِمْ إِذَا كَانَ فِيهِ قُصُورٌ فِي الذِّكَاةِ وَالْبَيَانِ وَهُمْ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣١﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٢﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٣﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٤﴾ هَلْ ثُوبَ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المطففين ٢٩ -

.[٣٦]

فَإِذَا تَقَلَّدُوا عَنْ طَوَاعِيهِمْ أَنَّ كُلَّ مَا لَمْ يَحْصُلْ بِهِدِ الطَّرِيقِ الْقِيَاسِيَّةِ فَلَيْسَ بِعِلْمٍ وَقَدْ لَا يَحْصُلُ لِكَثِيرٍ مِنْهُمْ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ الْقِيَاسِيَّةِ مَا يَسْتَفِيدُ: بِهِ الْإِيمَانَ الْوَاجِبَ فَيَكُونُ كَافِرًا زَنْدِيقًا مُنَافِقًا جَاهِلًا ضَالًّا مُضِلًّا ظَلُمًا كُفُورًا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ هُنَا: هُوَ أَوْلَا: فِي ظَنِّهِ زَفَرَ بِهِدِ الْعُلُومِ الدَّقِيقَةَ جَدًّا.

ثَانِيًا: تَقَلَّدَ عَنْ طَوَاعِيهِ أَنْ كُلَّ مَا لَمْ يَحْصُلْ بِهِدِ الطَّرِيقِ، وَكُلَّ مَا لَمْ يُحْصَلْ بِهِدِ الطَّرِيقِ فَلَيْسَ بِعِلْمٍ، هَذَا وَهَذَا تَرَكَّبَ عِنْدَهُ، فَأَنْتَجَ مَاذَا؟ لَنْ يَصِلَ إِلَى الْإِيمَانِ الْوَاجِبِ بِهِ، (فَيُنْتَجِ كُفْرًا وَزَنْدِيقًا وَنِفَاقًا وَجَهْلًا وَضَلَالًا وَظُلْمًا وَكُفْرًا، لِأَنَّهُ يَرَى أَنَّ هَذِهِ هِيَ السَّبِيلُ الْوَحِيدَ لِمَعْرِفَةِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ، وَثَانِيًا يَرَاهُ عِلْمًا كَبِيرًا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَيَكُونُ مِنْ أَكْبَرِ أَعْدَاءِ الرُّسُلِ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان ٣١-٣٣].

وَرُبَّمَا حَصَلَ لِبَعْضِهِمْ إِيمَانٌ إِمَّا مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ أَوْ مِنْ غَيْرِهَا، وَيَحْصُلُ لَهُ أَيْضًا مِنْهَا نِفَاقٌ فَيَكُونُ فِيهِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ.

قال الشَّاح وفقه الله:

حتى ولو استفاد قليلاً يجمع بين الإيمان والنفاق.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَيَكُونُ فِي حَالٍ مُؤْمِنًا وَفِي حَالٍ مُنَافِقًا وَيَكُونُ مُرْتَدًّا: إِمَّا عَنْ أَصْلِ الدِّينِ أَوْ عَنْ بَعْضِ شَرَائِعِهِ: إِمَّا رِدَّةً نِفَاقٍ وَإِمَّا رِدَّةً كُفْرٍ، وَهَذَا كَثِيرٌ غَالِبٌ لَا سِيَّمَا فِي الْأَعْصَارِ وَالْأَمْصَارِ الَّتِي تَغْلِبُ فِيهَا الْجَاهِلِيَّةُ وَالْكَفْرُ وَالنَّفَاقُ، فَلِهَذَا لَمَّا تَفَطَّنَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ لِمَا فِي هَذَا النَّفْيِ مِنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ وَلِهَذَا لَمَّا تَفَطَّنَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ لِمَا فِي هَذَا النَّفْيِ مِنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ.

قال الشَّاح وفقه الله:

لِمَا فِي هَذَا النَّفْيِ: أَي نَفْيِ أَنْ كُلَّ مَا لَمْ يُحْصَلْ بِهَذَا فَلَيْسَ بِعَلَمٍ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

صَارُوا يَقُولُونَ: النُّفُوسُ الْقُدْسِيَّةُ - كُنُفُوسِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ - تَفِيضُ عَلَيْهَا الْمَعَارِفُ بِدُونِ الطَّرِيقِ الْقِيَّاسِيَّةِ.

قال الشَّاح وفقه الله:

نعم، إذا قيل لهم: طيب الأنبياء من المسلمين نتحدث عن المسلمين المناطقة، إذا قيل لهم: طيب الأنبياء لم يكونوا مناطقة فمن أين لهم هذا؟ جاءوا بهذا العذر، قالوا: هم نفوس قُدسية، والنفوس

الْقُدْسِيَّةَ تَفِيضَ عَلَيْهَا الْمَعَارِفَ، تَقَطَّرَ عَلَيْهَا الْمَعَارِفُ، تَنْزَلُ عَلَيْهَا بَدُونِ الطَّرِيقِ الْقِيَاسِيَّةِ فَلَا تَقْيَسُ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ، الْعِلْمُ يَأْتِيهِمْ هَكَذَا، أَمَا غَيْرُهُمْ فَلَا بَدَّ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَهُمْ مُتَّفِقُونَ جَمِيعُهُمْ عَلَى أَنَّ مِنَ النَّفُوسِ مَنْ تَسْتَعْنِي عَنْ وَزْنِ عُلُومِهَا بِالْمَوَازِينِ الصَّنَاعِيَّةِ فِي الْمَنْطِقِ لَكِنْ قَدْ يَقُولُونَ: هُوَ حَكِيمٌ بِالطَّبْعِ، وَالْقِيَاسُ يَنْعَقِدُ فِي نَفْسِهِ بَدُونِ تَعَلُّمِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

(مِنَ النَّفُوسِ)، كُلُّهُمْ يَقُولُونَ: (مِنَ النَّفُوسِ مَنْ تَسْتَعْنِي عَنِ الْمَنْطِقِ)، طَيِّبٌ وَتَعْمِيمُكَ؟ يَجِيبُ عَنْهُ يَقُولُ: مَنْ كَانَ مُسْتَعْنِيًّا هُوَ حَكِيمٌ بِالطَّبْعِ، هَذِهِ الْمَادَّةُ مَوْجُودَةٌ فِيهِ أَيُّ أَيْضًا لَا تَقْسُ نَفْسَكَ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ حَكِيمٌ بِالطَّبْعِ وَأَنْتَ تَحْتَاجُ إِلَى حِكْمَةٍ بِالْاِكْتِسَابِ وَطَرِيقُكَ إِلَيْهَا الْمَنْطِقُ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالْقِيَاسُ يَنْعَقِدُ فِي نَفْسِهِ بَدُونِ تَعَلُّمِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ؛ كَمَا يَنْطِقُ الْعَرَبِيُّ بِالْعَرَبِيَّةِ بَدُونِ النَّحْوِ؛ وَكَمَا يَقْرَأُ الشَّاعِرُ الشُّعْرَ بَدُونِ مَعْرِفَةِ الْعَرُوضِ، لَكِنَّ اسْتِغْنَاءَ بَعْضِ النَّاسِ عَنِ هَذِهِ الْمَوَازِينِ لَا يُوجِبُ اسْتِغْنَاءَ الْآخَرِينَ.

فَاسْتِغْنَاءُ كَثِيرٍ مِنَ النَّفُوسِ عَنِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ لَا يُنَازِعُ فِيهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَالْكَلامُ هُنَا: هَلْ تَسْتَعْنِي النَّفُوسُ فِي عُلُومِهَا بِالْكُلِّيَّةِ عَنِ نَفْسِ الْقِيَاسِ الْمَذْكُورِ وَمَوَادِّهِ الْمُعَيَّنَةِ، فَالْاِسْتِغْنَاءُ عَنِ جِنْسِ هَذَا الْقِيَاسِ شَيْءٌ وَعَنِ الصَّنَاعَةِ الْقَانُونِيَّةِ الَّتِي يُوزَنُ بِهَا الْقِيَاسُ شَيْءٌ آخَرَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

طَبَعًا هُنَاكَ الْقِيَاسُ جِنْسُ الْقِيَاسِ وَجِنْسُ الْقِيَاسِ مَا تَحَدَّثَ عَنْهُ هُنَا، نَحْنُ نَتَحَدَّثُ عَنْ شَيْءٍ هِيَ صِنَاعَةٌ قَانُونِيَّةٌ يُوزَنُ بِهَا الْقِيَاسُ، الْقِيَاسُ مَوْجُودٌ فِي عِنْدِ الْجَمِيعِ، وَلَكِنَّهُ هُنَا نَتَحَدَّثُ عَنْ صِنَاعَةٍ يُوزَنُ بِهَا الْقِيَاسُ، هَلْ هَذَا الْقِيَاسُ صَحِيحٌ أَوْ غَيْرُ صَحِيحٍ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ آلَةٌ قَانُونِيَّةٌ تَمْنَعُ مُرَاعَاتِهَا الذَّهْنَ أَنْ يَزِلَّ فِي فِكْرِهِ وَفَسَادُ هَذَا مَبْسُوطٌ مَذْكُورٌ فِي

مَوْضِعٍ غَيْرِ هَذَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وهكذا يقول: حتى المناطقة المسلمون لا يستحيون ويقولون هذا: أن المنطق: آلة قانونية تمنع

مرعاتها الذهن أن يزل في فكره؛ هكذا يقولون ولذلك دائماً تجد في المعلم الأول والمعلم الثاني، والنبى

ﷺ مُغِيبٌ بَيْنَهُمَا، مع أنه مؤمن وأنه مُسلم لا أقول: مؤمن، هو مُسلم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَنَحْنُ بَعْدَ أَنْ تَبَيَّنَّا عَدَمَ فَايِدَتِهِ وَإِنْ كَانَ قَدْ يَتَضَمَّنُ مِنَ الْعِلْمِ مَا يَحْصُلُ بِدُونِهِ ثُمَّ تَبَيَّنَّا أَنَّا لَوْ قَدَرْنَا أَنَّهُ

قَدْ يُفِيدُ بَعْضَ النَّاسِ مِنَ الْعِلْمِ مَا يُفِيدُهُ هُوَ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: لَيْسَ إِلَى ذَلِكَ الْعِلْمِ لِذَلِكَ الشَّخْصِ

وَلِسَائِرِ بَنِي آدَمَ طَرِيقٌ إِلَّا بِمِثْلِ الْقِيَاسِ الْمُنْطِقِيِّ؛ فَإِنَّ هَذَا قَوْلٌ بِلَا عِلْمٍ، وَهُوَ كَذِبٌ مُحَقَّقٌ.

وَلِهَذَا مَا زَالَ مُتَكَلِّمُو الْمُسْلِمِينَ - وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ نَوْعٌ مِنَ الْبِدْعَةِ - لَهُمْ مِنَ الرَّدِّ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِهِ وَبَيَانِ

الِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ وَحُصُولِ الضَّرَرِ وَالْجَهْلِ بِهِ وَالْكَفْرِ مَا لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

حتى المتكلمون يقول شيخ الإسلام: لهم ردود عليه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

دَعَّ غَيْرُهُمْ مِنْ طَوَائِفِ الْمُسْلِمِينَ وَعُلَمَائِهِمْ وَأُئِمَّتِهِمْ كَمَا ذَكَرَهُ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْبَاقِلَانِيِّ فِي

كِتَابِ "الدَّقَائِقِ".

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

سبق أن ذكرنا أنه غير مطبوع.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَذَلِكَ يَظْهَرُ بِأَنَّهُمْ جَعَلُوا الْأَقْيَسَةَ خَمْسَةً: الْبُرْهَانِيَّ وَالْحَطَابِيَّ وَالْجَدَلِيَّ وَالشُّعْرِيَّ وَالْمُغَلِّطِيَّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً هو من هنا إلى صفحة (ماتتين وأربعة وسبعين) يتحدث عن هذه الأقيسة وعن موادها وعن بعض الخلافات الداخلة الإطار المنطقي، وسيبدأ في النتيجة من هناك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَأَمَّا الشُّعْرِيُّ: وَهُوَ مَا يُفِيدُ مُجَرَّدَ التَّخْيِيلِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

الشُّعْرُ: هو من الشعر؛ لن الشعر كما يقول شيخ الإسلام يُحْرِكُ شهوة النفس يؤثر.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَأَمَّا الشُّعْرِيُّ وَهُوَ مَا يُفِيدُ مُجَرَّدَ التَّخْيِيلِ وَتَحْرِيكَ النَّفْسِ.

وَالْمُغَلِّطِيُّ السُّوْفِسْطَائِيُّ: وَهُوَ مَا يُشْبِهُ الْحَقَّ وَهُوَ بَاطِلٌ وَهُوَ الْحِكْمَةُ الْمُمَوَّهَةُ؛ فَلَا غَرَضَ لَنَا فِيهِ هُنَا

وَلَكِنَّ غَرَضَنَا تِلْكَ الثَّلَاثَةُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إذا هذان القسمان من الأقيسة: هي ليست لا ينبغي أن تُدرج ضمن الأقيسة التي تُوصلُ إلى

المقصود.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

قَالُوا: الْجَدَلِيُّ: مَا سَلَّمَ الْمُخَاطَبُ مُقَدِّمَاتِهِ.

وَالْحَطَابِيُّ: مَا كَانَتْ مُقَدِّمَاتُهُ مَشْهُورَةً بَيْنَ النَّاسِ.

وَالْبُرْهَانِيُّ: مَا كَانَتْ مُقَدِّمَاتُهُ مَعْلُومَةً.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

نعم، هذه الأقيسة تراها:

(الجدلي: مَا سَلَّمَ الْمُخَاطَبُ مُقَدِّمَاتِهِ)، بغض النظر عن صحتها، وعدم صحتها؛ إذا استطعت أن

تلعب عليه وأن تضحك عليه، وصدقك في هذه المقدمات؛ فتم قياسك.

و(الخطابي: مَا كَانَتْ مُقَدِّمَاتُهُ مَشْهُورَةً بَيْنَ النَّاسِ) ما كانت مقدماته مشهورة بين الناس، هذا يقول،

وهذا يقول، وهذا يقول؛ وبالتالي عليك أن تسلم، والأقيسة الشرعية عندهم التي وردت في الكتاب

والسنة: هي غالبها خطابية المراد بها إيصالهم إلى اليقين بهذه الطريق التي في نفسها ليست برهانية، ولكن

يحصل بها المقصود.

ولذلك هذا القياس؛ لا يمكنك أن تستعمله مع أحدهم سيكتشف، سيقول: "هي مشهورة بين الناس

ولكن هل تظني مثل الناس، هي كذا وكذا وكذا، والأقيسة التي في القرآن هي غالبها خطابية؛ هكذا

يقولون، وأن كل الكفر ليس كفرًا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

والبُرْهَانِيُّ مَا كَانَتْ مُقَدِّمَاتُهُ مَعْلُومَةً.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أما البرهاني: هو قياسٌ والله في خلقه شئون.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُقَدِّمَاتِ تَكُونُ -مَعَ كَوْنِهَا خَطَابِيَّةً أَوْ جَدَلِيَّةً- يَقِينِيَّةً بُرْهَانِيَّةً؛ بَلْ وَكَذَلِكَ مَعَ كَوْنِهَا شِعْرِيَّةً

وَلَكِنْ هِيَ مِنْ جِهَةِ التَّيَقُّنِ بِهَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا هناك خلاف بينهم في تعريف هذه الأمور التي يُشير إليها شيخ الإسلام، ويُعدل في بعضها

ليست مُهمّة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَكِنْ هِيَ مِنْ جِهَةِ التَّيَقُّنِ بِهَا تُسَمَّى بُرْهَانِيَّةً، وَمِنْ جِهَةِ شُهْرَتِهَا عِنْدَ عُمُومِ النَّاسِ وَقَبُولِهِمْ لَهَا تُسَمَّى: خَطَابِيَّةً، وَمِنْ جِهَةِ تَسْلِيمِ الشَّخْصِ الْمُعَيَّنِ لَهَا: تُسَمَّى جَدَلِيَّةً، وَهَذَا كَلَامُ أَوْلِيكَ الْمُبْتَدِعَةِ مِنَ الصَّابِغَةِ الَّذِينَ لَمْ يَذْكُرُوا التُّبُوتَ وَلَا تَعَرَّضُوا لَهَا بِنَفْيٍ وَلَا إِثْبَاتٍ، وَعَدَمُ التَّصَدِيقِ لِلرُّسُلِ وَاتِّبَاعِهِمْ كُفْرٌ وَضَلَالٌ، وَإِنْ لَمْ يَعْتَقِدْ تَكْذِيبَهُمْ فَالْكَفْرُ وَالضَّلَالُ أَعْمٌ مِنَ التَّكْذِيبِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

قد يُقال عنهم ما دروا عن الأنبياء فيقال لهم دروا أو لم...؛ عدم التصديق بهم، عدم التصديق لهم كُفر، وبضاعتم لم توصل إلى هذا القصد.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمَّا قَوْلُ بَعْضِ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي الْمَشْهُورَاتِ: هِيَ الْمَقْبُولَاتُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا هذا التطعيم للمناطقة المسلمين؛ تطعيم للمنطق حتى يشمل ماذا؟ بعض أصول الإيمان.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

هِيَ الْمَقْبُولَاتُ لِكَوْنِ صَاحِبِهَا مُؤَيَّدًا بِأَمْرٍ يُوجِبُ قَبُولَ قَوْلِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هِيَ الْمَقْبُولَاتُ، المشهورات: هي المقبولات، فإذا قيل له: مقبولات لماذا؟ هل هي مُقدّماتُها هي مُتفقٌ على كونها صحيحة؟ يقول لك: لا، لكون صاحبها مؤيدًا بأمرٍ يوجب قبول قوله، يُريد أن يدخل في تلك المُقدّمات، في تلك المواد العلوم الشرعية.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَنَحْوَ ذَلِكَ؛ فَهَذِهِ مِنَ الزِّيَادَاتِ الَّتِي أَلْزَمْتَهُمْ إِيَّاهَا الْحُجَّةُ وَرَأَوْا وَجُوبَ قَبُولِهَا عَلَى طَرِيقَةِ الْأَوَّلِينَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

الْأَوَّلِينَ: هُمُ الْفَلَّاسِفَةُ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلِهَذَا كَانَ غَالِبُ صَابِئَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ الَّذِينَ هُمُ الْفَلَّاسِفَةُ مُمْتَرِجِينَ بِالْحَنِيفِيَّةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

بِالْحَنِيفِيَّةِ، هُمُ الْمُتَأَخِرُونَ مِنْ بَعْدِ أَفْلُوطينَ فِي النِّصْرَانِيَّةِ، وَالَّذِينَ كَانُوا فِي عَصُورِ الْإِسْلَامِ هُمُ هَكَذَا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

كَمَا أَنَّ غَالِبَ مَنْ دَخَلَ فِي الْفَلْسَفَةِ مِنَ الْحُنَفَاءِ مَرَجَ الْحَنِيفِيَّةَ بِالصَّبَاءِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

بِالصَّبَاءِ: وَهُوَ دِينُ الصَّابِئَةِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

بِالصَّبْوِ وَلَبَسَ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ أَغْنَى بِالصَّبْوِ الْمُبْتَدِعِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِيمَانٌ بَلْ بِالنَّبَوَاتِ كَصَبْوِ
صَاحِبِ الْمَنْطِقِ وَاتِّبَاعِهِ، وَأَمَّا الصَّبْوُ الْقَدِيمُ فَذَلِكَ أَصْحَابُهُ: مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، كَمَا أَنَّ التَّهَوُّدَ وَالتَّنَصَّرَ مِنْهُ مَا أَهْلُهُ مُبْتَدِعُونَ
ضَلَالٌ قَبْلَ إِرْسَالِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَمِنْهُ مَا كَانَ أَهْلُهُ مُتَّبِعِينَ لِلْحَقِّ، وَهُمْ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَا خَوْفَ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

وَمَنْ قَالَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُصَنِّفِينَ فِي الْمَنْطِقِ: إِنَّ الْقِيَاسَ الْخَطَابِيَّ هُوَ مَا يُفِيدُ الظَّنَّ كَمَا أَنَّ الْبُرْهَانِيَّ مَا
يُفِيدُ الْعِلْمَ: فَلَمْ يَعْرِفْ مَقْصُودَ الْقَوْمِ وَلَا قَالَ حَقًّا، فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَطَابِيِّ وَالْجَدَلِيِّ قَدْ يُفِيدُ الظَّنَّ كَمَا
أَنَّ الْبُرْهَانِيَّ قَدْ تَكُونُ مُقَدِّمَاتُهُ مَشْهُورَةً وَمُسَلَّمَةً.

فَالْتَقْسِيمُ لِمَوَادِّ الْقِيَاسِ وَقَعَ بِاعْتِبَارِ الْجِهَاتِ الَّتِي يُقْبَلُ مِنْهَا؛ فَتَارَةً يُقْبَلُ الْقَوْلُ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ؛ إِذَا الْعِلْمُ
يُوجِبُ الْقَبُولَ. وَأَمَّا كَوْنُهُ لَا يُفِيدُ الْعِلْمَ فَلَا يُوجِبُ قَبُولَهُ إِلَّا لِسَبَبٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لا، إذا كان لا يُفِيدُ الْعِلْمَ النَّتِيجَةَ: أَنَّهُ لَا يُوجِبُ قَبُولَهُ إِلَّا إِذَا انْضَمَّ إِلَيْهِ سَبَبٌ آخَرَ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنْ كَانَ لِشُهْرَتِهِ: فَهُوَ خَطَابِيٌّ وَلَوْ لَمْ يُفِدْ عِلْمًا وَلَا ظَنًّا، وَهُوَ أَيْضًا خَطَابِيٌّ إِذَا كَانَتْ قَضِيَّتُهُ مَشْهُورَةً
وَإِنْ أَفَادَ عِلْمًا أَوْ ظَنًّا، وَالْقَوْلُ فِي الْجَدَلِيِّ كَذَلِكَ.

ثُمَّ إِنَّهُمْ قَدْ يُمَثِّلُونَ الْمَشْهُورَاتِ الْمَقْبُولَاتِ الَّتِي لَيْسَتْ عِلْمِيَّةً بِقَوْلِنَا: الْعِلْمُ حَسَنٌ وَالْجَهْلُ قَبِيحٌ
وَالْعَدْلُ حَسَنٌ وَالظُّلْمُ قَبِيحٌ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ الْعَمَلِيَّةِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي يُثَبِّتُهَا مَنْ يَقُولُ بِالتَّحْسِينِ
وَالتَّقْبِيحِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّا إِذَا رَجَعْنَا إِلَى مَحْضِ الْعَقْلِ لَمْ نَجِدْ فِيهِ حُكْمًا بِذَلِكَ، وَقَدْ يُمَثِّلُونَهَا بِأَنَّ الْمَوْجُودَ
لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُبَايِنًا لِلْمَوْجُودِ الْآخَرَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني هذا الآن مثلاً المشهورات المقبولات عند الناس ليست عندهم التي ليست علمية، العلم
حَسَنٌ وَالْجَهْلُ قَبِيحٌ، وَالْعَدْلُ حَسَنٌ وَالظُّلْمُ قَبِيحٌ مِثْلَ هَذِهِ الْأُمُورِ يَقُولُونَ: إِذَا رَجَعْنَا إِلَى مَحْضِ الْعَقْلِ
لَمْ نَجِدْ فِيهِ حُكْمًا بِذَلِكَ.

إِذَا هَذِهِ تَخَضَعُ لِمِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ تَخَضَعُ لِمَوَازِينِهِمْ حَتَّى تَكُونَ عِلْمِيَّةً، أَوْ لَا تَكُونَ عِلْمِيَّةً حَتَّى هَذِهِ
الأمور، وكذلك القول بأن الموجود لا بد أن يكون مُبَايِنًا لِلْمَوْجُودِ الْآخَرَ، أَوْ مُحَايِنًا لَهُ، هَذَا الَّذِي مَشْهُورٌ
عِنْدَ النَّاسِ هَلْ هُوَ فِعَالًا صَحِيحٌ، نَنْظُرُ الْآنَ!

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ يَمَثُلُونَهَا بِأَنَّ الْمَوْجُودَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُبَايِنًا لِلْمَوْجُودِ الْآخِرِ، أَوْ مُحَايِنًا لَهُ أَوْ أَنَّ الْمَوْجُودَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بِجِهَةٍ مِنَ الْجِهَاتِ، أَوْ يَكُونَ جَائِزَ الرَّؤْيَةِ وَيَزْعُمُونَ: أَنَّ هَذَا مِنْ أَحْكَامِ الْوَهْمِ لَا الْفِطْرَةَ الْعَقْلِيَّةَ، قَالُوا: لِأَنَّ الْعَقْلَ يُسَلِّمُ مُقَدِّمَاتٍ يُعَلِّمُ بِهَا فَسَادُ الْحُكْمِ الْأَوَّلِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أليست هذه من اليقينيات التي يلعب بها هذا المنطقي، الموجود لا بد أن يكون كل موجودين، لا بد أن يكون أحدهما مُبايِنًا للآخر مُحايِنًا له؛ أي في جهةٍ منه هذه قضية بديهية. هم يقولون: لا، لما رجعنا إلى العقل وجدنا أن هذه قضية وهمية، هذا ذكره الرازي، وذكره التفتازاني، وردوا بهذا الدليل الفطري الذي به نُثبت أن الله ﷻ في العلو، وبه نرد على الاتحادية والحلولية، قالوا: هذا من أحكام الوهم وليست من أحكام الفطرة العقلية.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا كُلُّهُ تَخْلِيْطٌ ظَاهِرٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لِمَنْ تَدَبَّرَهُ تَخْلِيْطٌ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا كُلُّهُ تَخْلِيْطٌ ظَاهِرٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ، فَأَمَّا تِلْكَ الْقَضَايَا الَّتِي سَمَّوْهَا مَشْهُورَاتٍ غَيْرَ مَعْلُومَةٍ فَهِيَ مِنْ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ الْبَدِيهِيَّةِ، الَّتِي جَزَمَ الْعُقُولَ بِهَا أَعْظَمَ مِنْ جَزْمِهَا بِكَثِيرٍ مِنَ الْعُلُومِ الْحِسَابِيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني كون العلم حسنً، وكون الجهل قبيح، وكون العدل حسن، والظلم قبيح، وكون كل موجودين يكون أحدهما مُبايِنًا للآخر ومُحايِنًا له.

يقول شيخ الإسلام: هذه المشهورات التي زعموا أنها غير معلومة، يقول: هي من العلوم العقلية

البدئية التي جزم العقول بها أعظم من جزمها بكثير من العلوم الحسابية والطبيعية التي تقولون: أنها علمية وبرهانية، و...، و...، و...، برهانيتها وبقينها أعظم منها.

طبعاً نحن أمام ميزان غريب يدعى أن هذا الميزان يُوزن به كل شيء وله وضعه الخاص لا بد أن تتكيف أنت به، هكذا ميزان المنطق، إذا قالوا: هذا الميزان يوزن به هذا، نقول: نعم، يوزن به هذا، نقول: نعم. لا نقول: الميزان كبير أو صغير؛ لا، مادام هذا قال: يوزن به كل شيء كما سيأتي في كلام شيخ الإسلام، ميزان للذهب ويزن به الحطب، والعكس، فنقول: هذا ميزانهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهِيَ كَمَا قَالَ أَكْثَرُ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ؛ بَلْ أَكْثَرُ مُتَكَلِّمِي أَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ: أَنَّهَا قَضَايَا بَدِيهِيَّةٌ عَقْلِيَّةٌ؛ لَكِنْ قَدْ لَا يُحْسِنُونَ تَفْسِيرَ ذَلِكَ، فَإِنَّ حُسْنَ ذَلِكَ وَقُبْحَهُ هُوَ حُسْنُ الْأَفْعَالِ وَقُبْحُهَا وَحُسْنُ الْفِعْلِ هُوَ كَوْنُهُ مُقْتَضِيًا لِمَا يَطْلُبُهُ الْحَيُّ لِذَاتِهِ وَيُرِيدُهُ مِنَ الْمَقَاصِدِ وَقُبْحُهُ بِالْعَكْسِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني ماذا تقصد بأن هذا الفعل حسن وهذا قبيح؟ كونه حسن كونه مقتضياً لما يطلبه الحي لذاته ويريده من المقاصد إذا حسن تريده حسن، تظن أنه يحقق لك مطلوبك حسن وإلا قبيح.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْأَمْرُ كَذَلِكَ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ وَالصَّدْقَ وَالْعَدْلَ هِيَ كَذَلِكَ مُحَصَّلَةٌ لِمَا يُطْلَبُ لِذَاتِهِ وَيُرَادُ لِنَفْسِهِ مِنَ الْمَقَاصِدِ فَحُسْنُ الْفِعْلِ وَقُبْحُهُ هُوَ لِكَوْنِهِ مُحَصَّلًا لِلْمَقْصُودِ الْمُرَادِ بِذَاتِهِ أَوْ مُنَافِيًا لِذَلِكَ. وَلِهَذَا كَانَ الْحَقُّ يُطْلَقُ تَارَةً بِمَعْنَى النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ فَيُقَالُ: هَذَا حَقٌّ أَيْ ثَابِتٌ وَهَذَا بَاطِلٌ أَيْ مُنْتَفٍ؛ وَفِي الْأَفْعَالِ: بِمَعْنَى التَّحْصِيلِ لِلْمَقْصُودِ فَيُقَالُ: هَذَا الْفِعْلُ حَقٌّ؛ أَيْ نَافِعٌ أَوْ مُحَصَّلٌ لِلْمَقْصُودِ وَيُقَالُ: بَاطِلٌ أَيْ لَا فَائِدَةَ فِيهِ وَنَحْوَ ذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني في استطراده ذكر فائدة جميلة تتعلق بالحق، وأن الحق له معنيان:

المعنى الأول: أنت لما تقول: أن هذا حق: معناه هذا ثابت؛ إذا كان ثابتاً عليك أن تعتقد ثبوته.

والمعنى الثاني: وهكذا الباطل: أي منتفٍ.

وفي الأفعال: معنى كون هذا حقاً: أنه يُحصل المقصود: أي نافع، معنى الحق نافع، وإذا كان نافعاً:

إذا هو يُحصل المقصود، إذا كان يُحصل المقصود فهو نافع.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمَّا زَعْمُهُمْ: أَنَّ الْبَدِيهَةَ وَالْفِطْرَةَ قَدْ تَحَكَّمُ بِمَا يَتَبَيَّنُ لَهَا بِالْقِيَاسِ فَسَادُهُ: فَهَذَا غَلَطٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً هذه كلها مقدمات لنسف البديهيات عند الإنسان، ولتغيير الفطرة عنده حتى يستسلم لكل ما يقوله هذا المنطقي، لذلك يقول أرسطو: إذا أردت أن تدخل الفلسفة؛ فعليك أن تستحدث فطرةً أخرى.

هذا كلام أرسطو: إذا أردت أن تدخل الفلسفة فعليك أن تستحدث فطرةً أخرى، لماذا؟ لأنك في كل

خطوة ستتعب أرسطو هذا خطأ، هذا خطأ لا لا لا، لعب بالبديهيات لعب بما يحسنه جميع العقلاء، وما يقبحه جميع العقلاء؛ كل هذا ليجعلوك مقلداً أعمى.

زعمهم أن البديهية والفطرة التي تظنها قضيةً بديهية، وتظنها قضية فطرية قد تحكَّم بما يتبين لها

بالقياس، قد يُحكم عليها بالفساد، يقول شيخ الإسلام: هذا غلط لماذا؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

لِأَنَّ الْقِيَاسَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُقَدِّمَاتٍ بَدِيهِيَّةٍ فِطْرِيَّةٍ، فَإِنْ جُوِّزَ أَنْ تَكُونَ الْمُقَدِّمَاتُ الْفِطْرِيَّةُ الْبَدِيهِيَّةُ غَلَطًا

مِنْ غَيْرِ تَبْيِينٍ غَلَطِهَا إِلَّا بِالْقِيَاسِ لَكَانَ قَدْ تَعَارَضَتْ الْمُقَدِّمَاتُ الْفِطْرِيَّةُ بِنَفْسِهَا وَمُقْتَضَى الْقِيَاسِ الَّذِي مُقَدِّمَاتُهُ فِطْرِيَّةٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

الآن نحن لن نعرف ما هي البديهيات، حتى نتظر القياس، القياس في أصله مبني على تلك

المقدمات، فإذا جعلتها متوقفةً على القياس نسفت هذه بهذه، ولن تستفيد بالقياس، لأن القياس إذا لم

يكن مبنياً على تلك البديهيات لن يكون قياساً صحيحاً.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَلَيْسَ رَدُّ هَذِهِ الْمُقَدَّمَاتِ الْفِطْرِيَّةِ لِأَجْلِ تِلْكَ بِأَوْلَى مِنَ الْعَكْسِ.

بَلِ الْغَلَطُ فِيمَا تَقَلُّ مُقَدَّمَاتُهُ أَوْلَى فَمَا يُعْلَمُ بِالْقِيَاسِ وَبِمُقَدَّمَاتِ فِطْرِيَّةِ أَقْرَبُ إِلَى الْغَلَطِ مِمَّا يُعْلَمُ

بِمُجَرَّدِ الْفِطْرَةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هب أن هناك طريقان: مُقدمات بديهية، وقياس.

توصل إلى شيء وهناك شيء وهناك شيء توصل إليه مُجَرَّدُ الفطرة، يقول شَيْخُ الْإِسْلَامِ: كلما قلت

المُقَدَّمَاتِ كان موصلًا إلى اليقين أكثر، فأنت لما تعقد هذا القياس في النهاية تحكم على البدهي بأنه

باطل الأولى أحسن بأن يُحكم على قياسك بالبطلان، لأنه ينقض هذا هو الأولى.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَمَا يُعْلَمُ بِالْقِيَاسِ وَبِمُقَدَّمَاتِ فِطْرِيَّةِ أَقْرَبُ إِلَى الْغَلَطِ مِمَّا يُعْلَمُ بِمُجَرَّدِ الْفِطْرَةِ، وَهَذَا يَذْكَرُ وَنَهْ فِي نَفْيِ

عُلُوِّ اللهِ عَلَى الْعَرْشِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ أَبَاطِيلِهِمْ.

وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ لَمْ يَذْكَرُوا مُتَقَدِّمِيهِمْ مِنَ الْمُقَدَّمَاتِ الْمُتَلَقَّاةِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَلَكِنْ الْمُتَأَخَّرُونَ رَبَّبُوهُ

عَلَى ذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(الْمُقَدَّمَاتِ الْمُتَلَقَّاةِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ) والتي تتوقف عليها سعادة الناس، هذه لا توجد عندهم، ولكن

المتأخرين أدرجوها بهذا الشكل.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

إِمَّا بِطَرِيقِ الصَّابِئَةِ الَّذِينَ لَبَسُوا الْحَنِيفِيَّةَ بِالصَّابِئَةِ: كَابْنِ سَيْنَا وَنَحْوِهِ وَإِمَّا بِطَرِيقِ الْمُتَكَلِّمِينَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا الظَّنَّ بِمَا ذَكَرَهُ الْمُنْطِقِيُّونَ وَقَرَّرُوا إِثْبَاتَ الْعِلْمِ بِمُوجِبِ النُّبُوتِ بِهِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

سيتحدث عن تلك الطريقتين، أما الأول: أي طريق الصابئة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

أَمَّا الْأَوَّلُ: فَإِنَّهُ جَعَلَ عُلُومَ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْعُلُومِ الْحَدْسِيَّةِ لِقُوَّةِ صَفَاءِ تِلْكَ النُّفُوسِ الْقُدْسِيَّةِ وَطَهَارَتِهَا؛ وَأَنَّ قُوَى النُّفُسِ فِي الْحَدْسِ لَا تَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ، وَلَا بُدَّ لِلْعَالَمِ مِنْ نِظَامٍ يَنْصِبُهُ حَكِيمٌ. فَيُعْطِي النُّفُوسَ الْمُؤَيَّدَةَ مِنَ الْقُوَّةِ مَا تَعْلَمُ بِهِ مَا لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهَا بِطَرِيقِ الْحَدْسِ وَيَتَمَثَّلُ لَهَا مَا تَسْمَعُهُ، وَتَرَاهُ فِي نَفْسِهَا مِنَ الْكَلَامِ وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا لَا يَسْمَعُهُ غَيْرُهَا وَيَكُونُ لَهَا مِنَ الْقُوَّةِ الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي تُطِيعُهَا بِهَا هَيُولَى الْعَالَمِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهَا، فَهَذِهِ الْخَوَارِقُ فِي قُوَى الْعِلْمِ مَعَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَقُوَّةِ الْعَمَلِ وَالْقُدْرَةِ: هِيَ النُّبُوَّةُ عِنْدَهُمْ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

علوم الأنبياء ترجع إلى قوة التخيل عند الشخص، العلوم الحدسية: هي التي تحصل بالتخيل، وما هي تلك النفوس التي تستحق أن تفيض إليها هذه العلوم التي تكون صافية، وتكون قوية الصفاء، وتكون نفوس قدسية وطاهرة.

وقالوا: قوى النفوس في الحدس لا تقف عند حد، لها مدى لا تعلمها أنت؛ إذا هذا شيء: أن هناك من النفوس ما هي قدسية وتستحق أن تصل بصفائها إلى وبقوة التخيل إلى أمور قد يسمعها وهي غير موجودة، وقد يراها وأنت لا تراها، عرفنا هذا؟

ثانياً: العالم، العالم لا بد له من نظام ينسبه حكيم، وإلا تكون فوضى (فَيُعْطِي النُّفُوسَ الْمُؤَيَّدَةَ مِنَ الْقُوَّةِ مَا تَعْلَمُ بِهِ مَا لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهَا بِطَرِيقِ الْحَدْسِ)، طبعاً هنا لم يذكر شيخ الإسلام، من الذي يعطيها؟

ومن الذي تأتيه من عنده؟ العقل الفهم.

إذاً هذه النفوس القدسية: هي المؤهلة أنت تتلقى هذه؛ لأنها ترى ما لا تراه، وتتخيل ما لا تتخيله، بل من قوة تخيلها قد تظن أن هناك كلامٌ وليس هناك... يعني هو الجنون بعينه، ليس هناك شيء عاقل، الذي يظن أن هناك صوتاً، وليس هناك صوت؛ هو يظن أن هناك أمامه شيء وليس هناك شيء؛ هذا يكون قد وصل، وهذا نبيهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْحَدْسَ رَاجِعٌ إِلَى قِيَاسِ التَّمْثِيلِ كَمَا تَقَدَّمَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً هذا لم يتقدم كما يقول المحقق وسيأتي تعليق شيخ الإسلام على قياس التمثيل، وموقفه من قياس التمثيل سيأتي.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمَّا مَا يَسْمَعُ وَيَرَى فِي نَفْسِهِ فَهُوَ مِنْ جِنْسِ الرُّؤْيَا وَهَذَا الْقَدْرُ يَحْصُلُ مِثْلَهُ لِكَثِيرٍ مِنْ عَوَامِّ النَّاسِ وَكُفَّارِهِمْ فَضْلاً عَنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ وَأَنْبِيَائِهِ، فَكَيْفَ يُجْعَلُ ذَلِكَ هُوَ غَايَةَ النُّبُوَّةِ؟ وَإِنْ كَانَ الَّذِي يُثْبِتُونَهُ لِلْأَنْبِيَاءِ أَكْمَلَ وَأَشْرَفَ فَهُوَ كَمَلِكٍ أَقْوَى مِنْ مَلِكٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا يحصل حتى للكفار يظن أن أحداً يكلمه ولا يكون أحد إنما يكون الشيطان يتخيل هكذا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلِهَذَا صَارُوا يَقُولُونَ: النَّبُوَّةُ مُكْتَسَبَةٌ، وَلَمْ يُثْبِتُوا نُزُولَ مَلَائِكَةٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِلَى مَنْ يَخْتَارُهُ وَيَصْطَفِيهِ مِنْ عِبَادِهِ، وَلَا قَصْدَ إِلَى تَكْلِيمِ شَخْصٍ مُعَيَّنٍ مِنْ رُسُلِهِ كَمَا يُذَكَّرُ عَنْ بَعْضِ قَدَمَائِهِمْ أَنَّهُ قَالَ لِمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ: أَنَا أَصَدَّقُكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي أَنَّ عِلَّةَ الْعِلَلِ كَلَّمَكَ مَا أَقْدِرُ أَنْ أُصَدِّقَكَ فِي هَذَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني تقول: أن علة العلل وهو الله ﷻ عندنا، طبعاً علة العلل والمبدأ الأول هذه التسميات كُفْرِيَّة، علة العلل يعني ترجع إليه الأمور دون اختيارٍ منه، يقول: (عِلَّةُ الْعِلَلِ كَلَّمَكَ) هذا الذي لا أستطيع أن أُصَدِّقَكَ فِيهِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلِهَذَا صَارَ مَنْ ضَلَّ بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ يَدَّعِي مُسَاوَاةَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ أَوْ التَّقَدُّمَ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا كَثِيرٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ أَكْمَلُ النَّوعِ وَهُمْ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ وَأَظْلَمِهِمْ وَأَكْفَرِهِمْ وَأَعْظَمِهِمْ نِفَاقًا، وَأَمَّا الْمُتَكَلِّمُونَ الْمُنْطِقِيُّونَ فَيَقُولُونَ: يُعْلَمُ بِهَذَا الْقِيَاسِ ثُبُوتُ الصَّانِعِ وَقُدْرَتُهُ وَجَوَازُ إِرْسَالِ الرُّسُلِ، وَتَأْيِيدُهُ لَهُمْ بِمَا يُوجِبُ تَصْدِيقَهُمْ فِيَمَا يَقُولُونَهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

فِي الْفِئَةِ الْأُولَى: رَأَيْنَا أَنَّ هَذِهِ الْفِئَةَ تُرِيدُ أَنْ تَتَلَقَّى مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي إِثْبَاتِ شَيْءٍ اسْمُهُ النَّبُوَّةُ، مَعَ ذَلِكَ لَمْ يَصِلُوا إِلَى شَيْءٍ مِنْ حَقَائِقِ الْأُمُورِ، أَرْجَعُوهَا إِلَى الْاِكْتِسَابِ، جَعَلُوا: النَّبُوَّةَ مُكْتَسَبَةً، وَلِلْأَسْفِ هَذِهِ الْفِئَةُ أَثَرَتْ فِي الْمُتَكَلِّمِينَ كَمَا هُوَ الْعَادَةُ يَعْنِي.

يَمُنُّ مَن ذَكَرَ أَنَّ النَّبُوَّةَ مُكْتَسَبَةٌ: الْغَزَالِيُّ، ذَكَرَ هَذَا فِي بَعْضِ كُتُبِهِ أَنَّ النَّبُوَّةَ مُكْتَسَبَةٌ، طَبَعًا هَذِهِ الْفِئَةُ الْأُولَى.

الفئة الثانية: التي هي فئة المتكلمين يقول شيخ الإسلام: (يُعْلَمُ بِهَذَا الْقِيَاسِ ثُبُوتُ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

يُعَلِّمُ بِهَذَا الْقِيَاسِ ثُبُوتَ الصَّانِعِ وَقُدْرَتَهُ وَجَوَازَ إِرْسَالِ الرُّسُلِ وَتَأْيِيدَهُ لَهُمْ بِمَا يُوجِبُ تَصَدِيقَهُمْ فِيَمَا يَقُولُونَهُ، وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ أَقْرَبُ إِلَى طَرِيقَةِ الْعُلَمَاءِ الْمُؤْمِنِينَ؛ وَإِنْ كَانَ قَدْ يَكُونُ فِيهَا أَنْوَاعٌ مِنَ الْبَاطِلِ:

تَارَةً مِنْ جِهَةٍ مَا تَقْلُدُوهُ عَنِ الْمَنْطِقِيِّينَ.

وَتَارَةً مِنْ جِهَةٍ مَا ابْتَدَعُوهُ هُمْ مِمَّا لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ.

وَمَنْطِقِيَّةُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَذَلِكَ.

لَكِنَّ الْهُدَى وَالْعِلْمَ وَالْبَيَانَ فِي فَلَاسِفَةِ الْمُسْلِمِينَ وَتَكَلُّمِيهِمْ أَعْظَمُ مِنْهُ فِي أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ؛ لِمَا فِي

تِيكَ الْمِلَّتَيْنِ مِنَ الْفَسَادِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يقول: لما تقارن بين أفلوطين مثلاً وابن سينا على ما فيهم من كذا وكذا أقرب إلى الحق من أفلوطين

لماذا؟ لأن كما يقول شيخ الإسلام: لأن تينك الملتين حصل فيها من التحريف والفساد والله به عليم

فساداً على فساد.

أما هنا حقّ معه، ولكن الذي حصل أن المتكلمين ادعوا أنهم هم يمثلون الحق فتشوه الحق قليلاً،

بل كثيراً فجاء ابن سينا وركب ما عنده من الفساد على هذا الذي حصل.

بالمقارنة: ما حصل هنا يعني المتفلسفة الذين يتسبون إلى الإسلام؛ الحق عندهم أكثر مما

عندهم مع أن كلهم زنادقة، فإن هذه المقارنة ليس معناها أن أولئك مسلمون.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَكِنَّ الْعَرَضَ تَقْرِيرُ جِنْسِ النَّبَوَاتِ، فَإِنَّ أَهْلَ الْمَلَلِ مُتَّفِقُونَ عَلَيْهَا لَكِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى آمَنُوا بِبَعْضِ الرُّسُلِ وَكَفَرُوا بِبَعْضِ، وَالصَّابِئَةَ الْفَلَّاسِفَةَ وَنَحْوَهُمْ آمَنُوا بِبَعْضِ صِفَاتِ الرَّسَالَةِ دُونَ بَعْضِ، فَإِذَا اتَّفَقَ مُتَّفَلِسِفٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ جَمَعَ الْكُفْرَيْنِ:

الْكُفْرَ بِخَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ.

وَالْكُفْرَ بِحَقَائِقِ صِفَاتِ الرَّسَالَةِ فِي جَمِيعِ الْمُرْسَلِينَ فَهَذَا هَذَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أما مثلاً لو في مُقابله مثلاً الفارابي أو ابن سينا ليس عنده مُصلحة خاصة في الكُفر بالأنبياء الآخرين لا، هذا من لا يهّمه.

أما أولئك: فكما يقول شَيْخُ الْإِسْلَامِ: (فإذا اتفق وجود مُتفلسف منهم جمع الكُفرين:

الْكُفْرَ بِخَاتَمِ الرُّسُلِ.

وَالْكُفْرَ الَّذِي عِنْدَهُمْ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَيُقَالُ لَهُمْ -مَعَ عِلْمِهِمْ بِتَفَاوُتِ قُوَى بَنِي آدَمَ فِي الْإِدْرَاكِ-: مَا الْمَانِعُ مِنْ أَنْ يُخْرَقَ سَمْعُ أَحَدِهِمْ وَبَصَرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ وَيَرَى مِنْ الْأُمُورِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْخَارِجِ مَا لَا يَرَاهُ غَيْرُهُ؟.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يقول شَيْخُ الْإِسْلَامِ هُنَا: الآن معيار النبوة عندهم: ما في هذا الشخص من قوة الحدس والتخيل ومن المعلوم: أن بني آدم يتفاوتون في الإدراك، الآن أنتم قررتم أن هذا الشخص هو الذي يؤيده العقل الفعال بما تريده من أمور النبوة.

يقول شَيْخُ الْإِسْلَامِ: أنت تركته عاماً؛ ما المانع أن يكون شخصاً آخر إذاً مثله، وشخصاً آخر إذاً مثله

ما المانع عندك، وما المانع أن تكون القرية كلها أنبياء ما المانع؟

يقول: (مَا الْمَانِعُ مِنْ أَنْ يُخْرَقَ سَمْعُ أَحَدِهِمْ وَبَصَرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ وَيَرَى مِنَ الْأُمُورِ الْمَوْجُودَةِ فِي

الْخَارِجِ مَا لَا يَرَاهُ غَيْرُهُ؟)، لأن هذه هي النبوة عندك؟! ولماذا تقصُرُها على أفرادٍ لماذا؟.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَبْطَأَ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ قَائِمٌ أَوْ قَاعِدٌ أَوْ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ»، فَهَذَا إِحْسَاسٌ بِالظَّاهِرِ أَوْ بِالْبَاطِنِ لِمَا هُوَ فِي الْخَارِجِ.

وَكَذَلِكَ الْعُلُومُ الْكَلِّيَّةُ الْبَدِيهِيَّةُ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهَا لَيْسَ لَهَا حَدٌّ فِي بَنِي آدَمَ؛ فَمِنْ أَيْنَ لَكُمْ أَنْ بَعْضَ النَّفُوسِ يَكُونُ لَهَا مِنْ الْعُلُومِ الْبَدِيهِيَّةِ الَّتِي يَخْتَصُّ بِهَا وَحْدَهَا أَوْ بِهَا وَبِأَمْثَالِهَا مَا لَا يَكُونُ مِنَ الْبَدِيهِيَّاتِ عِنْدَكُمْ؟ وَإِذَا كَانَ هَذَا مُمَكِّنًا - وَعَامَّةُ أَهْلِ الْأَرْضِ عَلَى أَنَّهُ وَقَعَ لِغَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ دَعِ الْأَنْبِيَاءَ.

فَمِثْلَ هَذِهِ الْعُلُومِ لَيْسَ فِي مَنْطِقِكُمْ طَرِيقٌ إِلَيْهَا إِذْ لَيْسَتْ مِنَ الْمَشْهُورَاتِ وَلَا الْجَدَلِيَّاتِ وَلَا مَوَادِّهَا عِنْدَكُمْ يَقِينِيَّةٌ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ نَفِيهَا وَجُمْهُورُ أَهْلِ الْأَرْضِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ عَلَى إِثْبَاتِهَا.

فَإِنْ كَذَّبْتُمْ بِهَا كُنْتُمْ - مَعَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ بِالْحَقِّ وَخَسَارَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ - تَارِكِينَ لِمَنْطِقِكُمْ أَيْضًا وَخَارِجِينَ عَمَّا أَوْجَبْتُمُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ: أَنْكُمْ لَا تَقُولُونَ إِلَّا بِمُوجِبِ الْقِيَاسِ إِذْ لَيْسَ لَكُمْ بِهَذَا النَّفْيِ قِيَاسٌ وَلَا حُجَّةٌ تُذَكِّرُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي هَذَا الْوَجْهِ: أَنَّ هُنَاكَ عُلُومًا تَحْصُلُ بِدُونِ قِيَاسِهِمْ، وَهِيَ يَعْتَرِفُونَ بِذَلِكَ، وَجَمِيعُ النَّاسِ يَعْتَرِفُونَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ، وَمَوْقِفُ مَنْطِقِكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ لَا يَخْلُو مِنْ أَمْرَيْنِ:

⬅️ إِمَّا أَنْ يُصَدَّقَ الْمَنْطِقُ بِأَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ فَعَلًا تَحْصُلُ إِذَا صَدَقَ فَقَدْ حَكَمَ بِأَنَّ هُنَاكَ أُمُورًا كَثِيرَةً تَحْصُلُ بِدُونِهِ، وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ.

⬅️ إِذَا كَذَّبَ كَذِبًا بكَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ مِنْهَا: مَا يَأْتِي بِهِ الْأَنْبِيَاءُ فَيَكْفُرُونَ.

⬅️ وَإِنْ بَقِيَ مُتْرَدِّدًا لَمْ يَنْفَعُكُمْ لَا فِي التَّصَدِيقِ وَلَا فِي التَّكْذِيبِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حَصْرَكُمْ لِحَصُولِ

الْعِلْمِ بِمَنْطِقِكُمْ لَا يَجُوزُ، هُنَاكَ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ هَذَا حَالُهَا.

طَبَعًا هَذِهِ الْوُجُوهُ الَّتِي يَذْكُرُهَا هُنَا هِيَ وَجُوهٌ عَامَةٌ بَعْضُهَا تَتَعَلَّقُ بِالْأَقْيَسَةِ، وَبَعْضُهَا تَتَعَلَّقُ وَأَكْثَرُهَا

تتعلق بفائدة هذه الموازين المنطقية أو عدم جدواها؛ سيأتي مناقشته للحدود، ومناقشته باختصار شديد للأقيسة، ولكن هذه الوجوه هي عامة؛ أنا حاولت أن أرقمها من البداية، ولكن لم أجد فرصة، ولكن سأشير إلى بداية الفقرات التي فيها وجهٌ جديد، ومن العلوم من هنا وجهٌ جديد.

هذه تكملة لهذا الوجه

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِنْ قُلْتُمْ: بَلْ هِيَ حَقٌّ اعْتَرَفْتُمْ بِأَنَّ مِنَ الْحَقِّ مَا لَا يُوزَنُ بِمِيزَانٍ مَنْطِقِيٍّ، وَإِنْ قُلْتُمْ: لَا نَدْرِي أَحَقُّ هِيَ أَمْ بَاطِلٌ؟ اعْتَرَفْتُمْ بِأَنَّ أَعْظَمَ الْمَطَالِبِ وَأَجَلَّهَا لَا يُوزَنُ بِمِيزَانِ الْمَنْطِقِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أي أن نظن أن هذه الأمور ما يأتي به الأنبياء ولا توزن بمنطقكم.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنْ صَدَقْتُمْ لَمْ يُوَافِقْكُمْ الْمَنْطِقُ، وَإِنْ كَذَبْتُمْ لَمْ يُوَافِقْكُمْ الْمَنْطِقُ، وَإِنْ ارْتَبْتُمْ لَمْ يَنْفَعْكُمْ الْمَنْطِقُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

من هنا أيضًا فقرة جديدة أو وجهٌ جديد (وَمِنْ الْمَعْلُومِ).

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمِنْ الْمَعْلُومِ: أَنَّ مَوَازِينَ الْأَمْوَالِ لَا يُقْصَدُ أَنْ يُوزَنَ بِهَا الْحَطْبُ وَالرَّصَاصُ دُونَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَأَمْرُ النَّبَوَاتِ وَمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ أَعْظَمُ فِي الْعُلُومِ مِنَ الذَّهَبِ فِي الْأَمْوَالِ؛ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي مَنْطِقِكُمْ مِيزَانٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

شخص يبيع بميزان لا يوزن به الذهب والفضة، وإنما يوزن به الحطب فقط، أو الرصاص ما قيمة

هذا الميزان؟ لا يوزن به الأمور التي هي أثمن الأمور الذهب والفضة، نعم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

(فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي مَنْطِقِكُمْ مِيزَانٌ لَهُ كَانَ الْمِيزَانُ - مَعَ أَنَّهُ مِيزَانٌ - عَائِلًا جَائِرًا وَهُوَ أَيْضًا عَاجِزٌ، فَهُوَ

مِيزَانٌ جَاهِلٌ ظَالِمٌ إِذْ هُوَ):

إِمَّا أَنْ يَرُدَّ الْحَقَّ وَيُدْفَعَهُ فَيَكُونُ ظَالِمًا.

أَوْ لَا يَزِنُهُ وَلَا يُبَيِّنُ أَمْرَهُ فَيَكُونُ جَاهِلًا.

أَوْ يَجْتَمِعُ فِيهِ الْأَمْرَانِ فَيَرُدُّ الْحَقَّ وَيُدْفَعُهُ - وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَيْسَ لِلنَّفُوسِ عَنْهُ عِوَضٌ وَلَا لَهَا عَنْهُ مَنَدُوحَةٌ وَلَيْسَتْ سَعَادَتُهَا إِلَّا فِيهِ وَلَا هَلَاكُهَا إِلَّا بِتَرْكِهِ.

فَكَيْفَ يَسْتَقِيمُ - مَعَ هَذَا - أَنْ تَقُولُوا: إِنَّهُ وَمَا وَزَنْتُمُوهُ بِهِ مِنَ الْمَتَاعِ الْخَسِيسِ الَّذِي أَنْتُمْ فِي وَزْنِكُمْ

إِيَّاهُ بِهِ ظَالِمُونَ عَائِلُونَ؛ لَمْ تَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَلَمْ تَسْتَدِلُّوا بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذه جملة معترضة يقول: (كيف يستقيم مع هذا أن تقول: إنه وما وزنتموه به من المتاع الخسيس:

هو معيار العلوم الحقيقية).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

هُوَ مِعْيَارُ الْعُلُومِ الْحَقِيقِيَّةِ وَالْحِكْمَةِ الْيَقِينِيَّةِ الَّتِي فَازَ بِالسَّعَادَةِ عَالِمُهَا وَخَابَ بِالشَّقَاوَةِ جَاهِلُهَا وَرَأْسُ

مَالِ السَّادَةِ، وَغَايَةُ الْعَالَمِ الْمُنْصِفِ مِنْكُمْ: أَنْ يَعْتَرِفَ بِعَجْزِ مِيزَانِكُمْ عَنْهُ، وَأَمَّا عَوَامُّ عُلَمَائِكُمْ فَيَكْذِبُونَ بِهِ

وَيُرُدُّونَهُ، وَإِنْ كَانَ مَنْطِقُكُمْ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ فَلَسْتُمْ بِتَحْرِيفِ أَمْرِ مَنْطِقِكُمْ أَحْسَنَ حَالًا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

عوام علمائكم يجعلونه رأسًا لتكذيب الحق، يكذبون به ويردون به الحق، ولكن منطقتكم، إذا يرد

عليهم منطقتكم، يقول: لا تردوا كل ما لم يوزن به إذا منطقتكم أيضًا مُحَرَّفٌ ومنطقتكم إذا لم يسلم من

تحريفكم، فلستم بتحريف أمر منطقتكم بأحسن.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

بِأَحْسَنِ حَالٍ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي تَحْرِيفِ كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ فِي الْأَصْلِ حَقٌّ هَادٍ؛ لَا رَيْبَ فِيهِ،

فَهَذَا هَذَا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وَأَيْضًا فقرة جديدة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَيْضًا هُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ لَا يُفِيدُ إِلَّا أُمُورًا كَلِّيَّةً مُقَدَّرَةً فِي الذَّهْنِ لَا يُفِيدُ الْعِلْمَ بِشَيْءٍ مَوْجُودٍ مُحَقَّقٍ

فِي الْخَارِجِ إِلَّا بِتَوَسُّطِ شَيْءٍ آخَرَ غَيْرِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا سيأتي في مناقشته للأقيسة سيأتي شرحُ هذا ما هو هذا الذي بتوسطه يحكمون سيأتي، وهذا

الوجه أيضًا يُكرره شَيْخُ الْإِسْلَامِ؛ هو مجموع ما نقد به المنطق، يعني:

إما بفساد مادته، المادة فاسدة؛ وهذا في الأمرين:

* في الأقيسة.

* وفي الحدود.

وإما لكونه عاجزًا كما ذكره هنا ميزانٌ ولكنه لعلومكم أنتم فقط، وهو عاجزٌ عن أن يوزن به غير

علومكم، ومنها أن هذا الميزان الوصول إلى المقصود به مع نُدرته صعب، ميزان مُعقد، على ما تنصبه

وعلى ما تضع فيه وعلى ما وزن، تكون خسرت كثيرًا من الوقت والمال، ويعني هذا أيضًا وجه مُعقد

وصعب الوصول إليه، الوصول إلى المقصود إن وصلت.

وهذا الذي يذكر هنا وجه آخر: أن المنطق لا يُفيد إلا أمورًا كَلِّيَّةً، أمور كَلِّيَّةً تطبيقيها والاستفادة منها

في الواقع نادر، لأنه في الغالب يتحدث عن الكليات والأمور العامّة، ونحن نريد أن نستفيد من هذه

الأمر، وهذا نادر في المنطق.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْأُمُورُ الْكُلِّيَّةُ الذَّهْنِيَّةُ لَيْسَتْ هِيَ الْحَقَائِقُ الْخَارِجِيَّةُ وَلَا هِيَ أَيْضًا عِلْمًا بِالْحَقَائِقِ الْخَارِجِيَّةِ إِذْ لِكُلِّ مَوْجُودٍ حَقِيقَةٌ يَتَمَيَّزُ بِهَا عَنْ غَيْرِهِ، هُوَ بِهَا هُوَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

مثلاً: أنت تتحدث عن الإنسان وأنه (حَيَوَانٌ نَاطِقٌ) عرفته بهذا التعريف، شخصٌ ما يشتكي من ألمٍ مُعَيَّنٍ، هل سينفعه المنطق؟ هذا المنطق لم يتحدث عن هذا الشخص بعينه أصلاً، هو يتحدث عن الكليات، أما ما يحتاجه هذا الشخص المُعَيَّن من أمرٍ مُعَيَّن فالمنطق بعيداً منه.

لذلك يقول: (إِذْ لِكُلِّ مَوْجُودٍ)، مثلاً لكل فردٍ من الإنسان (حَقِيقَةٌ يَتَمَيَّزُ بِهَا عَنْ غَيْرِهِ)، يختصُّ بأمورٍ كثيرة مع مُشاركته له في مع غيره هناك أمور يختصُّ بها.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَتِلْكَ لَيْسَتْ كُلِّيَّةً فَالْعِلْمُ بِالْأَمْرِ الْمَشْتَرَكِ لَا يَكُونُ عِلْمًا بِهَا؛ فَلَا يَكُونُ فِي الْقِيَاسِ الْمُنْطِقِيِّ عِلْمٌ بِتَحْقِيقِهِ شَيْءٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

في نسخة الشيخ، الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة أصلحها كما يقول المُحَقِّقُ إِلَى (تَحْقِيقِ الشَّيْءِ) فهذا أسلم فلا يكون القياس المنطقي علمٌ بتحقيق شيء، أو تحقيقه بشيء هذا شوية بعيد، المُراد لا يتحقق به شيء مُعَيَّن.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا وجه آخر.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

(وَأَيْضًا هُمْ يَطْعَنُونَ فِي قِيَاسِ التَّمْثِيلِ، وَقَدْ يَقُولُونَ: أَنَّهُ لَا يُفِيدُ إِلَّا الظَّنَّ).

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

طبعًا هذا أيضًا سيتردد في كلام شَيْخِ الإسلام: الأقيسة المعروفة قياسان:

قياس تمثيل، وهو قياسُ الفقهاء والأصوليين.

وقياس الشمول؛ وهو قياسُ المناطقة.

وهم يعظمون قياسُ الشمول، ويطعنون في قياس التمثيل:

❏ وقياسُ التمثيل: هو تقديرُ الشيء مُعين؛ بالنظر إلى شيء مُعين، إلحاقُ فرعٍ بأصلي، تقديرُ شيء

معين بالنظر إلى شيء مُعين.

❏ أما قياسُ الشمول: فهو إلحاقُ إدراجٍ فردٍ بعام، معرفةُ الجزئيء بالنظر إلى العام.

قياسُ الشمول، وهو أقرب إلى معنى العام، أفرادُ العام تدخلُ تحت العام لعمومه ولشموله، أما أن

تُدرج هذا في هذا الحُكم بالنظر وبالقياس إلى هذا المُعين فهذا هو قياس تمثيل.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَرُبَّمَا تَكَلَّمُوا عَلَى بَعْضِ الْأَقْيَسَةِ الْفُرْعِيَّةِ أَوْ الْأَصْلِيَّةِ الَّتِي تَكُونُ مُقَدِّمَاتِهَا ضَعِيفَةً أَوْ مَظْنُونَةً مِثْلَ كَلَامِ

السهروردي.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

السهروردي: هو أحد المعروفين بالفلسفة وبالتصوف قُتِلَ على الزندقة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

مِثْلَ كَلَامِ السُّهْرَوْرْدِيِّ الْمُقْتُولِ عَلَى الزَّنْدَقَةِ صَاحِبِ التَّلْوِيحَاتِ وَالْأَلْوَاخِ وَحِكْمَةِ الْإِشْرَاقِ، وَكَانَ فِي فَلْسَفَتِهِ مُسْتَمِدًّا مِنَ الرُّومِ الصَّابِيِّينَ وَالْفُرْسِ الْمَجُوسِ، وَهَاتَانِ الْمَادَّتَانِ: هُمَا مَادَّتَا الْقَرَامِطَةِ الْبَاطِنِيَّةِ وَمَنْ دَخَلَ وَيَدْخُلُ فِيهِمْ مِنَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَالنُّصَيْرِيَّةِ وَأَمْثَالِهِمْ.

وَهُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي قَوْلِهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: لَتَأْخُذَنَّ مَا أَخَذَ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ قَالُوا: فَارِسُ وَالرُّومُ؟ قَالَ: فَمَنْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(«لَتَأْخُذَنَّ مَا أَخَذَ»، كيف عندك؟ أنا عندي مشكول: «مَا أَخَذَ» يعني طريقهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ ذِكْرَ كَلَامِ السُّهْرَوْرْدِيِّ هَذَا عَلَى قِيَاسِ ضَرْبِهِ، وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: السَّمَاءُ مُحَدَّثَةٌ قِيَاسًا عَلَى الْبَيْتِ بِجَامِعِ مَا يَشْتَرِكَانِ فِيهِ مِنَ التَّأْلِيفِ فَيَحْتَاجُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وهذا أي قياس؟ هنا قياسٌ مُعِينٌ بِمُعِينٍ بِالنَّظَرِ إِلَى عِلَّةِ مُعِينَةٍ، وَهَذَا قِيَاسٌ تَمَثِيلُ السَّمَاءِ: مُحَدَّثَةٌ قِيَاسًا عَلَى الْبَيْتِ (بِجَامِعِ مَا يَشْتَرِكَانِ فِيهِ مِنَ التَّأْلِيفِ)؛ إِذَا هَذَا قِيَاسٌ تَمَثِيلٌ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَنْقُدَ هَذَا الْقِيَاسَ، وَيُبَيِّنُ مَا فِيهِ مِنَ الْفَسَادِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

بِجَامِعِ مَا يَشْتَرِكَانِ فِيهِ مِنَ التَّأْلِيفِ فَيَحْتَاجُ أَنْ يُثَبَّتَ أَنَّ عِلَّةَ حُدُوثِ الْبِنَاءِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

السَّمَاءُ مُحَدَّثَةٌ: قِيَاسًا عَلَى الْبَيْتِ، لِمَاذَا؟ هَذَا مُؤَلَّفٌ وَهَذَاكَ مُؤَلَّفٌ، وَكُلُّ مَا كَانَ مُؤَلَّفًا كَانَ مُحَدَّثًا،

طِيبُ فَيَحْتَاجُ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَيَحْتَاجُ أَنْ يُثَبَّتَ أَنَّ عِلَّةَ حُدُوثِ الْبِنَاءِ هُوَ التَّأْلِيفُ وَأَنَّهُ مَوْجُودٌ فِي الْفَرْعِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يقول: يقول السهروردي: نحن الآن ندخل في متاهة أخرى، نحتاج أن نُثبت أن علة حدوث البناء هو التأليف، ونحتاج أن نُثبت أن هذا موجودٌ في الفرع.

وبالتالي: هذا القياس ليس بصحيح لو كان قياس الشمول ما كنا نحتاج إلى هذا الأمر بمجرد ذكر المُقدمتين والنتيجة كنا قد توصلنا إلى الحُكم.

شَيْخُ الْإِسْلَامِ: ذكر في الرَّد على المنطقيين أن هذا القياس لو كان قياس الشمول لكان أفسد من هذا، في أقل الأحوال لكان مثله، فمثلاً لو قال: (السَّمَاءُ مُحَدَّثَةٌ) وكل، لأن قياس شمول، أنت تتدرج فيه من العام إلى الخاص.

⦿ والتدرُّج من الخاص إلى العام يكون استقراءً، التدرج من الخاص إلى العام؛ نظرت هذا وهذا وهذا واستنتجت منها شيئاً مُعيَّناً هذا يُسمى ماذا؟ استقراء.

⦿ والتدرُّج من العام إلى الخاص هذا قياس شمول؛ لو قلنا: "السَّمَاءُ مُحَدَّثَةٌ"، وكلُّ مُحَدَّثٍ مؤلف؛ إلا نحتاج إلى دليل لبيان أن كلُّ مُحَدَّثٍ مؤلف؟! نحتاج، مع ما في هذا القياس من النقص، واضح.

الخلاصة: قد لا نتصور كما يقولون: جوهر القضية، الخلاصة: أن طعنهم في قياس التمثيل خطأ، وأن تعظيمهم لقياس الشمول خطأ، وشَيْخُ الْإِسْلَامِ أحياناً يذكر أن مآل القياسين واحد، يُنظر فيها إلى المُقدمات، وأحياناً كما سيأتي: يُبين أن قياس التمثيل أقوى كما سيأتي هنا، نعم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْتَحْقِيقُ: أَنَّ قِيَاسَ التَّمْثِيلِ أَبْلَغُ فِي إِفَادَةِ الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ مِنْ قِيَاسِ الشُّمُولِ وَإِنْ كَانَ عِلْمٌ قِيَاسِ الشُّمُولِ أَكْثَرَ فَذَلِكَ أَكْبَرُ فِقْيَاسُ التَّمْثِيلِ فِي الْقِيَاسِ الْعَقْلِيِّ كَالْبَصَرِ فِي الْعِلْمِ الْحِسِّيِّ، وَقِيَاسُ الشُّمُولِ: كَالسَّمْعِ فِي الْعِلْمِ الْحِسِّيِّ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْبَصَرَ أَعْظَمُ وَأَكْمَلُ وَالسَّمْعَ أَوْسَعُ وَأَشْمَلُ فِقْيَاسُ التَّمْثِيلِ: بِمَنْزِلَةِ الْبَصَرِ كَمَا قِيلَ: مَنْ قَاسَ مَا لَمْ يَرَهُ بِمَا رَأَى.

وَقِيَاسُ الشُّمُولِ يُشَابَهُ السَّمْعَ مِنْ جِهَةِ الْعُمُومِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أَيُّهُمَا أَقْوَى عِنْدَكَ فِي الْعِلْمِ مَا رَأَيْتَهُ أَوْ مَا سَمِعْتَ عَنْهُ؟ لَاشْكَ أَنَّ مَا رَأَيْتَهُ، وَلَكِنْ نَطَاقُ الْبَصَرِ أَضْيَقُ مِنْ نَطَاقِ السَّمْعِ، مُمَكَّنٌ تَسْمَعُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي فِي الْغَرْبِ وَالَّذِي فِي الشَّرْقِ أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ أَمَّا الْبَصَرُ فَنَطَاقُهُ ضَعِيفٌ، وَلَكِنَّهُ أَقْوَى وَذَلِكَ أَشْمَلُ، وَهَذَا أَقْوَى:

فِقْيَاسُ التَّمْثِيلِ لِأَنَّهُ إِلْحَاقٌ مُعِينٌ بِمُعِينٍ يَكُونُ أَقْوَى.

وَقِيَاسُ الشُّمُولِ: لِأَنَّهُ إِدْرَاجٌ فِرْعَ بَعَامٍ؛ يَكُونُ أَشْمَلُ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ثُمَّ إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْقِيَاسَيْنِ - فِي كَوْنِهِ عِلْمِيًّا أَوْ ظَنِّيًّا - يَتَّبَعُ مُقَدِّمَاتِهِ فِقْيَاسُ التَّمْثِيلِ فِي الْحِسِّيَّاتِ وَكُلُّ شَيْءٍ إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ هَذَا مِثْلَ هَذَا عَلِمْنَا أَنَّ حُكْمَهُ حُكْمُهُ، وَإِنْ لَمْ نَعْلَمْ عِلَّةَ الْحُكْمِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

كُلُّ شَيْءٍ إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ هَذَا مِثْلَ هَذَا حَتَّى وَلَوْ لَمْ نَعْلَمْ لَمْ نَتَصَوَّرِ الْعِلَّةَ، نَعْلَمُ أَنَّ حُكْمَهُ حُكْمُهُ، لِأَنَّهُ

مِثْلُهُ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِنْ عَلِمْنَا عِلَّةَ الْحُكْمِ اسْتَدَلَّلْنَا بِثُبُوتِهَا عَلَى ثُبُوتِ الْحُكْمِ فَبِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْعِلْمِ بِقِيَاسِ التَّمْثِيلِ

وَقِيَاسِ التَّعْلِيلِ يُعْلَمُ الْحُكْمُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

قِيَاسِ تَعْلِيلِ وَقِيَاسِ تَمَثِيلِ؛ كِلَاهُمَا قِيَاسُ الْفُقَهَاءِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقِيَاسُ التَّعْلِيلِ: هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ نَوْعِ قِيَاسِ الشُّمُولِ لَكِنَّهُ اِفْتَاَزَ عَنْهُ بِأَنَّ الْحَدَّ الْأَوْسَطَ - الَّذِي هُوَ الدَّلِيلُ فِيهِ - هُوَ عِلَّةُ الْحُكْمِ وَيُسَمَّى قِيَاسَ الْعِلَّةِ وَبُرْهَانَ الْعِلَّةِ، وَذَلِكَ يُسَمَّى قِيَاسَ الدَّلَالَةِ وَبُرْهَانَ الدَّلَالَةِ. وَإِنْ لَمْ نَعْلَمْ التَّمَاثِلَ وَالْعِلَّةَ بَلْ ظَنَنَّاهَا ظَنَّاً كَانَ الْحُكْمُ كَذَلِكَ، وَهَكَذَا الْأُمُورُ فِي قِيَاسِ الشُّمُولِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني الخلاصة أن الأمر يرجع إلى قوة المقدمات في القياسين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَكَذَا الْأُمُورُ فِي قِيَاسِ الشُّمُولِ: إِنْ كَانَتْ الْمُقَدِّمَتَانِ مَعْلُومَتَيْنِ كَانَتْ النَّتِيجَةُ مَعْلُومَةً وَإِلَّا فَالنَّتِيجَةُ تَتَّبِعُ أَوْعَفَ الْمُقَدِّمَاتِ.

فَأَمَّا دَعْوَاهُمْ: أَنَّ هَذَا لَا يُفِيدُ الْعِلْمَ فَهُوَ غَلَطٌ مَحْضٌ مَحْسُوسٌ بَلْ عَامَّةُ عُلُومِ بَنِي آدَمَ الْعَقْلِيَّةِ الْمَحْضَةِ هِيَ مِنْ قِيَاسِ التَّمْثِيلِ، وَأَيْضًا فَإِنَّ عُلُومَهُمُ الَّتِي جَعَلُوا هَذِهِ الصَّنَاعَةَ مِيزَانًا لَهَا بِالْقَصْدِ الْأَوَّلِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هنا فقرة جديدة وجه جديد.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

لَا يَكَادُ يَنْتَفِعُ بِهِذِهِ الصَّنَاعَةُ الْمَنْطِقِيَّةُ فِي هَذِهِ الْعُلُومِ إِلَّا قَلِيلاً.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وهذا الوجه غريب، يقول شيخ الإسلام: علومكم أنتم، أتركوا علومنا وعلوم الأنبياء واطروها علومكم أنتم لا يُنتفعُ فيها بالقياس المنطقي إلا قليل، وهذا صحيح إذا نظرت إلى دع ما يُرتبونه، ولكن علومهم ما هي؟ علوم الفلسفة كلها علومهم انظر ما يكتبونه في الفلسفة!

هل على هذه الموازين إذا كتبوا الفلسفة على هذه الموازين مُعَقَّدٌ على مُعَقَّدٍ سيكون لُغز.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّ الْعُلُومَ الرَّيَاضِيَّةَ: مِنْ حِسَابِ الْعَدَدِ وَحِسَابِ الْمِقْدَارِ الذَّهْنِيِّ وَالْحَارِجِيِّ قَدْ عَلِمَ أَنَّ الْحَائِضِينَ فِيهَا مِنْ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مُسْتَقِلُونَ بِهَا مِنْ غَيْرِ التَّفَاتِ إِلَى هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الْمَنْطِقِيَّةِ وَاصْطِلَاحِ أَهْلِهَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً العلوم الرياضية أيضاً نوعٌ من أنواع العلوم الفلسفية، وسواءً كان حساب المِقْدَارِ أو حساب العدد.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ مَا يَصِحُّ مِنَ الْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ الْكُلِّيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ تَجِدُ الْحَادِقِينَ فِيهَا لَمْ يَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِشَيْءٍ مِنْ صِنَاعَةِ الْمَنْطِقِ، بَلْ إِمَامُ صِنَاعَةِ الطَّبِّ بقراط: لَهُ فِيهَا مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي تَلَقَّاهُ أَهْلُ الطَّبِّ بِالْقَبُولِ وَوَجَدُوا مِصْدَاقَهُ بِالتَّجَارِبِ؛ وَلَهُ فِيهَا مِنَ الْقَضَايَا الْكُلِّيَّةِ الَّتِي هِيَ عِنْدَ عُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ مِنْ أَعْظَمِ الْأُمُورِ وَمَعَ هَذَا فَلَيْسَ هُوَ مُسْتَعِينًا بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ، بَلْ كَانَ قَبْلُ وَاضِعَهَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً الفلسفة الآن لا تشمل على هذه العلوم، هكذا كانت الفلسفة قديماً، الفلسفة قديماً كانت مُرادفة للعلم، وفيها الرياضيات وفيها الطَّبِّ، وفيها الهندسة كُلُّهَا كانت. أما الآن المُراد بالفلسفة: الجانب الأَسْوَأُ منها: وهو ما يتعلق بالعلم الإلهي، الآن الفلسفة المُراد بها هذا العلم ما يسمونه ما بعد الطبيعة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهُمْ وَإِنْ كَانَ الْعِلْمُ الطَّبِيعِيُّ عِنْدَهُمْ أَعْلَمَ وَأَعْلَى مِنْ عِلْمِ الطَّبِّ فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ مُتَّصِلٌ بِهِ، فَبِالْعِلْمِ
بِطَبَائِعِ الْأَجْسَامِ الْمُعَيَّنَةِ الْمُحْسُوسَةِ تُعَلَّمُ طَبَائِعُ سَائِرِ الْأَجْسَامِ، وَمَبْدَأُ الْحَرَكََةِ وَالسُّكُونِ الَّذِي فِي الْجِسْمِ.
وَيُسْتَدَلُّ بِالْجُزْءِ عَلَى الْكُلِّ وَلِهَذَا كَثِيرًا مَا يَتَنَازَرُونَ فِي مَسَائِلَ، وَيَتَنَازَعُ فِيهَا هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ؛ كَتَنَازُرِ
الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ فِي مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ تَتَّفِقُ فِيهَا الصَّنَاعَتَانِ، وَأُولَئِكَ يَدَّعُونَ عُمُومَ النَّظَرِ، وَلَكِنَّ الْخَطَأَ
وَالْغَلَطَ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَالْمُتَفَلِّسَةِ أَكْثَرُ مِمَّا هُوَ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ وَالْأَطِبَّاءِ وَكَلَامُهُمْ وَعِلْمُهُمْ أَنْفَعُ.
وَأُولَئِكَ أَكْثَرُ ضَلَالًا وَأَقْلُّ نَفْعًا لِأَنَّهُمْ طَلَبُوا بِالْقِيَاسِ مَا لَا يُعَلَّمُ بِالْقِيَاسِ، وَزَاخَمُوا الْفِطْرَةَ، وَالنَّبُوَّةَ
مَزَاخِمَةً أَوْجَبَتْ مِنْ مُخَالَفَتِهِمْ لِلْفِطْرَةِ وَالنَّبُوَّةِ مَا صَارُوا بِهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ الَّذِينَ يُوجِي
بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا بِخِلَافِ الطَّبِّ الْمَحْضِ فَإِنَّهُ عِلْمٌ نَافِعٌ وَكَذَلِكَ الْفِقْهُ الْمَحْضُ،
وَأَمَّا عِلْمٌ مَا بَعْدَ الطَّبِيعَةِ؛ وَإِنْ كَانُوا يُعْظَمُونَهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذه هي الفلسفة الآن، علم ما بعد الطبيعة، طبعاً هذه التسمية بالنظر لترتيب أرسطو لعلومه: يذكر ما
قبل الطبيعة، هذا العلم كان يذكره بعد الطبيعيات ما يتعلق بالطب وما يتعلق بالعلوم التجريبية بعدها
يذكر هذا، فيقال: ما بعد الطبيعة بالنظر إلى علمه إلى ترتيبه للعلوم.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمَّا عِلْمٌ مَا بَعْدَ الطَّبِيعَةِ - وَإِنْ كَانُوا يُعْظَمُونَهُ، وَيَقُولُونَ: هُوَ الْفَلَسَفَةُ الْأُولَى وَهُوَ الْعِلْمُ الْكُلِّيُّ النَّاطِرُ فِي الْوُجُودِ وَلَوْ أَحِقَّهِ وَيُسَمِّيهِ مُتَأَخَّرُوهُمْ الْعِلْمَ الْإِلَهِيَّ وَرَزَعَمَ الْمُعَلِّمَ الْأَوَّلَ لَهُمْ: أَنَّهُ غَايَةُ فَلَسَفَتِهِمْ وَنَهَايَةُ حِكْمَتِهِمْ - فَالْحَقُّ فِيهِ مِنْ الْمَسَائِلِ قَلِيلٌ نَزَرٌ وَغَالِبُهُ عِلْمٌ بِأَحْكَامِ ذَهْنِيَّةٍ لَا حَقَائِقَ خَارِجِيَّةٍ. وَلَيْسَ عَلَى أَكْثَرِهِ قِيَاسٌ مَنْطِقِيٌّ، فَإِنَّ الْوُجُودَ الْمُجَرَّدَ وَالْوُجُوبَ وَالْإِمْكَانَ وَالْعِلَّةَ الْمُجَرَّدَةَ وَالْمَعْلُولَ وَانْقِسَامَ ذَلِكَ إِلَى جُزْءِ الْمَاهِيَّةِ وَهُوَ الْمَادَّةُ وَالصُّورَةُ؛ وَإِلَى عِلَّتِي وَوُجُودِهَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

المادة والصورة جزءا الماهية؛ كل شيء تريد أن تعرف ماهيته لابد أن تعرف المادة والصورة، أو الهيولى والصورة.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِلَى عِلَّتِي وَوُجُودِهَا وَهُمَا الْفَاعِلُ وَالْغَايَةُ؛ وَالْكَلامُ فِي انْقِسَامِ الْوُجُودِ إِلَى الْجَوَاهِرِ وَالْأَعْرَاضِ التَّسْعَةِ؛ الَّتِي هِيَ: الْكَمُّ وَالْكَيفُ وَالْإِضَافَةُ وَالْأَيْنُ وَمَتَى وَالْوَضْعُ وَالْمِلْكُ؛ وَأَنْ يُفْعَلَ وَأَنْ يَنْفَعَلَ؛ كَمَا أَنْشَدَ بَعْضُهُمْ فِيهَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذه هي المقولات العشر، وهناك كتب مُستقلة في شرح المقولات العشر.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

زَيْدُ الطَّوِيلُ الْأَسْوَدُ بْنُ مَالِكٍ فِي دَارِهِ بِالْأَمْسِ كَانَ يَتَكِي
فِي يَدِهِ سَيْفٌ نَضَاهُ فَانْتَضَى فَهَذِهِ عَشْرُ مَقُولَاتٍ سِوَا

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

⊞ طبعاً "زَيْدٌ": الجوهر أول شيء الجوهر.

⊞ "الطَّوِيلُ": العرض وهو الكم أيضاً نفس الشيء.

⊞ "الْأَسْوَدُ": هذا الكيف، وفي رواية كما يقولون الأزرق اللون.

﴿ "ابْنُ مَالِكٍ" : الإضافة النسبة.

﴿ "فِي دَارِهِ" : هذا أين، طالما تسأل عن أين؟ في كذا، في داره.

﴿ "بِالْأَمْسِ" : هذا المدى، كما يقول: والأين ومتى؟

﴿ "كَانَ يَتَكِي" : هذا الوضع، "وكان يتكي" هذا وضع، كان يتكي وضع، يعني جالس أو قاعد أو

متكي، وضعه كيف؟

﴿ "فِي يَدِهِ سَيْفٌ" : يعني يملكه؛ هذه المَلَكِيَّة المَلَكِيَّة.

﴿ "نَضَاهُ" : هذا فعل، أن يفعل.

﴿ "نَضَاهُ فَانْتَضَى" : هذا الانفعال، فَهَذِهِ عَشْرُ مَقُولَاتٍ سِوَاءِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

لَيْسَ عَلَيْهَا وَلَا عَلَى أَقْسَامِهَا قِيَاسٌ مَنْطِقِيٌّ؛ بَلْ غَالِبُهَا مُجَرَّدُ اسْتِقْرَاءٍ قَدْ نُوزِعَ صَاحِبُهُ فِي كَثِيرٍ مِنْهُ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

كل هذه يقول شَيْخُ الإِسْلَامِ: ليس عليها ميزانكم، ميزانكم لا يُسْتَفَادُ مِنْهُ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ حَتَّى فِي عِلْمِكُمْ فِي

علومكم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

فَإِذَا كَانَتْ صِنَاعَتُهُمْ بَيْنَ عُلُومٍ لَا يُحْتَاجُ فِيهَا إِلَى الْقِيَاسِ الْمَنْطِقِيِّ، وَبَيْنَ مَا لَا يُمَكِّنُهُمْ أَنْ يَسْتَعْمِلُوا

فِيهِ الْقِيَاسَ الْمَنْطِقِيَّ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

يعني بين أمرين:

إما لا يُحْتَاجُ فِيهِ.

وإما لا يُمَكِّنُهُمْ أَنْ يَسْتَعْمِلُوهُ فِيهِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

كَانَ عَدِيمَ الْفَائِدَةِ فِي عُلُومِهِمْ، بَلْ كَانَ فِيهِ مِنْ شَغْلِ الْقَلْبِ عَنِ الْعُلُومِ وَالْأَعْمَالِ النَّافِعَةِ مَا ضَرَّ كَثِيرًا
مِنَ النَّاسِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أما الشُّغْلُ هذا يعرفه من رأى المناطقة، ما أدري هل ذكرت: كنتُ أدرس وأنا صغير، كنتُ أدرس كتاب "فصول أكبري" هذا في الصَّرف يعني يُدْرَسُ قبل "الشافية" لابن الحاجب، قد يكون عمري أربعة عشر، خمسة عشر في هذا الحدود، فكان بجانبني شيخ لن أكون مُبالغ إذا قلت: هو كان قريب يعني تعدى السبعين حتمًا قريب الثمانين، وكانت هذه أيضًا ترتجف مسكين مريض.

فقلت له يومًا ما، قلت له: يا عمي، لماذا أنت ليس هذا وقت "فصول أكبري" كتاب في الصرف؟ اقرأ القرآن، فقال لي: أنا إلى الآن كنتُ أدرس المنطق، الآن جئتُ أدرس الصرف، وسأدرس النحو، ثم سأدرس الوصول، ثم سأدرس، الله يُستر.. وهكذا يُضيعون أوقاتهم، كأنهم يبدؤون بالمنطق، المنطق لتعقيده إذا درست العلوم الأخرى ثم بدأت فيه بالكاد تفهم، أما أن تبدأ فيه، هذا الذي أنا رأيتُه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

كَمَا سَدَّ عَلَى كَثِيرٍ مِنْهُمْ طَرِيقَ الْعِلْمِ وَأَوْقَعَهُمْ فِي أَوْدِيَةِ الضَّلَالِ وَالْجَهْلِ، فَمَا الظَّنُّ بِغَيْرِ عُلُومِهِمْ مِنَ
الْعُلُومِ الَّتِي لَا تُحَدُّ لِلأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذه حال علومكم فكيف بعلوم غيركم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَيْضًا لَا تُجَدُّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا وجه آخر، هذا وجه آخر وأيضًا وجه مُهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَيْضًا لَا تَجِدُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، حَقَّقَ عِلْمًا مِنَ الْعُلُومِ وَصَارَ إِمَامًا فِيهِ مُسْتَعِينًا بِصِنَاعَةِ الْمَنْطِقِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعًا نلاحظ هذا الجزم والتعميم عند شيخ الإسلام: (لَا تَجِدُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ)، لا يقول: "قد

لا تجد" لا، (لَا تَجِدُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ حَقَّقَ عِلْمًا مِنَ الْعُلُومِ وَصَارَ إِمَامًا فِيهِ مُسْتَعِينًا بِصِنَاعَةِ الْمَنْطِقِ).

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

لَا مِنْ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ وَلَا غَيْرِهَا فَالْأَطِبَّاءُ وَالْحِسَابُ وَالْكِتَابُ وَنَحْوُهُمْ يَحَقِّقُونَ مَا يَحَقِّقُونَ مِنْ
عُلُومِهِمْ وَصِنَاعَاتِهِمْ بِغَيْرِ صِنَاعَةِ الْمَنْطِقِ، وَقَدْ صُنِّفَ فِي الْإِسْلَامِ عُلُومُ النَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالْعَرُوضِ وَالْفِقْهِ
وَأُصُولِهِ وَالْكَلامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَلَيْسَ فِي أَيْمَةِ هَذِهِ الْفُنُونِ مَنْ كَانَ يَلْتَمِثُ إِلَى الْمَنْطِقِ بَلْ عَامَّتُهُمْ كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُعَرَّبَ هَذَا الْمَنْطِقُ
الْيُونَانِيَّ، وَأَمَّا الْعُلُومُ الْمَوْرُوثَةُ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ صِرْفًا وَإِنْ كَانَ الْفِقْهُ وَأُصُولُهُ مُتَّصِلًا بِذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طَبَعًا، (وَإِنْ كَانَ الْفِقْهُ وَأُصُولُهُ مُتَّصِلًا بِذَلِكَ)، هَذِهِ جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ؛ (فَهِيَ أَجَلٌ)، الْجَوَابُ هُنَاكَ، لَعَلَّه
يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ: (وَإِنْ كَانَ الْفِقْهُ وَأُصُولُهُ مُتَّصِلًا بِذَلِكَ الْآنَ)؛ يَعْنِي اخْتَلَطَ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَنْطِقِ الْآنَ لَعَلَّه يُرِيدُ
هَذَا وَإِلَّا مَا فَهَمَ أَنَا.

لَأَنَّ الْعُلُومَ الْمَوْرُوثَةَ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ صِرْفًا مَا دَخَلَ الْمَنْطِقَ فِيهَا؟ لَعَلَّه يَقْصِدُ: أَنَّهَا اتَّصَلَتْ بِهِ الْآنَ، وَاللَّهُ
أَعْلَمُ، فَهِيَ الْمُهْمُ هَذَا، الْجَوَابُ: فَهِيَ ..

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَهِيَ أَجَلٌ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ لِأَهْلِهَا التَّفَاتًا إِلَى الْمَنْطِقِ؛ إِذْ لَيْسَ فِي الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ -
الَّتِي هِيَ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ - وَأَفْضَلُهَا الْقُرُونُ الثَّلَاثَةُ: مَنْ كَانَ يَلْتَمِثُ إِلَى الْمَنْطِقِ أَوْ يُعَرِّجُ عَلَيْهِ مَعَ
أَنَّهُمْ فِي تَحْقِيقِ الْعُلُومِ وَكَمَالِهَا بِالْغَايَةِ الَّتِي لَا يُدْرِكُ أَحَدٌ شَأْوَهَا، كَانُوا أَعَمَّقَ النَّاسِ عِلْمًا وَأَقَلَّهْمُ تَكَلُّفًا
وَأَبْرَهُمْ قُلُوبًا، وَلَا يُوجَدُ لِغَيْرِهِمْ كَلَامٌ فِيمَا تَكَلَّمُوا فِيهِ إِلَّا وَجَدْتَ بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ مِنَ الْفَرْقِ أَعْظَمَ مِمَّا بَيْنَ
الْقَدَمِ وَالْفَرْقِ (١٣) بَلْ الَّذِي وَجَدْنَاهُ بِالِاسْتِفْرَاءِ أَنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ: أَنَّ مِنَ الْحَائِضِينَ فِي الْعُلُومِ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ
الصَّنَاعَةِ أَكْثَرَ النَّاسِ شَكًّا وَاضْطِرَابًا وَأَقَلَّهُمْ عِلْمًا وَتَحْقِيقًا وَأَبْعَدُهُمْ عَنِ تَحْقِيقِ عِلْمٍ مَوْزُونٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(١٣) بين القدم والفرق الرأس.

يعني ميزانهم لم ينفعهم، (أكثر الناس شكًا واضطرابًا وأقلهم علمًا وتحقيقًا وأبعدهم عن تحقيق علمٍ مؤزون).

قال المصنف رحمه الله:

وإن كان فيهم من قد يحقق شيئًا من العلم، فذلك لصحة المادة والأدلة التي ينظر فيها وصحة ذهنه وإدراكه لا لأجل المنطق، بل إدخال صناعة المنطق في العلوم الصحيحة.

قال الشارح وفقه الله:

هذا وجه مستقل، وهذا الوجه الرد بالنظر إلى التعقيد، (بل إدخال) هذا الرد بالنظر إلى التعقيد، وهذا الرد أيضًا تكرر من شيخ الإسلام نعم (بل إدخال).

قال المصنف رحمه الله:

بل إدخال صناعة المنطق في العلوم الصحيحة يطول العبارة ويبعد الإشارة.

قال الشارح وفقه الله:

(ويبعد الإشارة) بدل أن تقول هنا: (ألف).

قال المصنف رحمه الله:

ويجعل القريب من العلم بعيدًا واليسير منه عسيرًا، ولهذا تجد من أدخله في الخلاف والكلام وأصول الفقه وغير ذلك لم يفد إلا كثرة الكلام والتشقيق؛ مع قلة العلم والتحقيق، فعلم أنه من أعظم حشو الكلام وأبعد الأشياء عن طريقة ذوي الأحلام.

نعم لا ينكر أن في المنطق ما قد يستفيد به من كان في كفرٍ وضلالٍ وتقليدٍ ممن نشأ بينهم من الجهال، كعوام النصارى واليهود والرافضة ونحوهم، فأورثهم المنطق ترك ما عليه أولئك من تلك العقائد.

قال الشارح وفقه الله:

وكأولئك أيضًا الذين نشأ المنطق لأجلهم، السفسائية قد يستفيدون منه ولكن يصير.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَكِنْ يَصِيرُ غَالِبٌ هُوَ لِأَيِّ مَدَاهِنِينَ لِعَوَائِمِهِمْ مُضِلِّينَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(غَالِبٌ هُوَ لِأَيِّ) الَّذِينَ اسْتَفَادُوا مِنْهُ، وَتَحَسَّنُوا لِأَجْلِهِ وَبِهِ يَصِيرُونَ مَدَاهِنِينَ.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

مَدَاهِنِينَ لِعَوَائِمِهِمْ مُضِلِّينَ لَهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ أَوْ يَصِيرُونَ مُنَافِقِينَ زَنَادِقَةً لَا يُقَرُّونَ بِحَقٍّ وَلَا بِبَاطِلٍ بَلْ

يَتَرَكُونَ الْحَقَّ كَمَا تَرَكُوا الْبَاطِلَ، فَأَذْكِيَاءُ طَوَائِفِ الضَّلَالِ:

إِمَّا مُضِلُّونَ مَدَاهِنُونَ.

وَإِمَّا زَنَادِقَةٌ مُنَافِقُونَ.

لَا يَكَادُ يَخْلُو أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ هَدْيَيْنِ: فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ الْمَنْطِقُ وَقَفَّهُمْ عَلَى حَقٍّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وَقَفَّهُمْ: يَعْنِي أَوْقَفَهُمْ.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَفَّهُمْ عَلَى حَقٍّ يَهْتَدُونَ بِهِ: فَهَذَا لَا يَقَعُ بِالْمَنْطِقِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني حتى لو أخرج من الضلال لا يوصلهم إلى الحق قد يخرج من بعض الظلمات، ولكنه لا

يُوصِلُ إِلَى النُّورِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَفِي الْجُمْلَةِ: مَا يَحْصُلُ بِهِ لِبَعْضِ النَّاسِ مِنْ شَحْذِ ذَهْنٍ أَوْ رُجُوعٍ عَنْ بَاطِلٍ أَوْ تَعْيِيرٍ عَنْ حَقٍّ: فَإِنَّمَا هُوَ لِكَوْنِهِ كَانَ فِي أَسْوَأِ حَالٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني كما ذكر هذا شيخ الإسلام في البداية، تذكرون، في البداية، في بداية حديثه عن المنطق، يقول: من يقول هذا الكلام هذا يدل على مدى جهله نعم (وإنما هو لكونه كان في أسوأ حال).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

لَا لِمَا فِي صِنَاعَةِ الْمُنْطِقِ مِنَ الْكَمَالِ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ: أَنَّ الْمُشْرِكَ إِذَا تَمَجَّسَ وَالْمَجُوسِيَّ إِذَا تَهَوَّدَ: حَسَنَتْ حَالُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا كَانَ فِيهِ قَبْلَ ذَلِكَ، لَكِنْ لَا يَصْلُحُ أَنْ يُجْعَلَ ذَلِكَ عُمْدَةً لِأَهْلِ الْحَقِّ الْمُبِينِ، وَهَذَا لَيْسَ مُخْتَصَبًا بِهِ، بَلْ هَذَا شَأْنُ كُلِّ مَنْ نَظَرَ فِي الْأُمُورِ الَّتِي فِيهَا دِقَّةٌ، وَلَهَا نَوْعٌ إِحَاطَةٌ كَمَا تَجِدُ ذَلِكَ فِي عِلْمِ النَّحْوِ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ لِأَهْلِهِ مِنَ التَّحْقِيقِ وَالتَّدْقِيقِ وَالتَّقْسِيمِ وَالتَّحْدِيدِ مَا لَيْسَ لِأَهْلِ الْمُنْطِقِ، وَأَنَّ أَهْلَهُ يَتَكَلَّمُونَ فِي صُورَةِ الْمَعَانِي الْمَعْقُولَةِ عَلَى أَكْمَلِ الْقَوَاعِدِ، فَالْمَعَانِي فِطْرِيَّةٌ عَقْلِيَّةٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى وَضْعِ حَاصِّ بِخِلَافِ قَوَالِبِهَا الَّتِي هِيَ الْأَلْفَاظُ فَإِنَّهَا تَتَنَوَّعُ فَمَتَى تَعَلَّمُوا أَكْمَلَ الصُّورِ وَالْقَوَالِبِ لِلْمَعَانِي.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

بالنسبة للمعاني التي يتحدث عنها النحويون يطبقها العربي دون أن يضعها في هذه القوالب، بهذه القوالب يتعلم من ليس هذه لغته غير العرب، أو من كان جاهلاً بالقوالب غير، والمعاني غير، فهل هؤلاء الذين لم يتعلموا النحو لما يمشون على قواعد النحو لأجل القوالب؟ لا، هذه موجودة عندهم، المعاني عندهم فطرية.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْقَوَالِبِ لِلْمَعَانِي مَعَ الْفِطْرَةِ الصَّحِيحَةِ كَانَ ذَلِكَ أَكْمَلَ وَأَنْفَعَ وَأَعُونَ عَلَى تَحْقِيقِ الْعُلُومِ مِنْ صِنَاعَةِ
اصْطِلَاحِيَّةٍ فِي أُمُورٍ فِطْرِيَّةٍ عَقْلِيَّةٍ لَا يُحْتَاجُ فِيهَا إِلَى اصْطِلَاحٍ خَاصٍّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني وهنا شيخ الإسلام يُقارن بين صناعة النحو وصناعة المنطق، هُنا المعاني خطأ كثيراً منها خطأ،
والقالب أيضاً خطأ، وهناك المعاني صحيحة والقوالب أيضاً صحيحة، فبقارن بين صلاح هذا وفساد هذا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

هَذَا لَعَمْرِي عَنْ مَنْفَعَتِهِ فِي سَائِرِ الْعُلُومِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً هذا وجهٌ خاص أو أخص؛ لأنه يتحدث عن منفعة في علوم الإسلام.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

هَذَا لَعَمْرِي عَنْ مَنْفَعَتِهِ فِي سَائِرِ الْعُلُومِ؛ وَأَمَّا مَنْفَعَتُهُ فِي عِلْمِ الْإِسْلَامِ خُصُوصًا: فَهَذَا أَبِينُ مِنْ أَنْ
يَحْتَاجَ إِلَى بَيَانٍ وَلِهَذَا تَجَدُّ الَّذِينَ اتَّصَلَتْ إِلَيْهِمْ عُلُومُ الْأَوَائِلِ فَصَاغُوهَا بِالصِّيغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِعُقُولِ الْمُسْلِمِينَ
جَاءَ فِيهَا مِنَ الْكَمَالِ وَالتَّحْقِيقِ وَالْإِحَاطَةِ وَالْإِخْتِصَارِ مَا لَا يُوجَدُ فِي كَلَامِ الْأَوَائِلِ.

وَإِنْ كَانَ فِي هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ مَنْ فِيهِ نِفَاقٌ وَضَلَالٌ لَكِنْ عَادَتْ عَلَيْهِمْ فِي الْجُمْلَةِ بَرَكَتُهُ مَا بُعِثَ بِهِ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ وَمَا أُوتِيَتْهُ أُمَّتُهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْبَيَانِ الَّذِي لَمْ يُشْرِكْهَا فِيهِ أَحَدٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

نعم، يعني المنطق الذي كتبه هؤلاء المتكلمون أو المتفلسفة مع ما حصل فيه من التهذيب، ومع
ذلك لا يصلح أن توزن به العلوم الإسلامية، ولكن هؤلاء حصلت لهم من بركة الإسلام وعلومه ما
امتازوا به عن الأوائل.

فقارن بين ما كتبه أرسطو نفسه - كتبه موجودة الآن مطبوعة - وبين ما كتبه مثلاً ابن سينا، هذا مثلاً

على ما فيه عباراته أوضح بالنسبة لهذا وإلا كُله مرض، وترتيبه أحسن، هذه البركة من أين جاءت؟ مع
كما يقول شيخ الإسلام: مع أن فيهم نفاق وضلال.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَيْضًا فَإِنَّ صِنَاعَةَ الْمُنْطِقِ وَضَعَهَا مُعَلِّمُهُمُ الْأَوَّلُ: أَرَسَطُو صَاحِبُ التَّعَالِيمِ الَّتِي لِمُبْتَدَعَةِ الصَّابِئَةِ يَزِنُ
بِهَا مَا كَانَ هُوَ وَأَمْثَالُهُ يَتَكَلَّمُونَ فِيهِ مِنْ حِكْمَتِهِمْ وَفَلَسَفَتِهِمْ، الَّتِي هِيَ غَايَةُ كَمَالِهِمْ، وَهِيَ قِسْمَانِ: نَظْرِيَّةٌ
وَعَمَلِيَّةٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني هي الميزان لفلان، لأرسطو المعلم الأول يزن بها شيئاً معين وهي علومه، ومن الخطأ أن نزن
بها كل شيء، يقول هنا: (فَلَسَفَتِهِمْ؛ الَّتِي هِيَ غَايَةُ كَمَالِهِمْ قِسْمَانِ: (نَظْرِيَّةٌ)، (وَعَمَلِيَّةٌ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَأَصْحُ النَّظْرِيَّةِ - وَهِيَ الْمَدْخُلُ إِلَى الْحَقِّ - وَهِيَ الْأُمُورُ الْحِسَابِيَّةُ الرَّيَاضِيَّةُ، وَأَمَّا الْعَمَلِيَّةُ: فِإِصْلَاحُ
الْخُلُقِ وَالْمَنْزِلِ وَالْمَدِينَةِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ فِي ذَلِكَ مِنْ نَوْعِ الْعُلُومِ وَالْأَعْمَالِ الَّذِي يَتَمَيَّزُونَ بِهَا عَنْ جُهَالِ بَنِي
آدَمَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ كِتَابٌ مُنَزَّلٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ مَا يَسْتَحِقُّونَ بِهِ التَّقَدُّمَ عَلَى ذَلِكَ.

وَفِيهِ مِنْ مَنَفَعَةِ صِلَاحِ الدُّنْيَا وَعِمَارَتِهَا مَا هُوَ دَاخِلٌ فِي ضِمْنِ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَفِيهَا أَيْضًا مِنْ قَوْلِ
الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ وَالْأَمْرِ بِالْعَدْلِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْفَسَادِ: مَا هُوَ دَاخِلٌ فِي ضِمْنِ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

كل ما فيه من شيء من الحق موجود عندهم، هو (ضِمْنِ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ) ليس فيه شيء جديد،

نعم "فَهُمْ بِالنُّسْبَةِ...

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَهُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى جُهَّالِ الْأُمَّمِ كِبَادِيَّةِ التُّرْكِ وَنَحْوِهِمْ أَمْثَلُ إِذَا خَلَوْا عَنْ ضَلَالِهِمْ فَأَمَّا مَعَ ضَلَالِهِمْ فَقَدْ يَكُونُ الْبَاقُونَ عَلَى الْفِطْرَةِ مِنْ جُهَّالِ بَنِي آدَمَ أَمْثَلِ مِنْهُمْ، فَأَمَّا أَضَلُّ أَهْلِ الْمَلِكِ -مِثْلُ جُهَّالِ النَّصَارَى وَسَامِرَةِ الْيَهُودِ- فَهُمْ أَغْلَمُ مِنْهُمْ وَأَهْدَى وَأَحْكَمُ وَأَتْبَعُ لِلْحَقِّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(جُهَّالِ النَّصَارَى وَسَامِرَةِ الْيَهُودِ) الَّذِينَ هُمْ أَسْوَأُ طَوَائِفِهِمْ، ابْعَدَهُمْ عَنِ الْحَقِّ، أَيْضًا أَحْسَنُ مِنْ هَؤُلَاءِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا قَدْ بَسَطْتَهُ بَسْطًا كَثِيرًا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ هُنَا: بَيَانُ أَنَّ هَذِهِ الصَّنَاعَةَ قَلِيلَةٌ الْمَنْفَعَةُ عَظِيمَةُ الْحَشْوِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هَذَا يَذْكُرُهُ أَيْضًا شَيْخُ الْإِسْلَامِ كَثِيرًا: أَنَّ نَهَايَةَ عُلُومِ الْفَلَسَفَةِ بَدَايَةَ عُلُومِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ هُنَا: بَيَانُ أَنَّ هَذِهِ الصَّنَاعَةَ قَلِيلَةٌ الْمَنْفَعَةُ عَظِيمَةُ الْحَشْوِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هُنَا هَذَا الْوَجْهُ: هُوَ الرَّدُّ لِقَلَّةِ الْفَائِدَةِ مَعَ التَّعْقِيدِ، الْفَائِدَةُ قَلِيلَةٌ وَالْعَنْتُ وَالْمَشَقَّةُ كَبِيرَةٌ، نَعَمْ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَذَلِكَ أَنَّ الْأُمُورَ الْعَمَلِيَّةَ الْخُلُقِيَّةَ قَلَّ أَنْ يُتَنَفَّعَ فِيهَا بِصِنَاعَةِ الْمُنْطِقِ بِهَا، إِذِ الْقَضَايَا الْكُلِّيَّةُ الْمُوجِبَةُ - وَإِنْ كَانَتْ تُوجَدُ فِي الْأُمُورِ الْعَمَلِيَّةِ - لَكِنَّ أَهْلَ السِّيَاسَةِ لِنُفُوسِهِمْ وَلِأَهْلِهِمْ وَلِمُلُوكِهِمْ إِنَّمَا يَنَالُونَ تِلْكَ الْأَرَءَ الْكُلِّيَّةَ مِنْ أُمُورٍ لَا يَحْتَاجُونَ فِيهَا إِلَى الْمُنْطِقِ وَمَتَى حَصَلَ ذَلِكَ الرَّأْيُ كَانَ الْإِنْتِفَاعُ بِهِ بِالْعَمَلِ. ثُمَّ الْأُمُورُ الْعَمَلِيَّةُ لَا تَقِفُ عَلَى رَأْيٍ كُلِّيٍّ بَلْ مَتَى عَلِمَ الْإِنْسَانُ اِنْتِفَاعَهُ بِعَمَلٍ عَمَلِهِ وَأَيُّ عَمَلٍ تَضَرَّرَ بِهِ تَرَكَهُ، وَهَذَا قَدْ يَعْلَمُهُ بِالْحِسِّ الظَّاهِرِ أَوْ الْبَاطِنِ لَا يَقِفُ ذَلِكَ عَلَى رَأْيٍ كُلِّيٍّ؛ فَعَلِمَ أَنَّ أَكْثَرَ الْأُمُورِ الْعَمَلِيَّةِ لَا يَصِحُّ اسْتِعْمَالُ الْمُنْطِقِ فِيهَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

كُلٌّ مِنْ وَصَلَ إِلَى نَتِيجَةٍ مُعَيَّنَةٍ عَنْ تَجْرِبَةٍ، عَنْ حِسِّ ظَاهِرٍ مِنْ الْحَوَاسِ الظَّاهِرَةِ، وَالْحِسِّ الْبَاطِنِ الَّذِي يَكُونُ مِنَ الْجُوعِ وَالْحُزْنِ وَغَيْرِهَا، إِذَا حَصَلَ عَلَى شَيْءٍ مُعَيَّنٍ يَسْتَفِيدُ بِهِ يَكْتَفِي بِهِ، لَا يَنْتَظِرُ أَنْ يَزِنَهُ مَرَّةً أُخْرَى بِالْمُنْطِقِ؛ لِأَنَّ الْفَائِدَةَ حَصَلَتْ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلِهَذَا كَانَ الْمُؤَدَّبُونَ لِنُفُوسِهِمْ وَلِأَهْلِهِمْ السَّائِسُونَ لِمُلْكِهِمْ لَا يَزِنُونَ آرَاءَهُمْ بِالصَّنَاعَةِ الْمُنْطِقِيَّةِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ شَيْئًا يَسِيرًا وَالْغَالِبُ عَلَى مَنْ يَسْأَلُكَ: التَّوَقُّفُ وَالتَّعْطِيلُ، وَلَوْ كَانَ أَصْحَابُ هَذِهِ الْأَرَءِ تَقِفُ مَعْرِفَتَهُمْ بِهَا وَاسْتِعْمَالَهُمْ لَهَا عَلَى وَزْنِهَا بِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ لَكَانَ تَضَرُّرُهُمْ بِذَلِكَ أَضْعَافَ اِنْتِفَاعِهِمْ بِهِ. مَعَ أَنَّ جَمِيعَ مَا يَأْمُرُونَ بِهِ مِنَ الْعُلُومِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ لَا تَكْفِي فِي النَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللهِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مُحَصِّلًا لِنَعِيمِ الْآخِرَةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هؤلاء الذين كما يقول شيخ الإسلام هنا في السياسة لنفوسهم، ولأهلهم ولملكهم، والذين استفادوا من علومهم ومن تجاربهم ولم ينتظروا كلمة المنطق، وبذلك استفادوا لو انتظروا نتائج المنطق لخسروا في الدنيا، وهم فعلاً استفادوا، مع ما استفادوا ومع ما وصلوا إليه من الفائدة مع هذا كله هذا لا ينجيهم

من عذاب الله.

فضلاً عن أن يكون مُحصلاً لنعيم الآخرة، هذا مَنْ؟ هؤلاء الذين استفادوا، أما المنطق فلا فيه فائدة، ولا فيه هذه الفوائد التي حصلها هؤلاء.

طبعاً هنا يبدو لي أن هناك سقطاً ليس يسيراً والسبب في ذلك: أن النصوص التي ذُكرت مِنْ هُنَا إلى خمسة أو ست صفحات، هذه النصوص تتعلق:

بالإيمان بالله ﷻ.

وتوحيده.

والإيمان باليوم الآخر.

الإيمان بالله ﷻ وتوحيده، والإيمان بالرُّسل، والإيمان باليوم الآخر، وأن هُنَاك تلازماً بين هذه الأركان كُل هذه الأدلة في هذه .. يبدو لي أن هُنَاك سقطاً وهذا السقط فيه:

أن المنطق لا يوصل إلى الإيمان بالله ﷻ.

ولا يُوصل إلى توحيده.

ولا إلى الإيمان بالرُّسل.

ولا إلى الإيمان باليوم الآخر.

وإذا كان المنطق لا يوصل إلى هذه الأمور؛ وأنت قد جعلتهُ عمدةً وميزاناً فقد خسر من اتخذهُ

ميزاناً، يبدو أن هُنَاك سقط في هذه الأمور، لأن هذه الأدلة فيها استثناءً لهذه الأمور الثلاثة -الله أعلم- مع أن المُحقق لم يُعلق.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا آذَرْتُمُو فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨]، وَكَذَلِكَ قَالَ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [غافر: ٨٢]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿الْكَافِرُونَ﴾.

فَأَخْبِرْ هُنَا بِمِثْلِ مَا أَخْبَرَ بِهِ فِي الْأَعْرَافِ: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُعْرِضِينَ عَمَّا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ لَمَّا رَأَوْا بِأَسِ اللَّهِ وَحَدُّوا اللَّهَ وَتَرَكَوا الشِّرْكَ فَلَمْ يَنْفَعَهُمْ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ أَخْبَرَ عَنْ فِرْعَوْنَ - وَهُوَ كَافِرٌ بِالتَّوْحِيدِ وَبِالرَّسَالَةِ - أَنَّهُ لَمَّا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، قَالَ اللَّهُ: ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَفْتَهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٩]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [إبراهيم: ١٠].

وَهَذَا فِي الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعٍ أُخَرَ: يُبَيِّنُ فِيهَا أَنَّ الرُّسُلَ كُلَّهُمْ أُمِرُوا بِالتَّوْحِيدِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَنُهِوا عَنْ عِبَادَةِ شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ سِوَاهُ أَوْ اتِّخَاذِهِ إِلَهًا؛ وَيُخْبِرُ أَنَّ أَهْلَ السَّعَادَةِ هُمْ أَهْلُ التَّوْحِيدِ وَأَنَّ الْمُشْرِكِينَ هُمْ أَهْلُ الشَّقَاوَةِ.

وَذَكَرَ هَذَا عَنْ عَامَّةِ الرُّسُلِ وَبَيَّنُّ أَنَّ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالرُّسُلِ مُشْرِكُونَ، فَعَلِمَ أَنَّ التَّوْحِيدَ وَالإِيمَانَ بِالرُّسُلِ مُتَلَازِمَانِ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ بِاليَوْمِ الآخِرِ هُوَ وَالإِيمَانُ بِالرُّسُلِ مُتَلَازِمَانِ، فَالثَّلَاثَةُ مُتَلَازِمَةٌ. وَلِهَذَا يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿قُلْ هَلْ مَشَاءُكُمْ شُهَدَاءُ كُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا

تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾
[الأنعام: ١٥٠].

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

لاحظتم أن الموضوع يعني هو هذا الذي ذكرتم يبدو أن هناك سقط؛ لأن هذه الآيات وحشتها بهذه بعد تلك ما يستقيم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَلِهَذَا أَخْبَرَ أَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مُشْرِكُونَ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

طبعا صلة هذه واضحة يعني كل هذه الأصول موجودة عند أرسطو، نعم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [الزمر: ٤٥]، وَأَخْبَرَ عَنِ جَمِيعِ الْأَشْقِيَاءِ: أَنَّ الرُّسُلَ أَنْذَرْتَهُمْ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨]، ﴿قَالُوا بَلَى...﴾ [الملك: ٩]، الآية.

فَأَخْبَرَ أَنَّ الرُّسُلَ أَنْذَرْتَهُمْ وَأَنَّهَمْ كَذَّبُوا بِالرَّسَالَةِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧١]، الآية.

فَأَخْبَرَ عَنِ أَهْلِ النَّارِ: أَنَّهَمْ قَدْ جَاءَتْهُمْ الرِّسَالَةُ وَأَنْذَرُوا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ [الأنعام: ١٢٨]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، الآية، فَأَخْبَرَ عَنِ جَمِيعِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ: أَنَّ الرُّسُلَ بَلَّغَتْهُمْ رِسَالَةَ اللهِ وَهِيَ آيَاتُهُ، وَأَنَّهَمْ أَنْذَرُوهُمْ الْيَوْمَ الْآخِرَ.

وَكَذَلِكَ قَالَ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ

يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ... ﴿١٠٣﴾ [الكهف: ١٠٥-١٠٣].

فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِهِ وَهِيَ رِسَالَتُهُ وَبِلِقَائِهِ وَهُوَ الْيَوْمُ الْآخِرُ، وَقَدْ أَخْبَرَ أَيْضًا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ بَأَنَّ
الرِّسَالَةَ عَمَّتْ بَنِي آدَمَ وَأَنَّ الرُّسُلَ جَاءُوا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا
وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]، -إِلَى قَوْلِهِ -:
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ
آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨]، ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا
كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأنعام: ٤٩].

فَأَخْبَرَ أَنَّ مَنْ آمَنَ بِالرُّسُلِ وَأَصْلَحَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، وَقَالَ
تَعَالَى ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ [البقرة: ٦٢]، -إِلَى قَوْلِهِ - ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٦٢] الآية، فَذَكَرَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، مِنْ هَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ النَّجَاةِ وَالسَّعَادَةِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

شَيْخُ الْإِسْلَامِ يُحَسِّنُ فِيْنَا الظَّنَّ؛ يَظُنُّ أَنَّ الْجَمِيعَ يَحْفَظُونَ هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَا، يُحَسِّنُ فِيْنَا
الظَّنَّ وَنَحْنُ عَوَامٌ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

فَذَكَرَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، مِنْ هَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ النَّجَاةِ وَالسَّعَادَةِ، وَذَكَرَ فِي تِلْكَ الْآيَةِ

الإيمان بالرُّسُلِ وَفِي هَذِهِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ لِأَنَّهُمَا مُتَلَازِمَانِ.

وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ كُلُّهُمْ مُتَلَازِمٌ فَمَنْ آمَنَ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ فَقَدْ آمَنَ بِهِمْ كُلَّهُمْ وَمَنْ كَفَرَ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ فَقَدْ كَفَرَ بِهِمْ كُلَّهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [النساء: ١٥٠]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥١] الْآيَةُ وَالَّتِي بَعْدَهَا.

فَأَخْبَرَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ هُمْ أَهْلُ السَّعَادَةِ، وَأَنَّ الْمُفْرَقِينَ بَيْنَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِبَعْضِهِمْ دُونَ بَعْضٍ هُمْ الْكَافِرُونَ حَقًّا.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ ﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥: ١٣].
(فَهَذِهِ الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ:

تَوْحِيدَ اللَّهِ.

وَالْإِيمَانَ بِرُسُلِهِ.

وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ هِيَ أُمُورٌ مُتَلَازِمَةٌ.

وَالْحَاصِلُ: أَنَّ تَوْحِيدَ اللَّهِ وَالْإِيمَانَ بِرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ هِيَ أُمُورٌ مُتَلَازِمَةٌ مَعَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ. فَأَهْلُ هَذَا الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ: هُمْ أَهْلُ السَّعَادَةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَالْخَارِجُونَ عَنْ هَذَا الْإِيمَانِ: مُشْرِكُونَ أَشْقِيَاءُ.

فَكُلُّ مَنْ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَلَنْ يَكُونَ إِلَّا مُشْرِكًا وَكُلُّ مُشْرِكٍ مُكَذِّبٌ لِلرُّسُلِ وَكُلُّ مُشْرِكٍ وَكَافِرٍ بِالرُّسُلِ فَهُوَ كَافِرٌ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَكُلُّ مَنْ كَفَرَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ فَهُوَ كَافِرٌ بِالرُّسُلِ وَهُوَ مُشْرِكٌ.

وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَوْهُ وَليَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٣: ١١٢].

فَأَخْبَرَ أَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ لَهُمْ أَعْدَاءٌ وَهُمْ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلِ الْمُزَخَرَفَ وَهُوَ الْمُزَيَّنُ الْمُحَسَّنُ يُعَرَّرُونَ بِهِ، وَالغُرُورُ: هُوَ التَّلْيِيسُ وَالتَّمْوِيهُ، وَهَذَا شَأْنُ كُلِّ كَلَامٍ وَكُلِّ عَمَلٍ يُخَالِفُ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ أَمْرِ الْمُتَفَلِّسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ﴾ [الأنعام: ١١٣]، فَأَخْبَرَ أَنَّ كَلَامَ أَعْدَاءِ الرُّسُلِ تَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ، فَعَلِمَ أَنَّ مُخَالَفَةَ الرُّسُلِ وَتَرْكَ الْإِيْمَانِ بِالْآخِرَةِ مُتَلَازِمَانِ؛ فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْآخِرَةِ أَصْغَى إِلَى زُخْرَفِ أَعْدَائِهِمْ فَخَالَفَ الرُّسُلَ كَمَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي أَصْنَافِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَا عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ [الأعراف: ٥٣] الْآيَةُ.

فَأَخْبَرَ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكُوا اتِّبَاعَ الْكِتَابِ - وَهُوَ الرِّسَالَةُ - يَقُولُونَ إِذَا جَاءَ تَأْوِيلُهُ - وَهُوَ مَا أَخْبَرَ بِهِ -: جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ. وَهَذَا كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿٥٣﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿٥٤﴾ [طه: ١٢٦: ١٢٤].

أَخْبَرَ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكُوا اتِّبَاعَ آيَاتِهِ يُصِيبُهُمْ مَا ذَكَرْنَا، فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ أَصْلَ السَّعَادَةِ وَأَصْلَ النَّجَاةِ مِنَ الْعَذَابِ هُوَ تَوْحِيدُ اللَّهِ بِعِبَادَتِهِ وَحُدُّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَالْإِيْمَانِ بِرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَهَذِهِ الْأُمُورُ لَيْسَتْ فِي حِكْمَتِهِمْ وَفَلَسَفَتِهِمْ الْمُبْتَدَعَةَ لَيْسَ فِيهَا الْأَمْرُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحُدُّهُ وَالنَّهْيُ عَنِ عِبَادَةِ الْمَخْلُوقَاتِ، بَلْ كُلُّ شَرِكٍ فِي الْعَالَمِ إِنَّمَا حَدَثَ بِرَأْيِ جِنْسِهِمْ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

بِرَأْيِ جِنْسِهِمْ: إما هو أو مثله..

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

إذ بنوه على ما في الأزواح والأجسام من القوى والطبائع وإن صناعة الطلاسم والأصنام والتعبد لها يورث منافع ويدفع مضاراً، فهم الأمرون بالشرك والفاعلون له، ومن لم يأمر بالشرك منهم فلم ينه عنه بل يُقرُّ هؤلاء وهؤلاء وإن رجح الموحّدون ترجيحاً ما، فقد يرجح غيره المشركين، وقد يعرض عن الأمرين جميعاً، فتدبر هذا فإنه نافع جداً.

(ولهذا كان رؤوسهم المتقدّمون والمتأخرون يأمرون بالشرك؛ فالأولون يُسمون الكواكب الآلهة الصغرى ويعبدونها بأصناف العبادات، كذلك كانوا في ملة الإسلام لا ينهون عن الشرك ويوجبون التوحيد؛ بل يسوغون الشرك أو يأمرون به أو لا يوجبون التوحيد).

قال المصنف رحمه الله:

وقد رأيت من مصنفاتهم في عبادة الكواكب والملائكة وعبادة الأنفس المفارقة -أنفس الأنبياء وغيرهم- ما هو أصل الشرك، وهم إذا ادّعوا التوحيد فإنما توحيدهم بالقول.

قال الشارح وفقه الله:

يشير شيخ الإسلام إلى بعض ما رآه في مصنفات من ينتسب إلى الإسلام من المتفلسفة، وكذلك بعض المتكلمين.

قال المصنف رحمه الله:

وهم إذا ادّعوا التوحيد فإنما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل، والتوحيد الذي جاءت به الرسل لا بُدّ فيه من التوحيد بإخلاص الدين لله، وعبادته وحده لا شريك له، وهذا شيء لا يعرفونه، والتوحيد الذي يدعونهُ: إنّما هو تعطيل حقائق الأسماء والصفات؛ وفيه من الكفر والضلال ما هو من أعظم أسباب الإشرak.

قال الشارح وفقه الله:

يقول شيخ الإسلام: نصيبهم من التوحيد:

إما الجهل والإغفال تماماً كما هو حالهم مع توحيد الألوهية لا يعرفونه تماماً.

وإما الاقتصار على بعض أقسامه كما هو حالهم مع توحيد الأسماء والصفات؛ مع أن الذي اقتصروا عليه: هو ضد التوحيد الذي ينبغي أن يكون، توحيد الأسماء والصفات عندهم: هو التعطيل.

والتوحيد عندهم:

إما جهل وإغفال.

وإما مُضاد للتوحيد الذي يجب عليهم، يعتقدوه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَلَوْ كَانُوا مُوَحِّدِينَ بِالْقَوْلِ وَالْكَلَامِ - وَهُوَ أَنْ يَصِفُوا اللَّهَ بِمَا وَصَفْتَهُ بِهِ رَسُولُهُ - لَكَانَ مَعَهُمُ التَّوْحِيدُ دُونَ الْعَمَلِ، وَذَلِكَ لَا يَكْفِي فِي السَّعَادَةِ وَالنَّجَاةِ بَلْ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ وَيَتَّخَذَ إِلَهًا؛ دُونَ مَا سِوَاهُ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" فَكَيْفَ وَهُمْ فِي الْقَوْلِ وَالْكَلَامِ مُعْطَلُونَ جَاهِدُونَ؛ لَا مُوَحِّدُونَ وَلَا مُخْلِصُونَ؟.

وَأَمَّا الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ: فَلَيْسَ فِيهِ لِلْمُعَلِّمِ الْأَوَّلِ وَذَوِيهِ كَلَامٌ مَعْرُوفٌ، وَالَّذِينَ دَخَلُوا فِي الْمَلَلِ مِنْهُمْ أَمَّنُوا بِبَعْضِ صِفَاتِ الرُّسُلِ وَكَفَرُوا بِبَعْضِ.

وَأَمَّا الْيَوْمُ الْآخِرُ: فَأَحْسَنُهُمْ حَالًا مَنْ يُقَرُّ بِمَعَادِ الْأَرْوَاحِ دُونَ الْأَجْسَادِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُنْكِرُ الْمَعَادِينَ جَمِيعًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُقَرُّ بِمَعَادِ الْأَرْوَاحِ الْعَالِمَةِ دُونَ الْجَاهِلَةِ، وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ الثَّلَاثَةُ لِمُعَلِّمِهِمُ الثَّانِي أَبِي نَصْرِ الْقَارَائِي، وَلَهُمْ فِيهِ مِنَ الْإِضْطِرَابِ مَا يُعْلَمُ بِهِ أَنَّهُمْ لَمْ يَهْتَدُوا فِيهِ إِلَى الصَّوَابِ وَقَدْ أَضَلُّوا بِشُبُهَاتِهِمْ مِنَ الْمُتَسَبِّبِينَ إِلَى الْمَلَلِ مَنْ لَا يُحْصِي عَدَدَهُ إِلَّا اللَّهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

معادُ الأرواح يقول به جمهورهم، جمهور المُتفلسفة على القول بمعاد الأرواح دون الأجسام، ومنهم من يُنكرُ المعادين جميعًا، ومنهم من يُقرُّ بِمَعَادِ الْأَرْوَاحِ الْعَالِمَةِ دُونَ الْجَاهِلَةِ، يقولون: الأرواح العالمية تبقى مُلتذةً بمعارفها وعلومها، أما الجاهلة فتفنى.

وبعضهم يقولون: حتى الجاهلة تبقى وهي تتألم لجهلها ولبعدها عن المعرفة؛ كلامٌ يعني يُقال من

حسب ما اتفق له، ولكن الجمهور يقولون: بمعاد الأرواح دون الأجسام، وقد تأثر بهم بعض المتكلمين، تأثر بهم في باب المعاد أيضًا منهم: الرازي، ومنهم الغزالي، ومنهم التفتازاني.

﴿فأروا أنه لا مُنافرة بين القول بمعاد الأرواح الذي يقولون به، وبالقول بمعاد الأجساد الذي نقول به، هكذا يقولون، والحقيقة: أن هناك مُنافرة تامة بين ما يقولون وبين ما يقوله المؤمنون.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَإِذَا كَانَ مَا بِهِ تَحْصُلُ السَّعَادَةُ وَالنَّجَاةُ مِنَ الشَّقَاوَةِ لَيْسَ عِنْدَهُمْ أَصْلًا كَانَ مَا يَأْمُرُونَ بِهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالسِّيَاسَاتِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

وَأَمَّا مَا يَذْكَرُونَهُ مِنَ الْعُلُومِ النَّظَرِيَّةِ: فَالصَّوَابُ مِنْهَا مَنْفَعَتُهُ فِي الدُّنْيَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

إِلَى هُنَا كَانَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْعُلُومِ الْعَمَلِيَّةِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَمَّا مَا يَذْكَرُونَهُ مِنَ الْعُلُومِ النَّظَرِيَّةِ: فَالصَّوَابُ مِنْهَا مَنْفَعَتُهُ فِي الدُّنْيَا.

وَأَمَّا الْعِلْمُ الْإِلَهِيُّ فَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ مَا تَحْصُلُ بِهِ النَّجَاةُ وَالسَّعَادَةُ بَلْ وَغَالِبُ مَا عِنْدَهُمْ مِنْهُ لَيْسَ بِمُتَيَقِّنٍ مَعْلُومٍ.

بَلْ قَدْ صَرَحَ أَسَاطِينُ الْفَلَسَفَةِ: أَنَّ الْعُلُومَ الْإِلَهِيَّةَ لَا سَبِيلَ فِيهَا إِلَى الْيَقِينِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللَّهُ:

وَإِلَى الْآنَ يَقُولُونَ، فَهَمُ إِلَى الْآنَ يَقُولُونَ: أَنَّ هَذَا تَخْمِينٌ، كُلُّهُ تَخْمِينٌ فِي تَخْمِينٍ، نَعَمْ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَإِنَّمَا يُتَكَلَّمُ فِيهَا بِالْآخَرَى وَالْأَخْلَقِ؛ فَلَيْسَ مَعَهُمْ فِيهَا إِلَّا الظَّنُّ ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ

شَيْئًا ﴿[النجم: ٢٨].

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

يعني التهويل الذي حصل لهم من المتكلمين أكثر مما تجده منهم هم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَلِهَذَا يُوجَدُ عِنْدَهُمْ مِنَ الْمُخَالَفَةِ لِلرُّسُلِ أَمْرٌ عَظِيمٌ بَاهِرٌ حَتَّى قِيلَ مَرَّةً لِبَعْضِ الْأَشْيَاحِ الْكِبَارِ مِمَّنْ يَعْرِفُ الْكَلَامَ وَالْفَلَسَفَةَ وَالْحَدِيثَ وَغَيْرَ ذَلِكَ: مَا الْفَرْقُ الَّذِي بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْفَلَسَفَةِ؟.

فَقَالَ: السِّيفُ الْأَحْمَرُ يُرِيدُ أَنَّ الَّذِي يَسْلُكُ طَرِيقَتَهُمْ يُرِيدُ أَنْ يُوقَّعَ بَيْنَ مَا يَقُولُونَهُ وَبَيْنَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ؛ فَيَدْخُلُ مِنَ السَّفْسَطَةِ وَالْقَرْمَطَةِ فِي أَنْوَاعٍ مِنَ الْمَحَالِ الَّذِي لَا يَرْضَاهُ عَاقِلٌ كَمَا فَعَلَ أَصْحَابُ رَسَائِلِ إِخْوَانِ الصِّفَا وَأَمْثَالِهِمْ.

وَمِنْ هُنَا: ضَلَّتْ الْقَرَامِطَةُ وَالْبَاطِنِيَّةُ وَمَنْ شَارَكَهُمْ فِي بَعْضِ ذَلِكَ، وَهَذَا بَابٌ يَطُولُ وَصْفُهُ لَيْسَ الْغَرَضُ هُنَا ذِكْرُهُ، وَإِنَّمَا الْغَرَضُ أَنَّ مُعَلِّمَهُمْ وَضَعَ مَنْطِقَهُمْ لِيَزِنَ بِهِ مَا يَقُولُونَهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي يَحُوضُونَ فِيهَا وَالَّتِي هِيَ قَلِيلَةٌ الْمَنْفَعَةُ.

وَأَكْثَرُ مَنْفَعَتِهَا: إِنَّهَا هِيَ فِي الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَقَدْ يُسْتَعْنَى عَنْهَا فِي الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ أَيْضًا، فَأَمَّا أَنْ يُوزَنَ بِهِذِهِ الصَّنَاعَةُ مَا لَيْسَ مِنْ عُلُومِهِمْ وَمَا هُوَ فَوْقَ قَدْرِهِمْ أَوْ يُوزَنَ بِهَا مَا يُوجِبُ السَّعَادَةَ وَالنَّعِيمَ وَالنَّجَاةَ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ: فَهَذَا أَمْرٌ لَيْسَ هُوَ فِيهَا.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

طبعًا هذه الجملة تنقل عن شيخ الإسلام كثيرًا؛ وهي فعلاً تلخص كثيرًا من الوظائف؛ فأما أن يوزن بهذه الصناعة ما ليس من علومه أولاً، وما هو فوق قدرهم، أو يوزن بها ما يوجب السعادة والنعيم والنجاة من العذاب الأليم؛ فهذا أمر ليس هو فيها.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

فَهَذَا أَمْرٌ لَيْسَ هُوَ فِيهَا؛ وَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا، وَالْقَوْمُ وَإِنْ كَانَ لَهُمْ ذِكَاؤٌ وَفِطْنَةٌ؛ وَفِيهِمْ زُهْدٌ

وَأَخْلَاقٌ - فَهَذَا الْقَدْرُ لَا يُوجِبُ السَّعَادَةَ وَالنَّجَاةَ مِنَ الْعَذَابِ إِلَّا بِالْأُصُولِ الْمُتَقَدِّمَةِ: مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ وَإِخْلَاصِ عِبَادَتِهِ؛ وَالْإِيمَانِ بِرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَأِنَّمَا قُوَّةُ الذِّكَاةِ بِمَنْزِلَةِ قُوَّةِ الْبَدَنِ وَقُوَّةِ الْإِرَادَةِ، فَالَّذِي يُؤْتَى فَضَائِلَ عِلْمِيَّةً وَإِرَادِيَّةً بِدُونِ هَذِهِ الْأُصُولِ يَكُونُ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يُؤْتَى قُوَّةً فِي جِسْمِهِ وَبَدَنِهِ بِدُونِ هَذِهِ الْأُصُولِ، وَأَهْلُ الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ بِمَنْزِلَةِ أَهْلِ الْمُلْكِ وَالْإِمَارَةِ.

وَكُلُّ مَنْ هُوَ لَآءٍ وَهُوَ لَآءٍ لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ وَيُؤْمِنَ بِرُسُلِهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَهَذِهِ الْأُمُورُ مُتَلَازِمَةٌ، فَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَزِمَ أَنْ يُؤْمِنَ بِرُسُلِهِ وَيُؤْمِنَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ فَيَسْتَحِقَّ الثَّوَابَ وَإِلَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْوَعِيدِ وَلَا يُخْلَدُ عَلَيْهِ الْعَذَابُ هَذَا إِذَا قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ بِالرُّسُلِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

هنا في خلط في .. يبدو أن لي أن هناك خلط في الاختيار؛ لاحظ الهامش، "كذا في الأصل، وفي الطرة في نسخة: (وَيُخْلَدُ عَلَيْهِ الْعَذَابُ) هكذا بدون اللام، يبدو لي أن هذا هو الصحيح بدون اللام، "ولا يُخْلَدُ" الصحيح بدون اللام، (وَيُخْلَدُ عَلَيْهِ الْعَذَابُ)

طبعاً هنا في نسخة أخرى هَذَا إِذَا قَامَتْ؛ إِذَا هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ مَعَ التَّصْوِيبِ السَّابِقِ، فَكَيْفَ يَكُونُ؟ الْعِبَارَةُ تَكُونُ هَكَذَا: (وَلَا يُخْلَدُ عَلَيْهِ الْعَذَابُ هَذَا إِذَا قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ بِالرُّسُلِ)، تَمَامٌ؟ هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، وَإِلَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْوَعِيدِ وَلَا يُخْلَدُ عَلَيْهِ الْعَذَابُ إِلَّا إِذَا قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ " مَا يَسْتَقِيمُ! بِالْاِخْتِيَارِ السَّابِقِ يَسْتَقِيمُ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَمَّا كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْمُلْكِ وَالْعِلْمِ قَدْ يُعَارِضُونَ الرُّسُلَ وَقَدْ يُتَابِعُونَ نُهُمَ؛ ذَكَرَ اللهُ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، فَذَكَرَ فِرْعَوْنَ؛ وَالَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ لَمَّا آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْمَلَائِكَةَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ الْمُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ.

وَذَكَرَ قَوْلَ عُلَمَائِهِمْ كَقَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّهْ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ [غافر: ٤] - إِلَى قَوْلِهِ -: ﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥]، - إِلَى قَوْلِهِ -: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

وَالسُّلْطَانُ: هُوَ الْوَحْيُ الْمُنَزَّلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ كَقَوْلِهِ: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهَوْ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [النجم: ٢٣].
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ "كُلُّ سُلْطَانٍ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ الْحُجَّةُ" ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، وَقَدْ ذَكَرَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ "سُورَةَ حَمِّ غَافِرٍ"، مِنْ حَالِ مُخَالِفِي الرُّسُلِ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْعُلَمَاءِ مِثْلَ مَقُولِ الْفَلَسَفَةِ وَعُلَمَائِهِمْ وَمُجَادِلَتِهِمْ وَاسْتِكْبَارِهِمْ مَا فِيهِ عِبْرَةٌ: مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦].

وَمِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنِّي يُصْرَفُونَ (٦٩) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧٢] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥].

وَحَتَمَ السُّورَةَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣].
 وَكَذَلِكَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَالْأَعْرَافِ وَعَامَّةِ السُّورِ الْمَكِّيَّةِ وَطَائِفَةٍ مِنَ السُّورِ الْمَدَنِيَّةِ؛ فَإِنَّهَا تَشْتَمِلُ
 عَلَى خِطَابٍ هَوْلًا وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ وَالْمَقَائِيسِ لَهُمْ وَذِكْرِ قِصَصِهِمْ وَقِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ مَعَهُمْ).
 فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ
 سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
 يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

فَأَخْبَرَ بِمَا مَكَّنَّهُمْ فِيهِ مِنْ أَصْنَافِ الْإِدْرَاكَاتِ وَالْحَرَكَاتِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُعْنِ عَنْهُمْ حَيْثُ جَحَدُوا
 بِآيَاتِ اللَّهِ، وَهِيَ الرَّسَالَةُ الَّتِي بَعَثَ بِهَا رُسُلَهُ؛ وَلِهَذَا حَدَّثَنِي ابْنُ الشَّيْخِ الْحَصِيرِيِّ عَنِ الْبَدْرِ الشَّيْخِ
 الْحَصِيرِيِّ - شَيْخِ الْحَنْفِيَّةِ فِي زَمَانِهِ - قَالَ: كَانَ فُقَهَاءُ بَخَارَى يَقُولُونَ فِي ابْنِ سِينَا: كَانَ كَافِرًا ذَكِيًّا.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

ابن سينا بخاري من بخارى هو، وكان هناك دهرًا ثم انتقل إلى خراسان، نعم.

أَقَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ
 قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [الروم: ٩]، وَالْقُوَّةُ تَعُمُّ قُوَّةَ الْإِدْرَاكِ النَّظْرِيَّةِ وَقُوَّةَ الْحَرَكَةِ الْعَمَلِيَّةِ.
 وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [غافر: ٢١]، فَأَخْبَرَ بِفَضْلِهِمْ فِي
 الْكَمِّ وَالْكَيفِ وَأَنَّ هُمْ أَشَدَّ فِي أَنْفُسِهِمْ وَفِي آثَارِهِمْ فِي الْأَرْضِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ﴾ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
 يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [غافر: ٨٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٦]، إِلَى قَوْلِهِ -: ﴿اللَّهُ
 يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ [الروم: ١١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ
 يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: ٥]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦].

وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ عَنْ أَتْبَاعِ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ مِنْ أَهْلِ الْمُلْكِ وَالْعِلْمِ الْمُخَالِفِينَ لِلرُّسُلِ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ
وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [الأحزاب: ٦٦] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَالْعَنَتُهُمْ لَعْنًا
كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ [غافر: ٤٧] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٨]،
وَمِثْلُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ يُذَكِّرُ فِيهِ مِنْ أَقْوَالِ أَعْدَاءِ الرُّسُلِ وَأَفْعَالِهِمْ وَمَا أُوتُوهُ مِنْ قُوَى الإِذْرَاكَاتِ
وَالْحَرَكَاتِ الَّتِي لَمْ تَنْفَعُهُمْ؛ لَمَّا خَالَفُوا الرُّسُلَ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

يعني كل هذا ذكره شيخ الإسلام للإجابة على ما يقال: أن هؤلاء الأذكياء بعيد عنهم أن يكونوا بهذه
المثابة من الضلال لذلك يذكر شيخ الإسلام هذه النصوص التي تدل على أن وجود هذه القوى ليس
دليلاً على الإصابة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْمُتَتَسِّبِينَ إِلَى أَتْبَاعِ الرُّسُلِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْعِبَادِ وَالْمُلُوكِ مِنَ النَّفَاقِ
وَالضَّلَالِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ
وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]، ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

وَيَصُدُّونَ: يعني وقف مع هذه اللفظة، وَيَصُدُّونَ: هذه اللفظة تُستعمل لازماً وتستعمل أيضاً متعدية،

نعم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

يُسْتَعْمَلُ لِأَزْمًا يُقَالُ: صَدَّ صُدُودًا أَيْ أَعْرَضَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١]، وَيُقَالُ: صَدَّ غَيْرُهُ يَصُدُّهُ وَالْوَصْفَانِ يَجْتَمِعَانِ فِيهِمْ.

وَمِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مِثْلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مِثْلُ الْأُتْرَجَةِ: طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَمِثْلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مِثْلُ التَّمْرَةِ: طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا وَمِثْلُ الْمُنافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مِثْلُ الرَّيْحَانَةِ: رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ وَمِثْلُ الْمُنافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مِثْلُ الْحَنْظَلَةِ: طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحَ لَهَا» فَبَيَّنَ أَنَّ فِي الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ: مُؤْمِنِينَ وَمُنافِقِينَ.

(فَصْلٌ):

(وَهَذَا الْمَقَامُ لَا أَدْكُرُ فِيهِ مَوَارِدَ النَّزَاعِ فَيُقَالُ: هُوَ الْإِسْتِدْلَالُ عَلَى الْمُخْتَلِفِ بِالْمُخْتَلِفِ؛ لَكِنْ أَنَا

أَصِفُ جِنْسَ كَلَامِهِمْ فَأَقُولُ

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللهُ:

مِنْ هُنَا بَدَأَ يَنْقُدُ الْمَنْطِقَ فِي حُدُودِهِ؛ ثُمَّ سَيَّأَتْ نَقْدُهُ لِلْأَقْسَى، تَوْسِعُ فِي نَقْدِهِ لِلْحُدُودِ لِأَنَّهَا هِيَ الْمَدْخَلُ عَلَى مَا تَصِلُ إِلَى التَّصَوُّرَاتِ لِأَنَّ تَمَرًا مِنَ الْحُدُودِ، الطَّرْفَانِ فِي الْقَضِيَّةِ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُثَبِّتَ شَيْئًا لِشَيْءٍ لِأَنَّكَ أَنْ تَعْرِفَ الشَّيْئَيْنِ أَوَّلًا.

أَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُثَبِّتَ حُكْمًا لِشَيْءٍ لِأَنَّكَ تَعْرِفُ هَذَا وَهَذَا أَوَّلًا، ثُمَّ بَعْدَ أَنْ تَتَصَوَّرَ هَذَيْنِ تُثَبِّتَ لِهَؤُلَاءِ أَوْ تُثَبِّتَ لَهُ حُكْمًا وَبِالتَّالِي: الْمَدْخَلُ هِيَ الْحُدُودُ، إِلَى هُنَا كَانَ النَّقْدُ عَامًّا لِهَذَا الْمِيزَانِ تَزْنُونَ بِهِ مَاذَا؟ عَرَفْنَا أَنَّ أَهْمَ مَا نُرِيدُهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُوزَنَ بِهِ وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ وَازْنَهُ أَرْسَطُو وَأَصْحَابُهُ وَتَلَامِيذُهُ وَتَبَعُوهُ إِلَى الْآنِ.

مِنْ هُنَا سَيُنْقَدُ - كَمَا قُلْتُ - الْحُدُودُ، وَلَا نَنْسَى دَعْوَاهُمْ أَنَّ الْمَعْرِفَةَ مَحْصُورَةٌ فِي الْمَنْطِقِ بِحُدُودِهِ

وبتصديقاته.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

لَا رَيْبَ أَنَّ كَلَامَهُمْ كُلَّهُ مُنْحَصِرٌ فِي الْحُدُودِ الَّتِي تُفِيدُ التَّصَوُّرَاتِ سِوَاءَ كَانَتْ الْحُدُودُ حَقِيقِيَّةً أَوْ رَسْمِيَّةً أَوْ لَفْظِيَّةً، وَفِي الْأَقْيَسَةِ الَّتِي تُفِيدُ التَّصَدِيقَاتِ سِوَاءَ كَانَتْ أَقْيَسَةً عُمُومٍ وَشُمُولٍ أَوْ شَبَهٍ وَتَمَثِيلٍ أَوْ اسْتِقْرَاءٍ وَتَتَبُعٍ.

وَكَأَلَمُهمْ غَالِبُهُ لَا يَخْلُو مِنْ تَكَلُّفٍ: إِمَّا فِي الْعِلْمِ وَإِمَّا فِي الْقَوْلِ، فَإِمَّا أَنْ يَتَكَلَّفُوا عِلْمَ مَا لَا يَعْلَمُونَهُ: فَيَتَكَلَّمُونَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، أَوْ يَكُونُ الشَّيْءُ مَعْلُومًا لَهُمْ فَيَتَكَلَّفُونَ مِنْ بَيَانِهِ مَا هُوَ زِيَادَةٌ وَحَشْوٌ وَعَنَاءٌ وَنَطْوِيلٌ طَرِيقٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يقول: (وَهَذَا الْمَقَامُ لَا أَذْكَرُ فِيهِ مَوَارِدَ النَّزَاعِ فَيُقَالُ: هُوَ الْإِسْتِدْلَالُ عَلَى الْمُخْتَلَفِ بِالْمُخْتَلَفِ) يقول: أنا ولكن أصفُ جنس كلامهم، لن أستدل عليكم بعلوم الإسلام حتى لا تقولوا: استدلتُ بالمُختلف لرد المُختلف لإبطال المُختلف.

ولكن سأصفُ كلامكم أنتم، وهذا الوصف سيبين أن كلامكم باطل وليس الأمر كما تزعمون لا ريب أن كلامهم كُلُّه منحصرٌ في الحدود التي تُفيدُ التصورات، وفي الأقيسة التي تُفيدُ التصديقات:

↳ الحدود: سواءً كانت حَقِيقِيَّةً أَوْ رَسْمِيَّةً أَوْ لَفْظِيَّةً.

↳ والأقيسة: سواءً كانت أَقْيَسَةً عُمُومٍ وَشُمُولٍ، أَوْ شَبَهٍ وَتَمَثِيلٍ، أَوْ اسْتِقْرَاءٍ وَتَتَبُعٍ.

أقيسة عموم وشمول فيها انتقال من العام إلى الخاص.

شُبُهَة وَتَمَثِيلٍ: فِيهَا انْتِقَالٌ مِنَ الشُّبُهَةِ إِلَى الشُّبُهَةِ.

وَاسْتِقْرَاءٍ وَتَتَبُعٍ: فِيهَا انْتِقَالٌ مِنَ الْجَزْئِيِّ إِلَى الْكُلِّيِّ.

أما بالنسبة للحدود الحقيقية والرسمية واللفظية: إذا جلسنا نعرفها بالتفصيل سنجلس أسبوعاً آخر،

لذلك أكتفي بالإشارة إلى معاهد ما يذكرونه.

الحد عندهم أقسام:

- الحدُّ التام.

- الحدُّ الناقص؛ كلاهما حد.

- والرسم التام.

- والرسمُ الناقص. إذاً هي أربعة:

الحد التام: يحصلُ بالتَّعريف بالجنس والفصل القريبين مثل: (الإنسانُ حيوانٌ ناطقٌ)؛ هذا المسكين

ستُلاحقه الحيوانية إلى الأخير، فهذا الحد التام لأنه بالجنس والفصل القريبين، وكلُّما ابتعدتْ هذه

المُعرِّفات كان من هذا أبعد.

أبعد منه الحد الناقص.

أبعد منه الرسم التام.

أبعد منه الرسم الناقص.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَلَامُهُمْ غَالِبُهُ لَا يَخْلُو مِنْ تَكْلُفٍ. وَكَلَامُهُمْ غَالِبُهُ لَا يَخْلُو مِنْ تَكْلُفٍ: إِمَّا فِي الْعِلْمِ وَإِمَّا فِي الْقَوْلِ
فَإِمَّا أَنْ يَتَكَلَّفُوا عِلْمَ مَا لَا يَعْلَمُونَهُ: فَيَتَكَلَّمُونَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، أَوْ يَكُونُ الشَّيْءُ مَعْلُومًا لَهُمْ فَيَتَكَلَّفُونَ مِنْ بَيَانِهِ مَا
هُوَ زِيَادَةٌ وَحَشْوٌ وَعَنَاءٌ وَتَطْوِيلٌ طَرِيقٌ.

وَهَذَا مِنَ الْمُنْكَرِ الْمَذْمُومِ فِي الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]، وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَلِمَ عِلْمًا فَلْيَقُلْ بِهِ وَمَنْ
لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: لَا أَعْلَمُ فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِمَا لَا يَعْلَمُ: لَا أَعْلَمُ».

وَقَدْ ذَمَّ اللهُ الْقَوْلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ فِي كِتَابِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، لَا
سِيَّمًا الْقَوْلَ عَلَى اللهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ
الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وَكَذَلِكَ ذَمَّ الْكَلَامَ الْكَثِيرَ الَّذِي لَا فَائِدَةَ فِيهِ، وَأَمَرَ بِأَنْ نَقُولَ الْقَوْلَ السَّدِيدَ وَالْقَوْلَ الْبَلِيغَ، وَهَؤُلَاءِ
كَلَامُهُمْ فِي الْحُدُودِ غَالِبُهُ مِنَ الْكَلَامِ الْكَثِيرِ الَّذِي لَا فَائِدَةَ فِيهِ؛ بَلْ قَدْ يَكْثُرُ كَلَامُهُمْ فِي الْأَقْسِيَّةِ وَالْحُجَجِ
كَثِيرٌ مِنْهُ كَذَلِكَ وَكَثِيرٌ مِنْهُ بَاطِلٌ وَهُوَ قَوْلٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَقَوْلٌ بِخِلَافِ الْحَقِّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللهُ:

هُنَا كَلِمَةٌ جَمِيلَةٌ نَقَلَهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ عَنِ الْغَزَالِيِّ يَصِفُ فِيهَا عِلْمَ الْفَلَسَفَةِ يَقُولُ: "عِلْمُهُمْ بَيْنَ
عِلْمٍ صَادِقٍ لَا مَنَفْعَةَ فِيهَا، وَبَيْنَ ظَنُونٍ كَاذِبٍ لَا ثِقَةَ فِيهَا، نَقَلَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي الرَّدِّ عَلَى الْمُنْطِقِيِّينَ،
تَلْخِيصٌ جَمِيلٌ: بَيْنَ عِلْمٍ صَادِقٍ لَا مَنَفْعَةَ فِيهَا، مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهَا، وَبَيْنَ ظَنُونٍ كَاذِبٍ لَا ثِقَةَ فِيهَا، وَلِمَاذَا مَعَ
هَذَا يُوْجِبُ الْمُنْطِقُ؟ طَبَعًا هَكَذَا الْبَاطِلُ، نَعَمْ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهُؤُلَاءِ كَلَامُهُمْ فِي الْحُدُودِ غَالِبُهُ مِنْ الْكَلَامِ الْكَثِيرِ الَّذِي لَا فَايِدَةَ فِيهِ، وَأَمَّا الْأَوَّلُ: فَإِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْحُدُودَ الَّتِي يَذْكُرُونَهَا يُفِيدُونَ بِهَا تَصَوُّرَ الْحَقَائِقِ وَأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَتِمُّ بِذِكْرِ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ الْمُشْتَرَكَةِ وَالْمُمَيِّزَةِ حَتَّى يَرْكَبَ الْحَدُّ مِنَ الْجِنْسِ الْمُشْتَرَكِ وَالْفَضْلِ الْمُمَيِّزِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طبعاً من الوجوه المهمة التي ينقد بها شيخ الإسلام الحدود المنطقية ما يذكرونه من الفرق بين الصفات الذاتية، وبين الصفات العرضية، وسيكرر هذا في وجوه.

الصفات الذاتية أيضاً سيأتي تعريف شيخ الإسلام لها، نُشير إليها باختصار، **الصفات الذاتية**: هي

الداخلة في الماهية، كيف تعرف أنها هي الداخلة في الماهية؟

لا يمكن أن تتصور الذات بدون هذه الصفات، هذا يدل على أنها داخلة في الماهية.

الذاتية أيضاً قسمان، والعرضية أيضاً قسمان.

الصفات العرضية: ما يمكن تصور الذات بدونها، وسيأتي النقد شيخ الإسلام بالتفصيل في هذا

التفريع، كيف نعرف الصفات الذاتية من الصفات العرضية؟ تحكّم في تحكّم.

أيضاً قولهم: (الصفات الذاتية: هي الداخلة في الماهية)، ماهية كل شيء لا تُعرف إلا بأمرين، والحد

الأرسطي لا يتم إلا بهذين الأمرين:

الوجود.

والماهية.

والماهية: لا بد أن تعرف فيها المادة والصورة لكل شيء، والمادة والصورة: لن تعرف الصورة إلا

بمعرفة المادة، والمادة لن تعرفها إلا بمعرفة الصورة، أين الحقيقة؟ الهولي: يسمون المادة الهولي.

الهولي ليس لها وجود مستقل، إنما تُعرف بمعرفة الصورة، والصورة لا تُعرف إلا بمعرفة الهولي،

ويُمثلون بمثل هذا مثلاً، بالسرير، وكذا، الخشب: هو الهولي، والصورة هذه هي الصورة تمثيل جيد،

ولكن هذا لا ينطبق على ما يقولون، لأن الصورة عندهم لا تُعرف إلا، ليس لها وجود مُستقل هنا الصورة وجودها مُستقل حتى ولو نسيت الخشب الذي... الصورة الأولى الهيئة الأولى لها وجود مُستقل.

والهيولى: أيضًا هنا لها وجود، عنده هيولاه لا يُعرف إلا بالصورة، والصورة لا تُعرف إلا "الهيولى"، شفت الدورة هذا؟ إذا أين الحقيقة؟ الحقيقة ضائعة بين هذين: بين الصورة وبين هذه المُصطلحات الفارغة.

إذا الجنس والفصل؛ سيأتي تعرف شيخ الإسلام لها، هو لما يُعرف يُسهل، أما إذا تعثر علينا شيء؛ فأنا عندي كُتب أتيت بها.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ يَقُولُونَ: إِنَّ التَّصَوُّرَاتِ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِالْحُدُودِ، وَيَقُولُونَ: الْحُدُودُ الْمُرَكَّبَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلْأَنْوَاعِ الْمُرَكَّبَةِ مِنَ الْجِنْسِ وَالْفَضْلِ دُونَ الْأَنْوَاعِ الْبَسِيطَةِ.

وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ مُلَخَّصَ الْمَنْطِقِ وَمَضْمُونَهُ وَأَشْرْتُ إِلَى بَعْضِ مَا دَخَلَ بِهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ مِنَ الْخَطَا وَالضَّلَالِ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ بَسْطِ ذَلِكَ لَكِنْ نَذَكُرُ هُنَا وَجُوهًا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

شيء من هذا ذكره في الرد على المنطقيين قبل أن يبدأ الرد يلخص أولاً، وتلخيصه إذا أردت أسهل ما يمكن هو تلخيص شيخ الإسلام.

طبعا من هنا بدأ الرد إلى صفحة ثلاثمائة وثمانية وعشرين، إلى هناك نقد الحدود، نعم الأول.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: قَوْلُهُمْ: إِنَّ التَّصَوُّرَ الَّذِي لَيْسَ بِبَدِيهِيٍّ لَا يُتَأَلَّ إِلَّا بِالْحَدِّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هكذا يقولون: (التَّصَوُّرَ الَّذِي لَيْسَ بِبَدِيهِيٍّ)، طبعا التصور البديهي ما يحتاج أن تستدل له، أو تحده،

(الَّذِي لَيْسَ بِبَدِيهِيٍّ لَا يُتَأَلَّ إِلَّا بِالْحَدِّ) ركزوا على هذا:

إذا قال: (التَّصَوُّرُ الَّذِي لَيْسَ بِبِدِيهِيٍّ) قد يُنال بالحد ما في إشكال، قد يُنال بالحد.

أو إذا قال: (التَّصَوُّرُ الَّذِي لَيْسَ بِبِدِيهِيٍّ) من طُرُق نيّله: الحدود المنطقية ما في إشكال.

ولكن: (لا يُنالُ إِلَّا بِالْحَدِّ) هذا الذي يجعلُ شَيْخُ الإِسْلَامِ ينقُد المنظومة كُلِّها.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

إِنَّ التَّصَوُّرَ الَّذِي لَيْسَ بِبِدِيهِيٍّ لَا يُنالُ إِلَّا بِالْحَدِّ بَاطِلٌ لِأَنَّ الْحَدَّ هُوَ قَوْلُ الْحَادِّ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

(قَوْلُ الْحَادِّ) الذي يُعرف الحد قول من يُعرف الحد قول من يُعرف قوله هو، مثلاً أنا أعرف هذا

بتعريف؛ غداً هذا التعريف قولي أنا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّ الْحَدَّ هُنَا هُوَ الْقَوْلُ الدَّالُّ عَلَى مَا هِيَ الْمَحْدُودُ؛ فَالْمَعْرِفَةُ بِالْحَدِّ لَا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ الْحَدِّ؛ فَإِنَّ الْحَادَّ الَّذِي ذَكَرَ الْحَدَّ إِنْ كَانَ عَرَفَ الْمَحْدُودَ بِغَيْرِ حَدٍّ بَطَلَ قَوْلُهُمْ: لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِالْحَدِّ وَإِنْ كَانَ عَرَفَهُ بِحَدٍّ آخَرَ فَالْقَوْلُ فِيهِ كَالْقَوْلِ فِي الْأَوَّلِ، فَإِنْ كَانَ هَذَا الْحَادُّ عَرَفَهُ بَعْدَ الْحَدِّ الْأَوَّلِ لَزِمَ الدَّوْرُ وَإِنْ كَانَ تَأَخَّرَ لَزِمَ التَّسْلُسُ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

أولاً: أنا لما كُنتُ أعرف كيف عرفته؟ عرفته لما عرّف الإنسان كيف عرّفه؟ عرّفه بعدما عرفه، أليس

كذلك؟

أولاً: عرّفه، ثم عرّفه، أليس كذلك؟ إذا كيف عرّفه لما عرّفه؟ يقول: (فَإِنَّ الْحَدَّ هُنَا هُوَ الْقَوْلُ الدَّالُّ

عَلَى مَا هِيَ الْمَحْدُودُ؛ فَالْمَعْرِفَةُ بِالْحَدِّ لَا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ الْحَدِّ)، على زعمه (فَإِنَّ الْحَادَّ الَّذِي ذَكَرَ الْحَدَّ، إِنْ

كَانَ عَرَفَ الْمَحْدُودَ بِغَيْرِ حَدٍّ بَطَلَ قَوْلُهُمْ: "لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِالْحَدِّ، وَإِنْ كَانَ عَرَفَهُ بِحَدٍّ آخَرَ فَالْقَوْلُ فِيهِ

كَالْقَوْلِ فِي الْأَوَّلِ).

(الإِنْسَانُ حَيَوَانٌ نَاطِقٌ) هذا التعريف يحتاج إلى أن تُعرّف الإنسان، وتُعرف أيضاً الحيوان، والناطق.

التعريف الذي ستعرف به هذا كيف عرفته؟ يحتاج إلى تعريف آخر، هناك التعريف كيف عرفته؟
يحتاج إلى تعريف آخر؟

أما إذا قلت: هذا الحد عرفته به ولم أعرفه بالحد هنا قد نقدت دعواك، لا يُنال وقد نلت أنت لأنه لم
يُحده إلا بعد نبيله لعلمه.

أو يعني هو أنت لما تقرأ، هم سبحانه الله يستجهلون الناس، المنطق يقول لك: انتظر كلمتي في كل
شيء؛ أما أن تعترض وتقول: كيف عرفت؟! لا، كأنه نبي من الأنبياء، طيب أنت عرف بدون وتستنكر
علينا أن نعرف بدون حدودك؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّهُمْ إِلَى الْآنَ لَمْ يَسْلَمْ لَهُمْ حَدُّ لَشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا مَا يَدَّعِيهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

سبحان الله، شوف التعميم هذا (إِلَى الْآنَ لَمْ يَسْلَمْ لَهُمْ حَدُّ لَشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

**أَنَّهُمْ إِلَى الْآنَ لَمْ يَسْلَمْ لَهُمْ حَدُّ لَشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا مَا يَدَّعِيهِ بَعْضُهُمْ وَيُنَازِعُهُ فِيهِ آخَرُونَ، فَإِنْ كَانَتْ
الْأُصُولُ لَا تُتَّصَرُّو.**

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

حتى الإنسان تعريف الإنسان أكثر من ثمانين تعريف احسنها هذا التعريف الذي يقولون: هو
بالجنس والفصل القريبين، (الإنسان حَيَوَانٌ نَاطِقٌ)، هو ليس جامع مانع، الجن: أحياء وينطقون،
والملائكة: أحياء وينطقون، إذا أين ما تقوله من أن لا بد أن يكون جامعاً مانعاً؟!!

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنْ كَانَتْ الْأُصُولُ لَا تُتَّصَرُّوْهُ إِلَّا بِالْحُدُودِ؛ لَزِمَ أَلَّا يَكُوْنَ إِلَى الْآنَ أَحَدٌ عَرَفَ شَيْئًا مِنَ الْأُمُورِ وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ يَنْتَظِرُ صِحَّتَهُ، لِأَنَّ الَّذِي يَذْكُرُهُ يَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَةٍ بِغَيْرِ حَدٍّ وَهِيَ مُتَعَدِّدَةٌ فَلَا يَكُوْنُ لِبَنِي آدَمَ شَيْءٌ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَهَذِهِ سَفْسَطَةٌ وَمُغَالَطَةٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أولاً: لزم أن لا يكون إلى الآن أحد عرف شيئاً من الأمور لأننا لم نتفق على حد معين إلى الآن؛ إذا قد يقول قائل: بشر بالخير في المستقبل، يقول: حتى هذا لا يمكن لماذا؟ ولم يبق أحد ينتظر صحته لماذا؟ لأن الذي يذكره يحتاج إلى معرفة غير حق، لن الذي سيذكره لا بد أن يذكره بغير حد، حتى يمكن لصحته، حتى يحكم بصحته أو خطأه، وهي متعذرة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الْوَجْهُ الثَّلَاثُ: أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ بِالْحُدُودِ طَائِفَةٌ قَلِيلَةٌ فِي بَنِي آدَمَ لَا سِيَّمَا الصَّنَاعَةَ الْمُنْطِقِيَّةَ، فَإِنَّ وَاضِعَهَا هُوَ أَرِسْطُو وَسَلَكَ خَلْفَهُ فِيهَا طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ عُلُومَ بَنِي آدَمَ -عَامَّتِهِمْ وَخَاصَّتِهِمْ- حَاصِلَةٌ بِدُونِ ذَلِكَ، فَبَطَلَ قَوْلُهُمْ "إِنَّ الْمَعْرِفَةَ مُتَوَقِّفَةٌ عَلَيْهَا".

أَمَّا الْأَنْبِيَاءُ فَلَا رَيْبَ فِي اسْتِغْنَائِهِمْ عَنْهَا وَكَذَلِكَ أَتْبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْعَامَّةِ، فَإِنَّ الْقُرُونَ الثَّلَاثَةَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ -الَّذِينَ كَانُوا أَعْلَمَ بَنِي آدَمَ عُلُومًا وَمَعَارِفَ- لَمْ يَكُنْ تَكْلُفُ هَذِهِ الْحُدُودِ مِنْ عَادَتِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَتَبَدَّعُوا وَلَمْ تَكُنْ الْكُتُبُ الْأَعْجَمِيَّةُ الرَّومِيَّةُ عَرَبَتْ لَهُمْ، وَإِنَّمَا حَدَّثَتْ بَعْدَهُمْ مِنْ مُبْتَدَعَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَالْفَلَّاسِفَةِ وَمِنْ حِينِ حَدَّثَتْ صَارَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْإِخْتِلَافِ وَالْجَهْلِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ.

وَكَذَلِكَ عِلْمُ (الطَّبِّ) وَ (الْحِسَابِ) وَغَيْرِ ذَلِكَ لَا تَجِدُ أُمَّةً هَذِهِ الْعُلُومَ يَتَكَلَّفُونَ هَذِهِ الْحُدُودَ الْمُرَكَّبَةَ مِنَ الْجِنْسِ وَالْفَضْلِ إِلَّا مَنْ خَلَطَ ذَلِكَ بِصِنَاعَتِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْمُنْطِقِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

نعم، واضح هذا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ «النَّحَاةُ» مِثْلُ سَيَّبِيهِ الَّذِي لَيْسَ فِي الْعَالَمِ مِثْلُ كِتَابِهِ وَفِيهِ حِكْمَةٌ لِسَانَ الْعَرَبِ: لَمْ يَتَكَلَّفْ

فِيهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللهُ:

طَبَعًا شَيْخُ الْإِسْلَامِ يُثْنِي عَلَيْهِ كَثِيرًا، أَمَا مَا حَصَلَ فِي قِصَّتِهِ مَعَ أَبِي حِيَانَ، أَنَّ تَكَلَّمَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ بِشِيءٍ، فَأَبُو حِيَانَ قَالَ لَهُ: يُخَالِفُكَ سَيَّبِيهِ، قَالَ لَهُ: سَيَّبِيهِ أَخْطَأُ فِي أَكْثَرِ مِنْ ثَمَانِينَ مَوْضِعًا، فَلَيْسَ فِيهَا ذِمٌّ لِسَيَّبِيهِ! يَعْنِي إِذَا كَانَ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِينَ مَوْضِعًا إِذَا فَعَلًا عِنْدَهُ، إِذَا كَانَتْ رُذِّتْ أَخْطَاؤُهُ فِي هَذَا إِذَا فَعَلًا فَعَلًا هُوَ عِبْقَرِي وَهُوَ كَذَلِكَ، هُوَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ يَذْكَرُ أَنَّ قِيَمَةَ سَيَّبِيهِ لَنْ تَعْرِفَهُ إِلَّا بَعْدَ قِرَاءَةِ كِتَابِهِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَفِيهِ حِكْمَةٌ لِسَانَ الْعَرَبِ: لَمْ يَتَكَلَّفْ فِيهِ حَدَّ الْأِسْمِ وَالْفَاعِلِ وَنَحْوِ ذَلِكَ كَمَا فَعَلَ غَيْرُهُ، وَلَمَّا تَكَلَّفَ النَّحَاةُ حَدَّ الْأِسْمِ ذَكَرُوا حُدُودًا كَثِيرَةً كُلُّهَا مَطْعُونٌ فِيهَا عِنْدَهُمْ، وَكَذَلِكَ مَا تَكَلَّفَ مُتَأَخَّرُوهُمْ مِنْ حَدِّ الْفَاعِلِ وَالْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ لَمْ يَدْخُلْ فِيهَا عِنْدَهُمْ مَنْ هُوَ إِمَامٌ فِي الصَّنَاعَةِ وَلَا حَادِقٌ فِيهَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللهُ:

يَعْنِي يُشْغَلُهُمْ هَذَا الشَّيْءُ: الْحَدَّ لَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ مُخْتَصِرًا، وَلَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ جَامِعًا مَانِعًا، فَهَذَا يُعْرِفُ ثُمَّ هَذَا يَعْتَرِضُ عَلَيْهِ، يَا أَخِي أَذْكَرُ التَّعْرِيفَ وَلَوْ سَطْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ، وَفُكْنَا مِنْ هَذِهِ طَوَّلَ شُوبِهِ، وَأَعْطِنِ الْخُلَاصَةَ، وَهَذِهِ الِاعْتِرَاضَاتُ هَذِهِ الَّتِي فَكَّنِي مِنْهَا، هَكَذَا فِي غَالِبِ الْحُدُودِ، نَعَمْ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ الْحُدُودُ الَّتِي يَتَكَلَّفُهَا بَعْضُ الْفُقَهَاءِ لِلطَّهَارَةِ وَالنَّجَاسَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي الْأَسْمَاءِ

الْمُتَدَاوِلَةِ بَيْنَهُمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللهُ:

لَأَنَّ هِيَ نَظَرِيَّتُنَا فِي الْحُدُودِ هِيَ لِلتَّقْرِيبِ، وَلَيْسَ كَمَا يَقُولُ أَرِسْطُو: أَنَّ هُنَاكَ مَا هِيَ، لَا بَدَأَ أَنْ تَعْرِفَهَا

عن طريق لا هي من باب التقريب.

قال المصنف رحمه الله:

وَكَذَلِكَ الْحُدُودُ الَّتِي يَتَكَلَّفُهَا النَّاطِرُونَ فِي أَصُولِ الْفِقْهِ لِمِثْلِ الْخَبْرِ وَالْقِيَّاسِ وَالْعِلْمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ لَمْ يَدْخُلْ فِيهَا إِلَّا مَنْ لَيْسَ بِإِمَامٍ فِي الْفَنِّ، وَإِلَى السَّاعَةِ لَمْ يَسَلَمْ لَهُمْ حَدٌّ، وَكَذَلِكَ حُدُودُ أَهْلِ الْكَلَامِ. فَإِذَا كَانَ حُذَّاقُ بَنِي آدَمَ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنَ الْعِلْمِ أَحْكَمُوهُ بِدُونِ هَذِهِ الْحُدُودِ الْمُتَكَلَّفَةِ: بَطَلَ دَعْوَى تَوْقِفِ الْمَعْرِفَةِ عَلَيْهَا، وَأَمَّا عُلُومُ بَنِي آدَمَ الَّذِينَ لَا يُصَنَّفُونَ الْكُتُبَ: فَهِيَ مِمَّا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ وَلَهُمْ مِنَ الْبَصَائِرِ وَالْمُكَاشَفَاتِ وَالتَّحْقِيقِ وَالْمَعَارِفِ مَا لَيْسَ لِأَهْلِ هَذِهِ الْحُدُودِ الْمُتَكَلَّفَةِ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَعْرِفَةُ الْأَشْيَاءِ وَقَفًّا عَلَيْهَا؟.

الْوَجْهُ الرَّابِعُ: أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِابْنِ آدَمَ مِنَ الْحِسِّ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ مَا يُحْسُ بِهِ الْأَشْيَاءَ وَيَعْرِفُهَا؛ فَيَعْرِفُ بِسَمْعِهِ وَبَبْصَرِهِ وَشَمِّهِ وَذَوْقِهِ وَلَمْسِهِ الظَّاهِرِ مَا يَعْرِفُ وَيَعْرِفُ أَيْضًا بِمَا يَشْهَدُهُ وَيُحْسُهُ بِنَفْسِهِ وَقَلْبِهِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ فَهَذِهِ هِيَ الطَّرِيقُ الَّتِي تُعْرَفُ بِهَا الْأَشْيَاءُ.

قال الشارح وفقه الله:

طبعاً هذا الجانب يُرَكِّزُ عليه شَيْخُ الْإِسْلَامِ كما ذكرت لكم: أن الذي أشاد بهذا الجانب عند شَيْخِ الْإِسْلَامِ هو يكاد أن يكون من أعداء أعدائه على سامي النشار. على سامي النشار: أشاد بهذا الجانب عند شَيْخِ الْإِسْلَامِ، بل كان شَيْخُ الْإِسْلَامِ عُمْدَتُهُ فِي رِسَالَتِهِ أَظْنَهَا فِي الْمَاجِسْتِيرِ الَّتِي كَانَتْ عَنِ الْمَنْطِقِ، وَيَكْتُبُ فِيهَا: وَاكْتِشَافُ الْمَنْطِقِ التَّجْرِبِيِّ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ قَرِيبٌ مِنْ هَذَا.

فَشَيْخُ الْإِسْلَامِ يَقُولُ كَمَا ذَكَرْهُنَا: هَذِهِ الْحَوَاسِ تَعْرِفُ هِيَ مَصَادِرُ أَنْ تَعْرِفَ بِهَا الْعُلُومَ الْيَقِينِيَّةَ وَتَسْتَفِيدَ بِهَا، أَمَا أَنْكَ تَجْلِسُ تُرِيدُ أَنْ تَكْتَشِفَ تِلْكَ الْمَاهِيَّةَ عَنِ طَرِيقِ أَرْسَطُو؛ لَنْ تَصِلَ إِلَى... نَعَمْ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَأَمَّا الْكَلَامُ فَلَا يَتَصَوَّرُ أَنْ يُعْرَفَ بِمُجَرَّدِهِ مُفْرَدَاتِ الْأَشْيَاءِ إِلَّا بِقِيَاسِ تَمَثُّلٍ أَوْ تَرْكِيْبِ أَلْفَاظٍ وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ يُفِيدُ تَصَوُّرَ الْحَقِيقَةِ، فَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْحَقِيقَةَ: إِنْ تَصَوَّرَهَا بِبَاطِنِهِ أَوْ ظَاهِرِهِ اسْتَعْنَى عَنِ الْحَدِّ الْقَوْلِيِّ وَإِنْ لَمْ يَتَصَوَّرَهَا بِذَلِكَ اِمْتَنَعَ أَنْ يَتَصَوَّرَ حَقِيقَتَهَا بِالْحَدِّ الْقَوْلِيِّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

بِالْحَدِّ الْقَوْلِيِّ: شَخْصٌ يُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ الْقَلَمَ! أَقُولُ لَهُ: شُوفِ الْقَلَمَ شُوفِ. يَقُولُ: لَا، حُدِّهِ لِي، انظُرْ وَاكْتُبْ. لَا لَا لَا، حُدِّهِ لِي الْحَدَّ الْمُنْطَقِيَّ. هَذَا سَيَعْرِفُ؟! يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ هُنَا، يَقُولُ: (وَإِنْ لَمْ يَتَصَوَّرَهَا بِذَلِكَ اِمْتَنَعَ أَنْ يَتَصَوَّرَ حَقِيقَتَهَا بِالْحَدِّ الْقَوْلِيِّ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا أَمْرٌ مَحْسُوسٌ يَحِدُّهُ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّ مَنْ عَرَفَ الْمَحْسُوسَاتِ الْمَذُوقَةَ -مَثَلًا- كَالْعَسَلِ: لَمْ يُفِدْهُ الْحَدُّ تَصَوُّرَهَا، وَمَنْ لَمْ يَذُقْ ذَلِكَ كَمَنْ أُخْبِرَ عَنِ السُّكَّرِ -وَهُوَ لَمْ يَذُقْهُ- لَمْ يُمَكِّنْ أَنْ يَتَصَوَّرَ حَقِيقَتَهُ بِالْكَلَامِ وَالْحَدِّ بَلْ يُمَثِّلُ لَهُ وَيُقَرِّبُ إِلَيْهِ وَيَقَالُ لَهُ: طَعْمُهُ يُشْبِهُ كَذَا أَوْ يُشْبِهُ كَذَا وَكَذَا وَهَذَا التَّشْبِيهُ وَالتَّمَثُّلُ لَيْسَ هُوَ الْحَدُّ الَّذِي يَدْعُونَهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هَذَا هُوَ الضَّرْقُ بَيْنَ الْحَدِّ الْقَوْلِيِّ، وَبَيْنَ مَا تَعْرِفُهُ بِالْمُشَاهَدَةِ بِالْحَوَاسِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ الْمَحْسُوسَاتُ الْبَاطِنَةُ مِثْلُ الْغَضَبِ وَالْفَرَحِ وَالْحُزْنِ وَالْغَمِّ وَالْعِلْمِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مَنْ وَجَدَهَا فَقَدْ تَصَوَّرَهَا، وَمَنْ لَمْ يَجِدْهَا لَمْ يُمَكِّنْ أَنْ يَتَصَوَّرَهَا بِالْحَدِّ وَلِهَذَا لَا يَتَصَوَّرُ الْأَكْمَةَ الْأَلْوَانَ بِالْحَدِّ وَلَا الْعَيْنُ الْوِقَاعَ بِالْحَدِّ.

فَكَانَ الْقَائِلُ: بِأَنَّ الْحُدُودَ هِيَ الَّتِي تُفِيدُ تَصَوُّرَ الْحَقَائِقِ قَائِلٌ لِلْبَاطِلِ الْمَعْلُومِ بِالْحِسِّ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ. الْوَجْهُ الْخَامِسُ: أَنَّ الْحُدُودَ إِنَّمَا هِيَ أَقْوَالٌ كَلِمَةٌ كَقَوْلِنَا: «حَيَوَانٌ نَاطِقٌ»، وَلَفْظٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَنَحْوِ

ذَلِكَ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

في هذا، الوجه الخامس: أو الرابع يقول شَيْخُ الإِسْلَامِ كما ذكرت: أن التركيز على الحواس يُفيدُ أكثر، والمنطق لما تنظر إليه هو سببٌ لحجب المعرفة لأمرين:
 أولاً: يزعمُ أن ما تُشاهدهُ هو الوجود فقط، وهذا جانبٌ من الحد.
 وأن الجانب الأهم وهو الماهية سيكتشفُ لك عن طريق الحد الأرسطي.

وبالتالي: يهون من الموجودات وما عرفته بالمحسوسات، ويُخليك تنتظر ماذا؟ الوحي منهم حتى تعرف الماهية.

وبالتالي: حتى المعرفة الموجودة يُشكك فيها، تظلُّ إذا كنت تعتقدُ في المنطق، تظن أنك إلى الآن ما عرفت القلم؛ لأنك لم ترى إلا الوجود باقي الماهية، الحد لا بد أن يكون فيه: الماهية، والوجود، والماهية غير الوجود هكذا يقولون، نحن عندنا: الماهية هي الوجود.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

الْوَجْهُ الْخَامِسُ: أَنَّ الْحُدُودَ إِنَّمَا هِيَ أَقْوَالٌ كَلِّيَّةٌ كَقَوْلِنَا: حَيَوَانٌ نَاطِقٌ، وَلَفْظٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَتَصَوَّرُ مَعْنَاهَا لَا يَمْنَعُ مِنْ وُقُوعِ الشَّرِكَةِ فِيهَا وَإِنْ كَانَتْ الشَّرِكَةُ مُمْتَنِعَةً لِسَبَبٍ آخَرَ فَهِيَ إِذَنْ لَا تَدُلُّ عَلَى حَقِيقَةٍ مُعَيَّنَةٍ بِخُصُوصِهَا وَإِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى كُلِّيٍّ.

وَالْمَعَانِي الْكَلِّيَّةُ وَجُودُهَا فِي الدِّهْنِ لَا فِي الْخَارِجِ. فَمَا فِي الْخَارِجِ لَا يَتَعَيَّنُ وَلَا يُعْرَفُ بِمُجَرَّدِ الْحَدِّ وَمَا فِي الدِّهْنِ لَيْسَ هُوَ حَقَائِقُ الْأَشْيَاءِ، فَالْحَدُّ لَا يُفِيدُ تَصَوُّرَ حَقِيقَةٍ أَصْلًا.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

بخلاف الوسائل الأخرى كالمُشاهدة كما سبق في الوجه الذي قبله.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الْوَجْهُ السَّادِسُ: أَنَّ الْحَدَّ مِنْ بَابِ الْأَلْفَاظِ؛ وَاللَّفْظُ لَا يَدُلُّ الْمُسْتَمِعَ عَلَى مَعْنَاهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ تَصَوَّرَ مُفْرَدَاتِ اللَّفْظِ بِغَيْرِ اللَّفْظِ؛ لِأَنَّ اللَّفْظَ الْمُفْرَدَ لَا يَدُلُّ الْمُسْتَمِعَ عَلَى مَعْنَاهُ إِنْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّفْظَ مَوْضُوعٌ لِلْمَعْنَى وَلَا يُعْرَفُ ذَلِكَ حَتَّى يُعْرَفَ الْمَعْنَى، فَتَصَوُّرُ الْمَعَانِي الْمُفْرَدَةِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ سَابِقًا عَلَى فَهْمِ الْمُرَادِ بِالْأَلْفَاظِ؛ فَلَوْ اسْتَفِيدَ تَصَوُّرُهَا مِنَ الْأَلْفَاظِ لَزِمَ الدَّوْرُ، وَهَذَا أَمْرٌ مَحْسُوسٌ.

فَإِنَّ الْمُتَكَلَّمَ بِاللَّفْظِ الْمُفْرَدِ إِنْ لَمْ يَبَيِّنْ لِلْمُسْتَمِعِ مَعْنَاهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِحِسِّهِ أَوْ يَنْظُرَهُ وَإِلَّا لَمْ يَتَصَوَّرْ إِدْرَاكَهُ لَهُ بِقَوْلِ مُؤَلَّفٍ مِّنْ جِنْسٍ وَفَضْلٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

نرجع إلى هذا التعريف - (الإنسان حيوان ناطق)، ولا بد أن تعرف تتصور معنى (الحيوان)، ومعنى (الناطق)، أي حتى يتم الحد، وحتى تعرف الإنسان، أما إذا رجعت تعرف (الحيوان) باللفظ، وتعرف (الناطق) باللفظ؛ وهذا متوقف على التعريف، والتعريف متوقف على معنى معرفة المعنى؛ فهذا متوقف على هذان وهذا متوقف على هذا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الْوَجْهُ السَّابِعُ: أَنَّ الْحَدَّ هُوَ الْفَضْلُ وَالتَّمْيِيزُ بَيْنَ الْمَحْدُودِ وَغَيْرِهِ يُفِيدُ مَا تُفِيدُهُ الْأَسْمَاءُ مِنَ التَّمْيِيزِ وَالْفَضْلِ بَيْنَ الْمُسَمَّى وَبَيْنَ غَيْرِهِ؛ فَهَذَا لَا رَيْبَ فِي أَنَّهُ يُفِيدُ التَّمْيِيزَ، فَأَمَّا تَصَوُّرُ حَقِيقَةٍ فَلَا لِكِنَّهَا قَدْ تَفْصِلُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْإِسْمُ بِالْإِجْمَالِ وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ إِدْرَاكِ الْحَقِيقَةِ فِي شَيْءٍ، وَالشَّرْطُ فِي ذَلِكَ: أَنْ تَكُونَ الصِّفَاتُ ذَاتِيَّةً بَلْ هُوَ بِمَنْزِلَةِ التَّقْسِيمِ وَالتَّحْدِيدِ لِلْكُلِّ كَالْتَّقْسِيمِ لِجُزْئِيَّاتِهِ وَيُظْهِرُ ذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

شخصٌ مثلاً يُنادي يقول: يا مُحمد، بهذا حصل تمييز مُحمدٍ عن غيره، ولكن هل عرفت بهذا حقيقة مُحمد؟ هذا شيء آخر، يقول: بالحدود هذه قد يتميز المحدود عن غيره، أما أن تعرف حقيقته بهذه الحدود؟! لا، هي مثل الأسماء.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَيُظْهِرُ ذَلِكَ فِي الْوَجْهِ الثَّامِنِ: وَهُوَ أَنَّ الْحِسَّ الْبَاطِنَ وَالظَّاهِرَ يُفِيدُ تَصَوُّرَ الْحَقِيقَةِ تَصَوُّرًا مُطْلَقًا، أَمَّا عُمُومُهَا وَخُصُوصُهَا: فَهُوَ مِنْ حُكْمِ الْعَقْلِ، فَإِنَّ الْقَلْبَ يَعْقِلُ مَعْنَى مِنْ هَذَا الْمُعَيَّنِ وَمَعْنَى يُمَاثِلُهُ مِنْ هَذَا الْمُعَيَّنِ فَيَصِيرُ فِي الْقَلْبِ مَعْنَى عَامًّا مُشْتَرَكًا، وَذَلِكَ هُوَ عَقْلُهُ: أَيَّ عَقْلُهُ لِلْمَعَانِي الْكُلِّيَّةِ.

فَإِذَا عَقَلَ مَعْنَى الْحَيَوَانِيَّةِ الَّذِي يَكُونُ فِي هَذَا الْحَيَوَانِ وَهَذَا الْحَيَوَانِ وَمَعْنَى النَّاطِقِ الَّذِي يَكُونُ فِي هَذَا الْإِنْسَانِ وَهَذَا الْإِنْسَانِ وَهُوَ مُخْتَصٌّ بِهِ عَقْلٌ أَنْ فِي نَوْعِ الْإِنْسَانِ مَعْنَى يَكُونُ نَظِيرُهُ فِي الْحَيَوَانِ وَمَعْنَى لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ فِي الْحَيَوَانِ:

فَالأَوَّلُ: هُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: الْجِنْسُ.

الثَّانِي: الَّذِي يُقَالُ لَهُ: الْفَصْلُ وَهُمَا مَوْجُودَانِ فِي النَّوْعِ.

فَهَذَا حَقٌّ وَلَكِنْ لَمْ يَسْتَفِدْ مِنْ هَذَا اللَّفْظِ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ بِعَقْلِهِ مِنْ أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى عَامٌّ لِلْإِنْسَانِ وَلِغَيْرِهِ مِنْ الْحَيَوَانِ بِمَعْنَى أَنَّ مَا فِي هَذَا نَظِيرٌ مَا فِي هَذَا إِذْ لَيْسَ فِي الْأَعْيَانِ الْخَارِجَةِ عُمُومًا، وَهَذَا الْمَعْنَى يَخْتَصُّ بِالْإِنْسَانِ.

فَلَا فَرْقَ بَيْنَ قَوْلِكَ: الْإِنْسَانُ (حَيَوَانٌ نَاطِقٌ) وَقَوْلِكَ: الْإِنْسَانُ هُوَ الْحَيَوَانُ النَّاطِقُ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الْإِحَاطَةِ وَالْحَضْرِ فِي الثَّانِي لَا مِنْ جِهَةِ تَصْوِيرِ الْحَقِيقَةِ بِاللَّفْظِ وَالْإِحَاطَةِ، وَالْحَضْرُ هُوَ التَّمْيِيزُ الْحَاصِلُ بِمُجَرَّدِ الْإِسْمِ وَهُوَ قَوْلُكَ: إِنْسَانٌ وَبَشَرٌ.

فَإِنَّ هَذَا الْإِسْمَ إِذَا فُهِمَ مُسَمَّاهُ أَفَادَ مِنَ التَّمْيِيزِ مَا أَفَادَهُ الْحَيَوَانُ النَّاطِقُ فِي سَلَامَتِهِ عَنِ الْمَطَاعِنِ، وَأَمَّا تَصَوُّرُ أَنَّ فِيهِ مَعْنَى عَامًّا وَمَعْنَى خَاصًّا فَلَيْسَ هَذَا مِنْ خَصَائِصِ الْحَدِّ كَمَا تَقَدَّمَ، وَالَّذِي يَخْتَصُّ بِالْحَدِّ لَيْسَ إِلَّا مُجَرَّدَ التَّمْيِيزِ الْحَاصِلِ بِالْأَسْمَاءِ؛ وَهَذَا بَيْنَ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ.

وَأَمَّا إِدْرَاكُ صِفَاتٍ فِيهِ بَعْضُهَا مُشْتَرَكٌ وَبَعْضُهَا مُخْتَصٌّ فَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا قَدْ لَا يُتَفَقَّنُ لَهُ بِمُجَرَّدِ الْإِسْمِ، لَكِنَّ هَذَا يُتَفَقَّنُ لَهُ بِالْحَدِّ وَبِغَيْرِ الْحَدِّ، فَلَيْسَ فِي الْحَدِّ إِلَّا مَا يُوجَدُ فِي الْأَسْمَاءِ أَوْ فِي الصِّفَاتِ الَّتِي تُذَكَّرُ لِلْمُسَمَّى.

وَهَذَانِ نَوْعَانِ مَعْرُوفَانِ:

الأول: معنى الأسماء المفردة.

والثاني: معرفة الجمل المركبة الإسمية والفعلية التي يُخبرُ بها عن الأشياء وتُوصفُ بها الأشياء.

وكلا هذين النوعين لا يفتقر إلى الحد المتكلف فثبت أن الحد ليس فيه فائدة إلا وهي موجوده في

الأسماء والكلام بلا تكلف، فسقطت فائدة خصوصية الحد.

قال الشارح وفقه الله:

طبعاً هنا شرح الجنس والفصل، يقول: (الحس الباطن والظاهر يفيد تصور الحقيقة تصوراً مطلقاً،

أما عمومها وخصوصها: فهو من حكم العقل، فإن القلب يعقل معنى من هذا المعين ومعنى يماثله من

هذا المعين فيصير في القلب معنى عاماً مشتركاً، وذلك هو عقله: أي عقله للمعاني الكلية) فهذا هو

الجنس.

(رأى زيداً)، (ورأى عمراً)، ورأى فلاناً، ورأى فلاناً فاستنبط من هذا كله العقل، استنبط من هذا

كله: أنهم كلهم فيهم هذا المعنى، وهو معنى الحيوانية مثلاً؛ فإذا عقل معنى الحيوانية الذي يكون في

الحيوان، وهذا الحيوان ومعنى الناطق الذي يكون في هذا الإنسان وهذا الإنسان وهو مختص به؛ عقل

أن في نوع الإنسان ما لم يكون نظيره في الحيوان، ومعناً ليس له نظير في الحيوان؛ وهذا هو الفصل.

عَرَفَ أمرين:

عرف في هذا النوع: أن هناك نوعاً يشترك فيه الحيوانات كلها.

وهناك شيء يختص به هو وهو الفصل.

الأول: جنس، والثاني: فصل، نعم، فالأول هو الذي يُقال له: الجنس، وهذا الذي يُقال له الفصل.

يقول: هذا حق، ولكن أن أستفيد كونه هذا جنساً، وكونه هذا فصلاً من المنطق يقول: هذا لا يمكن.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الْوَجْهُ التَّاسِعُ: أَنَّ الْعِلْمَ بِوُجُودِ صِفَاتٍ مُشْتَرَكَةٍ وَمُخْتَصِّصَةٍ حَقٌّ؛ لَكِنَّ التَّمْيِيزَ بَيْنَ تِلْكَ الصِّفَاتِ بِجَعْلِ بَعْضِهَا ذَاتِيًّا تَتَقَوَّمُ مِنْهُ حَقِيقَةُ الْمَحْدُودِ وَبَعْضِهَا عَرْضِيًّا لِأَزْمًا لِحَقِيقَةِ الْمَحْدُودِ: تَفْرِيقٌ بَاطِلٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طَبَعًا كَمَا ذَكَرْتُ هَذَا أَيْضًا يُرَكِّزُ عَلَيْهِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ، الْحُدُودَ الْمُنْطَقِيَّةَ قَائِمَةً عَلَى هَذِهِ الْإِفْتِرَاضِيَّةِ، أَنَّ الصِّفَاتَ تَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ:

صِفَاتٌ ذَاتِيَّةٌ: يَتَقَوَّمُ بِهَا الْمَحْدُودُ، وَلَا يَتَصَوَّرُ الْمَحْدُودُ بِدُونِهَا.

وَصِفَاتٌ عَرْضِيَّةٌ: يَتَصَوَّرُ الْمَحْدُودُ بِدُونِهَا.

يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ هُنَا: يَقُولُ: هَذَا تَفْرِيقٌ بَاطِلٌ، التفريقُ عموماً صحيحٌ ولكن تحديدُ أن هذه الصفة كذا، وهذه الصفة كذا يقول: الاعتراضُ هُنَا، بل جميعُ الصِّفَاتِ الْمُتَلَازِمَةِ لِلْمَحْدُودِ طَرْدًا وَعَكْسًا هِيَ جِنْسٌ وَاحِدٌ.

أَنْتِ رَأَيْتِ الْمَحْدُودَ وَرَأَيْتِ أَنَّ فِيهِ صِفَاتٍ كَثِيرَةً؛ هَذِهِ الصِّفَاتُ مَوْجُودَةٌ فِيهِ مُتَلَازِمَةٌ لَهُ، تَأْتِي إِلَى صِفَةٍ تَجْعَلُهَا يَتَقَوَّمُ بِهَا الْمَحْدُودُ، وَتَجْعَلُهَا مِنَ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ، وَتَأْتِي إِلَى صِفَةٍ أُخْرَى مُتَلَازِمَةٌ أَيْضًا، وَتَجْعَلُهَا مِنَ الصِّفَاتِ الْعَرْضِيَّةِ لِمَاذَا؟ نَقُولُ هَذَا فِيهِ تَحْكُمُ.

يَقُولُ: (فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْفَصْلِ وَالْخَاصَّةِ وَلَا بَيْنَ الْجِنْسِ وَالْعَرَضِ الْعَامِّ).

الصِّفَاتُ الذَّاتِيَّةُ: إِمَّا أَنْ تَكُونَ مُشْتَرَكَةً بَيْنَ الْمَحْدُودِ وَغَيْرِهِ كَالْحَيَوَانِيَّةِ فِي الْإِنْسَانِ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مُمَيِّزَةً لَهُ كَالضَّحْكَ فِي الْإِنْسَانِ، فَالْأَوَّلُ: جِنْسٌ، وَالثَّانِي: فَصْلٌ؛ عَرَفْنَا هَذَا مِنْ تَعْرِيفِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ.

الصِّفَاتُ الذَّاتِيَّةُ:

إِمَّا أَنْ تَكُونَ مُشْتَرَكَةً بَيْنَ الْمَحْدُودِ وَغَيْرِهِ، كَالْحَيَوَانِيَّةِ فِي الْإِنْسَانِ؛ وَهَذِهِ هِيَ الْجِنْسُ.

وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مُمَيِّزَةً لَهُ كَالضَّحْكَ فِي الْإِنْسَانِ؛ وَهَذَا هُوَ الْفَصْلُ.

طَيَّبَ الصِّفَاتُ الْعَرْضِيَّةُ تَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ:

القسم الأول: العرضي المشترك، وهو العرضي العام، هكذا يسمونه: العرضي العام.

والقسم الثاني: العرضي المُميز.

الأول: العرضي العام، والثاني: العرضي المُميز وهو يُسمونه: خاصّة، إذا عندنا: الجنس، والفصل،

والعرضي العام، والعرضي الخاص، بقي واحد، لأن هذه هي الكليات الخمسة، المُركَّب من المُشترك والمُميز هو النوع.

وهذه هي الكليات الخمسة: الجنس، والفصل، والعرضي العام، والعرضي الخاص، والنوع.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَذَلِكَ أَنَّ الْحَقِيقَةَ الْمُرَكَّبَةَ مِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ: إِمَّا أَنْ يُعْنَى بِهَا الْخَارِجَةُ أَوْ الذَّهْنِيَّةُ أَوْ شَيْءٌ نَالِثٌ، فَإِنْ عُنِيَ بِهَا الْخَارِجَةُ: فَالِنُطْقُ وَالضَّحِكُ فِي الْإِنْسَانِ حَقِيقَتَانِ لَازِمَتَانِ يَخْتَصَّانِ بِهِ، وَإِنْ عُنِيَ الْحَقِيقَةُ الَّتِي فِي الذَّهْنِ: فَالذَّهْنُ يَعْقِلُ اخْتِصَاصَ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ؛ وَإِنْ قِيلَ: بَلْ إِحْدَى الصِّفَتَيْنِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إذا حتى في الخارج متساويتان، وأيضا في الذهن متساويتان، فلماذا جعلت هذه جنسا وهذه فصلا؟!

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِنْ قِيلَ: بَلْ إِحْدَى الصِّفَتَيْنِ يَتَوَقَّفُ عَقْلُ الْحَقِيقَةِ عَلَيْهَا فَلَا يَعْقِلُ الْإِنْسَانُ فِي الذَّهْنِ حَتَّى يَفْهَمَ النُّطْقَ؛ وَأَمَّا الضَّحِكُ فَهُوَ تَابِعٌ لِفَهْمِ الْإِنْسَانِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِمْ: الذَّاتِيُّ مَا لَا يُتَصَوَّرُ فَهْمُ الْحَقِيقَةِ بَدُونِ فَهْمِهِ أَوْ مَا تَقِفُ الْحَقِيقَةُ فِي الذَّهْنِ وَالْخَارِجِ عَلَيْهِ.

قِيلَ: إِدْرَاكُ الذَّهْنِ أَمْرٌ نَسْبِيٌّ إِضَافِيٌّ، فَإِنَّ كَوْنَ الذَّهْنِ لَا يَفْهَمُ هَذَا إِلَّا بَعْدَ هَذَا: أَمْرٌ يَتَعَلَّقُ بِنَفْسِ إِدْرَاكِ الذَّهْنِ لَيْسَ هُوَ شَيْئًا ثَابِتًا لِلْمَوْصُوفِ فِي نَفْسِهِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْفَرْقُ بَيْنَ الذَّاتِيِّ وَالْعَرْضِيِّ بِوَصْفِ ثَابِتٍ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ سِوَاءِ حَصَلِ الْإِدْرَاكِ لَهُ أَوْ لَمْ يَحْضُرْ إِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا جُزْءًا لِلْحَقِيقَةِ دُونَ الْآخَرِ وَإِلَّا فَلَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إذا هذا التفريق نسبي، وقد يسبق إلى ذهن ما لم يسبق عندك، الذي سبق إلى ذهنك تجعله من الذاتي

الذي يتقوّم به، والذي لم يسبق تجلّه من ما لا يتقوّم به، ومما لا يدخُل في حقيقة الماهيّة، يقول: هذا تحكّم.

قال المصنّف رَحِمَهُ اللهُ:

الْوَجْهُ الْعَاشِرُ: أَنْ يُقَالَ: كَوْنُ الدَّهْنِ لَا يَعْقِلُ هَذَا إِلَّا بَعْدَ هَذَا: إِنْ كَانَ إِشَارَةً إِلَى أَذْهَانٍ مُعَيَّنَةٍ وَهِيَ الَّتِي تَصَوَّرَتْ هَذَا لَمْ يَكُنْ هَذَا حُجَّةً لِأَنَّهُمْ هُمْ وَضَعُوهَا هَكَذَا، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ أَنَّ مَا قَدَّمْنَاهُ فِي أَذْهَانِنَا عَلَى الْحَقِيقَةِ فَهُوَ الدَّاتِي وَمَا أَخَّرْنَاهُ فَهُوَ الْعَرَضِيّ.

قال الشّارح وفقه الله:

أو هو هكذا فعلاً، يعني هم يريدون منا أن نتبعهم حتى على هذا الترتيب وهكذا حصل الناس تبعوه حتى على هذا الترتيب، ما كانوا يتوقعون أن من أمثال شيخ الإسلام أن يفهمها ويتعمق فيها ثانياً، ويبيّن فسادها ثالثاً.

الناس يعني إلى الآن يتفخرون بفهم شيء من المنطق، هذا يفهم شيئاً من المنطق، فكيف يفهمه كُله؟ وكيف بالتعمق فيه؟ وكيف بطلان بيان بطلانه؟ هذا شيء...؛ لذلك حتى الكفار كثير منهم يستفيدون من شيخ الإسلام في "نقد المنطق".

وكما قلت التفأخر عند كثير من الناس بفهم شيء من المنطق؛ ولذلك لا تُفكر في من يخرج عن هذا الترتيب؛ يظنون أن الترتيب الذي جاء به أرسطو كأنه مُنزل من الله ﷻ، لا أحد تحدّثه نفسه في الخروج عن هذا الترتيب.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَيَعُودُ الْأَمْرُ إِلَى أَنَا تَحَكَّمْنَا بِجَعْلِ بَعْضِ الصِّفَاتِ ذَاتِيًّا وَبَعْضَهَا عَرَضِيًّا لَازِمًا وَغَيْرَ لَازِمٍ، وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ كَانَ هَذَا الْفُرْقَانُ مُجَرَّدَ تَحَكُّمِ بِلَا سُلْطَانٍ، وَلَا يُسْتَنْكَرُ مِنْ هَوْلَاءِ أَنْ يَجْمَعُوا بَيْنَ الْمُفْتَرِقِينَ وَيُفَرِّقُوا بَيْنَ الْمُتَمَائِلِينَ؛ فَمَا أَكْثَرَ هَذَا فِي مَقَائِسِهِمُ الَّتِي ضَلُّوا بِهَا وَأَضَلُّوا).

وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ أَفْسَدَ دِينَ الْمُسْلِمِينَ وَابْتَدَعَ مَا غَيَّرَ بِهِ الصَّابِئَةَ مَذَاهِبَ أَهْلِ الْإِيمَانِ الْمُهْتَدِينَ، وَإِنْ قَالُوا: بَلْ جَمِيعُ أَذْهَانِ بَنِي آدَمَ وَالْأَذْهَانَ الصَّحِيحَةَ لَا تُدْرِكُ الْإِنْسَانَ إِلَّا بَعْدَ خُطُورٍ نُطِقَ بِهَا دُونَ ضَحِكِهِ. قِيلَ لَهُمْ: لَيْسَ هَذَا بِصَحِيحٍ. وَلَا يَكَادُ يُوجَدُ هَذَا التَّرْتِيبُ إِلَّا فِي مَنْ يُقَلِّدُ عَنْكُمْ هَذِهِ الْحُدُودَ مِنَ الْمُتَقَلِّدِينَ لَكُمْ فِي الْأُمُورِ الَّتِي جَعَلْتُمُوهَا مِيزَانَ الْمَعْقُولَاتِ.

وَالْإِنْسَانُ أَدَمٌ قَدْ لَا يَخْطُرُ لِأَحَدِهِمْ أَحَدُ الْوَصْفَيْنِ وَقَدْ يَخْطُرُ لَهُ هَذَا دُونَ هَذَا وَبِالْعَكْسِ، وَلَوْ خَطَرَ لَهُ الْوَصْفَانِ وَعَرَفَ أَنَّ الْإِنْسَانَ (حَيَوَانٌ نَاطِقٌ) ضَاحِكٌ: لَمْ يَكُنْ بِمُجَرَّدِ مَعْرِفَتِهِ هَذِهِ الصِّفَاتِ مُدْرِكًا لِحَقِيقَةِ الْإِنْسَانِ أَصْلًا، وَكُلُّ هَذَا أَمْرٌ مَحْسُوسٌ مَعْقُولٌ؛ فَلَا يُغَالِطُ الْعَاقِلُ نَفْسَهُ فِي ذَلِكَ لِهَيْبَةِ التَّقْلِيدِ لَهُؤُلَاءِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طَبَعًا هَذِهِ كَلِمَةٌ مُهِمَّةٌ مِنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ وَهُوَ يُكْثِرُ أَيْضًا مِنْ هَذَا، يَذْكَرُ أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ ضَلُّوا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ لِهَيْبَةِ هَوْلَاءِ، يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: (وَكَوْنُ هَذَا أَمْرٌ مَحْسُوسٌ مَعْقُولٌ؛ فَلَا يُغَالِطُ الْعَاقِلُ نَفْسَهُ فِي ذَلِكَ لِهَيْبَةِ التَّقْلِيدِ لَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَكْثَرِ الْخَلْقِ ضَلَالًا مَعَ دَعْوَى التَّحْقِيقِ).

أبعدهم عن الحق ويدعي انه ماذا؟ هو المحقق.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَهُمْ فِي الْأَوَائِلِ كَمُتَكَلِّمَةِ الْإِسْلَامِ فِي الْأَوَاخِرِ، وَلَمَّا كَانَ الْمُسْلِمُونَ خَيْرًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، وَالصَّابِئِينَ كَانُوا خَيْرًا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(كَانُوا): الضمير يرجع إلى المسلمين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

كَانُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَعْلَمَ وَأَحْكَمَ فَتَدَبَّرَ هَذَا فَإِنَّهُ نَافِعٌ جِدًّا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

نَافِعٌ جِدًّا: فِعْلًا، هَذَا الَّذِي يُوْرَطُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمِنْ هُنَا يَقُولُونَ: **الْحُدُودُ الدَّائِيَّةُ عُسْرَةٌ وَإِدْرَاكُ الصِّفَاتِ الدَّائِيَّةِ صَعْبٌ وَغَالِبُ مَا بِأَيْدِي النَّاسِ:**

حُدُودٌ رَسْمِيَّةٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طَبَعًا كَمَا قَلتَ لَكُمْ: التَّعْرِيفُ بِالْجِنْسِ وَالْفَصْلُ الْقَرِيبِينَ مَاذَا يَكُونُ؟ الْحَدُّ التَّامُ، وَالتَّعْرِيفُ بِالْجِنْسِ الْبَعِيدِ، وَالْفَصْلُ الْقَرِيبِ أَوْ بِالْفَصْلِ وَحْدِهِ؛ يَكُونُ الْحَدُّ النَاقِصُ، كَمَا تَقُولُ: (الْإِنْسَانُ جِسْمٌ حَيٌّ نَاطِقٌ)، أَوْ تَقُولُ: (الْإِنْسَانُ نَاطِقٌ) هَذَا حَدٌّ نَاقِصٌ.

وَإِذَا عَرَّفْتَ بِالْجِنْسِ وَالْخَاصَّةِ تَجَاوَزْتَ الْجِنْسَ الْبَعِيدَ، وَعَرَّفْتَهُ بِالْجِنْسِ وَالْخَاصَّةِ يَكُونُ الرَّسْمُ التَّامُ، كَمَا تَقُولُ: (الْإِنْسَانُ حَيَوَانٌ)، هُوَ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ حَيَوَانٌ، أَقُولُ: هُوَ حَيَوَانٌ ضَاحِكٌ، هُوَ حَيَوَانٌ ضَاحِكٌ هَذَا الرَّسْمُ التَّامُ.

وَإِذَا عَرَّفَهُ بِالْخَاصَّةِ وَحْدَهَا، هَذَا يَكُونُ الرَّسْمُ النَاقِصُ، مِثْلُ: (ضَاحِكٌ)، بَسْ.

هُنَا يَقُولُ: شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْحُدُودُ، هُمْ يَقُولُونَ: (الْحُدُودُ الدَّائِيَّةُ عُسْرَةٌ وَإِدْرَاكُ الصِّفَاتِ الدَّائِيَّةِ صَعْبٌ،

وَغَالِبُ مَا بِأَيْدِي النَّاسِ: حُدُودٌ رَسْمِيَّةٌ) هُمْ يَقُولُونَ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَذَلِكَ كُلُّهُ لِأَنَّهُمْ وَضَعُوا تَفْرِيقًا بَيْنَ شَيْئَيْنِ بِمُجَرَّدِ التَّحَكُّمِ الَّذِي هُمْ أَدْخَلُوهُ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ: أَنَّ مَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ فِي الْخَارِجِ وَلَا فِي الْمَعْقُولِ وَإِنَّمَا هُوَ ابْتِدَاعٌ مُبْتَدَعٌ وَضَعَهُ وَفَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الْمُتَمَاثِلَيْنِ فِيمَا تَمَاثَلَا فِيهِ - لَا تَعْقِلُهُ الْقُلُوبُ الصَّحِيحَةُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

تصوره يكون صعباً، نعم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

إِذْ ذَاكَ مِنْ بَابِ مَعْرِفَةِ الْمَذَاهِبِ الْفَاسِدَةِ الَّتِي لَا ضَابِطَ لَهَا، وَأَكْثَرُ مَا تَجِدُ هَهُؤَلَاءِ الْأَجْنَاسِ يُعَظِّمُونَهُ مِنْ مَعَارِفِهِمْ وَيَدَّعُونَ اخْتِصَاصَ فَضْلَانِهِمْ بِهِ هُوَ: مِنَ الْبَاطِلِ الَّذِي لَا حَقِيقَةَ لَهُ كَمَا نَبَّهْنَا عَلَى هَذَا فِيمَا تَقَدَّمَ.

(الْوَجْهُ الْحَادِي عَشَرَ: قَوْلُهُمْ: الْحَقِيقَةُ مُرَكَّبَةٌ مِنَ الْجِنْسِ وَالْفَضْلِ وَالْجِنْسُ هُوَ الْجُزْءُ الْمُشْتَرَكُ وَالْفَضْلُ هُوَ الْجُزْءُ الْمُمَيِّزُ، يُقَالُ لَهُمْ: هَذَا التَّرْكِيبُ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي الْخَارِجِ أَوْ فِي الدَّهْنِ).
فَإِنْ كَانَ فِي الْخَارِجِ فَلَيْسَ فِي الْخَارِجِ نَوْعٌ كُلِّيٌّ يَكُونُ مَحْدُودًا بِهَذَا الْحَدِّ إِلَّا الْأَعْيَانُ الْمَحْسُوسَةُ وَالْأَعْيَانُ فِي كُلِّ عَيْنٍ صِفَةٌ يَكُونُ نَظِيرُهَا لِسَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ كَالْحِجْسِ وَالْحَرَكَةِ الْإِرَادِيَّةِ وَصِفَةٌ لَيْسَ مِنْهَا لِسَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ وَهِيَ النُّطْقُ.

وَفِي كُلِّ عَيْنٍ يَجْتَمِعُ هَذَانِ الْوُصْفَانِ كَمَا يَجْتَمِعُ سَائِرُ الصِّفَاتِ وَالْجَوَاهِرِ الْقَائِمَةِ لِأُمُورٍ مُرَكَّبَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَجْعُولَةِ فِيهَا، وَإِنْ أَرَدْتُمْ بِالْحَيَوَانِيَّةِ وَالنَّاطِقِيَّةِ جَوْهَرًا فَلَيْسَ فِي الْإِنْسَانِ جَوْهَرَانِ أَحَدُهُمَا حَيٌّ وَالْآخَرُ نَاطِقٌ، بَلْ هُوَ جَوْهَرٌ وَاحِدٌ لَهُ صِفَتَانِ، فَإِنْ كَانَ الْجَوْهَرُ مُرَكَّبًا مِنْ عَرَضَيْنِ لَمْ يَصِحَّ، وَإِنْ كَانَ مِنْ جَوْهَرٍ عَامٍّ وَخَاصٍّ فَلَيْسَ فِيهِ ذَلِكَ، فَبَطَلَ كَوْنُ الْحَقِيقَةِ الْخَارِجِ مُرَكَّبَةً.

وَإِنْ جَعَلُوهَا تَارَةً جَوْهَرًا وَتَارَةً صِفَةً: كَانَ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِ النَّصَارَى فِي الْأَقَانِيمِ وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَقْوَالِ تَنَافُضًا بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

يعني كان مثله في التناقض، تارة جوهر وتارة صفة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَإِنْ قَالُوا: الْمُرَكَّبُ الْحَقِيقِيُّ الذَّهْنِيَّةُ الْمَعْقُولَةُ، قِيلَ -أَوَّلًا-: تِلْكَ لَيْسَتْ هِيَ الْمَقْصُودَةُ بِالْحُدُودِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مُطَابِقَةً لِلخَارِجِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

أنت تريد أن تعرفنا بما في ذهنك أو تريد أن تحدد حدًا مطابقًا للخارج؟ إذا كلامك هذا لا يكفي، تلك ليست هي المقصودة بالحدود إلا أن تكون مطابقة للخارج.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ تَرْكِيبٌ لَمْ يَصِحَّ أَنْ يَكُونَ فِي هَذِهِ تَرْكِيبٌ وَلَيْسَ فِي الذَّهْنِ إِلَّا تَصَوُّرُ الْحَيِّ النَّاطِقِ، وَهُوَ جَوْهَرٌ وَاحِدٌ لَهُ صِفَتَانِ كَمَا قَدَّمْنَا؛ فَلَا تَرْكِيبَ فِيهِ بِحَالٍ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا نِزَاعَ أَنَّ صِفَاتِ الْأَنْوَاعِ وَالْأَجْنَاسِ مِنْهَا مَا هُوَ مُشْتَرِكٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ غَيْرِهَا.

كَالْجِنْسِ وَالْعَرَضِ الْعَامِّ وَمِنْهَا مَا هُوَ لَازِمٌ لِلْحَقِيقَةِ وَمِنْهَا مَا هُوَ عَارِضٌ لَهَا وَهُوَ مَا ثَبَتَ لَهَا فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ كَالْبَطِّيءِ الزَّوَالِ وَسَرِيعِهِ وَإِنَّمَا الشَّأْنُ فِي التَّفْرِيقِ بَيْنَ الذَّاتِيِّ وَالْعَرَضِيِّ الْأَلَزَمِ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي مَدَارُهُ عَلَى تَحَكُّمِ ذَهْنِ الْحَادِّ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

تُفْرَقُ بَيْنَ الذَّاتِيِّ وَالْعَرَضِيِّ الْأَلَزَمِ؛ وَهُوَ تُحَدَّدُ أَنَّ هَذَا مِنْ كَذَا وَهَذَا مِنْ كَذَا، نَعَمْ، عَمُومَ الْفَرْقِ مَوْجُودِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

وَلَا تَنَازُعَ فِي أَنَّ بَعْضَ الصِّفَاتِ قَدْ يَكُونُ أَظْهَرَ وَأَشْرَفَ، فَإِنَّ النَّطْقَ أَشْرَفُ مِنَ الضَّحِكِ، وَلِهَذَا ضَرَبَ اللهُ بِهِ الْمَثَلَ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

يقول شيخ الإسلام: حتى هنا ما نختلف أن بعض الصفات قد يكون أظهر وأشرف، لأن النطق أشرف من الضحك وأهم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلِهَذَا ضَرَبَ اللهُ بِهِ الْمَثَلَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

سبحان الله في كل شيء استدراك، حتى هنا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلِهَذَا ضَرَبَ اللهُ بِهِ الْمَثَلَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿ إِنَّهُ لَحَقَّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٣]، وَلَكِنَّ الشَّأْنَ فِي جَعْلِ هَذَا ذَاتِيًّا تُتَصَوَّرُ بِهِ الْحَقِيقَةُ دُونَ الْآخَرِ.

الْوَجْهُ الثَّانِي عَشَرَ: أَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ الدَّائِيَّةَ قَدْ تُعْلَمُ وَلَا يُتَصَوَّرُ بِهَا كُنْهُ الْمَحْدُودِ كَمَا فِي هَذَا الْمِثَالِ وَغَيْرِهِ. فَعُلِمَ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِمُوجِبٍ لِفَهْمِ الْحَقِيقَةِ.

الْوَجْهُ الثَّلَاثَ عَشَرَ: أَنَّ الْحَدَّ إِذَا كَانَ لَهُ جُزْءَانِ فَلَا بُدَّ لِجُزْأَيْهِ مِنْ تَصَوُّرٍ: كَالْحَيَوَانَ وَالنَّاطِقِ: فَإِنْ اِحْتَجَّ كُلُّ جُزْءٍ إِلَى حَدٍّ لَزِمَ التَّسْلُسُ أَوْ الدَّوْرُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لا بد لجزأيه من تصور، كـ(الحيوان والناطق)، أو لا: تصور هذين الجزأين قبل أن تُعرف الإنسان بهذين الجزأين؛ فإذا كانت الأجزاء..

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنْ كَانَتْ الْأَجْزَاءُ مُتَصَوِّرَةً بِنَفْسِهَا بِلا حَدٍّ - وَهُوَ تَصَوُّرُ الْحَيَوَانَ أَوْ الْحَسَّاسِ أَوْ الْمُتَحَرِّكِ بِالْإِرَادَةِ أَوْ النَّامِيِّ أَوْ الْجِسْمِ، فَمِنْ الْمَعْلُومِ: أَنَّ هَذِهِ أَعْمٌ، وَإِذَا كَانَتْ أَعْمَ لِكَوْنِ إِدْرَاكِ الْحِسِّ لِأَفْرَادِهَا أَكْثَرَ، فَإِنْ كَانَ إِدْرَاكُ الْحِسِّ لِأَفْرَادِهَا كَافِيًا فِي التَّصَوُّرِ فَالْحِسُّ قَدْ أَدْرَكَ أَفْرَادَ النَّوْعِ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَافِيًا فِي ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ الْأَجْزَاءُ مَعْرُوفَةً فَيَحْتَاجُ الْمَعْرَفُ إِلَى مُعَرِّفٍ وَأَجْزَاءُ الْحَدِّ إِلَى حَدٍّ.

قال الشارح وفقه الله:

إذا كان ما أدركته بالحس كافيًا في ذلك: (فإن كان إدراك الحس لأفرادها كافيًا في التصور فالحس قد أدرك أفراد النوع)، ما تحتاج إلى هذا التطويل.

(وإن لم يكن كافيًا) لم تكن الأجزاء متصورة، (فيحتاج المَعْرِفُ إِلَى مُعْرِفٍ وَأَجْزَاءَ الْحَدِّ إِلَى حَدِّ)، ثم مُعْرِف، ثم مُعْرِف يتسلسل كما سبق.

قال المصنّف رَحِمَهُ اللهُ:

الوجه الرابع عشر: أن الحدود لا بُدَّ فيها من التمييز وكُلَّمَا قَلَّتْ الْأَفْرَادُ كَانَ التَّمْيِيزُ أَيْسَرَ، وَكُلَّمَا كَثُرَتْ كَانَ أَصْعَبَ، فَضَبَطَ الْعَقْلُ الْكُلِّيَّ ثِقَلُ أَفْرَادِهِ مَعَ ضَبْطِ كَوْنِهِ كُلِّيًّا أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِمَّا كَثُرَتْ أَفْرَادُهُ. وَإِنْ كَانَ إِدْرَاكُ الْكُلِّيِّ الْكَثِيرِ الْأَفْرَادِ أَيْسَرَ عَلَيْهِ فَذَلِكَ إِذَا أَدْرَكَهُ مُطْلَقًا؛ لِأَنَّ الْمُطْلَقَ يَحْصُلُ بِحُصُولِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَفْرَادِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَأَقْلُّ مَا فِي أَجْزَاءِ الْمَحْدُودِ: أَنْ تَكُونَ مُتَمَيِّزَةً تَمْيِيزًا كُلِّيًّا لِيُعْلَمَ كَوْنُهَا صِفَةً لِلْمَحْدُودِ أَوْ مَحْمُولَةً عَلَيْهِ أَمْ لَا. فَإِذَا كَانَ ضَبْطُهَا كُلِّيَّةً أَصْعَبَ وَأَتْعَبَ مِنْ ضَبْطِ أَفْرَادِ الْمَحْدُودِ كَانَ ذَلِكَ تَعْرِيفًا لِلْأَسْهَلِ مَعْرِفَةً بِالْأَصْعَبِ مُفْرَدَةً وَهَذَا عَكْسُ الْوَاجِبِ.

قال الشارح وفقه الله:

انظر! (فإذا كان ضبطها كُليَّةً أَصْعَبَ وَأَتْعَبَ مِنْ ضَبْطِ أَفْرَادِ الْمَحْدُودِ كَانَ ذَلِكَ تَعْرِيفًا لِلْأَسْهَلِ)، الأسهل: هو ضبط الأفراد، (كان ذلك تعريفًا للأسهل) وهو ضبط الأفراد، (كان ذلك تعريفًا للأسهل مَعْرِفَةً بِالْأَصْعَبِ مَعْرِفَةً) وهو ضبط الكليَّة، ضبطها كُليَّةً، وهذا عكس الواجب، يُعْرِفُ بِالْأَسْهَلِ وَلَا يُعْرِفُ بِالْأَصْعَبِ، التعريف يكون بالأسهل، ولا يكون بالأصعب، وهنا عكس.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الْوَجْهُ الْخَامِسَ عَشَرَ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، وَقَدْ مَيَّزَ كُلَّ مُسَمًّى بِاسْمٍ يَدُلُّ عَلَى مَا يَفْصِلُهُ مِنَ الْجِنْسِ الْمُشْتَرَكِ وَيُخَصِّصُهُ دُونَ مَا سِوَاهُ وَيُبَيِّنُ بِهِ مَا يَرْتَمُّ مَعْنَاهُ فِي النَّفْسِ.

وَمَعْرِفَةُ حُدُودِ الْأَسْمَاءِ وَاجِبَةٌ؛ لِأَنَّهُ بِهَا تَقُومُ مَصْلَحَةُ بَنِي آدَمَ فِي النُّطْقِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لَهُمْ لَا سِيَّمَا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي كُتُبِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ كَالْخَمْرِ وَالرَّبِّا، فَهَذِهِ الْحُدُودُ هِيَ الْفَاصِلَةُ الْمُمَيِّزَةُ بَيْنَ مَا يَدْخُلُ فِي الْمُسَمًّى وَيَتَنَاوَلُهُ ذَلِكَ الْإِسْمُ وَمَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ وَيَبِينُ مَا لَيْسَ كَذَلِكَ.

وَلِهَذَا ذَمَّ اللَّهُ مَنْ سَمَّى الْأَشْيَاءَ بِأَسْمَاءِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، فَإِنَّهُ أَثَبَتَ لِلشَّيْءِ صِفَةً بَاطِلَةً كَالِهَيْبَةِ الْأَوْثَانِ، فَالْأَسْمَاءُ النَّطْقِيَّةُ سَمْعِيَّةٌ، وَأَمَّا نَفْسُ تَصَوُّرِ الْمَعَانِي فَنَفْطَرِيٌّ يَحْصُلُ بِالْحِسِّ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ وَيَبْدَأُ بِالْحِسِّ وَشُهُودِهِ بِبَصَرِ الْإِنْسَانِ بِبَاطِنِهِ وَبِظَاهِرِهِ وَيَسْمَعُهُ يَعْلَمُ أَسْمَاءَهَا وَبِفُؤَادِهِ يَعْقِلُ الصِّفَاتِ الْمُشْتَرَكَةَ وَالْمُخْتَصَّةَ.

وَاللَّهُ أَخْرَجَنَا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِنَا لَا نَعْلَمُ شَيْئًا وَجَعَلَ لَنَا السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ، فَأَمَّا الْحُدُودُ الْمُتَكَلِّفَةُ فَلَيْسَ فِيهَا فَائِدَةٌ لَا فِي الْعَقْلِ وَلَا فِي الْحِسِّ وَلَا فِي السَّمْعِ إِلَّا مَا هُوَ كَالْأَسْمَاءِ مَعَ التَّطْوِيلِ أَوْ مَا هُوَ كَالْتَّمْيِيزِ كَسَائِرِ الصِّفَاتِ.

وَلِهَذَا لَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ جَعَلُوا الْحَدَّ نَوْعَيْنِ:

(نَوْعًا بِحَسَبِ الْإِسْمِ؛ وَهُوَ بَيَانُ مَا يَدْخُلُ فِيهِ).

(وَنَوْعًا بِحَسَبِ الصِّفَةِ أَوْ الْحَقِيقَةِ أَوْ الْمُسَمًّى وَزَعَمُوا كَشْفَ الْحَقِيقَةِ وَتَصْوِيرَهَا.

وَالْحَقِيقَةُ الْمَذْكُورَةُ إِنْ ذُكِرَتْ بِلَفْظٍ دَخَلَتْ فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ وَإِنْ لَمْ تُذْكَرْ بِلَفْظٍ فَلَا تُدْرِكُ بِلَفْظٍ وَلَا تُحَدُّ بِمَقَالٍ إِلَّا كَمَا تَقَدَّمَ. وَهَذِهِ نُكْتُتْ تَنْبَهُ عَلَى جُمَلِ الْمَقْصُودِ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ بَسْطِ ذَلِكَ.

الْوَجْهُ السَّادِسَ عَشَرَ: أَنَّ فِي الصِّفَاتِ الدَّائِيَّةِ الْمُشْتَرَكَةِ وَالْمُخْتَصَّةِ - كَالْحَيَوَانِيَّةِ وَالنَّاطِقِيَّةِ - إِنْ أَرَادُوا بِالِاشْتِرَاكِ: أَنَّ نَفْسَ الصِّفَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْخَارِجِ مُشْتَرَكَةٌ فَهَذَا بَاطِلٌ؛ إِذْ لَا اشْتِرَاكَ فِي الْمُعَيَّنَاتِ الَّتِي يُمْنَعُ تَصَوُّرُهَا مِنْ وَقُوعِ الشَّرِكَةِ فِيهَا.

قال الشَّارح وفقه الله :

الصفات التي في المُعينات، هذا مع العلم الذي في أفراد الإنسان علم كل شخص يختص به، إذا نفس الصفة الموجودة في الخارج إذا كنت تعتقد أنها مُشتركة هذا باطل.

قال المُصنَّف رَحِمَهُ اللهُ :

وَأِنْ أَرَادُوا بِالِاشْتِرَاكِ: أَنَّ مِثْلَ تِلْكَ الصِّفَةِ حَاصِلَةٌ لِلنَّوْعِ الْآخِرِ، قِيلَ لَهُمْ: لَا رَيْبَ أَنَّ بَيْنَ حَيَوَانِيَّةِ الْإِنْسَانِ وَحَيَوَانِيَّةِ الْفَرَسِ قَدْرًا مُشْتَرَكًا، وَكَذَلِكَ بَيْنَ صَوْتَيْهِمَا وَتَمْيِيزِهِمَا قَدْرًا مُشْتَرَكًا، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَهُ تَمْيِيزٌ وَلِلْفَرَسِ تَمْيِيزٌ وَلِهَذَا صَوْتُ وَهُوَ النَّطْقُ وَلِذَلِكَ صَوْتُ وَهُوَ الصَّهِيلُ فَقَدْ خُصَّ كُلُّ صَوْتٍ بِاسْمٍ يَخُصُّهُ.

فَإِذَا كَانَ حَقِيقَةً أَحَدِ هَذَيْنِ يُخَالِفُ الْآخَرَ وَيَخْتَصُّ بِنَوْعِهِ فَمِنْ أَيْنَ جَعَلْتُمْ حَيَوَانِيَّةَ أَحَدِهِمَا مُمَائِلَةً لِحَيَوَانِيَّةِ الْآخَرِ فِي الْحَدِّ وَالْحَقِيقَةِ؟

قال الشَّارح وفقه الله :

طبعًا هذا الوجه أطال فيه، والخلاصة ستأتي في صفحة (٢٢) في قوله: (وَهَذَا كُلُّهُ يُبَيِّنُ أَنَّ اشْتِرَاكَ أَفْرَادِ الصِّنْفِ وَأَصْنَافِ النَّوْعِ وَأَنْوَاعِ الْجِنْسِ وَالْأَجْنَاسِ السَّافِلَةِ فِي مُسَمَّى الْجِنْسِ الْأَعْلَى: لَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى الْمُشْتَرَكُ فِيهَا بِالسَّوَاءِ).

قال المُصنَّف رَحِمَهُ اللهُ :

فَمِنْ أَيْنَ جَعَلْتُمْ حَيَوَانِيَّةَ أَحَدِهِمَا مُمَائِلَةً لِحَيَوَانِيَّةِ الْآخَرِ فِي الْحَدِّ وَالْحَقِيقَةِ؟ وَهَلَّا قِيلَ: إِنَّ بَيْنَ حَيَوَانِيَّتَيْهِمَا قَدْرًا مُشْتَرَكًا وَمُمَيِّزًا.

قال الشَّارح وفقه الله :

إذا قلت: (الإنسان حيوانٌ ناطقٌ)، هل حيوانيته مثل حيوانية هذه؟ ما عرّفته بالحيوانية التي تخصه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَلَّا قِيلَ: إِنَّ بَيْنَ حَيَوَانَيْهِمَا قَدْرًا مُشْتَرَكًا وَمُمَيَّزًا، كَمَا أَنَّ بَيْنَ صَوْتَيْهِمَا كَذَلِكَ؟ وَذَلِكَ أَنَّ الْحِسَّ وَالْحَرَكَةَ الْإِرَادِيَّةَ إِمَّا أَنْ تُوجَدَ لِلْجِسْمِ أَوْ لِلنَّفْسِ، فَإِنَّ الْجِسْمَ يُحْسُ وَيَتَحَرَّكُ بِالْإِرَادَةِ وَالنَّفْسَ تَحْسُ وَتَتَحَرَّكُ بِالْإِرَادَةِ وَإِنْ كَانَ بَيْنَ الْوَصْفَيْنِ مِنَ الْفَرْقِ مَا بَيْنَ الْحَقِيقَتَيْنِ.

وَكَذَلِكَ النُّطْقُ هُوَ لِلنَّفْسِ بِالتَّمْيِيزِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْكَلامِ النَّفْسَانِيَّ وَهُوَ لِلْجِسْمِ أَيْضًا بِتَمْيِيزِ الْقَلْبِ وَمَعْرِفَتِهِ وَالْكَلامِ اللَّسَانِيَّ، فَكُلُّ مَنْ جِسْمِهِ وَنَفْسِهِ يُوصَفُ بِهِذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ، وَلَيْسَتْ حَرَكَةُ نَفْسِهِ وَإِرَادَتُهَا وَمَعْرِفَتُهَا وَنُطْقُهَا مِثْلَ مَا لِلْفَرَسِ وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ.

وَكَذَلِكَ مَا يَقُومُ بِجِسْمِهِ مِنَ الْحِسِّ وَالْحَرَكَةِ الْإِرَادِيَّةِ لَيْسَ مِثْلَ مَا لِلْفَرَسِ وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ؛ فَإِنَّ الَّذِي يَلْبَسُ جِسْمَهُ مِنْ مَطْعَمٍ وَمَشْرَبٍ وَمَلْبَسٍ وَمَنكحٍ وَمَشْمُومٍ وَمَرْئِيٍّ وَمَسْمُوعٍ، بِحَيْثُ يُحْسُهُ وَيَتَحَرَّكُ إِلَيْهِ حَرَكَةً إِرَادِيَّةً لَيْسَ هُوَ مِثْلَ مَا لِلْفَرَسِ.

فَالْحِسُّ وَالْحَرَكَةُ الْإِرَادِيَّةُ هِيَ بِالْمَعْنَى الْعَامَّةِ لِجَمِيعِ الْحَيَوَانِ وَبِالْمَعْنَى الْخَاصَّةِ لَيْسَ إِلَّا لِلْإِنْسَانِ، وَكَذَلِكَ التَّمْيِيزُ سِوَاءٌ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَصْدَقُ الْأَسْمَاءِ: الْحَارِثُ وَهَمَامٌ وَأَقْبَحُهَا: حَرْبٌ وَمُرَّةٌ»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طَبَعًا هُوَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ: «أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ»، إِلَى هُنَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ، أَمَا بَعْدَهُ

مُرْسَلٌ سَبَقَ بَيَانُهُ مَا بَعْدَهُ مُرْسَلٌ.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَالْحَارِثُ هُوَ الْعَامِلُ الْكَاسِبُ الْمُتَحَرِّكُ، وَالْهَمَامُ هُوَ الدَّائِمُ الَّتِي هُوَ مُقَدَّمُ الْإِرَادَةِ، فَكُلُّ إِنْسَانٍ حَارِثٌ فَاعِلٌ بِإِرَادَتِهِ، وَكَذَلِكَ مَسْبُوقٌ بِإِحْسَاسِهِ، فَحَيَوَانِيَّةُ الْإِنْسَانِ وَنُطْقُهُ كُلُّ مِثْمَا فِيهِ مَا يَشْتَرِكُ مَعَ الْحَيَوَانِ فِيهِ وَفِيهِ مَا يَخْتَصُّ بِهِ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانِ وَكَذَلِكَ بِنَاءُ بِنِيَّتِهِ.

فَإِنَّ نُمُوَّهُ وَاعْتِدَاءَهُ وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبَاتِ فِيهِ قَدْرٌ مُشْتَرِكٌ فَلَيْسَ مِثْلَهُ هُوَ، إِذْ هَذَا يَغْتَدِي بِمَا يَلْدُ بِهِ وَيَسْرُ نَفْسَهُ وَيَنُمُو بِنُمُوِّ حِسِّهِ وَحَرَكَتِهِ وَهَمِّهِ وَحَرَثِهِ؛ وَلَيْسَ النَّبَاتُ كَذَلِكَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني هذه الصفات التي تجعل من الصفات المميزة للإنسان، يقول شيخ الإسلام: هي موجودة في غيره أيضاً، مثل: النطق، حتى التي جعلتها مشتركة بينه وبين غيره لم تبين ما تخصه، وما جعلته من المميز هو في الحقيقة مشترك، يقول:

أولاً: وصفك ليس دقيقاً.

وثانياً: حتى الذي بينته جعلته مشتركاً، جعلته مُمِيزاً لم تميز الحقيقة التي يتميز بها هذا عن هذا كلام العام.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ أَصْنَافُ النَّوْعِ وَأَفْرَادُهُ، فَنُطِقُ الْعَرَبِ بِتَمْيِيزِ قُلُوبِهِمْ وَبَيَانِ أَلْسِنَتِهِمْ أَكْمَلُ مِنْ نُطْقِ غَيْرِهِمْ حَتَّى لِيَكُونَ فِي بَنِي آدَمَ مَنْ هُوَ دُونَ الْبَهَائِمِ فِي النُّطْقِ وَالتَّمْيِيزِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا تُدْرِكُ نِهَآئَتَهُ وَهَذَا كُلُّهُ يُبَيِّنُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني يتفاوتون الإنسان يقول أنواعهم يتفاوتون حتى في النطق، ويقول: نطق العرب في هذا المستوى، وهناك من يكون دون البهائم في النطق، يعني حتى هذا النطق الذي جعلته مميزاً فيه من التفصيل الشيء الكثير، وفيه من التفاوت، إذا لم أستفد مما ذكرته حيواناً ناطقاً لا عرفت الحيوانية التي تخص الإنسان، ولا عرفت النطق الذي يخص الإنسان.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا كُلُّهُ يُبَيِّنُ أَنَّ اشْتِرَاكَ أَفْرَادِ الصَّنْفِ وَأَصْنَافِ النَّوعِ وَأَنْوَاعِ الْجِنْسِ وَالْأَجْنَاسِ السَّافِلَةِ فِي مُسَمَّى الْجِنْسِ الْأَعْلَى: لَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى الْمُشْتَرَكُ فِيهَا بِالسَّوَاءِ كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقَائِقِ الْخَارِجَةِ شَيْءٌ مُشْتَرَكٌ، وَلَكِنَّ الدَّهْنَ فَهَمَّ مَعْنَى يُوجَدُ فِي هَذَا وَيُوجَدُ نَظِيرُهُ فِي هَذَا، وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّهُ لَيْسَ مُنَاطِرًا لَهُ عَلَى وَجْهِ الْمُمَاثَلَةِ لَكِنَّ عَلَى وَجْهِ الْمُشَابَهَةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

مُنَاطِرًا لَهُ: يَعْنِي لَيْسَ مِثْلًا لَيْسَ مِثْلًا لَهُ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

لَكِنَّ عَلَى وَجْهِ الْمُشَابَهَةِ، وَأَنَّ ذَلِكَ الْمَعْنَى الْمُشْتَرَكُ هُوَ فِي أَحَدِهِمَا عَلَى حَقِيقَةٍ تُخَالِفُ حَقِيقَةَ الْآخَرَ، وَمِنْ هُنَا يَغْلُطُ الْقِيَاسِيُونَ الَّذِينَ يَلْحَظُونَ الْمَعْنَى الْمُشْتَرَكَةَ الْجَامِعَةَ دُونَ الْفَارِقِ الْمُمَيِّزِ، وَالْعَرَبُ مِنْ أَصْنَافِ النَّاسِ وَالْمُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ: أَعْظَمَ النَّاسِ إِدْرَاكًا لِلْفُرُوقِ وَتَمَيُّزًا لِلْمُشْتَرَكَاتِ. وَذَلِكَ يُوجَدُ فِي عُقُولِهِمْ وَلُغَاتِهِمْ وَعُلُومِهِمْ وَأَحْكَامِهِمْ وَلِهَذَا لَمَّا نَاطَرَ مُتَكَلِّمُو الْإِسْلَامِ الْعَرَبُ هَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمَةَ الصَّابِتَةَ عَجْمِ الرُّومِ وَذَكَرُوا فَضْلَ مَنْطِقِهِمْ وَكَلَامِهِمْ عَلَى مَنْطِقِ أَوْلِيكَ وَكَلَامِهِمْ: ظَهَرَ رُجْحَانُ كَلَامِ الْإِسْلَامِيِّينَ كَمَا فَعَلَهُ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْبَاقِلَانِيِّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

كَلَامِ الْإِسْلَامِيِّينَ عَلَى مَا فِيهِمْ مِنَ الْبَدْعِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

كَمَا فَعَلَهُ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْبَاقِلَانِيِّ فِي كِتَابِ "الدَّقَائِقِ" الَّذِي رَدَّ فِيهِ عَلَى الْفَلَاسِفَةِ كَثِيرًا مِنْ مَذَاهِبِهِمُ الْفَاسِدَةِ فِي الْأَفْلاكِ وَالنُّجُومِ وَالْعُقُولِ وَالنُّفُوسِ: وَوَاجِبِ الْوُجُودِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَتَكَلَّمَ عَلَى مَنْطِقِهِمْ وَتَقْسِيمِهِمُ الْمَوْجُودَاتِ كَتَقْسِيمِهِمُ الْمَوْجُودَ إِلَى الْجَوْهَرِ وَالْعَرَضِ ثُمَّ تَقْسِيمِ الْأَعْرَاضِ إِلَى الْمَقُولَاتِ التَّسْعَةِ وَذَكَرَ تَقْسِيمَ مُتَكَلِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِيهِ مِنَ التَّمْيِيزِ وَالْجَمْعِ وَالْفَرْقِ مَا لَيْسَ فِي كَلَامِ أَوْلِيكَ.

وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ الْبَيَانَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾﴾ [الرحمن: ٢: ١] الْآيَةُ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، وَقَالَ: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]. وَالْبَيَانُ: بَيَانُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ كَمَا أَنَّ الْعَمَى وَالْبَكْمُ يَكُونُ فِي الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلَّا سَأَلُوا إِذَا لَمْ يَعْلَمُوا؟ إِنَّمَا شَفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ».

وَفِي الْأَثَرِ: «الْعِيِّ عِيُّ الْقَلْبِ لَا عِيُّ اللِّسَانِ» أَوْ قَالَ: «شَرُّ الْعِيِّ عِيُّ الْقَلْبِ» وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ: «إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ كَثِيرٍ فُقَهَاؤُهُ قَلِيلٌ خُطْبَاؤُهُ، وَسَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ قَلِيلٌ فُقَهَاؤُهُ كَثِيرٌ خُطْبَاؤُهُ». وَتَبَيَّنَ الْأَشْيَاءُ لِلْقَلْبِ ضِدًّا اشْتَبَاهَهَا عَلَيْهِ كَمَا قَالَ ﷺ: «الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ» الْحَدِيثُ، وَقَدْ فُرِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]، بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ أَيْ وَلِتَتَبَيَّنَ أَنْتَ سَبِيلَهُمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

قُرَأَ: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾، وَقُرَأَ أَيْضًا: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]: أَيْ لِيَتَضَحَّ لَكَ سَبِيلَهُمْ.

بِذِكْرِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُسْتَقْبَحُ ذِكْرُهَا: فَهَذَا مِمَّا يُنْهَى عَنْهُ.

كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْبَلِغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَحَلَّلُ بِلسَانِهِ كَمَا تَتَحَلَّلُ الْبَقْرَةُ بِلسَانِهَا» وَفِي الْحَدِيثِ: «الْحَيَاءُ وَالْعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْبَدَأُ وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النَّفَاقِ» وَلِهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ طَوْلَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مِثْنَةٌ مِنْ فَقْهِهِ»، وَفِي حَدِيثِ سَعْدٍ لَمَّا سَمِعَ ابْنَهُ أَوْ لَمَّا وَجَدَ ابْنَهُ يَدْعُو، وَعَامَّةُ الْحُدُودِ الْمَنْطِقِيَّةِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

طبعًا يعني كل هذا لبيان أن البيان هو المقصود، وهذا لا يتم في منطقتكم، إذا لم يكن يتم في منطقتكم فما الذي تقصدون بالحدود؟ ما الذي ترمون إليه بالحدود إذا لم يكن البيان حاصلًا بحدودكم، لذلك يُلَخَّصُ كل ما ذكره بقوله: (وعامة)..

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَعَامَّةُ الْحُدُودِ الْمُنْطِقِيَّةِ: هِيَ مِنْ هَذَا الْبَابِ: حَشْوٌ لِكَلَامٍ كَثِيرٍ يُبَيِّنُونَ بِهِ الْأَشْيَاءَ؛ وَهِيَ قَبْلَ بَيَانِهِمْ أُبَيِّنُ مِنْهَا بَعْدَ بَيَانِهِمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللهُ:

هذه الجملة أيضًا تنقل كثيرًا عن شيخ الإسلام، المنطق عبارة عن: (حَشْوٌ لِكَلَامٍ كَثِيرٍ يُبَيِّنُونَ بِهِ الْأَشْيَاءَ؛ وَهِيَ قَبْلَ بَيَانِهِمْ أُبَيِّنُ مِنْهَا بَعْدَ بَيَانِهِمْ)، نحن الآن بالنسبة للحيوان الناطق ما عرفنا أنه هذا ولا هذا؟ (هِيَ قَبْلَ بَيَانِهِمْ أُبَيِّنُ مِنْهَا بَعْدَ بَيَانِهِمْ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَهِيَ مَعَ كَثْرَةِ مَا فِيهَا مِنْ تَضْيِيعِ الزَّمَانِ وَإِنْعَابِ الْفِكْرِ وَاللِّسَانِ لَا تُوجِبُ إِلَّا الْعَمَى وَالضَّلَالَ، وَتَفْتَحُ بَابَ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ إِذْ كُلُّ مِنْهُمْ يُورِدُ عَلَى حَدِّ الْآخَرِ مِنَ الْأَسْئَلَةِ مَا يَفْسُدُ بِهِ وَيَزْعُمُ سَلَامَةَ حَدِّهِ مِنْهُ. وَعِنْدَ التَّحْقِيقِ: تَحْدُثُهُمْ مُتَكَافِئِينَ أَوْ مُتَقَارِبِينَ لَيْسَ لِأَحَدِهِمْ عَلَى الْآخَرِ رُجْحَانٌ مُبِينٌ؛ فِيمَا أَنْ يُقْبَلَ الْجَمِيعُ أَوْ يُرَدَّ الْجَمِيعُ أَوْ يُقْبَلَ مِنْ وَجْهِ وَيُرَدَّ مِنْ وَجْهِ، هَذَا فِي الْحُدُودِ الَّتِي تَشْتَرِكُ فِي تَمْيِيزِ الْمَحْدُودِ وَفَصْلِهِ عَمَّا سِوَاهُ.

وَأَمَّا مَتَى أَدْخَلَ أَحَدُهُمَا فِي الْحَدِّ مَا أَخْرَجَهُ الْآخَرُ أَوْ بِالْعَكْسِ: فَالْكَلَامُ فِي هَذَا عِلْمٌ يُسْتَفَادُ بِهِ حَدُّ الْأَسْمِ وَمَعْرِفَةٌ عُمُومِهِ وَخُصُوصِهِ مِثْلُ الْكَلَامِ فِي حَدِّ الْخَمْرِ: هَلْ هِيَ عَصِيرُ الْعِنَبِ الْمُشْتَدُّ أَمْ هِيَ كُلُّ مُسْكِرٍ؟ وَحَدُّ الْغَيْبَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيهِ الْعُلَمَاءُ كَمَا قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «مَا الْغَيْبَةُ؟ قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»، الْحَدِيثُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهَ اللهُ:

إذا كانت الحدود التي تشترك في تمييز المحدود وفصله، هذا جاء بعبارة وهذا جاء بعبارة، فهذه كما يقول شيخ الإسلام هي من هذا الباب فيها تعقيد وفيها حشو، فإما أن يقبل الجميع أو يرد الجميع، أو

تُقبل من وجه.

أما الحدود التي يتحدث عنها العلماء وفيها: إدخال بعض الأمور في الحد، أو عدم إدخال بعض الأمور في الحد فهذه من العلم، الخمر مثلاً الذي يُعرفه قد يُخرج من تعريفه شيئاً مُهماً، فيقصر الخمر على قاصر العنب مثلاً، خمر العنب مثلاً كما هو عند الأحناف، البقية يُعرفون الخمر ويدخلون فيه بعض الأمور حتى يكون أعم، وهذا من باب العلم حتى تعرف الخمر، يقول: (هذا ليس من هذا الباب) هم المؤدى واحد لكنهم يختلفون في التعبير.

قال المصنف رحمه الله:

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ»، وَقَوْلِ عُمَرَ عَلَى الْمُنْبِرِ: "الْخَمْرُ مَا خَامَرَ الْعَقْلَ" وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ لَمَّا قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: الرَّجُلُ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ نَعْلُهُ حَسَنًا وَتَوْبُهُ حَسَنًا أَفَمِنْ الْكِبَرِ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: لَا إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ».

وَمِنْهُ تَفْسِيرُ الْكَلَامِ وَشَرْحُهُ وَبَيَانُهُ، فَكُلُّ مَنْ شَرَحَ كَلَامَ غَيْرِهِ وَفَسَّرَهُ وَبَيَّنَّ تَأْوِيلَهُ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَعْرِفَةِ حُدُودِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي فِيهِ.

فَكُلُّ مَا كَانَ مِنْ حَدِّ بِالْقَوْلِ فَإِنَّمَا هُوَ حَدٌّ لِإِسْمٍ بِمَنْزِلَةِ التَّرْجَمَةِ وَالْبَيَانِ، فَتَارَةً يَكُونُ لَفْظًا مَحْضًا إِنْ كَانَ الْمُخَاطَبُ يَعْرِفُ الْمَحْدُودَ.

قال الشارح وفقه الله:

هذا هي المرتبة الأولى التي سبقت في مراتب الترجمة:

فَتَارَةً يَكُونُ لَفْظًا مَحْضًا إِنْ كَانَ الْمُخَاطَبُ يَعْرِفُ الْمَحْدُودَ، هُنَا يُتْرَجَمُ اللَّفْظُ إِلَى لَفْظٍ.

وتارة، هذه الدرجة الثانية.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَتَارَةً يَحْتَاجُ إِلَى تَرْجَمَةِ الْمَعْنَى وَبَيَانِهِ إِذَا كَانَ الْمُحَاظَبُ لَمْ يَعْرِفِ الْمُسَمَّى .

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذه الدرجة الثانية.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَذَلِكَ يَكُونُ بِضَرْبِ الْمَثَلِ أَوْ تَرْكِيبِ صِفَاتٍ، وَذَلِكَ لَا يُفِيدُ تَصْوِيرَ الْحَقِيقَةِ لِمَنْ لَمْ يَتَّصِرْ بِهَا بِغَيْرِ الْكَلَامِ فَلْيُعْلَمَ ذَلِكَ، وَأَمَّا مَا يَذْكُرُونَهُ مِنْ حَدِّ الشَّيْءِ أَوْ الْحَدِّ بِحَسَبِ الْحَقِيقَةِ أَوْ حَدِّ الْحَقَائِقِ فَلَيْسَ فِيهِ مِنَ التَّمْيِيزِ إِلَّا ذِكْرُ بَعْضِ الصِّفَاتِ الَّتِي لِلْمَحْدُودِ كَمَا تَقَدَّمَ وَفِيهِ مِنَ التَّخْلِيطِ مَا قَدْ نَبَّهْنَا عَلَى بَعْضِهِ .

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

الدعوة عريضة، أن الحد بحسب الحقيقة، أو حد الحقائق هكذا دعوى عريضة، ثم يذكرون بعض الصفات، ويخطئون أيضًا في تصنيف هذه الصفات التي للمحدود، فيقول شيخ الإسلام: (وَفِيهِ مِنَ التَّخْلِيطِ مَا قَدْ نَبَّهْنَا عَلَى بَعْضِهِ) هذا ما يتعلق بالحدود.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

(فصل)

وَأَمَّا مَسْأَلَةُ الْقِيَاسِ، فَالْكَلَامُ عَلَيْهِ فِي مَقَامَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: فِي الْقِيَاسِ الْمُطْلَقِ الَّذِي جَعَلُوهُ مِيزَانَ الْعُلُومِ وَحَرَّرُوهُ فِي الْمَنْطِقِ .

وَالثَّانِي: فِي جِنْسِ الْأَقْسِيسَةِ الَّتِي يَسْتَعْمِلُونَهَا فِي الْعُلُومِ .

أَمَّا الْأَوَّلُ: فَنَقُولُ: لَا نِرَاعَ أَنَّ الْمُقَدِّمَتَيْنِ إِذَا كَانَتَا مَعْلُومَتَيْنِ وَالْفُتَا عَلَى الْوَجْهِ الْمُعْتَدِلِ: أَنَّهُ يُفِيدُ الْعِلْمَ

بِالنَّتِيجَةِ .

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

عمومًا إذا كانت المقدمتان معلومتين والفتا على الوجه المعتدل؛ (يُفِيدُ الْعِلْمَ بِالنَّتِيجَةِ)، ذكر مثلاً،

وقد جاء.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مَرْفُوعًا: «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ»؛ لَكِنَّ هَذَا لَمْ يَذْكُرْهُ النَّبِيُّ ﷺ لِيَسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى مُنَازَعٍ يُنَازِعُهُ بَلَّ التَّرْكِيبُ فِي هَذَا.

كَمَا قَالَ أَيْضًا فِي الصَّحِيحِ: «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ»، أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّ جَمِيعَ الْمُسْكِرَاتِ دَاخِلَةٌ فِي مَسْمَى الْخَمْرِ الَّذِي حَرَّمَهُ اللهُ، فَهُوَ بَيَانٌ لِمَعْنَى الْخَمْرِ وَهُمْ قَدْ عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْخَمْرَ.

وَكَانُوا يَسْأَلُونَهُ عَنِ أَشْرَبَةٍ مِنْ عَصِيرِ الْعِنَبِ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي مُوسَى أَنَّهُ ﷺ سُئِلَ عَنْ شَرَابٍ يُصْنَعُ مِنَ الدَّرَّةِ يُسَمَّى الْمَرْزُ وَشَرَابٍ يُصْنَعُ مِنَ الْعَسَلِ يُسَمَّى الْبِتْعَ، وَكَانَ قَدْ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ فَقَالَ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا في اليمن.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَأَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ بِالْكَلِمَةِ الْجَامِعَةِ - وَهِيَ الْقَضِيَّةُ الْكُلِّيَّةُ - أَنَّ كُلَّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، ثُمَّ جَاءَ بِمَا كَانُوا يَعْلَمُونَهُ مِنْ أَنَّ «كُلَّ خَمْرٍ حَرَامٌ»، حَتَّى يُثَبِّتَ تَحْرِيمَ الْمُسْكِرِ فِي قُلُوبِهِمْ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي قَوْلِهِ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ»، وَلَوْ افْتَصَرَ عَلَى قَوْلِهِ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ»، لَتَأَوَّلَهُ مُتَأَوِّلٌ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ الْقَدَحَ الْأَخِيرَ كَمَا تَأَوَّلَهُ بَعْضُهُمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ أَحْمَدُ: قَوْلُهُ: «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ» أَبْلَغُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

النبي ﷺ ماذا قال؟ «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ»، لو قال: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ» (لَتَأَوَّلَهُ مُتَأَوِّلٌ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ الْقَدَحَ الْأَخِيرَ)، شخص يشرب؛ انتهى من القدح، ثم قدح، ولم يُصبه السكر، ثم، ثم، ثم...، ولما جاء إلى قدح هنا أسكره.

«كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ»؛ بعض الأحناف أولوه بهذا التأويل: أن الأخير الذي أسكر عنده هو حرام، ما قبله كيف تعرف، فلذلك النبي ﷺ لم يقتصر عليه، ليبين أن العلة هنا كما قال عمر: «الْخَمْرُ مَا خَامَرَ الْعَقْلَ».

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّهُمْ لَا يُسَمُّونَ الْقَدَحَ الْأَخِيرَ خَمْرًا، وَلَوْ قَالَ: «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ» لَتَأَوَّلَهُ بَعْضُهُمْ عَلَى أَنَّهُ يُشْبَهُ الْخَمْرَ فِي التَّحْرِيمِ فَلَمَّا زَادَ «وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ» عَلِمَ أَنَّهُ أَرَادَ دُخُولَهُ فِي اسْمِ الْخَمْرِ الَّتِي حَرَّمَهَا اللهُ. وَالغَرَضُ هُنَا: أَنَّ صُورَةَ الْقِيَاسِ الْمَذْكُورَةَ فِطْرِيَّةٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَعَلُّمٍ، بَلْ هِيَ عِنْدَ النَّاسِ بِمَنْزِلَةِ الْحِسَابِ وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ يُطَوِّلونَ الْعِبَارَاتِ وَيُغَرِّبُونَهَا.

وَكَذَلِكَ انْقِسَامُ الْمُقَدِّمَةِ الَّتِي تُسَمَّى الْقَضِيَّةَ - وَهِيَ الْجُمْلَةُ الْخَبَرِيَّةُ - إِلَى خَاصٍّ وَعَامٍّ وَمُنْفِيٍّ وَمُثَبِّتٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَأَنَّ الْقَضِيَّةَ الصَّادِقَةَ يَصْدُقُ عَكْسُهَا وَعَكْسُ نَقِيضِهَا وَيَكْذِبُ نَقِيضُهَا، وَأَنَّ جُمْلَتَهَا تَخْتَلِفُ وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَكَذَلِكَ تَقْسِيمُ الْقِيَاسِ إِلَى الْحَمَلِيِّ الْإِفْرَادِيِّ؛ وَالِاسْتِثْنَائِيِّ التَّلَازِمِيِّ وَالتَّعَانُدِيِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ: غَالِبُهُ - وَإِنْ كَانَ صَحِيحًا - فَفِيهِ مَا هُوَ بَاطِلٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

أمرها كما جاءت.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْحَقُّ الَّذِي هُوَ فِيهِ: فِيهِ مِنْ تَطْوِيلِ الْكَلَامِ وَتَكْثِيرِهِ بِلَا فَايْدَةٍ؛ وَمِنْ سُوءِ التَّعْبِيرِ وَالْعَمِيِّ فِي الْبَيَانِ؛ وَمِنْ
الْعُدُولِ عَنِ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الْقَرِيبِ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَدِيرِ الْبَعِيدِ مَا لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ بَيَانِهِ.
فَحَقُّهُ النَّافِعُ فِطْرِيٌّ لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ؛ وَمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ لَيْسَ فِيهِ مَنَفَعَةٌ إِلَّا مَعْرِفَةُ اضْطِلَاحِهِمْ وَطَرِيقِهِمْ أَوْ
خَطِّهِمْ، وَهَذَا شَأْنُ كُلِّ ذِي مَقَالَةٍ مِنَ الْمَقَالَاتِ الْبَاطِلَةِ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُ فِي مَعْرِفَةِ لُغَتِهِ وَضَلَالِهِ؛ فَاحْتِجَ إِلَيْهِ
لِبَيَانِ ضَلَالِهِ الَّذِي يَعْرِفُ بِهِ الْمُوقِنُونَ حَالَهُ، وَيَسْتَبِينُ لَهُمْ مَا بَيَّنَّ اللهُ مِنْ حُكْمِهِ جَزَاءً وَأَمْرًا؛ وَأَنَّ هَؤُلَاءِ
دَاخِلُونَ فِيْمَا يُدْمَمُ بِهِ مَنْ تَكَلَّفَ الْقَوْلَ الَّذِي لَا يُفِيدُ؛ وَكَثْرَةَ الْكَلَامِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ.
وَالْمَقْصُودُ هُنَا: ذِكْرُ وَجْهِ:

أحدها -الوجه الأول-: أَنَّ الْقِيَاسَ الْمَذْكُورَ لَا يُفِيدُ عِلْمًا إِلَّا بِوَاسِطَةِ قَضِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ مُوجِبَةٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

نعم، هذا الذي أشرت إليه، القياس المذكور لا يفيد علمًا إلا بواسطة شيء، ودور هذا الشيء مهم في
إفادة القياس للمقصود، وهذا هو القضية الكلية الموجبة، القضية الكلية الموجبة، الموجبة التي فيها
إثبات، والسالبة التي فيها نفي.

لابد من قضية كلية موجبة، لابد من قضية كلية جامعة ثابتة في كل قياس، وهذا متفق عليه؟

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

أحدها -الوجه الأول-: أَنَّ الْقِيَاسَ الْمَذْكُورَ لَا يُفِيدُ عِلْمًا إِلَّا بِوَاسِطَةِ قَضِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ مُوجِبَةٍ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ
كُلِّيَّةٍ جَامِعَةٍ ثَابِتَةٍ فِي كُلِّ قِيَاسٍ، وَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مَعْلُومٌ أَيْضًا.

وَلِهَذَا قَالُوا: لَا قِيَاسَ عَنِ سَالِبَتَيْنِ وَلَا عَنْ جُزْئِيَّتَيْنِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَجَبَ أَنْ تَكُونَ الْعُلُومُ الْكُلِّيَّةُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

سَالِبَتَيْنِ: لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مُوجِبٌ لِإِثْبَاتٍ.

جُزْئِيَّتَيْنِ: لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ كُلِّيٌّ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَجَبَ أَنْ تَكُونَ الْعُلُومُ الْكُلِّيَّةُ، وَالْكَلِمَاتُ الْجَامِعَةُ هِيَ أَصُولُ الْأَقْسِمَةِ وَالْأَدِلَّةُ وَقَوَاعِدُهَا الَّتِي تُبْنَى عَلَيْهَا وَتَحْتَاجُ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالُوا: إِنَّ مَبَادِي الْقِيَاسِ الْبُرْهَانِيِّ هِيَ الْعُلُومُ الْيَقِينِيَّةُ الَّتِي هِيَ الْحِسِّيَّاتُ الْبَاطِنَةُ وَالظَّاهِرَةُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

الآن نبحث عن هذه الوساطة، كيف يُبنى عليها القياس؟ قالوا: (مَبَادِي الْقِيَاسِ الْبُرْهَانِيِّ هِيَ الْعُلُومُ الْيَقِينِيَّةُ الَّتِي...).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الَّتِي هِيَ الْحِسِّيَّاتُ الْبَاطِنَةُ وَالظَّاهِرَةُ، وَالْعَقْلِيَّاتُ وَالْبَدِيهِيَّاتُ وَالْمَتَوَاتِرَاتُ وَالْمُجْرَبَاتُ وَزَادَ بَعْضُهُمْ: الْحَدْسِيَّاتُ، وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْحِسِّيَّاتِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ قَضَايَا كُلِّيَّةٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وهي كلها واضحة الحسيات والعقليات والبديهيات والمتواترات، والمُجْرَبَاتُ وزاد بعضهم: الحدسيات التي تحصلُ بدون التجربة؛ لقوة الذكاء، وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ وَهذه هي موادُّ البرهان موادُّ القياس البرهاني هذه الأمور الخمسة، الآن ننظر في هذه المواد مادةً مادةً حتى نعرف هل فيها قضية كُليَّةٌ موجبة؟ أولاً: الحسيات، (وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْحِسِّيَّاتِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ قَضَايَا كُلِّيَّةٌ) الحسيات الظاهرة والباطنة هي تنقسم إلى قسمين:

خاصة.

وعامة.

أما الخاصة: فما رآه زيدٌ، أو شمه زيدٌ، أو لمسه زيدٌ؛ لا يجب أن يشترك فيه الجميع.

أما العامة: كاشتراكتنا نحن كلنا في رؤية هذا المسجد، أو في رؤية جبل، أو في رؤية القمر.

أما الحسيات الباطنة: فهي التي تحُس بها، تجدها في نفسك كالجوع والعطش وغيرها، عدمٌ

الاشتراك فيها أوضح.

ليس في شيء من الحسيات الباطنة والظاهرة قضايا كلية؛ إنما فيها عموم وخصوص، أما أن يكون فيها قضايا كلية؟! لا، لماذا؟ إذ الحس...

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

إِذْ الْحِسُّ الْبَاطِنُ وَالظَّاهِرُ لَا يُدْرِكُ إِلَّا أُمُورًا مُعَيَّنَةً لَا تَكُونُ إِلَّا إِذَا كَانَ الْمُخْبِرُ أَدْرَكَ مَا أَخْبَرَ بِهِ بِالْحِسِّ فَهِيَ تَبَعُ الْحَسِّيَّاتِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إما أن تُشاهدتها وإما أن يُخبرك أحدٌ، إذا أخبرك أحد يكون أيضًا عن مُشاهدة إذا هي حسيات، واضح؟ إذا ما وجدنا فيها قضية كلية موجبة، وكذلك المُجربات، التجربة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ التَّجْرِبَةُ إِنَّمَا تَقَعُ عَلَى أُمُورٍ مُعَيَّنَةٍ مَحْسُوسَةٍ، وَإِنَّمَا يَحْكُمُ الْعَقْلُ عَلَى النَّظَائِرِ بِالتَّشْبِيهِ وَهُوَ قِيَاسُ التَّمْثِيلِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

التجربة في الأصل تكون على أمور مُعينة محسوسة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْحَدْسِيَّاتِ -عِنْدَ مَنْ يُثْبِتُهَا مِنْهُمْ- مِنْ جِنْسِ التَّجْرِبِيَّاتِ، لَكِنَّ الْفَرْقَ: أَنَّ التَّجْرِبَةَ تَتَعَلَّقُ بِفِعْلِ الْمُجَرَّبِ كَالْأَطْعِمَةِ وَالْأَشْرِبَةِ وَالْأَدْوِيَةِ، وَالْحَدْسُ يَتَعَلَّقُ بِغَيْرِ فِعْلِ كَاخْتِلَافِ أَشْكَالِ الْقَمَرِ عِنْدَ اخْتِلَافِ مُقَابَلَتِهِ لِلشَّمْسِ وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ تَجْرِبَةٌ عِلْمِيَّةٌ بِلا عَمَلٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

تكون كبيرة تكون صغيرة، كيف عرفنا هذا؟ بالحدس عرفنا أن هذا التغير في القمر عند اختلاف مُقابله الشمس، نعم، وليس فيه فعلٌ لك، ليس تجربة لك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَالْمُسْتَفَادُ بِهِ أَيْضًا أُمُورٌ مُعَيَّنَةٌ جُزْئِيَّةٌ لَا تَصِيرُ عَامَّةً إِلَّا بِوَاسِطَةِ قِيَاسِ التَّمَثِيلِ، وَأَمَّا الْبَدِيهِيَّاتُ - وَهِيَ الْعُلُومُ الْأَوَّلِيَّةُ الَّتِي يَجْعَلُهَا اللهُ فِي الثُّفُوسِ ابْتِدَاءً بِلاَ وَاسِطَةٍ مِثْلَ الْحِسَابِ وَهِيَ كَالْعِلْمِ بِأَنَّ الْوَاحِدَ نِصْفُ الْإِثْنَيْنِ - فَإِنَّهَا لَا تُفِيدُ الْعِلْمَ بِشَيْءٍ مُعَيَّنٍ مَوْجُودٍ فِي الْخَارِجِ مِثْلَ الْحُكْمِ عَلَى الْعَدَدِ الْمُطْلَقِ وَالْمِقْدَارِ الْمُطْلَقِ.

كَالْعِلْمِ بِأَنَّ الْأَشْيَاءَ الْمُسَاوِيَةَ لِشَيْءٍ وَاحِدٍ هِيَ مُتَسَاوِيَةٌ فِي أَنْفُسِهَا، فَإِنَّكَ إِذَا حَكَمْتَ عَلَى مَوْجُودٍ فِي الْخَارِجِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا بِوَاسِطَةِ الْحِسِّ مِثْلَ الْعَقْلِ، فَإِنَّ الْعَقْلَ إِنَّمَا هُوَ عَقْلٌ مَا عَلِمْتَهُ بِالْإِحْسَاسِ الْبَاطِنِ أَوْ الظَّاهِرِ بِعَقْلِ الْمَعَانِي الْعَامَّةِ أَوْ الْخَاصَّةِ، فَأَمَّا أَنَّ الْعَقْلَ الَّذِي هُوَ عَقْلُ الْأُمُورِ الْعَامَّةِ الَّتِي أَفْرَادُهَا مَوْجُودَةٌ فِي الْخَارِجِ يَحْصُلُ بِغَيْرِ حِسٍّ فَهَذَا لَا يُتَصَوَّرُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(فَهَذَا لَا يُتَصَوَّرُ): لَا يَتَصَوَّرُ أَنْ يَتَصَوَّرَ الْعَقْلُ أُمُورًا لَمْ يَعْلَمْهَا بِالْحِسِّ، عَمَلُ الْعَقْلِ: هُوَ جَمْعُ النِّظَائِرِ

وَاسْتِخْلَاصِ أُمُورٍ تَشْتَرِكُ فِيهَا هَذَا عَمَلُ الْعَقْلِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَأَمَّا أَنَّ الْعَقْلَ الَّذِي هُوَ عَقْلُ الْأُمُورِ الْعَامَّةِ الَّتِي أَفْرَادُهَا مَوْجُودَةٌ فِي الْخَارِجِ يَحْصُلُ بِغَيْرِ حِسٍّ فَهَذَا لَا يُتَصَوَّرُ، وَإِذَا رَجَعَ الْإِنْسَانُ إِلَى نَفْسِهِ وَجَدَ أَنَّهُ لَا يَعْقِلُ ذَلِكَ مُسْتَغْنِيًا عَنِ الْحِسِّ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ لِكُلِّيَّاتِ مُقَدَّرَةٍ فِي نَفْسِهِ مِثْلُ: الْوَاحِدِ وَالْإِثْنَيْنِ وَالْمُسْتَقِيمِ وَالْمُنْحَنَى وَالْمُثَلَّثِ وَالْمُرَبَّعِ وَالْوَاجِبِ وَالْمُمْكِنِ وَالْمُمْتَنِعِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَفْرُضُهُ هُوَ وَيُقَدِّرُهُ.

فَأَمَّا الْعِلْمُ بِمُطَابَقَةِ ذَلِكَ الْمُقَدَّرِ لِلْمَوْجُودِ فِي الْخَارِجِ وَالْعِلْمُ بِالْحَقَائِقِ الْخَارِجِيَّةِ فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنَ الْحِسِّ الْبَاطِنِ أَوْ الظَّاهِرِ، فَإِذَا اجْتَمَعَ الْحِسُّ وَالْعَقْلُ - كَاجْتِمَاعِ الْبَصْرِ وَالْعَقْلِ - أَمْكَنَ أَنْ يُدْرِكَ الْحَقَائِقَ الْمَوْجُودَةَ الْمَعْنِيَّةَ وَيَعْقِلَ حُكْمَهَا الْعَامَّ الَّذِي يَنْدَرِجُ فِيهِ أَمْثَالُهَا لَا أَضْدَادُهَا وَيُعَلِّمُ الْجَمْعُ وَالْفَرْقُ وَهَذَا هُوَ اعْتِبَارُ الْعَقْلِ وَقِيَاسُهُ.

وَإِذَا انْفَرَدَ الْإِحْسَاسُ الْبَاطِنُ أَوْ الظَّاهِرُ أَدْرَكَ وَجُودَ الْمَوْجُودِ الْمُعَيَّنِ، وَإِذَا انْفَرَدَ الْمَعْقُولُ الْمُجَرَّدُ عَلِمَ الْكُلِّيَّاتِ الْمُقَدَّرَةَ فِيهِ، الَّتِي قَدْ يَكُونُ لَهَا وَجُودٌ فِي الْخَارِجِ وَقَدْ لَا يَكُونُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وَإِذَا انْفَرَدَ الْمَعْقُولُ الْمُجَرَّدُ لَيْسَ فِيهَا إِلَّا عَلِمَ الْكُلِّيَّاتِ الْمُقَدَّرَةَ، فِي الْعَقْلِ الَّتِي قَدْ تَكُونُ وَقَدْ لَا تَكُونُ، الَّتِي قَدْ يَكُونُ لَهَا وَجُودٌ وَقَدْ لَا يَكُونُ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا يُعَلِّمُ وَجُودُ أَعْيَانِهَا وَعَدَمُ وَجُودِ أَعْيَانِهَا إِلَّا بِإِحْسَاسِ بَاطِنٍ أَوْ ظَاهِرٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إِذَا رَجَعَ أَيْضًا إِلَى الْحِسِّ وَإِلَى الْمُشَاهَدَةِ، نَعَمْ فَإِنَّكَ..

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ: مَوْجُودٌ أَنَّ الْمِائَةَ عَشْرُ الْأَلْفِ لَمْ تَحْكَمْ عَلَى شَيْءٍ فِي الْخَارِجِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هكذا تقول: أنت تقول: موجود المائة يعني المائة ليس كل موجود، المائة عشر الألف أليس كذلك؟ عشر الألف كم؟! هكذا تكون في الذهن، هكذا تقول في الذهن المائة عشر الألف، هل حكمت على هذا بهذا؟ هذا في الذهن؛ لم تحكم على شيء... .

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

لَمْ تَحْكَمْ عَلَى شَيْءٍ فِي الْخَارِجِ؛ بَلْ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْعَالَمِ مَا يَعُدُّ بِالْمِائَةِ وَالْأَلْفِ لَكُنْتَ عَالِمًا بِأَنَّ الْمِائَةَ الْمُقَدَّرَةَ فِي عَقْلِكَ عَشْرُ الْأَلْفِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

افرض أنه ليس هناك شيء اسمه مائة واسمه ألف في الدنيا، ومع ذلك؛ قدرتها هكذا في الذهن، ولكن...

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَكِنْ إِذَا أَحْسَسْتَ بِالرِّجَالِ وَالذُّوَابِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَأَحْسَسْتَ بِحِسِّكَ أَوْ بِخَبَرٍ مَنْ أَحَسَّ أَنَّ هُنَاكَ مِائَةٌ رَجُلٍ أَوْ دِرْهَمٍ وَهُنَاكَ أَلْفٌ وَنَحْوُ ذَلِكَ: حَكَمْتَ عَلَى أَحَدِ الْمَعْدُودِينَ بِأَنَّهُ عَشْرُ الْآخِرِ، فَأَمَّا الْمَعْدُودَاتُ فَلَا تُدْرِكُ إِلَّا بِالْحِسِّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

المعدودات غير العدد.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَأَمَّا الْمَعْدُودَاتُ فَلَا تُدْرِكُ إِلَّا بِالْحِسِّ، وَالْعَدَدُ الْمُجَرَّدُ يُعْقَلُ بِالْقَلْبِ وَيَعْقَلُ الْقَلْبُ وَالْحِسُّ يُعْلَمُ الْعَدَدُ وَالْمَعْدُودُ جَمِيعًا، وَكَذَلِكَ الْمَقَادِيرُ الْهَنْدَسِيَّةُ هِيَ مِنْ هَذَا الْبَابِ، فَالْعُلُومُ الْأَوَّلِيَّةُ الْبَدِيهِيَّةُ الْعَقْلِيَّةُ الْمَحْضَةُ لَيْسَتْ إِلَّا فِي الْمُقَدَّرَاتِ الذَّهْنِيَّةِ كَالْعَدَدِ وَالْمِقْدَارِ لَا فِي الْأُمُورِ الْخَارِجِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إذا هنا في البديهيات كنا نتوقع أنها تُفيدنا أمورًا كليةً حتى نكتشف منها القضية الكلية، عرفنا أنها أيضًا

ترجع إلى المحسوسات، النتيجة.

قال المصنف رحمه الله:

فَإِذَا كَانَتْ مَوَادُّ الْقِيَاسِ الْبُرْهَانِيَّ لَا يُدْرِكُ بِعَامَّتِهَا إِلَّا أُمُورٌ مُعَيَّنَةٌ لَيْسَتْ كُليَّةً وَهِيَ الْحِسُّ الْبَاطِنُ وَالظَّاهِرُ وَالتَّوَاتُرُ وَالتَّجْرِبَةُ وَالحَدْسُ، وَالَّذِي يُدْرِكُ الْكُلِّيَّاتِ الْبَدِيهِيَّةَ الْأَوَّلِيَّةَ إِنَّمَا يُدْرِكُ أُمُورًا مُقَدَّرَةً ذَهْنِيَّةً لَمْ يَكُنْ فِي مَبَادِي الْبُرْهَانِ وَمُقَدَّمَاتِهِ الْمَذْكُورَةِ مَا يُعْلَمُ بِهِ قَضِيَّةٌ كُليَّةٌ عَامَّةٌ لِلْأُمُورِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْخَارِجِ. وَالْقِيَاسُ لَا يُفِيدُ الْعِلْمَ إِلَّا بِوَاسِطَةِ قَضِيَّةٍ كُليَّةٍ؛ فَاْمَنَّعَ حَيْثُذُ أَنْ يَكُونَ فِيْمَا ذَكَرُوهُ مِنْ صُورَةِ الْقِيَاسِ وَمَادَّتِهِ حُصُولُ عِلْمٍ يَقِينٍ.

قال الشارح وفقه الله:

طبعاً هذا الوجه ترى يركز عليه شيخ الإسلام كثيراً؛ تصورناه! هناك دعوى أن القياس لا يفيد إلا بواسطة قضية كلية موجبة موجبة، لما بحثنا مواد القياس وهي خمسة ما وجدنا فيها شيئاً يفيد هذه القضية الكلية الموجبة إذا هذه الدعوى باطلة إذا ما تدعونه غير موجود أصلاً.

قال المصنف رحمه الله:

وَهَذَا بَيْنٌ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ، وَبِتَحْرِيرِهِ وَجُودَهُ تَصَوُّرِهِ تَنْفِيحِ عُلُومٍ عَظِيمَةٍ وَمَعَارِفٍ، وَسَنُبِّينُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَيْ وَجْهِ وَقَعَ عَلَيْهِمُ اللَّبْسُ، فَتَدَبَّرْ هَذَا فَإِنَّهُ مِنْ أَسْرَارِ عَظَائِمِ الْعُلُومِ الَّتِي يَظْهَرُ لَكَ بِهَ مَا يَجِلُّ عَنِ الْوَصْفِ مِنْ الْفَرْقِ بَيْنَ الطَّرِيقَةِ الْفِطْرِيَّةِ الْعَقْلِيَّةِ السَّمْعِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ، وَبَيْنَ الطَّرِيقَةِ الْقِيَاسِيَّةِ الْمَنْطِقِيَّةِ الْكَلَامِيَّةِ.

قال الشارح وفقه الله:

طبعاً باختصار شديد: الفرق بين الطريقة الكلامية وبين طريقة القرآن: الفرق في الوسائل والمقاصد: أما الفرق في الوسائل:

إن القرآن الطريقة القرآنية: فطرية قريبة موصلة إلى عين المقصود، سهلة قد توصلك إلى عين

المقصود.

أما الكلامية: قياسيةٌ بعيدةٌ مُعقدةٌ، إما أنها لا توصل، أو توصلك إلى نوع المقصود، وليس إلى المقصود بعينه هذا في الوسائل.

أما في المقاصد:

فالقرآن فيه دعوةٌ إلى العلم والعمل؛ وبها النجاة.

أما الطريقة الكلامية: في أحسن الأحوال تكون قد أثبت وجود الله ﷻ في أحسن الأحوال، قد أثبت وجود الله ﷻ وعلمت ربوبيته، وأيضًا العمل، واضح؟ هذا باختصار شديد.

قال المصنف رحمه الله:

وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ بِاجْتِمَاعِهِمْ وَبِالْعَقْلِ أَنَّ الْقِيَاسَ الْمَنْطِقِيَّ لَا يُفِيدُ إِلَّا بِوَاسِطَةِ قَضِيَّةٍ وَتَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الْقَضَايَا الَّتِي هِيَ عِنْدَهُمْ مَوَادُّ الْبُرْهَانِ وَأُصُولُهُ لَيْسَ فِيهَا قَضِيَّةٌ كَلِّيَّةٌ لِلْأُمُورِ الْمَوْجُودَةِ وَلَيْسَ فِيهَا مَا تُعَلَّمُ بِهِ الْقَضِيَّةُ الْكَلِّيَّةُ؛ إِلَّا الْعَقْلُ الْمَجْرَدُ الَّذِي يَعْقِلُ الْمُقَدَّرَاتِ الذَّهْنِيَّةَ وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي أُصُولِ بُرْهَانِهِمْ عِلْمٌ بِقَضِيَّةٍ عَامَّةٍ لِلْأُمُورِ الْمَوْجُودَةِ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ عِلْمٌ.

قال الشارح وفقه الله:

واضح؟! هذا الوجه كما قلت لكم أطال فيه حتى في الرد على المنطقيين.

طبعًا هكذا شيخ الإسلام سبحانه الله منهجه يُحلل المواد مادةً مادةً وينظر في كل شيء حتى يصل إلى نتيجة، أما الذين يُصيبهم الخوف والدُعر من هذه المُجربات متواترات قد تجده ينخلع قلبه كما يقول ابن القيم رحمه الله من هذه الأسماء.

قال المصنف رحمه الله:

وَلَيْسَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مَا يُمَكِّنُ النَّزَاعُ فِيهِ إِلَّا الْقَضَايَا الْبَدِيهِيَّةُ فَإِنَّ فِيهَا عُمُومًا وَقَدْ يَظُنُّ أَنَّ بِهِ تَعَلَّمَ الْأُمُورَ الْخَارِجَةَ.

قال الشارح وفقه الله:

طبعًا القضايا البديهية هذه التي يُمكن أن يُناقشنا فيها أولئك المناطق، أما البقية حتى هم لا يُنازعون

فإن فيها عمومًا، وقد يُظن أنه به تُعلمُ الأمور الخارجة.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

فَيَفْرُضُ أَنَّهَا تُفِيدُ الْعُلُومَ الْكُلِّيَّةَ، لَكِنَّ بَقِيَّةَ الْمَبَادِي لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ كُلِّيٌّ، فَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ لَا يَجْعَلَ مُقَدِّمَةَ الْبُرْهَانِ إِلَّا الْقَضَايَا الْعَقْلِيَّةَ الْبَدِيهِيَّةَ الْمَحْضَةَ، وَإِذْ هِيَ الْكُلِّيَّةُ، وَأَمَّا بَقِيَّةُ الْقَضَايَا فَهِيَ جُزْئِيَّةٌ فَكَيْفَ يَصْلُحُ أَنْ تُجْعَلَ مِنْ مُقَدِّمَاتِ الْبُرْهَانِ؟.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

أولاً: بقية المواد حتى أنت ما نازعتني فيها، ولكن لماذا جعلتها موادًا وأدعت تلك الدعاوى، الآن أنت ساكت لا تنازعني فيها جئت تنازعني في البديهيات فقط، يقول: (فَكَيْفَ يَصْلُحُ أَنْ تُجْعَلَ مِنْ مُقَدِّمَاتِ الْبُرْهَانِ تِلْكَ) نعم إلا أن يُقال...

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

إِلَّا أَنْ يُقَالَ: تُعْلَمُ بِهَا أُمُورٌ جُزْئِيَّةٌ وَبِالْعَقْلِ أُمُورٌ كُلِّيَّةٌ فَبِمَجْمُوعِهِمَا يَتِمُّ الْبُرْهَانُ كَمَا يُعْلَمُ بِالْحِسِّ أَنَّ مَعَ هَذَا أَلْفَ دِرْهَمٍ وَمَعَ هَذَا أَلْفَانِ، وَيُعْلَمُ بِالْعَقْلِ أَنَّ الْإِثْنَيْنِ أَكْثَرُ مِنَ الْوَاحِدِ فَيُعْلَمُ أَنَّ مَالَ هَذَا أَكْثَرُ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

قلنا: أن هذا التطويل: (مَعَ هَذَا أَلْفَ دِرْهَمٍ وَمَعَ هَذَا أَلْفَانِ، وَيُعْلَمُ بِالْعَقْلِ أَنَّ الْإِثْنَيْنِ أَكْثَرُ مِنَ الْوَاحِدِ فَيُعْلَمُ أَنَّ مَالَ هَذَا أَكْثَرُ).

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

فَيُقَالُ: هَذَا صَحِيحٌ؛ لَكِنَّ هَذَا إِنَّمَا يُفِيدُ قَضِيَّةً جُزْئِيَّةً مُعَيَّنَةً: وَهُوَ كَوْنُ مَالِ هَذَا أَكْثَرَ مِنْ مَالِ هَذَا، وَالْأُمُورُ الْجُزْئِيَّةُ الْمُعَيَّنَةُ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله:

ما كون مالها هذا أكثر من هذا، ليس فيها قضية كلية، لازلنا بين هذا وهذا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْأُمُورُ الْجُزْئِيَّةُ الْمُعَيَّنَةُ وَالْأُمُورُ الْجُزْئِيَّةُ الْمُعَيَّنَةُ لَا تَحْتَاجُ فِي مَعْرِفَتِهَا إِلَى قِيَاسٍ، بَلْ قَدْ تُعَلَّمُ بِلَا قِيَاسٍ وَتُعَلَّمُ بِقِيَاسِ التَّمْثِيلِ وَتُعَلَّمُ بِالْقِيَاسِ عَنْ جُزْئِيَّتَيْنِ، فَإِنَّكَ تُعَلَّمُ بِالْحِسِّ أَنَّ هَذَا مِثْلُ هَذَا، وَتُعَلَّمُ أَنَّ هَذَا مِنْ نَعْتِهِ كَيْتَ وَكَيْتَ فَتَعَلَّمُ أَنَّ الْآخَرَ مِثْلُهُ، وَتُعَلَّمُ أَنَّ حُكْمَ الشَّيْءِ حُكْمُ مِثْلِهِ.

وَكَذَلِكَ قَدْ يُعَلَّمُ أَنَّ زَيْدًا أَكْبَرُ مِنْ عَمْرٍو وَعَمْرًا أَكْبَرُ مِنْ خَالِدٍ وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْأُمُورِ الْمُعَيَّنَةِ الَّتِي تُعَلَّمُ بِدُونِ قِيَاسِ الشُّمُولِ الَّذِي اشْتَرَطُوا فِيهِ مَا اشْتَرَطُوا.

فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ هَذَا الْقِيَاسَ الْعَقْلِيَّ الْمُنْطِقِيَّ الَّذِي وَضَعُوهُ وَحَدَّدُوهُ لَا يُعَلَّمُ بِمُجَرَّدِهِ شَيْءٌ مِنَ الْعُلُومِ الْكُلِّيَّةِ الثَّابِتَةِ فِي الْخَارِجِ، فَبَطَلَ قَوْلُهُمْ: إِنَّهُ مِيزَانُ الْعُلُومِ الْكُلِّيَّةِ الْبُرْهَانِيَّةِ، وَلَكِنْ يُعَلَّمُ بِهِ أُمُورٌ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(وَلَكِنْ يُعَلَّمُ بِهِ أُمُورٌ، مُعَيَّنَةٌ شَخْصِيَّةٌ جُزْئِيَّةٌ وَتِلْكَ تُعَلَّمُ بِغَيْرِهِ أَجُودَ مِمَّا تُعَلَّمُ بِهِ)، وَهَذَا هُوَ الْوَجْهُ

الثَّانِي.

الوجه الأول: أشاع، فإننا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا هُوَ: الْوَجْهُ الثَّانِي فَنَقُولُ: أَمَّا الْأُمُورُ الْمَوْجُودَةُ الْمُحَقَّقَةُ فَتُعَلَّمُ بِالْحِسِّ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، وَتُعَلَّمُ بِالْقِيَاسِ التَّمْثِيلِيِّ وَتُعَلَّمُ بِالْقِيَاسِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ قَضِيَّةٌ كُلِّيَّةٌ وَلَا شُمُولٌ وَلَا عُمُومٌ بَلْ تَكُونُ الْحُدُودُ الثَّلَاثَةُ فِيهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

مسائلها كثيرة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

بَلْ تَكُونُ الْحُدُودُ الثَّلَاثَةُ فِيهِ - الْأَصْغَرُ وَالْأَوْسَطُ وَالْأَكْبَرُ - أَعْيَانًا جُزْئِيَّةً وَالْمَقْدِمَتَانِ وَالنَّتِيحَةُ قَضَايَا جُزْئِيَّةً، وَعِلْمُ هَذِهِ الْأُمُورِ الْمُعَيَّنَةِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ أَصَحُّ وَأَوْضَحُّ وَأَكْمَلُ، فَإِنَّ مَنْ رَأَى بِعَيْنِهِ زَيْدًا فِي مَكَانٍ وَعَمْرًا فِي مَكَانٍ آخَرَ: اسْتَعْنَى عَنْ أَنْ يَسْتَدِلَّ عَلَى ذَلِكَ بِكَوْنِ الْجِسْمِ الْوَاحِدِ لَا يَكُونُ فِي مَكَانَيْنِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(اسْتَعْنَى عَنْ أَنْ يَسْتَدِلَّ عَلَى ذَلِكَ بِكَوْنِ الْجِسْمِ الْوَاحِدِ لَا يَكُونُ فِي مَكَانَيْنِ)، رَأَى هَذَا هُنَا، وَمَا

يَحْتَاجُ إِلَى ...

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ مَنْ وَزَنَ دَرَاهِمَ كُلِّ مِنْهَا أَلْفَ دِرْهَمٍ اسْتَعْنَى عَنْ أَنْ يَسْتَدِلَّ عَلَى أَلْفِ دِرْهَمٍ مِنْهَا بِأَنَّهَا مُسَاوِيَةٌ لِلصَّنْجَةِ).

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

الصَّنْجَةُ: هِيَ الْمِيزَانُ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهِيَ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَالْأَشْيَاءُ الْمُسَاوِيَةُ لِشَيْءٍ وَاحِدٍ مُتَسَاوِيَةٌ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ، وَلِهَذَا يُسَمَّى هَؤُلَاءِ «أَهْلَ كَلَامٍ» أَي لَمْ يُفِيدُوا عِلْمًا لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا، وَإِنَّمَا أَتَوْا بِزِيَادَةِ كَلَامٍ، أَي لَمْ يُفِيدُوا عِلْمًا لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا، وَإِنَّمَا أَتَوْا بِزِيَادَةِ كَلَامٍ قَدْ لَا يُفِيدُ

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

طَبَعًا أَنَا كُنْتُ أَبْحَثُ عَنْ تَعْرِيفِ الْمُتَكَلِّمِينَ عِلْمَ الْكَلَامِ، هَذَا الَّذِي نَقَلْتُهُ، (يُسَمَّوْنَ هَؤُلَاءِ) يَعْنِي أَهْلَ

الْكَلَامِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ فَائِدَةٌ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهُوَ مَا صَرَّبُوهُ مِنَ الْقِيَاسِ لِإِضْحَاحِ مَا عَلِمَ بِالْحِسِّ. وَإِنْ كَانَ هَذَا الْقِيَاسُ وَأَمْثَالُهُ يُنْتَفَعُ بِهِ فِي مَوْضِعٍ
آخَرَ وَمَعَ مَنْ يُنْكِرُ الْحِسَّ كَمَا سَنَدُّكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

(وَمَعَ مَنْ يُنْكِرُ الْحِسَّ)؛ كما كان حال السفسطائية، ولكن تأتي تعلمني أن أستدل لما قد علمته

بالحس.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَلِكَ إِذَا عَلِمَ الْإِنْسَانُ أَنَّ هَذَا الدِّينَارَ مِثْلُ هَذَا وَهَذَا الدَّرْهَمَ مِثْلُ هَذَا وَأَنَّ هَذِهِ الْحِنْطَةَ وَالشَّعِيرَ مِثْلُ
هَذَا ثُمَّ عَلِمَ شَيْئًا مِنْ صِفَاتِ أَحَدِهِمَا وَأَحْكَامِهِ الطَّبِيعِيَّةِ؛ مِثْلُ الْإِغْتِذَاءِ وَالْإِنْتِفَاعِ أَوْ الْعَادِيَّةِ مِثْلُ الْقِيَمَةِ
وَالسَّعْرِ أَوْ الشَّرْعِيَّةِ: مِثْلُ الْحِلِّ وَالْحُرْمَةِ عَلِمَ أَنَّ حُكْمَ الْآخَرِ مِثْلُهُ.

فَأَقْيَسَةُ التَّمْثِيلِ تَفْيِيدُ الْيَقِينِ بِلَا رَيْبٍ أَعْظَمُ مِنْ أَقْيَسَةِ الشُّمُولِ وَلَا يُحْتَاجُ مَعَ الْعِلْمِ بِالتَّمَاثُلِ إِلَى أَنْ
يُضْرَبَ لَهُمَا قِيَاسُ شُمُولٍ بَلْ يَكُونُ مِنْ زِيَادَةِ الْفُضُولِ؛ وَبِهَذَا الطَّرِيقِ عُرِفَتْ الْقَضَايَا الْجُزْئِيَّةُ بِقِيَاسِ
التَّمْثِيلِ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ بِوَاسِطَةِ قِيَاسِ شُمُولٍ يَنْعَقِدُ فِي النَّفْسِ وَهُوَ أَنَّ هَذَا لَوْ كَانَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذه دعوى أخرى، نحن بحثنا ولم نجد تلك القضية الكلية الموجبة ما وجدناها، ولكن يقول
أحدهم: تلك القضية هي تنعقد في النفس وأنت ما تدري عنها ما دريت عنها، ومن قال: إن ذلك بواسطة
قياس شمولٍ ينعقد في النفس، وأنت ما دريت عنها، (وَهُوَ أَنَّ هَذَا لَوْ كَانَ اتَّفَاقِيًّا لَمَا كَانَ أَكْثَرِيًّا؛ فَقَدْ قَالَ
الْبَاطِلُ) دعوى.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّ النَّاسَ الْعَالِمِينَ بِمَا جَرَّبُوهُ، لَا يَخْطُرُ بِقُلُوبِهِمْ هَذَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

الاتفاق الذي لا يطرُد ولا ينعكس، إنما تصادف وجود هذا مع هذا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِنَّ النَّاسَ الْعَالِمِينَ بِمَا جَرَّبُوهُ، لَا يَخْطُرُ بِقُلُوبِهِمْ هَذَا، وَلَكِنْ بِمُجَرَّدِ عِلْمِهِمْ بِالتَّمَاثُلِ يُبَادِرُونَ إِلَى التَّسْوِيَةِ فِي الْحُكْمِ، لِأَنَّ نَفْسَ الْعِلْمِ بِالتَّمَاثُلِ يُوجِبُ ذَلِكَ بِالْبِدِيَّةِ الْعَقْلِيَّةِ فَكَمَا عُلِمَ بِالْبِدِيَّةِ الْعَقْلِيَّةِ: أَنَّ الْوَاحِدَ نِصْفُ الْإِثْنَيْنِ عُلِمَ بِهَا أَنَّ حُكْمَ الشَّيْءِ حُكْمُ مِثْلِهِ وَأَنَّ الْوَاحِدَ مِثْلُ الْوَاحِدِ.

كَمَا عُلِمَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ الْمُسَاوِيَةَ لِشَيْءٍ وَاحِدٍ مُتَسَاوِيَةٌ، فَالتَّمَاثُلُ وَالِاخْتِلَافُ فِي الصِّفَةِ أَوْ الْقَدْرِ قَدْ يُعْلَمُ بِالِإِحْسَاسِ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ وَالْعِلْمِ بِأَنَّ الْمِثْلَيْنِ سَوَاءٌ، وَأَنَّ الْأَكْثَرَ وَالْأَكْبَرَ أَعْظَمُ وَأَرْجَحُ يُعْلَمُ بِبِدِيَّةِ الْعَقْلِ، وَكَذَلِكَ الْقِيَاسُ الْمُؤَلَّفُ مِنْ قَضَايَا مُعَيَّنَةٍ مِثْلَ: (الْعِلْمُ بِأَنَّ زَيْدًا أَخُو عَمْرٍو وَعَمْرًا أَخُو بَكْرٍ فزَيْدٌ أَخُو بَكْرٍ)، (وَمِثْلَ الْعِلْمِ بِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَفْضَلُ مِنْ عَمْرٍو وَعَمْرٌ أَفْضَلُ مِنْ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ؛ فَأَبُو بَكْرٍ أَفْضَلُ مِنْ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ)، (وَأَنَّ الْمَدِينَةَ أَفْضَلُ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَالْمَدِينَةُ لَا يَجِبُ أَنْ يُحَجَّ إِلَيْهَا فَبَيْتُ الْمَقْدِسِ لَا يُحَجُّ إِلَيْهِ)، (وَقَبْرُ الرَّسُولِ ﷺ أَفْضَلُ الْقُبُورِ وَلَا يُشْرَعُ اسْتِلاَمُهُ وَلَا تَقْبِيلُهُ فَقَبْرُ فُلَانٍ وَفُلَانٍ وَفُلَانٍ لَا يُشْرَعُ اسْتِلاَمُهُ وَلَا تَقْبِيلُهُ. وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْأَقْسَةِ مِلْءُ الْعَالَمِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

كثيرة يعني، وهي أقيسة جميلة، يقول: وهذا أبلغ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا أَبْلَغُ فِي إِفَادَةِ حُكْمِ الْمُعَيَّنِ مِنْ ذِكْرِ الْعَامِّ، فَدَلَالَةُ الْإِسْمِ الْخَاصِّ عَلَى الْمُعَيَّنِ أَبْلَغُ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ بِالْإِسْمِ الْعَامِّ وَإِنْ كَانَ فِي الْعَامِّ أُمُورٌ أُخْرَى لَيْسَتْ فِي الْخَاصِّ، فَتَبَيَّنَ أَنَّ الْمَعْلُومَ مِنَ الْأُمُورِ الْمُعَيَّنَةِ يُعْلَمُ بِالْحِسِّ وَبِقِيَاسِ التَّمْثِيلِ وَالْأَقْسَمَةِ الْمُعَيَّنَةِ أَعْظَمُ مِمَّا يُعْلَمُ أَعْيَانُهَا بِقِيَاسِ الشُّمُولِ.

فَإِذَا كَانَ قِيَاسُ الشُّمُولِ -الَّذِي حَرَّرُوهُ- لَا يُفِيدُ الْأُمُورَ الْكُلِّيَّةَ كَمَا تَقَدَّمَ وَلَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمُورُ الْمُعَيَّنَةُ -كَمَا تَبَيَّنَ- لَمْ يَبْقَ فِيهِ فَائِدَةٌ أَصْلًا؛ وَلَمْ يُحْتَاجْ إِلَيْهِ فِي عِلْمٍ كُلِّيٍّ وَلَا عِلْمٍ مُعَيَّنٍ، بَلْ صَارَ كَلَامُهُمْ فِي الْقِيَاسِ الَّذِي حَرَّرُوهُ كَالْكَلَامِ فِي الْحُدُودِ وَهَذَا هَذَا؛ فَتَدَبَّرْهُ فَإِنَّهُ عَظِيمُ الْقَدْرِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

واضح! قياس الشمول أين تلك القضية؟ مازلنا نبحث عنها، هم يقولون: قياس الشمول يفيد الأمور الكلية وقد رأينا أن هذا الجانب، الجانب الكلي لا يوجد، وأما الأمور المعينة هم يقولون: أنه لا يحتاج إليه، إذا لا يحتاج إليه هنا ولا يوجد هناك إذا أين فائدته؟ لم تبق فيه فائدة أصلاً.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الْوَجْهُ الثَّلَاثُ: أَنْ يُقَالَ: إِذَا كَانَ لَا بُدَّ فِي الْقِيَاسِ مِنْ قَضِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ وَالْحِسِّ لَا يُدْرِكُ الْكُلِّيَّاتِ وَإِنَّمَا تُدْرِكُ بِالْعَقْلِ وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَعْلُومَةً بِقِيَاسٍ آخَرَ؛ لِمَا يَلْزَمُ مِنَ الدَّوْرِ أَوْ التَّسْلُسِ فَلَا بُدَّ مِنْ قَضَايَا كُلِّيَّةٍ تُعْقَلُ بِلَا قِيَاسٍ كَالْبَدِيهِيَّاتِ الَّتِي جَعَلُوهَا.

فَنَقُولُ: إِذْ وَجَبَ الْإِعْتِرَافُ بِأَنَّ مِنَ الْعُلُومِ الْكُلِّيَّةِ الْعَقْلِيَّةِ مَا يَبْتَدِئُ فِي النُّفُوسِ وَيَبْدُوهَا بِلَا قِيَاسٍ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

وَيَبْدُوهَا بِلَا قِيَاسٍ: تَعْرِفُهَا بِدَاهَةٍ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَوَجَبَ الْجَزْمُ بِأَنَّ الْعُلُومَ الْكُلِّيَّةَ الْعَقْلِيَّةَ قَدْ تَسْتَعْنِي عَنِ الْقِيَاسِ، وَهَذَا مِمَّا اعْتَرَفُوا بِهِ هُمْ وَجَمِيعُ بَنِي آدَمَ: أَنَّ مِنَ التَّصَوُّورِ وَالتَّصَدِيقِ مَا هُوَ بِدِيهِيٍّ لَا يَحْتَاجُ إِلَى كَسْبٍ بِالْحَدِّ وَالْقِيَاسِ وَإِلَّا لَزِمَ الدَّوْرُ أَوْ التَّسْلُسُ.

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَنَقُولُ: إِذَا جَازَ هَذَا فِي عِلْمٍ كُلِّيٍّ جَازَ فِي آخَرَ إِذْ لَيْسَ بَيْنَ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يُعْلَمَ ابْتِدَاءً مِنَ الْعُلُومِ الْبَدِيهِيَّةِ وَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُعْلَمَ فَضْلًا يَطْرُدُ؛ بَلْ هَذَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ قُوَّةِ الْعَقْلِ وَصَفَائِهِ وَكَثْرَةِ إِدْرَاكِ الْجَزْئِيَّاتِ الَّتِي تُعْلَمُ بِوَاسِطَتِهَا الْأُمُورُ الْكُلِّيَّةُ.

فَمَا مِنْ عِلْمٍ مِنَ الْكُلِّيَّاتِ إِلَّا وَعِلْمُهُ يُمَكِّنُ بِدُونِ الْقِيَاسِ الْمَنْطِقِيِّ؛ فَلَا يَجُوزُ الْحُكْمُ بِتَوْقُفِ شَيْءٍ مِنَ الْعُلُومِ الْكُلِّيَّةِ عَلَيْهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

اعترفوا أن شيئاً من العلوم الكلية عن طريق العلوم البديهية قد تُعرف، ولنفرض أن العلم بهذه الكليات، يقول شيخ الإسلام: اعترفتم هنا؟؛ فلنفرض أن العلم بهذه الكليات، يقول شيخ الإسلام: اعترفتم هنا نعم، إذا ما يمنع أن يكون هنا أيضاً! يمنع شيء؟ لا يمنع، إذا ما يمنع أن يكون هنا أيضاً، وهكذا في جميع العلوم. إلا أن يقولوا: أن هذا الأمر الكلي لا يمكن تصوره إلا عن طريق القياس، وأنى لكم ذلك، نعم، يعني ما اعترفوا به دليل على أنه سينسحب على العلوم الأخرى أيضاً نعم، وإذا كان كذلك فنقول: (إذا جاز هذا في علم كلي؛ جاز في آخر) أيضاً.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا يَتَبَيَّنُ: بِالْوَجْهِ الرَّابِعِ وَهُوَ أَنْ نَقُولَ: هَبْ أَنْ صُورَةَ الْقِيَاسِ الْمُنْطِقِيِّ وَمَادَّتَهُ تُفِيدُ عُلُومًا كَلِّيَّةً

لَكِنْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هذا من باب التنزل.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَكِنْ مِنْ أَيْنَ يُعْلَمُ أَنَّ الْعِلْمَ الْكُلِّيَّ لَا يُنَالُ حَتَّى يَقُولَ هَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّفُونَ الْقَافُونَ مَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ

هُمُ وَمَنْ قَلَدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ وَعِلْمَانِهِمْ: إِنَّ مَا لَيْسَ بِبِدِيهِيٍّ مِنَ التَّصَوُّرَاتِ وَالتَّصْدِيقَاتِ لَا يُعْلَمُ إِلَّا

بِالْحَدِّ وَالْقِيَاسِ، وَعَدَمُ الْعِلْمِ لَيْسَ عِلْمًا بِالْعَدَمِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

هب تصور أن صورة القياس المنطقي ومادته تُفيد، ولكن لماذا نتظركم أنتم؟ لماذا القياس

المنطقي؟ يقول: (ولكن من أين يُعلم أن العلم الكلي لا يُنال حتى يقول هؤلاء المتكلفون القافون ما

ليس لهم به علم هم ومن قلدتهم).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَالْقَائِلُ لِذَلِكَ لَمْ يَمْتَحِنْ أَحْوَالَ نَفْسِهِ، وَلَوْ امْتَحَنَ أَحْوَالَ نَفْسِهِ لَوَجَدَ لَهُ عُلُومًا كَلِّيَّةً بِدُونِ الْقِيَاسِ

الْمُنْطِقِيِّ وَتَّصَوُّرَاتٍ كَثِيرَةً بِدُونِ الْحَدِّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

تجده لم ينتظره تجده يعلم علوماً كليةً كثيرة بدون القياس المنطقي، ولكنه يحجر عليك، يحجر

عليك أن تعلم شيئاً كلياً بدون القياس المنطقي.

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِنْ لَمْ عَلِمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ بَنِي جَنْسِهِ فَمِنْ أَيْنَ لَهُ أَنْ جَمِيعَ بَنِي آدَمَ - مَعَ تَفَاوُتِ فِطْرِهِمْ وَعُلُومِهِمْ وَمَوَاهِبِ الْحَقِّ لَهُمْ - هُمْ بِمَنْزِلَتِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَمْنَحُ أَحَدًا عِلْمًا إِلَّا بِقِيَاسِ مَنْطِقِيٍّ يَنْعَقِدُ فِي نَفْسِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

إِذَا هَذَا مُسْتَوَاكُ فَلِمَاذَا تُعَمُّ هَذَا عَلَى غَيْرِكَ؟

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

حَتَّى يَزْعُمَ هَؤُلَاءِ: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ كَانُوا كَذَلِكَ بَلْ صَعِدُوا إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ وَزَعَمُوا أَنَّ عِلْمَهُ بِأُمُورِ خَلْقِهِ إِنَّمَا هُوَ بِوَاسِطَةِ الْقِيَاسِ الْمَنْطِقِيِّ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ بِهَذَا النَّفْيِ الَّذِي لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ مِنْ حُجَّةٍ إِلَّا عَدَمُ الْعِلْمِ؛ فَيَدَّعُونَ الْعِلْمَ وَقَدْ تَكَلَّمُوا بِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ الْكُلِّيَّةِ السَّالِبَةِ الَّتِي تُعَمُّ مَا لَا يُحْصِي عَدَدَهُ إِلَّا اللَّهُ بِلَا عِلْمٍ لَهُمْ بِهَا أَصْلًا.

وَيَزِيدُ هَذَا بَيَانًا: الْوَجْهَ الْخَامِسَ: وَهُوَ أَنَّ الْمَبَادِيَّ الْمَذْكُورَةَ الَّتِي جَعَلُوهَا مُفِيدَةً لِلْيَقِينِ - وَهِيَ الْحِسِّيَّاتُ الْبَاطِنَةُ وَالظَّاهِرَةُ وَالْبَدِيهِيَّاتُ وَالتَّجْرِيبيَّاتُ وَالْحَدْسِيَّاتُ - لَا رَيْبَ أَنَّهَا تُفِيدُ الْيَقِينَ الْحَسِّيَّ؛ فَمِنْ أَيْنَ لَهُمْ أَنَّ الْيَقِينَ لَا يَحْصُلُ بِغَيْرِهَا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

لِمَاذَا هَذَا الْحَصْرُ؟ قَدْ تُفِيدُ الْيَقِينَ نَعَمْ، وَلَكِنْ لِمَاذَا الْحَصْرُ عَلَيْهَا؟.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

لَا بُدَّ مِنْ دَلِيلٍ عَلَى النَّفْيِ حَتَّى يَصِحَّ قَوْلُهُمْ: لَا يَحْصُلُ الْيَقِينُ بِدُونِهَا، فَهَذَا صَحِيحٌ لَكِنَّهُ لَيْسَ هُوَ قَوْلَ رُءُوسِهِمْ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ مَنْ لَهُ عَقْلٌ وَإِيمَانٌ يَجِبُ أَنْ يُخَالِفَهُمْ فِي تَكْذِيبِهِمْ بِالْحَقِّ الْخَارِجِ عَنْ هَذَا الطَّرِيقِ، وَمِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ صَارَ مُنَافِقًا وَتَزَنَّدَقَ مَنْ نَافَقَ مِنْهُمْ.

وَصَارَ عِنْدَ عُقَلَاءِ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الْمَلَلِ وَغَيْرِهِمْ: أَنَّ الْمُنْطِقَ مَظِنَّةُ التَّكْذِيبِ بِالْحَقِّ وَالْعِنَادِ وَالزَّنْدَقَةِ وَالنِّفَاقِ حَتَّى حَكَى لَنَا بَعْضُ النَّاسِ: أَنَّ شَخْصًا مِنْ الْأَعَاجِمِ جَاءَ لِيَقْرَأَ عَلَيَّ بَعْضَ شُيُوخِهِمْ مَنْطِقًا فَقَرَأَ مِنْهُ قِطْعَةً ثُمَّ قَالَ: خَوَاجَا أَيُّ بَابِ تَرْكِ الصَّلَاةِ؟ فَضَحِكُوا مِنْهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني هذا ما يدري يظنه علمًا مفيدًا فيقول: (خوارجا) يعني أيها السيد، يقول: أيها السيد قرأت كثيرا، أين باب ترك الصلاة؟ فضحكوا منه تريد أن تتعلم الصلاة في كتبنا؟! ضحكوا منه، نحن في وادٍ والصلاة في وادٍ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا مَوْجُودٌ بِالِاسْتِقْرَاءِ: أَنَّ مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِالْمَنْطِقِ وَأَهْلِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَادَّةٌ مِنْ دِينٍ وَعَقْلٌ يَسْتَفِيدُ بِهَا الْحَقَّ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَهُ اللهُ:

يعني هذا الذي جاء كان يظن أنه سيدرس صحيح البخاري من حسن ظنه بهذا العلم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا مَوْجُودٌ بِالِاسْتِقْرَاءِ: أَنَّ مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِالْمَنْطِقِ وَأَهْلِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَادَّةٌ مِنْ دِينٍ وَعَقْلٌ يَسْتَفِيدُ بِهَا الْحَقَّ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ وَإِلَّا فَسَدَ عَقْلُهُ وَدِينُهُ؛ وَلِهَذَا يُوجَدُ فِيهِمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ وَالْجَهْلِ وَالضَّلَالِ وَفَسَادِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ مَا هُوَ ظَاهِرٌ لِكُلِّ نَاطِقٍ مِنَ الرِّجَالِ.

وَلِهَذَا كَانَ أَوَّلَ مَنْ خَلَطَهُ بِأُصُولِ الْفِقْهِ وَنَحْوِهِ مِنَ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَثِيرٌ الْإِضْطِرَابِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ كَثِيرًا.

قال الشَّارح وفقه الله :

يُشير إلى أبي حامد الغزالي .

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

فَإِنَّهُ كَانَ كَثِيرًا مِنْ فَضْلَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَعُلَمَائِهِمْ يَقُولُونَ: الْمَنْطِقُ كَالْحِسَابِ وَنَحْوِهِ مِمَّا لَا يُعْلَمُ بِهِ صِحَّةُ الْإِسْلَامِ وَلَا فَسَادُهُ وَلَا ثُبُوتُهُ وَلَا انْتِفَاؤُهُ، فَهَذَا كَلَامٌ مَنْ رَأَى ظَاهِرَهُ وَمَا فِيهِ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى الْأُمُورِ الْمُفْرَدَةِ لَفْظًا، وَمَعْنَى ثُمَّ عَلَى تَأْلِيفِ الْمُفْرَدَاتِ وَهُوَ الْقَضَايَا وَنَقِيضُهَا وَعَكْسُهَا الْمُسْتَوِي وَعَكْسُ النَّقِيضِ .

ثُمَّ عَلَى تَأْلِيفِهَا بِالْحَدِّ وَالْقِيَاسِ وَعَلَى مَوَادِّ الْقِيَاسِ وَإِلَّا فَالتَّحْقِيقُ: أَنَّهُ مُشْتَمِلٌ عَلَى أُمُورٍ فَاسِدَةٍ وَدَعَاوَى بَاطِلَةٍ كَثِيرَةٍ لَا تَسَعُ هَذَا الْمَوْضِعُ لِاسْتِقْصَائِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قال الشَّارح وفقه الله :

يقول: هذا الرد الذي نجده عند (كثير من فضلاء المسلمين الذين يقولون: المنطق كالحساب ونحوه مما لا يعلم به صحة الإسلام ولا فساده ولا ثبوته ولا انتفاؤه، هذا كلام من رأى ظاهره) ولم يتعمق فيه، (وإلا فالتحقيق: أنه مشتمل على أمورٍ فاسدةٍ ودعاوى باطلةٍ).

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ :

تَمَّ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

قال الشَّارح وفقه الله :

والله اعلم، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

نسأل الله أن يجعل ما درسناه وتعلمناه حجةً لنا لا علينا، ونسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى

أن يغفر لموتى المسلمين، وأن يغفر لوالدي الكريم الذي توفي أثناء دراستنا لهذا الكتاب المفيد .

وأنا ما أردت أن أقطع دراسته حتى يكون شيء منه للوالد الكريم .

فنسأل الله أن ينفعنا بما تعلمنا، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .